کتابخانه آستان قدس

+ اسم کتاب تفسیر سوره اعراف — عربی

مصنف

مؤلف

خطی نسخ ۵ ۲۳ سطری
چاپی

سال چاپ یا تحریر — عدد اوراق ۲۰۸۷

جزء کتب تفسیر شماره ۲۷۴

شماره عمومی ۱۲۴۷۲ شماره قبض

واقف حاج تقی شهشتم تاریخ وقف بهمن ۱۳۱۶

طول ۳۰ عرض ۲۰ تیرتر گنجه

هو

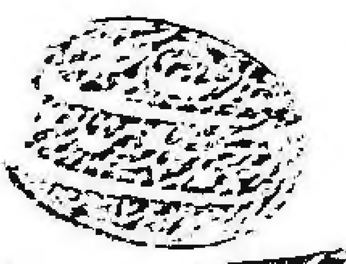
این مجلد تفسیر که تقریبا نصف کل ... هو الکریم تعالی شانه

فقیر حقیر ...

۱۸ ماه ذی الحجه ۱۲۸۹

ابو الولد

۱۲۶۷



بسم الله الرحمن الرحيم

المص اما مسرود على نمط التعديد باحد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب
واما اسم للسورة فمحله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وعلى تقدير هذا المص اي مسمى به وتذكير اسم
الاشارة مع تانيث المسمى لما ان الاشارة اليه من حيث انه مسمى بالاسم المذكور لا من حيث انه مسمى
بالاسم المذكور سورة وانما صحت الاشارة اليه مع عدم سبق ذكره لما انه باعتبار كونه بصدد الذكر
صار في حكم الحاضر المشاهد وقوله عز وجل كتاب على الوجه الاول خبر مبتدأ محذوف هو ما ينبئ
عنه تعديد الحروف كانه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف او المراد به السورة كتاب الخ او اسم اشارة
اشير به اليه تنزيلا لحضور المؤلف منه منزلة حضور نفس المؤلف اي هذا كتاب الخ وعلى الوجه
الثاني خبر بعد خبر على انه بيان لكونه مترجما باسم بديع منبئ عن غاية في نفسه ابانة لجلالة محله ببيان
كونه فردا من افراد الكتب الالهية حائزا للكمالات المختصة بها ويجوز كونه خبرا لـ المص مبتدأ
اي المسمى بالمص كتاب وقد عرفت ما فيه من ان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك
معلوم الانتساب عند المخاطب واذ لا عهد بالتسمية قبل فحقها الاخبار بها انزل اليك
اي من جهته تعالى بني الفعل للمفعول جريا على سنن الكبرياء وايذانا بالاستغناء عن التصريح
بالفاعل لغاية ظهور تعينه وهو السر في ترك ذكر مبدأ الانزال كما في قوله جل ذكره بلغ ما انزل
اليك من ربك ونظايره والجملة صفة لكتاب مشرفة له ولمن انزل اليه وجعله خبرا على معنى
كتاب عظيم الشان انزل اليك خلاف الاصل فلا يكن في صدرك حرج اي شك كما في قوله
تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك خلا انه عبر عنه بما يلازمه من الحرج فان الشاك يعتريه ضيق
الصدر كما ان المتيقن يعتريه انشراحه وانما عبر به للمبالغة في تنزيه ساحته عليه السلم عن نسبة
الشك اليه ولو في ضمن النهي فانه من الاحوال القلبية التي يستحيل اعتراؤها اياه عليه السلم وما قد
يقع من نسبته اليه في ضمن النهي فعلى طريقة التهييج والالهاب والمبالغة في التنفير والتحذير بايهام
ان ذلك من القبح والشرية بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه اصلا فكيف بمن يمكن ذلك
منه والتنوين للتحقير والجار في قوله تعالى منه متعلق بحرج يقال حرج منه اي ضاق به صدره
او بمحذوف وقع صفة له اي حرج كائن منه اي لا يكن فيك شك ما في حقيته او في
كونه كتابا منزلا اليك من عنده تعالى فالفاء على الاول لترتيب النهي او الانتهاء على مضمون الجملة
فانه مما يوجب انتفاء الشك فيما ذكر بالكلية وحصول اليقين به قطعا واما على الثاني فهو
لترتيب ما ذكر على الاخبار بذلك لا على نفسه فتدبر وتوجيه النهي الى الحرج مع ان المراد
نهيه عليه السلم عنه [illegible] للمبالغة في تنزيهه عليه السلم عن الشك فيما ذكر فان النهي عن الشيء
[illegible] صدوره [illegible] المنهي واما المبالغة في النهي فان وقوع الشك في صدره

عليه السلم سبب لاتصافه عليه السلم به فالنهي عن السبب نهي عن المسبب بالطريق البرهاني ونفي له عن
اصله بالمرة كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الاية وليس هذا من قبيل لا ارينك ههنا
فان النهي هنالك وارد على المسبب مرادا به النهي عن السبب فيكون المآل نهيه عليه السلم عن تعاطي
ما يورث الحرج فتامل وقيل الحرج على حقيقته اي لا يكن فيك ضيق صدر من تبليغه مخافة ان
يكذبوك او ان تقصر في القيام بحقه فانه عليه السلم كان يخاف تكذيب قومه له واعراضهم
عنه فكان يضيق صدره من الاداء ولا ينبسط له فامنه الله عز وجل ونهاه عن المبالاة
بهم فالفاء للترتيب على مضمون الجملة او على الاخبار به فان كلا منهما موجب للاقدام على التبليغ
وزوال الخوف قطعا وان كان ايجاب الثاني بواسطة الاول وقوله تعالى لتنذر به اي
بالكتاب المنزل متعلق بانزل وما بينهما اعتراض توسط بينهما تقريرا لما قبله وتمهيدا لما
بعده وحسما للتوهم ان مورد الشك هو الانزال للانذار وقيل متعلق بالنهي فان انتفاء الشك
في كونه منزلا من عنده تعالى موجب للانذار به قطعا وكذا انتفاء الخوف منهم او العلم بانه
موفق للقيام بحقه موجب للتجاسر على ذلك وانت خبير بانه لا يتاتى على التفسير الاول لان
تعليل النهي عن الشك بما ذكر من الانذار والتذكير مع ايهامه لامكان صدوره عنه عليه السلم
مشعر بان المنهي عنه ليس بمحذور لذاته بل لافضائه الى فوات الانذار والتذكير لا اقل من
الايذان بان ذلك معظم غائلته ولا ريب في فساده واما على التفسير الثاني فانما يتاتى التعليل
بالانذار لا بتذكير المؤمنين اذ ليس فيه شائبة حرج حتى يجعل غاية لانتفائه وقوله تعالى
وذكرى للمؤمنين في حيز النصب باضمار فعلها معطوفا على لتنذر اي وتذكر المؤمنين تذكيرا
او الجر عطفا على محل ان تنذر اي للانذار والتذكير وقيل مرفوع على كتاب او خبر لمبتدأ محذوف
وتخصيص التذكير بالمؤمنين للايذان باختصاص الانذار بالكفرة اي لتنذر به المشركين
وتذكر المؤمنين وتقديم الانذار لانه اهم بحسب المقام اتبعوا ما انزل اليكم كلام مستانف
خوطب به كافة المكلفين بطريق التلوين وامروا باتباع ما امر النبي صلى الله عليه وسلم فيما
تبليغه بطريق الانذار والتذكير وجعل منزلا اليهم بواسطة انزاله اليه عليه السلم لتحقق ذكر ما
يستدعيه من الانذار والتذكير لتاكيد وجوب اتباعه وقوله تعالى من ربكم متعلق بانزل على انه
من لابتداء الغاية مجازا او بمحذوف وقع حالا من الموصول او من ضميره في صلته وفي التعرض
لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين مزيد لطف بهم وترغيب لهم في الامتثال
بما امروا به وتاكيد لوجوبه وجعل ما انزل ههنا عاما للسنة القولية والفعلية بعيد نعم
يعمها حكما بطريق الدلالة لا بطريق العبارة ولما كان اتباع ما انزل الله تعالى اتباعا له تعالى
عقب الامر بذلك بالنهي عن اتباع غيره تعالى فقيل ولا تتبعوا من دونه اي من دون
ربكم الذي انزل اليكم ما يهديكم الى الحق ومحله النصب على انه حال من فاعل فعل النهي اي لا
تتبعوا متجاوزين الله تعالى اولياء من الجن والانس بان تقبلوا منهم ما يلقونه اليكم
بطريق الوسوسة والاغواء من الاباطيل ليضلوكم عن الحق ويحملوكم على البدع والاهواء
الزائغة اذ من اولياء قدم عليه لكونه نكرة اذ لو اخر عنه لكان صفة له اي اولياء كاينة
غيره تعالى وقيل الضمير للموصول على حذف المضاف في اولياء اي ولا تتبعوا من دون ما انزل

اما طيرا واما كافرا وقيل الضمير لا تتبعوا من دونه من دون ربكم دينا اولياء وقرئ ولا تبتغوا كما في قوله تعالى
ومن يبتغ غير الاسلام دينا وقوله تعالى قليلا ما تذكرون بحذف احدى التاءين وتخفيف
الذال وقرئ بتشديدها على ادغام التاء المهموسة في الذال المجهورة وقرئ يتذكرون على صيغة الغيبة
وقليلا نصب اما بما بعده على انه نعت لمصدر محذوف مقدم للقصر او لزمان كذلك محذوف وما
مزيدة لتأكيد القلة اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون لا كثيرا حيث لا تتأثرون بذلك ولا
تعملون بموجبه وتتركون دين الله تعالى وتتبعون غيره ويجوز ان يراد بالقلة العدم كما قيل في قوله
تعالى فقليلا ما يؤمنون والجملة اعتراض تذييلي مسوق لتقبيح حال المخاطبين والالتفات على القراءة
الاخيرة للايذان باقتضاء سوء حالهم في عدم الامتثال بالامر والنهي صرف الخطاب عنهم وحكاية
جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة واما نصبه على انه حال من فاعل لا تتبعوا وما مصدرية مرتفعة به
اي لا تتبعوا من دونه اولياء قليلا تذكركم لكن لا على توجيه النهي الى المقيد فقط كما في قوله تعالى
لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى بل الى المقيد والقيد جميعا وتخصيصه بالذكر لمزيد تقبيح
حالهم بجمعهم بين المنكرين وكم من قرية اهلكناها شروع في انذارهم بما جرى على الامم الماضية بسبب
اعراضهم عن اتباع دين الله تعالى واصرارهم على اتباع دين اوليائهم وكم خبرية للتكثير في موضع رفع
على الابتداء كائنة ومن قرية تمييزها والخبر هو الجملة بعدها ومن مزيدة في التمييز وضمير اهلكناها
راجع الى معنى كم اي كثير من القرى اهلكناها او في موضع نصب باهلكناها كما في قوله تعالى
انا كل شيء خلقناه بقدر والمراد باهلاكها ارادة اهلاكها كما في قوله تعالى اذا قمتم الى
الصلاة اي اردنا اهلاكها فجاءها باسنا اي فجاء اهلها عذابنا بياتا اي بائتين مصدر
بمعنى الفاعل واقع موقع الحال اي بائتين كقوم لوط او هم قائلون عطف عليه اي او قائلين
من القيلولة نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت الواو من الحال المعطوفة على اخرى استثقالا
لاجتماع العاطفين فان واو الحال حرف عطف قد استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير كما في
جاءني زيد هو فارس فانه غير فصيح وتخصيص الحالتين بالعذاب لما ان نزول المكروه
عند الغفلة والدعة افظع وحكايته للسامعين ازجر وادع عن الاغترار باسباب الامن
والراحة ووصف الكل بوصفي البيات والقيلولة مع ان بعض المهلكين بمعزل منهما لا سيما
القيلولة للايذان بكمال غفلتهم وامنهم فما كان دعواهم اي دعاؤهم واستغاثتهم
ربهم اي ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم اذ جاءهم باسنا عذابنا وشاهدوا امارات
الا ان قالوا جميعا انا كنا ظالمين اي الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وشهادتهم ببطلانه
تحسرا عليه وندامة وطمعا في الخلاص وهيهات ولات حين نجاة فلنسألن الذين ارسل اليهم بيان
لعذابهم الاخروي اثر بيان عذابهم الدنيوي خلا انه قد تعرض لبيان مبادي احوال المكلفين
جميعا لكونه ادخل في التهويل والفاء لترتيب الاحوال الاخروية على الدنيوية ذكرا حسب ترتبها
عليها وجودا اي لنسألن الامم قاطبة قائلين ماذا اجبتم المرسلين ولنسألن المرسلين عما
اجيبوا قال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم والمراد بالسؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم
والذي نفي بقوله تعالى ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام او الاول في
موقف الحساب والثاني في موقف العقاب فلنقصن عليهم اي على الرسل حين يقولون

لا علم لنا انك انت علام الغيوب او عليهم وعلى الرسل اليهم جميعا ما كانوا عليه بعلم اي عالمين بظواهرهم
وبواطنهم او بمعلومهم منهم وما كنا غائبين عنهم في حال من الاحوال فيخفى علينا شيء من اعمالهم واحوالهم
والجملة تذييل مسوق لما قبلها والوزن اي وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها وجيدها ورديها
ورفعه على الابتداء وقوله تعالى يومئذ خبره وقوله تعالى الحق صفته اي والوزن الحق ثابت يوم
اذ يكون السؤال والقص وقيل خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل ما ذلك الوزن فقيل الحق اي العدل
السوي وقرئ القسط واختلف في كيفية الوزن والجمهور على ان صحائف الاعمال هي التي توزن
بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم
فيعترفون بها بالسنتهم وجوارحهم وتشهد عليهم الانبياء والملائكة والاشهاد وكما تثبت في صحائفهم
فيقرؤونها في موقف الحساب ويؤيده ما روي ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر له تسعة وتسعون
سجلا مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة
فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل يوزن الاشخاص لما روي عنه عليه السلام انه ليأتي العظيم
السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوي والحكم
العادل وبه قال مجاهد والاعمش والضحاك واختاره كثير من المتأخرين بناء على ان استعمال
لفظ الوزن في هذا المعنى شائع في اللغة والعرف بطريق الكناية قالوا ان الميزان
انما يراد به التوصل الى معرفة مقادير الشيء ومقادير اعمال العباد لا يمكن اظهارها بذلك لانها
اعراض قد فنيت وعلى تقدير بقائها لا تقبل الوزن وقيل ان الاعمال الظاهرة في هذه النشأة
بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح حتى ان الذنوب
والمعاصي تتجسم هنالك وتتصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين
وقوله تعالى الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وكذا قوله عليه السلام في
حق من يشرب في اناء الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم ولا بعد في ذلك الا يرى
ان العلم يظهر في عالم المثال على صورة اللبن كما لا يخفى على من له خبرة باحوال الحضرات الخمس
وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صور حسنة وبالاعمال السيئة على
صور قبيحة فتوضع في الميزان ان قيل ان المكلف يوم القيامة اما مؤمن بانه تعالى حكيم منزه عن
الجور فيكفيه حكمه تعالى بكيفيات الاعمال وكمياتها واما منكر له فلا يسلم حينئذ ان رجحان بعض
الاعمال على بعض لخصوصيات راجعة الى ذوات تلك الاعمال بل يسنده الى اظهار الله تعالى اياه
على ذلك الوجه فما الفائدة في الوزن اجيب بانه ينكشف الحال يومئذ ويظهر جميع الاشياء
بحقائقها على ما هي عليه وباوصافها واحوالها في انفسها من الحسن والقبح وغير ذلك وتنخلع عن
الصور المستعارة التي بها ظهرت في الدنيا فلا يبقى لاحد ممن يشاهدها شبهة في انها هي التي
كانت في الدنيا بعينها وان كل واحد منها قد ظهر في هذه النشأة بصورته الحقيقية المستتبعة
لصفاته ولا يحظى بالخلاف ذلك والله تعالى اعلم فمن ثقلت موازينه تفصيل
للاحكام المترتبة على الوزن والموازين اما جمع ميزان او جمع موزون على ان المراد به ما له وزن
وقدر وهو الحسنات فان رجحان احدهما مستلزم لرجحان الاخرى اي فمن رجحت موازينه التي
توزن بها حسناته او اعماله التي لها وزن وقدر او من الحسنات الحري بحق الميزان ان توضع فيه

الحسنات او ثقلت حسناته التى توزن فيها الحسنات ان خف فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار
اتصافه بثقل الميزان فالجمعية باعتبار معناه كما ان جمع الموازين لذلك واما ضمير موازينه
فراجع اليه باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم فى الفضل
والشرف هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب وهم اما ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة
ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدا خبره المفلحون والجملة خبر لاولئك
وتعريف المفلحون للدلالة على انهم الناس الذين بلغك انهم مفلحون فى الآخرة او اشارة الى
ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصائصهم ومن خفت موازينه اى ومن لم تكن له اعمال
صالحة التى لا وزن لها ولا اعتداد بها وهى اعمال السيئة فاولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم
بتلك الصفة القبيحة ومعنى البعد لما مر انفا من الانحطاط وهو مبتدا خبره الذين خسروا
انفسهم اى ضيعوا الفطرة السليمة التى فطروا عليها وقد ابتدلوا بالايات البينة وقوله تعالى
بما كانوا باياتنا يظلمون متعلق بخسروا وما مصدرية وباياتنا متعلق بيظلمون على تضمينه
معنى التكذيب وتقديمه عليه للمحافظة على الفواصل والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على استمرار
الظلم فى الدنيا اى فاولئك الموصوفون بخفة الموازين الذين خسروا انفسهم بسبب تكذيبهم
المستمر بالايات ظالمين ولقد مكناكم فى الارض لما امر الله سبحانه اهل مكة باتباع ما انزل اليهم
ونهاهم عن اتباع غيره وبين لهم وخامة عاقبته بالاهلاك فى الدنيا والعذاب المخلد فى
الآخرة ذكرهم ما افاض عليهم من فنون النعم الموجبة للشكر ترغيبا فى الامتثال بالامر والنهى
اثر ترهيب اى جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا او مكناكم فيها واقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا
لكم فيها معايش المعايش جمع معيشة وهى ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها او ما
يتوصل به الى ذلك والوجه فى الياء اخلاص اليا وعن ابن عامر انه همزه تشبيها له بصحايف
ومعايش والجعل بمعنى الانشاء والابداع اى انشأنا وابدعنا لمصالحكم ومنافعكم فيها اسبابا
تعيشون بها وكلا الظرفين متعلق به او بمحذوف وقع حالا من مفعوله المنكر اذ لو تأخر
لكان صفة له وتقديمهما على المفعول مع ان حقهما التأخر عنه لما مر من الاعتناء بشأن
المقدم والتشويق الى المؤخر فان النفس عند تأخير ما حقه التقديم لا سيما عند كون المقدم منبئا
عن منفعة للسامع تبقى مترقبة لورود المؤخر فيتمكن فيها عند الورود فضل تمكن واما تقديم اللام
على فيها فلان المنبئ عما ذكر من المنفعة فالاعتناء بشأنه اتم والمسارعة الى ذكره اهم هذا
وقد قيل ان الجعل متعد الى مفعولين ثانيهما احد الظرفين على انه مستقر قدم على الاول فالظرف
الآخر اما لغو متعلق بالجعل او بالمحذوف الذى وقع حالا من المفعول الاول كما مر وانت خبير بانه
لا فائدة يعتد بها فى الاخبار بجعل المعايش حاصلة لهم او حاصلة فى الارض وقوله تعالى
قليلا ما تشكرون اى تلك النعم تذييل مسوق لبيان سوء حال المخاطبين وتحذيرهم
وبقية الكلام فيه عين ما فى تفسير قوله تعالى قليلا ما تذكرون ولقد خلقناكم
ثم صورناكم تذكير لنعمة عظيمة فائضة على آدم عليه السلام سارية الى ذريته موجبة لشكرهم
كافة وتاخيره عن ذكر ما وقع بعده من نعمة التمكين فى الارض اما لانها فائضة على المخاطبين
بالذات وهذه بالواسطة واما للايذان بان كلا منهما نعمة مستقلة مستوجبة للشكر

على حيالها فان رعاية الترتيب الوقوعى ربما تؤدى الى توهم عد الكل نعمة واحدة كما ذكر فى قصة البقرة
وتصدير الجملتين بالقسم وحرف التحقيق لاظهار كمال العناية بمضمونهما وانما نسب الخلق والتصوير
الى المخاطبين مع ان المراد بهما خلق آدم عليه السلام وتصويره حتما توفية لمقام الامتنان حقه وتاكيدا
لوجوب الشكر عليهم بالرمز الى ان لهم حظا من خلقه عليه السلام وتصويره لانهما ليسا من الخصائص
المقصورة عليه عليه السلام كسجود الملائكة له عليه السلام بل من الامور السارية الى ذريته جميعا اذ الكل
مخلوق فى ضمن خلقه على نمطه ومصنوع على شاكلته فكأنهم الذين تعلق بهم خلقه وتصويره اى خلقنا
اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه ابدع تصوير واحسن تقويم سار اليكم جميعا ثم قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم صريح فى انه ورد بعد خلقه عليه السلام وتسويته ونفخ الروح فيه امرا منجزا لا
تعليقا وارد قبل ذلك لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين
وهذا المراد بما حكى بقوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الآية فى سورة البقرة وسورة
بنى اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه من غير تعرض لوقته وكلمة ثم هنا تقتضى تراخيه عن
التصوير من غير تعرض لما جرى بينهما من الامور وقد بينا فى سورة البقرة ان ذلك ظهور فضل
آدم عليه السلام بعد المحاورة المسبوقة بالاخبار باستخلافه عليه السلام حسبما نطق به قوله عز وجل
واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة الى قوله ما كنتم تكتمون فان ذلك
ايضا من جملة ما نيط به الامر المعلق من التسوية ونفخ الروح وعدم ذكره عند الحكاية لا يقتضى عدم
ذكره عند وقوع المحكى كما ان عدم ذكر الامر المعلق عند حكاية الامر المنجز لا يستلزم عدم مسبوقيته
به وان حكاية كلام واحد على اساليب مختلفة بمقتضى المقام ليست بعزيزة فى الكلام العزيز
فلعله قد القى الى الملائكة عليهم السلام اولا جميع ما يتوقف عليه الامر المنجز اجمالا بان قيل مثلا انى
خالق بشرا من كذا وكذا وجاعله خليفة فى الارض فاذا سويته ونفخت فيه من روحى وبين
لكم فضله فقعوا له ساجدين فخلقه فسواه ونفخ فيه من روحه فقالوا عند ذلك ما قالوا او القى اليهم
خبر الخلافة بعد تحقق الشرائط المذكورة بان قيل اثر نفخ الروح انى جاعل هذا خليفة فى الارض فهناك لك
ذكروا فى حقه عليه السلام ما ذكروا فايده الله تعالى بتعليم الاسماء فشاهدوا منه عليه السلام ما شاهدوا
فعند ذلك ورد الامر المنجز اعتناء بشأن المأمور به وايذانا بوقته وقد حكى بعض المذكور
فى بعض المواطن وبعضه فى بعضها اكتفاء بما ذكر فى كل موطن عما ترك فى موطن آخر والذى
يرفع غشاوة الاشتباه عن البصائر السليمة ان ما فى سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك
للملائكة الآيات بدل من قوله اذ يختصمون فيما قبله من قوله ما كان لى من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون
اى تكلمهم عند اختصامهم ولا ريب فى ان المراد بالملأ الاعلى الملائكة وآدم عليهم السلام
وابليس حسبما اطبق عليه جمهور المفسرين وباختصامهم ما جرى بينهم فى شأن الخلافة من التقاول
الذى من جملته ما صدر عنه عليه السلام من الانباء بالاسماء ومن قضيته البديهية وقوع الاختصام
المذكور فى تضاعيف ما شرح فيه مفصلا من الامر المعلق وما علق به من الخلق والتسوية
ونفخ الروح فيه ومن ترتب عليه من سجود الملائكة وعناد ابليس ولعنه واخراجه
من بين الملائكة وما يتبعه من الاقوال والافعال واذ ليس تمام الاختصام بعد سجود الملائكة
ومكابرة ابليس وطرده من البين لما عرفت من انه احد المختصمين كما انه ليس قبل الخلق ضرورة

فاذا هو بعد نفخ الروح وقيل السجود بهذا الطريقين المذكورين والله تعالى اعلم
فسجدوا اي الملائكة عليهم السلام بعدما امروا به تعظيما لادم الا ابليس استثناء متصل لانه
كان جنيا مفردا مغمورا بالالوف من الملائكة متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه في فسجدوا ثم استثني استثناء
واحد منهم او لان من الملائكة جنسا يتوالدون يقال لهم الجن كما مر في سورة البقرة فقوله تعالى
لم يكن من الساجدين اي ممن سجد لادم كلام مستانف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم
من الاستثناء فان عدم السجود قد يكون للتامل ثم يقع السجود وبه علم انه لم يقع قط وقيل منقطع
فيكون متصلا بما بعده اي لكن ابليس لم يكن من الساجدين قال استئناف مسوق
للجواب عن سؤال نشأ من حكاية عدم سجوده كانه قيل فماذا قال الله تعالى حينئذ وبه يظهر وجه
الالتفات الى الغيبة اذ لا وجه لتقدير السؤال على وجه المخاطبة وفيه فائدة اخرى هي الاشعار
بعدم تعلق المحكي بالمخاطبين كما في حكاية الخلق والتصوير ما منعك الا تسجد اي ان لا
تسجد كما في سورة ص ولا مزيدة مؤكدة لمعنى الفعل الذي دخلت عليه كما في قوله تعالى لئلا يعلم
اهل الكتاب منبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مضطر الى خلافه
فالمعنى ما اضطرك الى ان لا تسجد اذ امرتك فيه دلالة على ان مطلق الامر للوجوب
والفور وفي سورة الحجر يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين وفي سورة ص ما منعك
ان تسجد لما خلقت بيدي واختلاف العبارات عند الحكاية يدل على ان اللعين قد ادمج في
معصية واحدة ثلاث معاص مخالفة الامر ومفارقة الجماعة والاباء عن الانتظام في
سلك اولئك المقربين والاستكبار مع تحقير ادم عليه السلام وقد وبخ على كل واحدة منها
لكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه اكتفاء بما ذكر في موطن اخر واشعارا
بان كل واحدة منها كافية في التوبيخ واظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ
راسا في سورة البقرة وسورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه قال
استئناف كما سبق مبني على سؤال نشأ من حكاية التوبيخ كانه قيل فماذا قال اللعين عند ذلك
فقيل قال انا خير منه متجانفا عن تطبيق جوابه على السؤال بان يقول منعني كذا مدعيا
لنفسه بطريق الاستئناف شيئا يستلزم منعه من السجود على زعمه ومشعرا بان مثله
هذا لا يحسن ان يسجد لمن دونه فكيف يحسن ان يؤمر به كما ينبئ عنه ما في سورة الحجر من قوله لم
اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون فهو من اسس بنيان الكبر واخترع القول
بالحسن والقبح العقليين وقوله تعالى خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لما
ادعاه من فضله عليه ولقد اخطأ اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر وزل
عنه ما من جهة الفاعل كما انبأ عنه قوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي بغير واسطة
على وجه الاعتناء به وما من جهة الصورة كما نبه عليه بقوله تعالى ونفخت فيه من روحي وما
من جهة الغاية وهو ملاك الامر ولذلك امر الملائكة بسجوده عليه السلام حين ظهر لهم
انه اعلم منهم بما يدور عليه امر الخلافة في الارض وان له خواص ليست لغيره وفي الاية
دليل على الكون والفساد وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق البشر الى
الطين والشياطين الى النار باعتبار الجزء الغالب قال استئناف كما سلف والفاء

في قوله تعالى فاهبط منها لترتيب الامر على ما ظهر من اللعين من مخالفة الامر وتعليله بالاباطيل
والاصرار على ذلك اي فاهبط من الجنة والاضمار قبل ذكرها لشهرة كونه من سكانها قال ابن
عباس رضي الله عنهما كانوا في عدن لا في جنة الخلد وقيل من زمرة الملائكة المعززين فان الخروج
من زمرتهم هبوط اي هبوط وفي سورة الحجر فاخرج منها واما ما قيل من انه امر بالهبوط من
السماء فيرده ان وسوسته لادم عليه السلام كانت بعد هذا الطرد فلا بد ان يحمل على احد الوجهين
قطعا ويكون وسوسته على الوجه الاول بطريق النداء من باب الجنة كما روي عن الحسن البصري
وقوله تعالى فما يكون لك اي فما يصح ولا يستقيم لك ولا يليق بشأنك ان تتكبر فيها
اي في الجنة او في زمرة الملائكة تعليل للامر بالهبوط فان عدم صحة ان يتكبر فيها علة للامر المذكور
فانها مكان المطيعين الخاشعين ولا دلالة فيه على جواز التكبر في غيرها وفيه تنبيه على ان
التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده لتكبره لا لمجرد عصيانه وقوله تعالى فاخرج تاكيد
للامر بالهبوط متفرع على علته وقوله تعالى انك من الصاغرين تعليل للامر بالخروج مشعر بانه
لتكبره اي من الاذلاء واهل الهوان على الله تعالى وعلى اوليائه لتكبره وعن عمر رضي الله عنه
من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره وهصه الله
الى الارض قال استئناف كما مر مبني على سؤال نشا مما قبله كانه قيل فماذا قال اللعين
بعد ما سمع هذا الطرد المؤكد فقيل قال انظرني اي امهلني ولا تمتني الى يوم يبعثون
اي ادم وذريته للجزاء بعد فنائهم وهو وقت النفخة الثانية واراد اللعين بذلك ان يجد فسحة
من اغوائهم وياخذ منهم ثاره وينجو من الموت لاستحالته بعد البعث قال استئناف كما
سلف انك من المنظرين ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما سأله لاخرين
على وجه يشعر بان السائل تبع لهم في ذلك صريح في انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء
لانظار خاص به اجابة لدعائه وان استنظاره كان طلبا لتاخير الموت اذ به يتحقق
كونه من جملتهم لا لتاخير العقوبة كما قيل اي انك من جملة الذين اخرت اجالهم ازلا حسبما
تقتضيه الحكمة التكوينية الى وقت فناء عن ما استثناه الله تعالى من الخلائق وهو النفخة
الاولى لا الى وقت البعث الذي هو المسؤول وقد ترك التوقيت للايجاز ثقة بما وقع في
سورة الحجر وفي سورة ص كما ترك ذكر النداء والفاء في الاستنظار والانظار تعويلا
على ما ذكر فيهما بقوله رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين
الى يوم الوقت المعلوم وفي انظاره ابتلاء للعباد وتعريض للثواب ان قلت لا ريب
في ان الكلام المحكي له عند صدوره عن المتكلم حالة مخصوصة تقتضي وروده على وجه خاص
وجوه النظم بحيث لو اخل بشيء من ذلك سقط الكلام عن رتبة البلاغة البتة فالكلام
الواحد المحكي على وجوه شتى ان اقتضى الحال وروده على وجه معين من تلك
الوجوه الواردة عند الحكاية فذلك الوجه هو المطابق لمقتضى الحال والبالغ
الى رتبة البلاغة دون ما عداه من الوجوه اذا تمهد هذا فنقول لا يخفى ان
استنظار اللعين اذا صدر عنه مرة واحدة لا يخفى مقام ان اقتضى اظهار الضراعة
وترتيب الاستنظار على ما حاق به من اللعن والطرد على نهج استدعاء الجزاء في مقابلة

الكلام مع المبادرة من قوله رب فانظرني حسبما حكي عنه في السورتين فاكتفي ههنا بكون بعض ل
من المطابقة لمقتضى الحال فضلا عن العروج الى معارج الاعجاز قلنا مقام الاستنظار
مقتض لما ذكر من اظهار الضراعة وترتيب الاستنظار على الحكاية لما يدل عليه بالطرد
والرجم كما ان مقام الانظار مقتض لترتيب الاخبار بالانظار على الاستنظار وقد طبق
الكلام في تينك السورتين على ذلك واودع كل من مقامي الحكاية والمحكي حظه واما ههنا
فحيث اقتضى مقام الحكاية مجرد الاخبار بالاستنظار والانظار سيقت الحكاية على نهج الايجاز
والاختصار من غير تعرض لبيان كيفية كل منهما عند المخاطبة واطوار ان قلت فاذن
لا يكون ذلك نقلا للكلام على ما هو عليه ولا مطابقا لمقتضى المقام قلنا الذي
اعتبار في نقل الكلام انما هو اصل معناه وتفسير مدلوله الذي يفيده واما كيفية افادته
له فليست مما يجب مراعاته عند النقل البتة بل قد تراعى وقد لا تراعى حسب اقتضاء المقام
ولا يقدح في الكلام تجريده عنها بل قد يراعى عند نقله كيفيات وخصوصيات لم
يراعها المتكلم اصلا ولا يخل ذلك بكون المنقول اصل المعنى الا ترى ان جميع المقالات
المنقولة في القرآن الكريم انما تحكى بكيفيات واعتبارات للاعجاز لا يقدر على مراعاتها
من تكلم بها حتما والا لامكن صدور الكلام المعجز عن البشر هذا اذا كان المحكي كلاما
واما عند مطابقته لمقتضى الحال فتشافه العقلاء على توزيعه مقتضاه من الاحوال
فان ملاك الامر هو مقام الحكاية واما مقام وقوع المحكي فان كان مقتضاه موافقا
لمقتضى مقام الحكاية يوفى كل واحد من المقامين حقه كما في سورة الحجر وسورة ص
فان مقام الحكاية فيهما لما كان مقتضيا لبسط الكلام وتفصيله على الكيفيات التي وقع
عليها روعي حق المقامين معا واما في هذه السورة الكريمة فحيث اقتضى مقام
الحكاية الايجاز روعي جانبه الا ترى ان المخاطب المنكر اذا كان ممن لا يفهم الا اصل المعنى
وجب على المتكلم ان يجرد كلامه عن التأكيد وسائر الخواص والمزايا التي يقتضيها المقام
ويخاطبه بما يناسبه من الوجوه لكن مع ذلك يجب ان يقصد معنى زائدا يفهمه سامع
اخر بليغ هو تجريده عن الخواص رعاية لمقتضى حال المخاطب في الفهم وبذلك يرتقي
كلامه عن رتبة اصوات الحيوانات كما حقق في مقامه فاذا وجب مراعاة مقام
الحكاية مع افضائها الى تجريد الكلام عن الخواص والمزايا بالمرة فما ظنك بوجوب مراعاته
مع تحليته الكلام بمزايا اخر يرتقي بها الى رتبة الاعجاز لا سيما اذا روعي حق مقام وقوع
المحكي في السورتين الكريمتين وكان هذا الايجاز مبنيا عليه وتعويلا عليه قال
فبما اغويتني الباء للقسم كما في قوله تعالى فبعزتك لاغوينهم فان اغواءه
تعالى اياه اثر من اثار قدرته وعزته وحكم من احكام سلطانه تعالى فمآل الاقسام
بهما واحد فلعل اللعين اقسم بهما جميعا فحكي تارة قسمه باحدهما واخرى بالاخر والفاء
لترتيب مضمون الجملة على الانظار وما مصدرية اي فاقسم باغوائك اياي لاقعدن لهم
او للسببية على ان الباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا بلاقعدن لا تقربا لهم كما في الوجه الاول
فان اللام تصد عن ذلك اي فبسبب اغوائك اياي لاجلهم اقسم بعزتك لاقعدن

لآدم وذريته ترصدا بهم كما يقعد القطاع للقطع على السابلة صراطك المستقيم المؤدي الى
الجنة وهو دين الاسلام فالقعود مجاز متفرع على الكناية وانتصابه على الظرفية كما في قوله
كما عسل الطريق الثعلب وقيل على نزع الجار تقديره على صراطك كقولهم ضرب زيد الظهر
والبطن ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي من الجهات الاربع التي يعتاد
هجوم العدو منها مثل قصده اياهم للتسويل والاضلال من اي وجه يتيسر باتيان العدو
من الجهات الاربع ولذلك لم يذكر الفوق والتحت وعن ابن عباس رضي الله عنهما من بين ايديهم من
قبل الآخرة ومن خلفهم من جهة الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم
وقيل من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون على التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لا
يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا
ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم ومن حيث لا يتيسر لهم ذلك وانما عدي الفعل الى
الاولين بمن الابتدائية لانه منهما متوجه اليهم والى الاخريين بحرف المجاوزة فان الآتي منهما
كالمنحرف المتجافي عنهم المار على عرضهم ونظيره جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين
اي مطيعين وانما قاله ظنا لقوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما رأى منهم مبدأ الشر متعددا
ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة عليهم السلام قال استئناف كما سلف مرارا اخرج منها
اي من الجنة او من السماء او من بين الملائكة عليهم السلام مذءوما اي مذموما من ذامه
اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول في مسؤول او كمكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما مدحورا
مطرودا لمن تبعك منهم اللام موطئة للقسم وجوابه لاملأن جهنم منكم اجمعين وهو ساد
مسد جواب الشرط وقرئ لمن تبعك بكسر اللام على انه خبر لاملأن على معنى لمن تبعك هذا الوعيد
او علة لاخرج ولاملأن جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم على تغليب المخاطب ويا آدم
اي وقلنا كما وقع في سورة البقرة وتصدير الكلام بالنداء للتنبيه على الاهتمام بتلقي المأمور به وتخصيص
الخطاب به عليه السلام للايذان باصالته في تلقي الوحي وتعاطي المأمور به اسكن انت وزوجك الجنة
هو من السكنى الذي هو عبارة عن اللبث والاستقرار والاقامة لا من السكون الذي هو ضد الحركة وانت
ضمير اكد به المستكن في اسكن ليصح العطف عليه والفاء في قوله تعالى فكلا من حيث شئتما لبيان
المراد مما في سورة البقرة من قوله تعالى وكلا منها رغدا حيث شئتما من ان ذلك كان جميعا على الترتيب
وقوله تعالى من حيث شئتما في معنى منها حيث شئتما ولم يذكر ههنا رغدا ثقة بما ذكر هناك
وتوجيه الخطاب اليهما لتعميم التشريف والايذان بتساويهما في مباشرة المأمور به فان حواء اسوة
له عليه السلام في حق الاكل بخلاف السكنى فانها تابعة له فيه ولتعليق النهي بهما صريحا في قوله تعالى
ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا من
الظالمين اما جزم على العطف او نصب على الجواب فوسوس لهما الشيطان اي فعل الوسوسة لا
جلهما او تكلم لهما كلاما خفيا متداركا متكررا وهي في الاصل الصوت الخفي كالهينمة والخشخشة ومنه
وسوس الحلي وقد سبق بيان كيفية وسوسته في سورة البقرة ليبدي لهما اي ليظهر لهما واللام
للعاقبة او للغرض على انه اراد بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عوراتهما ولذلك عبر عنها بالسوءة وفيه
دليل على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع

ما ووري عنهما من سوآتهما ما غطي وستر عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا
احدهما من الآخر وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة في المشهورة كما قلبت في اويصل تصغير واصل
لان الثانية مدة وقرئ سوتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو
الساكنة فيها وقال عطف على وسوس بطريق البيان ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا اى عن
اكلها الا ان تكونا ملكين اى الا كراهة ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين الذين
لا يموتون او يخلدون في الجنة وليس فيه دلالة على افضلية الملائكة لما ان من المعلوم ان
الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما اوصاف الملائكة من الكمالات الفطرية
والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك بمعزل من الدلالة على الافضلية بالمعنى المتنازع
فيه وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين اى اقسم لهما وصيغة المبالغة للمبالغة وقيل اقسما له
بالقبول وقيل قالا له اتقسم بالله انك لمن الناصحين فاقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما
فنزلهما الى الاكل من الشجرة وفيه تنبيه على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية فان التدلية
والادلاء ارسال الشيء من الاعلى الى الاسفل بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا
لا يقسم بالله كاذبا او ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما اى فلما
وجدا طعمها آخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما
وظهرت لهما عوراتهما واختلف في ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان
نورا او ظفرا وطفقا يخصفان طفق من افعال الشروع والتلبس كاخذ وجعل وانشأ وعلق
وهب وانبرى اى اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل
كان ذلك ورق التين وقرئ يخصفان من اخصف اى يخصفان انفسهما ويخصفان من خصف ويخصفان
اصله يختصفان وناداهما ربهما مالك امرهما بطريق العتاب والتوبيخ الم انهكما وهو تفسير
للنداء فلا محل له من الاعراب او معمول لقول محذوف اى وقال او قائلا الم انهكما عن تلكما الشجرة ما في
اسم الاشارة من معنى البعد لما ان الاشارة الى الشجرة التى نهيا عن قربانها واقل لكما عطف على
انهكما اى الم اقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين هذا عتاب وتوبيخ على الاغترار بقول العدو
كما ان الاول عتاب على مخالفة النهي وفيه دليل على ان مطلق النهي للتحريم ولكما متعلق بعدو
لما فيه من معنى الفعل او بمحذوف هو حال من عدو ولم يحك هذا القول ههنا وقد حكي
في سورة طه بقوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك الآية روي انه تعالى قال لآدم الم
يكن فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما
ظننت ان احدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال
العيش الا كدا فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد ودرس
وذرى وطحن وعجن وخبز قالا ربنا ظلمنا انفسنا اى ضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج
من الجنة وان لم تغفر لنا ذلك وترحمنا لنكونن من الخاسرين وهو دليل على ان الصغائر
يعاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك
حملوا قولهما ذلك على عادات المقربين في استعظام الصغير من السيئات واستصغار العظيم
من الحسنات قال استيناف كأنه قيل اهبطوا خطاب لآدم وحوا وذريتهما او لهما

ولابليس

ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرناء ابدا واخبر بما قال لهم مفرقا كما في قوله تعالى يا ايها الرسل
كلوا من الطيبات ولم يذكر ههنا قبول توبتهما اكتفاء بذكره في سائر المواضع بعضكم لبعض عدو جملة حالية
من فاعل اهبطوا اى متعادين ولكم في الارض مستقر اى استقرار او موضع استقرار ومتاع
اى تمتع وانتفاع الى حين هو حين انقضاء آجالكم قال اعيد الاستيناف اما للايذان
بعدم اتصال ما بعده بما قبله كما في قوله تعالى قال فما خطبكم ايها المرسلون اثر قوله تعالى قال ومن
يقنط من رحمة ربه الا الضالون وقوله تعالى قال ارايتك هذا الذي كرمت على اثر قوله تعالى
أاسجد لمن خلقت طينا واما لاظهار الاعتناء بمضمون ما بعده من قوله تعالى فيها تحيون وفيها تموتون
ومنها تخرجون اى للجزاء كقوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى
يا بني آدم خطاب للناس كافة وايرادهم بهذا العنوان مما لا يخفى سره قد انزلنا عليكم لباسا
اى خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة منها ونظيره وانزل لكم من الانعام الآية وقوله
تعالى وانزلنا الحديد يواري سوآتكم التى قصد ابليس ابداءها من ابويكم حتى اضطرا الى
خصف الاوراق وانتم مستغنون عن ذلك وروي ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة
ويقولون لا نطوف بثياب عصينا الله تعالى فيها فنزلت ولعل ذكر قصة آدم حينئذ للايذان
بان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان من قبل الشيطان وانه اغواهم في ذلك كما
اغوى ابويهم وريشا ولباسا تتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل اى تمول
وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى اى خشية الله تعالى
وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء خبره جملة ذلك خير
او خبر وذلك صفته كأنه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرئ ولباس التقوى
بالنصب عطفا على لباسا ذلك اى انزال اللباس من آيات الله الدالة على عظيم فضله وعميم
رحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بني
آدم تكرير النداء للايذان بكمال الاعتناء بمضمون ما صدر به وايرادهم بهذا العنوان
مما لا يخفى سره لا يفتننكم الشيطان اى لا يوقعنكم في الفتنة والمحنة بان يمنعكم من
دخول الجنة كما اخرج ابويكم من الجنة نعت لمصدر محذوف اى لا يفتننكم فتنة مثل اخراج
ابويكم ومجيء ان يكون المعنى لا يخرجنكم بفتنته اخراجا مثل اخراجه لابويكم
والنهي وان كان متوجها الى الشيطان لكنه في الحقيقة متوجه الى المخاطبين كما في
قولك لا ارينك ههنا وقد مر تحقيقه مرارا ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال
من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب وصيغة المضارع لاستحضار
الصورة وقوله تعالى انه يراكم هو وقبيله اى جنوده وذريته استيناف لتعليل
النهي وتاكيد التحذير منه من حيث لا ترونهم من لابتداء غاية الرؤية وحيث ظرف لمكان
انتفاء الرؤية ولا ترونهم في محل الجر باضافة الظرف اليه ورؤيتهم لنا من حيث لا نراهم لا
تقتضي امتناع رؤيتنا لهم مطلقا واستحالة تمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين جملة تعليلية من
جملة نحو اولياء للذين لا يؤمنون اى جعلناهم بما اوجدنا بينهم من المناسبة او بارسالهم
عليهم وتمكينهم من اغوائهم وحملهم على ما سولوا لهم اولياء اى قرناء مسلطين عليهم والجملة تعليل

اي الفحش وتاكيد للتحذير يا بني آدم واذا فعلوا فاحشة جملة مبتدأة لا محل لها من الاعراب وقد جوز
عطفها على الصلة والفاحشة الفعلة المتناهية في القبح والتاء لانها مجراة على الموصوف المؤنث
اي الفعلة الفاحشة وصيغة الاسمية والمراد بها عبادة الاصنام وكشف العورة في الطواف ونحوهما
قالوا جوابا للناهين عنها وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها محتجين بامرين تقليد الآباء والافتراء
على الله سبحانه ولعل تقديم المقدم للايذان منهم بان آباءهم انما كانوا يفعلونها بامر الله تعالى
بها على ان ضمير امرنا لهم ولآبائهم فحينئذ يظهر وجه الاعراض عن الاول في رد مقالتهم بقوله
تعالى قل ان الله لا يأمر بالفحشاء فان عادته تعالى جارية على الامر بمحاسن الاعمال والحث على
مراضي الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه عاجلا والعقاب آجلا
عقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل
هما جوابا سؤالين مترتبين كانه قيل لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل لما
فعلها آباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل بخلافه لا
مطلقا أتقولون على الله ما لا تعلمون من تمام القول المأمور به والهمزة لانكار الواقع واستقباحه
وتوجيه الانكار والتوبيخ الى قولهم عليه تعالى ما لا يعلمون صدوره عنه تعالى مع ان بعضهم
يعلمون عدم صدوره عنه قوله تعالى مبالغة في انكار تلك الصورة فان اسناد ما لم يعلم
صدوره عنه تعالى اليه تعالى اذا كان منكرا فاسناد ما علم عدم صدوره عنه اليه حري بان يكون اشد
قبحا واحق بالانكار قل امر ربي بالقسط بيان للمأمور به اثر نفي ما اسندوه اليه تعالى من
الامر المنهي عنه والقسط العدل وهو الوسط من كل شيء المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط
واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها او اقيموا وجوهكم
نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت سجود او مكان سجود وهو الصلاة او في اي مسجد حضرتكم
الصلاة عنده ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين
اي الطاعة فان مصيركم اليه بالآخرة كما بدأكم اي كما انشأكم ابتداء تعودون اليه باعادته
فيجازيكم على اعمالكم والمناسبة الاعادة بالابتداء تقريبا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما
بدأكم من التراب تعودون اليه وقيل حفاة عراة غرلا تعودون اليه وقيل كما بدأكم
مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى
القضاء السابق التابع للمشيئة المبنية على الحكم البالغة وانتصابه بفعل مضمر يفسره ما
بعده اي وخذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانه وتحقيق
لضلالتهم ويحسبون انهم مهتدون فيه دلالة على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء في استحقاق
الذم وللفارق ان يحمله على المقصر في النظر يا بني آدم خذوا زينتكم اي ثيابكم لمواراة
عوراتكم عند كل مسجد اي لطواف او صلاة ومن السنة ان يأخذ الرجل احسن هيئته للصلاة
وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلاة وكلوا واشربوا ما طاب لكم روي ان
بني عامر كانوا في ايام حجهم لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم
فهم المسلمون بمثله فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال او بالتعدي الى الحرام او بالافراط في
الطعام والشره عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان

سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد جمع الله الطب في نصف الآية فقال كلوا واشربوا
ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اي لا يرتضي فعلهم قل من حرم زينة الله من
الثياب وما يتجمل به التي اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير
والصوف والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق اي المستلذات من المآكل
والمشارب وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الا
ستفهام في من للانكار قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فبالتبع
خالصة يوم القيامة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحالية وقرئ بالرفع على انه خبر بعد
خبر كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون اي مثل هذا التفصيل نفصل سائر الاحكام
لقوم يعلمون ما في تضاعيفها من المعاني الرائقة قل انما حرم ربي الفواحش اي ما تفاحش قبحه
من الذنوب وقيل ما يتعلق منها بالفروج ما ظهر منها وما بطن بدل من الفواحش اي جهرها
وسرها والاثم اي ما يوجب الاثم وهو تعميم بعد تخصيص وقيل هو شرب الخمر والبغي اي
الظلم او الكبر افرده بالذكر للمبالغة في الزجر عنه بغير الحق متعلق بالبغي مؤكد لمعناه وان
تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لا يدل عليه برهان وان
تقولوا على الله ما لا تعلمون بالالحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم والله امرنا بها وتوجيه التحريم
الى قولهم عليه تعالى ما لا يعلمون وقوعه لا ما يعلمون عدمه ووقوعه قد مر سره ولكل امة من
الامم المهلكة اجل حد معين من الزمان مضروب لمهلكهم فاذا جاء اجلهم ان جعل الضمير لكل امة
المدلول عليها بكل امة فاظهار الاجل مضافا اليه لافادة المعنى المقصود الذي هو بلوغ كل امة
اجلها الخاص بها ومجيئه اياها بواسطة اكتساب الاجل بالاضافة عموما يفيده معنى الجمعية
كانه قيل اذا جاءهم آجالهم بان يجيء كل واحدة من تلك الامم اجلها الخاص بها وان جعل
لكل امة خاصة كما هو الظاهر فالاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاضافة الى
الضمير لافادة اكمل التمييز اي اذا جاءها اجلها الخاص بها لا يستأخرون عن ذلك الاجل ساعة
اي شيئا قليلا من الزمان فانها مثل في غاية القلة اي لا يتأخرون اصلا وصيغة الاستفعال
للاشعار بعجزهم وحرمانهم عن ذلك مع طلبهم له ولا يستقدمون اي ولا يتقدمون عليه وهو
عطف على يستأخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع امكانه في نفسه كالتأخر بل للمبالغة
في انتفاء التأخر بنظمه في سلك المستحيل عقلا كما في قوله سبحانه وليست التوبة للذين يعملون
السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فان
من مات كافرا مع ظهور ان لا توبة له رأسا قد نظم في عدم القبول في سلك من سوفها الى
حضور الموت ايذانا بتساوي وجود التوبة وعدمها بالمرة وقيل المراد بالمجيء الدنو بحيث
يمكن التقدم في الجملة كمجيء اليوم الذي ضرب لهلاكهم ساعة وليس بذاك وتعميم بيان
انتفاء الاستئخار لما ان المقصود بالذات بيان عدم خلاصهم من العذاب واما قوله
تعالى ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون من سبق السبق في الذكر فلان المراد هناك
بيان سر تأخير هلاكهم مع استحقاقهم له حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا
ويلههم الامل فسوف يعلمون فالاهم هناك بيان انتفاء السبق يا بني آدم
تلوين

للخطاب وتوجيهه الى كافة الناس اهتماما بشأن ما في حيزه اما يأتينكم هي ان الشرطية ضمت اليها
ما المؤكدة لمعنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة او الخفيفة وفيه تنبيه على ان ارسال الرسل
امر جائز لا واجب عقلا رسل منكم الجار متعلق بمحذوف هو صفة لرسل اي كائنون من جنسكم وقوله
تعالى يقصون عليكم آياتي صفة اخرى لرسل اي يبينون لكم احكامي وشرائعي وقوله تعالى
فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون جملة شرطية وقعت جوابا للشرط اي فمن اتقى منكم التكذيب
واصلح عمله فلا خوف الخ وكذا قوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون اي والذين كذبوا منكم بآياتنا وايراد الاتقاء في الاول للايذان بان مدار الفلاح ليس
مجرد عدم التكذيب بل هو الاتقاء والاجتناب عنه وادخال الفاء في الجزاء الاول دون الثاني
للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي تقول على الله تعالى
ما لم يقله او كذب بآياته اي هو اظلم من كل ظالم وقد مر تحقيقه مرارا اولئك اشارة الى الموصول
والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد في الفعلين باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان
ببعد منزلتهم في سوء الحال اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الافتراء والتكذيب ينالهم نصيبهم
من الكتاب اي مما كتب لهم من الارزاق والاعمار وقيل الكتاب اللوح اي مما اثبت
لهم فيه وايا ما كان فمن الابتدائية متعلقة بمحذوف وقع حالا من نصيبهم اي ينالهم نصيبهم
كائنا من الكتاب وقيل نصيبهم العذاب وسواد الوجه وزرقة العيون وعن ابن عباس
رضي الله عنهما كتب لمن يفتري على الله سواد الوجه قال تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله
وجوههم مسودة وقوله تعالى حتى اذا جاءتهم رسلنا اي ملك الموت واعوانه يتوفونهم
اي حال كونهم متوفين لارواحهم غاية لنيلهم وحتى وان كانت هي التي يبتدأ بها الكلام
لكنها غاية لما قبلها فالمعنى يكون نصيبهم ما يستحقونها الى الحين وفاتهم اي ينالهم
نصيبهم من الكتاب الى ان تأتيهم ملائكة الموت فاذا جاءتهم قالوا لهم اين ما كنتم تدعون
من دون الله اي اين الالهة التي كنتم تعبدونها في الدنيا وما وقعت موصولة باين في خط
المصحف وحقها الفصل لانها موصولة قالوا استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية
سؤال الرسل كأنه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا ضلوا عنا اي غابوا عنا لا
ندري مكانهم وشهدوا على انفسهم عطف على قالوا اي اعترفوا على انفسهم انهم كانوا اي في
الدنيا كافرين عابدين لما لا يستحق العبادة اصلا حيث شاهدوا حاله وضلاله ولعل المراد
بوقت مجيء الرسل حال التوفي الزمان الممتد من ابتداء المجيء والتوفي الى انتهاء يوم الجزاء
بناء على تحقق المجيء والتوفي في كل ذلك الزمان بقاء وان كان حدوثهما في اوله فقط
او قصد بيان غاية سرعة وقوع البعث والجزاء كأنهما حاصلان عند ابتداء التوفي كما ينبئ عنه
قوله عليه السلام من مات فقد قامت قيامته فلا افتقار السؤال والجواب وما ترتب
عليهما من الامر بدخول النار وما جرى بين اهلها من التلاعن والتقاول انما يكون بعد
البعث لا محالة قال اي الله عز وجل يوم القيامة بالذات او بواسطة الملك ادخلوا في امم قد خلت
من قبلكم اي كائنين في جملة امم مصاحبين لهم من الجن والانس يعني كفار الامم الماضية من
النوعين في النار متعلق بقوله ادخلوا كلما دخلت امة من الامم السابقة واللاحقة فيها

لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اي تداركوا وتلاحقوا في النار
قالت اخراهم دخولا ومنزلة وهم الاتباع لاولاهم اي لاجلهم اذ الخطاب مع الله تعالى لا معهم
ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فآتهم عذابا ضعفا اي مضاعفا من النار
لانهم ضلوا واضلوا قال لكل ضعف اما القادة فلما ذكر من الضلال والاضلال واما الاتباع
فلكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون اي ما لكم او ما لكل فريق من العذاب وقرئ بالياء وقالت
اولاهم اي مخاطبين لاخراهم حين سمعوا جواب الله تعالى لهم فما كان لكم علينا من فضل اي
فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون في الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا
العذاب المعهود المضاعف بما كنتم تكسبون من قول القادة ان الذين كذبوا بآياتنا مع
وضوحها واستكبروا عنها اي عن الايمان بها والعمل بمقتضاها لا تفتح لهم ابواب السماء
اي لا تقبل ادعيتهم ولا اعمالهم او لا تعرج اليها ارواحهم كما هو شأن ادعية المؤمنين واعمالهم
وارواحهم والتاء في تفتح لتأنيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرئ بالتخفيف وبالتخفيف
والياء وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب على ان الفعل للآيات وبالياء على ان الله تعالى
ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اي حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم فيما هو مثل في ضيق
المسلك وهو ثقبة الابرة وذكر الجمل مما ليس من شأنه الولوج في ثقبة الابرة مبالغة في الاستبعاد
وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهو الحبل الغليظ
من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وقرئ في سم المخيط وهو الخياط اي ما يخاط
به كالحزام والمحزم وكذلك اي ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين اي جنس المجرمين
وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا لهم من جهنم مهاد اي فراش من تحتهم والتنوين للتفخيم
ومن تجريدية ومن فوقهم غواش اي اغطية والتنوين بدل من الاعلال عند سيبويه وللصرف
عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف كما في قوله تعالى وله الجوار المنشآت وكذلك نجزي
ذلك الجزاء الشديد نجزي الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا
بانهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بكل واحد من ذينك الوصفين القبيحين وذكر الجرم
مع الحرمان عن دخول الجنة والظلم مع التعذيب بالنار للتنبيه على انه اعظم الاجرام والجرائم
والذين آمنوا اي بآياتنا او بكل ما يجب ان يؤمن به فيدخل فيه الآيات دخولا اوليا
وقوله تعالى وعملوا الصالحات اي الاعمال الصالحة التي شرعت بالآيات وهذا بمقابلة
الاستكبار عنها لا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض وسط بين المبتدأ الذي هو الموصول والخبر
الذي هو جملة اولئك اصحاب الجنة للترغيب في اكتساب ما يؤدي الى النعيم المقيم ببيان سهولة
مناله وتيسر تحصيله وقرئ لا تكلف نفس واسم الاشارة مبتدأ واصحاب الجنة خبره والجملة
خبر للمبتدأ الاول او اسم الاشارة بدل من المبتدأ الاول الذي هو الموصول والخبر اصحاب الجنة
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل والشرف هم فيها خالدون حال
من اصحاب الجنة وقد جوز كونها حالا من الجنة لاشتمالها على ضميرها والعامل معنى الاضافة
او اللام المقدرة او خبر لاولئك حال اي مصحوبة وفيها متعلق بخالدين ونزعنا ما في صدورهم
من غل اي نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد

وصيغة الماضي للايذان بتحققه وتقرره وعن [illegible] رضي الله عنه اني لارجوا ان اكون
انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم والجملة حال
من الضمير في صدورهم والعامل فيها معنى الاضافة واما العامل في المضاف او حال من فاعل نزعنا
وقيل هي مستانفة للاخبار عن صفة احوالهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا اي لما
جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي اي لهذا المطلب الاعلى او لمطلب من المطالب التي هذا من جملتها
لولا ان هدانا الله وقرئ بغير واو واللام لتاكيد النفي وجواب لولا محذوف ثقة بدلالة ما قبله
عليه ومفعول نهتدي وهدانا الثاني محذوف لظهور المراد او لارادة التعميم كما اشير اليه
والجملة مستانفة او حالية وقرئ ما كنا لنهتدي الخ بغير واو على انها مبينة ومفسرة للاولى لقد جاءت
رسل ربنا بالحق جواب قسم مقدر قالوه تبجحا واغتباطا بما نالوه وابتهاجا باعتدادهم بما جاءتهم الرسل عليهم السلام
والباء في قوله تعالى بالحق اما للتعدية فهي متعلقة بجاءت او للملابسة فهي متعلقة بمقدر وقع
حالا من الرسل اي والله لقد جاءوا بالحق او ملتبسين بالحق ونودوا اي ناداهم
الملائكة ان تلكم الجنة ان مفسرة لما في النداء من معنى القول او مخففة من ان والضمير الشان
محذوف ومعنى البعد في اسم الاشارة اما لانهم نودوا عند رؤيتهم اياها من مكان بعيد واما
لرفع منزلتها وبعد رتبتها واما للاشعار بانها تلك الجنة التي وعدوها في الدنيا اورثتموها
بما كنتم تعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة اي اعطيتموها بسبب اعمالكم او بمقابلة
اعمالكم والجملة حال من الجنة والعامل معنى الاشارة على ان تلكم الجنة مبتدأ وخبر والجنة
صفة والخبر اورثتموها ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار
وتحسيرا لهم لا لمجرد الاخبار بحالهم والاستخبار عن حال مخاطبيهم ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا حيث
نلنا هذا المنال الجليل فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا حذف المفعول من الفعل الثاني
اسقاطا لهم عن رتبة التشريف بالخطاب عند الوعد وقيل لان ما ساءهم من الموعود لم يكن
مخصوصا بهم وعدة كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة فانهم قد وجدوا جميع ذلك حقا
وان لم يكن وعده مخصوصا بهم قالوا نعم اي وجدناه حقا وقرئ بكسر العين وهي
لغة فيه فاذن مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم اي بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين بان
المخففة او المفسرة وقرئ بان المشددة ونصب لعنة وقرئ ان بكسر الهمزة على ارادة القول او اجراء
اذن مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة مقررة للظالمين او رفع على الذم او نصب عليه ويبغونها
عوجا اي يبغون لها عوجا بان يصفوها بالزيغ والميل عن الحق وهو ابعد شيء منهما والعوج
بالكسر في المعاني والاعيان ما لم يكن منتصبا وبالفتح ما كان في المنتصب كالرمح والحائط وهم
بالاخرة كافرون غير معترفين وبينهما حجاب اي بين الفريقين كقوله تعالى فضرب بينهم بسور او بين
الجنة والنار ليمنع وصول اثر احداهما الى الاخرى وعلى الاعراف اي على اعراف الحجاب واعاليه
وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء
فانه يكون اظهر من غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة
والنار حتى يقضي الله تعالى فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء
والاخيار والعلماء من المؤمنين او ملائكة يرون في صور الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة

واهل

واهل النار بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله تعالى بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله
اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم بالقلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او بتعليم
الملائكة ونادوا اي رجال الاعراف اصحاب الجنة حين رأوهم ان سلام عليكم بطريق
الدعاء والتحية او بطريق الاخبار بنجاتهم من المكاره لم يدخلوها حال من فاعل نادوا
او من مفعوله وقوله تعالى وهم يطمعون حال من فاعل يدخلوها اي نادوهم وهم لم يدخلوها
حال كونهم طامعين في دخولها مترقبين له اي لم يدخلوها وهم في وقت عدم الدخول
طامعون واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار اي الى جهتهم وفي عدم التعرض لتعلق
انظارهم باصحاب الجنة والتعبير عن تعلق ابصارهم باصحاب النار بالصرف اشعار بان التعلق
الاول بطريق الرغبة والميل والثاني بخلافه قالوا متعوذين بالله تعالى من سوء حالهم
ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي في النار ووصفهم بالظلم دون ما هم عليه حينئذ من العذاب
وسوء الحال الذي هو الموجب للدعاء اشعار بان المحذور عندهم ليس نفس العذاب فقط
بل مع ما يوجبه ويؤدي اليه من الظلم ونادى اصحاب الاعراف كرر ذكرهم مع كفاية الاضمار
لزيادة التقرير رجالا من رؤساء الكفرة حين رأوهم فيما بين اصحاب النار يعرفونهم بسيماهم
الدالة على سوء حالهم يومئذ وعلى رياستهم في الدنيا قالوا بدل من نادى ما اغنى عنكم ما استفهامية
للتوبيخ والتقريع او نافية جمعكم اي اتباعكم واشياعكم او جمعكم للمال وما كنتم تستكبرون
ما مصدرية اي ما اغنى عنكم جمعكم واستكباركم المستمر عن قبول الحق او على الخلق وهو الانسب
بما بعده وقرئ تستكثرون من الكثرة اي من الاموال والجنود اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة
من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء المؤمنين الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا
ويحلفون صريحا انهم لا يدخلون الجنة او يفعلون ما ينبئ عن ذلك كما في قوله تعالى اولم تكونوا اقسمتم
من قبل ما لكم من زوال ادخلوا الجنة تلوين للخطاب وتوجيه له الى المؤمنين المذكورين
اي ادخلوا الجنة على رغم انوفهم لا خوف عليكم بعد هذا ولا انتم تحزنون او قيل
لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله تعالى بعد ان حبسوا وشاهدوا احوال الفريقين
وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا والاظهر ان لا يكون المراد باصحاب الاعراف المقصرين في العمل لان
هذه المقالات وما تتفرع عليه من المواقف لا يليق لمن لم يتعين حاله بعد وقيل لما عيروا اصحاب
النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله تعالى او الملائكة ردا عليهم اهؤلاء
الخ وقرئ ادخلوا او دخلوا على الاستئناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا في حقهم لا خوف
عليكم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة بعد ما استقر بكل من الفريقين القرار
واطمأنت به الدار ان افيضوا علينا من الماء اي صبوه وفيه دلالة على ان الجنة فوق النار
او مما رزقكم الله من سائر الاشربة ليلائم الافاضة او من الاطعمة على ان الافاضة عبارة عن
الاعطاء بكثرة قالوا استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا ان الله
حرمهما على الكافرين اي منعهما منهم منعا كليا فلا سبيل الى ذلك قطعا الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا
كتحريم البحيرة والسائبة ونحوهما والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم الى ما لا يحسن ان
يصرف اليه واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب وغرتهم الحياة الدنيا بزخارفها

الحاجة فاليوم ننساهم نفعل بهم ما يفعل الناسي بالمنسي من عدم الاعتداد بهم وتركهم
النار كما كانوا في العاجلة اليوم نفضحهم قوله تعالى كما نسوا لقاء يومهم هذا في محل النصب على
انه نعت لمصدر محذوف اي ننساهم نسيانا مثل نسيانهم لقاء يومهم هذا حيث لم يخطروه
ببالهم ولم يستعدوا له قوله تعالى وما كانوا بآياتنا يجحدون عطف على ما نسوا اي وكما كانوا
منكرين بانها من عند الله تعالى انكارا مستمرا ولقد جئناهم بكتاب فصلناه اي بينا معانيه من العقائد
والاحكام والمواعظ والضمير للكفرة قاطبة والمراد بالكتاب الجنس او للمعاصرين منهم والكتاب
هو القرآن على علم حال من فاعل فصلناه اي عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما او من
مفعوله اي مشتملا على علم كثير وقرئ فضلناه اي على سائر الكتب عالمين بفضله هدى ورحمة
حال من المفعول لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون بآثاره المقتبسون من انواره هل ينظرون
الا تأويله اي ما ينتظرون لتحولا الكفر بعدم ايمانهم به الا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه
بظهور ما اخبر به من الوعد والوعيد يوم يأتي تأويله وهو يوم القيمة يقول الذين نسوه من قبل
اي تركوه ترك المنسي من قبل اتيان تأويله قد جاءت رسل ربنا بالحق اي قد تبين انهم قد جاؤا
بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم ويدفعوا عنا العذاب او نرد اي هل نرد الى الدنيا
وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول سؤل احد الامرين اما الشفاعة
لدفع العذاب او الرد الى الدنيا وعلى الثاني ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد
هو الرد فنعمل بالنصب على انه جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع اي فنحن نعمل غير الذي كنا
نعمل اي في الدنيا قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم التي هي رأس مالهم الى الكفر والمعاصي
وضل عنهم ما كانوا يفترون اي ظهر بطلان ما كانوا يفترونه من ان الاصنام شركاء لله
وشفعاؤهم يوم القيمة ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام شروع في بيان مبدأ
الفطرة اثر بيان معاد الكفرة اي ان خالقكم ومالككم الذي خلق الاجرام العلوية والسفلية
في ستة اوقات كقوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره او في مقدار ستة ايام فان المتعارف ان
اليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم تكن هي حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على
ابداعها دفعة دليل على الاختيار واعتبار للنظار وحث على التأني في الامور ثم استوى على العرش
اي استوى امره واستولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف والمعنى
ان له تعالى استواء على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط
بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل
الملك يغشي الليل النهار اي يغطيه به ولم يذكر العكس للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك
قرئ بنصب الليل ورفع النهار وقرئ بالتشديد للدلالة على التكرار يطلبه حثيثا اي يعقبه
سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شيء والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف
او حال من الفاعل بمعنى حاثا او من المفعول بمعنى محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات
بأمره اي خلقهن حال كونهن مسخرات بقضائه وتصريفه وقرئ كلها بالرفع على الابتداء والخبر ألا
له الخلق والامر فانه الموجد للكل والمتصرف فيه على الاطلاق تبارك الله رب العالمين اي
تعالى بالوحدانية في الالوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الاية الكريمة والله

اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد هو الله تعالى لانه
الذي له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك
ثم زينها بالشمس والقمر والنجوم كما اشار اليه بقوله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين وعمد
الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية
متباينة الآثار والافعال واشار اليه بقوله تعالى وخلق الارض في يومين اي ما في جهة السفل
في يومين ثم انشأ انواع المواليد الثلاثة بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله
تعالى خلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في
اربعة ايام اي مع اليومين الاولين لما فصل في سورة السجدة ثم لما تم له عالم الملك عمد الى
تدبيره كالملك الجالس على سريره فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير
الكواكب وتكوير الليالي والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال تعالى ألا له الخلق
والامر تبارك الله رب العالمين ثم امر بان يدعوه مخلصين متذللين فقال ادعوا ربكم
الذي عرفتم من شؤونه الجليلة تضرعا وخفية اي ذوي تضرع وخفية فان الاخفاء دليل
الاخلاص انه لا يحب المعتدين اي لا يحب دعاء المجاوزين ما امروا به في كل شيء
فيدخل فيه الاعتداء في الدعاء دخولا اوليا وقد نبه به على ان الداعي يجب ان لا يطلب ما لا
يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والاسهاب فيه
وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول
اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها
من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي بعد
اصلاحها ببعث الانبياء وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا اي ذوي خوف نظرا
الى قصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع نظرا الى سعة رحمته ووفور فضله واحسانه
ان رحمت الله قريب من المحسنين في كل شيء ومن الاحسان في الدعاء ان يكون مقرونا
بالخوف والطمع وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة محذوف اي امر قريب او على
تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول او الذي هو مصدر كالنقيض او الصهيل او للفرق
بين القريب من النسب والقريب من غيره او لاكتسابه التذكير من المضاف اليه كما ان المضاف
يكتسب التأنيث من المضاف اليه وهو الذي يرسل الرياح عطف على الجملة السابقة وقرئ الريح
بشرا تخفيف بشر جمع بشير اي مبشرات وقرئ بفتح الباء على انه مصدر بشره بمعنى باشرات
او للبشارة وقرئ نشرا بالنون المضمومة جمع نشور اي ناشرات او بمفعول مطلق فان الارسال
والنشر متقاربان بين يدي رحمته قدام رحمته التي هي المطر فان الصبا تثير السحاب
والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت اي حملت واشتقاقه
من القلة فان المقل للشيء يستقله سحابا ثقالا بالماء جمعه لانه بمعنى السحائب سقناه
اي السحاب وافراد الضمير لافراد اللفظ لبلد ميت اي لاجله او لمنفعته او لاحيائه او لسقيه
وقرئ ميت فانزلنا به الماء اي بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح والتذكير في به
المذكور وكذلك قوله تعالى فاخرجنا به ويحتمل ان يعود الضمير للماء وهو الظاهر

وإذا كان للبلد فالباء للالصاق لما فى الاول والظرفية فى الثانى واذا كان لغيره فهى
للسببية من كل الثمرات اى من كل انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة الى اخراج الثمرات
او الى احياء البلد الميت اى كما نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بانواع
النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد ابدانها بعد
جمعها وتطريتها بالقوى والحواس لعلكم تذكرون بطرح احدى التائين اى تذكرونا
فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا من غير شبهة والبلد الطيب اى الارض
الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه
وغزارة نفعه لانه اوقعه فى مقابلة قوله والذى خبث من البلاد كالسبخة والحرة لا يخرج
الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على الحال والتقدير والبلد الذى خبث لا يخرج نباته
الا نكدا وقرئ نكدا على المصدر اى ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف كذلك اى مثل ذلك
التصريف البديع نصرف الايات اى نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله تعالى فيتفكرون
فيها ويعتبرون بها وهذا كما ترى مثل لارسال الرسل عليهم السلام بالشرائع التى هى ماء حياة
القلوب الى المكلفين المنقسمين الى المقتبسين من انوارها والمحرومين من مغانم
آثارها وقد عقب ذلك بما يحققه ويقرره من قصص الامم الخالية بطريق الاستئناف فقيل
لقد ارسلنا نوحا الى قومه وهو جواب قسم محذوف اى والله لقد ارسلنا الخ واطراد
استعمال هذه اللام مع قد لكونه مظنة للتوقع الذى هو معنى قد فان الجمل القسمية
انما تساق لتاكيد الجملة المقسم عليها ونوح ابن لمك ابن متوشلخ ابن اخنوخ وهو ادريس
النبى عليهما السلام قال ابن عباس رض بعث عليه السلام على راس اربعين سنه من عمره ولبث
يدعو قومه تسع مايه وخمسين سنه وعاش بعد الطوفان مايتين وخمسين سنه فكان عمره الفا
ومايتين واربعين سنه وقال مقاتل بعث وهو ابن مايه سنه وقيل وهو ابن خمسين سنه وقيل
وهو ابن مايتين وخمسين ومكث يدعو قومه تسع مايه وخمسين سنه وعاش بعد الطوفان
مايتين وخمسين سنه فكان عمره الفا واربع مايه وخمسين سنه فقال يا قوم اعبدوا الله اى
اعبدوه وحده وترك التقييد به للايذان بانها العباده حقيقيه واما العباده بالاشراك فليست من
العباده فى شى وقوله تعالى ما لكم من اله غيره اى مستحق للعباده استيناف مسوق للتعليل
العباده المذكوره او الامر بها وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذى هو الرفع على
الابتداء او الفاعليه وقرى بالجر باعتبار لفظه وقرى بالنصب على الاستثناء وحكم غير
حكم الاسم الواقع بعد الا اى ما لكم من اله الا اياه كقولك ما فى الدار احد الا زيدا وغير
زيد ومن اله ان جعل مبتدا فلكم خبره او خبره محذوف ولكم للتخصيص والتبيين اى ما لكم
فى الوجود او فى العالم اله غير الله انى اخاف عليكم اى ان لم تعبدوه حسبما امرت به
عذاب يوم عظيم هو يوم القيمه او يوم الطوفان والجمله تعليل للعباده ببيان الصارف
عن تركها اثر تعليلها ببيان الداعى اليها ووصف اليوم بالعظم لبيان عظم ما
يقع فيه وتكميل الانذار قال الملا من قومه استيناف مبنى على سوال نشا من حكاية
قوله عليه السلام كانه قيل فماذا قالوا له عليه السلام فى مقابله نصحه فقيل قال الروسا من قومه

والاشراف

والاشراف الذين يملؤن صدور المحافل باجرامهم والقلوب بجلالهم وهيبتهم والابصار بجمالهم
وابهتهم انا لنراك فى ضلال اى ذهاب عن طريق الحق والصواب والرويه قلبيه
ومفعولاها الضمير والظرف مبين بين كونه ضلالا قال استيناف كما سبق يا قوم ناداهم
باضافتهم اليه استماله لقلوبهم نحو الحق ليس بى ضلاله اى شى ما من الضلال قصد عليه السلام تحقيق
الحق فى نفى الضلال عن نفسه ردا على الكفره حسبما بالغوا فى اثباته له عليه السلام حيث جعلوه
مستقرا فى الضلال الواضح كونه ضلالا وقوله تعالى ولكنى رسول من رب العالمين
استدراك مما قبله باعتبار ما يستلزمه من كونه فى اقصى مراتب الهدايه فان رساله رب العالمين
مستلزمه له لا محاله كانه قيل ليس بى شى من الضلال ولكنى فى الغايه القاصيه من الهدايه
ومن لابتداء الغايه مجازا متعلقه بمحذوف هو صفه لرسول موكده لما يفيده التنوين من
الفخامه الذاتيه بالفخامه الاضافيه اى رسول واى رسول كاين من رب العالمين ابلغكم
رسالات ربى استيناف مسوق لتقرير رسالته وتفصيل احكامها واحوالها وقيل صفه
اخرى لرسول على طريقه انا الذى سمتنى امى حيدره وقرى ابلغكم من الابلاغ وجمع الرسالات
باختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها او لان المراد بها ما اوحى اليه والى النبيين من قبله عليهم السلام
وتخصيص ربوبيته تعالى به عليه السلام بعد بيان عمومها للعالمين للاشعار بعلة الحكم الذى هو
تبليغ رسالته تعالى اليهم فان ربوبيته تعالى له عليه السلام من موجبات امتثاله بامره تعالى بتبليغ رسالته
وانصح لكم عطف على ابلغكم مبين لكيفية اداء الرساله وزياده اللام مع تعدى النصح
بنفسه للدلاله على امحاض النصيحه لهم وانها لمنفعتهم ومصلحتهم خاصه وصيغه المضارع
للدلاله على تجدد نصيحته لهم كما يعرب عنه قوله تعالى رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا وقوله
تعالى واعلم من الله ما لا تعلمون عطف على ما قبله وتقرير لرسالته عليه السلام اى اعلم من جهة الله
تعالى بالوحى ما لا تعلمونه من الامور الاتيه او اعلم من شونه عز وجل وقدرته القاهره وبطشه
الشديد على اعدايه وان باسه لا يرد عن القوم المجرمين ما لا تعلمونه قيل كانوا لم يسمعوا
بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا غافلين امنين لا يعلمون ما علمه نوح عليه السلام بالوحى
اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم جواب ورد لما اكتفى عن ذكره بقولهم انا لنراك فى ضلال
مبين من قولهم ما نرى هذا الا بشرا مثلنا وقولهم لو شاء الله لانزل ملايكه والهمزه للانكار
والواو للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام كانه قيل استبعدتم وعجبتم من ان جاءكم
ذكر اى وحى او موعظه من مالك اموركم ومربيكم على رجل منكم اى على لسان رجل من
جنسكم كقوله تعالى ما وعدتنا على رسلك وقلتم لاجل ذلك ما قلتم من انه تعالى لو
شاء لانزل ملايكه لينذركم علة للمجى اى ليحذركم عاقبة الكفر والمعاصى ولتتقوا
عطف على العله الاولى مترتبه عليها ولعلكم ترحمون عطف على العله الثانيه مترتبه
عليها اى ولتتعلق بكم الرحمه بسبب تقواكم وفايده حرف الترجى التنبيه على عزه
المطلب وان التقوى غير موجبه للرحمه بل هى منوطه بفضل الله تعالى وان المتقى ينبغى
ان لا يعتمد على تقواه ولا يامن من عذاب الله عز وجل فكذبوه فتمادوا على تكذيبه فى
دعوى النبوه وما نزل عليه من الوحى الذى بلغه اليهم وانذرهم بما فى تضاعيفه واستمروا

على ذلك هذه المدة المتطاولة بعد ما كرر عليه السلام عليهم الدعوة مرارا فلم يزدهم دعاؤه الا فرارا
حسبما نطق به قوله تعالى رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الآية اذ هو الذي يقتضيه الانجاء والاغراق
لا مجرد التكذيب فانجيناه والذين معه من المؤمنين قيل كانوا اربعين رجلا واربعين
امراة وقيل عشرة ابناؤه الثلاثة وستة ممن امن به وقوله تعالى في الفلك متعلق بالاستقرار
الذي تعلق به الظرف اي استقروا معه في الفلك او بمعه او بفعل الانجاء اي انجيناهم في السفينة ويجوز
ان يتعلق بمحذوف وقع حالا من الموصول اي من صحبه في الفلك واغرقنا الذين كذبوا باياتنا اي استمروا
على تكذيبها وليس المراد بهم الملأ المتصدين للجواب فقط بل كل من اصر على التكذيب منهم ومن
اعقابهم وتقديم ذكر الانجاء على الاغراق للمسارعة الى الاخبار به والايذان بسبق الرحمة
التي هي مقتضى الذات وتقدمها على الغضب الذي يظهر اثره بمقتضى جرائمهم انهم كانوا قوما
عمين اي عمي القلوب غير مستبصرين قال ابن عباس رضي الله عنهما عميت قلوبهم عن معرفة التوحيد والنبوة
والمعاد وقرئ عامين والاول ادل على الثبات والتأكيد والى عاد متعلق بمضمر معطوف
على قوله تعالى لقد ارسلنا في قصة نوح عليه السلام وهو الناصب لقوله تعالى اخاهم اي وارسلنا
الى عاد اخاهم اي واحدا منهم في النسب لا في الدين كقولهم يا اخا العرب وقيل العامل
فيهما الفعل المذكور فيما سبق واخاهم معطوف على نوحا والاول هو الاولى واياما كان فلعل تقديم
المجرور ههنا على المفعول الصريح للحذار عن الاضمار قبل الذكر ويشترك في ذلك ما سيأتي
من قوله تعالى ولوطا اذ قال الخ فان قومه لما لم يعهدوا باسم معروف يقتضي الحال ذكره عليه السلام
مضافا اليهم كما في قصة عاد وثمود ومدين خولف في النظم الكريم بين قصته عليه السلام وبين
القصص الثلاث وقوله تعالى هودا عطف بيان لاخاهم وهو هود بن عبد الله بن
رباح بن الخلود بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وقيل هو ابن شالخ بن ارفخشد
بن سام بن نوح ابن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لكلامه واعرف بحاله في صدقه
وامانته واقرب الى اتباعه قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية ارساله عليه السلام
اليهم كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال يا قوم اعبدوا الله وحده كما يعرب عنه قوله تعالى
ما لكم من اله غيره فانه استئناف جار مجرى البيان للعبادة المأمور بها والتعليل لها او
للامر بها كانه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا اذ ليس لكم اله سواه وغيره بالرفع صفة
لاله باعتبار محله وقرئ بالجر حملا له على لفظه افلا تتقون انكار واستبعاد لعدم اتقائهم
عذاب الله تعالى بعد ما علموا ما حل بقوم نوح والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام
اي الا تتفكرون او اتغفلون فلا تتقون فالتوبيخ على المعطوفين معا او اتعلمون ذلك فلا
تتقون فالتوبيخ على المعطوف فقط وفي سورة هود افلا تعقلون ولعله عليه السلام خاطبهم
بكل منهما واكتفي بحكاية كل منهما في موطن عن حكايته في موطن اخر كما لم يذكر ههنا
ما ذكر هناك من قوله تعالى ان انتم الا مفترون وقس على ذلك حال بقية ما ذكر وما لم يذكر
من اجزاء القصة بل حال نظائره في سائر القصص لا سيما في المحاورات الجارية في الاوقات
المتعددة قال الملأ الذين كفروا من قومه استئناف كما مر وانما وصف
الملأ بالكفر اذ لم يكن كلهم على الكفر كملأ قوم نوح بل كان منهم من امن به عليه السلام لكن كان

يكتم ايمانه كمرثد بن سعد وقيل وصفوا به لمجرد الذم انا لنراك في سفاهة اي متمكنا في خفة عقل
راسخا فيها حيث فارقت دين ابائك الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون وانا لنظنك من الكاذبين اي
فيما ادعيت من الرسالة قالوه لما انهم في التقليد ودحاهم من الخلق الفسيح قال مستعطفا لهم
ومستميلا لقلوبهم بعد ما سمع منهم من الكلمة الشنعاء الموجبة لتغليظ القول والمشافهة
بالسوء يا قوم ليس بي سفاهة اي شيء منها ولا شائبة من شوائبها ولكني رسول من
رب العالمين استدراك مما قبله باعتبار ما يستلزمه ويقتضيه من كونه في الغاية القصوى
من الرشد والامانة والصدق والامانة فان الرسالة من جهة رب العالمين موجبة لذلك
حتما كانه قيل ليس بي شيء مما تنسبونني اليه ولكني في غاية ما يكون من الرشد والصدق
ولم يصرح بنفي الكذب اكتفاء بما في حيز الاستدراك ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة
بمحذوف وقع صفة لرسول مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية
وقوله تعالى ابلغكم رسالات ربي استئناف مسوق لتقرير رسالته وتفصيل احكامها
وقيل صفة اخرى لرسول والكلام في اضافة الرب الى نفسه عليه السلام بعد اضافته الى العالمين
وكذا في جمع الرسالات كالذي مر في قصة نوح عليه السلام وقرئ ابلغكم من الابلاغ وانا لكم ناصح
موصوف بالنصح والامانة مشهور بين الناس بذلك وانما جيء بالجملة الاسمية دلالة على الثبات
والاستمرار وايذانا بان من هذا حاله لا يحوم حول شائبة السفاهة والكذب او عجبتم ان
جاءكم ذكر من ربكم الكلام فيه كالذي مر في قصة نوح عليه السلام على رجل منكم اي من
جنسكم لينذركم ويحذركم عاقبة ما انتم عليه من الكفر والمعاصي حتى تنسبونني الى السفاهة والكذب
وفي اجابة الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه من نسبهم الى امثال تلك الاباطيل
بما حكي عنهم من المقالات الحقة المعربة عن كمال الحلم والرزانة وكمال الشفقة والرأفة
من الدلالة على حيازتهم القدح المعلى من مكارم الاخلاق ما لا يخفى مكانه واذكروا اذ جعلكم خلفاء
شروع في بيان ترتيب احكام النصح والامانة والانذار وتفصيلها واذ منصوب باذكروا
على المفعولية دون الظرفية وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث
مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب
لذكر ما فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت هي حاضرة بتفاصيلها
كانها مشاهدة عيانا ولعله معطوف على مقدر كانه قيل لا تعجبوا من ذلك او تدبروا في امركم
واذكروا وقت جعله تعالى اياكم خلفاء من بعد قوم نوح اي في مساكنهم او في الارض بان
جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى شحر عمان وزادكم
في الخلق اي في الابداع او في التصوير او في الناس بسطة قامة وقوة فانه لم يكن في زمانهم
مثلهم في عظم الاجرام قال الكلبي والسدي كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع وقامة
القصير ستين ذراعا فاذكروا آلاء الله التي انعم بها عليكم من فنون النعماء التي هذه
من جملتها وهذا تكرير للتذكير لزيادة التقرير وتعميم اثر تخصيص لعلكم تفلحون كي
يؤديكم ذلك الى الشكر المؤدي الى النجاة من الكروب والفوز بالمطلوب قالوا مجيبين عن
تلك النصائح العظيمة اجئتنا لنعبد الله وحده اي لنخصه بالعبادة ونذر ما كان يعبد اباؤنا

انكروا عليه عليه السلام مجيئه لتخصيصه تعالى بالعبادة والاعراض عن عبادة الاوثان انهماكا في التقليد
وحبا لما الفوه والفوا اسلافهم عليه ومعنى المجيء اما مجيئه عليه السلام من متعبده ومن لم يرد اما من
السماء على التهكم واما القصد والتصدي مجازا كما يقال في مقابلة ذهب يشتمني من غير ارادة
معنى الذهاب فأتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله تعالى افلا تتقون ان كنت من
الصادقين اي في الاخبار بنزول العذاب وجواب ان محذوف لدلالة المذكور عليه اي فأت به
قال قد وقع عليكم اي وجب وحق او نزل بامركم هذا بناء على تنزيل المتوقع منزلة الواقع
كما في قوله تعالى اتى امر الله من ربكم اي من جهته تعالى وتقديم الظرف الاول على الثاني
مع ان مبدا الشيء متقدم على منتهاه للمسارعة الى بيان اصابة المكروه بهم وكذا تقديمهما على
الفاعل الذي هو قوله تعالى رجس مع ما فيه من التشويق الى المؤخر ولان فيه نوع
طول بما عطف عليه قوله تعالى وغضب فربما يخل تقديمهما بتجاوب النظم الكريم والرجس
العذاب من الارتجاس الذي هو الاضطراب والغضب ارادة الانتقام وتنوينهما للتفخيم والتهويل
اتجادلونني في اسماء عارية عن المسمى سميتموها اي سميتم بها انتم واباؤكم انكار واستقباح
لانكارهم مجيئه عليه السلام داعيا لهم الى عبادة الله تعالى وحده وترك عبادة الاصنام اي اتجادلونني
في اسماء سميتموها آلهة ليست هي الا محض الاسماء من غير ان يكون فيها من مصداق الالهية
شيء ما لان المستحق للمعبودية بالذات ليس الا من اوجد الكل وانها لو استحقت لكان
ذلك بجعله تعالى اما بانزال الآية او نصب حجة وكلاهما مستحيل وذلك قوله تعالى ما انزل الله
بها من سلطان واذ ليس ذلك في حيز الامكان تحقق بطلان ما هم عليه فانتظروا مترتب على قوله
تعالى قد وقع عليكم اي فانتظروا ما تطلبونه بقولكم فأتنا بما تعدنا اني معكم من المنتظرين
لما يحل بكم والفاء في قوله تعالى فانجيناه فصيحة كما في قوله تعالى فانفجرت اي فوقع ما وقع فانجيناه
والذين معه اي في الدين برحمة اي عظيمة لا يقادر قدرها كما قوله تعالى منا اي من جهتنا
متعلق بمحذوف هو نعت لرحمة مؤكد لفخامتها الذاتية المفهومة من تنكيرها بالفخامة الاضافية
وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا اي استأصلناهم بالكلية ودمرناهم عن آخرهم وما
كانوا مؤمنين عطف على كذبوا داخل معه في حكم الصلة اي اصروا على الكفر والتكذيب ولم يرعووا
عن ذلك ابدا وتقديم حكاية الانجاء على حكاية الاهلاك والتدمير وفيه تنبيه على ان
مناط النجاة هو الايمان بالله تعالى وتصديق آياته كما ان مدار البوار هو الكفر والتكذيب
وقصتهم ان عادا قوم كانوا باليمن بالاحقاف وكانوا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان الى حضرموت
وكانت لهم اصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله تعالى اليهم هودا نبيا وكان
من اوسطهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله تعالى عنهم القطر
ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج منه عند بيته
الحرام مسلمهم ومشركهم واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم
معاوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن
سعد الذي كان يكتم اسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم
فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم قينتا

معاوية فلما رأى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له اهمه ذلك وقال قد هلك اخوالي واصهاري
وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيي ان يكلمهم خشية ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر
ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية الا يا قيل ويحك قم فهينم
لعل الله يسقينا غماما فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا لا يبينون الكلاما فلما غنتا
به قالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا
لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله
تعالى سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا فانه قد اتبع هودا
وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله تعالى سحابات
ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت
السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا
عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة فعبدوا
الله فيها الى ان ماتوا والى ثمود اخاهم صالحا عطف على ما سبق من قوله تعالى والى
عاد اخاهم هودا وقد مر سر تقديم المجرور على المنصوب وثمود قبيلة من العرب سموا باسم ابيهم
الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام وقيل انما سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل
وقرئ بالصرف بتأويل الحي وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى واخوة صالح
عليه السلام لهم من حيث النسب كهود عليه السلام فانه صالح ابن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن
حادر بن ثمود لما كان الاخبار بارساله عليه السلام اليهم مظنة لان يسأل ويقال فماذا قال لهم فقيل
جوابا عنه بطريق الاستئناف قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وقد مر الكلام
في نظائره قد جاءتكم بينة آية ومعجزة ظاهرة شاهدة بنبوتي وهي من الالفاظ الجارية
مجرى الابطح والابرق في الاستغناء عن ذكر موصوفاتها حالة الافراد والجمع كالصالحة افرادا وجمعا
وكذلك الحسنة والسيئة سواء كانتا صفتين للاعمال او المثوبة او الحالة من الرخاء والشدة
واذا ما اوليت العوامل وقوله تعالى من ربكم متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة لبينة كما مر
مرارا والمراد بها الناقة وليس هذا الكلام منه عليه السلام اول ما خاطبهم اثر دعوتهم الى
التوحيد بل انما قاله بعد ما نصحهم وذكرهم بنعم الله تعالى فلم يقبلوا كلامه وكذبوه الا يرى الى ما
في سورة هود من قوله تعالى هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها الى آخر الآيات روي انه
لما اهلكت عاد عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض وكثروا وعمروا اعمارا طوالا حتى ان
الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة
ورخاء من العيش فعتوا على الله تعالى وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم
صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله عز وجل فلم يتبعه الا قليل
منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسألوه آية فقال اية آية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا
في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك وندعو الهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان
استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسألوها الاجابة فلم تجبهم ثم
قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من

هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت فان فعلت صدقناك
واجبناك فاخذ صالح عليه السلام عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى
ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء
كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن
به جندع ورهط من قومه ومنع اعقابهم ناس من رؤسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها
ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فاذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعها
حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت
اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد
تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان
عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت به من مواشيهم وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها
واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقى جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان صالح
قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه فانفجت الصخرة
بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد ووجوهكم
محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا
ان يقتلوه فانجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا
بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء ورجفة من الارض فتقطعت قلوبهم
فهلكوا وقوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية استئناف مسوق لبيان البينة واضافة
الناقة الى الاسم الجليل لتعظيمها ولمجيئها من جهته تعالى بلا اسباب معهودة ووسائط
معتادة ولذلك كانت آية واي آية ولكم بيان لمن هي آية له انتصاب آية على الحالية
والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا من هذه او عطف بيان له
او مبتدأ ثانيا ولكم خبرا عاملا في آية فذروها تفريع على كونها آية من آيات الله تعالى فان
ذلك مما يوجب عدم التعرض لها تأكل في ارض الله جواب الامر اي الناقة ناقة الله والارض
ارض الله فاتركوها تأكل ما تأكل في ارض ربها فليس لكم ان تحولوا بينها وبينها وترى تاكل
بالرفع على انه في موقع الحال اي آكلة وعدم التعرض للشرب اما للاكتفاء عنه بذكر الاكل
او لتعميمه له ايضا كما في قوله علفتها تبنا وماء باردا وقد ذكر في قوله تعالى
لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة
الاصابة بالشر الشامل لانواع الاذية وتنكير السوء مبالغة في النهي اي لا تتعرضوا لها بشيء مما
يسوؤها اصلا ولا تطردوها ولا تريبوها اكراما لآية الله تعالى فيأخذكم عذاب اليم
جواب للنهي يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه
لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان
تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه يا علي
اتدري من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح اتدري من اشقى
الآخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد اي خلفاء في الارض

او خلفاءهم وبوأكم في الارض اي جعل لكم مباءة ومنزلا في ارض الحجر بين الحجاز والشام تتخذون من
سهولها قصورا استئناف مبين لكيفية التبوئة اي تبنون في سهولها قصورا رفيعة او تبنون
من سهولة الارض بما تعملون منها من الرهص واللبن والآجر وتنحتون الجبال بيوتا اي الصخور
وقرئ تنحتون بفتح الحاء وتنحاتون باشباع الفتحة كما في قوله ينباع من ذفرى اسيل حرة
والنحت نجر الشيء الصلب وانتصاب الجبال على المفعولية وانتصاب قوله تعالى بيوتا على انها
حال مقدرة كما تقول خط هذا الثوب قميصا وقيل انتصاب الجبال على اسقاط الجار اي
من الجبال وانتصاب بيوتا على المفعولية ويجوز ان يضمن النحت معنى الاتخاذ فانتصابهما
على المفعولية قيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء فاذكروا آلاء الله التي
انعم بها عليكم مما ذكر او جميع الآلاء التي من هذه جملتها ولا تعثوا في الارض مفسدين فان حق
الآلاء ان تشكر ولا يغفل عنها فكيف بالكفر والعثي في الارض بالافساد قال الملأ
الذين استكبروا من قومه اي عتوا وتكبروا استئناف كما سلف وقرئ بالواو عطفا على
ما قبله من قوله تعالى قال يا قوم الخ واللام في قوله تعالى للذين استضعفوا للتبليغ وقوله تعالى
لمن آمن منهم بدل من الموصول باعادة العامل بدل الكل ان كان ضمير منهم لقومه وبدل
البعض ان كان للذين استضعفوا على ان من المستضعفين من لم يؤمن والاول هو الوجه
اذ لا داعي الى توجيه الخطاب اولا الى الجميع المستضعفين ثم الى بعضهم مع ان المؤمنين منهم على
ان الاستضعاف مختص بالمؤمنين اي قالوا للمؤمنين الذين استضعفوهم واسترذلوهم
اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه وانما قالوه بطريق الاستهزاء بهم قالوا انا بما ارسل به
مؤمنون عدلوا عن الجواب الموافق لسؤالهم بان يقولوا نعم او نعلم انه مرسل منه تعالى مسارعة
الى تحقيق الحق واظهار ما لهم من الايمان الثابت المستمر الذي ينبئ عنه الجملة الاسمية وتنبيها
على ان امر ارساله من الظهور بحيث لا ينبغي ان يسأل عنه وانما الحقيق بالسؤال عنه هو
الايمان به قال الذين استكبروا اعيد الموصول مع صلته مع كفاية الضمير ايذانا بانهم
قالوا ما قالوه بطريق العتو والاستكبار انا بالذي آمنتم به كافرون وانما لم
يقولوا انا بما ارسل به كافرون اظهارا لمخالفتهم اياهم وردا لمقالتهم فعقروا الناقة اي نحروها
اسند العقر الى الكل مع ان المباشر بعضهم للملابسة او لان ذلك لما كان برضاهم فكأنه
فعله كلهم وفيه من تهويل الامر وتفظيعه بحيث اصابت غائلته الكل ما لا يخفى وعتوا
عن امر ربهم اي استكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح عليه السلام من الامر والنهي وقالوا مخاطبين
له عليه السلام بطريق التعجيز والافحام على زعمهم يا صالح ائتنا بما تعدنا اي من
العذاب والاطلاق للعلم به قطعا ان كنت من المرسلين فان كونك منهم يستدعي
صدق ما تقول من الوعد والوعيد فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة لكن لا اثر ما قالوا
بل بعد ما جرى عليهم ما جرى من مبادي العذاب في الايام الثلاثة حسبما مر تفصيله فاصبحوا
في دارهم اي صاروا في ارضهم وبلدهم او في مساكنهم جاثمين هامدين موتى لا حراك
بهم واصل الجثوم البروك يقال الناس جثوم اي قعود لا حراك بهم ولا ينبسون بنبسة قال
ابو عبيدة الجثوم للناس والطير كالبروك للابل والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول

العذاب بهم من حيث اضطراب وحركة كما يكون عند الموقعة المعتادة ولا يخفى ما بينه وما بين شدة الاخذ وسرعة
البطش اللهم الا ان يقع بعد نزول انحطاطات وحلول عقوبات وما يتبعه من لا اصبحوا في الظ
متعلق به ولا مساغ لكونه حالا وجاثمين حالا لاقتضائه الكون الى الاخبار بكونهم في دارهم
بالذات وكونهم جاثمين قيدا له انما لم يقصد بالذات قيل حيث ذكرت الرجفة وحدت
الدار وحيث ذكرت الصيحة جمعت لان الصيحة كانت من السماء فبلوغها اكثر وابلغ من الزلزلة فذكر
كل منهما بما هو اليق به فتولى عنهم الشامت بما جرى عليهم تولى مغتم متحسر على ما فاتهم من
الايمان متحسرا عليهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم بالترغيب والترهيب
وبذلت فيكم وسعي ولكن لم تقبلوا مني ذلك وصيغة المضارع في قوله تعالى ولكن لا تحبون
الناصحين حكاية حال ماضية اي شانكم الاستمرار على بغض الناصحين وعداوتهم خاطبهم عليه السلام
بذلك خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل قليب بدر حيث قال انا وجدنا ما وعدنا ربنا
حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وقيل انما تولى عنهم قبل نزول العذاب بهم عند مشاهدة
علاماته تولى ذاهب عنهم منكر لاصرارهم على ما هم عليه وروي ان عقرهم الناقة كان يوم
الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروي انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو
يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار وروي انه
رجع بمن معه فسكنوا ديارهم ولوطا منصوب بفعل مضمر معطوف على ما سبق في صدر القصص
للمرسل اليهم مع ان المنصوب حسبما وقع فيما سبق وما لحق وتغييرها مرة في قصة هود
عليه السلام وهو لوط بن هاران بن تارخ ابن اخي ابراهيم عليهما السلام كان من ارض بابل من العراق
مع عمه ابراهيم فهاجر الى الشام فنزل فلسطين وانزل لوطا الاردن وهي كورة بالشام فارسله
الله تعالى الى سدوم وهو بلد بحمص وقوله تعالى اذ قال لقومه ظرف للمضمر المذكور اي
ارسلنا لوطا الى قومه وقت قوله لهم الخ ولعل تقييده ارساله عليه السلام بذلك الوقت ان ارساله اليهم
لم يكن اول وصوله اليهم وقيل هو بدل من لوط بدل اشتمال على ان انتصابه باذكر اي اذكر وقت
قوله عليه السلام لقومه اتاتون الفاحشة بطريق الانكار التوبيخي التقريعي اي اتفعلون تلك الفعلة
المتناهية في القبح المتمادية في الشر والسوء ما سبقكم بها ما عملها قبلكم على ان الباء للتعدية
كما في قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة من قولك سبقته بالكرة اي ضربتها قبله ومن في قوله تعالى
من احد مزيدة لتاكيد النفي وافادة معنى الاستغراق وفي قوله تعالى من العالمين للتبعيض
والجملة مستانفة لتاكيد النكير وتشديد التوبيخ والتقريع فان مباشرة القبيح قبيح واختراعه
اقبح ولقد انكر الله تعالى عليهم اولا اتيان الفاحشة ثم وبخهم بانهم اول من عملها فان سلك
النظم الكريم وان كان على نفي كونهم مسبوقين من غيرهم من العالمين لكن
المراد انهم سابقون لكل من عداهم من العالمين كما في نحو قوله تعالى ومن
اظلم ممن افترى على الله كذبا او مستوفية جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل من جهتهم لم لا
تاتيها فقيل بيانا للعلة واظهارا للزاجر ما سبقكم بها احد لغاية قبحها وسوء سبيلها
فكيف تفعلونها قال عمرو بن دينار ما نزا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط قال محمد بن
اسحق كانت لهم ثمار وقرى لم يكن في الدنيا مثلها فقصدهم الناس فاذوهم فعرض ابليس

صورة شيخ ان فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم منهم فابوا فلما الح الناس عليهم قصدوهم فاصابوا
غلمانا صباحا فاخبثوا فاستحكم فيهم ذلك ثم قال الحسن كانوا لا ينكحون ذلك الا
بالغرباء وقال الكلبي اول من عمل بذلك العمل ابليس الخبيث حيث تمثل لهم في صورة
شاب جميل فدعاهم الى نفسه ثم عبثوا بذلك العمل انكم لتاتون الرجال
بيان لتلك الفاحشة وقرئ بهمزتين صريحتين وبتليين الثانية بغير مد وبمد ايضا على ان
تاكيد للانكار السابق وتشديد للتوبيخ وفي زيادة ان واللام مزيد تقبيح وتقريع كان
ذلك امر لا يتحقق صدوره عن احد فيؤكد تاكيدا قويا وفي ايراد لفظ الرجال دون الغلمان
والمردان ونحوهما مبالغة في التوبيخ وقوله تعالى شهوة مفعول له او مصدر في موقع
الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان يكون الداعي
له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الشهوة ويجوز ان يكون المراد الانكار
عليهم وتقريعهم على اشتهائهم تلك الفعلة الخبيثة المكروهة كما ينبئ عنه قوله تعالى من دون
النساء اي متجاوزين النساء اللاتي هن محال الاشتهاء كما ينبئ عنه قوله تعالى هن اطهر لكم
بل انتم قوم مسرفون اضراب عن الانكار المذكور الى الاخبار بحالهم التي ادت بهم الى ارتكاب
امثالها وهي اعتياد الاسراف في كل شيء او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او
محذوف اي لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب قومه اي
المستكبرين منهم المتولين للامر والنهي المتصدين للعقد والحل وقوله تعالى الا ان قالوا
استثناء مفرغ من اعم الاشياء اي ما كان جوابا من جهة قومه شيئا من الاشياء الا قولهم
اي لبعضهم الآخرين المباشرين للامور معرضين عن مخاطبته عليه السلام اخرجوهم اي لوطا
ومن معه من اهله المؤمنين من قريتكم اي ما كان جوابهم الا هذا القول المستحيل الذي يستحيل ان
يكون جوابا لكلام لوط عليه السلام وقرئ برفع جواب على انه اسم كان وان قالوا خبرها
وهو الاظهر وان كان الاول اقوى في الصناعة لان الاعرف احق بالاسمية وايا
ما كان فليس المراد انه لم يصدر عنهم في مقابلة كلام لوط عليه السلام ومواعظه
الا هذه المقالة الباطلة كما هو المتبادر الى الافهام بل انه لم يصدر عنهم في المرة
الاخيرة من مرات المحاورات الجارية بينهم وبينه عليه السلام الا هذه الكلمة الشنيعة
والا فقد صدر عنهم قبل ذلك كثير من الترهات حسبما حكي عنهم في سائر السور الكريمة
وهذا هو الوجه في نظائره الواردة بطريق القصر وقوله تعالى انهم اناس يتطهرون
تعليل للامر بالاخراج ووصفهم بالتطهر للاستهزاء والسخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش
والخبائث والافتخار بما هم فيه من القذارة كما هو ديدن الشطار والدعار فانجيناه
واهله اي المؤمنين منهم الا امرأته استثناء من اهله فانها كانت تسر الكفر كانت من
الغابرين اي الباقين في ديارهم الهالكين فيها والتذكير للتغليب ولبيان استحقاقها
لما يستحقه المباشرون للفاحشة والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ عن
استثنائها من حكم الانجاء كانه قيل فماذا كان حالها فقيل كانت من الغابرين وامطرنا
عليهم مطرا اي نوعا من المطر عجيبا وقد بينه قوله تعالى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل

قال ابن عيينة مطرنا في الرحمة وامطرنا في العذاب وقال الراغب مطر في الخير وامطر في العذاب
وفي الصحيح ان امطر بمعنى ارسل عليهم ارسال المطر قيل كانت المؤتفكة خمس مداين وقيل كانوا
اربعة آلاف بين الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسفت بالمقيمين منهم
وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا
منهم كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه
وروي ان امرأته التفتت نحو ديارها فاصابها حجر فماتت فانظر كيف كان عاقبة المجرمين خطاب
لكل من يتأتى منه التأمل والنظر تعجيبا من حالهم وتحذيرا من اعمالهم والى مدين اخاهم شعيبا عطف
على قوله والى عاد اخاهم هودا وما عطف عليه وقد روعي ههنا ما في المعطوف عليه من تقديم
المجرور على المنصوب اي وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين ابن ابرهيم عليه السلام شعيب بن
ميكائيل بن يشجب بن مدين وقيل شعيب بن ثويب بن مدين وقيل شعيب بن يثرون بن مدين
وكان يقال له خطيب الانبياء عليهم السلام لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل
والموازين مع كفرهم قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية ارساله اليهم كانه
قيل فماذا قال لهم فقيل قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة
اي معجزة وقوله تعالى من ربكم متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة لبينة مؤكدة لفخامتها
الذاتية المستفادة من تنكيرها بفخامتها الاضافية اي بينة عظيمة ظاهرة كائنة من ربكم ومالك
اموركم ولم يذكر معجزته عليه السلام في القرآن العظيم كما لم يذكر اكثر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم
فمنها ما روي من محاربة عصا موسى عليه السلام التنين حين دفع اليه غنمه ومنها ولادة الغنم
الدرع خاصة حين وعده ان يكون له الدرع من اولادها ومنها وقوع عصا آدم عليه السلام
في يده في المرات السبع فان كل ذلك كان قبل ان يستنبأ موسى عليه السلام وقيل البينة مجيئه عليه السلام
كما في قوله تعالى يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي اي حجة واضحة وبرهان نير عبر بهما
عما آتاه الله تعالى من النبوة والحكمة فاوفوا الكيل اي المكيال كما وقع في سورة هود
ويؤيده قوله تعالى والميزان فان المتبادر منه الآلة وان جاز كونه مصدرا كالميعاد وقيل الكيل
والوزن على الاضمار والفاء لترتيب الامر على مجيء البينة ويجوز ان تكون عاطفة على
اعبدوا فان عبادة الله تعالى موجبة للاجتناب عن المناهي التي معظمها بعد الكفر البخس
الذي كانوا يباشرونه ولا تبخسوا الناس اشياءهم التي تشترونها بهما معتمدين على تمامها
اي شيء كان واي مقدار كان فانهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل
كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه كما قال زهير افي كل اسواق العراق اتاوة
وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم ولا تفسدوا في الارض اي بالكفر والحيف بعد اصلاحها
بعدما اصلح امرها واهلها الانبياء واتباعهم باجراء الشرائع او اصلحوا فيها واضافته اليها
كاضافة مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى
الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة وما يطلبونه من التكسب والربح
لان الناس اذا عرفوهم بالامانة رغبوا في معاملتهم ومتاجرتهم ان كنتم مؤمنين اي
مصدقين لي في قولي هذا ولا تقعدوا بكل صراط توعدون اي بكل طريق من طرق الدين كالشيطان

وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا رأوا احدا
يسعى في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب
لا يفتننك عن دينك ويتوعدون لمن آمن به وقيل يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل الله
اي السبيل الذي قعدوا عليه فوضع المظهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما
يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله ان يكل صراط على انه عبارة عن طرق الدين
وقوله تعالى من آمن به مفعول لتصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعولا لتوعدون لقيل
وتصدونهم وتوعدون حال من الضمير في تقعدوا وتبغونها عوجا اي وتطلبون لسبيل الله
عوجا بالقاء الشبه او بوصفها للناس بانها معوجة وهي ابعد شيء من شائبة الاعوجاج واذكروا
اذ كنتم قليلا فكثركم بالبركة في النسل والمال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم الماضية
كقوم نوح ومن بعدهم من عاد وثمود واضرابهم واعتبروا بهم وان كان طائفة منكم آمنوا من
الشرائع والاحكام وطائفة لم يؤمنوا اي به او لم يفعلوا الايمان فاصبروا حتى يحكم الله بيننا اي
بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين
اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ الذين استكبروا من قومه استئناف مبني
على سؤال ينساق اليه المقال كانه قيل فماذا قالوا بعدما سمعوا هذه المواعظ من شعيب عليه السلام
فقيل قال الاشراف من قومه المتكبرون متوعدين له عليه السلام غير مكتفين بمجرد الاستعصاء عليه والامتناع
من الطاعة له بالغين من العتو والاستكبار الى ان قصدوا استتباعه عليه السلام فيما هم فيه
واتباعه المؤمنين واجترءوا على اكراههم عليه بتوعيد النفي ومخاطبته عليه السلام بذلك على طريقة
التوكيد القسمي لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك بنسبة الاخراج اليه عليه السلام اولا والى المؤمنين
ثانيا بعطفهم عليه تنبيها على اصالته عليه السلام في الاخراج وتبعيتهم له فيه كما ينبئ عنه قوله تعالى
معك فانه متعلق بالاخراج لا بالايمان وتوسيط النداء باسمه العلمي بين المعطوفين لزيادة التقرير
والتهديد الناشئة عن غاية الوقاحة والطغيان اي والله لنخرجنك واتباعك من قريتنا
بغضا لكم ودفعا لفتنتكم المترتبة على المساكنة والجوار وقوله تعالى او لتعودن في ملتنا عطف على
جواب القسم اي والله ليكونن احد الامرين البتة على ان المقصد الاصلي هو العود وانما ذكر
النفي والاجلاء لمحض القسر والالجاء كما يفصح عنه عدم تعرضه عليه السلام لجواب الاخراج كانهم
قالوا لا ندعكم فيما بيننا حتى تدخلوا في ملتنا وادخالهم له عليه السلام في خطاب العود مع استحالة
كونه عليه السلام في ملتهم قبل ذلك انما هو بطريق تغليب الجماعة على الواحد وانما لم يقولوا او لنعيدنكم
على طريقة ما قبله لما ان مرادهم ان يعودوا اليها بصورة الطواعية حذرا من الاخراج باختيار
اهون الشرين لا اعادتهم بسائر وجوه الاكراه والتعذيب قال استئناف كما سبق اي قال
عليه السلام ردا لمقالتهم الباطلة وتكذيبا لهم في ايمانهم الفاجرة اولو كنا كارهين على
ان الهمزة لانكار الوقوع ونفيه لا لانكار الواقع واستقباحه كالتي في قوله تعالى اولو
جئتكم بشيء مبين ويجوز ان يكون الاستفهام فيه باقيا على حاله وقد مر مرارا ان كلمة لو في
مثل هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشيء في الزمن الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها
جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية الا عند القصد الى بيان

الاعتاب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يقتضيه الكلام السابق بالذات او بالواسطة
من الحكم الموجب او المنفي على كل حال من خصوص الاحوال المقارنة لعلي الاجمال بادخالها على ابعدها
منه وانشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال
بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا
يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفي عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة
لجميع الاحوال المغايرة لها عند تفصيلها ... حتى توهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل
الاجمال وهذا المعنى ظاهر في الخبر الموجب والمنفي والامر والنهي كما في قولك فلان يجود
بماله ولو كان فقيرا وبخيل لا يعطي ولو كان غنيا وقولك احسن اليه ولو اساء اليك ولا تهنه
ولو اهانك لبقائه على حالته ما عليه واما فيما نحن فيه ففيه نوع خفاء لتوجه ورود
الانكار عليه لكن الاصل في الكلام لعدل الآن كلمة لو في الصور المذكورة متعلقة
بنفس الفعل المذكور قبلها وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو نفس مدلوله وان
الجملة حال من ضميره او مما يتعلق به وان ما في حيز لو هو على ما هو عليه من الاستبعاد بخلاف
ما نحن فيه فان كلمة لو متعلقة فيه بفعل مقدر يقتضيه المذكور وان ما يقصد بيان تحققه
على كل حال هو مدلوله لا مدلول المذكور وان الجملة حال من ضميره لا من ضمير المذكور كما سيأتي فان
المقصود الاصلي انكار مدلوله من حيث مقارنته للحالة المذكورة واما تقدير مقارنته لو فهما
فلتوسيع الدائرة وان ما في حيز لو لا يقصد استبعاده في نفسه بل يقصد الاشعار
بانه امر الاولى اخرج مخرج الاستبعاد مبالغة في الانكار من جهة ان العود مما ينكر
عند كون الكراهة امرا مستبعدا فكيف بعد كونها امرا محققا ومعاملة مع المخاطبين
على معتقدهم لاستمرارهم على رتبة العبادة وليس المراد بالكراهة ... كراهة الرجوع للعود في
ملة الكفر ابتداء حتى يتأتى انها متعلقة لهم فكيف تكون مستبعدة عندهم بل انما هي كراهتهم
له بعد وعيد الاخراج الذي يعجل قريبا القتال في قوله تعالى لو انا كنا الآية فانهم كانوا
يستبعدونها ويطمعون في انهم حينئذ يختارون العود خشية الاخراج اذ ربما يكونون
يمنعون عن حلول ما هو استدعته فالتقطع والتقدير انعود فيها لو لم نكن كارهين
ولو كنا كارهين غضبا لنا بالاكراه فالجملة في محل النصب على الحالية من ضمير الفعل المقدر
حسبما اشير اليه اذ ما لا نعود فيها حال عدم الكراهية وحال الكراهة انكارا لما تفيده
كلمة ... باطلاقها من العود على اي حالة كانت غير انه اكتفي بذكر الحالة الثانية التي هي
اشد الاحوال منافاة للعود واكثرها بعدا منه تنبيها على انها هي الواقعة في نفس الامر
وتقويا عنا بها عن ذكر الاولى اغناء واضحا لان العود الذي تعلق به الانكار حين تحقق مع
الكراهة على ما يوجبه كلامهم فلان يتحقق مع عدمها اولى ان قلت النفي المستفاد من
الاستفهام الانكاري فيما نحن فيه بمنزلة صريح النفي ولا ريب في ان الاولوية هنالك معتبرة
بالنسبة الى النفي الآخر لا للتحقق فيما ذكر من مثال النفي عند الحالة المسكوت عنها اعني
عدم الفقر هو عدم الاعطاء لانفسه فكان ينبغي ان يكون الاولى بالتحقق فيما نحن فيه عدم
الكراهة عدم العود لانفسه اذ هو الذي يدل عليه قولنا لا نعود لانه في معنى لا نعود فلم اختلف

الحال بينهما قلت لما ان مناط الاولوية هو الحكم الذي اريد بيان تحققه على كل حال وذلك في
مثال النفي عدم الاعطاء المستفاد من الفعل المنفي المذكور واما فيما نحن فيه فهو نفس العود المستفاد
من الفعل المقدر اذ هو الذي يقتضيه الكلام السابق اعني قولهم لتعودن واما الاستفهام
فخارج عنه وارد عليه لابطال ما يفيده وتفيها يقتضيه لا انه من تمامه كما في صورة
النفي وتوضيحه ان بين الغنى والفقر تعارضا يختلف به احكامها التي من جملتها ما ذكر من اعتبار
الاولوية في احدهما بالنسبة الى نفسه وفي الآخر بالنسبة الى نقيضه ولذلك لا يستقيم
اقامة احدهما مقام الآخر في الوجه الكلية الا ترى انك لو قلت مكان انعود فيها ولا نعود
فيها ولو كنا كارهين لاختل المعنى اختلالا فاحشا لان مدلول الاول نفي العود المقيد بحال
الكراهة ومدلول الثاني تقييد العود المنفي بها وذلك لان حرف النفي يباشر نفس الفعل
ويقيده وما يذكر بعده يرجع اليه من حيث هو منفي واما همزة الاستفهام فانما تباشر
الفعل بعد تقييده بما بعده لما ان دلالتها على الانكار وعلى النفي ليست بالوضعية الفعل
ولا حرف النفي حتى يتعلق معناها بنفس الذي يليها ويكون ما بعده راجعا اليه
من حيث هو منفي بل هي دلالة عقلية مستفادة من سياق الكلام فلا بد ان يكون ما يذكر بعد
الفعل من متممات مدلوله واعتبار انكاره فينتقض الكون وبه صارت الهمزة عن جميع
المعنى الانكاري ... لما ان المقصود نفي الحكم على كل حال مع الاقتصار على ذكر بعض منها
معرض عن ذكر ما عداها لاستلزام تحققه بطريق الاولوية وكان حال الكراهة
عند كونها في نفس العود كذلك اي معرضا عن ذكر ما عداها من الاحوال ضرورة ان تحقق العود في
حال الكراهة مستلزم لتحققه في حال عدمها البتة عند كونها في المقيد كذلك
ذلك اي معرضا عن ذكر غيرها ضرورة ان نفي العود في حال الكراهة لا يستلزم نفيه في
غيرها بل الامر بالعكس فان نفيه في حال الارادة مستلزم لنفيه في حال الكراهة قطعا
فاستعمال الاول لافادة نفي العود في الحالتين مع الاقتصار على ما ذكر هو معرض عن ذكر
الاخرى ولم يستعمل الثاني لعدم افادته اياه مع الوجه المذكور ان قيل فما وجه استقامتهما جميعا عند
ذكر المعطوف عليه بحيث يصح ان يقال لا نعود فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين
كما يصح ان يقال انعود فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين مع ان المقدر في
حكم الملفوظ قلنا وجههما ان كلا منهما يفيد معنى صحيحا في نفسه الا ان معنى احدهما
غير معنى الآخر وما متلازمان ما ان متفقان في جميع الاحكام كيف لا ومدلول الاول ان
العود منتف في الحالتين ومدلول الثاني ان العود في الحالتين منتف وكلا المعنيين
صحيح في نفسه يصح لنفي العود في الحالتين مع ذكرهما معا غير ان الثاني يصح لنفي العود في الحالتين
مع الاقتصار على ذكر حالة الكراهة على عكس المعنى الاول فانه يصح لنفيه فيهما مع الاقتصار
على ذكر حالة الارادة قد افترينا على الله كذبا اي كذبا عظيما لا يقادر قدره
ان عدنا في ملتكم التي هي الشرك وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان عدنا في
ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فقد افترينا على الله كذبا عظيما حيث نزعم حينئذ ان لله
تعالى ندا وليس كمثله شيء وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه من الاسلام باطل وان ما كنتم عليه

من الكفر حق واي افتراء اعظم من ذلك وقيل انه جواب قسم محذوف وحذف عنه اللام تقديره
والله لقد افترينا الخ وما يكون لنا اى وما يصح وما يستقيم لنا ان نعود فيها في
حال من الاحوال او في وقت من الاوقات الا ان يشاء الله الا حال مشية الله تعالى
او وقت مشيته تعالى لعودنا فيها وذلك مما لا يكاد يكون كما ينبئ عنه قوله تعالى ربنا فان
التعرض لعنوان ربوبيته تعالى لهم مما ينبئ عن استحالة مشيته تعالى لارتدادهم قطعا وكذا قوله
تعالى بعد اذ نجانا الله منها فان تنجيته تعالى لهم منها من دلائل عدم مشيته لعودهم فيها
وقيل معناه الا ان يشاء الله خذلاننا وقيل فيه دليل على ان الكفر بمشيته تعالى وايا ما
كان فليس المراد بذلك بيان ان العود فيها في حيز الامكان وخطر الوقوع بناء على كون
مشيته تعالى كذلك بل بيان استحالة وقوعها كانه قيل وما كان لنا ان نعود فيها الا ان
يشاء ربنا وهيهات ذلك بدليل ما ذكر من موجبات عدم مشيته تعالى له وسع كل ربنا
شيء علما فهو محيط بكل ما كان وما سيكون من الاشياء التي من جملتها احوال العباد و
عزائمهم ونياتهم وما هو اللائق بكل واحد منهم فمحال من لطفه ان يشاء عودنا فيها بعدما
نجانا منها مع اعتصامنا به خاصة حسبما ينطق به قوله تعالى على الله توكلنا اى في ان
يثبتنا على ما نحن عليه من الايمان ويتم علينا نعمته بانجائنا من الاشراك بالكلية واظهار
الاسم الجليل في موقع الاضمار للمبالغة في التضرع والجؤار وقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين
قومنا بالحق اعراض عن مقاولتهم اثر ما ظهر له عليه السلام انهم من العتو والعناد بحيث لا يتصور منهم
الايمان اصلا واقبال على الله تعالى بالدعاء لفصل ما بينه وبينهم بما يليق بحال كل من الفريقين
اى احكم بيننا بالحق والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز
المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين تذييل مقرر لمضمون
ما قبله وقال الملأ الذين كفروا من قومه عطف على قال الملأ الذين الخ
ولعل هؤلاء غير اولئك المستكبرين ودونهم في الرتبة شانهم الوساطة بينهم وبين العامة
والقيام بامورهم حسبما يراه المستكبرون ويجوز ان يكونوا عين الاولين وتغيير الصلة لما ان
مدار قولهم هذا هو الكفر كما ان مناط قولهم السابق هو الاستكبار اى قال اشرافهم الذين
اصروا على الكفر لاعقابهم بعدما شاهدوا صلابة شعيب عليه السلام ومن معه من المؤمنين في
الايمان وخافوا ان يستتبعوهم تثبيطا لهم عن الايمان به وتنفيرا لهم عنه على طريقة التوكيد
القسمي والله لئن اتبعتم شعيبا ودخلتم في دينه وتركتم دين اباءكم انكم اذا لخا
سرون اى في الدين لاشترائكم الضلالة بهداكم او في الدنيا لفوات ما يحصل لكم بالبخس
والتطفيف واذا حرف جواب وجزاء معترض بين اسم ان وخبرها والجملة سادة مسد جوابي
الشرط والقسم الذى وطاته اللام فاخذتهم الرجفة اى الزلزلة وهكذا في سورة
العنكبوت وفي سورة هود واخذت الذين ظلموا الصيحة اى صيحة جبريل عليه السلام ولعلها من
مبادى الرجفة فاسند هلاكهم الى السبب القريب تارة والى البعيد اخرى فاصبحوا في
دارهم اى في مدينتهم وفي سورة هود في ديارهم جاثمين اى ميتين لازمين لاماكنهم
لا براح لهم منها الذين كذبوا شعيبا استيناف لبيان ابتلائهم بشوم قولهم فيما سبق لنخرجنك

يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا وعقوبتهم بمقابلته والموصول مبتدا خبره قوله
تعالى كان لم يغنوا فيها اى استوصلوا بالمرة وصاروا كانهم لم يقيموا بقريتهم اصلا
اى عوقبوا بقولهم ذلك وصاروا هم المخرجين من القرية اخراجا لا دخول بعده ابدا وقوله
تعالى الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين استيناف اخر لبيان ابتلائهم بعقوبة
قولهم الاخير واعادة الموصول والصلة كما هي لزيادة التقرير والايذان بان ما ذكر في حيز الصلة
هو الذى استوجب العقوبتين اى الذين كذبوه عليه السلام عوقبوا بمقابلة قولهم الاخير فصاروا
هم الخاسرين للدارين لا الذين اتبعوه عليه السلام وبهذا القصر اكتفى عن التصريح بانجائه
عليه السلام كما وقع في سورة هود من قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه
الخ فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قاله عليه السلام
بعدما هلكوا تاسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه ذلك فقال فكيف آسى اى
احزن حزنا شديدا على قوم كافرين مصرين على الكفر ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل
عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ
والانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرى
ايسى بامالتين وما ارسلنا في قرية من نبي اشارة اجمالية الى بيان احوال سائر الامم اثر
بيان احوال الامم المذكورة تفصيلا ومن مزيدة لتاكيد النفي والصفة محذوفة اى من
نبي كذب او كذبه اهلها الا اخذنا اهلها استثناء مفرغ من اعم الاحوال واخذنا
في محل النصب على انه حال من فاعل ارسلنا والفعل الماضي لا يقع بعد الا الا باحد شرطين اما
تقدير قد كما في هذه الاية او مقارنته بقد كما في قولك ما زيد الا قد قام والتقدير
وما ارسلنا في قرية من القرى المهلكة نبيا من الانبياء في حال من الاحوال الا حال
كوننا اخذين اهلها بالباساء بالبوس والفقر والضراء بالضر والمرض لكن لا على معنى
ان ابتداء الارسال مقارن للاخذ المذكور بل على انه مستتبع له غير منفك عنه بالاخرة
لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه حسبما فعلت الامم المذكورة لعلهم يضرعون
كي يتضرعوا وينقادوا ويحطوا اردية الكبر والعزة عن اكتافهم كقوله تعالى ولقد ارسلنا الى
امم من قبلك فاخذناهم بالباساء والضراء لعلهم يتضرعون ثم بدلنا عطف على اخذنا
داخل في حكمه مكان السيئة التي اصابتهم لغاية المذكورة الحسنة اى
اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة كقوله تعالى وبلوناهم
بالحسنات والسيئات حتى عفوا اى كثروا عددا وعددا من عفا النبات
اذا كثر وتكاثف وابطرتهم النعمة وقالوا غير واقفين على ان ما اصابهم من الامرين
ابتلاء من الله سبحانه وتعالى قد مس اباءنا الضراء والسراء كما مسنا ذلك وما هو
الا من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء من غير ان يكون هناك داعية
تؤدي اليهما او تبعة تترتب عليهما ولعل تاخير السراء للاشعار بانها تعقب الضراء فلا
ضير فيها فاخذناهم بغتة اثر ذلك فجاة اشد الاخذ وافظعه وهم لا يشعرون
بذلك ولا يخطرون ببالهم شيئا من المكاره كقوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا الاية وليس

المراد بالأخذ بغتة إهلاكهم طرفة عين كإهلاك عاد وقوم لوط بل ما يعمهم وما يمضي بين
الأخذ وإتمام الإهلاك أيام كدأب ثمود ﴿ولو أن أهل القرى﴾ أي القرى المهلكة المدلول عليها
بقوله تعالى وما أرسلنا في قرية وقيل أهل مكة وما حولها من القرى وقيل جنس القرى المنتظمة لما ذكر
فيها انتظاماً أولياً ﴿آمنوا﴾ بما أوحي إلى أنبيائهم معتبرين بما جرى عليهم من الابتلاء بالضراء والسراء
﴿واتقوا﴾ أي الكفر والمعاصي أو اتقوا ما أنذروا به على ألسنة الأنبياء ولم يصروا على ما فعلوا
من القبائح ولم يحملوا ابتلاء الله تعالى على عادات الدهر وقال ابن عباس رضي الله عنهما وحدوا الله
واتقوا الشرك ﴿لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾ لوسعنا عليهم الخير ويسرناه
لهم من كل جانب مكان ما أصابهم من فنون العقوبات التي بعضها من السماء وبعضها من
الأرض وقيل المراد المطر والنبات وقرئ لفتّحنا بالتشديد للتكثير ﴿ولكن كذبوا﴾ أي ولكن
لم يؤمنوا ولم يتقوا وقد اكتفى بذكر الأول لاستلزامه الثاني ﴿فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ من
أنواع الكفر والمعاصي التي من جملتها قولهم قد مس آباءنا الخ وهذا الأخذ عبارة عما في قوله تعالى
فأخذناهم بغتة لا عن الجدب والقحط كما قيل فإنهما قد زالا وتبدل الحسنة مكان السيئة
﴿أفأمن أهل القرى﴾ أي أهل القرى المذكورة على وضع المظهر موضع المضمر
للإيذان بأن مدار التوبيخ أمن كل طائفة ما أتاهم من البأس لا أمن مجموع الأمم فإن
كل طائفة منهم أصابهم بأس خاص بهم لا يتعداهم إلى غيرهم كما سيأتي والهمزة لإنكار
الواقع واستقباحه لا لإنكار الوقوع ونفيه كما قاله أبو منصور لقوله تعالى فلا
يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون والفاء للعطف على أخذناهم وما بينهما
اعتراض توسط بينهما للمسارعة إلى بيان أن الأخذ المذكور مما كسبته أيديهم والمعنى
أبعد ذلك الأخذ أمن أهل القرى ﴿أن يأتيهم بأسنا بياتاً﴾ أي تبييتاً أو وقت بيات
أو مبيتاً أو مبيتين وهو في الأصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام
بمعنى التسليم ﴿وهم نائمون﴾ حال من ضميرهم البارز أو المستتر في بياتاً ﴿أوأمن أهل
القرى﴾ إنكار بعد إنكار للمبالغة في التوبيخ والتشديد ولذلك لم يقل أفأمن أهل
القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون أو ضحى وهم يلعبون وقرئ أو بسكون
الواو على الترديد ﴿أن يأتيهم بأسنا ضحى﴾ أي ضحوة النهار وهي في الأصل
ضوء الشمس إذا ارتفعت ﴿وهم يلعبون﴾ أي يلهون من فرط الغفلة أو يشتغلون بما لا
ينفعهم كأنهم يلعبون ﴿أفأمنوا مكر الله﴾ تكرير للنكير لزيادة التقرير ومكر الله تعالى
استعارة لاستدراجه العبد وأخذه من حيث لا يحتسب والمراد به إتيان بأسه تعالى
في الوقتين المذكورين ولذلك عطف الأول والثالث بالفاء فإن الإنكار فيهما
متوجه إلى ترتب الأمن على الأخذ المذكور وأما الثاني فمن تتمة الأول ﴿فلا يأمن مكر الله
إلا القوم الخاسرون﴾ أي الذين خسروا أنفسهم وأضاعوا فطرة الله التي فطر الناس عليها
والاستعداد القريب المستفاد من النظر في الآيات ﴿أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها﴾
أي يخلفون من خلا قبلهم من الأمم المهلكة ويرثون ديارهم والمراد بهم أهل مكة
ومن حولها وتعدية فعل الهداية باللام لتنزيلها منزلة اللازم كأنه قيل أغفلوا

ولم يفعل الهداية لهم الخ أما لأنه بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل على القراءتين
هو الجملة الشرطية أي أولم يبين لهم مآل أمرهم ﴿أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم﴾ أي أن الشأن
لو نشاء أصبناهم بجزاء ذنوبهم كما أصبنا من قبلهم وقرئ نهد بنون العظمة
فالجملة مفعوله ﴿ونطبع على قلوبهم﴾ عطف على ما يفهم من قوله تعالى أولم يهد كأنه قيل لا
يهتدون أو يغفلون عن الهداية أو عن التفكر والتأمل أو منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع
ولا يجوز عطفه على أصبناهم على أنه بمعنى وطبعنا لإفضائه إلى نفي الطبع عنهم لأنه في
سياق جواب لو ﴿فهم لا يسمعون﴾ أي أخبار الأمم المهلكة فضلاً عن التدبر والنظر فيها
والاغتنام بما في تضاعيفها من الهدايات ﴿تلك القرى﴾ جملة مستأنفة جارية مجرى
الفذلكة لما قبلها من القصص منبئة عن غاية غواية الأمم المذكورة وتماديهم فيها بعد ما
أتتهم الرسل بالمعجزات الباهرة وتلك إشارة إلى قرى الأمم المحكية أي اللام للعهد
وهو مبتدأ وقوله تعالى ﴿نقص عليك من أنبائها﴾ خبره وصيغة المضارع للإيذان بعدم
انقضاء القصة بعد ومن للتبعيض أي بعض أخبارها التي فيها عظة وتذكير وقيل تلك
مبتدأ والقرى خبره وما بعده حال أو خبر بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله
تعالى فإذا هي حية تسعى وتصدير الكلام بذكر القرى وإضافة الأنباء إليها مع أن المقصوص
أنباء أهلها والمقصود بيان أحوالهم حسبما يعرب عنه قوله تعالى ﴿ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات﴾
لما أن حكاية هلاكهم بالمرة على وجه الاستئصال بحيث يشمل أماكنهم أيضاً بالخسف بها والرجفة
وبقائها خاوية معطلة أهول وأفظع والباء في قوله تعالى بالبينات متعلقة إما بالفعل
المذكور على أنها للتعدية وإما بمحذوف وقع حالاً من فاعله أي ملتبسين بالبينات لكن
لا بأن يأتي كل رسول ببينة واحدة بل ببينات كثيرة خاصة به معينة له حسب اقتضاء
الحكمة فإن مراعاة انقسام الآحاد إلى الآحاد إنما هي فيما بين الرسل وضمير الأمم والجملة
مستأنفة مسوقة لكمال عتوهم وعنادهم أي وبالله لقد جاء كل أمة من تلك الأمم المهلكة
رسولها الخاص بهم بالمعجزات البينة المتكثرة المتواردة عليهم الواضحة الدالة على صحة رسالته
الموجبة للإيمان حتماً وقوله تعالى ﴿فما كانوا ليؤمنوا﴾ بيان لاستمرار عدم إيمانهم في الزمان
الماضي لا لعدم استمرار إيمانهم وترتيب حالهم هذه على مجيء الرسل بالبينات بالفاء لما أن
الاستمرار على فعل من الأفعال بعد ورود ما يوجب الإقلاع عنه وإن كان استمراراً عليه في
الحقيقة لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث يحق وعظه فلم ينزجر
ودعوته فلم يجب واللام لتأكيد النفي أي فما صح وما استقام لقوم من أولئك الأقوام في
وقت من الأوقات أن يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعاً منهم إلى أن لقوا ما لقوا لغاية عتوهم
وشدة شكيمتهم في الكفر والطغيان ثم إن كان المحكي عنهم آخر حال كل قوم منهم فالمراد
بعدم إيمانهم المذكور هنا إصرارهم على ذلك بعد اللتيا والتي وبما في قوله تعالى
﴿بما كذبوا من قبل﴾ تكذيبهم من لدن مجيء الرسل إلى وقت الإصرار والعناد
وإنما لم يجعل ذلك مقصوداً بالذات كالأول بل جعل صلة للموصول إيذاناً بأنه بيّن بنفسه
وإنما المحتاج إلى البيان عدم إيمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات

الظاهرة التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من اصحاب العقول و ما الموصولة الذي يتعلق به
الايمان و التكذيب سلبا و ايجابا عبارة عن جميع الشرائع التي جاء بها كل رسول اصولها و فروعها
سواء كانت مشتركة بين الكل او مختصة ببعض منها و المراد بالتكذيب هو التكذيب من حين مجيء الرسل
الى ما اشير اليه من التكذيب قبل مجيئهم فلابد من جعل الموصول المذكور عبارة عن اصول
الشرائع التي اجمعت عليها الرسل قاطبة و دعوا اممهم اليها اذ هي التي لا يستحيل التكذيب بها
قبل ورودها شاملة التوحيد و لوازمه و معنى تكذيبهم بها قبل مجيء رسلهم انهم ما كانوا في
زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوا بكلمة التوحيد قط بل كانت كل امة من اولئك الامم يتسامعون بها
من بقايا من تقدمهم فيكذبونها ثم كانت حالتهم بعد مجيء رسلهم كحالتهم قبل ذلك كأن لم
يبعث اليهم احد و تخصيص التكذيب و عدم الايمان بما ذكر من الاصول لظهور حال الباقي
بدلالة النص فانهم حيث لم يؤمنوا بما اجمعت عليه كافة الرسل فلأن لا يؤمنوا بما تفرد به بعضهم
اولى و عدم جعل هذا التكذيب مقصودا بالذات لما ان ما عليه يدور فلك العذاب
و العقاب هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما يعرب عنه قوله تعالى و ما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا و انما ذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم في الكفر و التكذيب و على كلا
التقديرين فالضمائر الثلاثة متفقة في المرجع و قيل ضمير كذبوا راجع الى اسلافهم و المعنى
فما كان الابناء ليؤمنوا بما كذب به الاباء و لا يخفى ما فيه من التعسف و قيل المراد فما كانوا
ليؤمنوا لو احييناهم بعد اهلاكهم و رددناهم الى دار التكليف بما كذبوا من قبل كقوله
تعالى و لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه و قيل الباء للسببية و ما مصدرية اي بسبب
تعودهم تكذيب الحق و تمرنهم عليه قبل بعثة الرسل و لا يرد عليه هنا ما ورد في سورة
يونس من مخالفة الجمهور بجعل ما المصدرية من قبيل الاسماء كما هو رأي الاخفش
و ابن السراج لرجوع الضمير اليه في به كذلك اي مثل ذلك الطبع الشديد المحكم يطبع الله
على قلوب الكافرين اي من المذكورين و غيرهم فلا يكاد يؤثر فيها الايات و النذر و فيه
تحذير للسامعين و اظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة و ادخال الروعة و ما
وجدنا لاكثرهم اي اكثر الامم المذكورين و اللام متعلقة بالوجدان كما في قولك ما وجدت
له مالا اي ما صادفت له مالا و لا لقيته او بمحذوف وقع حالا من قوله تعالى من عهد لانه
في الاصل صفة للنكرة فلما قدمت عليها انتصبت حالا و الاصل و ما وجدنا عهدا كائنا
لاكثرهم و من مزيدة للاستغراق اي و ما وجدنا لاكثرهم من وفاء عهد فانهم نقضوا
ما عاهدوا الله عليه عند مساس البأساء و الضراء قائلين لئن انجيتنا من هذه لنكونن
من الشاكرين فتخصيص هذا الشأن باكثرهم ليس لان بعضهم كانوا يوفون بعهودهم بل لان
بعضهم كانوا لا يعهدون و لا يفون و قيل المراد بالعهد ما عاهد الله تعالى عليهم من
الايمان و التقوى بنصب الايات و انزال الحجج و قيل ما عاهدوا عليه عند خطاب الست بربكم
فالمراد باكثرهم كلهم و قيل الضمير للناس و الجملة اعتراض فان اكثرهم لا يوفون بالعهود
باي معنى كان و ان وجدنا اكثرهم اي اكثر الامم علمناهم كما في قولك وجدت
زيدا ذا حفاظ و قيل الاول كذلك ايضا و ان مخففة من ان و ضمير الشأن محذوف اي

انه الشأن وجدناهم لفاسقين خارجين عن الطاعة ناقضين للعهود و عند الكوفيين
ان نافية و اللام بمعنى الا اي ما وجدنا اكثرهم الا فاسقين ثم بعثنا من بعدهم موسى اي
ارسلناه من بعد انقضاء وقائع الرسل المذكورين عليهم السلام او من بعد هلاك الامم المحكية و التصريح بذلك
مع دلالة ثم على التراخي للايذان بان بعثه عليه السلام جرى على سنن السنة الالهية من ارسال
الرسل تترى و تقديم الجار و المجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم و التشويق
الى المؤخر بآياتنا متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعول بعثنا او صفة لمصدره اي بعثناه
عليه السلام ملتبسا بآياتنا او بعثناه بعثا ملتبسا بها و هي الايات التسع المفصلات التي
هي العصا و اليد البيضاء و السنون و نقص الثمرات و الطوفان و الجراد و القمل و الضفادع
و الدم حسبما سيأتي على التفصيل الى فرعون هو لقب لكل من ملك مصر من العمالقة كما
ان كسرى لقب لكل من ملك فارس و قيصر لكل من ملك الروم و اسمه قابوس و قيل الوليد بن مصعب
بن الريان و ملئه اي اشراف قومه و تخصيصهم بالذكر مع عموم رسالته عليه السلام لقومه كافة
حيث كانوا جميعا مأمورين بعبادة رب العالمين عز سلطانه و ترك العظيمة الشنعاء التي
كان يدعيها الطاغية و يقبلها منه فئته الباغية لاصالتهم في تدبير الامور و اتباع غيرهم
لهم في الورود و الصدور فظلموا بها اي كفروا بها اجرى الظلم مجرى الكفر لكونهما من واد
واحد او ضمن معنى الكفر او التكذيب اي ظلموا كافرين بها او مكذبين بها او كفروا بها مكان
الايمان الذي هو من حقها لوضوحها و لهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا و قيل ظلموا
انفسهم بسببها بان عرضوها للعذاب الخالد او ظلموا الناس بصدهم عن الايمان بها و المراد
به الاستمرار على الكفر بها الى ان لقوا من العذاب ما لقوا الا يرى الى قوله تعالى فانظر
كيف كان عاقبة المفسدين فان ما ذكر من ظلمهم بها مستتبع لتلك العاقبة الهائلة كذلك ظلمهم
بها مستتبع للامر بالنظر اليها و كيف خبر كان قدم على اسمها لاقتضائه الصدارة و الجملة في
حيز النصب باسقاط الخافض فانظر بعين عقلك الى كيفية ما فعلنا بهم و وضع المفسدين
موضع ضميرهم للايذان بان الظلم مستلزم للافساد و قال موسى كلام مبتدأ مسوق
لتفصيل ما اجمل فيما قبله من كيفية اظهار الايات و كيفية عاقبة المفسدين يا فرعون اني رسول
اليك من رب العالمين على الوجه الذي مر بيانه حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق جواب
لما ينساق اليه الذهن من حكاية ظلمهم بالايات من تكذيبه اياه عليه السلام في دعوى الرسالة [illegible]
اصله حقيق على ان لا اقول الخ كما هو قراءة نافع فقلب للامن من الالباس كما في قول من
قال و تشقى الرماح بالضياطرة الحمر او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق
في الوصف بالصدق فالمعنى واجب على القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى الا بمثلي ناطقا
به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على موضع الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على
القوس و جئت على حال حسنة و يؤيده قراءة ابي بالباء و قرئ حقيق ان لا اقول و قوله
تعالى قد جئتكم ببينة من ربكم استئناف مقرر لما قبله من كونه رسولا من رب العالمين
و كونه حقيقا بقول الحق و لم يكن هذا القول منه عليه السلام بعده من جواب فرعون
انما ذكر هاهنا بل بعد ما جرى بينهما من المحاورة المحكية بقوله تعالى قال فمن ربكما

الآيات وقوله تعالى رب العالمين الآيات وقد طوى هاهنا ذكره للإيجاز ومن متعلقة
بما جئتكم على أنها لابتداء الغاية مجازاً وإما محذوف وقع صفة لبينة مفيدة لفخامتها الإضافية
المؤكدة لفخامتها الذاتية المستفادة من التنوين التفخيمي وإضافة اسم الرب إلى المخاطبين
بعد إضافته فيما قبل إلى العالمين لتأكيد وجوب الإيمان بها فأرسل معي بني إسرائيل أي
فخلهم حتى يذهبوا معي إلى الأرض المقدسة التي هي وطن آبائهم وكان قد استعبدهم
بعد انقراض الأسباط يستعملهم ويكلفهم الأعمال الشاقة فأنقذهم الله تعالى بموسى
عليه السلام وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى عليهما السلام
أربعمائة عام والفاء لترتيب الإرسال أو الأمر به على ما قبلها من رسالته عليه السلام ومجيئه بالبينة
قال استئناف وقع جواباً عن سؤال ينساق إليه الكلام كأنه قيل فماذا قال له
فرعون لعنه الله حين قال له ما قال فقيل قال إن كنت جئت بآية أي من عند من أرسلك
كما تدعيه فأت بها أي فأحضرها عندي ليثبت بها رسالتك إن كنت من الصادقين في
دعواك فإن كونك من جملة الموصوفين بالصدق يقتضي إظهار الآية لا محالة فألقى عصاه
فإذا هي ثعبان مبين أي ظاهر أمره لا يشك في كونه ثعباناً وهو الحية العظيمة وإيثار
الجملة الاسمية للدلالة على كمال سرعة الانقلاب وثبات وصف الثعبانية فيها كأنها في
الأصل كذلك روي أنه لما ألقاها صارت ثعباناً أشعر فاغراً فاه بين لحييه ثمانون
ذراعاً وضع لحيه الأسفل على الأرض والأعلى على سور
القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه وأحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم
خمسة وعشرون ألفاً فصاح فرعون يا موسى أنشدك بالذي أرسلك خذه وأنا أؤمن
بك وأرسل معك بني إسرائيل فأخذه فعاد عصا ونزع يده أي من جيبه
أو من تحت إبطه فإذا هي بيضاء للناظرين أي بيضاء بياضاً نورانياً خارجاً عن
العادة يجتمع عليه النظارة تعجباً من أمرها وذلك ما روي أنه أرى فرعون يده
وقال ما هذه فقال يدك ثم أدخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها
فإذا هي بيضاء بياضاً نورانياً غلب شعاعه شعاع الشمس وكان عليه السلام آدم شديد
الأدمة وقيل بيضاء للناظر لا أنها كانت بيضاء في جبلتها قال الملأ من قوم فرعون أي
الأشراف منهم وهم أصحاب مشورته إن هذا لساحر عليم أي مبالغ في علم السحر ماهر
فيه قالوه تصديقاً لفرعون وتقريراً لكلامه فإن هذا القول بعينه معزي في سورة
الشعراء إليه يريد أن يخرجكم من أرضكم أي من أرض مصر فماذا تأمرون بفتح
النون وماذا في محل النصب على أنه مفعول ثان لتأمرون بحذف الجار والأول محذوف
والتقدير بأي شيء تأمرونني وهذا من كلام فرعون كما في قوله تعالى ذلك ليعلم أني لم أخنه
بالغيب أي فإذا كان كذلك فماذا تشيرون علي في أمره قيل قاله الملأ عن قبله
بطريق التبليغ إلى العامة فقوله تعالى قالوا أرجه وأخاه على الأول وهو الأظهر
حكاية لكلام الملأ الذين شاورهم فرعون وعلى الثاني لكلام العامة الذين خاطبهم الملأ
ويأباه أن الخطاب لفرعون وأن المشاورة ليست من وظائفهم أي أخره وأخاه وعدم المعرض

لتأكد لظهور كونه سحراً حسبما يأتي ذلك بالآيات الأخر فالمعنى أخر أمرهما وأصدرهما عنك حتى
ترى رأيك فيهما وتدبر شأنهما وقرئ أرجئه وأرجه من أرجأه وأرجاه وأرسل في المدائن
حاشرين قيل هي مدائن صعيد مصر كان رؤساء السحرة فيها مقيمين بأقصى مدائن
الصعيد وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم كانوا سبعين ساحراً قد أخذوا السحر من رجلين
مجوسيين من أهل نينوى مدينة يونس عليه السلام بالموصل ورد ذلك بأن المجوسية ظهرت بزمن
زرادشت وهو إنما جاء بعد موسى عليه السلام يأتوك بكل ساحر عليم أي ماهر في السحر وقرئ
بكل سحار عليم والجملة جواب الأمر وجاء السحرة فرعون بعدما أرسل إليهم الحاشرين
وإنما لم يصرح به حسبما في قوله تعالى فأرسل فرعون في المدائن حاشرين للإيذان بمسارعة فرعون إلى الإرسال
ومبادرة الحاشرين والسحرة إلى الامتثال قالوا استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية مجيء
السحرة كأنه قيل فماذا قالوا له عند مجيئهم إياه فقيل قالوا مدلين بما عندهم واثقين بغلبتهم إن
لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين بطريق الإخبار بثبوت الأجر وإيجابه كأنهم قالوا لا بد لنا من أجر
عظيم أو بطريق الاستفهام التقريري بحذف الهمزة وقرئ بإثباتها وقولهم إن كنا لمجرد تعيين مناط
ثبوت الأجر لا لترددهم في الغلبة وتوسيط الضمير وتحلية الخبر باللام للقصر أي إن كنا نحن الغالبين
لا موسى قال نعم تقرير لما قالوا وإنكم لمن المقربين عطف على ما سد مسده حرف
الإيجاب كأنه قال إن لكم لأجراً وإنكم مع ذلك لمن المقربين للمبالغة في الترغيب روي أنه
قال لهم تكونون أول من يدخل مجلسي وآخر من يخرج عنه قالوا استئناف كما مر كأنه قيل فما
ذا فعلوا بعد ذلك فقيل قالوا مستعدين لساحتهم مخاطبين لموسى عليه السلام يا موسى إما أن تلقي ما
تلقي أولاً وإما أن نكون نحن الملقين أي لما نلقي أولاً وإنما الفاعلين للإلقاء أولاً خيروه عليه السلام بالبدء
بالإلقاء مراعاة للأدب وإظهاراً للجلادة وأنه لا يختلف حالهم بالتقديم والتأخير ولكن
كانت رغبتهم في التقديم كما ينبئ عنه تغييرهم للنظم بتعريف الخبر وتوسيط ضمير الفصل وتأكيد
الضمير المتصل قال ألقوا عدم مبالاة بأمرهم أي ألقوا ما تلقون فلما ألقوا ما ألقوا
سحروا أعين الناس بأن خيلوا إليها ما لا حقيقة له واسترهبوهم أي بالغوا في إرهابهم
وجاؤوا بسحر عظيم في بابه روي أنهم ألقوا حبالاً غلاظاً وخشباً طوالاً كأنها حيات ملأت
الوادي وركب بعضها بعضاً وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون الفاء
فصيحة أي فألقاها فصارت حية فإذا هي الخ وإنما حذف للإيذان بمسارعة موسى عليه السلام
إلى الإلقاء وبغاية سرعة الانقلاب كأن لقفها لما يأفكونه قد حصل متصلاً بالأمر بالإلقاء
وصيغة المضارع لاستحضار صورة اللقف إلى ما يأفكون الإفك الصرف والقلب عن
الوجه المعتاد وما موصولة أو موصوفة والعائد محذوف أي ما يأفكونه ويزورونه
أو مصدرية وهو مع الفعل بمعنى المفعول روي أنها لما تلقفت ملء الوادي من الخشب
والحبال رفعها موسى فرجعت عصاً كما كانت وأعدم الله تعالى بقدرته تلك
الأجرام العظام أو فرقها أجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحراً لبقيت حبالنا
وعصينا فوقع الحق أي ثبت لظهور أمره وبطل ما كانوا يعملون أي ظهر بطلان ما كانوا
مستمرين على عمله فغلبوا أي فرعون وقومه هنالك أي في مجلسهم وانقلبوا صاغرين

اى صدقوا او اذلالا مبهوتين او راجعوا الى الدنيا اذ لا سجود هو بين والاول هو الظاهر لقوله تعالى
والقى السحرة ساجدين فان ذلك كان بمحض من فرعون نقلها اى خروا سجدا كانما
القاهم ملق لشدة خرورهم وكيف لا وقد بهرهم الحق واضطرهم الى ذلك قالوا آمنا برب
العالمين رب موسى وهرون ابدلوا الثانى من الاول لئلا يتوهم ان مرادهم فرعون وعن ابن عباس
انه قال لما آمنت السحرة اتبع موسى من بنى اسرائيل ستمائة الف قال فرعون منكرا على السحرة
وموبخا لهم على ما فعلوه آمنتم به بهمزة واحدة اما على الاخبار المحض المتضمن للتوبيخ او على
الاستفهام التوبيخى بحذف الهمزة كما مر فى ان لنا لاجرا وقرئ بتحقيق الهمزتين معا
وبتحقيق الاولى وتسهيل الثانية بين بين اى آمنتم بالله تعالى قبل ان آذن لكم اى
بغير ان آذن لكم كما فى قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى لا ان الاذن منه ممكن
فى ذلك ان هذا لمكر مكرتموه اى ان ما صنعتموه ليس مما اقتضى الحال صدوره عنكم
لقوة الدليل وظهور المعجزة بل هو حيلة احتلتموها مع مواطأة موسى فى المدينة يعنى مصر
قبل ان تخرجوا الى الميعاد روى ان موسى عليه السلام وامير السحرة التقيا فقال له موسى عليه السلام
ارأيتك ان غلبتك اتؤمن بى وتشهد ان ما جئت به الحق فقال الساحر والله لئن غلبتنى
لاومنن بك وفرعون يسمعهما وهو الذى نشأ عنه هذا القول لتخرجوا منها اهلها
اى القبط وتخلص لكم ولبنى اسرائيل وهذا كما ترى تمويه من اللعين القاه الى اسماع عامة القبط
عند مشاهدتهم لارتفاع اعلام المعجزة ومشاهدتهم لخضوع اعناق السحرة لها وعدم تمالكهم من
ان يؤمنوا بها لئلا يتبعوهم بها عند الايمان بما اتى به موسى عليه السلام بادعاء ان ايمان السحرة مبنى على المواضعة
بينهم وبين موسى وان غرضهم بذلك اخراج القوم من المدينة وابطال ملكهم ومعلوم ان مفارقة
الاوطان المألوفة والنعمة المعروفة مما لا يطاق فجمع اللعين بين الشبهتين تثبيتا للقبط
على ما هم عليه وتهييجا لعداوتهم لموسى عليه السلام ثم عقبهما بالوعيد ليريهم ان له قوة وقدرة على المدافعة
فقال فسوف تعلمون اى عاقبة ما فعلتم وهذا وعيد مبهم بطريق الاجمال
للتهويل ثم عقبه بالتفصيل فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اى من كل شق
طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل هو اول من سن
ذلك فشرعه الله تعالى لقطاع الطريق تعظيما لجرمهم ولذلك سماه الله تعالى محاربة لله ورسوله
قالوا استئناف مسوق للجواب عن سؤال ينساق اليه الذهن كأنه قيل فماذا قالت السحرة
عند ما سمعوا وعيد فرعون هل تأثروا به او تصلبوا فيما هم فيه من الدين فقيل قالوا تأبيين عن
ما اهددنا من الايمان انا الى ربنا منقلبون اى بالموت لا محالة فسواء كان ذلك
من قبلك او لا فلا نبالى بوعيدك او انا الى رحمة ربنا وثوابه منقلبون ان فعلت بنا ذلك
كأنهم استطابوه شغفا الى لقاء الله تعالى او انا جميعا الى ربنا منقلبون فيحكم بيننا وبينك
وما تنقم منا اى وما تنكر وتعيب منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وهو خير
الاعمال واصل المفاخر ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم اعرضوا عن مخاطبته
اظهارا لما فى قلوبهم من العزيمة على ما قالوا وتقريرا له ففزعوا الى الله عز وجل وقالوا ربنا
افرغ علينا صبرا اى افض علينا من الصبر ما يغمرنا كما يفرغ الماء او اصبب علينا ما يطهرنا

من اوضاح الاوزار وهى الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على
ما رزقتنا من الاسلام غير مفتونين من الوعيد قيل فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم لقوله
تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملأ من قوم فرعون مخاطبين له بعد ما شاهدوا
ما شاهدوا من امر موسى عليه السلام أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض اى فى ارض مصر بتغيير
الناس عليك وصرفهم عن متابعتك ويذرك عطف على يفسدوا او جواب الاستفهام بالواو
كما فى قول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بينى وبينكم المودة والاخاء اى ايكون منك ترك
موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع عطفا على تذر او استئنافا او حالا وقرئ بالسكون كأنه
قيل يفسدوا ويذرك كقوله تعالى فاصدق واكن وآلهتك ومعبوداتك قيل انه
كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك
قال انا ربكم الاعلى وقرئ والهتك اى عبادتك قال مجيبا لهم سنقتل ابناءهم ونستحيى
نساءهم كما كنا نفعل بهم ذلك من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم
انه المولود الذى حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده … سنقتل بالتخفيف
وانا فوقهم قاهرون كما كنا لم يتغير حالنا اصلا وهم مقهورون تحت ايدينا كذلك قال
موسى لقومه تسلية لهم وعدة بحسن العاقبة حين سمعوا قول فرعون وتضجروا منه
استعينوا بالله واصبروا على ما تسمعون من اقاويله الباطلة ان الارض لله اى ارض مصر
او جنس الارض وهى داخلة فيه دخولا اوليا يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين
اى لهم … وفيه ايذان بان الاستعانة بالله تعالى والصبر من باب التقوى وقرئ والعاقبة بالنصب
عطفا على اسم ان قالوا اى بنو اسرائيل اوذينا اى من جهة فرعون من قبل ان تأتينا بالرسالة
يعنون بذلك قتل ابنائهم قبل مولد موسى عليه السلام ومن بعد ما جئتنا اى رسولا
يعنون به ما توعدهم به من اعادة قتل الابناء وسائر ما كان يفعل بهم لعداوة موسى عليه السلام
من فنون الجور والظلم والعذاب وما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من انواع الخدم
والمهن كما قيل فليس ذلك شكاية … بواسطته عليه السلام … كراهة لمجيئه … بالمقام قال
اى موسى عليه السلام لما رأى شدة جزعهم مما شاهدوه مسليا لهم بالتصريح بما لوح به فى قوله ان الارض لله
عسى ربكم ان يهلك عدوكم الذى فعل بكم ما فعل وتوعدكم باعادته ويستخلفكم
فى الارض اى يجعلكم خلفاء فى ارض مصر فينظر كيف تعملون احسنا ام قبيحا فيجازيكم
حسبما يظهر منكم من الاعمال وفيه تأكيد للتسلية وتحقيق للامر قيل لعل الاتيان بفعل الطمع
لعدم الجزم منه عليه السلام بانهم هم المستخلفون باعيانهم او اولادهم فقد روى ان مصر انما فتحت
فى زمن داود عليه السلام ولا يساعده قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
الارض ومغاربها فان المتبادر استخلاف انفس المستضعفين لا استخلاف اولادهم وانما
جيء بفعل الطمع لجريه على سنن الكبرياء ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين شروع فى تفصيل
مبادى الهلاك الموعود وايذان بانه تعالى لم يمهلهم بعد ذلك ولم يكونوا فى خفض ودعة
بل رتبت اسباب هلاكهم فتحولوا من حال الى حال الى ان حل بهم عذاب الاستئصال
وتصدير الجملة بالقسم لاظهار الاعتناء بمضمونها والسنون جمع سنة والمراد بها عام القحط

القحط

وفيها لغتان اشهرهما اجراؤها مجرى المذكر السالم فترفع بالواو وتنصب وتجر بالياء وتحذف
نونه بالاضافة والثانية اجراء الاعراب على النون لكن مع الياء خاصة وهو اما
باثبات تنوينها او بحذفه قال الفراء هي في هذه اللغة مصروفة عند بني عامر وغير
مصروفة عند بني تميم ووجه حذف النون التخفيف وح لا تحذف النون للاضافة وعلى ذلك
جاء قول الشاعر * دعاني من نجد فان سنينه * لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا * وجاء
الحديث اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف وسنينا كسنين يوسف بالقحط
ونقص من الثمرات باصابة العاهات عن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة
الا ثمرة قال ابن عباس رضي الله عنهما اما السنون فكانت لباديتهم واهل مواشيهم واما نقص
الثمرات فكان في امصارهم لعلهم يذكرون كي يتذكروا ويتعظوا بذلك ويقفوا على
ان ذلك لاجل معاصيهم ويرجعوا عما هم عليه من العتو والعناد قال الزجاج انما
احوال الشدة ترقق القلوب وترغب فيما عند الله عز وجل وفي الرجوع اليه تعالى الا يرى
الى قوله تعالى واذا مسه الشر فذو دعاء عريض وقد مر تحقيق القول في لعل في
مطلع تفسير قوله تعالى لعلكم تتقون في اوائل سورة البقرة قوله تعالى فاذا جاءتهم
الحسنة الخ بيان لعدم تذكرهم وتماديهم في الغي اي فاذا جاءتهم السعة والخصب وغيرهما
من الخيرات قالوا لنا هذه اي لاجلنا واستحقاقنا لها وان تصبهم سيئة اي
جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه اي يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابنا الا
بشؤمهم وهذا كما ترى شاهد بكمال قساوة قلوبهم ونهاية جهلهم وعنادهم فان
الشدائد ترقق القلوب وتلين العرائك لا سيما بعد مشاهدة الآيات وهم لم يكونوا
بحيث لم يؤثر فيهم شيء بل ازدادوا عتوا وعنادا وتعريف الحسنة وذكرها باداة التحقيق
للايذان بكثرة وقوعها وتعلق الارادة بها بالذات كما ان تنكير السيئة وايرادها بحرف
الشك للاشعار بندرة وقوعها وعدم تعلق الارادة بها الا بالعرض وقوله تعالى الا انما
طائرهم عند الله استئناف مسوق من جهته تعالى لرد مقالتهم الباطلة وتحقيق الحق في ذلك
وتصديره بكلمة التنبيه لابراز كمال العناية بمضمونه اي ليس سبب خيرهم وشرهم الا عنده
تعالى وهو حكمته ومشيئته المتضمنة للحكم والمصالح او ليس سبب شؤمهم وهو اعمالهم السيئة
الا عنده تعالى اي مكتوبة لديه فانها التي ساقت اليهم ما يسوءهم لا ما عداها وقرئ انما
طيرهم وهو اسم جمع طائر وقيل جمع له ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك فيقولون ما يقولون
مما حكي عنهم واسناد عدم العلم الى اكثرهم للاشعار بان بعضهم يعلمون ان ما اصابهم من الخير
والشر من جهة الله تعالى او يعلمون ان ما اصابهم من المصائب والبلايا ليس الا بما كسبت
ايديهم ولكن لا يعملون بمقتضاه عنادا واستكبارا وقالوا شروع في بيان بعض ما
اخذ به آل فرعون من فنون العذاب التي هي في انفسها آيات بينات وعدم ارعوائهم
مع ذلك عما كانوا عليه من الكفر والعناد اي قالوا بعد ما رأوا من شأن العصا والسنين
ونقص الثمرات مهما تأتنا به كلمة مهما تستعمل للشرط والجزاء واصلها ما الجزائية
ضمت اليها ما الشرطية ومحلها الرفع بالابتداء او النصب بفعل يفسره ما بعدها اي اي شيء

تظهره

تظهره لدينا وقوله تعالى من آية بيان لمهما وتسميتهم اياها آية لمجاراتهم على زعم موسى عليه السلام
والاستهزاء بها والاستعداد بان عنوان كونها آية لا يؤثر فيهم وقوله لتسحرنا بها الخ اظهار
لكمال الطغيان والغلو فيه وتسمية الارشاد الى الحق بالسحر تسكينا لانفسهم والضميران
المجروران راجعان الى مهما وتذكير الاول لمراعاة جانب اللفظ لابهامه وتانيث الثاني لمراعاة
جانب المعنى لتبيينه باية كما في قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما
يمسك فلا مرسل له فما نحن لك بمؤمنين بمصدقين لك ومؤمنين لنبوتك فارسلنا
عليهم عقوبة لجرائمهم لا سيما لقولهم هذا الطوفان اي الماء الذي طاف بهم وغشي اماكنهم
وحروثهم من مطر او سيل وقيل هو الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل
قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها والضفادع والدم روي انهم مطروا
ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يستطيع احد ان يخرج من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا
فيه الى تراقيهم ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منه قطرة وفاض الماء على
ارضهم وركد فمنعهم من الحرث والتصرف ودام ذلك سبعة ايام فقالوا لموسى عليه السلام ادع لنا ربك
يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم فنبت من العشب والكلأ ما لم يعهد مثله
ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكل زروعهم وثمارهم وسقوفهم وثيابهم ففزعوا اليه عليه السلام
كما ذكر فخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت
منها فلم يؤمنوا فسلط الله تعالى عليهم القمل فاكل ما ابقاه الجراد وكان يقع في اطعمتهم ويدخل
بين ثيابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن
انك ساحر ثم ارسل الله تعالى عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت
فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي والى افواههم عند التكلم
ففزعوا اليه وتابوا وتضرعوا فاخذ عليهم العهود فدعا فكشف الله تعالى عنهم فنقضوا
العهد فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي والاسرائيلي
على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي ماء على حاله ويمص من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه
وقيل سلط الله عليهم الرعاف آيات حال من المذكورات مفصلات مبينات
لا تشكل على عاقل انها آيات الله تعالى ونقمته وقيل مفرقات بعضها من بعض لامتحان
احوالهم وكان بين كل اثنتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة منها اسبوعا وقيل انه
عليه السلام لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل فاستكبروا اي عن
الايمان بها وكانوا قوما مجرمين جملة معترضة مقررة لمضمون ما قبلها ولما وقع
عليهم الرجز اي العذاب المذكور على التفصيل فاللام للجنس المنتظم لكل واحد من الآيات المفصلة اي كلما
وقع عليهم عقوبة من تلك العقوبات قالوا في كل مرة يا موسى ادع لنا ربك بما عهد
عندك اي بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهده اليك ان تدعوه فيجيبك كما
اجابك في آياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد
عندك او متعلق بمحذوف مثل اسعفنا الى ما نطلب بحق ما عندك او قسم اجيب بقوله تعالى
لئن كشفت عنا الرجز الذي وقع علينا لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل اي اقسمنا

بما عهد عندك لئن كشفت الخ فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان
هم بالغوه فمعذبون بعده او هالكون اذا هم ينكثون جواب لما اى فلما كشفنا عنهم فاجاوا
النكث من غير تامل وتوقف فانتقمنا منهم اى فاردنا ان ننتقم منهم لما اسلفوا من
المعاصى والجرائم فان قوله تعالى فاغرقناهم عين الانتقام منهم فلا يصح دخول الفاء بينهما
ويجوز ان يكون المراد مطلق الانتقام والفاء تفسيرية كما فى قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال
رب الخ فاغرقناهم فى اليم اى البحر الذى لا يدرك قعره وقيل فى لجته بانهم كذبوا باياتنا
وكانوا عنها غافلين تعليل للاغراق اى كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بايات الله تعالى واعراضهم
عنها وعدم تفكرهم فيها بحيث صاروا كالغافلين عنها بالكلية والفاء وان دلت على ترتب
الاغراق على ما قبله من النكث لكن صرح بالتعليل ايذانا بان مدار جميع ذلك تكذيب ايات
الله تعالى والاعراض عنها ليكون ذلك مزجرة للسامعين عن تكذيب الايات الظاهرة على يد رسول
الله صلى الله عليه وسلم والاعراض عنها واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون اى
بالاستعباد وذبح الابناء والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على استمرار الاستضعاف
وتجدده وهم بنو اسرائيل ذكروا بهذا العنوان اظهارا لكمال لطفه تعالى بهم وعظيم احسانه
اليهم فى رفعهم من حضيض المذلة الى اوج العزة مشارق الارض ومغاربها اى
جانبيها الشرقى والغربى حيث ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا فى اكنافها
الشرقية والغربية كيف شاؤا وقوله تعالى التى باركنا فيها اى بالخصب وسعة الارزاق
صفة للمشارق والمغارب وقيل للارض وفيه ضعف للفصل بين الصفة والموصوف بالمعطوف
كما فى قولك قام ام هند وابوها العاقلة وتمت كلمة ربك الحسنى وهى وعده
تعالى اياهم بالنصرة والتمكين كما ينبئ عنه قوله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض
ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين وقرئ كلمات لتعدد المواعيد ومعنى تمت مضت واستمرت على
بنى اسرائيل بما صبروا اى بسبب صبرهم على الشدائد التى كابدوها من جهة فرعون وقومه
ودمرنا اى خربنا واهلكنا ما كان يصنع فرعون وقومه من العمارات والقصور اى
ودمرنا الذى كان فرعون يصنعه على ان فرعون اسم كان ويصنع خبر مقدم والجملة الكونية
صلة ما والعائد محذوف وقيل اسم كان ضمير عائد الى ما الموصولة ويصنع مسند الى فرعون
والجملة خبر كان والعائد محذوف ايضا والتقدير ودمرنا الذى كان هو يصنعه فرعون
الخ وقيل كان زائدة وما مصدرية والتقدير ما يصنع فرعون الخ وقيل كان زائدة
كما ذكر وما موصولة اسمية والعائد محذوف والتقدير ودمرنا الذى يصنعه فرعون الخ اى صنعه
والعدول الى صيغة المضارع على هذين القولين لاستحضار الصورة وما كانوا يعرشون من
الجنات او ما كانوا يرفعونه من البنيان كصرح هامان وقرئ يعرشون بضم الراء والكسر افصح
وهذا اخر قصة فرعون وقومه وقوله عز وجل وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر
شروع فى قصة بنى اسرائيل وشرح ما احدثوه من الامور الشنيعة بعد ان انقذهم الله عز وجل
من ملكة فرعون ومن عليهم من النعم العظام الموجبة للشكر واراهم من الايات الكبار
ما تخر له الجبال تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن

محاسبة انفسهم وطى احوالهم وجاوز بمعنى جاز وقرئ جوزنا بالتشديد وهو ايضا بمعنى
جاز معدى بالباء اى قطعنا بهم البحر روى انه عبر بهم موسى عليه السلام يوم عاشوراء بعدما اهلك
الله تعالى فرعون وقومه فصاموه شكرا لله تعالى فاتوا اى مروا على قوم قيل كانوا من لخم
وقيل من العمالقة الكنعانيين الذين امر موسى عليه السلام بقتالهم يعكفون على اصنام لهم اى
يواظبون على عبادتها ويلازمونها وقرئ بكسر الكاف قال ابن جريج كانت اصنامهم
تماثيل بقر وهو اول شان العجل قالوا عندما شاهدوا احوالهم يا موسى اجعل لنا
الها مثالا نعبده كما لهم الهة الكاف متعلقة بمحذوف وقع صفة لـ
الها وما موصولة ولهم صلتها والهة بدل من ما والتقدير اجعل لنا الها كائنا كالذى
استقر هو لهم قال انكم قوم تجهلون تعجب عليه السلام من قولهم هذا اثر ما شاهدوا
من الاية الكبرى والمعجزة العظمى ووصفهم بالجهل المطلق اذ لا جهل اعظم مما
ظهر منهم واكده بقوله ان هؤلاء يعنى القوم الذين يعبدون تلك التماثيل متبر اى
مدمر مكسر ما هم فيه اى من الدين الباطل اى يتبر الله تعالى ويهدم دينهم الذى
هم عليه عن قريب ويحطم اصنامهم ويتركها رضاضا وانما جئ بالجملة الاسمية للدلالة على
التحقيق وباطل اى مضمحل بالكلية ما كانوا يعملون من عبادتها وان كان
قصدهم بذلك التقرب الى الله تعالى فانه كفر محض وليس هذا كما فى قوله وقدمنا الى ما عملوا
من عمل فجعلناه هباء منثورا كما توهم فان المراد بها اعمال البر التى عملوها فى الجاهلية
فانها فى انفسها حسنات لو قارنت الايمان لاستتبعت اجورها وانما بطلت لمقارنتها
الكفر وفى ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم الخبر من الجملة الواقعة خبرا لها
وسم لعبدة الاصنام بانهم هم المعرضون للتبار وانه لا يعدوهم البتة وانه لهم ضربة
لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض اليهم ما احبوا قال اغير الله ابغيكم الها
شروع فى بيان شؤون الله تعالى الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى بعد بيان ان ما
طلبوا عبادته مما لا يمكن طلبه اصلا لكونه هالكا باطلا ولذلك وسط بينهما
قال مع كون كل منهما كلام موسى عليه السلام والاستفهام للانكار والتعجب والتوبيخ وادخال
الهمزة على غير للايذان بان المنكر هو كون المبغى غيره تعالى الها لا اختصاص الانكار
بغيره تعالى دون انكار الاختصاص بغيره وانتصاب غير على انه مفعول ابغى بحذف
اللام اى ابغى لكم اى اطلب لكم غير الله تعالى والها اما تمييز او حال او على الحالية
من الها ومفعول ابغى على ان الاصل ابغى لكم الها غير الله فغير الله صفة لا
لها فلما قدمت صفة النكرة انتصبت حالا وهو فضلكم على العالمين اى والحال
انه تعالى خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على ما صنعوا من سوء المعاملة حيث
قابلوا تخصيص الله تعالى اياهم من بين امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان عمدوا الى
تخصيص شئ من مخلوقاته تعالى فجعلوه شريكا له تعالى تبارك وتعالى واذ انجيناكم
تذكير لهم من جهته سبحانه بنعمة الانجاء من ملكة فرعون وقرئ انجاكم من المنجية
وقرئ نجاكم فيكون مسوقا من قبل موسى عليه السلام اى واذكروا وقت انجائنا اياكم

من آل فرعون من ملكهم لا بمجرد تخليصكم من ايديهم وهم على حالهم في المملكة والقدرة
بل باهلاكهم بالكلية وقوله تعالى يسومونكم سوء العذاب من سامه خسفا اي
اولاه اياه او كلفه اياه وهو اما استيناف لبيان ما انجاهم منه او حال من المخاطبين او من
آل فرعون او منهما معا لاشتماله على ضميريهما وقوله تعالى يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم
بدل من يسومونكم مبين او مفسر له وفي ذلكم الانجاء او سوء العذاب بلاء اي نعمة
او محنة من ربكم من مالك امركم فان النعمة والمحنة كلتاهما منه سبحانه وتعالى عظيم
لا يقادر قدره وواعدنا موسى ثلثين ليلة روي ان موسى عليه السلام وعد بني اسرايل
وهم بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما
هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلثين وهو شهر ذي القعدة فلما اتم
الثلثين انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملايكة كنا نشم من فيك رايحة المسك فافسدته
بالسواك وقيل اوحى الله تعالى اليه اما علمت ان ريح فم الصايم اطيب عندي من ريح المسك
فامره الله تعالى بان يزيد عليها عشرة ايام من ذي الحجة لذلك وذلك قوله تعالى واتممناها
بعشر والتعبير عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقيل امره الله تعالى بان يصوم ثلثين يوما
وان يعمل فيها بما يقربه من الله تعالى ثم انزلت عليه التورية في العشر وكلم فيها وقد اجمل
ذكر الاربعين في سورة البقرة وفصل ههنا وواعدنا بمعنى وعدنا وقد قرئ كذلك
وقيل الصيغة على بابها بناء على تنزيل قبول موسى عليه السلام منزلة الوعد وثلثين مفعول ثان
لواعدنا بحذف المضاف اي اتمام ثلثين ليلة فتم ميقات ربه اربعين ليلة اي
بالغا اربعين ليلة وقال موسى لاخيه هرون حين توجه للمناجاة حسبما امر به
اخلفني اي كن خليفتي في قومي وراقبهم فيما يأتون وما يذرون واصلح ما يجب
الاصلاح من امورهم او كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين اي لا تتبع من سلك الافساد
ولا تطع من دعاك اليه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص
اي اختص مجيئه بميقاتنا وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملايكة عليهم السلام
وفيما روي انه عليه السلام كان يسمع ذلك من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه عز
وجل ليس من جنس كلام المحدثين قال رب ارني انظر اليك اي ارني ذاتك
بان تمكنني من رؤيتك او تتجلى لي فانظر اليك واراك وهو دليل على ان رؤيته تعالى
جايزة في الجملة لما ان طلب المستحيل مستحيل من الانبياء لا سيما ما يقتضي الجهل بشؤون الله
عز وجل ولذلك رده بقوله لن تراني دون لن ارى ولن اريك ولن تنظر الي تنبيها على
انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي ولم يوجد فيه ذلك بعد وجعل السؤال
لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطاء اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان
يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل ذلك حين قالوا اجعل لنا الها وان لا يتبع سبيلهم
كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطاء
اذ لا يدل الاخبار بعدم رؤيته اياه على ان لا يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا
ان يدل على استحالتها ودعوى الضرورة مكابرة او جهل بحقيقة الرؤية قال استيناف مبني

على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل فماذا قال رب العزة حين قال موسى عليه السلام ما قال فقيل
قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني استدراك لبيان انه
لا يطيقه وفي تعليقها باستقرار الجبل ايضا دليل على الجواز ضرورة ان المعلق بالممكن ممكن
والجبل قيل هو جبل اردن فلما تجلى ربه للجبل اي ظهر له عظمته وتصدى
له اقتداره وامره وقيل اعطى الجبل حيوة ورؤية حتى رآه جعله دكا مدكوكا مفتتا
والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرئ دكاء اي ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء التي
لا سنام لها وقرئ دكا جمع دكاء اي قطعا وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول
ما رآه فلما افاق الافاقة رجوع العقل والفهم الى الانسان بعد ذهابهما بسبب من
الاسباب قال تعظيما لما شاهده سبحانك اي تنزيها لك من ان اسألك شيئا
بغير اذن منك تبت اليك اي من الجرأة على الاقدام بغير اذن في السؤال وانا اول
المؤمنين اي بعظمتك وجلالك وقيل اول من آمن بانك لا ترى في الدنيا وقيل
انه لا يجوز السؤال بغير اذن منك قال يا موسى استيناف مسوق لتسليته عليه السلام
من عدم الاجابة الى سؤال الرؤية كأنه قيل ان منعتك الرؤية فقد اعطيتك من النعم
العظام ما لم اعط احدا من العالمين فاغتنمها وثابر على شكرها اني اصطفيتك
اي اخترتك واتخذتك صفوة وآثرتك على الناس اي المعاصرين لك وهرون
وان كان نبيا كان مأمورا باتباعه وما كان كليما ولا صاحب شرع برسالاتي اي
باسفار التورية وقرئ برسالتي وبكلامي وبتكليمي اياك بغير واسطة فخذ ما
آتيتك اي اعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على ما اعطيت
من جلايل النعم قيل كان سؤال الرؤية يوم عرفة واعطاء التورية يوم النحر وكتبنا له
في الالواح من كل شيء اي مما يحتاجون اليه من امور دينهم موعظة وتفصيلا لكل شيء بدل
من الجار والمجرور اي كتبنا له كل شيء من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف في عدد
الالواح وفي جوهرها ومقدارها فقيل كانت عشرة الواح وقيل سبعة وقيل لوحين
وانها كانت من زمردة جاء بها جبريل عليه السلام وقيل من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء
وقيل امر الله موسى بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده وشققها باصابعه وعن
الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التورية وان طولها كان عشرة اذرع وقيل
انزلت التورية وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها الا اربعة نفر موسى
ويوشع وعزير وعيسى عليهم السلام وعن مقاتل كتب في الالواح اني انا الله الرحمن الرحيم
لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها على اضمار
قول معطوف على كتبنا اي فقلنا خذها بقوة بجد وعزيمة وقيل هو بدل من قوله
تعالى فخذ ما آتيتك والضمير للالواح او لكل شيء لانه بمعنى الاشياء او للرسالات او للتورية
وامر قومك يأخذوا باحسنها اي باحسن ما فيها كالعفو والصبر بالاضافة الى الانتصار
والاقتصاص وكالاقتصار على طريقة الندب والحث على اختيار الافضل كما في قوله تعالى
واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم او بواجباتها فانها احسن من المباح وقيل المعنى يأخذوا

ها ولصحة جميعها لسننه قطعا اى بحسنها وكلها حسن كقوله تعالى ولذكر الله اكبر وقيل هو
ان تحمل الكلمة المحتملة لمعنيين او لمعان على اشبه محتملاتها بالحق واقربها الى الصواب
ساوريكم دار الفاسقين تلوين للخطاب وتوجيه له الى قومه عليه السلام بطريق
الالتفات حملا لهم على الجد في الامتثال بما امروا به اما على نهج الوعيد والترهيب على ان المراد بدار
الفاسقين ارض مصر وديار عاد وثمود واضرابهم فان رؤيتها وهي خالية عن اهلها
خاوية على عروشها موجبة للاعتبار والانزجار عن مثل اعمال اهلها كيلا يحل بهم ما حل باولئك
واما على نهج الوعد والترغيب على ان المراد بدار الفاسقين اما ارض مصر خاصة
او مع ارض الجبابرة والعمالقة بالشام فانها ايضا مما اتيح لبني اسرائيل وكتب لهم حسبما
ينطق به قوله عز وجل يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ومعنى الاراءة
الادخال بطريق الايراث ويؤيده قراءة من قرأ سأورثكم بالثاء المثلثة كما في قوله تعالى واورثنا
القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ سأوريكم ولعله
من اوريت الزناد اى سابينها لكم قوله تعالى ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في
الارض استيناف مسوق لتحذيرهم عن التكبر الموجب لعدم التفكر في الآيات التي هي
ما كتبت في الالواح المتوسمة بما ذكر من المواعظ والاحكام او ما يعمها وغيرها من الآيات التكوينية
التي من جملتها ما وعد اراءته من دار الفاسقين ومعنى صرفهم عنها الطبع على قلوبهم بحيث لا
يكادون يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها لاصرارهم على ما هم عليه من التكبر والتجبر كقوله تعالى فلما
زاغوا ازاغ الله قلوبهم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء
بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ان في المؤخر نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف
النظم الجليل اى ساطبع على قلوب الذين يعدون انفسهم كبراء ويرون لهم على الخلق مزية وفضلا
فلا يتفكرون بآياتي التنزيلية والتكوينية ولا ينتفعون بها تمام انتفاعها فلا تسلكوا مسالكهم
لتكونوا امثالهم وقيل المعنى ساصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون
في ابطال ما رآه من الآيات فابى الله الا احقاق الحق وازهاق الباطل وعلى هذا فالانسب
ان يراد بدار الفاسقين ارض الجبابرة والعمالقة المشهورين بالفسق والتكبر في الارض
وبايراثها المخاطبين ادخالهم الشام واسكانهم في مساكنهم ومنازلهم حسبما نطق به قوله
تعالى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ويكون قوله تعالى ساصرف عن اياتي
الخ جوابا عن سؤال مقدر ناشئ من الوعد بادخال الشام على ان المراد بالآيات ما يلي
انفا فنظائره ويتضمن عنه ان الهم عن مقام معارضتها او منعها لوقوع اخبارها وظهور
احكامها وآثارها باهلاكهم على يدي موسى عليه السلام حسبما بعث المرسل من بني اسرائيل او
بدونهم على اختلاف الروايتين الى اريحا ويوشع بن نون في مقدمته ففتحها واستوطنوا
بنو اسرائيل بالشام وملكوا مشارقها ومغاربها كانه قيل كيف يرون دارهم وهم فيهم مثل ما لهم
وانما عدل الى الصرف ليزدادوا ثقة بالآيات واطمئنانا بها وقوله تعالى بغير الحق اما
صلة للتكبر اى يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل وظلمهم المفرط او متعلق بمحذوف
هو حال من فاعله اى يتكبرون متلبسين بغير الحق وقوله تعالى وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها
عطف على يتكبرون داخل معه في حكم الصلة والمراد بالآية اما المنزلة فالمراد برؤيتها مشاهدتها بسماعها او ما يعمها وغيرها من المعجزات فالمراد
برؤيتها مطلق المشاهدة المنتظمة للسماع والابصار اى وان يشاهدوا كل آية من الآيات لا يؤمنوا بها على عموم النفي لا على نفي العموم

اى عطف

اى كفروا بكل واحدة منها لعدم اجتلائهم اياها كما هي وهذا كما ترى يؤيد كون الصرف بمعنى الطبع وقوله تعالى وان يروا سبيل الرشد
عطف على ما قبله داخل في حكمه اى لا يتوجهون الى الحق ولا يسلكون سبيله اصلا لاستيلاء الشيطنة
عليهم ومطبوعيتهم على الانحراف والزيغ وقرئ بفتحتين وقرئ الرشاد وثلاثتها لغات كالسقم
والسقم والسقام وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا اى يختارونه لانفسهم مسلكا
مستمرا لا يكادون يعدلون عنه لموافقته لاهوائهم الباطلة وافضائه بهم الى شهواتهم ذلك
اشارة الى ما ذكر من تكبرهم وعدم ايمانهم بشيء من الآيات واعراضهم عن سبيل الرشد واقبالهم
التام الى سبيل الغي وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بانهم اى حاصل بسبب انهم كذبوا بآياتنا
الدالة على بطلان ما اتصفوا به من القبائح وعلى حقية اضدادها وكانوا عنها غافلين
لا يتفكرون فيها والا لما فعلوا ما فعلوا من الاباطيل ويجوز ان يكون اشارة الى ما ذكر من الصرف
ولا يمنعه الاشعار بعلية ما في حيز الصلة له لان مدار ذلك في قوله هنا ذلك بما عصوا
الاية يجوز ان يكون اشارة الى الذلة والمسكنة والبوء بالغضب لتقطيع كون ذلك
معللا بالكفر بآيات الله صريحا وقيل محل اسم الاشارة النصب على المصدر اى ساصرفهم ذلك الصرف
بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة اى بلقائهم الدار الآخرة
او لقائهم ما وعده الله تعالى في الآخرة من الجزاء ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله تعالى
حبطت اعمالهم خبره اى ظهر بطلان اعمالهم التي كانوا عملوها من صلة الارحام واغاثة
الملهوفين ونحو ذلك او حبطت بعدما كانت مرجوة النفع على تقدير ايمانهم بها هل يجزون
اى لا يجزون الا ما كانوا يعملون اى الا جزاء ما كانوا يعملونه من الكفر والمعاصي
واتخذ قوم موسى من بعده اى من بعد ذهابه الى الطور من حليهم متعلق
باتخذ كالجار الاول لاختلاف معنييهما فان الاول للابتداء والثاني للتبعيض او البيان او
الثاني متعلق بمحذوف وقع حالا مما بعده اذ لو تأخر لكان صفة له واضافة الحلي اليهم
مع انها كانت للقبط لانها في ايديهم حيث كانوا استعاروها من اربابها قبيل الغرق
فبقيت في ايديهم واما انهم ملكوها بعد الغرق فذلك منوط بملك بني اسرائيل غنائم القبط
وهم مستأمنون فيما بينهم فلا ينافيه قوله حملنا اوزارا من زينة القوم والحلي بضم الحاء
وكسر اللام جمع حلي كثدي وثدي وقرئ بكسر الحاء بالاتباع كدلي وقرئ حليهم على الافراد
وقوله تعالى عجلا مفعول اتخذ اخر عن المجرور لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق
الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب النظم الكريم وقيل هو متعد الى
اثنين بمعنى التصيير والمفعول الثاني محذوف اى الها وقوله جسدا بدل من عجلا اى
جثة ذا دم ولحم او جسدا من ذهب لا روح فيه وقوله تعالى له خوار اى صوت بقر
وقرئ بالجيم والهمزة وهو الصياح نعت لعجلا روي ان السامري لما صاغ العجل القى
في فمه ترابا من اثر فرس جبريل عليه السلام وكان اخذه عند فلق البحر او عند توجهه الى الطور فصار
حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح في جوفه فيصوت والاسناد في سورة طه
هو الاول وانما نسب اتخاذه اليهم وهو فعله اما لانه واحد منهم واما لانهم رضوا به
فكأنهم فعلوه واما ان المراد باتخاذهم اياه الها لا صنعه واحداثه الم يروا انه لا يكلمهم
استيناف مسوق لتقريعهم وتشنيعهم وتركيك عقولهم وتسفيههم فيما اقدموا من المنكر

الذي هو اتخاذه الهاً اي الم يروا انه ليس فيه شي من احكام الالوهية حيث لا يكلمهم ولا يهديهم
سبيلا بوجه من الوجوه فكيف اتخذوه الها وقوله تعالى اتخذوه اي اقدموا على ذلك
وكانوا ظالمين اي واضعين للاشياء في غير مواضعها فلم يكن هذا اول منكر فعلوه
والجملة اعتراض تذييلي وتكرير اتخذوه لتثنية التشنيع وترتيب الاعتراض عليه ولما
سقط في ايديهم اي ندموا على ما فعلوا غاية الندم فان ذلك كناية عنه لان النادم المتحسر
يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على البناء للفاعل بمعنى وقع العض فيها
فاليد حقيقة وقال الزجاج معناه سقط الندم في انفسهم اما بطريق الاستعارة بالكناية
او بطريق التمثيل ورأوا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل اي تبينوا بحيث تيقنوا بذلك حتى
كانهم رأوه باعينهم وتقديم ذكر ندمهم على هذه الرؤية مع كونه متاخرا عنها للمسارعة الى
بيانه والاشعار بغاية سرعته كانه سابق على الرؤية قالوا والله لئن لم يرحمنا ربنا
بانزال التوبة المكفرة ويغفر لنا ذنوبنا بالتجاوز عن خطيئتنا وتقديم الرحمة على
المغفرة مع ان التخلية حقها ان تقدم على التحلية اما للمسارعة الى ما هو المقصود الاصلي
وان المراد بالرحمة مطلق ارادة الخير بهم وهو مبدأ لانزال التوبة المكفرة لذنوبهم واللام
لتي موطئة للقسم كما اشير اليه وقوله تعالى لنكونن من الخاسرين جواب القسم
وما حكي عنهم من الندامة والرؤية والقول وان كان بعد ما رجع موسى عليه السلام اليهم كما ينطق
به الآيات الواردة في سورة طه لكن اريد بتقديمه عليه حكاية ما صدر عنهم من
القول والفعل في موضع واحد ولما رجع موسى الى قومه شروع في بيان ما جرى من
موسى عليه السلام بعد رجوعه من الميقات اثر بيان ما وقع من قومه بعده من قوله تعالى غضبان
اسفا حالان من موسى عليه السلام او الثاني من المستكن في غضبان والاسف الشديد
الغضب وقيل الحزين قال بئسما خلفتموني من بعدي اي بئسما فعلتم من بعدي
حيث عبدتم العجل بعد ما رأيتم فعلي من توحيد الله تعالى ونفي الشركاء عنه واخلاص العبادة
له او من حملكم على ذلك وكفكم عما طمحت نحوه ابصاركم حين قالوا اجعل لنا الها كما لهم الهة
ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف فالخطاب للعبدة من السامري واشياعه او لهرون بسيما
ثم تعامى ولم تتوقع عهدي حيث لم تكفوا العبدة عما فعلوا فالخطاب لهرون ولمن
معه من المؤمنين كما ينبئ عنه قوله تعالى قال يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا الا تتبعني
افعصيت امري ويجوز ان يكون الخطاب للكل على ان المراد بالخلفية ما يعم الامرين
المذكورين وما نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بئس المستكن فيه والمخصوص بالذم محذوف
تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم اعجلتم امر ربكم اي تركتموه
غير تام على تضمين عجل معنى سبق يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام واعجلتم وعد ربكم الذي
وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي فغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم والقى
الالواح طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر حمية للدين وروي ان التوراة كانت سبعة
اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفعت ستة اسباعها كان فيها تفصيل كل شيء
وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام واخذ براس اخيه بشعر راسه عليهما السلام

يجره اليه حال من ضمير اخذ تسلطا عليه لما توهم انه قصر في كفهم وهرون كان اكبر منه عليه السلام
بثلث سنين وكان حمولا لينا لذلك كان احب الى بني اسرائيل قال اي هرون مخاطبا لموسى
عليهما السلام ابن ام بحذف حرف النداء وتخصيص الام بالذكر مع كونهما شقيقين لما ان حق
الام اعظم واحق بالمراعاة مع انها كانت مؤمنة وقد قاست فيه المخاوف والشدائد وقرئ
بكسر الميم باسقاط الياء تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء وقرئ بالفتح لزيادة التخفيف وتشبيهه
بخمسة عشر ان القوم استضعفوني ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت الجهد
في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا ان يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء اي فلا تفعل بي ما يكون
سببا لشماتتهم بي ولا تجعلني مع القوم الظالمين اي معدودا في عدادهم بالمؤاخذة او بنسبة
التقصير وهذا يؤيد كون الخطاب للكل اولا لتعتقد اني واحد من الظالمين مع براءتي منهم
ومن ظلمهم قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية اعتذار هرون عم كانه قيل فماذا قال
موسى عم عند ذلك فقيل قال رب اغفر لي اي ما فعلت باخي من قبيل ما مر من
قبله ولاخي ان فرط في كفهم عما فعلوه من العظيمة استغفر عليه السلام لنفسه ليرضي
اخاه ويظهر للشامتين رضاه لئلا تتم شماتتهم به ولاخيه للايذان بانه محتاج الى الاستغفار
حيث كان يجب عليه ان يقاتلهم وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام بعد غفران ما سلف
منا وانت ارحم الراحمين فلا غرو في انتظامنا في سلك رحمتك الواسعة في الدنيا
والآخرة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ان الذين اتخذوا العجل اي استمروا على اتخاذه
واستمروا على عبادته كالسامري واشياعه من الذين اشربوه في قلوبهم كما يفصح عنه كون الموصول
الثاني عبارة عن التائبين فان ذلك صريح في ان الموصول الاول عبارة عن المصرين سينالهم
اي في الآخرة غضب اي عظيم لا يقادر قدره مستتبع لفنون العقوبات لما ان جريمتهم
اعظم الجرائم واقبح الجنايات وقوله تعالى من ربهم اي مالكهم متعلق بينالهم او بمحذوف هو نعت
لغضب مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائن من ربهم
وذلة في الحيوة الدنيا هي ذلة الاغتراب التي تضرب بها الامثال والمسكنة
المنتظمة لهم ولاولادهم جميعا والذلة التي اختص بها السامري من الانفراد عن الناس والابتلاء
بلا مساس روي ان بقاياهم اليوم يقولون ذلك واذا مس احدهم احد غيرهم حما جميعا في الوقت
وايراد ما نالهم في حيز السين مع مضيه بطريق تغليب حال الاخلاف على حال الاسلاف
وقيل المراد بهم التائبون وبالغضب ما امروا به من قتل انفسهم واعتذر عن السين بان
ذلك حكاية عما اخبر الله تعالى به موسى عليه السلام حين اخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل
بانه سينالهم غضب من ربهم وذلة فيكون سابقا على الغضب وانت خبير بان سياق
النظم الكريم وسياقه نابيان عن ذلك نبوا ظاهرا كيف لا وقوله تعالى وكذلك نجزي
المفترين ناد على خلافه فانهم شهداء تائبون فكيف يمكن وصفهم بعد ذلك بالافتراء
وايضا ليس جزاء الله تعالى كل المفترين بقتل انفسهم التي ظاهره قتل وباطنه لطف ورحمة
وقيل المراد ابناؤهم المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان تعيير الابناء بافاعيل الآباء
مشهور معروف منه قوله تعالى واذ قتلتم نفسا الآية وقوله تعالى واذ قلتم يا موسى الآية

وقرئ فلا تشمت بي
فلا تشمت بي الاعداء

والمراد بالغضب الخزي وبالذلة ما اصابهم من القتل والاجلاء وضرب الجزية عليهم
وقيل المراد بالموصول المتخذون حقيقة وبالضمير في سينالهم اخلافهم ولا ريب في ان توسيط
حال هؤلاء في تضاعيف بيان حال المتخذين من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه والذين عملوا
السيئات اي سيئة كانت ثم تابوا عن تلك السيئات من بعدها اي من بعد عملها
وآمنوا ايمانا صحيحا خالصا واشتغلوا باقامة ما هو من مقتضياته من الاعمال الصالحة ولم
يصروا على ما فعلوا كالطائفة الاولى ان ربك من بعدها اي من بعد تلك التوبة المقرونة بالايمان
لغفور للذنوب وان عظمت وكثرت رحيم مبالغ في افاضة فنون الرحمة الدنيوية والاخروية
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للتشريف ولما سكت عن
موسى الغضب شروع في بيان بقية الحكاية اثر ما بين تحزب القوم الى مصر وتائب والاشارة
اليهما اجمالا اي لما سكن عنه الغضب باعتذار اخيه وتوبة القوم وهذا صريح في ان
ما حكى عنهم من الندم وما يتفرع عليه كان بعد مجيء موسى عليه السلام وفي هذا النظم الكريم من
البلاغة والمبالغة بتنزيل الغضب الحامل له عليه السلام على ما صدر عنه من الفعل والقول منزلة
الآمر بذلك المغري عليه بالتحكم والتشديد والتعبير عن سكونه بالسكوت ما لا يخفى وقرئ سكن
وسكت واسكت على ان الفاعل هو الله تعالى او اخوه او التائبون اخذ الالواح التي القاها
وفي نسختها اي فيما نسخ فيها وكتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من
الالواح المنكسرة هدى اي بيان للحق ورحمة للخلق بارشادهم الى ما فيه الخير والصلاح
للذين هم لربهم يرهبون اللام الاولى متعلقة بمحذوف وهو صفة لرحمة اي كائنة
لهم او هي لام الاجل اي هدى ورحمة لاجلهم والثانية لتقوية عمل الفعل المؤخر كما في قوله تعالى
ان كنتم للرؤيا تعبرون او هي ايضا لام العلة والمفعول محذوف اي يرهبون المعاصي
لاجل ربهم لا للرياء والسمعة واختار موسى قومه شروع في بيان كيفية استدعاء
التوبة وكيفية وقوعها واختار يتعدى الى الثاني بنفسه مجرور بمن اي اختار من قومه بحذف
الجار وايصال الفعل المجرور كما في قوله اخترتك الناس اذ رثت خلائقهم واعتل
من كان يرجى عنده السؤل اي اخترتك من الناس سبعين رجلا مفعول اول لاختار
اخر عن الثاني لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر لميقاتنا الذي
وقتناه بعدما وقع من قومه ما وقع لا لميقات الكلام الذي ذكر قبل ذلك كما قيل ان
السحابة وامره تعالى بان يأتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه تعالى من عبادة
العجل ووعدهم موعدا فاختار موسى عليه السلام من قومه سبعين رجلا وقال محمد بن اسحق
اختارهم ليتوبوا الى الله تعالى مما صنعوا ويسألوه التوبة على من تركوهم وراءهم من قومهم
قالوا اختار عليه السلام من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا
فقال عليه السلام ان لمن قعد مثل اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين
وامرهم ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم فخرج بهم الى طور سيناء فلما دنوا من الجبل
غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه تعالى وهو يكلم موسى يأمره وينهاه
حسبما شاء وهو الامر بقتل انفسهم توبة فلما اخذتهم الرجفة بما اجترءوا عليه من

طلب الرؤية فانه يروى انه لما انكشف الغمام اقبلوا الى موسى عليه السلام وقالوا لن نؤمن لك
حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها اي ماتوا
ولعلهم ارادوا بقولهم لن نؤمن لك لن نصدقك في ان الامر بما سمعنا من الامر بقتل
انفسهم هو الله تعالى حتى نراه جهرة فاسندوا رؤيته تعالى على سماع كلامه قياسا فاسدا فيه
ثم شهد موسى عم تلك الحالة الهايلة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل اي حين فرطوا
في النهي عن عبادة العجل وما فارقوا عبدته حين شاهدوا اصرارهم عليها واياي ايضا حين
طلبت منك الرؤيا اي لو شئت اهلاكنا بذنوبنا لاهلكتنا وانما اراد عليه السلام تذكير العفو السابق
لاستجلاب العفو اللاحق فان الاعتراف بالذنب والشكر على النعمة مما يرتبط العتيد
ويستجلب المزيد يعني انا كنا مستحقين للاهلاك ولم يكن من موانع الاستئصال ايانا
حيث لطفت بنا وعفوت عنا تلك الجناية فلا عجب ان تعفو عنا هذه الجناية ايضا
وحمل الكلام على التمني ياباه قوله تعالى اتهلكنا بما فعل السفهاء منا اي الذين لا
يعلمون تفاصيل شؤونك ولا يتثبتون في المداحض الهمزة اما للانكار ووقوع الاهلاك
ثقة بلطفه سبحانه كما قاله ابن الانباري واما للاستعطاف كما قال المبرد اي لا تهلكنا
ان هي الا فتنتك استئناف مقرر لما قبله واعتذار عما صدر عنهم اي ما فتنتهم
اي بالفتنة التي وقع فيها السفهاء قالوا فيها ما قالوا من العظيمة الا فتنتك او محنتك
وابتلاؤك حيث اسمعتهم كلامك فافتتنوا بذلك ولم يتثبتوا فطمعوا فيما فوق ذلك
تابعين للقياس الفاسد وقوله تعالى تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء اما استئناف
مبين لحكم الفتنة او حال من فتنتك اي حال كونها مضلا بها الخ اي تضل بسببها من تشاء
اضلاله فلا يهتدي الى التثبت وتهدي من تشاء هدايته الى الحق فلا يتزلزل في امثالها
فيقوى بها ايمانه انت ولينا القائم اي القائم بامورنا الدنيوية والاخروية وناصرنا
وحافظنا لا غير فاغفر لنا ما قارفناه من المعاصي والفاء لترتيب الدعاء على ما
قبله من الولاية كانه قيل فمن شأن الولي المغفرة والرحمة وقيل ان اقدامه عليه السلام على
ان يقول ان هي الا فتنتك الخ جرأة عظيمة فطلب من الله تعالى غفرانها والتجاوز عنها
وارحمنا بافاضة آثار الرحمة الدنيوية والاخروية علينا وانت خير الغافرين اعتراض
تذييلي مقرر لما قبله من الدعاء وتخصيص المغفرة بالذكر لانها الاهم بالمقام واكتب
لنا اي عين لنا وقيل اوجب وحقق واثبت في هذه الدنيا حسنة اي نعمة وعافية او خصلة
حسنة قاله ابن عباس رضي الله عنهما ايلاو فادتنا وردنا بالمغفرة والرحمة وفي
الاخرة اي واكتب لنا فيها ايضا حسنة وهي المثوبة الحسنى والجنة انا هدنا اليك اي
تبنا ورجعنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بكسر الهاء من هاده يهيده اذا حركه او امال
ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى املنا انفسنا واملنا اليك ويجوز ان
تكون القراءة المشهورة على بناء المفعول على لغة من يقول عود المريض مع كونها لغة ضعيفة
مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل والجملة استئناف مسوق لتعليل الدعاء فان التوبة
مما يوجب قبوله بموجب الوعد المحتوم وتصديرها بحرف التحقيق لاظهار كمال النشاط والرغبة

في التوبة والمعنى انا تبنا ورجعنا عما صنعنا من المعصية العظيمة التي جئناك للاعتذار عنها
وعما وقع ههنا من طلب الرؤية فبعيد من لطفك وفضلك ان لا تقبل توبة التائبين قيل لما
اخذتهم الرجفة ماتوا جميعا فاخذ موسى عليه السلم يتضرع الى الله تعالى حتى احياهم وقيل رجفوا
وكادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف موسى عليه السلم فبكى فكشفها الله تعالى عنهم
قال استيناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل فماذا قال الله تعالى
عند دعاء موسى عليه السلم فقيل قال عذابي اصيب به من اشاء لعله عز وجل حين جعل
توبة عبدة العجل بقتلهم انفسهم ضمن موسى عليه السلم دعاءه التخفيف والتيسير حيث قال
واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة اي خصلة حسنة عارية عن المشقة والشدة فان في
قتل انفسهم من العذاب ما لا يخفى فاجاب تعالى بان عذابي شأنه ان اصيب به من اشاء
تعذيبه من دخل التوبة فيه وهم من تاب وانه مستحق ولذلك جعلت توبتهم مشوبة
بالعذاب الدنيوي ورحمتي وسعت كل شيء اي شأنها ان تسع في الدنيا المؤمن
والكافر بل كل ما يدخل تحت الشيء من المكلفين وغيرهم وقد نال قومك نصيبهم
في ضمن العذاب الدنيوي وفي نسبة الاصابة الى العذاب بصيغة المضارع ونسبة السعة
الى الرحمة بصيغة الماضي ايذان بان الرحمة مقتضى الذات واما العذاب فمقتضى معاصي
العباد والمشية معتبرة في جانب الرحمة ايضا وعدم التصريح بها للاشعار بغاية الظهور
الا ترى الى قوله تعالى فسأكتبها اي اثبتها واعينها فانه متفرع على اعتبار المشية كانه قيل
فاذا كان الامر كذلك اي كما ذكر من اصابة عذابي وسعة رحمتي لكل من اشاء فسأكتبها
كتبة خاصة كما دعوت بقولك واكتب لنا في هذه الخ اي ساكتبها خاصة غير مقرونة
بالعذاب الدنيوي للذين يتقون اي الكفر والمعاصي اما ابتداء او بعد ملابستها
وفيه تعريض بقومه كانه قيل لا لقومك لانهم غير متقين فكفيهم ما قدر لهم من الرحمة
وان كانت مقارنة للعذاب الدنيوي ويؤتون الزكوة وفيه ايضا تعريض بهم
حيث كانت الزكوة شاقة عليهم ولعل الصلاة انما لم تذكر مع انافتها على سائر العبادات
اكتفاء عنها بالاتقاء الذي هو عبارة عن فعل الواجبات باسرها وترك المنكرات عن اخرها
وايراد ايتاء الزكوة لما مر من التعريض والذين هم باياتنا جميعا يؤمنون ايمانا مستمرا
من غير اخلال بشيء منها وفيه تعريض بهم وبكفرهم بالايات العظام التي جاء بها موسى
عليه السلم وما سيجيء بعد ذلك من الايات البينات كتظليل الغمام وانزال المن والسلوى
ونحو ذلك وتكرير الموصول مع ان المراد به عين ما اريد بالموصول الاول دون ان يقال
ويؤمنون باياتنا عطفا على يؤتون الزكوة كما عطف هو على يتقون لما اشير اليه من القصر بتقديم
الجار والمجرور اي هم بجميع اياتنا يؤمنون لا ببعضها دون بعض الذين يتبعون الرسول الذي
نوحي اليه كتابا مختصا به النبي اي صاحب المعجزة وقيل عنوان الرسالة بالنسبة اليه تعالى وعنوان
النبوة بالنسبة الى الامة الامي بضم الهمزة نسبة الى الام كانه باق على حالته التي ولد عليها من
امه او الى امة العرب كما قال عليه السلم انا امة امية لا نكتب ولا نحسب او الى ام القرى وقرئ بفتح
الهمزة اي الذي لم يمارس القراءة والكتابة وقد جمع مع ذلك علوم الاولين والاخرين

والموصول بدل من الموصول الاول بدل الكل او منصوب على المدح او مرفوع عليه اي اعني الذين
او هم الذين او مبتدأ خبره يأمرون او اولئك هم المفلحون يجدونه اي الذي
يجدونه مكتوبا باسمه ونعوته بحيث لا يشكون انه هو ولذلك عدل عن ان يقال يجدون
اسمه او وصفه مكتوبا عندهم زيد هذا لزيادة التقرير وان شأنه عليه السلم حاضر عندهم
لا يغيب عنهم اصلا في التورية والانجيل اللذين تعبد بهما بنو اسرائيل سابقا ولاحقا
والظرفان متعلقان بيجدونه او بمكتوبا وذكر الانجيل قبل نزوله من قبيل ما نحن فيه من ذكر
النبي عليه السلم والقران الكريم قبل مجيئهما يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر كلام مستانف
لا محل له من الاعراب قاله الزجاج متضمن لتفصيل بعض احكام الرحمة التي وعد فيما سبق بكتبها
اجمالا فان ما بين فيه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واحلال الطيبات وتحريم الخبائث
واسقاط التكاليف الشاقة كلها من اثار الرحمة الواسعة وقيل في محل النصب على انه حال
مقدرة من مفعول يجدونه او من النبي او من المستكن في مكتوبا او مفسر لمكتوبا اي لما كتب
ويحل لهم الطيبات التي حرمت عليهم بشؤم ظلمهم ويحرم عليهم الخبائث كالدم
ولحم الخنزير والربوا والرشوة ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم اي يخفف
عنهم ما كلفوه من التكاليف الشاقة التي هي من قبيل ما كتب عليهم حينئذ من كون التوبة بقتل
النفس كتعيين القصاص في العمد والخطاء من غير الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض
موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم السبت وعن عطاء انه كانت بنو
اسرائيل اذا قاموا يصلون لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته
وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ اصارهم
واصل الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه من الحراك فالذين امنوا به توفيق لكيفية
اتباعه عليه السلم وبيان لعلو رتبة متبعيه واغتنامهم مغانم الرحمة الواسعة في الدارين
اثر بيان نعوته الجليلة والاشارة الى ارشاده عليه السلم اياهم بالامر بالمعروف والنهي عن
المنكر واحلال الطيبات وتحريم الخبائث اي فالذين امنوا بنبوته واطاعوه في اوامره
ونواهيه وعزروه اي عظموه ووقروه واعانوه بمنع اعدائه عنه وقرئ بالتخفيف
واصل العزر المنع ومنه التعزير ونصروه على اعدائه في الدارين واتبعوا النور الذي انزل معه
اي مع نبوته وهو القران عبر عنه بالنور المنبئ عن كونه ظاهرا بنفسه ومظهرا لغيره او
مظهرا للحقائق كاشفا عنها لمناسبة الاتباع ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي
واتبعوا القران المنزل مع اتباعه عليه السلم بالعمل بسنته وبما امر به ونهى عنه او اتبعوا
القران مصاحبين له في اتباعه اولئك اشارة الى المذكورين من حيث اتصافهم بما
فصل من الصفات الفاضلة للاشعار بعليتها للحكم وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو درجتهم وسمو طبقتهم في الفضل والشرف اي اولئك المنعوتون بتلك النعوت
الجليلة هم المفلحون اي هم الفائزون بالمطلوب الناجون عن المكروب لا غيرهم
من الامم فيدخل فيهم قوم موسى عليه السلم دخولا اوليا حيث لم ينجوا مما في توبتهم من المشقة
الهائلة وبه يتحقق التحقيق ويتبين التوفيق والتطبيق بين دعائه عليه السلم وبين

الجواب لا بمجرد ما قيل من انه لما دعا لنفسه ولبني اسرائيل اجيب بما هو منطو على توبيخ بني
اسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله عز وجل وعلى كفرهم بآياته العظام التي اجراها
على يد موسى عليه السلام وعرض بذلك في قوله تعالى والذين هم بآياتنا يؤمنون
واريد ان يكون استماع اوصاف اعقابهم الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم
وبما جاء به كعبد الله ابن سلام وغيره من اهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في اخلاص
الايمان والعمل الصالح قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم لما حكى ما في الكتابين من نعوت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف من يتبعه من اهلهما ونيلهم لسعادة الدارين
امر عليه السلام ببيان ان تلك السعادة غير مختصة بهم بل شاملة لكل من يتبعه كائنا من كان
ببيان عموم رسالته للثقلين مع اختصاص رسالة سائر الرسل عليهم السلام باقوامهم وارسال
موسى عليه السلام الى فرعون وملائه بالآيات التسع انما كان لامرهم بعبادة رب العالمين
من سلطانه وترك العظيمة التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية وبارسال
بني اسرائيل من الاسر والقسر واما العمل باحكام التوراة فمختص ببني اسرائيل جميعا حال من
الضمير في اليكم الذي له ملك السموات والارض منصوب او مرفوع على المدح او مجرور على
انه صفة للجلالة وان حيل بينهما بما هو متعلق بما اضيف اليه فانه في حكم المتقدم عليه وقوله
تعالى لا اله الا هو بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره وقوله تعالى
يحيي ويميت لزيادة تقرير الوهيته والفاء في قوله تعالى فآمنوا بالله ورسوله لتفريع
الامر على ما تمهد وتقرر من رسالته عليه السلام وايراد نفسه عليه السلام بعنوان الرسالة على طريق
الالتفات الى الغيبة للمبالغة في ايجاب الامتثال بامره ووصف الرسول بقوله النبي الامي لمدحه
عليه السلام بهما او لزيادة تقرير امره وتحقيق انه المكتوب في الكتابين ووصفه بقوله تعالى
الذي يؤمن بالله وكلماته اي ما انزل اليه والى سائر الرسل عليهم السلام من
كتبه ووحيه لحمل اهل الكتابين على الامتثال بما امروا به والتصريح بايمانه بالله تعالى
للتنبيه على ان الايمان به تعالى لا ينفك عن الايمان بكلماته ولا يتحقق الا به وقرئ وكلمته
على ارادة الجنس او القرآن تنبيها على ان المأمور به هو الايمان به عليه السلام من حيث
انزل عليه القرآن لا من حيثية اخرى او على ان المراد بها عيسى عليه السلام تعريضا
باليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتد بايمانه واتبعوه اي في كل ما يأتي وما يذر
من امور الدين لعلكم تهتدون علة للفعلين او حال من فاعليهما اي رجاء اهتدائكم الى
المطلوب او راجين له وفي تعليقه بهما ايذان بان من صدقه ولم يتبعه بالتزام احكام شريعته
فهو بمعزل من الاهتداء مستمر على الغي والضلال ومن قوم موسى كلام مبتدأ مسوق
لدفع ما عسى يوهمه تخصيص كتب الرحمة والتقوى والايمان بالآيات بمتبعي رسول الله صلى الله
عليه وسلم من حرمان اسلاف قوم موسى عليه السلام من كل خير وبيان ان كلهم ليسوا كما حكيت
احوالهم بل منهم امة يهدون الناس بالحق اي ملتبسين به او يهدونهم بكلمة الحق
اي بالحق يعدلون اي في الاحكام الجارية فيما بينهم وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية
الحال الماضية وقيل هم الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ويأباه انه قد مر ذكرهم فيما

سلف

سلف وقيل ان بني اسرائيل لما بالغوا في العتو والطغيان حتى اجترأوا على قتل الانبياء عليهم السلام
تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله تعالى ان يفرق بينهم وبين اولئك الطاغين
ففتح الله تعالى لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين
وهم اليوم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وقد ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان جبريل عليه السلام ذهب به ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم فقال جبريل عليه السلام هل تعرفون
من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي الامي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا
من ادرك منكم احمد فليقرأ مني عليه السلام فرد محمد على موسى عليهما السلام ثم اقرأهم عشر سور من القرآن
نزلت بمكة ولم تكن نزلت يومئذ فريضة غير الصلاة والزكاة وامرهم ان يقيموا مكانهم
وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت هذا وانت خبير بان تخصيصهم بالهداية من
بين قومه عليه السلام مع ان منهم من آمن بجميع الشرائع لم يضلوا عن بعد وقطعناهم اي قوم موسى
لا الامة المذكورة منهم وقرئ بالتخفيف وقوله تعالى اثنتي عشرة ثاني مفعولي قطع لتضمنه
معنى التصيير والتانيث للحمل على الامة او القطعة اي صيرناهم اثنتي عشرة امة او قطعة متميزا
بعضها من بعض او حال من مفعوله اي فرقناهم معدودين هذا العدد وقوله تعالى اسباطا
بدل منه ولذلك جمع او مميز له على ان كل واحدة من اثنتي عشرة قطعة اسباط لا سبط
وقرئ عشرة بكسر الشين وقوله تعالى امما على الاول بدل بعد بدل او نعت لاسباطا
وعلى الثاني بدل من اسباطا واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه حين استولى عليهم العطش
في التيه الذي وقعوا فيه لسوء صنيعهم لا بمعنى استسقائهم اياه عليه السلام بل باستسقائه
عليه السلام لهم لقوله تعالى واذ استسقى موسى لقومه وقوله تعالى ان اضرب بعصاك الحجر
مفسر لفعل الايحاء وقد مر بيان شأن الحجر في سورة البقرة فانبجست عطف على مقدر
ينسحب عليه الكلام قد حذف تعويلا على كمال الظهور وايذانا بغاية مسارعته عليه السلام
الى الامتثال واشعارا بعدم تأثير الضرب حقيقة وتنبيها على كمال سرعة الانبجاس وهو
الانفجار كأنه حصل اثر الامر قبل تحقق الضرب كما في قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق
اي فضرب فانبجست منه اثنتا عشرة عينا بعدد الاسباط واما ما قيل من ان
التقدير فان ضربت فقد انبجست فغير حقيق بجلالة النظم التنزيلي وقرئ عشرة بكسر الشين
وفتحها قد علم كل اناس كل سبط عبر عنهم ايذانا بكثرة كل واحد من الاسباط
مشربهم اي عينهم الخاصة بهم وظللنا عليهم الغمام اي جعلناها بحيث تلقي عليهم
ظلها تسير في التيه بسيرهم وتسكن باقامتهم وكان ينزل بالليل عمود من نار يسيرون بضوئه
وانزلنا عليهم المن والسلوى اي الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن
مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع وتبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل منه
ما يكفيه كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم اي مستلذاته وما موصولة
كانت او موصوفة عبارة عن المن والسلوى وما ظلمونا رجوع الى سنن الكلام الاول
بعد حكاية خطابهم وهو معطوف على جملة محذوفة للايجاز والاشعار بانه امر محقق
غني عن التصريح به اي فظلموا بان كفروا بتلك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك ولكن

كانوا انفسهم يظلمون اذ لا يتخطاهم ضرره وتقديم المفعول لافادة القصر الذي يقتضيه
النفي السابق وفيه ضرب من التهكم بهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة
على تماديهم فيما هم فيه من الظلم والكفر واذ قيل لهم منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى
الله عليه وسلم وايراد الفعل على البناء للمفعول مع استناده اليه تعالى كما يفصح عنه ما وقع
في سورة البقرة من قوله تعالى واذ قلنا للجري على سنن الكبرياء والايذان بالغنى عن التصريح
به لتعين الفاعل وتغيير النظم بالامر بالذكر للتشديد في التوبيخ اي اذكر لهم وقت قوله تعالى
لاسلافهم اسكنوا هذه القرية منصوبة على المفعولية يقال سكنت الدار وقيل على
الظرفية اتساعا وهي بيت المقدس وقيل اريحاء وهي قرية فيها الجبارين وكان فيها قوم
من بقية عاد يقال لهم العمالقة ورأسهم عوج بن عنق وفي قوله تعالى اسكنوا ايذان
بان المامور به في سورة البقرة هو الدخول على وجه السكنى والاقامة ولذلك اكتفي
عن ذكر رغدا في قوله تعالى وكلوا منها اي من مطاعمها وثمارها على ان من تبعيضية
او منها على انها ابتدائية حيث شئتم اي من نواحيها من غير ان يزاحمكم فيها احد وبان
الاكل المستمر على هذا الوجه لا يكون الا امتدادا واستيعابا عطف كلوا على اسكنوا بالواو
المفيدة للجمع بينهما زمانا بخلاف الدخول فانه مقدم على الاكل ولذلك قيل هنالك فكلوا
وقولوا حطة اي مسألتنا او امرك حطة لذنوبنا وهي فعلة من الحط كالجلسة وادخلوا
الباب اي باب القرية سجدا اي متطامنين مخبتين او ساجدين شكرا على اخراجهم
من التيه وتقديم الامر بالدخول على الامر بالقول المذكور في سورة البقرة غير مخل بهذا
لان المامور به هو الجمع بينهما في الفعل من غير اعتبار الترتيب بينهما ثم ان كان المراد بالقرية
اريحاء فقد روي انهم دخلوها حيث سار اليها موسى عليه السلام بمن بقي من بني اسرائيل او بذراريهم
على اختلاف الروايتين ففتحها كما مر في سورة المائدة واما ان كان بيت المقدس فقد
روي انهم لم يدخلوه في حياة موسى عليه السلام فقيل المراد بالباب باب القبة التي كانوا
يصلون اليها نغفر لكم خطيئاتكم وقرئ خطاياكم كما في سورة البقرة وتغفر لكم
خطيئاتكم وخطاياكم وخطيئتكم على بناء المفعول سنزيد المحسنين عدة
بشيئين بالمغفرة وبالزيادة وطرح الواو ههنا لا يخل بذلك لانه استيناف مرتب على تقدير
سؤال نشأ من الاخبار بالغفران كانه قيل فماذا لهم بعد الغفران فقيل سنزيد وكذلك
زيادة منهم زيادة بيانا فبدل الذين ظلموا منهم بما امروا به من التوبة والاستغفار
حيث اعرضوا عنه ووضعوا موضعه قولا اخر مما لا خير فيه روي انهم دخلوه زاحفين على
استاههم وقالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا يعنون حنطة حمراء
استخفافا بامر الله تعالى واستهزاء بموسى عليه السلام وقوله تعالى غير الذي قيل لهم
نعت لقولا صرح بالمغايرة مع دلالة التبديل عليها قطعا تحقيقا للمخالفة لغيره وتنصيصا
على المغايرة من كل وجه فارسلنا عليهم اثر ما فعلوا ما فعلوا من غير تاخير وفي
سورة البقرة على الذين ظلموا والمعنى واحد والارسال من فوق يكون كالانزال رجزا
من السماء عذابا كائنا منها والمراد الطاعون روي انه مات في ساعة واحدة اربعة

وعشرون

وعشرون الفا بما كانوا يظلمون بسبب ظلمهم المستمر السابق واللاحق حسبما يفيده
الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لا بسبب التبديل فقط كما يشعر به ترتيب الارسال
عليه بالفاء والتصريح بهذا التعليل لما ان الحكم ههنا مترتب على المغير دون الموصول بالظلم
كما في سورة البقرة واما التعليل بالفسق بعد الاشعار بعلية الظلم فقد مر وجهه
هناك والله تعالى اعلم واسألهم عطف على المقدر في اذ قيل اي واسأل اليهود المعاصرين
لك سؤال تقريع وتقرير بقديم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله تعالى والاعلام لهم بان
ذلك مع كونه من علومهم الخفية التي لا يقف عليها الا من مارس كتبهم فقد احاط
به النبي صلى الله عليه وسلم خبرا اذ ليس ذلك بالتلقي من كتبهم لانه عليه السلام بمعزل من
ذلك فتعين ان من جهة الوحي الصريح عن القرية اي عن حالها وخبرها وما جرى على
اهلها من الداهية الدهياء وهي ايلة قرية بين مدين والطور وقيل هي مدين وقيل
طبرية والعرب تسمي المدينة قرية التي كانت حاضرة البحر اي قريبة منه مشرفة على شا طيه
اذ يعدون في السبت اي يتجاوزون حدود الله تعالى بالصيد يوم السبت واذ ظرف للمضاف
المحذوف او بدل منه وقيل ظرف لكانت او حاضرة وليس بذلك اذ لا فائدة في
تقييد الكون او الحضور بوقت العدوان وقرئ يعدون واصله يعتدون ويعدون
من الاعداد حيث كانوا يعدون آلات الصيد يوم السبت وهم منهيون عن الاشتغال
فيه بغير العبادة اذ تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل والاول هو
الاولى لان السؤال عن عدوانهم ادخل في التقريع والحيتان جمع حوت قلبت الواو ياء
لانكسار ما قبلها كنون ونينان لفظا ومعنى واضافتها اليهم للاشعار باختصاصها
بهم لاستقلالها بما لا يكاد يوجد في سائر افراد الجنس من الخواص الخارقة للعادة
او لان المراد بها الحيتان الكائنة في تلك الناحية وان ما ذكر من الاتيان وعدمه
لاعتيادها احوالهم في عدم التعرض يوم السبت يوم سبتهم ظرف لتاتيهم اي
تاتيهم يوم تعظيمهم لامر السبت وهو مصدر سبتت اليهود اذا عظمت السبت بالتجرد
للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول قراءة
من قرأ يوم اسباتهم وقوله تعالى شرعا جمع شارع من شرع عليه اذا دنا واشرف
وهو حال من حيتانهم اي تاتيهم يوم سبتهم ظاهرة على وجه الماء قريبة من الساحل ويوم
لا يسبتون اي لا يراعون امر السبت لكن لا بمجرد عدم المراعاة مع تحقق يوم السبت
كما هو المتبادر بل مع انتفائهما معا اي لا سبت ولا مراعاة كما في قوله ولا ترى الضب
بها ينجحر وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في
السبت ولا يدار عليهم حكم السبت ولا يؤمرون فيه بما امروا به يوم السبت لا تاتيهم كما
كانت تاتيهم يوم السبت حذارا من صيدهم وتغيير السبك حيث لم يقل ولا تاتيهم
يوم لا يسبتون لما ان الاخبار باتيانها يوم سبتهم مظنة ان يقال فماذا حالها يوم
لا يسبتون فقيل يوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم اي مثل ذلك البلاء
العجيب الفظيع نعاملهم معاملة من يختبرهم ليظهر عداوتهم ونؤاخذهم به وصيغة المضارع

حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها والتعجب منها بما كانوا يفسقون اى بسبب فسقهم
المستمر المدلول عليه بالجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لكن لا في تلك المادة فان
فسقهم فيها لا يكون سببا للابتلاء بل بسبب فسقهم المستمر في كل ما يأتون وما يذرون وقيل كذلك
متصل بما قبله اى لا يأتيهم مثل اتيانهم يوم سبتهم فالجار بعده ح استيناف مبني على السؤال
عن حكمة اختلاف حال الحيتان بالاتيان تارة وعدمه اخرى واذ قالت عطف على
اذ يعدون مسوق لتماديهم في العدوان وعدم انزجارهم عنه بعد العظات والانذارات
امة منهم اى جماعة من صلحائهم الذين ركبوا في عظتهم متن كل صعب وذلول حتى
يئسوا من احتمال القبول لآخرين لا يقلعون عن التذكير رجاء للنفع والتأثير مبالغة في
الاعذار وطمعا في فائدة الانذار لم تعظون قوما الله مهلكهم اى مخترمهم بالكلية
ومطهر الارض منهم او معذبهم عذابا شديدا دون الاستئصال بالمرة وقيل
مهلكهم اى مخزيهم في الدنيا او معذبهم في الآخرة لعدم اقلاعهم عما كانوا عليه من الفسق
والطغيان والترديد لمنع الخلو دون الجمع فانهم مهلكون في الدنيا ومعذبون في
الآخرة وايثار صيغة الفاعل مع ان كلا من الاهلاك والتعذيب مترقب للدلالة
على تحققهما وتقررهما البتة كانهما واقعان وانما قالوه مبالغة في ان الوعظ لا
ينجع فيهم او تهييجا للقوم او سؤالا عن حكمة الوعظ ونفعه ولعلهم انما قالوه بمحضر من
القوم حثا لهم على الاتعاظ فان بت القول بهلاكهم وعذابهم مما يلقي في قلوبهم الخوف
والخشية وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما
بهم وليس بذاك كما ستقف عليه قالوا اى الواعظون معذرة الى ربكم اى نعظهم
معذرة اليه تعالى على انه مفعول له وهو الانسب بظاهر قولهم لم تعظون او نعتذر معذرة
على انه مصدر لفعل محذوف وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ اى موعظتنا معذرة اليه تعالى
حتى لا ننسب الى نوع تفريط في النهي عن المنكر وفي اضافة الرب الى ضمير المخاطبين نوع
تعريض بالسائلين ولعلهم يتقون عطف على معذرة اى ورجاء لان يتقوا بعض
التقاة وهذا صريح في ان القائلين لم تعظون الخ ليسوا من الفرقة الهالكة والا
لوجب الخطاب فلما نسوا ما ذكروا به اى تركوا ما ذكرهم به صلحاؤهم ترك الناسي
للشيء واعرضوا عنه اعراضا كليا بحيث لم يخطر ببالهم شيء من تلك المواعظ اصلا انجينا
الذين ينهون عن السوء وهم الفريقان المذكوران وايراد انجائهم مخرج الجواب لأن
حقه الترتيب على الشرط وهو نسيان المعتدين المستتبع لاهلاكهم لما ان ما في حيز الشرط
شيئان النسيان والتذكير كانه قيل فلما ذكر المذكرون ولم يتذكر المعتدون انجينا
الاولين واخذنا الآخرين واما تصدير الجواب بانجائهم فلما مر من المسارعة الى
بيان نجاتهم من اول الامر مع ما في المؤخر من نوع طول واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء
ومخالفة الامر بعذاب بئيس اى شديد وزنا ومعنى من بؤس يبؤس بأسا
اذا اشتد وقرئ بيس على وزن فعل بفتح الفاء وكسر العين ككرها وبيئس كحذر وبيس على
تخفيف الهمزة ونقل حركتها الى الفاء ككبد في كبد وبيس بقلب الهمزة ياء كذيب

في ذيب

في ذيب وبيس كريس بقلب همزة بئس ياء وادغام الياء فيها وبيس على تخفيف بيس كهين في
هين وتنكير العذاب للتفخيم والتهويل بما كانوا يفسقون متعلق باخذنا كالباء
الاولى ولا ضير فيه لاختلافهما معنى اى اخذناهم بما ذكر من العذاب بسبب تماديهم
في الفسق الذي هو الخروج عن الطاعة وهو الظلم والعدوان ايضا واجراء الحكم
على الموصول وان اشعر بعليته لما في حيز الصلة له لكنه صرح بالتعليل المذكور
ايذانا بان العلة هو الاستمرار على الظلم والعدوان مع اعتبار كون ذلك خروجا
عن طاعة الله عز وجل لا نفس الظلم والعدوان والا لما اخر عن ابتداء المباشرة ساعة ولعله
تعالى عذبهم بعذاب شديد دون الاستئصال فلم يقلعوا عما كانوا عليه بل ازدادوا في الغي
فمسخهم بعد ذلك كقوله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه اى تمردوا وتكبروا وابوا
ان يتركوا ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين صاغرين اذلاء بعداء عن الناس والمراد
بالامر هو الامر التكويني لا القولي وترتيب المسخ على العتو عن الانتهاء عما نهوا عنه للايذان بانه
ليس لخصوصية الحوت بل العمدة في ذلك هو مخالفة الامر والاستعصاء عليه تعالى وقيل المراد
بالعذاب البئيس هو المسخ والجملة الثانية تقرير للاولى وروي ان اليهود امروا باليوم الذي امرنا
به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت وهو المعنى بقوله تعالى انما جعل السبت على الذين
اختلفوا فيه فابتلوا به وحرم عليهم الصيد فيه وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيهم يوم
السبت كأنها المخاض لا يرى وجه الماء لكثرتها ولا تأتيهم في سائر الايام فكانوا على ذلك برهة
من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا سهلة
الورود صعبة الصدور ففعلوا فجعلوا يسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر
على الخروج منها ويأخذونها يوم الاحد واخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة
في الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال له اني
ارى الله سيعذبك فلما لم يره عذاب اخذ في السبت القابل حوتين فلما رأوا ان العذاب
لا يعاجلهم استمروا على ذلك فصادوا واكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين الفا
فصار اهل القرية اثلاثا ثلثا استمروا على النهي وثلث ملوا التذكير وسئموه وقالوا للواعظين
لم تعظون الخ وثلث باشروا الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون نحن لا نساكنكم فقسموا القرية
بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم
ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان لهم لشأنا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا
الباب ودخلوا عليهم فعرفت القردة انسباءهم من الانس وهم لا يعرفونها فجعل القرد يأتي
نسيبه فيشم ثيابه فيبكي فيقول له نسيبه الم ننهكم فيقول القرد برأسه بلى ثم ماتوا بعد ثلاث وقيل
صار الشبان قردة والشيوخ خنازير وعن مجاهد مسخت قلوبهم وقال الحسن البصري اكلوا
والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا في الدنيا واطولها عذابا في الآخرة هاه وايم الله
ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله تعالى جعل موعدا
والساعة ادهى وامر واذ تأذن ربك منصوب على المفعولية بمضمر معطوف
على قوله تعالى واسألهم وتأذن بمعنى آذن كما ان توعد بمعنى اوعد او بمعنى عزم فان

العازم على الامر يحدث به نفسه واجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب
بجوابه وهو قوله ليبعثن عليهم الى يوم القيمة اي واذكرهم وقت ايجابه
تعالى على نفسه ان يسلط على اليهود البتة من يسومهم سوء العذاب كالاذلال
وضرب الجزية وغير ذلك من فنون العذاب وقد بعث الله تعالى عليهم بعد سليمان عليه السلام
بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتلتهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية
على من بقي منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم
ففعل ما فعل ثم ضرب الجزية عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى اخر الدهر ان ربك
لسريع العقاب يعاقبهم في الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب وامن
منهم وقطعناهم اي وفرقنا بني اسرائيل في الارض وجعلنا
كل فرقة منهم في قطر من اقطارها بحيث لا يخلو ناحية منهم منها تكملة لادبارهم
حتى لا يكون لهم شوكة وقوله تعالى امما اما مفعول ثان لقطعنا او حال
من مفعوله منهم الصالحون صفة لامما او بدل منه وهم الذين امنوا بالمدينة
ومن يسير بسيرتهم ومنهم دون ذلك اي ناس دون ذلك الوصف اي منحطون
عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم
يرجعون عما كانوا فيه من الكفر والمعاصي فخلف من بعدهم من
بعد المذكورين خلف اي بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد
والجمع وقيل جمع وهو شائع في الشر والخلف بفتح اللام في الخير والمراد به الذين كانوا
في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب اي التورية
من اسلافهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها يأخذون عرض هذا الادنى
استئناف مسوق لبيان ما يصنعون بالكتاب بعد وراثتهم اياه اي يأخذون
حطام هذا الشيء الادنى اي الدنيا وهو من الدنو او الدناءة والمراد به
ما كانوا يأخذونه من الرشى في الحكومات وعلى تحريف الكلام وقيل حال
من واو ورثوا ويقولون سيغفر لنا ولا يؤاخذنا
الله تعالى بذلك ويتجاوز عنه والجملة تحتمل العطف والحالية والفعل
مسند الى الجار والمجرور او مصدر يأخذون وان يأتهم عرض
مثله يأخذوه حال من الضمير في لنا اي يرجون المغفرة والحال انهم
مصرون على الذنب عائدون الى مثله غير تائبين عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق
الكتاب اي الميثاق الوارد في الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف
بيان للميثاق او متعلق به اي بان لا يقولوا الخ والمراد به الرد عليهم والتوبيخ على بتهم القول بالمغفرة بلا توبة
والدلالة على انها افتراء على الله تعالى وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه عطف
على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض والدار الاخرة خير للذين يتقون ما فعل هؤلاء
افلا تعقلون فتعلموا ذلك فلا تستبدلوا الادنى المؤدي الى العقاب بالنعيم المخلد وقرئ بالياء وفي الالتفات
تشديد للتوبيخ والذين يمسكون بالكتاب اي يتمسكون به في امور دينهم يقال مسك بالشيء وتمسك به

قال

قال مجاهد هم الذين امنوا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه الذين تمسكوا
بالكتاب الذي جاء به موسى عليه السلام فلم يحرفوه ولم يكتموه ولم يتخذوه مأكلة وقال
عطاء هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ يمسكون من الامساك وقرئ تمسكوا واستمسكوا
موافقا لقوله تعالى واقاموا الصلوة ولعل التغيير للدلالة
على ان التمسك بالكتاب امر مستمر في جميع الازمنة بخلاف اقامة الصلوة فانها مختصة
باوقاتها وتخصيصها بالذكر من بين سائر العبادات لانافتها عليها ومحل الموصول اما الجر
نسقا على الذين يتقون وقوله افلا تعقلون اعتراض مقرر لما قبله واما الرفع على الابتداء
والخبر قوله تعالى انا لا نضيع اجر المصلحين والرابط اما الضمير المحذوف كما
هو رأي جمهور البصريين والتقدير اجر المصلحين منهم واما الالف واللام كما هو رأي
الكوفيين فانه في حكم مصلحيهم كما في قوله تعالى فان الجنة هي المأوى اي مأواه
وقوله تعالى مفتحة لهم الابواب اي ابوابها واما العموم في مصلحين فانه من
الروابط ومنه نعم الرجل زيد على احد الوجوه وقيل الخبر محذوف والتقدير والذين
يمسكون بالكتاب مأجورون او مثابون وقوله تعالى انا لا نضيع اجر المحسنين
الخ اعتراض مقرر لما قبله واذ نتقنا الجبل فوقهم اي قلعناه من مكانه
ورفعناه عليهم كأنه ظلة اي سقيفة وهي كل ما اظلك وظنوا
اي تيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم كانوا
يوعدون به واطلاق الظن في الحكاية لعدم وقوع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا
احكام التورية لثقلها فرفع الله تعالى عليهم الطور وقيل لهم ان قبلتم ما فيها
والا ليقعن عليكم خذوا ما اتيناكم اي وقلنا او قائلين خذوا
ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة على تحمل مشاقه وهو حال من الواو
واذكروا ما فيه بالعمل به ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون
بذلك قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق او راجين ان تنتظموا في سلك المتقين
واذ اخذ ربك منصوب بمضمر معطوف على ما انتصب به اذ نتقنا مسوق
للاحتجاج على اليهود بتذكير الميثاق العام المنتظم للناس قاطبة بعقب الاحتجاج
عليهم بتذكير ميثاق الطور وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من
الحوادث قد مر بيانه مرارا اي واذكر لهم اخذ ربك من بني ادم المراد بهم الذين
ولد لهم كائنا من كان نسلا بعد نسل سوى من لم يولد له بسبب من الاسباب كالعقم وعدم
التزوج والموت صغيرا وايثار الاخذ على الاخراج للايذان بالاعتناء بشأن المأخوذ
لما فيه من الانباء عن الاجتباء والاصطفاء وهو السبب في اسناده الى اسم الرب بطريق
الالتفات مع ما فيه من التمهيد للاستفهام الاتي واضافته الى ضميره عليه السلام للتشريف
وقوله تعالى من ظهورهم بدل من بني ادم بدل البعض بتكرير الجار كما في قوله
تعالى للذين استضعفوا لمن امن منهم ومن في الموضعين ابتدائية وفيه مزيد تقرير لابتنائه
على البيان بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال وتنبيه على ان الميثاق قد اخذ منهم وهم

في أصلاب الآباء ولم يستودعوا في أرحام الأمهات وقوله تعالى ذريتهم مفعول
أخذ أخر عن المفعول بواسطة الجار لاشتماله على ضمير ما يرجع إليه ولمراعاة أصالته
ومنشأ ته لما مر مرارا من التشويق إلى المؤخر وقرئ ذرياتهم والمراد بهم أولادهم على
العموم فيندرج فيهم اليهود المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اندراجا أوليا كما اندرج أسلافهم في بني آدم كذلك وتخصيصها باليهود سلفا وخلفا
مع أن ما أسند إليهم من بديع صنع الله عز وجل شامل للكل كافة مخل بفخامة التنزيل
وجزالة التمثيل وأشهدهم على أنفسهم أي أشهد كل واحد من أولئك الذريات
المأخوذين من ظهور آبائهم على نفسها لا على غيرها تقريرا لهم بربوبيته التامة وما تستتبعه
العبودية على الاختصاص وغير ذلك من أحكامها وقوله تعالى ألست بربكم على
إرادة القول أي قائلا ألست بربكم ومالك أمركم ومربيكم على الإطلاق من غير أن يكون
لأحد مدخل في شأن من شؤونكم فينتظم استحقاق المعبودية ويستلزم اختصاصه به
تعالى قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل فماذا
قالوا حينئذ فقيل قالوا بلى شهدنا أي على أنفسنا بأنك ربنا
وإلهنا لا رب لنا غيرك كما ورد في الحديث الشريف وهذا تمثيل لخلقه إياهم جميعا في
مبدأ الفطرة مستعدين للاستدلال بالدلائل المنصوبة في الآفاق والأنفس المؤدية إلى
التوحيد والإسلام كما ينطق به قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة الحديث
مبني على تشبيه الهيئة المنتزعة من تعريضه تعالى إياهم لمعرفة ربوبيته بعد تمكينهم منها
بما ركز فيهم من العقول والبصائر ونصب لهم في الآفاق والأنفس من الدلائل تمكينا
تاما ومن تمكنهم منها تمكنا كاملا وتعرضهم لها تعرضا قويا بهيئة منتزعة من حمله تعالى
إياهم على الاعتراف بها بطريق الأمر ومن مسارعتهم إلى ذلك من غير تلعثم أصلا من غير أن
يكون هناك أخذ وإشهاد وسؤال وجواب كما في قوله تعالى فقال لها وللأرض ائتيا
طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين وقوله تعالى أن تقولوا بالتاء على
تلوين الخطاب وصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المعاصرين من اليهود تشديدا في
الإلزام والتعميم إلى متقدميهم بطريق التغليب لكن لا من حيث إنهم مخاطبون بقوله
تعالى ألست بربكم فإنه ليس من الكلام المحكي وقرئ بالياء على أن الضمير للذرية وأياما كان
فهو مفعول له لما قبله من الأخذ والإشهاد أي فعلنا ما فعلنا كراهة أن تقولوا أو لئلا
تقولوا أيها الكفرة أو يقولوا هم يوم القيامة عند ظهور الأمر
إنا كنا عن هذا عن وحدانية الربوبية وأحكامها غافلين
لم تنبه عليه فإنهم حيث جبلوا على ما ذكر من التهيؤ التام لتحقيق الحق والقوة
القريبة من الفعل صاروا محجوجين عاجزين عن الاعتذار بذلك إذ لا سبيل
لأحد إلى إنكار ما ذكر من خلقهم على الفطرة السليمة وقوله تعالى أو تقولوا إنما
أشرك آباؤنا عطف على تقولوا وأو لمنع الخلو دون الجمع أي هم اخترعوا
الإشراك وهم سنوه من قبل من قبل زماننا وكنا نحن ذرية

من بعدهم لا نهتدي إلى السبيل ولا نقدر على الاستدلال بالدليل أفتهلكنا بما فعل المبطلون
من آبائنا المضلين بعد ظهور أنهم المجرمون ونحن عاجزون عن التدبير والاستبداد بالرأي
أي لا تؤاخذنا أفتهلكنا الخ فإن ما ذكر من استعدادهم الكامل يسد عليهم باب الاعتذار بهذا
أيضا فإن التقليد عند قيام الدلائل والقدرة على الاستدلال بها مما لا مساغ له أصلا هذا وقد
حملت هذه المقاولة على الحقيقة كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه لما خلق الله تعالى آدم مسح على ظهره
فأخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة فقال ألست بربكم قالوا بلى فنودي يومئذ جف القلم
بما هو كائن إلى يوم القيامة وقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه سئل عن الآية الكريمة فقال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال إن الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية
فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال
خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون وليس المعنى أنه تعالى أخرج الكل من ظهره
عليه السلام بالذات بل أخرج من ظهره عليه السلام أبناءه الصلبية ومن ظهورهم أبناءهم الصلبية وهكذا
إلى آخر السلسلة لكن لما كان المظهر الأصلي ظهره عليه السلام وكان مساق الحديثين الشريفين
بيان حال الفريقين إجمالا من غير أن يتعلق بذكر الوسائط غرض علمي نسب إخراج الكل إليه وأما
الآية الكريمة فحيث كانت مسوقة للاحتجاج على الكفرة المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وبيان عدم إفادة الاعتذار بإسناد الإشراك إلى آبائهم اقتضى الحال نسبة إخراج كل
واحد منهم إلى ظهر أبيهم من غير تعرض لإخراج الأبناء الصلبية لآدم عليه السلام من ظهره قطعا
وعدم بيان الميثاق في حديث عمر رضي الله عنه ليس بيانا لعدمه ولا مستلزما له وأما ما قالوا من أن
أخذ الميثاق لإسقاط عذر الغفلة حسبما ينطق به قوله تعالى أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا
عن هذا غافلين ومعلوم أنه غير رافع لغفلتهم في دار التكليف إذ لا فرد من أفراد البشر يذكر
ذلك فمردود لكن لا بما قيل من أن الله عز وجل لما أوضح الدلائل على وحدانيته وصدق
رسله فيما أخبروا به فمن أنكره كان معاندا ناقضا للعهد ولزمته الحجة ونسيانهم وعدم
حفظهم لا يسقط الاحتجاج بعد إخبار المخبر الصادق بل بأن قوله تعالى أن تقولوا الخ ليس
مفعولا له لقوله تعالى وأشهدهم وما يتفرع عليه من قولهم بلى شهدنا حتى يجب كون ذلك
الإشهاد والشهادة محفوظا لهم في إلزامهم بل لفعل مضمر ينسحب عليه الكلام والمعنى
فعلنا ما فعلنا من الأمر بذكر الميثاق وبيانه كراهة أن تقولوا أو لئلا تقولوا أيها الكفرة
يوم القيامة إنا كنا غافلين عن ذكر الميثاق لم ينبهنا عليه في دار التكليف وإلا لعملنا بموجبه هذا
على قراءة الجمهور وأما على القراءة بالياء فهو مفعول له للأمر المضمر العامل في إذ أخذ
والمعنى اذكر لهم الميثاق المأخوذ منهم فيما مضى لئلا يعتذروا يوم القيامة بالغفلة
عنه أو بتقليد الآباء هذا على تقدير كون قوله تعالى شهدنا من كلام الذرية وهو الظاهر
وأما على تقدير كونه من كلامه تعالى فهو العامل في أن تقولوا ولا محذور أصلا إذ المعنى
شهدنا قولكم هذا لئلا تقولوا يوم القيامة الخ لأنا نردكم ونكذبكم وكذلك إشارة
إلى مصدر الفعل المذكور بعده وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من تفخيم المشار إليه
وبعد منزلته والكاف مقحمة مؤكدة لما أفاده اسم الإشارة من الفخامة والتقديم على الفعل

لافادة التقرير محله النصب على المصدرية اي مثل ذلك التفصيل البليغ المستتبع للمنافع الجليلة
نفصل الآيات المذكورة لا غير ذلك ولعلهم يرجعون وليرجعوا عما هم عليه من الاصرار على
الباطل وتقليد الآباء نفعل التفصيل المذكور قالوا ان ابتدائية ويجوز ان يكون
الثانية عاطفة على مقدر مترتب على التفصيل اي وكذلك نفصل الآيات ليقفوا على ما فيها
من المرغبات والزواجر وليرجعوا الخ واتل عليهم عطف على المضمر العامل في
اذ اخذ وارد على نمطه في الالزام عن الجحود بعد الكفر والضلالة بعد الهدى اي واتل على اليهود
نبأ الذي آتيناه آياتنا اي خبر الذي له شأن وخطر وهو احد علماء بني اسرائيل وقيل
هو بلعم بن باعوراء او بلعام بن باعر من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله تعالى وقيل هو امية
ابن ابي الصلت وكان قد قرأ الكتب وعلم ان الله تعالى مرسل في ذلك الزمان رسولا ورجا
ان يكون هو الرسول فلما بعث الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به والاول
هو الانسب بمقام توبيخ اليهود بهنات ابيهم فانسلخ منها اي من تلك الآيات انسلاخ
الجلد من الشاة ولم يخطر ببالها اصلا او خرج منها بالكلية بان كفر بها ونبذها وراء
ظهره وايا ما كان فالتعبير عنه بالانسلاخ المنبئ عن اتصال المحيط بالمحاط خلقة وعن عدم
الملاقاة بينهما ابدا للايذان بكمال مباينته للآيات بعد ان كان بينهما كمال
الاتصال فاتبعه الشيطان اي تبعه حتى لحقه وادركه فصار قرينا له وهو المعنى على قراءة
فاتبعه من الافتعال وفيه تلويح بانه اشد من الشيطان غواية او اتبعه خطواته فكان من الغاوين
فصار من زمرة الضالين الراسخين في الغواية بعد ان كان من المهتدين وروي ان قومه
طلبوا اليه ان يدعو على موسى عليه السلام فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فلم يزالوا به حتى
فعل فبقوا في التيه ويرده ان التيه كان لموسى عليه السلام روحا وراحة وانما عذب به بنو اسرائيل
وقد كان ذلك بدعائه عليه السلام عليهم كما في سورة المائدة ولو شئنا كلام مستأنف
مسوق لبيان مناط ما ذكر من انسلاخه من الآيات ووقوعه في مهاوي الغواية ومفعول
المشيئة محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء على القاعدة المستمرة اي ولو
شئنا رفعه لرفعناه اي الى المنازل العالية للابرار لما بتلك الآيات العاملين
بموجبها لكن لا بمحض مشيئتنا من غير ان يكون له دخل في ذلك اصلا فانه مناف للحكمة
التشريعية المؤسسة على تعليق الاجزية بالافعال الاختيارية للعباد بل مع مباشرته للعمل
المؤدي الى الرفع بصرف اختياره الى تحصيله كما ينبئ عنه قوله تعالى بها اي بسبب تلك
الآيات بان عمل بموجبها فان اختياره وان لم يكن مؤثرا في حصوله ولا في ترتب الرفع عليه بل
كلاهما بخلق الله تعالى لكن خلقه تعالى منوط بذلك اليه بحسب جريان العادة الالهية
ومدار لذلك في الاستعدادات بان اسند ما يؤدي الى نقيض المأتي اليه حيث قيل
ولكنه اخلد الى الارض مع ان الاخلاد اليها ايضا مما لا يتحقق عند صرف اختياره
اليه الا بخلقه تعالى كانه قيل ولو شئنا فعله مباشرة لسبب لرفعناه بسبب تلك الآيات
التي هي اقوى اسباب الرفع ولكن لم نشأ لمباشرته لسبب نقيضه فتركناه في كل من المقامين
ما ذكر في الآخر تعويلا على اشعار المذكور بالمطوي كما في قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا

كاشف له وكما هو ان نزلت نحو قلادة الفضل وتخصيص كل من المذكورين بمقامه للايذان
بان الرفع من ادلة تعالى بالذات وتفضل محض عليه لا دخل فيه لفعله حقيقة كيف لا
وجميع افعاله ومبادئها من نعمه تعالى وتفضلاته وان نقيضه انما اصابه بسوء اختياره
على موجب العبد لا بالارادة الذاتية له سبحانه كما قيل في وجه ذكر الارادة مع الخير والمس
مع الضر في الآية المذكورة وهو السر في بيان المسند القريب على اسناد الخير اليه تعالى واضافة
الشر الى الغير كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظائره والاخلاد الى الشيء الميل
اليه مع الاطمئنان به والمراد بالارض الدنيا وقيل السفالة والمعنى لكنه آثر الدنيا
الدنية على المنازل السنية او الضعة والسفالة على الرفعة والجلالة واتبع هواه وهو ما
عن تلك الآيات الجليلة فانحط ابلغ انحطاط وارتد اسفل السافلين والى ذلك اشير بقوله
تعالى فمثله كمثل الكلب الذي هو اخس الحيوانات واسفلها ومثل حاله بأخس
احواله وادناها حيث قيل ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي فحاله التي هي مثل في السوء كصفته
في ارذل احواله وهي حالة دوام اللهث به في حالتي التعب والراحة فكانه قيل فصار الى ما غاية
وراءها في الخسة والدناءة وايثار الجملة الاسمية على الفعلية بان يقال فصار مثله كمثل الكلب
الخ للايذان بدوام اتصافه بتلك الحالة الخسيسة وكمال استقراره واستمراره عليها والخطاب
في تحمل لكل احد ممن له حظ من الخطاب فانه ادخل في اشاعة فظاعة حاله واللهث
ادلاع اللسان بالتنفس الشديد اي هو ضيق الحال المكروب وانما اللاهث سواء هيجته
وازعجته بالطرد العنيف او تركته على حاله فان في الكلاب طبع لا يقدر على نفض
الهواء المسخن وجلب الهواء البارد بسهولة لضعف قلبها وانقطاع فؤادها بخلاف
سائر الحيوانات فانها لا تحتاج الى التنفس الشديد ولا يلحقها الكرب والمضايقة الا
عند التعب والاعياء والجملة الشرطية مع اختها تفسير لما ابهم في المثل وتفصيل لما اجمل فيه وتوضيح
للتمثيل ببيان وجه الشبه على منهاج قوله تعالى خلقه من تراب ثم
قال له كن فيكون اثر قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم وقيل هي في محل النصب على الحالية
من الكلب بناء على خروجها من حقيقة الشرط وتحولها الى معنى التسوية حسبما تحول
الاستفهام الى معنى التسوية في مثل قوله تعالى أأنذرتهم ام لم تنذرهم كانه قيل لاهثا في الحالتين
وايا ما كان فالظاهر انه تشبيه للهيئة المنتزعة مما اعتراه بعد الانسلاخ من سوء الحال
واضطراب القلب ودوام القلق والاضطراب وعدم الاستراحة بحال من الاحوال
بالهيئة المنتزعة مما ذكر من حال الكلب وقيل لما دعا بلعم على موسى عليه السلام خرج لسانه
فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب الى ان هلك ذلك اشارة الى ما ذكر
من الحالة الخسيسة منسوبة الى الكلب او الى المنسلخ وما فيه من معنى البعد للايذان
ببعد منزلتها في الخسة والدناءة اي ذلك المثل السيء مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا
وهم اليهود حيث اوتوا في التوراة ما اوتوا من نعت النبي صلى الله عليه وسلم وذكر القرآن
المعجز وما فيه فصدقوه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فلما جاءهم
ما عرفوا كفروا به وانسلخوا من حكم التوراة فاقصص القصص القصص مصدر

حمية المعقولية كالسلب واللام للعهد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أي إذا تحقق
أن المثل المذكور مثل هؤلاء المذكورين فاقصصه عليهم حسبما أوحي إليك لعلهم
يتفكرون فيقفون على جلية الحال وينزجرون عما هم عليه من الكفر والضلالة ويعلمون
أنك قد علمته من جهة الوحي فيزدادوا إيقانا بك والجملة في محل النصب على أنها حال من ضمير
المخاطب أو على أنه مفعول له أي فاقصص القصص رجاء لتفكرهم أو رجاء لتفكرهم ساء
مثلا استئناف مسوق لبيان كمال قبح المكذبين بعد بيان كون مثلهم كحال الكلب أو المنسلخ
وساء بمعنى بئس وفاعلها مضمر فيها ومثلا تمييز مفسر له والمخصوص بالذم قوله تعالى القوم الذين كذبوا
بآياتنا وحيث وجب التصادق بينه وبين الفاعل والتمييز وجب المصير إلى تقدير
مضاف إما إليه وهو الظاهر أي ساء مثلا مثل القوم الخ أو إلى التمييز أي ساء أصحاب مثل
القوم الخ وأيا ما كان فإعادة القوم موصوفا بالموصول مع كفاية في العنوان بأن
يقال ساء مثلا مثلهم للإيذان بأن مدار السوء ما في حيز الصلة والربط قوله تعالى وأنفسهم
كانوا يظلمون إما معطوف على كذبوا داخل معه في حكم الصلة بمعنى جمعوا بين تكذيب
آيات الله تعالى بعد قيام الحجة عليها والعلم بها وبين ظلمهم لأنفسهم خاصة أو منقطع عنه
بمعنى وما ظلموا بالتكذيب إلا أنفسهم فإن وباله لا يتخطاها وأيا ما كان ففي يظلمون
إيذان بأن تكذيبهم بالآيات متضمن للظلم وأن ذلك بمعزل من القصر المستفاد من تقديم المفعول
من يهد الله فهو المهتدي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يقص قصص المنسلخ على
هؤلاء الضالين الذين مثلهم كمثله فيه ويتركوا ما هم عليه من الإخلاد إلى الضلال لي
تهتدوا إلى الحق عقب ذلك تحقيق أن الهداية والضلال من جهة الله عز وجل
وإنما العظة والتذكير من قبيل الوسائط العادية في حصول الاهتداء من غير تأثير لها فيه
سوى كونها دواعي إلى صرف العبد اختياره نحو تحصيله حسبما نيط به خلق الله تعالى
إياه كسائر أفعال العباد فالمراد بهذه الهداية ما يوجب الاهتداء قطعا لكن لا لأن
حقيقتها الدلالة الموصلة إلى البغية البتة بل لأنها الفرد الكامل من حقيقة الهداية
التي هي الدلالة إلى ما يوصل إلى البغية أي ما من شأنه الإيصال إليها كما سبق تحقيقه في
تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وليس المراد الإخبار بأن من هداه الله تعالى
حتى يتوهم عدم الإفادة بحسب الظاهر لظهور استلزام هدايته تعالى للاهتداء وتحمل
النظم الكريم على تعظيم شأن الاهتداء والتنبيه على أنه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم
يحصل غيره لكفاه بل هو قصر الاهتداء على من هداه الله تعالى حسبما يقتضيه تعريف
الخبر فالمعنى من يهده الله أي يخلق فيه الاهتداء على الوجه المذكور فهو المهتدي
لا غير كائنا من كان ومن يضلل بأن لم يخلق فيه الاهتداء بل خلق فيه الضلال لصرف
اختياره نحوها فأولئك الموصوفون بالضلالة على الوجه المذكور هم الخاسرون أي
الكاملون في الخسران لا غير والإفراد في المهتدي نظرا إلى لفظ من والجمع في الخاسرين نظرا إلى معناها
للإيذان باتحاد منهاج الهدى وتعدد طرق الضلال ولقد ذرأنا كلام مستأنف
مقرر لمضمون ما قبله بطريق التذييل أي خلقنا لجهنم أي لدخولها والتعذيب بها وتقديم

على قوله تعالى كثيرا أي خلقا كثيرا مفعول به لما في توابعه من نوع طول يؤدي
توسيطهما بينهما وتأخيرهما إلى الإخلال بجزالة النظم الكريم وقوله تعالى من الجن والإنس
متعلق بمحذوف هو صفة لكثيرا أي كائنا منهما وتقديم الجن لأنهم أعرق من الإنس في الاتصاف
بما نحن فيه من الصفات وأكثر عددا وأقدم خلقا والمراد بهم الذين حقت عليهم الكلمة
الأزلية بالشقاوة لكن لا بطريق الجبر من غير أن يكون من قبلهم ما يؤدي إلى ذلك بل لعلمه
تعالى بأنهم لا يصرفون اختيارهم نحو الحق أبدا بل يصرون على الباطل من غير صارف يلويهم
ولا عاطف يثنيهم من الآيات والنذر فبهذا الاعتبار جعل خلقهم مغيا بها كما أن جميع
الفريقين باعتبار استعدادهم الكامل الفطري للعبادة وتمكنهم التام منها جعل خلقهم
مغيا بها كما نطق به قوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون وقوله تعالى لهم
قلوب في محل النصب على أنه صفة أخرى لكثيرا وقوله تعالى لا يفقهون بها في محل الرفع
على أنه صفة لقلوب مؤكدة لما يفيده تنكيرها وإبهامها من كونها غير معهودة مخالفة لسائر
أفراد الجنس فاقدة لكمالها بالكلية لكن لا بحسب الفطرة حقيقة بل بسبب امتناعهم
عن صرفها إلى تحصيله وهذا وصف لها بكمال الإغراق في القساوة فإنها حيث لم يتأت
بها الفقه بحال فكأنها خلقت غير قابلة له رأسا وكذا الحال في أعينهم وآذانهم وحذف
المفعول للتعميم أي لهم قلوب ليس من شأنها أن يفقهوا بها شيئا مما من شأنه أن يفقه فيدخل
فيه ما يليق بالمقام من الحق ودلائله دخولا أوليا وتخصيصه بذلك مخل بالإفصاح عن
كنه حالهم ولهم أعين لا يبصرون بها الكلام فيه كما فيما عطف هو عليه والمراد
بالإبصار والسمع المنفيين ما يختص بالعقلاء من الإدراك على ما هو وظيفة الثقلين لا
ما يتناول مجرد الإحساس بالشبح والصوت كما هو وظيفة الأنعام أي لا يبصرون بها شيئا
من المبصرات فيندرج فيه الشواهد التكوينية الدالة على الحق اندراجا أوليا ولهم
آذان لا يسمعون بها أي شيئا من المسموعات فيتناول الآيات التنزيلية تناولا أوليا وإعادة
الخبر في الجملتين المعطوفتين مع انتظام الكلام بأن يقال وأعين لا يبصرون بها وآذان
لا يسمعون بها لتقرير سوء حالهم وفي إثبات المشاعر الثلاثة لهم ثم وصفها بعدم الشعور
دون سلبها عنهم ابتداء بأن يقال ليس لهم قلوب يفقهون بها ولا أعين يبصرون بها ولا آذان
يسمعون بها من الشهادة بكمال رسوخهم في الجهل والغواية ما لا يخفى أولئك إشارة
إلى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم
في الضلال أي أولئك الموصوفون بالأوصاف المذكورة كالأنعام أي في انتفاء الشعور
على الوجه المذكور أو في أن مشاعرهم متوجهة إلى أسباب التعيش مقصورة عليها بل هم أضل
فإنها تدرك ما من شأنها أن تدركه من المنافع والمضار فتجتهد في جلبها وسلبها غاية جهدها
مع كونها بمعزل من الخلود وهؤلاء ليسوا كذلك حيث لا يميزون بين المنافع والمضار بل يعكسون
الأمر فيتركون النعيم المقيم ويقدمون على العذاب الخالد وقيل لأنها تعرف صاحبها وتذكره
وتطيعه وهؤلاء لا يعرفون ربهم ولا يذكرونه ولا يطيعونه وفي الخبر كل شيء أطوع لله
من ابن آدم أولئك المنعوتون بما مر من مثلية الأنعام والشرية منها هم الغافلون

الكاملون في الغفلة المستحقون لان يخص بهم الاسم ولا يطلق على غيرهم كيف لا وانهم لا يعرفون من
شئون الله عز وجل الا من شئون ما سواه شيئا فيشركون به سبحانه ما ليس كمثله شيء وهو
السميع العليم اصنامهم التي هي من اخس مخلوقاته تعالى ولله الاسماء الحسنى تنبيه
للمؤمنين على كيفية ذكره تعالى وكيفية المعاملة مع المخلوقات بذكر الغافلين عنه سبحانه
وعما يليق به من الامور وما لا يليق به اثر بيان غفلتهم التامة وضلالتهم الطامة الحسنى تأنيث
الاحسن اي الاسماء التي هي احسن الاسماء واجلها لانبائها عن احسن المعاني واشرفها فادعوه
بها اي فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه الالحاد واللحد الميل والانحراف
يقال لحد والحد اذا مال عن القصد وقرئ يلحدون من الثلاثي اي يميلون في شأنها عن الحق
الى الباطل اما بان يسموه تعالى بما لا توقيف فيه او بما يوهم معنى فاسدا كما في قول اهل البدو
يا ابا المكارم يا ابيض الوجه يا سخي ونحو ذلك فالمراد بالترك المأمور به الاجتناب عن
ذلك وباسمائه ما اطلقوه عليه تعالى وسموه به على زعمهم لا اسماؤه تعالى حقيقة وعلى
ذلك يحمل ترك الاضمار بان يقال يلحدون فيها واما بان يعدلوا عن تسميته تعالى ببعض اسمائه
الكريمة كما قالوا وما الرحمن ما نعرف سوى رحمان اليمامة فالمراد بالترك الاجتناب ايضا وبالاسماء
اسماؤه تعالى حقيقة فالمعنى سموه تعالى بجميع اسمائه الحسنى واجتنبوا اخراج بعضها من البين
واما بان يطلقوها على غيره تعالى كما سموا اصنامهم آلهة واما بان يشتقوا من بعضها اسماء
اصنامهم كما اشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز فالمراد بالاسماء اسماؤه تعالى حقيقة كما
في الوجه الثاني والاظهار في موقع الاضمار مع التجريد عن الوصف في الكل للايذان بان
الحادهم في نفس الاسماء من غير اعتبار الوصف وليس المراد بالترك حينئذ الاجتناب عن
ذلك اذ لا يتوهم صدور مثل هذا الالحاد عن المؤمنين ليؤمروا بتركه بل هو الاعراض
عنهم وعدم المبالاة بما فعلوا ترقبا لنزول العقوبة بهم عن قريب كما هو المتبادر من قوله تعالى
سيجزون ما كانوا يعملون فانه استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الامر بعدم
المبالاة والاعراض عن المجازاة كأنه قيل لم لا نبالي بالحادهم ولا نتصدى لمجازاتهم فقيل لانه
سينزل بهم عقوبته وتشتفون بذلك عن قريب واما على الوجهين الاولين فالمعنى اجتنبوا
الحادهم كيلا يصيبكم ما اصابهم فانه سينزل بهم عقوبة الحادهم وممن خلقنا امة يهدون
بالحق وبه يعدلون بيان اجمالي لحال من عدا المذكورين من الثقلين الموصوفين بما ذكر من الضلال
والالحاد عن الحق ومحل الظرف الرفع على الابتداء اما باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف
وما بعده خبره كما مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس الخ اي وبعض من خلقنا او وبعض ممن
خلقنا امة اي طائفة كثيرة يهدون الناس ملتبسين بالحق او يهدونهم بكلمة الحق
ويدلونهم على الاستقامة وبالحق يحكمون في الحكومات الجارية فيما بينهم ولا يجورون فيها
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد اعطي القوم
بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة الآية وعنه عليه السلام ان من امتي قوما على الحق
حتى ينزل عيسى وروي لا تزال من امتي طائفة على الحق الى ان يأتي امر الله وروي
لا تزال من امتي قائمة بامر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي امر الله وهم

ظاهرون وفيه من الدلالة على صحة الاجماع ما لا يخفى وفي الاقتصار على نعتهم بهداية الناس للايذان
بان اهتداءهم في انفسهم امر محقق غني عن التصريح به والذين كذبوا بآياتنا شروع في تحقيق
الحق الذي به يهدي الهادون وبه يعدل العادلون وحمل الناس على الاهتداء به على وجه
الترهيب ومحل الموصول الرفع على الابتداء وما بعده من الجملة الاستقبالية خبره واضافة
الآيات الى نون العظمة لتشريفها واستعظام الاقدام على تكذيبها اي والذين كذبوا بآياتنا
التي هي معيار الحق ومصداق الصدق والعدل سنستدرجهم اي سنستدنيهم البتة
الى الهلاك شيئا فشيئا والاستدراج استفعال من درج اما بمعنى صعد ثم اتسع فيه فاستعمل
في كل نقل تدريجي سواء كان بطريق الصعود او الهبوط او الاستقامة واما بمعنى مشى مشيا
ضعيفا واما بمعنى طوى والاول هو الانسب بالمعنى المراد الذي هو النقل الى اعلى درجات
المهالك ليبلغ اقصى مراتب العقوبة والعذاب ثم استعير لطلب كل نقل تدريجي من حال
الى حال من الاحوال الملائمة للمنتقل الى فعله وهواه بحيث يزعم ان ذلك ترق في مراقي منافعه
مع انه في الحقيقة ترد في مهاوي مصارعه فاستدراجه سبحانه اياهم ان يواتر عليهم النعم مع انهماكهم
في الغي فيحسبوا انها لطف لهم منه تعالى فيزدادوا بطرا وطغيانا لكن لا على ان المطلوب تدرجهم
في مراتب النعم بل هو تدرجهم في مدارج المعاصي الى ان يحق عليهم كلمة العذاب على افظع حال
واشنعها والاول وسيلة اليه وقوله تعالى من حيث لا يعلمون متعلق بمضمر وقع صفة
لمصدر الفعل المذكور اي سنستدرجهم استدراجا كائنا من حيث لا يعلمون انه كذلك بل
يحسبون انه اثرة من الله عز وجل وتقريب منه وقيل لا يعلمون ما يراد بهم واملي لهم عطف
على سنستدرجهم غير داخل في حكم السين لما ان الاملاء الذي هو عبارة عن الامهال والاطالة
ليس من الامور التدريجية كالاستدراج الحاصل في نفسه شيئا فشيئا بل هو فعل يحصل دفعة
وانما الحاصل بطريق التدريج آثاره واحكامه لا نفسه كما يلوح به تغيير التعبير بتوحيد الضمير مع
ما في الالتفات المنبئ عن مزيد الاعتناء بمضمون الكلام لابتنائه على تجريد القصد الى المؤمنة
واما ان ذلك للاشعار بانه بمحض التقدير الالهي والاستدراج بتوسط المدبرات فبناه
دلالة نون العظمة على الشركة اي ذلك ولا الاحتراز عن ايراده هاهنا قوله تعالى لا يحسبن
الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم الآية بل لما ان ايراده في مثل هذه الموارد بطريق
الجريان على سنن الكبرياء ان كيدي متين تأكيد للوعيد وتقرير له اي قوي لا يدافع
بقوة ولا بحيلة والمراد به اما الاستدراج والاملاء مع نتيجتهما التي هي الاخذ على غرة فتسميته
كيدا لما ان ظاهره لطف وباطنه قهر واما نفس ذلك الاخذ فقط فالتسمية لكون مقدماته
كذلك واما ان حقيقة الكيد هو الاخذ على خفاء من غير ان يعتبر فيه اظهار خلاف ما ابطنه
فمما لا تعويل عليه لعدم مناسبته للمقام ضرورة استدعائه لاعتبار القيد المذكور حتما
اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة كلام مبتدأ مسوق لانكار عدم تفكرهم في شأنه عليه السلام
وجهلهم بحقيقة حاله الموجبة للايمان به وبما انزل عليه من الآيات التي كذبوا بها والهمزة
للانكار والتعجب والتوبيخ والواو للعطف على مقدر يستدعيه سياق النظم الكريم
وسياقه وما اما استفهامية انكارية في محل الرفع بالابتداء والخبر بصاحبهم او اما نافية

اسمية وخبرها بصاحبهم والجنة من المصادر التي يراد بها الهيئة كالركبة والجلسة وتنكيرها للتقليل
والتحقير والجملة معلقة لفعل التفكر لكونه من افعال القلوب ومحلها النصب على نزع
الجار اي اكذبوا ولم يتفكروا في اي شيء من جنون ما كائن بصاحبهم الذي هو اعظم الهداة
بالحق وعليه نزلت تلك الآيات اي في انه ليس بصاحبهم شيء من جنة حتى يؤديهم التفكر في
ذلك الى الوقوف على صدقه وصحة نبوته فيؤمنوا به وبما انزل عليه من الآيات وقيل بعدم الآيات
وقيل تم الكلام عند قوله تعالى اولم يتفكروا اي اكذبوا بها ولم يفعلوا التفكر ثم ابتدئ
فقيل اي شيء بصاحبهم من جنون على طريقة الانكار والتعجيب والتبكيت او قيل ليس بصاحبهم
شيء منها والتعبير عنه صلى الله عليه وسلم بصاحبهم للايذان بان طول مصاحبتهم له مما يطلعهم على
نزاهته عليه السلام عن شائبة ما ذكر ففيه تاكيد للنكير وتشديد له ومن للتعرض لنفي الجنون عنه
صلى الله عليه وسلم مع وضوح استحالته لعلم الكل بان التكلم هو خارق لقضية العقول والعادات
لا يصدر الا عمن به مس من الجنون كيفما اتفق من غير ان يكون له اصل ومعنى او عنده ما يبطله
يخبر عن الامور الغيبية وان ليس به عليه السلام شائبة الاول بعين انه عليه السلام مؤيد من عند الله
عز وجل وقيل انه عليه السلام علا الصفا ليلا فجعل يدعو قريشا فخذا فخذا يحذرهم باس الله تعالى
فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت والتعرض لنفي الجنون
للرد على عظيمتهم الشنعاء والتعبير عنه عليه السلام بصاحبهم وارد على شاكلة كلامهم مع ما فيه من
النكتة المذكورة وقوله تعالى ان هو الا نذير مبين جملة مقررة لمضمون ما قبلها ومبينة
لحقيقة حاله صلى الله عليه وسلم على منهاج قوله ان هذا الا ملك كريم بعد قوله تعالى ما هذا
بشرا اي ما هو عليه السلام الا مبالغ في الانذار مظهر له غاية الاظهار ابرازا لكمال الرأفة ومبالغة
في الانذار وقوله تعالى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض استئناف آخر مسوق للانكار
والتوبيخ باخلالهم بالتامل في الآيات التكوينية المنصوبة في الآفاق والانفس الشاهدة بصحة
مضمون الآيات المنزلة اثر ما نعي عليهم اخلالهم بالتفكر في شانه عليه السلام والهمزة لما ذكرنا من الانكار
والتعجيب والتوبيخ والواو للعطف على المقدر المذكور اي على الجملة المنفية بلم والملكوت الملك
العظيم اي اكذبوا بها ولم يتفكروا فيما ذكر ولم ينظروا نظر تامل فيما يدل عليه السموات والارض
من عظم الملك وكمال القدرة وما خلق الله من شيء اي وفيما خلق فيهما على انه عطف على ملكوت خلق الله من
وتخصيصه بهما لكمال ظهور عظم الملك فيهما او وفي ملكوت ما خلق على انه عطف على السموات
والارض والتعميم لاشتراك الكل في الدلالة على عظم الملك في الحقيقة وعليه قوله تعالى
فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وقوله تعالى من شيء بيان لما خلق مفيد لعدم
اختصاص الدلالة المذكورة بجلائل المصنوعات دون دقائقها والمعنى او لم ينظروا في ملكوت
السموات والارض وما فيهما من جليل ودقيق مما يطلق عليه اسم الشيء ليدلهم ذلك على العلم بوحدانيته
تعالى وبسائر شؤونه التي تنطق بها تلك الآيات فيؤمنوا بها لاتحادهما في الدلالة فان كل فرد من افراد
الاكوان مما عز وهان دليل لائح على الصانع المجيد وسبيل واضح الى عالم التوحيد وقوله تعالى
وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان مخففة من ان واسمها
ضمير الشان وخبرها عسى مع فاعلها الذي هو ان يكون واسم يكون ايضا ضمير الشان والخبر قد اقترب

اجلهم والمعنى او لم ينظروا في ان الشان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم ويجوز ان يكون
اسم يكون اجلهم وخبرها قد اقترب على انها جملة من فعل وفاعل هو ضمير اجلهم لتقدمه حكما وايا ما
كان فمناط الانكار والتوبيخ تاخيرهم للنظر والتامل اي لعلهم يموتون عما قريب فما لهم لا يسارعون
الى التدبر في الآيات التكوينية الشاهدة بما كذبوه من الآيات القرآنية ويجوز ان يكون الاجل
عبارة عن الساعة والاضافة الى ضميرهم لملابستهم لها من جهة انكارهم لها وبحثهم عنها
وقوله عز وجل فباي حديث بعده يؤمنون قطع لاحتمال ايمانهم رأسا ونفي له
بالكلية مترتب على ما ذكر من تكذيبهم بالآيات واخلالهم بالتفكر والنظر اي اذا لم يؤمنوا
وضمير بعده للآيات على حذف المضاف المفهوم من كذبوا والتذكير باعتبار كونها قرآنا او فيما لها
بالمذكور او هو الضمير في اسم الاشارة والمعنى اكذبوا بها ولم يتفكروا فيما يوجب تصديقها
من احوال الرسول صلى الله عليه وسلم واحوال المصنوعات فباي حديث يؤمنون بعد تكذيبه ومن حق مثل هذه
الشواهد القوية كلا وهيهات وقيل الضمير للقرآن والمعنى فباي حديث بعد القرآن
يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان وقيل هو اخبار وتبكيت لهم مترتب على اخلالهم
بالمسارعة الى التامل فيما ذكر كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقرآن قبل
الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وباي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا وقيل
الضمير لاجلهم والمعنى فباي حديث بعد انقضاء اجلهم يؤمنون وقيل للرسول صلى الله عليه وسلم
على حذف مضاف اي فباي حديث بعد حديثه يؤمنون وهو اصدق الناس وقوله تعالى
من يضلل الله فلا هادي له استئناف مقرر لما قبله منبئ على الطبع على قلوبهم وقوله
تعالى ويذرهم في طغيانهم يعمهون بالياء والرفع على الاستئناف اي وهو يذرهم وقرئ
بنون العظمة على طريقة الالتفات اي ونحن نذرهم وقرئ بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي
كانه قيل من يضلل الله لا يهده احد ويذرهم وقرئ بالجزم بالنون عن نافع وابي عمرو في
الشواذ وقوله تعالى يعمهون اي يترددون ويتحيرون حال من مفعول يذرهم وتوحيد الضمير
في النفي نظرا الى لفظ من وجمعه في الآيات نظرا الى معناها للتنصيص على شمول النفي
والاثبات للكل يسالونك عن الساعة استئناف مسوق لبيان بعض احكام
ضلالهم وطغيانهم اي عن القيامة وهي من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة
او لسرعة ما فيها من الحساب او لانها ساعة عند الله تعالى مع طولها في نفسها قيل ان قوما من اليهود
قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا منهم مع
علمهم انه تعالى قد استاثر بعلمها وقيل السائلون قريش وقوله تعالى ايان مرساها بفتح
الهمزة وقرئ بكسرها وهو ظرف زمان متضمن لمعنى الاستفهام ويليه المبتدا او الفعل
المضارع دون الماضي بخلاف متى حيث يليهما كلاهما قيل اشتقاقه من اين لان معناه
اي وقت وهو من اويت الى الشيء لان البعض اوى الى الكل متساند اليه ومحله الرفع على انه
خبر مقدم ومرساها مبتدأ موخر اي متى ارساؤها اي اثباتها وتقريرها فانه مصدر ميمي
من ارساه اذا اثبته واقره ولا يكاد يستعمل الا في الشيء الثقيل كما في قوله تعالى والجبال
ارساها ومنه مرساة السفن ومحل الجملة قيل الجر على البدلية من الساعة والتحقيق انها

النصب بنزع الخافض لانها بدل من الجار والمجرور لا من المجرور فقط كانه قيل يسالونك عن الساعة ايان
مرساها ومدار تعليق السؤال بنفس الساعة اولا وبوقت وقوعها ثانيا تنبيه على ان المقصد الاصلي
من السؤال نفسها باعتبار حلولها في وقتها المعين لا وقتها باعتبار كونه محلا لها وقد سلك هذا
المسلك في الجواب الملقن ايضا حيث اضيف العلم المطلوب بالسؤال الى ضميرها فاجيب باختصاصه به
عز وجل حيث قيل قل انما علمها اي علمها بالاعتبار المذكور عند ربي ولم يقل انما علم
وقت ارسائها ومن لم يتنبه لهذه النكتة حمل النظم الكريم على حذف المضاف وهو الوقت لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلم للايذان بان توفيقه عليه السلم للجواب على الوجه المذكور من باب
التربية والارشاد ومعنى كون علمها عنده تعالى خاصة انه تعالى قد استاثر به بحيث لم يخبر احدا من
ملك مقرب او نبي مرسل وقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو بيان لاستمرار تلك الحالة الى
حين قيامها واقناط كلي من اظهار امرها بطريق الاخبار من جهته تعالى او من جهة غيره لاقتضاء الحكمة
التشريعية اياه فانه ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما ان اخفاء الاجل الخاص للانسان
كذلك والمعنى لا يكشف عنها ولا يظهر للناس امرها الذي تسالونني عنه الا هو بالذات من غير
ان يشعر به احد من المخلوقين فيتوسط في اظهاره لهم لكن لا بان يخبرهم بوقتها قبل مجيئه كما هو
المسؤول بل بان يقيمها فيشاهدوها عيانا كما يفصح عنه التجلية المنبئة عن الكشف التام المزيل
للابهام بالكلية وقوله تعالى لوقتها اي في وقتها قيد للتجلية بعد ورود الاستثناء عليها
لا قبله كانه قيل لا يجليها الا هو في وقتها الا انه قدم على الاستثناء للتنبيه من اول الامر على
ان تجليتها ليست بطريق الاخبار بوقتها بل باظهار عينها في وقتها الذي يسالونك عنه وقوله تعالى
ثقلت في السموات والارض استئناف كما قبله مقرر لمضمونه اي كبرت وشقت على اهلها
من الملائكة والثقلين كل منهم اهمه خفاؤها وخروجها عن دائرة العقول وقيل عظمت
عليهم حيث يشفقون منها ويخافون شدائدها واهوالها وقيل ثقلت فيها اذ لا يطيقها
منها ومما فيها شيء اصلا والاول هو الانسب بما قبله وبما بعده من قوله تعالى لا تاتيكم
الا بغتة فانه ايضا استئناف مقرر لمضمون ما قبله فلا بد من اعتبار الثقل من حيث الخفاء اي
لا تاتيكم الا فجاة على غفلة كما قال صلى الله عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل
يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه
ويرفعه يسالونك كانك حفي عنها استئناف مسوق لبيان خطائهم في توجيه السؤال
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء على زعمهم انه عليه السلم عالم بالمسؤول عنه او ان العلم بذلك
من مواجب الرسالة اثر بيان خطائهم في اصل السؤال باعلام شان المسؤول عنه والجملة
التشبيهية في محل النصب على انها حال من الكاف محكية ببيانا لما يدعوهم الى السؤال على زعمهم
واشعار بخطائهم في ذلك اي يسالونك مشبها حالك عندهم بحال من هو حفي عنها اي بليغ في
العلم بها فعيل من حفي وحقيقته كانك مبالغ في السؤال عنها فان ذلك في حكم المبالغة في
العلم بها لما ان من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه به ومبنى التركيب على
المبالغة والاستقصاء ومنه احفاء الشارب واحفاء النعل اي استيصاله والاحتفاء في
المسئلة اي الادآء وقيل عن متعلقة بيسالونك وقوله تعالى كانك حفي معترض وصله

حتى يحفونه اي حفي بهم وقد قرى كذلك وقيل من الحفاوة بمعنى البر والشفقة فان قريشا قالوا له
عليه السلم ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسالونك كانك حفي بهم فتخصهم
بتعليم وقتها لاجل القرابة وتزوي امرها عن غيرهم ففيه تخطية لهم من جهتين وقيل حفي بالشيء
بمعنى فرح به والمعنى كانك فرح بالسؤال عنها تحب ان تسال عنها لما انه تعرض لحرم الغيب الذي
استاثر الله عز وجل بعلمه قل انما علمها عند الله امر عليه السلم باعادة الجواب الاول
تاكيدا للحكم وتقريرا له واشعارا بعلته على الطريقة البرهانية بايراد اسم الذات المنبئ عن استتباعها
لصفات الكمال التي من جملتها العلم وتمهيدا للتعريض بجهلهم بقوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون
اي لا يعلمون ما ذكر من اختصاص علمها به تعالى فبعضهم ينكرونها اصلا فلا يعلمون شيئا مما ذكر
قطعا وبعضهم يعلمون انها واقعة البتة ويزعمون انك واقف على وقت وقوعها فيسالونك
عنه جهلا وبعضهم يدعون ان العلم بذلك من مواجب الرسالة فيتخذون السؤال عنه ذريعة
الى القدح في رسالتك والمستثنى من هؤلاء هم الواقفون على جلية الحال من المؤمنين واما
السائلون منهم من اليهود بطريق الامتحان فهم منتظمون في سلك الجاهلين حيث لم يعلموا بعلمهم
وقوله تعالى قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا شروع في الجواب عن السؤال ببيان عجزه عن
علمها اثر بيان عجز الكل عنه وابطال زعمهم الذي بنوا عليه سؤالهم من كونه عليه السلم ممن يعلمها
واعادة الامر لاظهار كمال العناية بشان الجواب والتنبيه على استقلاله ومغايرته للاول
والتوصل لبيان عجزه عما ذكر من النفع والضر لاثبات عجزه عن علمها بالطريق البرهاني واللام اما
متعلقة باملك او بمحذوف وقع حالا من نفعا اي لا اقدر لاجل نفسي على جلب نفع ما ولا
على دفع ضر ما الا ما شاء الله ان املكه من ذلك بان يلهمنيه فيمكنني منه ويقدرني
عليه او لكن ما شاء الله من ذلك كائن فالاستثناء منقطع وهذا ابلغ في اظهار العجز ولو
كنت اعلم الغيب اي جنس الغيب الذي من جملته ما بين الاشياء من المناسبات المصححة
عادة للسببية والمسببية ومن المنافيات المستتبعة للممانعة والمدافعة لاستكثرت من الخير
اي لحصلت كثيرا من الخير الذي نيط تحصيله بالافعال الاختيارية للبشر بترتيب اسبابه ودفع
موانعه وما مسني السوء اي السوء الذي يمكن التفصي عنه بالتوقي عن موجباته والمدافعة
بموانعه لا سوء ما فان منه ما لا مدفع له ان انا الا نذير وبشير اي ما انا الا عبد مرسل
للانذار والبشارة شاني حيازة ما يتعلق بهما من العلوم الدينية والدنيوية لا الوقوف على
الغيوب التي لا علاقة بينها وبين الاحكام والشرائع وقد كشفت من امر الساعة ما يتعلق به
الانذار من مجيئها لا محالة واقترابها واما تعيين وقتها فليس مما يستدعيه الانذار بل هو
مما يقدح فيه لما مر من ان ابهامه ادعى الى الانزجار عن المعاصي وتقديم النذير على البشير لما ان
المقام مقام الانذار وقوله تعالى لقوم يؤمنون اما متعلق بهما جميعا لانهم ينتفعون
بالانذار كما ينتفعون بالبشارة واما بالبشير فقط وما يتعلق بالنذير محذوف اي نذير للكافرين
اي الباقين على الكفر وبشير لقوم يؤمنون اي في وقت كان ففيه ترغيب للكفرة في احداث
الايمان وتحذير عن الاصرار على الكفر والطغيان هو الذي خلقكم استئناف سيق
لبيان كمال عظم جناية الكفرة في جراتهم على الاشراك بتذكير مبادي احوالهم المنافية

لة وايقاع الموصول خبرا لتفخيم شان المبتدا اى هو ذلك العظيم الشان الذى خلقكم جميعا وحده
من غير ان يكون لغيره مدخل فى ذلك بوجه من الوجوه من نفس واحدة هو آدم عليه السلام
وهذا نوع تفصيل لما اشير اليه فى مطلع السورة الكريمة اشارة اجمالية من خلقهم وتصويرهم
فى ضمن خلق آدم وتصويره وبيان لكيفيته وجعل منها عطف على خلقكم داخل فى حكم الصلة
ولا ضير فى تقدمه عليه وجودا لما ان الواو لا تستدعى الترتيب فى الوجود زوجها اى من
جنسها كما فى قوله تعالى جعل لكم من انفسكم ازواجا او من جسدها لما يروى انه تعالى خلق حوا
من ضلع من اضلاع آدم عليه السلام والاول هو الانسب اذ الجنسية هى الموجبة الى الغاية الآتية
لا الجزئية والجعل اما بمعنى التصيير فقوله تعالى زوجها مفعوله الاول والثانى هو الظرف المقدم
واما بمعنى الانشاء والظرف متعلق بجعل وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام
بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف هو حال من المفعول والاول هو الاولى وقوله تعالى ليسكن
اليها علة غائية للجعل باعتبار تعلقه بمفعوله الثانى اى ليستانس بها ويطمئن اليها اطمئنانا
مصححا للازدواج كما يلوح به تذكير الضمير فى قوله تعالى فلما تغشاها اى جامعها حملت
حملا خفيفا فى مبادى الامر فانه عند كونه نطفة او علقة او مضغة اخف عليها بالنسبة الى ما
بعد ذلك من المراتب والتعرض لذكر خفته للاشارة الى نعمته تعالى عليهم فى انشائه تعالى
اياهم متدرجين فى اطوار الخلق من العدم الى الوجود ومن الضعف الى القوة فمرت
به فاستمرت به كما كانت قبل حيث قامت وقعدت واخذت وتركت وعليه قراءة ابن
عباس رضى الله عنه وقرى فمرت بالتخفيف وفارت من المور وهو المجىء والذهاب او من المرية
اى فظنت الحمل وارتابت به واما ما قيل من ان المعنى حملت حملا خفت عليها ولم تلق منه ما تلقى
بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذية ولم تستثقله كما يستثقلنه فمرت به اى فمضت
به الى ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق فيرده قوله تعالى فلما اثقلت اذ معناه
فلما صارت ذات ثقل لكبر الولد فى بطنها ولا ريب فى ان الثقل بهذا المعنى ليس مقابلا للخفة
بالمعنى المذكور انما مقابلها الكرب الذى يعترى بعضهن من اول الحمل الخ دون بعض اصلا وقد قيل
وقرى اثقلت على البناء للمفعول اى اثقلها حملها دعوا الله اى آدم وحوا عليهما السلام
لما دهمهما امر لم يعهداه ولم يعرفا ماله فاهتما به وتضرعا اليه عز وجل وقوله تعالى ربهما اى مالك
امرهما الحقيق بان يخص به الدعاء اشارة الى انهما قد صدرا به دعاءهما كما فى قولهما ربنا ظلمنا انفسنا
الاية ومتعلق الدعاء محذوف تعويلا على شهادة الجملة القسمية به اى دعواه تعالى
فى ان يؤتيهما صالحا ووعدا بمقابلته الشكر على سبيل التوكيد القسمى وقالا او قائلين لئن
آتيتنا صالحا اى ولدا من جنسنا سويا الكرى نحن ومن يتناسل من ذريتنا
لنكونن من الشاكرين الراسخين فى الشكر على نعمائك التى من جملتها هذه النعمة وترتيب هذا
الجواب على الشرط المذكور لما انهما قد علما ان ما علقا به دعاءهما انموذج لسائر افراد الجنس
ومعيار لها ذاتا وصفة وجوده مستتبع لوجودها وصلاحه مستلزم لصلاحها
فالدعاء فى حقه متضمن للدعاء فى حق الكل مستتبع له لانهما قالا لئن آتيتنا وذريتنا اولادا
صالحة وقيل ان ضمير آتيتنا لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما فالوجه ظاهر وانت خبير

بان

بان نظم الكل فى سلك الدعاء اصالة يا باه مقام المبالغة فى الاعتناء بشان ما هما بصدده واما
جعل ضمير لنكونن للكل فلا محذور فيه لان توسيع دائرة الشكر غير مخل بالاعتناء المذكور
بل موكد له واياما كان فمعنى قوله تعالى فلما آتاهما صالحا لما آتاهما ما طلباه اصالة
واستتباعا من الولد وولد الولد ما تناسلوا فقوله تعالى جعلا اى جعل اولادهما له تعالى
شركا على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ثقة بوضوح الامر وتعويلا على ما يعقبه من
البيان وكذا الحال فى قوله تعالى فيما آتاهما اى فيما آتى اولادهما من الاولاد حيث سموهم بعبد
مناف وعبد العزى ونحو ذلك وتخصيص اشراكهم هذا بالذكر فى مقام التوبيخ مع ان اشراكهم
بالعبادة اغلظ منه جناية واقدم وقوعا لما ان مساق النظم الكريم لبيان اخلالهم
بالشكر فى مقابلة نعمة الولد الصالح واول كفرهم فى حقه انما هو تسميتهم اياه بما ذكر وقرى
شركا اى شركة او ذوى شرك اى شركاء وان قيل ما ذكر من حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه انما يصار
اليه فيما يكون للفعل ملابسة بالمضاف اليه ايضا بسراية اليه حقيقة او حكما ويتضمن نسبته اليه
صورة مزية يقتضيها المقام كما فى مثل قوله تعالى واذ نجيناكم من آل فرعون الاية فان الانجاء
منهم مع ان تعلقه حقيقة ليس باسلاف اليهود وقد نسب الى اخلافهم بحكم سرايته اليهم
توفية لمقام الامتنان حقه وكذا فى قوله تعالى قل فلم تقتلون انبياء الله الاية فان
القتل حقيقة مع كونه من جنايات آبائهم قد اسند اليهم بحكم رضاهم به اداء لحق مقام التوبيخ
والتبكيت ولا ريب فى انهما عليهما السلام بريئان من سراية الجعل المذكور اليهما بوجه من الوجوه
فما وجه اسناده اليهما صورة قلنا وجهه الايذان بتركهما الاولى حيث اقدما على نظم اولادهما
فى سلك انفسهما والتزما شكرهم فى ضمن شكرهما واقسما على ذلك قبل تعرف احوالهم ببيان
ان اخلالهم بالشكر الذى وعداه وعدا موكدا باليمين بمنزلة اخلالهما به بالذات فى
استيجاب الحنث والخلف مع ما فيه من الاشعار بتضاعف جنايتهم ببيان انهم بجعلهم
المذكور اوقعوهما فى ورطة الحنث والخلف وجعلوهما كانهما باشراه بالذات فجمعوا بين
الجناية على الله تعالى والجناية عليهما عليهما السلام فتعالى الله عما يشركون تنزيه فيه معنى
التعجب والفاء لترتيبه على ما فصل من احكام قدرته تعالى وآثار نعمته الزاجرة عن الشرك
الداعية الى التوحيد وصيغة الجمع لما اشير اليه من تعيين الفاعل وتنزيه آدم وحوا عليهما السلام
عن ذلك وما فيها اما مصدرية اى عن اشراكهم او موصولة او موصوفة اى عما يشركونه به
سبحانه والمراد باشراكهم اما تسميتهم المذكورة او مطلق اشراكهم المنتظم لها انتظاما اوليا
وقرى تشركون بتاء الخطاب بطريق الالتفات وقيل الخطاب لآل قصى من قريش والمراد
بالنفس الواحدة نفس قصى فانهم خلقوا منه وكان له زوج من جنسه عربية قرشية وطلبا
من الله تعالى الولد الصالح فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد
قصى وعبد الدار وضمير يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما واما ما قيل من انه لما
حملت حوا اتاها ابليس فى صورة رجل فقال لها ما يدريك ما فى بطنك لعله
بهيمة او كلب وخنزير وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك فذكرته لآدم عليه السلام
فاهمهما ذلك ثم عاد اليها وقال انى من الله تعالى بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا

شيئا وتيسر له عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا في الملائكة فقبلت فلما ولدته
سمته عبد الحارث ومثله لا تعويل عليه كيف لا وانه عليه السلام كان علما في علم الاسماء والمسميات
فعدم علمه بالمشتق من اسمه واتباعه اياه في مثل هذا الشان الخطير امر قريب من المحال والله
اعلم بحقيقة الحال ايشركون استئناف مسوق لتوبيخ كافة المشركين واستقباح
اشراكهم على الاطلاق وابطاله بالكلية ببيان شان ما اشركوه به سبحانه وتفصيل
احواله القاضية ببطلان ما اعتقدوه في حقه اي ايشركون به تعالى ما لا يخلق شيئا
اي لا يقدر على ان يخلق شيئا من الاشياء اصلا ومن حق المعبود ان يكون خالقا لعابده
لا محالة وقوله تعالى وهم يخلقون عطف على لا يخلق وايراد الضميرين بجمع العقلاء مع
رجوعهما الى ما المعبر بها عن الاصنام انما هو بحسب اعتقادهم فيها واجرائهم لها مجرى
العقلاء وتسميتهم لها آلهة وكذا حال سائر الضمائر الآتية ووصفها بالمخلوقية
بعد وصفها بنفي الخالقية لابانة كمال منافاة حالها لما اعتقدوه في حقها واظهار
غاية جهلهم فان اشراك ما لا يقدر على خلق شيء ما بخالق جميع الاشياء مما لا يمكن
ان يتوهمه من له عقل في الجملة وعدم التعرض لخالقهما للايذان بتعينه والاستغناء
عن ذكره ولا يستطيعون لهم اي لعبدتهم اذا حزبهم امر وحطب ملم نصرا اي
نصرا ما بجلب منفعة او دفع مضرة ولا انفسهم ينصرون اذا اعتراهم حادثة من الحوادث
اي لا يدفعونها عن انفسهم وايراد النصر للمشاكلة وهذا بيان لعجزهم عن ايصال منفعة
ما من المنافع الوجودية والعدمية الى عبدتهم وانفسهم عقيب بيان عجزهم عن ايصال منفعة
الوجود اليهم والى انفسهم خلا انهم وصفوا هناك بالمخلوقية لكونهم اهلا لها وههنا
لم يوصفوا بالمنصورية لانهم ليسوا اهلا لها وقوله تعالى وان تدعوهم الى الهدى بيان
لعجزهم عما هو ادنى من النصر المنفي عنهم وايسر وهو مجرد الدلالة على المطلوب والارشاد الى طريق
حصوله من غير ان يحصله للطالب والخطاب للمشركين بطريق الالتفات المنبئ عن مزيد
الاعتناء بامر التوبيخ والتبكيت اي ان تدعوهم ايها المشركون الى ان يهدوكم الى ما تحصلون
به المطالب او تنجون به عن المكاره لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم وقرئ بالتخفيف وقوله
تعالى سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون استئناف مقرر لمضمون ما قبله ومبين لكيفية
عدم الاتباع اي مستو عليكم في عدم الافادة دعاؤكم لهم وسكوتكم البحت فانه لا يتغير
حالكم في الحالين كما لا يتغير حالهم بحكم الجمادية وقوله تعالى ام انتم صامتون جملة اسمية في
معنى الفعلية معطوفة على الفعلية لانها في قوة ام صمتم عدل عنها للمبالغة في عدم افادة
الدعاء ببيان مساواته للسكوت الدائم المستمر وما قيل من ان الخطاب للمسلمين والمعنى
وان تدعوا المشركين الى الهدى اي الى الاسلام لا يتبعوكم الخ مما لا يساعده سياق
النظم الكريم وسياقه اصلا على انه لو كان كذلك لقيل عليهم مكان عليكم كما في قوله
تعالى سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم فان استواء الدعاء وعدمه انما هو بالنسبة
الى المشركين لا بالنسبة الى الداعين فانهم فائزون بفضل الدعوة ان الذين تدعون من دون الله
تقرير لما قبله من عدم اتباعهم لهم اي ان الذين تعبدونهم من دونه تعالى من الاصنام

وتسمونهم آلهة عباد امثالكم اي مماثلة لكم لكن لا من كل وجه بل من حيث انها مملوكة لله عز وجل مسخرة
لامره عاجزة عن النفع والضر وتشبيهها بهم في ذلك مع كون عجزها عنهما اظهر واقوى من عجزهم
انما هو لاعتقادهم انهم يعجزون انفسهم او ادعائهم لقدرتها عليهما اذ هو الذي يدعوهم الى عبادتها
والاستعانة بها وقوله تعالى فادعوهم فليستجيبوا لكم تحقيق لمضمون ما قبله بتعجيزهم وتبكيتهم
اي فادعوهم في جلب نفع او كشف ضر ان كنتم صادقين في زعمكم انهم قادرون على ما
انتم عاجزون عنه وقوله تعالى الهم ارجل يمشون بها الخ تبكيت اثر تبكيت مؤكد لما
يفيده الامر التعجيزي من عدم الاستجابة ببيان فقدان الآلات بالكلية فان الاستجابة من الهياكل
الجسمانية انما تتصور اذا كان لها حواس وقوى محركة ومدركة وما ليس له شيء من ذلك فهو
بمعزل من الافاعيل بالمرة كانه قيل الهم هذه الآلات التي بها تتحقق الاستجابة حتى يمكن استجابتهم
لكم وقد وجه الانكار الى كل واحدة من هذه الآلات الاربع على حدة تكريرا للتبكيت وتثنية
للتقريع واشعارا بان انتفاء كل واحدة منها بحيالها كاف في الدلالة على استحالة الاستجابة
ووصف الارجل بالمشي بها للايذان بان مدار الانكار هو الوصف وانما وجه الى الارجل لا الى
الوصف بان يقال ايمشون بارجلهم لتحقيق انها حيث لم يظهر منها ما يظهر من سائر الارجل فهي
ليست بارجل في الحقيقة وكذا الكلام فيما بعده من الجوارح الثلاث الباقية وكلمة ام في قوله
تعالى ام لهم ايد يبطشون بها منقطعة وما فيها من الهمزة لما مر من التبكيت والالزام
وبل للاضراب المفيد للانتقال من فن من التبكيت بعد تمامه الى فن آخر منه لما ذكر من المزايا
والبطش الاخذ بقوة وقرئ يبطشون بضم الطاء وهي لغة فيه والمعنى بل الهم ايد ياخذون
بها ما يريدون اخذه وتاخير هذا عما قبله لما ان المشي حالهم في انفسهم والبطش حالهم بالنسبة
الى الغير واما تقديمه على قوله تعالى ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها مع ان
الكل سواء في انها من احوالهم بالنسبة الى الغير فلمراعاة المقابلة بين الايدي والارجل
ولان انتفاء المشي والبطش اظهر والتبكيت بذلك اقوى واما تقديم الاعين فلما
انها اشهر من الآذان واظهر عينا واثرا هذا وقد قرئ ان الذين تدعون من دون الله
عبادا امثالكم على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية اي ما الذين تدعون من دونه تعالى
عبادا امثالكم بل ادنى منكم فيكون قوله تعالى الهم الخ تقريرا لنفي المماثلة باثبات القصور
والنقصان قل ادعوا شركاءكم بعدما بين ان ما اتخذوه لا يقدرون على شيء
ما اصلا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يناصبهم للمحاجة ويكر عليهم بالتبكيت والقام
الحجر اي ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم على ثم كيدون جميعا انتم وشركاؤكم بالغوا
في ترتيب ما تقدرون عليه من مبادي الكيد والمكر فلا تنظرون اي فلا تمهلوني ساعة
بعد ترتيب مقدمات الكيد فاني لا ابالي بكم اصلا ان وليي الله الذي نزل الكتاب
تعليل لعدم المبالاة المفهوم من السوق انفهاما جليا ووصفه تعالى بتنزيل الكتاب
للاشعار بدليل الولاية والاشارة الى علة اخرى لعدم المبالاة كانه قيل لا ابالي بكم
وبشركائكم لان وليي هو الله الذي نزل الكتاب الناطق بانه وليي وناصري وبان
شركاءكم لا يستطيعون نصر انفسهم فضلا عن نصركم وقوله تعالى وهو يتولى الصالحين تذييل

مقرر لمضمون ما قبله اي ومن عادته ان يتولى الصالحين من عباده وينصرهم ولا يخذلهم والذين
تدعون من دونه اي تعبدونهم من دونه تعالى او تدعونهم للاستعانة بهم على حسبما امركم به لا
يستطيعون نصركم اي في امر من الامور او في خصوص من الامر المذكور ولا انفسهم ينصرون فا
انى اباليهم نامية وان تدعوهم الى الهدى الى ان يهدوكم الى ما تحصلون به مقاصدكم
على الاطلاق او في خصوص الكيد المعهود لا يسمعوا اي لا دعاكم فضلا عن المساعدة
والامداد وهذا ابلغ من نفي الاتباع وقوله تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون
بيان لعجزهم عن الابصار بعد بيان عجزهم عن السمع وبه يتم التعليل فلا تكرار اصلا والرؤية
بصرية وقوله تعالى ينظرون اليك حال من المفعول والجملة الاسمية حال من فاعل ينظرون اي وترى
الاصنام راي العين يشبهون الناظرين اليك ويخيل اليك انهم يبصرونك لما انهم صنعوا
لها اعينا مركبة بالجواهر المضيئة المتلألئة وصوروها بصورة من قلب حدقته الى الشيء
ينظر اليه والحال انهم غير قادرين على الابصار وتوحيد الضمير في تراهم مع رجوعه الى المشركين
لتوجيه الخطاب الى كل واحد واحد منهم لا الى الكل من حيث هو كل كالخطابات السابقة
تنبيها على ان رؤية الاصنام على الهيئة المذكورة لا يتسنى للكل معا بل لكل من يواجهها وقيل
ضمير الفاعل في تراهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وضمير المفعول على حاله وقيل للمشركين على ان
التعليل قد تم عند قوله تعالى لا يسمعوا اي وترى المشركين ينظرون اليك والحال انهم
لا يبصرونك كما انت عليه وعن الحسن ان الخطاب في قوله تعالى وان تدعوهم الى الهدى للمؤمنين على ان
التعليل قد تم عند قوله تعالى ينصرون اي وان تدعوا ايها المؤمنون المشركين الى الاسلام
لا يتبعوكم ثم خوطب عليه السلام بطريق التجريد بانك تراهم ينظرون اليك والحال
انهم لا يبصرونك حق الابصار تنبيها على ان ما فيه من شواهد النبوة ودلائل الرسالة من
الجلاء بحيث لا يكاد يخفى على الناظرين خذ العفو بعدما عد من اباطيل المشركين
وقبائحهم ما لا يطاق تحمله امر صلى الله عليه وسلم بمجامع مكارم الاخلاق التي من جملتها الاغضاء
عنهم اي خذ ما عفا لك من افعال الناس وتسهل ولا تكلفهم ما يشق عليهم من العفو الذي
هو ضد الجهد او خذ العفو عن المذنبين او الفضل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكوة
وامر بالعرف بالجميل المستحسن من الافعال فانها قريبة من قبول الناس من غير نكير واعرض
عن الجاهلين من غير مماراة ولا مكافاة قيل لما نزلت سال رسول الله جبريل عليهما السلام
فقال لا ادري حتى اسال ربي ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من
حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق امر الله تعالى نبيه بمكارم الاخلاق
وروي انه لما نزلت الاية الكريمة قال صلى الله عليه وسلم كيف يا رب والغضب فنزل
قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ والنسغ والنخس الغرز شبهت
وسوسته الناس واغراؤه لهم على المعاصي بغرز السائق لما يسوقه واسناده الى النزغ
من قبيل جد جده اي واما يحملنك من جهته وسوسة ما على خلاف ما امرت به من اعتراء غضب
او نحوه فاستعذ بالله فالتجئ اليه تعالى من شره انه سميع يسمع استعاذتك به قولا
عليم يعلم تضرعك اليه قلبا في ضمن القول او بدونه فيعصمك من شره وقد جوز ان يراد

بنزغ الشيطان اعتراء الغضب على نهج الاستعارة كما في قول الصديق رضي الله عنه ان لي شيطانا يعتريني
ففيه زيادة تنفير عنه وفرط تحذير عن العمل بموجبه وفي الامر بالاستعاذة بالله تعالى
تهويل لامره وتنبيه على انه من الغوائل الصعبة التي لا يتخلص من مضرتها الا بالالتجاء الى حرم
عصمته عز وجل وقيل يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه او سميع باقوال من اذاك عليم بافعاله
فيجازيه عليها ان الذين اتقوا استئناف مقرر لما قبله ببيان ان ما امر به عليه السلام من
الاستعاذة بالله تعالى سنة مسلوكة للمتقين والاخلال به ديدن الغاوين اي ان الذين اتصفوا
بوقاية انفسهم عما يضرها اذا مسهم طائف من الشيطان ادنى لمة منه على ان تنوينه للتحقير وهو
اسم فاعل من طاف يطوف كانها تطوف بهم وتدور حولهم لتوقع بهم او من طاف به الخيال يطيف
طيفا اي الم وقرئ طيف على انه مصدر او تخفيف من طيف من الواوي واليائي كهين ولين
والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره فيما سيأتي تذكروا اي الاستعاذة به
تعالى والتوكل عليه فاذا هم بسبب ذلك التذكر مبصرون مواقع الخطاء ومكايد
الشيطان فيحترزون عنها ولا يتبعونه فيها واخوانهم اي اخوان الشياطين وهم المنهمكون في الغي المعرضون
عن وقاية انفسهم عن المضار يمدونهم في الغي اي تكون الشياطين مددا لهم فيه ويعضدونهم وبهم
بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من الامداد ويمادونهم كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء
وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون اي لا يمسكون عن الاغواء حتى يردوهم بالكلية
ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اي لا يرعوون عن الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد
بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له واذا لم تاتهم
باية من القرآن عند تراخي الوحي او باية مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها اجتبى الشيء بمعنى
جباه لنفسه اي هلا جمعتها من تلقاء نفسك تقولا يريدون بذلك ان سائر الآيات ايضا
كذلك او هلا تلقيتها من ربك استدعاء قل ردا عليهم انما اتبع ما يوحى الي من ربي من غير انما اتبع
ان يكون لي دخل ما في ذلك اصلا على معنى تخصيص حاله عليه الصلوة والسلام باتباع ما
يوحى اليه بتوجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى نفس الفعل بالنسبة الى مقابله الذي
كلفوه اياه عليه السلام لا على معنى تخصيص اتباعه عليه السلام بما يوحى اليه بتوجيه القصر الى المفعول
بالقياس الى مفعول اخر كما هو الشائع في موارد الاستعمال وقد مر تحقيقه في قوله تعالى
ان اتبع الا ما يوحى الي كان قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى الي منه تعالى وفي التعرض
لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية والتبليغ الى الكمال اللائق مع الاضافة الى ضميره
عليه السلام من تشريفه عليه السلام والتنبيه على تاييده ما لا يخفى هذا اشارة الى القرآن
الكريم المدلول عليه بما يوحى الي بصائر من ربكم بمنزلة البصائر للقلوب بها تبصر الحق
وتدرك الصواب وقيل حجج بينة وبراهين نيرة ومن متعلقة بمحذوف هو صفة لبصائر
مفيدة لفخامتها اي بصائر كائنة منه تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميرهم لتاكيد وجوب الايمان بها وقوله تعالى وهدى ورحمة عطف على بصائر
وتقديم الظرف عليهما وتعقيبهما بقوله لقوم يؤمنون للايذان بان كون القرآن
بمنزلة البصائر متحقق بالنسبة الى الكل وبه تقوم الحجة على الجميع واما كونه هدى ورحمة

تخصيص المؤمنين به لانهم المقتبسون من انواره والمنتفعون باثاره والجملة من تمام القول المأمور به
وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ارشاد الى طريق الفوز بما اشير اليه من المنافع الجليلة
التي ينطوي عليها القرآن اي واذا قرئ القرآن الذي ذكرت شؤونه العظيمة فاستمعوا له استماع
تحقيق وقبول وَأَنصِتُوا اي واسكتوا في خلال القراءة وراعوها الى انقضائها تعظيما
له وتكميلا للاستماع لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ اي تفوزون بالرحمة التي هي اقصى ثمراته وظاهر النظم
الكريم يقتضي وجوب الاستماع والانصات عند قراءة القرآن في الصلاة وغيرها وقيل معناه
اذا تلى عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وجمهور الصحابة رضي الله عنهم على انه في استماع
المؤتم وقد روي انهم كانوا يتكلمون في الصلاة فامروا باستماع قراءة الامام والانصات
له وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في المكتوبة وقرأ اصحابه
رضي الله عنهم خلفه فنزلت واما خارج الصلاة فعامة العلماء على استحبابهما والآية اما من تمام
القول المأمور او استئناف من جهته تعالى وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ على الاول عطف على
قل وعلى الثاني فيه تجريد للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عام في الاذكار كافة فان
الاخفاء ادخل في الاخلاص واقرب من الاجابة تَضَرُّعًا وَخِيفَةً اي متضرعا وخائفا وَدُونَ
الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ اي متكلما كلاما دون الجهر فانه اقرب الى حسن التفكر بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ
متعلق باذكر اي اذكره في وقت الغدوات والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر آصل
اي دخل في الاصيل موافق للغدو وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ عن ذكر الله تعالى إِنَّ الَّذِينَ عِندَ
رَبِّكَ وهم الملائكة عليهم الصلاة والسلام ومعنى كونهم عنده سبحانه وتعالى قربهم من
رحمته وفضله لتوفرهم على طاعته تعالى لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ بل يؤدونها
حسبما امروا به وَيُسَبِّحُونَهُ اي ينزهونه عن كل ما لا يليق بجناب كبريائه وَلَهُ يَسْجُدُونَ
اي يخصونه بغاية العبودية والتذلل لا يشركون به شيئا وهو تعريض بسائر المكلفين ولذلك
شرع السجود عند قراءته عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم آية السجدة
فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويله امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت
فلي النار وعنه عليه السلام من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين ابليس
سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ
الانفال الغنيمة سميت به لانها عطية من الله تعالى زائدة على ما هو اصل الاجر في الجهاد من الثواب
الاخروي ويطلق على ما يعطى بطريق التنفيل زيادة على السهم من المغنم وقرئ علنفال بحذف
الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن في اللام وروي ان المسلمين اختلفوا في غنائم
بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم فيها اللمهاجرين
ام للانصار ام لهم جميعا وقيل ان الشبان قد ابلوا يومئذ بلاء حسنا فقتلوا سبعين واسروا
سبعين فقالوا نحن المقاتلون ولنا الغنائم وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند

الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها حتى قال سعد بن معاذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والله ما منعنا ان نطلب ما طلب هؤلاء من زهادة في الاجر ولا جبن من العدو ولكن كرهنا
ان نعري مصافك فيعطف عليك خيل من المشركين فنزلت وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم
قد شرط لمن كان له بلاء ان ينفله ولذلك فعلوا ما فعلوا من القتل والاسر فسألوه عليه السلام ما شرط
لهم فقال الشيوخ المغنم قليل والناس كثير وان تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت اصحابك فنزلت وهذا
هو الظاهر لما ان السؤال استعلام لحكم الانفال المقتضية كلمة عن لا استعطاء لنفسها كما ينطق به الآتي
الاخير وادعاء زيادة عن تعسف ظاهر والاستدلال عليه بقراءة ابن مسعود وسعد
ابن ابي وقاص وعلي ابن الحسين وزيد ومحمد الباقر وجعفر الصادق وعكرمة
وعطاء يسألونك الانفال غير منتهض فان مبناها كما قالوا على الحذف والايصال كما
يعرب عنه الجواب بقوله عز وعلا قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ اي حكمها
مختص به تعالى يقسمها الرسول عليه السلام كيفما امر به من غير ان يدخل فيه
رأي احد ولو كان السؤال استعطاء لما كان هذا جوابا له فان اختصاص حكم ما شرط
لهم من الانفال بالله والرسول لا ينافي اعطاءها اياهم بل يحققه لانهم انما يسألونها بموجب شرط
الرسول صلى الله عليه وسلم الصادر عنه باذن الله تعالى لا بحكم سبق ايديهم
اليها او نحو ذلك مما يخل بالاختصاص المذكور وحمل الجواب على معنى ان الانفال بالمعنى
المذكور مختصة برسول الله صلى الله عليه وسلم لا حق فيها للمنفل كائنا من كان مما لا سبيل اليه
قطعا ضرورة ثبوت الاستحقاق بالتنفيل وادعاء ان ثبوته بدليل متأخر التزام
لتكرر النسخ من غير علم بالناسخ الاخير ومساغ للمصير الى ما ذهب اليه مجاهد وعكرمة والسدي
من ان الانفال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لاحد فيها شيء بهذه الآية
فنسخت بقوله تعالى فان لله خمسه وللرسول لما ان المراد بالانفال فيما قالوا هو المعنى
الاول حتما كما ينطق به قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء الآية على ان الحق انه لا نسخ
حينئذ ايضا حسبما قاله عبد الرحمن ابن زيد ابن اسلم بل بين في صدر السورة الكريمة
اجمالا ان امرها مفوض الى الله تعالى ورسوله ثم بين مصارفها وكيفية قسمتها على التفصيل
وادعاء اقتصار هذا الحكم اعني الاختصاص برسول الله صلى الله عليه وسلم على الانفال
المشروطة يأباه مقام بيان الاحكام كما ينبئ عنه اظهار الانفال في موقع الاضمار على ان
الجواب عن سؤال الموعود ببيان كونه له عليه السلام خاصة مما لا يليق بشأنه الكريم
اصلا وقد روي عن سعد ابن ابي وقاص انه قال قتل اخي عمير يوم بدر فقتلت به
سعيد ابن العاص واخذت سيفه فاعجبني فجئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت ان الله تعالى قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال
عليه السلام ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل
اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا سعد انك سألتني السيف وليس لي وقد صار لي فاذهب
فخذه وهذا كما ترى يقتضي عدم وقوع التنفيل يومئذ والا لكان سؤال السيف منه

سعد بموجب شرطه عليه السلام ووعده لا بطريق الهبة المبتدأة وجواز ذلك من سعد
مع رعاية الادب مع كون سؤاله بموجب الشرط برده ورده عليه السلام قبل النزول وتعليله
بقوله ليس هذا لي ولا لك اذ لم يكن عليه السلام بالايقدر على الخيانة واعطاؤه عليه السلام بعد النزول
وترتيبه على قوله وقد صار لي ضرورة ان مناط صيرورته له عليه السلام قوله تعالى الانفال لله والرسول
لا الرجحان المانع من اعطاء المسؤول ومما هو نص في الباب قوله عز وجل فاتقوا الله اي اذا كان
امر الغنائم لله تعالى ورسوله فاتقوه تعالى واجتنبوا ما كنتم فيه من المشاجرة فيها والاختلاف
الموجب لسخطه تعالى او فاتقوه في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه ما هم فيه دخولا اوليا
وذكر في السؤال طلبا للشرط لما كان فيه محذورين اتقاه واظهر الاسم الجليل لتربية المهابة
وتعليل الحكم واصلحوا ذات بينكم يجعل ما بينهم من الحال الملابسة الالفة لبينهم صاحبة له
كما جعلت الامور المضمرة في الصدور ذات الصدور اي اصلحوا ما بينكم من الاحوال بالمواساة والمساعدة
فيما رزقكم الله تعالى وتفضل به عليكم عن عبادة بن الصامت نزلت فينا معشر الاصحاب
حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله تعالى من ايدينا فجعله لرسول الله عليه السلام
فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات
البين وعن عطاء كان الاصلاح بينهم ان دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد اكلنا
وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض واطيعوا الله ورسوله بتسليم امره ونهيه وتوسيط
الامر باصلاح ذات البين بين الامر بالتقوى والامر بالطاعة لاظهار كمال العناية بالاصلاح
بحسب المقام وليندرج الامر به بعينه تحت الامر بالطاعة ان كنتم مؤمنين متعلق
بالاوامر الثلاثة والجواب محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه او هو الجواب على الخلاف المشهور
وايا ما كان فالمقصود تحقيق المعلق بناء على تحقق المعلق به وفيه تنشيط للمخاطبين
وحث لهم على المسارعة الى الامتثال والمراد بالايمان كماله اي ان كنتم كاملي الايمان فان كمال
الايمان يدور على هذه الخصال الثلاث طاعة الاوامر واتقاء المعاصي واصلاح ذات البين
بالعدل والاحسان انما المؤمنون جملة مستأنفة مسوقة لبيان من اريد بالمؤمنين بذكر
اوصافهم الجليلة المستتبعة لما ذكر من الخصال الثلاث وفيه مزيد ترغيب لهم في الامتثال
بالاوامر المذكورة اي انما الكاملون في الايمان المخلصون فيه الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
اي فزعت لمجرد ذكره من غير ان يذكر هناك ما يوجب الفزع من صفاته وافعاله استعظاما
لشأنه الجليل وتهيبا منه وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه
وقرئ وجلت بفتح الجيم وهي لغة وقرئ فرقت اي خافت واذا تليت عليهم آياته اي آية
آية كانت زادتهم ايمانا اي يقينا وطمأنينة نفس فان تظاهر الادلة وتعاضد الحجج
والبراهين موجب لزيادة الاطمئنان وقوة اليقين وقيل ان نفس الايمان لا يقبل الزيادة
والنقصان وانما زيادته باعتبار زيادة المؤمن به فانه كلما نزلت آية صدق المؤمن بها
فزاد ايمانه عددا واما نفس الايمان فهو بحاله وقيل باعتبار ان الاعمال تجعل من الايمان
فيزيد بزيادتها والاصوب ان نفس التصديق يقبل القوة وهي التي عبر عنها بالزيادة للفرق
البين بين يقين الانبياء وارباب المكاشفات ويقين آحاد الامة وعليه مبنى ما قال علي رضي الله عنه لو

الغطاء ما ازددت يقينا وكذا بين ما قام عليه دليل واحد وما قامت عليه ادلة كثيرة وعلى
ربهم مالكهم ومدبر امورهم خاصة يتوكلون يفوضون امورهم اليه لا الى
احد سواه والجملة معطوفة على الصلة وقوله تعالى الذين يقيمون الصلاة ومما
رزقناهم ينفقون مرفوع على انه نعت للموصول الاول او بدل منه او بيان له او منصوب
على القطع المنبئ عن المدح ذكر اولا من اعمالهم الحسنة اعمال القلوب من الخشية والاخلاص
والتوكل ثم عقب باعمال الجوارح من الصلاة والصدقة اولئك اشارة الى من ذكرت
صفاتهم الحميدة من حيث انهم متصفون بها وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك عمن
عداهم اكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه
ما فصل من افاضل الاعمال القلبية والقالبية وحقا صفة لمصدر محذوف اي اولئك هم المؤمنون
ايمانا حقا او مصدر مؤكد للجملة اي حق ذلك حقا كقولك هو عبد الله حقا لهم درجات
من الكرامة والزلفى وقيل درجات عالية في الجنة وهو اما جملة مبتدأة مبنية على سؤال
نشأ من تعداد مناقبهم كأنه قيل ما لهم بمقابلة هذه الخصال فقيل لهم درجات وكيت او خبر
ثان لاولئك وقوله تعالى عند ربهم اما متعلق بمحذوف وقع صفة لدرجات مؤكدة لما
افادها التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة عنده تعالى او بما تعلق به
الخبر اعني لهم من الاستقرار وفي اضافة الظرف الى الرب المضاف الى ضميرهم مزيد تشريف
ولطف لهم وايذان بان ما وعد لهم متيقن الثبوت والحصول مأمون الفوات ومغفرة لما
فرط منهم ورزق كريم لا ينقطع امده ولا ينتهي عدده وهو ما اعد لهم من نعيم الجنة كما
اخرجك ربك من بيتك بالحق الكاف في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال
كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهتهم لما رأيت مع كونه حقا كحالهم في كراهتهم لخروجك
للحرب وهو حق او صفة في محل النصب على انه صفة لمصدر الفعل المقدر في قوله تعالى الانفال لله اي
الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك في
المدينة او من المدينة اخراجا ملتبسا بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون اي والحال ان فريقا منهم
كارهون للخروج اما لنفرة الطبع عن القتال او لعدم الاستعداد وذلك ان عير قريش اقبلت من
الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام
فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم
فلما خرجوا بلغ اهل مكة خروجهم فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء
على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت اخت العباس
عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها اني رأيت عجبا رأيت كأن ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من
الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدثت بها العباس
فقال ابو جهل ما يرضى رجالهم ان يتنبؤوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم
النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا
يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع

جميع العرب مجتمعين فانه مهما لم يصب العير فانا ... اعرض ساحلاً فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب
تجتمع فيه لسوقهم يوماً في السنة ونزل جبريل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير
واما قريشاً فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه فقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة
على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير فقالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل
قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند ما غضب النبي صلى الله عليه وسلم
ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله
لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض
لما امرك الله تعالى فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى
اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك
فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دام عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا حين بايعوه على العقبة
انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع
منه ابناءنا ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا يكون الانصار لا يرون
عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكانك تريدنا
يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت
به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول
الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك
ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند
اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى
الله عليه وسلم ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله تعالى وعدني
احدى الطائفتين والله لكأني انظر الى مصارع القوم وروي انه قيل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو
في وثاقه لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين
وقد اعطاك ما وعدك يجادلونك في الحق الذي هو تلقي النفير لايثارهم عليه تلقي
العير والجملة استئناف او حال ثانية اي اخرجك في حال مجادلتهم اياك ويجوز ان
يكون حالاً من الضمير في لكارهون وقوله تعالى بعد ما تبين منصوب بيجادلونك وما
مصدرية اي بعد تبين الحق لهم باعلامك انهم ينصرون اينما توجهوا ويقولون ما كان
خروجنا الا للعير هلا قلت لنا لنستعد ونتأهب وكان ذلك لكراهتهم القتال كأنما
يساقون الى الموت الكاف في محل النصب على الحالية من الضمير في لكارهون اي مشبهين بالذين
يساقون بالعنف والصغار الى القتل وهم ينظرون حال من ضمير يساقون اي والحال
انهم ينظرون الى اسباب الموت ويشاهدونها عياناً وما كانت هذه المرتبة من الخوف
والجزع الا لقلة عددهم وعدم تأهبهم وكونهم رجالة روي انه لم يكن فيهم الا فارسان

وإذ يعدكم الله احدى الطائفتين كلام مستأنف مسوق لبيان جميل صنع الله عز وجل
بالمؤمنين مع ما بهم من قلة الحزم ودناءة الهمة وقصور الرأي والخوف والجزع واذ منصوب
على المفعولية بمضمر خوطب به المؤمنون بطريق التلوين والالتفات واحدى الطائفتين مفعول
ثان ليعدكم اي اذكروا وقت وعد الله اياكم احدى الطائفتين وتذكير الوقت مع ان المقصود
تذكير ما فيه من الحوادث لما مر مراراً من المبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب
لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني لان الوقت مشتمل على ما وقع فيه من الحوادث بتفاصيلها
فاذا استحضر كان ما وقع فيه حاضراً مفصلاً كأنه مشاهد عياناً وقرئ يعدكم بسكون الدال
تخفيفاً وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها وقوله تعالى أنها لكم
بدل اشتمال من احدى الطائفتين مبين لكيفية الوعد اي يعدكم ان احدى الطائفتين كائنة
لكم مختصة بكم مسخرة لكم تتسلطون عليها تسلط الملاك وتتصرفون فيهم كيف شئتم وتودون عطف
على يعدكم داخل تحت الامر بالذكر اي تحبون ان غير ذات الشوكة تكون لكم من
الطائفتين لا ذات الشوكة وهي النفير ورئيسهم ابو جهل وهم الف مقاتل وغير ذات الشوكة
هي العير اذ لم يكن فيها الا اربعون فارساً ورئيسهم ابو سفيان والتعبير عنهم بهذا العنوان للتنبيه
على سبب ودادتهم لملاقاتهم وموجب كراهتهم ونفرتهم عن موافاة النفير والشوكة الحدة
مستعارة من واحدة الشوك وشوك القنا شباها ويريد الله عطف على تودون منتظم
معه في سلك التذكير ليظهر لهم عظيم لطف الله بهم مع دناءة هممهم وقصور آرائهم اي اذكروا وقت
وعده تعالى اياكم احدى الطائفتين ووداداتكم لادناهما وارادته تعالى لاعلاهما وذلك
قوله تعالى ان يحق الحق اي يثبته ويعليه بكلماته اي بآياته المنزلة في هذا الشأن او
بامره للملائكة بالامداد وبما قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر وقرئ بكلمته
ويقطع دابر الكافرين اي آخرهم ويستأصلهم بالمرة والمعنى انتم تريدون سفساف
الامور والله عز وجل يريد معاليها وما يرجع الى علو كلمة الحق وسمو رتبة الدين وشتان بين
المرادين وقوله تعالى ليحق الحق ويبطل الباطل جملة مستأنفة سيقت لبيان الحكمة الداعية
الى اختيار ذات الشوكة ونصرهم عليها مع ارادتهم لغيرها واللام متعلقة بفعل مقدر مؤخر عنها اي
لهذه الغاية الجليلة فعل ما فعل لا لشيء آخر وليس فيه تكرار اذ الاول لبيان تفاوت ما بين
الارادتين وهذا لبيان الحكمة الداعية الى ما ذكر ومعنى احقاق الحق اظهار حقيته لا
جعله حقاً بعد ان لم يكن كذلك وكذا حال ابطال الباطل ولو كره المجرمون اي
المشركون ذلك اي احقاق الحق وابطال الباطل اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم
معمول لعامله فالمراد تذكير استمدادهم منه سبحانه وتعالى والتجائهم اليه تعالى حين
ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وامداده تعالى حينئذ وقيل متعلق بقوله تعالى
ليحق الحق على الظرفية وما قيل من ان قوله تعالى ليحق مستقبل لانه منصوب بان فلا يمكن عمله
في اذ لانه ظرف لما مضى ليس بشيء لان كونه مستقبلاً انما هو بالنسبة الى زمان ما هو غاية
له من الفعل المقدر لا بالنسبة الى زمان الاستغاثة حتى لا يعمل فيه بل هما في وقت واحد وانما
عبر عن زمانها بان نظراً الى زمان الترديد وصيغة الاستقبال في تستغيثون لحكاية الحال

الماضية لاستحضار صورتها العجيبة وقيل متعلق بمضمر مستأنف اي اذكروا وقت استغاثتكم
وذلك انهم لما علموا انه لا بد من القتال جعلوا يدعون الله تعالى قائلين اي رب انصرنا
على عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين
وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة وبضعة عشر فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي
ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه
فاخذه ابو بكر رضي الله عنه فالقاه على منكبيه والتزمه من ورائه ثم قال يا نبي الله كفاك مناشدتك
ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم عطف على تستغيثون داخل معه في حكم التذكير
لما عرفت ان الماضي مع صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة انى ممدكم اي بأني فحذف الجار
وسلط عليه الفعل فنصب محله وقرئ بكسر الهمزة على ارادة القول او على اجراء استجاب مجرى
قال لان الاستجابة من مقولة القول بالف من الملائكة مردفين اي جاعلين غيرهم
من الملائكة رديفا لانفسهم فالمراد بهم رؤساؤهم المستتبعون لغيرهم وقد اكتفي ههنا
بهذا البيان الاجمالي وبين في سورة آل عمران مقدار عددهم ومعناه متبعين انفسهم
ملائكة آخرين او متبعين المؤمنين اي بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين
بعضهم بعض المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده اي متبعين بعضهم بعض
المؤمنين او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرئ مردفين بفتح الدال اي متبعين
بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال
واصلها مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى الساكنان فحرك الراء بالكسر
على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بآلاف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه
وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم
او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل على وقوعها وما جعله الله
كلام مستأنف لبيان ان الاسباب الظاهرة بمعزل من التأثير وانما التأثير مختص به عز وجل
ليثق به المؤمنون ولا يقنطوا من النصر عند فقدان اسبابه والجعل متعد الى مفعول واحد
هو الضمير العائد الى مصدر فعل مقدر يقتضيه المقام اقتضاء ظاهرا مغنيا عن التصريح به كانه
قيل فامدكم بهم وما جعل امدادكم بهم الا بشرى لكم وهو استثناء مفرغ من اعم العلل
اي وما جعل امدادكم بانزال الملائكة عيانا لشيء من الاشياء الا للبشرى لكم بانكم تنصرون ولتطمئن
به اي بالامداد قلوبكم وتسكن اليه نفوسكم كما كانت السكينة لبني اسرائيل كذلك
فكلاهما مفعول له للجعل وقد نصب الاول لاجتماع شرائطه وبقي الثاني على حاله لفقدانها
وقيل للاشارة الى اصالته في العلية واهميته في نفسه كما قيل في قوله تعالى والخيل والبغال
والحمير لتركبوها وزينة وفي قصر الامداد عليهما اشعار بعدم مباشرة الملائكة القتال
وانما كان امدادهم بتقوية قلوب المباشرين وتكثير سوادهم ونحوه كما هو رأي بعض السلف
وقيل الجعل متعد الى اثنين ثانيهما الا بشرى على انه استثناء من اعم المفاعيل اي وما جعله الله
شيئا الا بشارة لكم فاللام في ولتطمئن متعلقة بمحذوف مؤخر تقديره ولتطمئن به قلوبكم فعل
ذلك لا لشيء آخر وما النصر اي حقيقة النصر على الاطلاق الا من عند الله اي الكائن

من عنده عز وجل من غير ان يكون فيه شركة من جهة الاسباب والعدد وانما هي مظاهر له بطريق
جري السنة الالهية ان الله عزيز لا يغالب في حكمه ولا ينازع في اقضيته حكيم يفعل
كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تعليل لما قبلها متضمن للاشعار بان
النصر الواقع على الوجه المذكور من مقتضيات الحكم البالغة اذ يغشيكم النعاس اي يجعله غاشيا
شاملا لكم ومحيطا بكم وهو بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة اخرى وصيغة الاستقبال لما
مر فيما عطف عليه لحكاية الحال الماضية كما في تستغيثون او منصوب باضمار اذكر
وقيل هو متعلق بالنصر او بما في من عند الله من معنى الفعل او بالجعل وليس بواضح وقرئ يغشيكم
من الاغشاء بمعنى التغشية والفاعل في الوجهين هو الباري تعالى وقرئ يغشاكم على
اسناد الفعل الى النعاس وقوله تعالى امنة على القراءتين الاوليين منصوب على
العلية بفعل مترتب على الفعل المذكور اي يغشاكم النعاس فتنعسون امنا اي كائنا من الله تعالى
لا كلالا واعياء او على انه مصدر لفعل آخر كذلك اي فتأمنون امنا كما في قوله تعالى وانبتها
نباتا حسنا على احد الوجهين وقيل منصوب بنفس الفعل المذكور والامنة بمعنى الايمان وعلى
القراءة الاخيرة منصوب على العلية بيغشاكم باعتبار المعنى فانه في حكم تنعسون او على انه
مصدر لفعل مترتب عليه كما مر وقرئ امنة كرحمة وينزل عليكم من السماء ماء تقديم
الجار والمجرور على المفعول به لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان
ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فعند وروده لها يتمكن عندها فضل تمكن وتقديم
عليكم لما ان بيان كون التنزيل عليهم اهم من بيان كونه من السماء وقرئ بالتخفيف من الانزال
ليطهركم به اي من الحدث الاصغر والاكبر ويذهب عنكم رجز الشيطان الكلام
في تقديم الجار والمجرور كما مر آنفا والمراد برجز الشيطان وسوسته وتخويفه اياهم من
العطش روي انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم
وقد غلب المشركون على الماء فتمثل لهم الشيطان فوسوس اليهم وقال انتم يا اصحاب محمد
تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على
الحق لما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش اكبادكم
مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا فاشفقوا فانزل
الله عز وجل المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي فاغتسلوا وتوضأوا وسقوا الركاب وتلبد
الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان
وطابت النفوس وقويت القلوب وذلك قوله تعالى وليربط على قلوبكم اي يقويها
بالثقة بلطف الله تعالى فيما بعد بمشاهدة هذه طلائعه ويثبت به الاقدام ولا تسوخ
في الرمل فالضمير للماء كالاول ويجوز ان يكون للربط فان القلب اذا قوي وتمكن فيه
الصبر والجراءة لا تكاد تزل القدم في معارك الحروب وقوله تعالى اذ يوحي ربك
الى الملائكة منصوب بمضمر مستأنف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التجريد
حسبما ينطق به الكاف لما ان المأمور به مما لا يستطيعه غيره عليه السلام فان الوحي المذكور
قبل ظهوره بالوحي المتلو على لسانه عليه السلام ليس من النعم التي يقف عليها عامة الامة كسائر

الثمرة الشائعة التي اذن بذكرها بطريق الشكر وقيل منصوب بقوله تعالى ويثبت به الاقدام فلا بد
من عود الضمير المجرور فيه الى الربط على القلوب ليكون المعنى ويثبت اقدامكم بتقوية قلوبكم
وقت ايحايه الى الملائكة وامره بتثبيتهم اياكم وهو وقت القتال ولا يخفى ان تقييد التثبيت
المذكور بوقتهم عندهم ليس فيه مزيد فايدة واما انتصابه على انه بدل ثالث من اذ يعدكم
كما قيل فيأباه تخصيص الخطاب به عليه السلم مع مشاركته لما قبله من الامور ليس من الوظايف
العامة للكل كسايرها هناك مع ان التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلم
من التشريف ما لا يخفى والمعنى اذكر وقت ايحايه تعالى الى الملائكة اني معكم بالامداد
والتوفيق في امر التثبيت فهو مفعول يوحي وقرى بالكسر على ارادة القول او اجراء الوحي
مجراه وما يشعر به دخول كلمة مع من متبوعية الملائكة انما هي من حيث انهم المباشرون للتثبيت
صورة فهم الاصلاء من تلك الحيثية كما في امثال قوله تعالى ان الله مع الصابرين والفاء في قوله
تعالى فثبتوا الذين امنوا لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان امداده تعالى اياهم
من اقوى موجبات التثبيت واختلفوا في كيفية التثبيت فقالت جماعة انما امروا بتثبيتهم
بالبشارة وتكثير السواد ونحوهما مما تقوى به قلوبهم وتصح عزايمهم ونياتهم وتتأكد
جدهم في القتال وهو الانسب بمعنى التثبيت وحقيقته التي هي عبارة عن الحمل على الثبات
في موطن الحرب والجد في مقاساة شدايد القتال وقد روي انه كان الملك يتشبه بالرجل
الذي يعرفونه بوجهه فيأتي ويقول سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا
لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول ابشروا فان الله ناصركم وقال الاخرون امروا بمحاربة
اعدائهم وجعلوا قوله تعالى سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب تفسيرا لقوله تعالى اني معكم
وقوله تعالى فاضربوا الخ تفسيرا لقوله تعالى فثبتوا مبينا لكيفية التثبيت وقد روي
عن ابي داود المازني رضي وكان ممن شهد بدرا انه قال اتبعت رجلا من المشركين يوم بدر
لاضربه فوقع راسه بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي وعن سهل بن حنيف رضي انه
قال لقد رايتنا يوم بدر وان احدنا يشير بسيفه الى المشرك فيقع راسه عن جسده قبل
ان يصل اليه السيف وانت خبير بان قتلهم للكفرة مع عدم ملايمته لمعنى تثبيت المؤمنين مما
لا يتوقف على الامداد بالقاء الرعب فلا يحسن ترتيب الامر به عليه بالفاء وتأكيد الاولين
بان قوله تعالى سالقي الخ ليس بنص فيما ذكر بل يجوز ان يكون ذلك اثر قوله تعالى فثبتوا
الذين امنوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كانه قيل قولوا لهم قولي سالقي في قلوب
الذين كفروا الرعب فاضربوا الخ فالضاربون هم المؤمنون واما ما قيل من ان ذلك خطاب
منه تعالى للمؤمنين بالذات على طريق التلوين فبناه توهم وروده قبل القتال وانى ذلك
والسورة الكريمة انما نزلت بعد تمام الوقعة وقوله تعالى فوق الاعناق اي اعاليها
التي هي المذابح والهامات واضربوا منهم كل بنان قيل البنان اطراف الاصابع
من اليدين والرجلين وقيل هي الاصابع من اليدين والرجلين وقال ابو الهيثم البنان
المفاصل وكل مفصل بنانة وقال ابن عباس رضي وابن جريج والضحاك يعني الاطراف
اي اضربوهم في جميع الاعضاء من اعاليها الى اسافلها وقيل المراد بالبنان الادنى وبفوق

الاعناق الاعالي والمعنى فاضربوا الصناديد والسفلة وتكرير الامر بالضرب لمزيد التشديد
والاعتناء بامره ومنهم متعلق به او بمحذوف وقع حالا مما بعده ذلك اشارة الى ما
اصابهم من العقاب وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد رتبته في الشدة والفظاعة
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يليق بالخطاب ومحله الرفع على
الابتداء خبره قوله تعالى بانهم شاقوا الله ورسوله اي ذلك العقاب الفظيع واقع
عليهم بسبب مشاقتهم ومخالفتهم لمن لا سبيل الى مغالبته اصلا واشتقاق المشاقة
من الشق لما ان كلا من المشاقين في شق خلاف شق الاخر كما ان اشتقاق المعاداة
والمخاصمة من العدوة والخصم اي الجانب لان كلا من المتعادين والمتخاصمين في عدوة
وخصم غير عدوة الاخر وخصمه ومن يشاقق الله ورسوله الاظهار في موقع الاضمار
لتربية المهابة واظهار كمال شناعة ما اجترؤا عليه والاشعار بعلة الحكم وقوله تعالى فان
الله شديد العقاب اما نفس الجزاء قد حذف منه العايد الى من عنده من يلتزمه اي شديد
العقاب له او تعليل للجزاء المحذوف اي يعاقبه الله فان الله شديد العقاب واياما كان
فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهاني كانه قيل
ذلك العقاب الشديد بسبب مشاقتهم الله تعالى ورسوله وكل من يشاقق الله ورسوله
كاينا من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد فاذن لهم بسبب مشاقتهم لهما عقاب شديد
واما انه وعيد لهم بما اعد لهم في الاخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا كما قيل فيرده ما بعده
من قوله تعالى ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار فانه مع كونه المسوق
للوعيد بما ذكر ناطق بكون المراد بالعقاب المذكور ما اصابهم عاجلا سواء جعل ذلكم
اشارة الى نفس العقاب او الى ما تفيده الشرطية من ثبوت العقاب لهم اما على الاول
فلان الاظهر ان محله النصب بمضمر يستدعيه قوله تعالى فذوقوه والواو في قوله
تعالى وان للكافرين الخ بمعنى مع فالمعنى باشروا ذلكم العقاب الذي اصابكم فذوقوه
عاجلا مع ان لكم عذاب النار اجلا فوضع الظاهر موضع الضمير لتوبيخهم بالكفر وتعليل
الحكم به واما على الثاني فلان الاقرب ان محله الرفع على انه خبر مبتدا محذوف وقوله تعالى
وان للكافرين الخ معطوف عليه والمعنى حكم الله ذلكم اي ثبوت هذا العقاب لكم
عاجلا وثبوت عذاب النار اجلا وقوله تعالى فذوقوه اعتراض وسط بين المعطوفين
للتهديد والضمير على الاول لنفس المشار اليه وعلى الثاني لما في ضمنه وقد ذكر في اعراب الاية
الكريمة وجوه اخر ليس في شيء منها ما يدل على ان المراد بالعقاب ما اصابهم عاجلا والله تعالى اعلم
وقرى بكسر ان على الاستيناف يا ايها الذين امنوا خطاب للمؤمنين بحكم كلي جار
فيما سيقع من الوقايع والحروب جيء به في تضاعيف القصة اظهارا للاعتناء بشانه ومبالغة لعد
في حثهم على المحافظة عليه اذا لقيتم الذين كفروا زحفا الزحف الدبيب يقال
زحف الصبي زحفا اذا دب على استه قليلا قليلا سمي به الجيش الدهم المتوجه الى العدو
لانه لكثرته وتكاثفه يرى كانه يزحف وذلك لان الكل يرى كجسم واحد متصل
فتحس حركته بالقياس اليه في غاية البطء وان كانت في نفس الامر على غاية السرعة

قابلهم وان كثر الموهب انهم ومقعد الحاج والركاب تهملها ونصبه اما على الحال
من مفعول لقيتم اي لحقتم نحوكم واما على انه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو الحال منه اي يزحفون
زحفا واما كونه حالا من فاعله او منه ومن مفعوله معا كما قيل فيأباه قوله تعالى فلا تولوهم
الادبار اذ لا معنى لتقييد النهي عن الادبار بتوجههم الساعي الى العدو او بكثرتهم بل توجيه
العدو اليهم وكثرتهم هو الداعي الى الادبار عادة والمحوج الى النهي عنه فحمله على الاشعار
بما سيكون منهم يوم حنين حيث تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر الفا بعيد
والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم قليل فلا تولوهم ادباركم فضلا عن الفرار
بل قابلوهم وقاتلوهم مع قلتكم فضلا عن ان تدانوهم في العدد او تساووهم ومن يولهم
يومئذ اي يوم اللقاء دبره فضلا عن الفرار وهي لتكون المراد الا متحرفا لقتال اما
بالتوجه الى قتال طائفة اخرى اهم من هولاء واما بالفر للكر بان يخيل عدوه انه منهزم
ليغره ويخرجه من بين اعوانه ثم يعطف عليه وحده او مع من في الكمين من اصحابه وهو باب
من خدع الحرب ومكايدها او متحيزا الى فئة اي منحازا الى جماعة اخرى من
المؤمنين لينضم اليهم ثم يقاتل معهم العدو وعن ابن عمر رضي انه كان في سرية ففروا وانا منهم فلما رجعوا
الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال صلى الله عليه وسلم
بل انتم العكارون وانا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فاتى المدينة الى عمر رضي فقال
يا امير المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال عمر انا فئتك ووزن متحيز متفيعل لا متفعل
والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز وانتصابهما اما على الحالية والا لغو لا عمل لها واما على
الاستثناء من المولين اي ومن يولهم دبره الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا فقد باء اي رجع بغضب
عظيم لا يقادر قدره وقوله تعالى من الله متعلقة بمحذوف هو صفة لغضب مؤكدة لما افادة
التنوين من الفخامة والهول بالفخامة الاضافية اي بغضب كائن منه تعالى ومأواه جهنم
اي بدل ما اراده بفراره ان يأوي اليه من مأوى ينجيه من القتل وبئس المصير في ايقاع
البوء في موقع جواب الشرط الذي هو التولية مقرونا بذكر المأوى والمصير من الجزالة ما لا مزيد
عليه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الفرار من الزحف من اكبر الكبائر وهذا اذا لم يكن
العدو اكثر من الضعف لقوله تعالى الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة
باهل بدر والحاضرين معه في الحرب فلم تقتلوهم رجوع الى بيان بقية احكام الوقعة
واحوال المؤمنين مما سبق منها والفاء جواب شرط مقدر يستدعيه ما مر من ذكر امداده
تعالى واماه بالتثبيت وغير ذلك كانه قيل اذا كان الامر كذلك فلم تقتلوهم انتم بقوتكم وقدرتكم
ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم وقد يجوز ان يكون المقدر
اذا علمتم ذلك فلم تقتلوهم اي فاعلموا اي فاخبركم الكلام فلم تقتلوهم وقيل التقدير ان افتخرتم بقتلهم
فلم تقتلوهم على ان الفاء لما يلي لما روي انهم لما انصرفوا من المعركة غالبا غالبهم اقبلوا يتفاخرون
يقولون قتلت واسرت وفعلت وتركت فنزلت وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
طلعت قريش من العقنقل قال هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني
اسألك ما وعدتني فاتاه جبريل عليه السلام فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان
قال

قال لعلي رضي الله عنه اعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه
فلم يبق مشرك الا اشتغل بعينه فانهزموا وذلك قوله وجلا بطريق تلوين الخطاب وما رميت
اذ رميت ولكن الله رمى تحقيقا لكون الرمي الظاهر عليه الصلاة والسلام حينئذ من افعاله عز وجل
وتجريدا لفعله عن المفعول بيانا لان المقصود الاصلي بيان حال الرمي نفيا واثباتا اذ هو الذي
ظهر منه ما ظهر وهو المنشأ لتغير المرمي به في نفسه وتكثره الى حيث اصاب عيني كل واحد
اولئك الامة الجمة شيء من ذلك اي وما فعلت انت يا محمد تلك الرمية المستتبعة لهذه
الآثار العظيمة حقيقة حين فعلتها صورة والا لكان اثرها من جنس آثار الافاعيل البشرية
ولكن الله فعلها اي خلقها حين باشرتها لكن لا على نهج عادته تعالى في خلق افعال العباد
بل على وجه غير معتاد ولذلك اثرت هذا التأثير الخارج عن طوق البشر وداية القوى والقدر
فنفاد اثباتها لله تعالى ونفيها عنه عليه السلام كون اثرها من افعاله سبحانه لا من افعاله عليه السلام وقرى
ولكن الله بالتخفيف ورفع في الجلالة واللام في قوله تعالى وليبلي المؤمنين منه اي
ليعطيهم من عنده تعالى بلاء حسنا اي عطاء جميلا غير مشوب بمقاساة الشدائد والمكاره
اما متعلقة بمحذوف متاخرة قالوا فاعل ما فعل للاحسان اليهم بالنصرة والغنيمة فعل ما
فعل لا لشيء غير ذلك مما لا يجديهم نفعا واما برمى فالواو للعطف على علة محذوفة اي لكن
الله رمى ليمحق الكافرين وليبلي الخ ان الله سميع اي لدعائهم واستغا تهم
عليم اي بنياتهم واحوالهم الداعية الى الاجابة تعليل للحكم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن
ومحله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى وان الله موهن كيد الكافرين بالاضافة
معطوف عليه اي المقصد بلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقيل المشار
اليه القتل والرمي والمبتدأ الامر اي الامر ذلكم اي القتل ويكون قوله تعالى وان الله الآية
من قبيل عطف البيان وقرى موهن بالتنوين مخففا ومشددا ونصب كيد الكافرين ان تستفتحوا
خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم بهم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار
الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين اي ان تستنصروا
لاهدى الجندين فقد جاءكم الفتح حيث نصر اعلاهما وقد زعمتم انكم الاعلى فالتهكم في المجيء او
فقد جاءكم الهزيمة والقهر فالتهكم في نفس الفتح حيث وضع موضع ما يقابله وان تنتهوا عما
كنتم عليه من الحراب ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم فهو اي الانتهاء خير لكم اي من
الحراب الذي ذقتم غائلته لما فيه من السلامة من القتل والاسر ومبنى اعتبار اصل الخيرية
في المفضل عليه هو التهكم وان تعودوا اي الى محاربته عليه السلام نعد لما شاهدتموه من الفتح
ولن تغني بالتاء الفوقانية وقرى بالياء التحتانية لان تانيث الفئة غير حقيقي
وللفصل اي لن تدفع ابدا عنكم فئتكم جماعتكم التي تجمعونهم وتستغيثون بهم شيئا اي
الاغناء وقوله تعالى ولو كثرت جملة حالية وقد مر تحقيقه وان الله مع المؤمنين اي
ولان الله معين المؤمنين كان ذلك او والامر ان الله مع المؤمنين ويؤيده المعنى
قراءة الكسر على الاستئناف وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر
وان تنتهوا عن التكاسل والرغبة عما يرغب فيه الرسول صلى الله عليه وسلم فهو خير لكم من كل

لما أن شأن اللئيم مساعدة الداير وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار وتهييج العدو ولن تغني
حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فان الله مع الكاملين في الايمان يا ايها الذين
امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا بطرح احدى التائين وقرئ بادغامها عنه اى لا تتولوا عن الرسول فان
المراد هو الامر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعته تعالى للتمهيد والتنبيه على ان طاعة
تعالى في طاعة رسوله عليه السلام من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد وقيل للامر الذي دل عليه
الطاعة وقوله تعالى وانتم تسمعون جملة حالية واردة لتأكيد وجوب الانتهاء عن التولي مطلقا
كما في قوله تعالى فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون لا لتقييد النهي عنه بحال السماع كما في
قوله تعالى لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى اى لا تتولوا عنه والحال انكم تسمعون القرآن
الناطق بوجوب طاعته والمواعظ الزاجرة عن مخالفته سماع فهم واذعان ولا تكونوا
تعميم للنهي السابق وتحذير عن مخالفته بالتنبيه على انها مؤدية الى انتظامهم في سلك الكفرة
بكون سماعهم كلا سماع اى لا تكونوا بمخالفة الامر والنهي كالذين قالوا سمعنا بمجرد الادعاء
من غير فهم واذعان كالكفرة والمنافقين الذين يدعون السماع وهم لا يسمعون حال من ضمير
قالوا اى قالوا ذلك والحال انهم لا يسمعون حيث لا يصدقون ما سمعوه ولا يفهمونه
حق فهمه فكأنهم لا يسمعونه اصلا ان شر الدواب استئناف مسوق لبيان كمال
سوء حال المشبه بهم مبالغة في التحذير وتقريرا للنهي اثر تقرير اى ان شر من يدب على الارض
او شر البهائم عند الله اى في حكمه وقضائه الصم الذين لا يسمعون الحق البكم الذين لا
ينطقون به وصفوا بالصمم والبكم لان ما خلق له الاذن واللسان سماع الحق والنطق
به وحيث لم يوجد فيهم شيء من ذلك صاروا كأنهم فاقدون للجارحتين رأسا وتقديم الصم
على البكم لما ان صممهم متقدم على بكمهم فان السكوت عن النطق بالحق من فروع عدم سماعهم
له كما ان النطق به من فروع سماعه ثم وصفوا بعدم التعقل فقيل الذين لا يعقلون تحقيقا
لكمال سوء حالهم فان الاصم الابكم اذا كان له عقل ربما يفهم بعض الامور ويفهمه
غيره بالاشارة ويهتدي بذلك الى بعض مطالبه واما اذا كان فاقد العقل ايضا
فهو الغاية في الشرية وسوء الحال وبذلك يظهر كونهم شرا من البهائم حيث ابطلوا ما به يمتازون
عنها وبه يفضلون على كثير من خلق الله عز وجل فصاروا اخس من كل خسيس ولو علم الله
فيهم خيرا شيئا من جنس الخير الذي من جملته صرف قواهم الى تحري الحق واتباع الهدى
لاسمعهم سماع تفهم وتدبر ولوقفوا على حقية الرسول عليه السلام واطاعوه وامنوا به ولكن لم
يعلم فيهم شيئا من ذلك لخلوهم عنه بالمرة فلم يسمعهم كذلك لخلوه عن الفائدة وخروجه
عن الحكمة واليه اشير بقوله تعالى ولو اسمعهم لتولوا اى ولو اسمعهم سماع تفهم وهم على
هذه الحالة العارية عن الخير بالكلية لتولوا عما سمعوه من الحق ولم ينتفعوا به قط او ارتدوا
بعدما صدقوه وصاروا كأن لم يسمعوه اصلا وقوله تعالى وهم معرضون اما حال من ضمير
تولوا اى لتولوا على ادبارهم والحال انهم معرضون عما سمعوه لعنادهم واما اعتراض تذييلي
اى وهم قوم عادتهم الاعراض وقيل كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم احي لنا قصيا فانه
كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك فالمعنى ولو اسمعهم كلام قصي الخ وقيل هم بنو

عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا مصعب بن عمير وسويبط بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما
جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقاتلهم الله تعالى فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء وعن
ابن جريج انهم المنافقون وعن الحسن رحمه الله انهم اهل الكتاب يا ايها الذين امنوا تكرير للنداء
مع وسمهم بنعت الايمان لتنشيطهم الى الاقبال على الامتثال بما يرد بعده من الاوامر وتنبيههم على
ان فيهم ما يوجب ذلك استجيبوا لله وللرسول بحسن الطاعة اذا دعاكم اى الرسول
اذ هو المباشر لدعوة الله تعالى لما يحييكم من العلوم الدينية التي هي مناط الحياة الابدية كما ان
الجهل مدار الموت الحقيقي او هي ماء حياة القلب كما ان الجهل يوجب موته وقيل لمجاهدة الكفار
لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كما في قوله تعالى ولكم في القصاص حياة روي انه عليه السلام
مر على ابي بن كعب وهو يصلي فدعاه فعجل في صلاته ثم جاء فقال عليه السلام ما منعك من اجابتي
قال كنت في الصلاة قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم الخ واختلف فيه
فقيل هذا من خصايص دعائه عليه السلام وقيل ان اجابته عليه السلام لا تقطع الصلاة وقيل كان ذلك
الدعاء لامر مهم لا يحتمل التأخير وللمصلي ان يقطع الصلاة لمثله واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه
تمثيل لغاية قربه تعالى من العبد كقوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه
تعالى مطلع من مكنونات القلوب على ما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى
اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ادراك المنية فانها حائلة بين المرء وقلبه او تصوير
وتخييل لتملكه على العبد قلبه بحيث يفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويحول بينه وبين
الكفر ان اراد سعادته ويبدله بالامن خوفا وبالذكر نسيانا وما اشبه ذلك من الامور
المعترضة المفوتة للفرصة وقرئ بين المر بتشديد الراء على حذف الهمزة والقاء حركتها
على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف وانه اى الله عز وجل اليه تحشرون لا
الى غيره فيجازيكم بحسب مراتب اعمالكم فسارعوا الى طاعة الله تعالى وطاعة رسوله
وبالغوا في الاستجابة لهما واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اى لا يختص
اصابتها بمن يباشر الظلم منكم بل يعمه وغيره كاقرار المنكر بين اظهرهم والمداهنة في الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على ان قوله لا
تصيبن الخ اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيب الخ وفيه ان جواب الشرط متردد
فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله تعالى ادخلوا مساكنكم
لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون لا تدخل المنفي في غير القسم
او للنهي على ارادة القول كقول من قال حتى اذا جن الظلام واختلط
جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن
وان اختلفا في المعنى فيهما وقد جوز ان يكون نهيا بعد الامر باتقاء
الذنب فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجوه الاول
للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح منه من غيركم
واعلموا ان الله شديد العقاب ولذلك يصيب بالعذاب من لم يباشر سببه واذكروا
اذ انتم قليل اى وقت كونكم قليلا في العدد وايثار الجملة الاسمية للايذان باستمرار

١

ما كانوا فيه من القلة وما يتبعها من الضعف والخوف وقوله تعالى مستضعفون خبر ثان او صفة
لقليل وقوله تعالى في الارض اي في ارض مكة تحت ايدي قريش والخطاب للمهاجرين او تحت ايدي
فارس والروم والخطاب للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء تحت ايدي الطائفتين وقوله تعالى
تخافون ان يتخطفكم الناس خبر ثالث او صفة ثانية لقليل وصف بالجملة بعدما وصف
بالمفرد او حال من المستكن في مستضعفون والمراد بالناس على الاول اما كفار قريش
او كفار العرب لقربهم منهم وشدة عداوتهم لهم وعلى الثاني فارس والروم اي واذكروا وقت
قلتكم وذلتكم وهوانكم على الناس وخوفكم من اختطافهم فآواكم الى المدينة او جعل لكم
مأوى تتحصنون به من اعدائكم وايدكم بنصره على الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد
الملائكة ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون هذه النعم الجليلة يا ايها الذين
آمنوا لا تخونوا الله والرسول اصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله
في ضد الامانة لتضمنه اياه اي لا تخونوهما بتعطيل الفرائض والسنن او بان تضمروا خلاف ما
تظهرون او في الغلول في الغنائم روي انه عليه السلام حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا
الصلح كما صالح بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحا من الشام فابى الا ان
ينزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان ماله
وعياله كانت في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه
الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على
سارية من سواري المسجد فقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله
علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك قال
والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه عليه السلام فحله فقال
ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام
يجزيك الثلث ان تتصدق به وتخونوا اماناتكم فيما بينكم وهو مجزوم معطوف
على الاول او منصوب على الجواب بالواو وانتم تعلمون انكم تخونون او انتم علماء تميزون الحسن
من القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لانها سبب الوقوع في الاثم او العقاب
او محنة من الله عز وجل ليبلوكم فيها فلا يحملنكم حبها على الخيانة كابي لبابة وان الله عنده اجر عظيم
لمن آثر رضاه تعالى عليها وراعى حدوده فيها فنيطوا هممكم بما يؤديكم اليه يا ايها الذين آمنوا تكرير
الخطاب والوصف بالايمان لاظهار كمال العناية بما بعده والايذان بانه مما يقتضي الايمان
مراعاته والمحافظة عليه كما في الخطابين السابقين ان تتقوا الله اي في كل ما
تأتون وما تذرون يجعل لكم بسبب ذلك فرقانا هداية في قلوبكم تفرقون بها بين
الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا
من الشبهات او نجاة مما تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم
من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم اي يسترها
ويغفر لكم ذنوبكم بالعفو والتجاوز عنها وقيل السيئات الصغائر والذنوب
الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لانها في اهل بدر وقد غفرهما الله تعالى لهم والله

تعالى والله ذو الفضل العظيم تعليل لما قبله وتنبيه على ان ما وعده الله تعالى لهم على التقوى
تفضل منه واحسان لا انه مما يوجبه التقوى كما اذا وعد السيد عبده انعاما على عمل واذ يمكر
بك الذين كفروا منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم معطوف على قوله تعالى
واذكروا اذ انتم الخ مسوق لتذكير المنة الخاصة به عليه السلام بعد تذكير النعمة العامة للكل اي واذكر
وقت مكرهم بك ليثبتوك بالوثاق او بالحبس او بالاثخان بالجرح
من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات او
يقتلوك بسيوفهم او يخرجوك اي من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم
له عليه السلام فرقوا واجتمعوا في دار الندوة يتشاورون في امره عليه السلام فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ
وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال ابو
البختري رأيي ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى
يموت فقال الشيخ بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن
عمرو رأيي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الرأي يفسد
قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه
سيفا صارما فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش
كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رأيه فاتى جبريل عليه السلام النبي
صلى الله عليه وسلم واخبره بذلك وامره بالهجرة فبيت عليا رضي الله عنه في مضجعه وخرج هو مع ابي بكر رضي الله عنه الى
الغار ويمكرون ويمكر الله اي يرد مكرهم عليهم او يجازيهم عليه او يعاملهم معاملة
الماكرين وذلك بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فلقوا ما لقوا
والله خير الماكرين لا يعبأ بمكرهم عند مكره واسناد امثال هذا اليه
سبحانه انما يحسن للمشاكلة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام ما لا يليق به سبحانه واذا تتلى عليهم
آياتنا التي حقها ان تخر لها صم الجبال قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا قاله اللعين
النضر بن الحارث واسناده الى الكل لما انه كان رئيسهم وقاضيهم الذي يقولون بقوله ويأخذون
برأيه وقيل قاله الذين ائتمروا في امره عليه السلام في دار الندوة وهذا كما ترى غاية المكابرة ونهاية
العناد كيف لا ولو استطاعوا شيئا من ذلك فما الذي كان يمنعهم من المشيئة وقد تحدوا عشر سنين
وقرعوا بالعجز ثم قارعوا بالسيف فلم يعارضوا بسورة مع انفتهم وفرط
استنكافهم ان يغلبوا لا سيما في باب البيان ان هذا الا اساطير الاولين اي ما
يسطره الاولون من القصص واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا من اباطيل ذلك اللعين روي انه لما قال ان هذا
الا اساطير الاولين قال له النبي صلى الله عليه وسلم ويلك انه كلام الله تعالى فقال ذلك
والمعنى ان كان القرآن حقا منزلا من عندك فامطر علينا حجارة عقوبة على انكاره او ائتنا
بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين التام على انه ليس كذلك وحاشاه
وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدأ لا فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه
حقا على الوجه الذي يدعيه عليه السلام وهو تنزيله من عند الله تعالى لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع

يعني مثل الاساطير وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم جواب لكلمتهم الشنعاء وبيان الموجب
لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتاكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب الاستيصال
والنبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم خارج عن عادته تعالى غير مستقيم في حكمه وقضائه والمراد
باستغفارهم في قوله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اما استغفار
من بقي بينهم من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله تعالى وما
كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله بيان لاستحقاقهم
العذاب بعد بيان ان المانع ليس من قبلهم اي وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف
لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام اي وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية وما كانوا اولياءه حال من ضمير
يصدون مفيدة لكمال قبح ما صنعوا من الصد فان مباشرتهم للصد عنه مع عدم استحقاقهم
لولايته في غاية القبح وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء
وندخل من نشاء ان اولياؤه الا المتقون من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره تعالى
ولكن اكثرهم لا يعلمون ان لا ولاية لهم عليه وفيه اشعار بان منهم من يعلم ذلك ولكنه
يعاند وقيل اريد باكثرهم كلهم كما يراد بالقلة العدم وما كان صلاتهم عند البيت اي
دعاؤهم او ما يسمونه صلاة او ما يضعونه موضعها الا مكاء اي صفيرا فعال من مكا يمكو اذا
صفر وقرئ بالقصر كالبكى وتصدية اي تصفيقا تفعلة من الصدى او من الصد على ابدال احد
حرفي التضعيف بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب على انه الخبر ومساق الكلام لتقرير
استحقاقهم العذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلاته روي انهم كانوا
يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا
يفعلون ذلك اذا اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم يصلون
ايضا فذوقوا العذاب اي القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل
ان يكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب اليم بما كنتم تكفرون اعتقادا وعملا
ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين يوم بدر
وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او في ابي سفيان استاجر
ليوم احد الفين سوى من استجاش من العرب وانفق فيهم اربعين اوقية او في اصحاب العير
فانه لما اصيب قريش يوم بدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك ثارنا منه
ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها بتمامها ولعل الاول اخبار عن
انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق يوم بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق
يوم احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان الغرض من الانفاق ومساق
الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها
من غير حصول المقصود جعل ذاتها حسرة وهي عاقبتها مبالغة ثم يغلبون آخر الامر
وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اي ثبتوا على الكفر واصروا عليه الى جهنم
يحشرون اي يساقون لا الى غيرها ليميز الله الخبيث من الطيب اي الكافر من المؤمن او

الفساد

الفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوته مما انفقه
المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرئ ليميز بالتشديد للمبالغة ويجعل الخبيث
بعضه على بعض فيركمه جميعا اي يضم بعضها الى بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم او يضم الى
الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال الكانزين فيجعله في جهنم كله اولئك اشارة الى
الخبيث اذ هو عبارة عن الفريق او الى المنفقين وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم
في الخبث هم الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل للذين كفروا
هم ابو سفيان واصحابه اي قل لاجلهم ان ينتهوا عما هم فيه من معاداة النبي صلى الله عليه وسلم
بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من الذنوب وقرئ نغفر لكم ويغفر لكم على البناء
للفاعل وهو الله تعالى وان يعودوا الى قتاله فقد مضت سنة الاولين الذين
تحزبوا على الانبياء عليهم السلام بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم عطف
على قل وتعميم الخطاب لزيادة ترغيب المؤمنين في القتال لتحقيق ما يتضمنه قوله تعالى فقد مضت
سنة الاولين من الوعيد حتى لا تكون فتنة اي لا يوجد منهم شرك ويكون الدين كله لله
وتضمحل الاديان الباطلة اما باهلاك اهلها جميعا او برجوعهم عنها خشية القتل فان انتهوا
عن الكفر بقتالكم فان الله بما يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه وعن اسلامهم وقرئ
بما تعملون على الخطاب اي بما تعملون من الجهاد المخرج لهم الى الاسلام وتعليقه بانتهائهم للدلالة على انهم
يثابون بالسببية كما يثاب المباشرون بالمباشرة وان تولوا ولم ينتهوا عن ذلك فاعلموا ان الله
مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير
لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم [illegible] عن الكلبي انها نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس
في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من
الهجرة وما موصولة والعائد محذوف اي الذي اصبتموه من الكفار عنوة واصل الغنيمة
اصابة الغنم من العدو ثم اتسع واطلق على كل ما اصيب منهم كائنا ما كان وقوله تعالى
من شيء بيان للموصول محله النصب على انه حال من عائد الموصول قصد به الاعتناء بشان
الغنيمة وان لا يشذ عنها شيء اي ما غنمتموه كائنا مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط والمخيط
خلا ان سلب المقتول للقاتل اذا نفله الامام وان الاسارى يخير فيها الامام وكذا الاراضي
المغنومة وقوله تعالى فان لله خمسه مبتدا خبره محذوف اي فحق او فواجب ان لله تعالى
خمسه وهذه الجملة خبر لان انما الخ وقرئ بالكسر والاول آكد واقوى في الايجاب لما فيه
من تكرار الاسناد كانه قيل فلا بد من ثبات الخمس ولا سبيل الى الاخلال به وقرئ فلله خمسه
وقرئ خمسه بسكون الميم والجمهور على ان ذكر الله تعالى للتعظيم كما في قوله تعالى والله
ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسمة الخمس على المعطوفين عليه بقوله تعالى وللرسول ولذي
القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل واعادة اللام في ذي القربى دون غيرهم من الاصناف
الثلاثة لدفع توهم اشتراكهم في سهم النبي صلى الله عليه وسلم لمزيد اتصالهم به عليه السلام وهم
بنو هاشم وبنو المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم
انهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك

الذي جعلك الله منهم أرأيت إخواننا بني المطلب أعطيتهم وحرمتنا وإنما نحن وهم بمنزلة واحدة
فقال عليه السلام إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد
وشبك بين أصابعه وكيفية قسمتها عندنا أنها كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
على خمسة أسهم سهم له عليه السلام وسهم للمذكورين من ذوي قرباه وثلاثة أسهم للأصناف الثلاثة
الباقية وأما بعده عليه السلام فسهمه ساقط وكذا سهم ذوي القربى وإنما يعطون لفقرهم فهم
أسوة لسائر الفقراء ولا يعطى أغنياؤهم فيقسم على الأصناف الثلاثة ويؤيده ما روي عن
أبي بكر رضي الله عنه أنه منع بني هاشم الخمس وقال إنما لكم أن يعطى فقيركم ويزوج أيمكم ويخدم من
لا خادم له منكم فهو بمنزلة ابن السبيل الغني لا يعطى من الصدقة شيئا وعن زيد بن علي أنه
قال ليس لنا أن نبني منه قصورا ولا أن نركب منه البراذين وقيل سهم الرسول صلى الله عليه وسلم
للخليفة بعده وأما عند الشافعي فيقسم على خمسة أسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يصرف إلى ما كان يصرفه عليه السلام من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحو
ذلك وسهم لذوي القربى من أغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين
والباقي للفرق الثلاث وعند مالك رحمه الله الأمر فيه مفوض إلى اجتهاد الإمام إن رأى
قسمه بين هؤلاء وإن رأى أعطاه بعضهم دون بعض وإن رأى غيرهم أولى وأهم
فغيرهم وتعلق أبو العالية بظاهر الآية الكريمة فقال يقسم ستة أسهم ويصرف سهم
الله تعالى إلى رتاج الكعبة لما روي أنه عليه السلام كان يأخذ منه قبضة فيجعلها لمصالح الكعبة
ثم يقسم ما بقي على خمسة أسهم وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم إلى سهم الرسول
عليه السلام هذا شأن الخمس وأما الأخماس الأربعة فتقسم بين الغانمين للراجل سهم وللفارس
سهمان عند أبي حنيفة وثلاثة أسهم عندهما قال القرطبي لما بين الله تعالى حكم الخمس وسكت
عن الباقي دل ذلك على أنه ملك للغانمين قوله تعالى إن كنتم آمنتم بالله شرط متعلق
بمحذوف ينبئ عنه المذكور أي إن كنتم آمنتم به تعالى فاعلموا أن الخمس من الغنيمة يجب التقرب به
إلى الله تعالى فاقطعوا أطماعكم منه واقتنعوا بالأخماس الأربعة وليس المراد بمجرد
العلم بل العلم المشفوع بالعمل والطاعة لأمره تعالى وما أنزلنا عطف
على الاسم الجليل أي إن كنتم آمنتم بالله وبما أنزلناه على عبدنا وقرئ عُبُدنا وهو اسم
جمع أريد به الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون فإن بعضها نزل نازل فيه وهو الملائكة
والفتح عليهم بالذات كما ستعرفه يوم الفرقان يوم بدر فإنه فرق فيه بين الحق
والباطل وهو منصوب بأنزلنا أو بآمنتم يوم التقى الجمعان أي الفريقان من المؤمنين
والكافرين وهو بدل من يوم الفرقان أو منصوب بالفرقان والمراد بما أنزل عليه عليه السلام
يومئذ من الوحي والملائكة والفتح على أن المراد بالإنزال مجرد الإيصال والتيسير
فينتظم الكل انتظاما حقيقيا وجعل الإيمان بإنزال هذه من موجبات العلم بكون
الخمس لله تعالى على الوجه المذكور من حيث إن الوحي ناطق بذلك وأن الملائكة
والفتح لما كانا من جهته تعالى وجب أن يكون ما حصل بسببهما من الغنيمة مصروفة
إلى الجهات التي عينها الله تعالى والله على كل شيء قدير فيقدر على نصر القليل

على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم إذ أنتم بالعدوة الدنيا بدل ثان من
يوم الفرقان والعدوة بالضم شط الوادي وكذا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما وهم بالعدوة
القصوى أي البعدى من المدينة وهي تأنيث الأقصى وكان القياس قلب الواو ياء كالدنيا
والعليا لكونهما من بنات الواو لكنها جاءت على الأصل كالقود واستصوب وهو أكثر
استعمالا من القصيا والركب أي العير أو قوادها أسفل منكم أي في مكان أسفل من
مكانكم يعني الساحل وهو نصب على الظرفية واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف وفائدتها بذيرنا
الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم
على أن لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شأن المسلمين والتياث أمرهم
واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فإن العدوة الدنيا كانت رخوة
تسوخ فيها الأرجل ولا يمشى فيها إلا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى
وكذا قوله تعالى ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد أي لو تواعدتم أنتم وهم القتال ثم علمتم
حالكم وحالهم لاختلفتم أنتم في الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا
أن ما اتفق لهم من الفتح ليس إلا صنعا من الله عز وجل خارقا للعادات فيزدادوا إيمانا
وشكرا أو تطيب نفوسهم بفرض الخمس ولكن جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد
ليقضي الله أمرا كان مفعولا حقيقا بأن يفعل من نصر أوليائه وقهر أعدائه أو مقدرا في
الأزل وقوله تعالى ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل منه أو متعلق بمفعولا
أي ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن بينة شاهدها لئلا يكون له
حجة ومعذرة فإن وقعة بدر من الآيات الواضحة أو ليصدر كفر من كفر وإيمان من آمن
عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحياة للكفر والإيمان والمراد بمن هلك ومن
حي المشارف للهلاك والحياة أو من هذا حاله في علم الله تعالى الهلاك والحياة وقرئ ليهلك
بالفتح وحيي بفك الإدغام حملا على المستقبل وإن الله لسميع عليم أي بكفر من
كفر وعقابه وإيمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الأمرين على القول
والاعتقاد إذ يريكهم الله في منامك قليلا منصوب باذكر أو بدل آخر من يوم الفرقان
أو متعلق بعليم أي يعلم المصالح إذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو أن تخبر به أصحابك
فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو أراكهم كثيرا لفشلتم أي لجبنتم وهبتم
الإقدام ولتنازعتم في الأمر أي أمر القتال وتفرقت آراؤكم في الثبات والفرار
ولكن الله سلم أي أنعم بالسلامة من الفشل والتنازع إنه عليم بذات الصدور يعلم
ما سيكون فيها من الجرأة والجبن والصبر والجزع ولذلك دبر ما دبر وإذ يريكموهم
إذ التقيتم في أعينكم منصوب بمضمر خوطب به الكل بطريق التلوين والتعميم معطوف قليلا
على المضمر السابق والضميران مفعولا يرى وقليلا حال من الثاني إنما قللهم في أعين المسلمين
حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه لمن إلى جنبه أتراهم سبعين فقال أراهم مائة تثبيتا لهم
وتصديقا لرؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم ويقللكم في أعينهم قليلا حتى قال أبو جهل
إنما أصحاب محمد أكلة جزور وقللهم في أعينهم قبل التحام القتال ليجترئوا عليهم

ولا يستعظموا لهم كثرتهم حتى رأوهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وهذه
من عظائم آيات تلك الواقعة فإن البصر وإن كان يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا
على هذا الوجه ولا إلى هذا الحد وإنما ذلك بصد الله تعالى الأبصار عن إبصار ما
يعقدون وينقص مع التساوي في الشرائط ليقضي الله أمرا كان مفعولا كرر لاختلاف
الفعل المعلل به أو لأن المراد بالأمر ثمة الالتقاء على الوجه المذكور وههنا إعزاز
الإسلام وأهله وإذلال الكفر وحزبه وإلى الله ترجع الأمور كلها يصرفها
كيف يريد لا راد لأمره ولا معقب لحكمه وهو الحكيم الحميد يا أيها الذين آمنوا
تصدير الخطاب بحرف النداء والتنبيه إظهار لكمال الاعتناء بمضمون ما بعده
إذا لقيتم فئة أي حاربتم جماعة من الكفرة وإنما لم يوصفوا بالكفر لظهور أن
المؤمنين لا يحاربون إلا الكفرة واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا أي للقائهم
في مواطن الحرب واذكروا الله كثيرا أي في تضاعيف القتال مستمدين منه
مستعينين به مستظهرين بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون أي تفوزون بمرامكم
وتظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على أن العبد ينبغي أن لا يشغله
شيء عن ذكر الله تعالى وأن يلتجئ إليه عند الشدائد ويقبل إليه بكليته فارغ
البال واثقا بأن لطفه لا ينفك عنه في حال من الأحوال وأطيعوا الله ورسوله في
كل ما تأتون وما تذرون فيندرج فيه ما أمروا به ههنا اندراجا أوليا ولا تنازعوا
باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر وأحد فتفشلوا جواب للنهي وقيل عطف عليه
وتذهب ريحكم بالنصب عطف على جواب النهي وقرئ بالجزم على تقدير عطف فتفشلوا
على النهي أي تذهب دولتكم وشوكتكم فإنها مستعارة للدولة من حيث إنها في تمشي
أمرها ونفاذه مشبهة في هبوبها وجريانها وقيل المراد بها الحقيقة فإن النصرة
لا تكون إلا بريح يبعثها الله تعالى وفي الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور
واصبروا على شدائد الحرب إن الله مع الصابرين بالنصرة والكلاءة وما يفهم
من كلمة مع من أصالتهم إنما هي من حيث إنهم المباشرون للصبر فهم متبوعون من تلك
الحيثية ومعيته تعالى إنما هي من حيث الإمداد والإعانة ولا تكونوا كالذين خرجوا
من ديارهم بعد ما أمروا به من محاسن الأعمال ونهوا عما يقابلها من قبائحها والمراد
بهم أهل مكة حين خرجوا لحماية العير بطرا أي فخرا وأشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم
بالشجاعة والسماحة وذلك أنهم لما بلغوا جحفة أتاهم رسول أبي سفيان وقال ارجعوا
فقد سلمت عيركم فأبوا إلا إظهار آثار الجلادة فلقوا ما لقوا حسبما ذكر في أوائل السورة
الكريمة فنهي المؤمنون أن يكونوا أمثالهم مرائين بطرين وأمروا بالتقوى والإخلاص
من حيث إن النهي عن الشيء مستلزم للأمر بضده ويصدون عن سبيل الله عطف
على بطرا إن جعل مصدرا في موضع الحال وكذا إن جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر
والله بما يعملون محيط فيجازيهم عليه وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم منصوب بمضمر
خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين أي واذكر وقت تزيين الشيطان أعمالهم

في معاداة المؤمنين وغيرها بأن وسوس إليهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم أي مجير
في روعهم وخيل إليهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم وأوهمهم أن
اتباعهم إياه فيما يظنون أنها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر أهدى الفئتين وأفضل
الدينين ولكم خبر لا غالب أو صفته وليس صلته وإلا لانتصب كقولك لا ضاربا زيدا
عندنا فلما تراءت الفئتان أي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى
أي بطل كيده وعاد ما خيل إليهم أنه مجيرهم سببا لهلاكهم وقال إني بريء منكم إني
أرى ما لا ترون إني أخاف الله أي تبرأ منهم وخاف عليهم وأيس من حالهم لما رأى إمداد الله تعالى
المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الإحنة
فكان ذلك يثنيهم فتمثل لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم
اليوم من الناس وإني مجيركم من كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكانت يده في يد
الحارث بن هشام فقال له إلى أين أتخذلنا في هذه الحالة فقال إني أرى ما لا ترون ودفع في
صدر الحارث وانطلق فانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك
فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما أسلموا علموا أنه الشيطان وعلى
هذا يحتمل أن يكون معنى قوله إني أخاف الله إني أخافه أن يصيبني بمكروه من الملائكة أو
يهلكني ويكون الوقت هو الوقت الموعود إذ رأى فيه ما لم يره قبله والأول ما قاله الحسن
رضي الله عنه واختاره ابن بحر والله شديد العقاب يجوز أن يكون من كلامه وأن يكون
مستأنفا من جهة الله عز وجل إذ يقول المنافقون منصوب بزين أو بنكص أو
بشديد العقاب والذين في قلوبهم مرض أي الذين لم تطمئن قلوبهم بالإيمان بعد وبقي
فيها نوع شبهة وقيل هم المشركون وقيل هم المنافقون في المدينة والعطف لتغاير
الوصفين كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب غر هؤلاء يعنون
المؤمنين دينهم حتى تعرضوا لما لا طاقة لهم به فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر إلى زهاء
ألف ومن يتوكل على الله جواب لهم من جهته تعالى ورد لمقالتهم فإن الله عزيز
غالب لا يذل من توكل عليه واستجار به وإن قل حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده
العقول ويحار في فهمه ألباب الفحول وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه ولو ترى
أي ولو رأيت فإن لو الامتناعية ترد المضارع ماضيا كما أن إن ترد الماضي مضارعا والخطاب
إما للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن له حظ من الخطاب وقد مر تحقيقه في قوله تعالى
ولو ترى إذ وقفوا على النار وكلمة إذ في قوله تعالى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ظرف لترى
والمفعول محذوف أي ولو ترى الكفرة أو حال الكفرة حين تتوفاهم الملائكة ببدر وتقديم
المفعول للاهتمام به وقيل الفاعل ضمير عائد إلى الله تعالى والملائكة مبتدأ وقوله تعالى يضربون
وجوههم خبره والجملة حال من المفعول واستغني فيها بالضمير عن الواو وهو على الأول حال
من الملائكة أو منهما لاشتماله على ضميريهما وأدبارهم أي أستاههم أو ما أقبل منهم وما أدبر
من الأعضاء وذوقوا عذاب الحريق على إرادة القول معطوفا على يضربون أو حالا من فاعله
أي ويقولون أو قائلين ذوقوا بشارة بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد

كما يقال ضربوا الهيت النار وقوله جواب لو محذوف للايذان بخروجه عن حدود البيان اى لرايت
امرا فظيعا لا يكاد يوصف ذلك اشارة الى ما ذكرنا من الضرب والعذاب وما فيه
من معنى البعد للاستعار بكونهما فى الغاية القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتدا
خبره بما قدمت ايديكم اى ذلك الضرب والعذاب واقع بسبب ما كسبتم من الكفر
والمعاصى ومحل ان فى قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع على انه خبر
مبتدا محذوف اى والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن
ذلك بنفى الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما تقرر من قاعدة اهل
السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا قد مر تحقيقه فى سورة ال عمران والجملة اعتراض
تذييلى مقرر لمضمون ما قبلها واما ما قيل من انها معطوفة على ما للدلالة على ان سببيته مقيدة
باقترانه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم فليس بسديد لما ان امكان تعذيبه
تعالى لعبيده بغير ذنب بل وقوعه لا ينافى كون تعذيب هؤلاء الكفرة المعينين بسبب
ذنوبهم حتى يحتاج الى اعتبار عدمه معه نعم لو كان المدعى كون جميع تعذيباته تعالى
بسبب ذنوب المعذبين لاحتيج الى ذلك كداب ال فرعون فى محل الرفع على انه
خبر مبتدا محذوف والجملة استيناف مسوق لبيان ان ما حل بهم من العذاب بسبب
كفرهم لا بشىء اخر من جهة غيرهم بتشبيه حالهم بحال المعروفين بالاهلاك بسبب جرائمهم
لزيادة تقبيح حالهم وللتنبيه على ان ذلك سنة مطردة فيما بين الامم المهلكة اى
شانهم الذى استمروا عليه مما فعلوا وفعل بهم من الاخذ كداب ال فرعون المشهورين
بقباحة الاعمال وفظاعة العذاب والنكال والذين من قبلهم اى من قبل ال فرعون
من الامم الذين فعلوا من المعاصى ما فعلوا ولقوا من العذاب ما لقوا كقوم نوح عليه السلام
وعاد واضرابهم من اهل الكفر والعناد وقوله تعالى كفروا بايات الله تفسير
لدابهم الذى فعلوه لا لداب ال فرعون ونحوهم كما قيل فان ذلك معلوم منه بقضية التشبيه
وقوله تعالى فاخذهم الله تفسير لدابهم الذى فعل بهم والفاء لبيان كونه من لوازم
جناياتهم وتبعاتها المتفرعة عليها وقوله تعالى بذنوبهم لتاكيد ما افادته الفاء من السببية
مع الاشارة الى ان لهم مع كفرهم ذنوبا اخر لها دخل فى استتباع العقاب ويجوز ان
يكون المراد بذنوبهم معاصيهم المتفرعة على كفرهم فتكون الباء للملابسة اى فاخذهم
ملتبسين بذنوبهم غير تائبين عنها فدابهم مجموع ما فعلوا وفعل بهم لا ما فعلوه فقط كما قيل
قال ابن عطية والمراد ان ال فرعون لقوا موسى نبى الله فكذبوه كذلك
هؤلاء جاءهم محمد عليه الصلوة والسلام بالصدق فكذبوه فانزل الله تعالى بهم عقوبته كما انزل
بال فرعون وجعل العذاب من جملة دابهم مع انه ليس مما يصدر عنهم ومداومتهم عليه واعتيادهم
اياه كما هو المعتبر فى مدلول الداب اما للتغليب فعلوه على ما فعل بهم او لتنزيل مداومتهم
على ما يوجبه من الكفر والمعاصى منزلة مداومتهم عليه لما بينهما من الملابسة التامة وقوله
تعالى ان الله قوى شديد العقاب اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من الاخذ وقوله تعالى
ذلك الخ استيناف مسوق لتعليل ما يفيده النظم الكريم من كون ما حل بهم من العذاب

منوطا

منوطا باعمالهم السيئة غير واقع بلا سابقة ما يقتضيه وهو المشار اليه لا نفس ما حل بهم من
العذاب اذ الانتقام كما قيل فانه مع كونه معللا بما ذكر من كفرهم وذنوبهم لا يتصور تعليله
بجريان عادته تعالى على عدم تغيير نعمته على قوم قبل تغيرهم لحالهم وتوهم ان السبب
ليس ما ذكر كما هو منطوق النظم الكريم بل ما يستفاد من مفهوم الغاية من جريان عادته
تعالى على تغيير نعمتهم عند تغيير حالهم بناء على تخيل ان المعلل ترتب عقابهم على كفرهم من غير
تخلف عنه ركوب شطط هائل وابعاد عن الحق بمراحل وتهوين لامر الكفر بايات الله
واسقاط له عن رتبة ايجاب العقاب فى مقام تهويله والتحذير منه فالمعنى ذلك اى ترتيب
العقاب على اعمالهم السيئة دون ان يقع ابتداء مع قدرته على ذلك بان الله اى بسبب
انه تعالى لم يك فى حد ذاته مغيرا نعمة انعمها اى لم ينبغ له سبحانه ولم يصح فى حكمته ان
يكون بحيث يغير نعمة انعم بها على قوم من الاقوام اى نعمة كانت جلت او هانت حتى يغيروا
ما بانفسهم من الاعمال والاحوال التى كانوا عليها وقت ملابستهم بالنعمة ويتصفوا بما ينافيها
سواء كانت احوالهم السابقة مرضية صالحة او قريبة من الصلاح بالنسبة الى الحادثة
كداب هؤلاء الكفرة حيث كانوا قبل البعثة كفرة عبدة اصنام مستمرين على حالة مصححة
لان لا يغير نعمة الامهال وسائر النعم الدنيوية عليهم فلما بعث اليهم النبى صلى الله عليه وسلم
بالبينات غيروها الى اسوء منها واسخط حيث كذبوه وعادوه ومن تبعه من
من المؤمنين وتحزبوا عليهم يبغونهم الغوائل فغير الله تعالى ما انعم به عليهم
من نعمة الامهال وعاجلهم بالعذاب والنكال واصل يك يكون فحذفت
النون تخفيفا لشبهها بالحروف اللينة وان الله سميع عليم عطف على ان الله
الخ داخل معه فى حيز التعليل اى وبسبب انه تعالى سميع عليم يسمع ويعلم
جميع ما يأتون وما يذرون من الاقوال والافعال السابقة واللاحقة فيرتب
على كل منها ما يليق بها من ابقاء النعمة وتغييرها وقرى وان الله بكسر الهمزة
فالجملة حينئذ استيناف مقرر لمضمون ما قبلها وقوله تعالى كداب ال فرعون والذين
من قبلهم فى محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اى حتى يغيروا ما بانفسهم
تغييرا كائنا كداب ال فرعون اى كتغييرهم على ان دابهم عبارة عما فعلوه فقط كما
هو الانسب بمفهوم الداب وقوله تعالى كذبوا بايات ربهم تفسير له بتمامه وقوله
تعالى فاهلكناهم اخبار بترتب العقاب عليه لا انه من تمام تفسيره ولا ضير فى توسط
قوله تعالى وان الله سميع عليم بينهما كما مر نظيره فى سورة ال عمران حيث جوز انتصاب
محل الكاف بلن يغنى مع ما بينهما من قوله تعالى واولئك هم وقود النار هذا على تقدير عطف
الجملة على ما قبلها واما على تقدير كونها اعتراضا فلا اعتبار فى توسطها وقد قيل فى محل الرفع
على انه خبر مبتدا محذوف كما قبله فى الجملة حينئذ استيناف اخر مسوق لتقرير ما سبق له الاستيناف
الاول بتشبيه دابهم بداب المذكورين لكن لا بطريق التكرير المحض بل بتغيير العنوان
وجعل الداب فى الجانبين عبارة عما يلازم معناه الاول من تغيير الحال وتغيير النعمة
اخذا مما نطق به قوله تعالى ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة الاية اى داب هؤلاء

وشانهم الذى هو عبارة عن التغيير من المذكورين لداب اولئك حيث غيروا
حالهم فغير الله تعالى نعمته عليهم فقوله تعالى كذبوا بايات ربهم تفسير لدابهم الذى
فعلوه من تغيير حالهم وقوله تعالى فاهلكناهم تفسير لدابهم الذى فعل بهم من
تغييره تعالى ما بهم من نعمته واما داب قريش فمستفاد منه بحكم التشبيه فلله در شان
التنزيل حيث اكتفى فى كل من التشبيهين بتفسير احد الطرفين واضافة الايات
الى الرب المضاف الى ضميرهم لزيادة تقبيح ما فعلوا بها من التكذيب والالتفات الى نون
العظمة فى اهلكنا جريا على سنن الكبرياء لتهويل الخطب والكلام فى الباء وفى قوله تعالى
بذنوبهم كالذى مر وعطف قوله تعالى واغرقنا ال فرعون على اهلكنا مع اندراجه تحته
للايذان بكمال هول الاغراق وفظاعته كعطف جبريل على الملائكة عليهم السلام وكل
اى وكل من الفرق المذكورة او كل من هؤلاء واولئك او كل من غرقى القبط وقتلى قريش
كانوا ظالمين اى انفسهم بالكفر والمعاصى حيث عرضوها للهلاك او واضعين الكفر
والتكذيب مكان الايمان والتصديق ولذلك اصابهم ما اصابهم ان شر الدواب
بعدما شرح احوال المهلكين من شرار الكفرة شرع فى بيان احوال الباقين منهم
وتفصيل احكامهم وقوله تعالى عند الله اى فى حكمه وقضائه الذين كفروا اى
اصروا على الكفر ولجوا فيه جعلوا شر الدواب لا شر الناس ايماء الى انهم بمعزل من مجانستهم
وانما هم من جنس الدواب ومع ذلك شر من جميع افرادها حسبما نطق به قوله عز وجل
ان هم الا كالانعام بل هم اضل وقوله تعالى فهم لا يؤمنون حكم مترتب على تماديهم فى
الكفر ورسوخهم فيه وتسجيل عليهم بكونهم من اهل الطبع لا يلويهم صارف ولا يثنيهم
عاطف اصلا جىء به على وجه الاعتراض لا انه عطف على كفروا داخل معه فى حيز الصلة التى
لا حكم فيها بالفعل وقوله تعالى الذين عاهدت منهم بدل من الموصول الاول او عطف
بيان له او نصب على الذم اى عاهدتهم من الايمان بان المعاهدة التى هى عبارة عن اعطاء
العهد واخذه من الجانبين معتبرة ههنا من حيث اخذه عليه السلام لعهدهم اذ هو المناط لما
نعى عليهم من النقض لا اعطاؤه عليه السلام اياهم عهده كانه قيل الذين اخذت منهم عهدهم
وقيل هى للتبعيض لان المباشر لذات العهد بعضهم لا كلهم ثم ينقضون عهدهم عطف
على عاهدت داخل معه فى حكم الصلة وصيغة الاستقبال للدلالة على تجدد النقض وتعدده
وكونهم على نيته فى كل حال اى ينقضون عهدهم الذى اخذته منهم فى كل مرة اى من مرات
المعاهدة اذ هى التى يتوقع فيها عدم النقض ويستقبح وجوده لا من مرات المحاربة كما قيل
اذ لا يتوقع فيها عدم النقض بل لا يتصور اصلا حتى يستقبح فيها وجوده لكونها منطقة
لعدمه فلا فائدة فى تقييد النقض بالوقوع فى كل مرة من مراتها بل لا صحة له قطعا لان
النقض لا يتحقق الا فى المرة الواردة على المعاهدة لا فى المرات الواقعة بعدها بلا معاهدة
ولئن سلم ان المراد هى المرات الواقعة اثر المعاهدة بنفى النقض الواقع بلا محاربة كبيع
السلاح ونحوه خارجا عن البيان وليس عدم ذلك من المحاربة فلا محيص من لزوم خلو
الكلام عن الفائدة بالمرة لان المحاربة بهذا المعنى عين النقض فيؤول الامر الى ان يقال

ينقضون عهدهم فى كل مرة من مرات النقض وحمل المحاربة على محاربتهم لكون المعنى
ينقضون عهدهم فى كل مرة من مرات محاربة الاعداء مع كونه فى غاية البعد والركاكة يستلزم
خروج بعضهم بالنقض من البيان وهم لا يتقون حال من فاعل ينقضون اى يستمرون
على النقض والحال انهم لا يتقون سبة الغدر ولا يبالون بما فيه من العار والنار وقوله
تعالى فاما تثقفنهم شروع فى بيان احكامهم بعد تفصيل احوالهم والفاء لترتيب ما
بعدها على ما قبلها اى فاذا كان حالهم كما ذكرنا فاما تصادفنهم وتظفرن بهم فى الحرب اى فى
تضاعيفها فشرد بهم اى ففرق عن مناصبتك تفريقا عنيفا موجبا للاضطراب والاضطرار
ونكل عنها بان تفعل بهم من النكاية والتعذيب ما يوجب ان يتنكل من خلفهم اى
ورائهم من الكفرة وفيه ايماء الى انهم بصدد الحراب قريب من هؤلاء وقرئ شرذ بالذال
المعجمة ولعله مقلوب شذر بمعنى فرق وقرئ من خلفهم اى افعل التشريد من ورائهم والمعنى
واحد لان ايقاع التشريد فى الوراء لا يتحقق الا بتشريد من وراءهم لعلهم يذكرون
يتعظون بما شاهدوا مما نزل بالناقضين فيرتدعوا عن النقض وعن الكفر وقوله تعالى
واما تخافن من قوم خيانة نقض بيان لاحكام المشرفين الى نقض العهد اثر بيان احكام
الذين نقضوه بالفعل والخوف مستعار للعلم اى واما تعلمن من قوم من المعاهدين نقض
عهد فيما سيأتى بما لاح لك منهم من دلائل الغدر ومخايل الشر فانبذ اليهم اى فاطرح
اليهم عهدهم على سواء على طريق مستو قصد بان تظهر لهم النقض وتخبرهم اخبارا مكشوفا
بانك قد قطعت ما بينك وبينهم من الوصلة ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء
العهد كيلا يكون من قبلك شائبة خيانة اصلا فالجار متعلق بمحذوف هو حال من النابذ
فانبذ اليهم ثابتا على سواء وقيل على استواء فى العلم بنقض العهد بحيث يستوى فيه اقصاهم
وادناهم او تستوى فيه انت وهم فهو على الاول حال من المنبوذ اليهم وعلى الثانى من الجانبين
ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ اما باعتبار استلزامه للنهى عن المناجزة
التى هى خيانة فيكون تحذيرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم منها واما باعتبار استتباعه للقتال
بالاخرة فيكون حثا له عليه السلام على النبذ اولا وعلى قتالهم ثانيا كانه قيل واما تعلمن من قوم
خيانة فانبذ اليهم ثم قاتلهم ان الله لا يحب الخائنين وهم من جملتهم لما علمت حالهم ولا
يحسبن الذين كفروا اى انفسهم فحذف للتكرار وقوله تعالى سبقوا اى فاتوا وافلتوا من ان
يظفر بهم مفعول ثان ليحسبن والمراد اقناطهم من الخلاص وقطع اطماعهم الفارغة من الانتفاع
بالنبذ والاقتصار على دفع هذا التوهم مع ان مقاومة المؤمنين بل الغلبة عليهم ايضا
مما تتعلق به امانيهم الباطلة للتنبيه على ان ذلك مما لا يحوم حوله وهمهم وحسبانهم وانما
الذى يمكن ان يدور فى خلدهم حسبان المناص فقط وقيل الفعل مسند الى احد او الى من خلفهم
والمفعول الاول الموصول المتناول لهم ايضا وقيل هو الفاعل والمفعول الاول محذوف ومن سبق او هى
ما فى حيزها سادة مسد المفعولين والتقدير ولا يحسبن الذين كفروا ان سبقوا ويعضده
قراءة من قرأ انهم سبقوا ونظيره فى الحذف قوله تعالى ومن اياته يريكم البرق خوفا وقوله
تعالى افغير الله تامرونى اعبد الاية قال الزجاج وقرئ بالتاء على خطاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم

وهي قراءة واضحة وقرئ ولا تحسب الذين بكسر الباء وبفتحها على حذف النون الخفيفة
وقوله تعالى انهم لا يعجزون اى لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم
تعليل للنهي على طريقة الاستيناف وقرئ بفتح الهمزة على حذف لام التعليل وقيل الفعل
واقع عليه ولا زائدة وسبقوا حال بمعنى سابقين اى مفلتين هاربين وهذا على
قراءة الخطاب لا انه ما عسى يحذر من عاقبة النبذ لما انه ايقاظ للعدو وتمكين
لهم من الهرب والخلاص من ايدي المؤمنين وفيه نفي لقدرتهم على المقاومة والمقابلة
على ابلغ وجه وآكده اشير اليه وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين وقرئ لا يعجزون
بكسر النون ولا يعجزون بالتشديد واعدوا لهم توجيه الخطاب الى كافة المؤمنين لما
ان المامور به من وظائف الكل كما ان توجيهه فيما سبق وما لحق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
لكون ما في حيزه من وظائفه عليه السلام اى اعدوا لقتال الذين نبذ اليهم العهد وهيئوا
لحرابهم او لقتال الكفار على الاطلاق وهو الانسب بسياق النظم الكريم
ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب كائنا ما كان وعن عقبة ابن عامر
سمعته عليه السلام يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ولعل تخصيصه
عليه السلام اياه بالذكر لانافته على نظائره من القوى ومن رباط الخيل الرباط
اسم للخيل التي تربط في سبيل الله تعالى فعال بمعنى مفعول او مصدر سميت هي به
يقال ربط ربطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال
او جمع ربط ككعب وكعاب وكلب وكلاب وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها
جمع رباط وعطفها على القوة مع كونها من جملتها للايذان بفضلها على بقية افرادها كعطف
جبريل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام ترهبون به اى تخوفون وقرئ ترهبون بالتشديد
وقرئ تخزون به والضمير لما استطعتم او للاعداد وهو الانسب ومحل الجملة النصب على
الحالية من فاعل اعدوا اى مرهبين به او من الموصول او من عائده المحذوف اى اعدوا
ما استطعتموه مرهبا به عدو الله وعدوكم وهم كفار مكة خصوا بذلك من بين الكفار
مع كون الكل كذلك لغاية عتوهم ومجاوزتهم الحد في العداوة وآخرين من دونهم من
غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم اى لا
تعرفونهم باعيانهم او لا تعلمونهم كما هم عليه من العداوة وهو الانسب بقوله تعالى
الله يعلمهم اى لا غيره فان اعيانهم معلومة لغيره تعالى ايضا وما تنفقوا من شيء
لاعداد القتال قل او جل في سبيل الله الذي اوضح الجهاد يوف اليكم اى جزاؤه كاملا
وانتم لا تظلمون بترك الاثابة او بنقص الثواب والتعبير عن تركها بالظلم مع ان الاعمال
غير موجبة للثواب حتى يكون ترك ترتيبه عليها ظلما لبيان كمال نزاهته سبحانه عن
ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وابراز الاثابة في معرض
الامور الواجبة عليه تعالى كما مر في تفسير قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم انى لا اضيع عمل
عامل منكم وان جنحوا الجنوح الميل ومنه الجناح ويعدى باللام وبالى اى ان مالوا
للسلم اى الصلح بوقوع الرهبة في قلوبهم بمشاهدة ما بكم من الاستعداد واعتاد

الفساد فاجنح لها اى للسلم والتأنيث لحمله على نقيضه قال

السلم تأخذ منها ما رضيت به * والحرب يكفيك من انفاسها جرع

وقرئ فاجنح بضم النون وتوكل على الله ولا تخف ان يظهروا لك السلم وجوانحهم
مطوية على المكر والكيد انه تعالى هو السميع فيسمع ما يقولون في خلواتهم من مقالات
الخداع العليم فيعلم نياتهم فيؤاخذهم بما يستحقونه ويرد كيدهم في نحرهم والآية
خاصة باليهود وقيل عامة نسختها آية السيف وان يريدوا ان يخدعوك باظهار السلم
وابطان الحراب فان حسبك الله اى فاعلم بان محسبك الله من شرورهم وناصرك عليهم هو
الذي ايدك بنصره تعليل لكفايته تعالى اياه عليه السلام بطريق الاستيناف فان تاييده تعالى اياه
عليه السلام فيما سلف على ما ذكر من الوجه البديع من دلائل تاييده تعالى فيما سياتي اى هو
الذي ايدك بامداده من عنده بلا واسطة لتعود تعالى به ما النصر الا من عند الله تعالى
او بالملائكة مع خرقه للعادات وبالمؤمنين من المهاجرين والانصار وألف بين قلوبهم
مع ما كان بينهم قبل ذلك من العصبية والضغينة والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد
يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا بتوفيقه تعالى كنفس واحدة وهذا من ابهر معجزاته
عليه السلام لو انفقت ما في الارض جميعا اى لتاليف ما بينهم ما الفت بين قلوبهم استيناف
مقرر لما قبله ومبين لعزة المطلب وصعوبة المأخذ اى تناهى التعادي فيما بينهم الى
حد لو انفق منفق في اصلاح ذات البين جميع ما في الارض من الاموال والذخائر
لم يقدر على التأليف والاصلاح وذكر القلوب للاشعار بان التأليف بينها لا يتسنى
وان امكن التاليف ظاهرا ولكن الله الف بينهم قلبا وقالبا بقدرته البالغة
انه عزيز كامل القدرة والغلبة لا يستعصي عليه شيء مما يريده حكيم يعلم كيفية تسخير
ما يريده وقيل الآية في الاوس والخزرج وكان بينهم احن لا امد لها ووقائع افنت
سادتهم واعاظمهم ودقت اعناقهم وجماجمهم فانسى الله عز وجل جميع ذلك والف بينهم
بالاسلام حتى تصافوا واصبحوا يرمون عن قوس واحدة وصاروا انصارا يا ايها النبي
شروع في بيان كفايته تعالى اياه عليه السلام في جميع اموره وامور المؤمنين او في الامور الواقعة
بينهم وبين الكفرة كافة اثر بيان كفايته تعالى اياه عليه السلام في مادة خاصة وتصدير
الجملة بحرف النداء والتنبيه للتنبيه على مزيد الاعتناء بمضمونها وايراده عليه السلام بعنوان النبوة
للاشعار بعليتها للحكم حسبك الله اى كافيك في جميع امورك او فيما بينك وبين
الكفرة من الحراب ومن اتبعك من المؤمنين في محل النصب على انه مفعول معه اى
كفاك وكفى اتباعك الله ناصرا كما في قوله

فحسبك والضحاك سيف مهند

وقيل في موضع الجر عطفا على الضمير كما هو راي الكوفيين
اى كافيك وكافيهم او في محل الرفع عطفا على اسم الله تعالى اى كفاك الله والمؤمنون
والآية نزلت في البيداء في غزوة بدر قبل القتال وقيل اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم
ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضي الله عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما
نزلت في اسلام عمر رضي الله عنه يا ايها النبي بعد ما بين كفايته اياهم بالنصرة والامداد

امر مترتب عليه بما ذكر من العدة فان الله وتكرير الخطاب على الوجه المذكور لاظهار كمال الاعتناء
بشأن المأمور به حرض المؤمنين على القتال اي بالغ في حثهم عليه وترغيبهم فيه بكل ما
امكن من الامور المرغبة التي اعظمها تذكير وعده تعالى بالنصر وحكمه بكفايته تعالى او بكفايتهم
واصل التحريض الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفي على الموت وقال الراغب كأنه في
الاصل ازالة الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به قيل والاوجه ان يجعل الحرض عبارة
عن ضعف القلب الذي هو من باب نهك المرض فيكون معنى تحريضهم وتشجيعهم حرضا
بان يقال انه في هذا الامر حرض اي ضعيف لتهييجه الى الاقدام وقرئ حرص
بالصاد المهملة وهو واضح ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وعد كريم
منه تعالى بتغليب كل جماعة من المؤمنين على عشرة امثالهم بطريق الاستئناف بعد الامر
بتحريضهم وقوله تعالى وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا اي انهم مقاوم ما بلغ كل منها
عشرا بما بلغ العدد العشرة لزيادة الاطمينان على انه يتحقق بين
الجمعين القليلين ما لا يجري بين الجمعين الكثيرين وان التفاوت فيما بين كل من الجمعين
القليلين والكثيرين على نسبة واحدة يعني ان ذلك لا يتفاوت في الصورتين وقوله
تعالى من الذين كفروا بيان للالف وهذا القيد معتبر في المائتين ايضا وقد ترك ذكره
ثمة بلا قصد ذكره ههنا كما ترك ذكر الصبر ههنا مع ذكره ثمة اكتفاء بذكره هنالك بانهم
قوم لا يفقهون متعلق بيغلبوا اي بسبب انهم قوم جهلة بالله تعالى وباليوم الآخر لا يقاتلون
احتسابا وامتثالا لامر الله تعالى واعلاء لكلمته وابتغاء لرضوانه كالمؤمنين وانما يقاتلون
للحمية الجاهلية واتباع خطوات الشيطان واثارة ثائرة البغي والعدوان فلا يستحقون
الا القهر والخذلان واما ما قيل من ان من لا يؤمن بالله واليوم الآخر لا يؤمن بالمعاد
فالسعادة عنده ليست الا هذه الحياة الدنيوية فيشح بها ولا يعرضها للزوال بمنازلة الحروب
واقتحام موارد الخطوب فيميل الى ما فيه السلامة فيفر فيغلب واما من اعتقد ان لا سعادة
في هذه الحياة الفانية وانما السعادة في الحياة الباقية فلا يبالي بهذه الحياة الدنيا
ولا يقيم لها وزنا فيقدم على الجهاد بقلب قوي وعزم صحيح فيقوم الواحد من مثله مقام
الكثير فكلام حق لكنه لا يلائم المقام الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا لما كان الوعد السابق
متضمنا لايجاب مقاومة الواحد للعشرة وثباتهم كما نقل عن ابن جريج انه كان عليهم ان لا
يفر الواحد من العشرة وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة في ثلاثين راكبا
فلقي ابا جهل في ثلاثمائة راكب فهزمهم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه بعد مدة فنسخ وخفف
عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتداء ثم لما كثروا نزل التخفيف
والمراد بالضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين في الاجتهاد
لا في القتال لا الضعف في الدين كما قيل وقرئ ضعفا بضم الضاد وهي لغة فيه كالفقر والفقر
والمكث والمكث وقيل الضعف بالفتح ما في الرأي والعقل وبالضم ما في البدن وقرئ
ضعفاء جمع ضعيف والمراد بعلمه تعالى بضعفهم علمه تعالى به من حيث هو متحقق بالفعل لا علمه
تعالى به مطلقا كيف لا وهو ثابت في الازل وقوله تعالى فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين

تفسير

تفسير للتخفيف وبيان لكيفيته وقرئ تكن ههنا وفيما سبق بالتاء الفوقانية وان يكن منكم
الف يغلبوا الفين باذن الله اي بتيسيره وتسهيله وهذا القيد معتبر فيما سبق من غلبة المائة المائتين
والالف وغلبة العشرين المائتين كما ان قيد الصبر معتبر ههنا وانما ترك ذكره ثقة بالتعلق
تعالى والله مع الصابرين فانه اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله والمراد بالمعية
معية نصره وتأييده ولم يتعرض ههنا لحال الكفرة من الخذلان كما لم يتعرض هنالك لحال
المؤمنين مع ان مدار الغلبة في الصورتين مجموع الامرين اعني نصر المؤمنين وخذلان الكفرة
اكتفاء بما ذكر في كل مقام عما ترك في المقام الآخر بما يستوجبه كلمة مع من متبوعية مدخولها
لاصالتهم من حيث انهم المباشرون للصبر ما كان لنبي وقرئ للنبي على العهد
والاول ابلغ لما فيه من بيان ان ما يذكر سنة مطردة فيما بين الانبياء عليهم السلام اي
ما صح وما استقام لنبي من الانبياء عليهم السلام ان يكون له اسرى وقرئ بتأنيث
الفعل واسارى ايضا حتى يثخن في الارض اي يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل
الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض والجرح اذا اثقله وجعله
بحيث لا حراك به ولا براح واصله الثخانة التي هي الغلظة والكثافة وقرئ بالتشديد
للمبالغة تريدون عرض الدنيا استئناف مسوق للعتاب اي تريدون حطامها
باخذكم الفداء وقرئ يريدون بالياء والله يريد الآخرة اي يريد لكم ثواب الآخرة
الذي لا مقدار عنده للدنيا وما فيها او يريد سبب نيل الآخرة من اعزاز دينه وقمع
اعدائه وقرئ بجر الآخرة على اضمار المضاف كما في قوله اكل امرئ تحسبين امرأ
ونار توقد بالليل نارا والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما
يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ونهى عن اخذ الفداء حين كانت الشوكة
للمشركين وخير بينه وبين المن بقوله تعالى فاما منا بعد واما فداء لما تحولت الحال
وصارت الغلبة للمؤمنين روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بسبعين
اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك
استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر
اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل
وحمزة من العباس ومكني من فلان لنسيب لي فلنضرب اعناقهم فقال عليه السلام ان الله
ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون
اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن
عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت
والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى
من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي انه عليه السلام قال لو نزل عذاب من السماء
لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وكان هو ايضا ممن اشار بالاثخان لولا كتاب من الله سبق اي

لولا حكم منه تعالى سبق اثباته في اللوح المحفوظ وهو ان لا يعاقب المخطي في اجتهاده او ان لا
يعذب اهل بدر او قوما لم يصرح لهم بالنهي عنه اما ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم فلا
يصلح ان يعد من موانع مساس العذاب فان الحل اللاحق لا يرفع حكم الحرمة السابقة كما ان
الحرمة اللاحقة كما في الخمر مثلا لا ترفع حكم الاباحة السابقة على انه قادح في تهويل ما نعى
عليهم من اخذ الفداء لمسكم اى لاصابكم فيما اخذتم اى لاجل ما اخذتم من الفداء
عذاب عظيم لا يقادر قدره فكلوا مما غنمتم روى انهم امسكوا عن الغنائم
فنزلت والفاء لترتيب ما بعدها على سبب محذوف اى قد ابحت لكم الغنائم فكلوا
مما غنمتم والاظهر انها للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى دعوه فكلوا مما غنمتم
وقيل ما عبارة عن الفدية فانها من جملة الغنائم ويأباه سياق النظم الكريم وسياقه
حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر اى كلا حلالا وفائدته الترغيب في
اكلها وقوله تعالى طيبا صفة لحلالا مفيدة لتأكيد الترغيب واتقوا الله اى في
مخالفة امره ونهيه ان الله غفور رحيم فيغفر لكم ما فرط منكم من استباحة
الفداء قبل ورود الاذن فيه ويرحمكم ويتوب عليكم اذا اتقيتموه يا ايها النبي قل لمن في ايديكم
اى في ملكتكم كانت ايديكم قابضة عليهم من الاسرى وقرئ من الاسارى ان يعلم الله
في قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة نية يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء وقرئ اخذ
على البناء للفاعل روى انها نزلت في العباس كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفدى
ابنى اخيه عقيل بن ابى طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا
ما بقيت فقال له عليه السلام فاين الذهب الذى دفعته الى ام الفضل وقت خروجك
من مكة وقلت لها ما ادرى ما يصيبني في وجهى هذا فان حدث بى حدث فهو لك
ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك فقال اخبرنى به ربى قال
العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله
لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في
امرك فاما اذا اخبرتنى بذلك فلا ريب قال العباس فابدلنى الله خيرا من
ذلك الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطانى زمزم
ما احب ان لى بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربى يتأول ما في قوله
تعالى ويغفر لكم والله غفور رحيم فانه وعد بالمغفرة مؤكد بما بعده
من الاعتراض التذييلي وان يريدوا خيانتك اى نكث ما بايعوك عليه من
الاسلام وهذا كلام مسوق من جهته تعالى لتسليته عليه السلام بطريق الوعد له والوعيد
لهم فقد خانوا الله من قبل بكفرهم ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن
منهم اى اقدرك عليهم حسبما رأيت يوم بدر فان اعادوا الخيانة فاعلم انه سيمكنك
منهم ايضا وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء وهو بعيد والله عليم
فيعلم ما في نياتهم وما يستحقونه من العقاب حكيم يفعل كل ما يفعله حسبما تقتضيه
حكمته البالغة ان الذين آمنوا وهاجروا هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله تعالى
ولرسوله وجاهدوا باموالهم بان صرفوها الى الكراع والسلاح وانفقوها على
المحاويج وانفسهم بمباشرة القتال واقتحام المعارك والخوض في المهالك في سبيل الله
متعلق بجاهدوا قيد لنوعي الجهاد ولعل تقديم الاموال على الانفس لما ان المجاهدة بالاموال
اكثر وقوعا واتم دفعا للحاجة حيث لا يتصور المجاهدة بالنفس بلا مجاهدة بالمال
والذين آووا ونصروا هم الانصار آووا المهاجرين وانزلوهم منازلهم وبذلوا
اليهم اموالهم وآثروهم على انفسهم ولو كانت بهم خصاصة ونصروهم على اعدائهم اولئك اشارة
الى الموصوفين بما ذكر من النعوت الفاضلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم لهم
في الفضيلة وهو مبتدأ وقوله تعالى بعضهم اما بدل منه وقوله تعالى اولياء بعض خبره
واما مبتدأ ثان واولياء بعض خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول اى بعضهم اولياء بعض في الميراث
وقد كان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله
تعالى واولوا الارحام الآية وقيل في النصرة والمظاهرة ويرده قوله تعالى فعليكم النصر بعد نفي
موالاتهم والذين آمنوا ولم يهاجروا كسائر المؤمنين ما لكم من ولايتهم من شيء
اى من توليهم في الميراث وان كانوا من اقرب اقاربكم حتى يهاجروا وقرئ بكسر الواو تشبيها
بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب
عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق معاهدة
فانه لا يجوز نقض عهدهم بنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير فلا تخالفوا امره كيلا يحل
بكم عقابه والذين كفروا بعضهم اولياء بعض اخر منهم اى في الميراث او في الموازرة
وهذا بمفهومه مفيد لنفي الموارثة والموازرة بينهم وبين المسلمين وايجاب المباعدة والمصارمة
وان كانوا اقارب الا تفعلوه اى ما امرتم به من التواصل بينكم وتولى بعضكم بعضا
حتى التوارث ومن قطع العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض اى تحصل
فتنة عظيمة فيها وهي ضعف الايمان وظهور الكفر وفساد كبير في الدارين وقرئ
كثير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا
ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا كلام مسوق للثناء عليهم والشهادة لهم بفوزهم
بالقدح المعلى من الايمان مع الوعد الكريم بقوله تعالى لهم مغفرة ورزق كريم لا
تبعة له ولا منة فيه فلا تكرار لما ان مساق الاول لايجاب التواصل بينهم والذين آمنوا
من بعد وهاجروا بعد هجرتكم وجاهدوا معكم في بعض مغازيكم فاولئك منكم
اى من جملتكم ايها المهاجرون والانصار وهم الذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الحقهم الله تعالى بالسابقين وجعلهم منهم تفضلا
منه وترغيبا في الايمان والهجرة وفي توجيه الخطاب اليهم بطريق الالتفات من تشريفهم
ورفع محلهم ما لا يخفى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض اى منهم في التوريث من
الاجانب في كتاب الله اى في حكمه او في اللوح او في القرآن واستدل به على توريث ذوى
الارحام ان الله بكل شيء عليم ومن جملته ما في تعليق التوارث بالقرابة الدينية اولا
وبالقرابة النسبية آخرا من الحكم البالغة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ

سورة الانفال وبراءة فانهما يشفعان له يوم القيمة ويشهدان بانه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حيوته والله تعالى اعلم واحكم

وله اسما اخر سورة التوبة والمقشقشة والبحوث والمنقرة والمبعثرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من ذكر التوبة ومن التبرية من النفاق والبحث والتنقير عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم واشتهارها بهذه الاسماء يقضي بانها سورة مستقلة وليست بعضا من سورة الانفال وادعاء اختصاص الاشتهار بالقائلين باستقلالها خلاف الظاهر فيكون حكمة ترك التسمية عند النزول نزولها في رفع الامان الذي يابى مقام التصدير بما يشعر ببقائه من ذكر اسمه تعالى مشفوعا بوصف الرحمة كما روي عن ابن عيينة رحمه الله لا الاشتباه في استقلالها وعدمه كما يحكى عن ابن عباس رضي الله عنهما ولا رعاية ما وقع بين الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين من الاختلاف في ذلك على ان ذلك يفضي الى القول بان التسمية ليست من القران وانما كتبت للفصل بين السور كما نقل عن قدماء الحنفية وان مناط اثباتها في المصاحف وتركها انما هو راي من تصدى لجمع القران دون التوقيف ولا ريب في ان الصحيح من المذهب انها اية فذة من القران انزلت للفصل والتبرك بها وان لا مدخل لراي احد في الاثبات والترك وانما المتبع في ذلك هو الوحي والتوقيف ولا ريب في عدم نزولها ههنا والا لامتنع ان يقع في الاستقلال الاشتباه او الاختلاف فهو اما لاتحاد السورتين او لما ذكرنا لا سبيل الى الاول لان النبي صلى الله عليه وسلم لحقق عند الحاجة الى البيان لمعاضدة دليل الاستقلال من كثرة الآيات وطول المدة فيما بين نزوليهما فتعين الثاني لان عدم البيان من الشارع في موضع البيان بيان للعدم

براءة خبر مبتدا محذوف وتنوينه للتفخيم وقرئ بالنصب اي اسمعوا براءة ومن في قوله تعالى عز وجل من الله ورسوله ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لها مفيدة لما زيادة تفخيم وتهويل اي هذه براءة مبتدئة من جهة الله ورسوله واصلة الى الذين عاهدتم من المشركين وانما لم يذكر ما تعلق به البراءة حسبما ذكر في قوله تعالى ان الله بريء من المشركين اكتفاء بما في حيز الصلة فانه منبئ عنه انباء ظاهرا واحترازا عن تكرير لفظة من وقيل هي مبتدا لتخصصها بالصفة وخبره الى الذين الخ والذي يقتضيه جزالة النظم هو الاول لان هذه البراءة امر حادث لم يعهد عند المخاطبين ذاتها ولا عنوان ابتدائها من الله تعالى ورسوله حتى يخرج ذلك العنوان مخرج الصفة لها ويجعل المقصود بالذات والمعتمد في الاخبار شيئا اخر هو وصولها الى المعاهدين وانما الحقيق بان يعتنى بافادته حدوث تلك البراءة من جهته تعالى ووصولها اليهم فان حق الصفات قبل علم المخاطب بثبوتها لموصوفاتها ان تكون اخبارا وحق الاخبار بعد العلم بثبوتها لما هي له ان تكون صفات كما حقق في

موضعه وقرئ من الله بكسر النون على الاصل في تحريك الساكن الكثير لكن الوجه هو الفتح في لام التعريف خاصة لكثرة الوقوع والعهد العقد الموثق باليمين والخطاب في عاهدتم للمسلمين وقد كانوا عاهدوا مشركي العرب من اهل مكة وغيرهم باذن الله تعالى واتفاق الرسول صلى الله عليه وسلم فنكثوا الا بني ضمرة وبني كنانة فامر المسلمون بنبذ العهد الى الناكثين وامهلوا المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤا وانما نسبت البراءة الى الله تعالى ورسوله مع شمولها للمسلمين واشتراكهم في حكمها ووجوب العمل بموجبها وعلقت المعاهدة بالمسلمين خاصة مع كونها باذن الله تعالى واتفاق الرسول عليه الصلاة والسلام للانباء عن تنجزها وتحتمها من غير توقف على راي المخاطبين لانها عبارة عن انهاء حكم الامان ورفع الخطر المترتب على العهد السابق عن التعرض للكفرة وذلك منوط بجانب الله عز وجل لا امر كسائر الامور الجارية على حسب حكم يقتضيها وداعية يستدعيها يترتب عليها اثارها عند تحققها حتى اصلا وانما تشارك المسلمين في حكمها ووجوب العمل بموجبها انما هو على طريقة الامتثال بالامر لا على ان يكون لهم مدخل في اتمامها او في ترتيب احكامها عليها واما المعاهدة فحيث كانت عقدا كسائر العقود الشرعية لا تتحصل في نفسها ولا تترتب عليها احكامها الا بمباشرة المتعاقدين على وجوه مخصوصة اعتبرها الشرع لم يتصور صدورها عنه سبحانه وانما الصادر عنه سبحانه هو الاذن فيها وانما الذي يباشرها ويتولى امرها المسلمون ولا يخفى ان البراءة انما تتعلق بالعهد لا بالاذن فيه فنسبت كل واحدة منهما الى من هو اصل فيها على ان في ذلك تفخيما لشان البراءة وتهويلا لامرها وتسجيلا على الكفرة بغاية الذل والهوان ونهاية الخزي والخذلان لان دق بها الساحة السبحان والكبرياء يوهم شائبة النقص والبداء تعالى عن ذلك علوا كبيرا فنادى راجعا عليه الكلام في النسبة الاولى واقعد عن الثانية لتنويه شان الرفيع واجلال قدره المنيع في كل المقامات صلى الله عليه وسلم وايثار الجملة الاسمية على الفعلية كان يقال قد برئ الله ورسوله من الذين الخ للدلالة على دوامها واستمرارها والتوسل الى تهويلها بالتنوين التفخيمي كما اشير اليه فسيحوا السياحة والسيح الذهاب في الارض والسير فيها بسهولة على مقتضى المشية كسيح الماء على موجب الطبيعة ففيه من الدلالة على كمال التوسعة والترفيه ما ليس في سيروا ونظائره وزيادة قوله عز وجل في الارض لقصد التعميم لاقطارها من دار الاسلام وغيرها والمراد اباحة ذلك لهم وتخليتهم وشانهم من الاستعداد للحرب او تحصين الاهل والمال او تحصيل المهرب او غير ذلك لا تكليفهم بالسياحة فيها وتلوين الخطاب بصرفه عن المسلمين وتوجيهه اليهم مع حصول المقصود بصيغة امر الغائب ايضا للمبالغة في الاعلام بالامهال لحسم مادة تعللهم بالغفلة وقطع شافة اعتذارهم بعدم الاستعداد وايثار صيغة الامر لتثنية افادة ذلك بطريق الاخبار ايضا كان يقال فلتسيروا لكم ان تسيحوا ايعوذ ذلك لاظهار كمال القوة والغلبة وعدم الاكتراث بهم ولا باستعدادهم فكان ذلك امر مطلوب منهم والفاء لترتيب الامر بالسياحة وما يعقبه على ما يؤذن به البراءة المذكورة من الحرب على ان الاول مترتب على نفسه والثاني بكلا سقلته على عنوان كونه من الله العزيز لا لترتيب الاول عليه والثاني على الاول كما في قوله تعالى قل سيروا في الارض فانظروا الخ كانه قيل هذه براءة موجبة لقتالكم فاسعوا في

تحصيلا للمقصود والاسباب وبالقوة في اعتياد الفساد من كل باب اربعة اشهر واعلموا انكم
غير معجزي الله في اقطار الارض في العرض والطول وان ركبتم متن كل صعب وذلول غير معجزي الله اي لا
تفوتونه بالهرب والتحصن وان الله مخزي الكافرين وضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية المهابة وتهويل
امر الاخزاء وهو الاذلال بما فيه فضيحة وعار مخزي الكافرين اي مخزيكم منكم في الدنيا بالقتل والاسر وفي
الاخرة بالعذاب ما شار الاظهر على الاضمار لذمهم بالكفر بعد وصفهم بالاشراك والاستعار بان علة الاخزاء
هو كفرهم ويجوز ان يكون المراد جنس الكافرين فيدخل فيه المخاطبون دخولا اوليا والمراد بالاشهر الاربعة
في الاشهر الحرم التي علق القتال بانسلاخها فقيل هي شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي
عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الاخر وجعلت حرما لحرمة
قتالهم فيها او لتغليب ذي الحجة والمحرم على البقية وقيل من عشر ذي القعدة الى عشر من ربيع الاول
لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في العام القابل في
ذي الحجة وذلك قوله عليه السلام ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض
روي انه صلى الله عليه وسلم امر ابا بكر رضي الله عنه على موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا رضي الله عنه على العضباء
ليقراها على اهل الموسم فقيل له عليه السلام لو بعثت بها الى ابي بكر فقال عليه السلام لا يؤدي عني الا رجل مني وذلك
لان عادة العرب الا يتولى امر العهد والنقض على القبيلة الا رجل منها فلما دنا علي سمع ابو بكر رضي الله عنه
الرغاء فوقف فقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال امير او مامور قال
مامور فمضينا فلما كان قبل يوم التروية خطب ابو بكر رضي الله عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر
عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم فقالوا بماذا
فقرا عليهم ثلاثين او اربعين اية ثم قال امرت باربع الا يقرب البيت بعد العام مشرك ولا يطوف
بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم كل ذي عهد عهده واذان من
الله ورسوله اي اعلام منهما فعال بمعنى الافعال كالعطاء بمعنى الاعطاء وارتفاعه كارتفاع براءة والجملة
معطوفة على مثلها الى الناس اي كافة لان الاذان غير مختص بقوم دون اخرين كالبراءة
المختصة بالناكثين بل هو شامل للعامة الكفرة وللمؤمنين ايضا يوم الحج الاكبر هو يوم العيد
لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روي انه عليه السلام وقف يوم النحر عند
الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه الصلوة والسلام
الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم
من اعماله فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون او لانه
فيه ظهر عز المسلمين وذل المشركين ان الله اي بان الله وقرئ بالكسر لان الاذان فيه معنى القول
بريء من المشركين اي المعاهدين الناكثين ورسوله عطف على المستكن في بريء اي على محل ان واسمها
على قراءة الكسر وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع اي بريء معه منهم وبالجر
على الجوار وقيل على القسم فان تبتم من الشرك والغدر التفات من الغيبة الى الخطاب
لزيادة تهديد وتشديد والفاء لترتيب مقدم الشرطية على الاذان بالبراءة المنبئة بالوعيد
الشديد المؤذن بلين عريكتهم وانكسار شكيمتهم فهو اي فالتوب خير لكم في الدارين وان
توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي من الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير معجزي الله غير سابقين ولا

فائتين وبشر الذين كفروا تلوين للخطاب وصرف له عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان البشارة
من باب التبشير وانه كانت بطريق التهكم انما يليق بمن يقف على الاسرار الالهية الا الذين عاهدتم من
المشركين استدراك من النبذ السابق الذي اخر فيه القتال اربعة اشهر كانه قيل لا تمهلوا الناكثين
فوق اربعة اشهر لكن الذين عاهدتم ثم لم ينكثوا عهدهم فلا تجروهم مجرى الناكثين في المسارعة
الى قتالهم بل اتموا اليهم عهدهم ولا يضر في ذلك تخلل الفاصل بقوله تعالى واذان من الله ورسوله
الخ لانه ليس باجنبي بالكلية بل هو امر باعلام تلك البراءة كانه قيل فاعلموها وقيل هو استثناء متصل
من المشركين الاول ويرده بقاء الثاني على العموم مع كونهما عبارة عن فريق واحد وجعله استثناء من الثاني
يأباه بقاء الاول كذلك وقيل هو استدراك من المقدر في فسيحوا اي قولوا لهم سيحوا اربعة اشهر لكن
الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط الميثاق ولم يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم قط وقرئ
بالمعجمة اي لم ينقضوا عهدهم شيئا من النقض كلمة ثم للدلالة على ثباتهم على عهدهم مع تمادي المدة ولم يظاهروا
اي لم يعاونوا عليكم احدا من اعدائكم كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فظاهرتهم
قريش بالسلاح فاتموا اليهم عهدهم اي ادوا اليهم كاملا الى مدتهم ولا تفاجئوهم بالقتال عند مضي
الاجل المضروب للناكثين ولا تعاملوهم معاملتهم قال ابن عباس رضي الله عنهما بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة
اشهر فاتم اليهم عهدهم ان الله يحب المتقين تعليل لوجوب الامتثال وتنبيه على ان مراعاة حقوق
العهد من باب التقوى وان التسوية بين الوفي والغادر منافية لذلك وان كان المعاهد مشركا
فاذا انسلخ اي انقضى استعير له من الانسلاخ الواقع بين الحيوان وجلده والاغلب اسناده الى الجلد
والمعنى اذا انقضى الاشهر الحرم وانفصلت عما كانت مشتملة عليه ساترة له انفصال الجلد عن الشاة وانكشفت
عنه انكشاف الحجاب عما وراءه كما ذكره ابو الهيثم من انه يقال اهللنا شهر كذا اي دخلنا فيه ولباسه
فنحن نزداد كل ليلة لباسا منه الى مضي نصفه ثم نسلخ من انفسنا جزءا فجزءا حتى نسلخ عن انفسنا كله
فينسلخ وانشد اذا ما سلخت الشهر اهللت مثله كفى قاتلا سلخي الشهور واهلالي وتحقيقه ان
الزمان محيط بما فيه من الزمانيات مشتمل عليه اشتمال الجلد للحيوان وكذا كل جزء من اجزائه الممتدة من
الايام والشهور والسنين فاذا مضى فكانه انسلخ عما فيه وفيه مزيد لطف لما فيه من التلويح بان
تلك الاشهر كانت حرزا لاولئك المعاهدين عن غوائل ايدي المسلمين فنيط قتالهم بزوالها والمراد
بها ما مر من الاشهر الاربعة فقط ووضع المظهر موضع المضمر ليكون ذريعة الى وصفها بالحرمة تاكيدا
لما ينبئ عنه اباحة السياحة من حرمة التعرض لهم فيها مع ما فيه من مزيد الاعتناء بشانها اي هي مع ما فهم من قوله
تعالى فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم من ثمة مدة بقيت لغير الناكثين فعلى الاول يكون المراد بالمشركين
في قوله تعالى فاقتلوا المشركين الناكثين خاصة فلا يكون قتال الباقين مفهوما من عبارة
النص بل من دلالته وعلى الثاني مفهوما من العبارة الا انه يكون الانسلاخ وما نيط به من القتال شيئا
فشيئا لا دفعة واحدة فكانه قيل فاذا تم ميقات كل طائفة فاقتلوهم وحملها على الاشهر المعهودة
الدائرة في كل سنة لا يساعده النظم الكريم واما انه يستدعي بقاء حرمة القتال فيها اذ ليس فيما
نزل بعد ما ينسخها فلا اعتداد به لانها نسخت بقوله تعالى قاتلوهم حتى لا تكون فتنة كما توهم فانه
رجم بالغيب لانه ان اريد به ما في سورة الانفال فانه نزل عقيب غزوة بدر وقد صح ان المراد بالذين
كفروا في قوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا الخ ابو سفيان واصحابه وقد اسلم في ايام رمضان

عام الفتح سنة ثمان وسورة التوبة انما انزلت في شوال سنة تسع وانه اريد ما في سورة البقرة فانه ايضا
نزل قبل الفتح كما يعرب عنه ما قبله من قوله واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل ذلك يوم
الفتح فكيف ينسخ به ما نزل بعده بل لان انعقاد الاجماع على انتساخها كاف في الباب من غير حاجة الى
الركون الى سنده مستقلا الى البيان وقد صح ان النبي صلى الله عليه وسلم حاصر الطايف لعشر بقين من المحرم حيث
وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم اي اسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم اي قيدوهم او امنعوهم
من التقلب في البلاد قال ابن عباس رضي الله عنهما حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل
مرصد اي كل ممر ومجتاز يجتازون منه في اسفارهم وانتصابه على الظرفية اي ارصدوهم وارقبوهم حتى
لا يمروا به وفايدته على التفسير الاتى دفع احتمال الاكتفاء بالحصر المحاصرة المعهودة فان تابوا عن الشرك
بالايمان بما اضطروا اليه بما ذكر من القتل والاسر والحصر واقاموا الصلوة واتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم
وايمانهم واكتفي بذكرهما عن ذكر بقية العبادات لكونهما رئيسي العبادات البدنية والمالية فخلوا سبيلهم
فدعوهم وشأنهم ولا تتعرضوا لهم بشيء مما ذكر ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف من الكفر والغدر
ويثيبهم بايمانهم وطاعتهم وهو تعليل للامر بتخلية السبيل وان احد شروع في بيان حكم المتصدين
لمبادي التوبة من سماع كلام الله تعالى والوقوف على شعاير الدين اثر بيان حكم التائبين عن الكفر والمصرين
عليه وهو مرتفع بشرط مضمر يفسره الظاهر لا بالابتداء لان ان لا تدخل الا الفعل من المشركين
استجارك بعد انقضاء الاجل المضروب اي سالك ان تومنه وتكون له جارا فاجره اي امنه حتى يسمع
كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة ما تدعو اليه والاقتصار على ذكر السماع لعدم الحاجة
الى شيء اخر في الفهم لكونهم من اهل اللسن والفصاحة وحتى سوا كانت للغاية او للتعليل متعلقة
بما لا بقوله تعالى استجارك لانه يودي الى اعمال حتى في المضمر وذلك مما لا يكاد يرتكب في غير
صورة العطف كما في قوله فلا والله لا يلقي اناس فتى حتاك يا ابن ابي زيد كذا قيل الاظهر تعلقها بالاجارة
لسماع كلام الله تعالى باحد الجهتين يستلزم تعلق الاستجارة ايضا بذلك او بما في معناه من امور الدين
وما روي عن علي رضي الله عنه انه اتاه رجل من المشركين فقال ان اراد الرجل منا ان ياتي محمدا بعد انقضاء هذا
الاجل لسماع كلام الله تعالى او لحاجة قتل قال لا لان الله تعالى يقول وان احد من المشركين استجارك
فاجره الخ والمراد بما فيه من الحاجة هي الحاجة المتعلقة بالدين لا ما يعمها وغيرها من الحاجات الدنيوية
كما ينبي عنه قوله ان ياتي محمدا فان من ياتيه عليه السلام انما ياتيه للامور المتعلقة بالدين ثم ابلغه بعد
استماعه ان لم يومن مامنه اي مسكنه الذي يامن فيه وهو دار قومه ذلك يعني الامر بالاجارة
وابلاغ المامن بانهم بسبب انهم قوم لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقته او قوم جهلة فلا بد من
اعطاء الامان حتى يسمعوا الحق ولا يبقى معذرة اصلا كيف يكون للمشركين عهد شروع في تحقيق
حقيقة ما سبق من البراءة واحكامها المتفرعة عليها وتبيين الحكمة الداعية الى ذلك والمراد بالمشركين
الناكثون لان البراءة انما هي في شانهم والاستفهام انكاري لا بمعنى انكار الواقع كما في قوله تعالى كيف
تكفرون بالله الخ بل بمعنى انكار الوقوع ويكون من الكون التام وكيف في محل النصب على التشبيه بالحال
او الظرف وقيل من الكون الناقص وكيف خبر يكون قدم عليه اسمه هو عهد لاقتضائه الصدارة
وللمشركين متعلق بمحذوف وقع حالا من عهد ولو كان موخرا لكان صفة له او بيكون عند من يجوز
عمل الافعال الناقصة في الظروف وعند متعلق بمحذوف وقع صفة لعهد او بنفسه لانه مصدر او

وخذوهم

عليه

اذ يكون كان ويجوز ان يكون الخبر للمشركين وعند كما ذكر ومتعلق بالاستقرار الذي تعلق به للمشركين
ويجوز ان يكون الخبر عند الله وللمشركين اما تبيين واما حال من عهد واما متعلق بيكون او
بالاستقرار الذي يتعلق به الخبر لا بما في بقية مفهوم الخبرية في الاسم اكده وفي جواز كيف على
الوجهين الاخرين نصب على التشبيه بالظرف او بالحال كما في صورة الكون التام وهذا اولى لان في
انكار ثبوت العهد في نفسه من المبالغة ما ليس في انكار ثبوته للمشركين لان ثبوت الرابطي فرع
ثبوته المعيني فانتفاء الاصل يوجب انتفاء الفرع رأسا وفي توجيه الانكار الى كيفية ثبوت العهد
من المبالغة ما ليس في توجيهه الى ثبوته لان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال
قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني اي على اي حال او في اي
حال يوجد لهم عهد معتد به عند الله وعند رسوله يستحق ان تراعى حقوقه ويحافظ عليه الى تمام
المدة ولا يتعرض لهم بحسبه قتلا واخذا اما ان يأسوا به من عذاب الاخرة كما قيل فلا سبيل الى اعتباره
اصلا اذ لا دخل لعهدهم في ذلك الامن قطع وان كان مرعيا عند الله تعالى وعند رسوله كعهد غير
الناكثين وتكرير كلمة عند للايذان بعدم الاعتداد به عند كل منهما على حدة الا الذين
استدراك من النفي المفهوم من الاستفهام المبادر بجميع المعاهدين اي لكن الذين عاهدتم
عند المسجد الحرام وهم المستثنون فيما سلف والتعرض لكون المعاهدة عند المسجد الحرام لزيادة
بيان اصحابها والاشعار بسبب وكادتها ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله عز وجل فما استقاموا
لكم فاستقيموا لهم والفاء لتضمنه معنى الشرط وما اما مصدرية منصوبة المحل على الظرفية بتقدير
المضاف اي فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم واما شرطية منصوبة المحل على الظرفية الزمانية اي
اي زمان استقاموا لكم فاستقيموا لهم الاصلية وقيل الاستثناء محله النصب على الاستثناء او الجر
على البدل من المشركين والمراد بهم الجنس لا المعهود وانما كان حكم الامر بالاستقامة ينتهي بانتهاء مدة
العهد لان استقامتهم التي وقت بوقتها الاستقامة المامور بها عبارة عن مراعاة حقوق العهد
وبعد انقضاء مدته لا عهد ولا استقامة فصار مثل الامر الوارد فيما سلف حيث قيل فاتموا اليهم
عهدهم الى مدتهم خلا انه قد صرح هنا بما لم يصرح به هناك من كونه معتبرا قطعا ومن تقييد الاتمام
المامور به ببقائهم على ما كانوا عليه من الوفاء ان الله يحب المتقين تعليل للامر بالاستقامة
واشعار بان القيام بموجب العهد من احكام التقوى كما مر كيف تكرير لاستنكار ما مر من ان يكون
للمشركين عهد حقيق بالمراعاة عند الله سبحانه وعند رسوله صلى الله عليه وسلم واما ما قيل من انه لاستبعاد
ثباتهم على العهد فكما ترى لان ما يذكر لا يصح التعليل الاستبعاد عن عدم ثباتهم على العهد لا ما يتسبب
وانما اعيد الاستنكار والاستبعاد تاكيدا له وتمهيدا لتعداد العلل الموجبة له لاخلال تخلل ما في
البين في الارتباط والتقريب وحذف الفعل المستنكر للايذان بان النفس مستحضرة له مترقبة لورود
ما يوجب استنكاره لا لمجرد كونه معلوما كما في قوله وخبرتماني انما الموت بالقرى فكيف وهاتا
هضبة وقليب فانه على مصحح لان حذفه اي كيف يكون لهم عهد معتد به عند الله تعالى وعند رسوله وان
يظهروا عليكم اي وحالهم انهم ان يظهروا عليكم اي يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم اي لا يراعوا في شانكم
واصل الرقوب النظر بطريق الحفظ والرعاية ومنه الرقيب ثم استعمل في مطلق الرعاية والمراقبة
ابلغ منه كالمراعاة وفي نفي الرقوب من المبالغة ما ليس في نفيها الا ولا ذمة اي حلفا وقيل قرابة

ولا عهدا أو حقا يعاب على إغفاله لما سبق لهم من تأكيد الأيمان والمواثيق يعني أن وجوب مراعاة
حقوق العهد على كل من المتعاهدين مشروط بمراعاة الآخر لها فإذا لم يراعها المشركون فكيف تراعونها
على سؤال من قال عليه السلام تقبل منهم فدية وهم لا أفضت قبلولها ولا ذهبا وقيل الإل من أسماء الله
عز وجل أي لا يرعون حق الله تعالى وقيل الجوار وقيل الحلف لأنهم إذا تحالفوا رفعوا به أصواتهم
لتشهيره ولما كان تعليق عدم رعاية العهد بالظهور موهما للرعاية عند عدمه كشف عن حقيقة شؤونهم
الجبلية الخبيثة بطريق الاستئناف وبين أنهم في حالة العجز أيضا ليسوا من الوفاء في شيء وإنما يظهرونه
مداهنة ولا مداهنة فقيل يرضونكم بأفواههم حيث يظهرون الوفاء والمصافاة ويعدونكم
بالإيمان والطاعة ويؤكدون ذلك بالأيمان الفاجرة ويتعللون عند ظهور خلافه بالمعاذير
الكاذبة وفي نسبة الإرضاء إلى الأفواه للإيذان بأن كلامهم مجرد ألفاظ يتفوهون بها من غير أن
يكون لها مصداق في قلوبهم وتأبى قلوبهم ما يفيده كلامهم وأكثرهم فاسقون خارجون
عن الطاعة فإن مراعاة حقوق العهد من باب الطاعة متمردون ليس لهم مروءة رادعة ولا عقيدة
وازعة لا يسترق كما يتعاطاه بعض من يتفادى عن الكذب ويتعفف كما يجاهد تنويه اشتروا
بآيات الله بآياته الآمرة بالإيفاء بالعهود والاستقامة في كل أمر وجميع آياته يدخل فيها
ما ذكر دخولا أوليا أي تركوها واتبعوا بدلها ثمنا قليلا أي شيئا حقيرا من حطام الدنيا
وهو أهواؤهم وشهواتهم التي اتبعوها وما أنفقه أبو سفيان من الطعام وصرفه إلى الأعراب
فصدوا أي عدلوا ونكبوا من صد صدودا أو صرفوا غيرهم من صد صدا والفاء للدلالة على سببية
الاشتراء لذلك عن سبيله أي الدين الحق الذي لا محيد عنه والإضافة للتشريف أو سبيل بيته
الحرام حيث كانوا يصدون الحجاج والعمار عنه إنهم ساء ما كانوا يعملون أي بئس ما كانوا يعملونه
أو عملهم المستمر والمخصوص بالذم محذوف ويجوز أن يكون كلمة ساء على أصلها من التصرف لازما أو
متعديا بمعنى ... والمفعول محذوف أي ساءهم الذي يعملونه أو عملهم وقوله عز وعلا لا يرقبون في
مؤمن إلا ولا ذمة نعى عليهم عدم مراعاة حقوق عهد المؤمنين على الإطلاق فلا تكرار وقيل هذا
في اليهود الذين الأعراب المذكورين ومن نحو نحوهم وأما ما قيل من أنه تفسير لقوله تعالى يعملون
أو دليل على ما هو مخصوص بالذم فمشعر بأن مقتضى الذم والسوء عملهم هذا دون غيره وأولئك
الموصوفون بما عدد من الصفات السيئة هم المعتدون المجاوزون الغاية القصوى من الظلم
والشرارة فإن تابوا أي عما هم عليه من الكفر وسائر العظائم والفاء للإيذان بأن تقريعهم بما
يعني عليهم من مساوي أعمالهم مزجرة عنها ومظنة للتوبة وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة أي التزموها
وعزموا على إقامتها فإخوانكم أي فهم إخوانكم وقوله تعالى في الدين متعلق بإخوانكم لما فيه
من معنى الفعل أي لهم ما لكم وعليهم ما عليكم فعاملوهم معاملة الإخوان وفيه من استمالتهم واستجلاب
قلوبهم ما لا مزيد عليه والاختلاف بين هذه الشرطية وجوابها التي مرت من قبل اتحاد الشرط فيهما
لما أن الأولى سيقت إثر الأمر بالقتل ونظائره فوجب أن يكون جوابها أمرا بخلاف ذلك وهذه
سيقت بعد الحكم عليهم بالاعتداء وأشباهه فلابد من كون جوابها حكما بخلافه البتة ونفصل
الآيات أي نبينها والمراد بها ما مر من الآيات المتعلقة بأحوال المشركين من الناكثين وغيرهم
وأحكامهم حالتي الكفر والإيمان أو جميع الآيات فيندرج فيها تلك الآيات اندراجا أوليا

لقوم يعلمون أي ما فيها من الأحكام أو لقوم [illegible] الأحكام المندرجة
في تضاعيفها والمحافظة عليها وإن نكثوا عطف على قوله فإن تابوا أي وإن لم يفعلوا ذلك بل نقضوا
أيمانهم من بعد عهدهم الموثق بها وأظهروا ما في ضمائرهم من الشر وأخرجوه من القول إلى الفعل
حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا الآية أو ثبتوا على ما هم عليه من النكث لا أنهم ارتدوا بعد
الإيمان كما قيل وطعنوا في دينكم صرحوا بالتكذيب وتقبيح الأحكام فقاتلوا أئمة الكفر أي
فقاتلوهم وإنما أوثر ما عليه النظم الكريم للإيذان بأنهم صاروا بذلك ذوي رياسة وتقدم في الكفر
أحقاء بالقتل والقتال وقيل المراد بأئمتهم رؤساؤهم وصناديدهم وتخصيصهم بالذكر إما لأهمية قتلهم
أو للمنع من مراقبتهم لكونهم مظنة لها أو للدلالة على استئصالهم فإن قتلهم غالبا يكون بعد قتل من دونهم
وقرئ أيمة بتحقيق الهمزتين على الأصل والأفصح إخراج الثانية بين بين وأما التصريح بالياء فلحن ظاهر
وهذا إنهم لا أيمان لهم أي على الحقيقة حيث لا يراعونها ولا يعدون نقضها محذورا وإن أجروها
على ألسنتهم وإنما علق النفي بها كالنكث فيما سلف لا بالعهد المؤكد بها لأنها العمدة في المواثيق وجملة
الجملة تعليل للأمر بالقتال لا باعتبار تعليقه بالنكث والطعن لأن حالهم في أن لا أيمان حقيقة
بعد النكث والطعن كحالهم قبل ذلك وحمله على معنى عدم بقاء أيمانهم بعد النكث والطعن مما لا
حاجة إلى بيانه خلاف الظاهر ولعل الأولى جعلها تعليلا لمضمون الشرط كأنه قيل وإن نكثوا
وطعنوا إذ لا أيمان لهم حقيقة حتى ينكثوها ولا استمرارا للقتال المأمور به المستفاد من سياق
الكلام كأنه قيل فقاتلوهم إلى أن يؤمنوا إنهم لا أيمان لهم حتى يعقد معهم عهد آخر وقرئ بكسر الهمزة على أنه
مصدر بمعنى إعطاء الأمان أي لا سبيل إلى أن تعطوهم أمانا بعد ذلك أبدا وأما العكس كما قيل فلا وجه
لإبقاء [illegible] بما هو في معنى [illegible] أن يكون إعطاء الأمان من قبلهم وذلك بين البطلان أو بمعنى الإسلام
فيكون تعليلا للأمر بالقتال إشكال بلا استحالة لأن حمله على انتفاء الإسلام مطلقا فهو معزول عن العلية
للقتال وللأمر كما قيل النكث والطعن وإن حمل على انتفائه [illegible] فيما سيأتي فلا دليل [illegible] لأنها غاية القتال
فيما سيجيء فالوجه أن يجعل تعليلا لما ذكر من مضمون الشرط كأنه قيل وإن نكثوا وطعنوا وهو الظاهر من حالهم
لأنه لا إسلام لهم حتى يرتدعوا عن نقض جنس أيمانهم وعن الطعن في دينكم لعلهم ينتهون متعلق
بقوله تعالى فقاتلوا أي قاتلوهم إرادة أن ينتهوا أي ليكن غرضكم من القتال انتهاءهم عما هم عليه من الكفر
وسائر العظائم التي يرتكبونها لا إيصال الأذية بهم كما هو ديدن المؤذين ألا تقاتلون الهمزة الداخلة
على انتفاء مقاتلتهم للإنكار والتوبيخ تدل على تحضيضهم على المقاتلة بطريق حملهم على الإقرار بانتفائها
كأنه أمر لا يمكن أن يعترف به طائعا لكمال شناعته فيلجئون إلى ذلك ولا يقدرون على الإقرار به فيختارون
المقاتلة قوما نكثوا أيمانهم التي حلفوها عند المعاهدة على أن لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة
وهموا بإخراج الرسول من مكة حين تشاوروا بدار الندوة حسبما ذكر في قوله تعالى وإذ يمكر بك الذين
كفروا فيكون نعيا عليهم جنايتهم القديمة وقيل هم اليهود نكثوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهموا
بإخراجه من المدينة وهم بدءوكم بالمعاداة والمقاتلة أول مرة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم أولا
بالكتاب المبين وتحداهم به فعدلوا عن المحاجة لعجزهم عنها إلى المقاتلة أو بدءوا بقتال خزاعة حلفاء
النبي صلى الله عليه وسلم لأن إعانة بني بكر عليهم قتال معهم أتخشونهم أي أتخشون أن ينالكم منهم مكروه حتى
تتركوا قتالهم وبخهم أولا بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الرغبة فيها ويحقق أن من كان

على تلك الصفات السيئة حقيق بان لا تترك مصادمته ويوبخ من فرط فيها فالله احق ان تخشوه من مخالفة
امره وترك قتال اعدائه ان كنتم مؤمنين فان قضية الايمان تخصيص الخشية به تعالى وعدم
المبالاة بمن سواه وفيه من التشديد ما لا يخفى قاتلوهم تجريد للامر بالقتال بعد التوبيخ على تركه
ووعد بنصرهم وتعذيب اعدائهم اثر اخطابهم وتشجيع لهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم قتلا واسرا
وينصركم عليهم اي يجعلكم جميعا غالبين عليهم اجمعين ولذلك اخر عن التعذيب والاخزاء ويشف
صدور قوم مؤمنين ممن لم يشهد القتال وهم خزاعة قال ابن عباس رضي الله عنهما هم بطون من اليمن
وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى كثيرا فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه
فقال عليه السلام ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم بما كابدوا من المكاره والمكايد ولقد
انجز الله سبحانه جميع ما وعدهم به على اجمل ما يكون فكان اخباره عليه السلام بذلك قبل وقوعه معجزة عظيمة
ويتوب الله على من يشاء كلام مستانف ينبئ عما سيكون من بعض اهل مكة من التوبة المقبولة بحسب
مشيئته تعالى المبنية على الحكم البالغة فكان كذلك حيث اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ
بالنصب باضمار ان ودخول التوبة في جملة ما اجيب به الامر بحسب المعنى فان القتال كما تسبب لفلت شوكتهم
ولانكسار شكيمتهم فهو سبب للتدبر في امرهم وتوبتهم من الكفر والمعاصي والاختلاف في وجه السببية السابق
والله تعالى اعلم والله ايثار اظهار الجلالة على الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة عليم لا يخفى
عليه خافية حكيم لا يفعل ولا يامر الا بما فيه حكمة ومصلحة ام حسبتم ام منقطعة جيء بها للدلالة على
الانتقال من التوبيخ السابق الى اخر وما فيها من همزة الاستفهام الانكاري توبيخ لهم على الحسبان المذكور
اي بل احسبتم ان تتركوا على ما انتم عليه ولا تؤمروا بالجهاد ولا تبتلوا بما يمحصكم والخطاب اما لمن شق
عليهم القتال من المؤمنين او للمنافقين ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم الواو حالية ولما
للنفي مع التوقع والمراد بنفي العلم نفي المعلوم بالطريق البرهاني اذ لو شمله الوجود لعلمه قطعا فلما لم
يعلم عدمه قطعا اي ام حسبتم ان تتركوا والحال انه لم يتبين الخلص من المجاهدين منكم من غيرهم وما في
لما من التوقع منبه على ان ذلك سيكون والتعبير عما ذكر من عدم التبيين بعدم علم الله تعالى لان
المقصود هو التبيين من حيث كونه متعلقا للعلم ومدارا للثواب وعدم التعرض لحال المقصرين لما ان ذلك
بمعزل من الاندراج تحت ارادة اكرم الاكرمين ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في حيز الصلة او حال
من فاعله اي جاهدوا حال كونهم غير متخذين من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة اي بطانة
وصاحب سر يوالونه يفشون اليهم اسرارهم الخفية من الولوج وهو الدخول ومن دون الله
متعلق بالاتخاذ ان ابقي على حاله او مفعول ثان له ان جعل بمعنى التصيير والله خبير بما تعملون اي بجميع
اعمالكم وترى عليه النية وهو تذييل يزيح ما يتوهم من ظاهر قوله تعالى ولما يعلم الله الخ وحال من فاعله
او مفعوله والمعنى ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم والحال انه يعلم جميع اعمالكم لا يخفى عليه شيء منها ما كان
للمشركين اي ما صح وما استقام لهم على معنى نفي الوجود والتحقق لا نفي الجواز كما في قوله تعالى وما كان
لهم ان يدخلوها الا خائفين اي ما وقع وما تحقق لهم ان يعمروا عمارة معتدا بها مساجد الله اي
المسجد الحرام وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامرها او لان كل ناحية من نواحيه المختلفة
الجهات مسجد على حاله بخلاف سائر المساجد اذ ليس في نواحيها اختلاف الجهة ويؤيده القراءة بالتوحيد وقيل
ما كان لهم ان يعمروا شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس وياباه انهم لا يتصدون

لتعمير سائر المساجد ولا يفتخرون بذلك على انه مبني على كون النفي بمعنى نفي الجواز واللياقة دون نفي الوجود شاهدين
على انفسهم بالكفر اي باظهار اثار الشرك من نصب الاوثان حول البيت والعبادة لها فان ذلك شهادة صريحة
على انفسهم بالكفر وان ابوا ان يقولوا نحن كفار كما نقل عن الحسن رحمه الله وهو حال من الضمير في يعمروا اي محال
ان يكون ما سموه عمارة بيت الله مع ملابستهم لما ينافيها ويحبطها من عبادة غيره تعالى وانها ليست من العمارة في شيء اما
ما قيل من ان المعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره تعالى فليس بمعرب
عن كنه المرام فان عدم استقامة الجمع بين المتنافيين انما يستدعي انتفاء احدهما لا بعينه لا انتفاء العمارة
الذي هو المقصود روي ان المهاجرين والانصار اقبلوا على اسارى بدر يعيرونهم بالشرك وطفق علي
رضي الله عنه يوبخ العباس بقتال النبي صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم واغلظ له القول فقال العباس تذكرون
مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا او لكم محاسن قالوا نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج
ونفك العاني فنزلت اولئك الذين يدعون عمارة المسجد وما يضاهيها من اعمال البر مع ما بهم من الكفر
حبطت اعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من الكفر فصارت هباء منثورا وفي النار هم خالدون
لكفرهم ومعاصيهم وايراد الجملة اسمية للمبالغة في الدلالة على الخلود والظرف متعلق بالخبر قدم عليه
للاهتمام به ومراعاة الفاصلة وكلتا الجملتين مستانفة لتقرير النفي السابق الاولى من جهة نفي استتباع
الثواب والثانية من جهة نفي استدفاع العذاب انما يعمر مساجد الله الكلام في ايراد صيغة الجمع كما في
ما سلف خلا ان ارادة جميع المساجد واندراج المسجد الحرام في ذلك ابين مما لا يستدعي الحال فان الايجاب
ليس كالسلب وقد قرئ بالافراد ايضا والمراد هنا ايضا ما يتحقق العمارة ووجودها حالا المؤمنين لا مجرد
جوازها فانه اي انما يصح ويستقيم ان يعمرها عمارة يعتد بها من امن بالله وحده واليوم الاخر
بما فيه من البعث والحساب والجزاء حسبما نطق به الوحي واقام الصلاة واتى الزكاة على ما علم من الدين فيندرج
فيه الايمان بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم حتما وقيل هو مندرج تحت الايمان بالله خاصة فان احد جزئي كلمة
الشهادة علم للكل انما يعمرها من جمع هذه الكمالات العلمية والعملية والمراد بالعمارة ما يعم مرمة
ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر ودراسة العلوم
فيها ونحو ذلك وصيانتها عما لم تبن له كحديث الدنيا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث في المسجد
ياكل الحسنات كما تاكل البهيمة الحشيش وقال عليه السلام قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان
زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وعنه
عليه السلام من الف المسجد الفه الله وقال عليه السلام اذا رايتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وعن
النبي صلى الله عليه وسلم من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له ما دام في ذلك المسجد ضوءه
ولم يخش في امور الدين الا الله فعمل بموجب امره ونهيه غير اخذ له في الله لومة لائم ولا اختشاء ظالم
فيندرج فيه عدم الخشية عند القتال ونحو ذلك واما الخوف الجبلي من الامور المخوفة فليس من هذا الباب
ولا يدخل تحت التكليف والخطاب وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد نفي تلك الخشية عنهم
فعسى اولئك المنعوتون بتلك النعوت الجميلة ان يكونوا من المهتدين الى مباغيهم من الجنة وما
فيها من فنون المطالب العلية وابراز اهتدائهم مع ما بهم من الصفات السنية في معرض التوقع لقطع اطماع
الكفرة عن الوصول الى مواقف الاهتداء والانتفاع باعمالهم التي يحسبون انهم في ذلك محسنون
ولتوبيخهم بقطعهم بانهم مهتدون فان المؤمنين مع ما بهم من هذه الكمالات اذا كان امرهم دائرا

بين اهل وعسى ضايا الكفرة وهم واعمالهم اعمالهم وفيه لطف للمؤمنين وترغيب لهم في ترجيح جانب الخوف
على جناح الرجاء وفيه لاغترار بالله تعالى اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام اي في
الفضيلة وعلو الدرجة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله السقاية والعمارة
مصدران لا يتصور تشبيههما بالاعيان فلا بد من تقدير مضاف في احد الجانبين اي اجعلتم اهلهما
كمن آمن بالله الخ ويؤيده قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام او جعلتموهما كايمان من آمن الخ
وعلى التقديرين فالخطاب اما للمشركين على طريقة الالتفات وهو المتبادر من تخصيص ذكر الايمان
بجانب المشبه به واما لبعض المؤمنين المؤثرين للسقاية والعمارة ونحوهما على الهجرة والجهاد ونظائرهما
وهو المناسب للاكتفاء في الرد عليهم ببيان عدم مساواتهم عند الله للفريق الثاني وببيان اعظمية درجتهم
عند الله تعالى على وجه يشعر بعدم حرمان الاولين بالكلية وجعل معنى التفضيل بالنسبة الى زعم
الكفرة الجدى كيف لا وانه لم يشعر بعدم الحرمان فلا يسمع من الجهات ايضا اما على الاول فهو
توبيخ للمشركين ومداره انكار تشبيه انفسهم من حيث اتصافهم بوصفيهم المذكورين مع قطع النظر
عما هم عليه من الشرك بالمؤمنين من حيث اتصافهم بالايمان والجهاد او على انكار تشبيه وصفيهم
المذكورين في حد ذاتيهما مع الاغماض عن مقارنتهما الشرك بالايمان والجهاد واما اعتبار مقارنتهما له
كما قيل فيأباه المقام كيف لا وقد بين انها حبط اعمالهم بتلك الاعتبار بالمرة وكونها بمنزلة
العدم فتوبيخهم بعد ذلك على تشبيهها بالايمان والجهاد ثم رد ذلك بما يشعر بعدم حرمانهم عن
اصل الفضيلة بالكلية كما اشير اليه مما لا يساعده النظم التنزيلي لو اعتبر ذلك لما احتيج الى تقرير
انكار التشبيه وتاكيده بشيء اخر اذ لا شيء اظهر بطلانا من تشبيه المعدوم بالموجود فالمعنى اجعلتم
اهل السقاية والعمارة في الفضيلة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله او جعلتموهما
في ذلك كالايمان والجهاد وشتان بينهما فان السقاية والعمارة وان كانتا في انفسهما من اعمال البر
والخير لكنهما وان خلتا عن القوادح بمعزل من صلاحية ان يشبه اهلها باهل الايمان والجهاد او
يشبه نفسهما بنفس الايمان والجهاد وذلك قوله عز وجل لا يستوون عند الله اي لا يساوي
الفريق الاول الثاني من حيث اتصاف كل منهما بوصفيهما ومن ضرورته عدم التساوي بين الوصفين
الاولين وبين الاخيرين لان المدار في التفاوت بين الموصوفين واسناد عدم الاستواء الى الموصوفين
لان الاهم بيان تفاوتهم وتوجيه النفي ههنا والانكار فيما سلف الى الاستواء والتشبيه مع ان
دعوى المفتخرين بالسقاية والعمارة من المشركين والمؤمنين انما هي الافضلية دون التساوي
والتشابه للمبالغة في الرد عليهم فان نفي التساوي والتشابه نفي للافضلية بالطريق الاولى
والجملة استيناف مقرر للانكار المذكور وتاكيد او حال من مفعولي الجعل والرابط هو الضمير
كانه قيل اسويتم بينهم حال كونهم متفاوتين عنده تعالى وقوله تعالى والله لا يهدي القوم
الظالمين حكم عليهم بانهم مع ظلمهم بالاشراك ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم ضالون في الحيل
غير مهتدين الى طريق معرفة الحق وتمييز الراجح من المرجوح وظالمون بوضع كل منهما موضع الآخر وفيه
زيادة تقرير لعدم التساوي بينهم وقوله تعالى الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في
سبيل الله باموالهم وانفسهم استيناف لبيان مراتب فضلهم اثر بيان عدم الاستواء
وضلال المشركين وظلمهم وزيادة الهجرة وتفصيل نوع الجهاد للايذان بان ذلك من لوازم

الجهاد لانه اختير بطريق التدارك امر لم يعتبروا سلفا اي هم باعتبار اتصافهم بهذه الاوصاف
الجميلة اعظم درجة اي اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يتصف بها كائنا من كان وان حاز جميع ما
عداها من الكمالات التي من جملتها السقاية والعمارة واولئك اي المنعوتون بتلك النعوت
الفاضلة وما في اسم الاشارة من معنى البعد لما مر للاشعار ببعد منزلتهم في الرفعة هم الفائزون
المختصون بالفوز العظيم او بالفوز المطلق كان فوز من عداهم ليس بفوز بالنسبة الى فوزهم
واما على الثاني فهو توبيخ لمن يؤثر السقاية والعمارة من المؤمنين على الهجرة والجهاد روى ان
عليا قال للعباس رضي الله عنهما بعد اسلامه يا عم الا تهاجرون الا تلحقون برسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال الست في افضل من الهجرة اسقي حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فلما نزلت
قال ما اراني الا تارك سقايتنا فقال عليه السلام اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا وروى
النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما ابالي ان
اعمل عملا ان اسقي الحاج وقال آخر ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اعمر المسجد الحرام وقال
آخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليتم استفتيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيما اختلفتم فيه فدخل فانزل الله عز وجل هذه الآية والمعنى اجعلتم اهل
السقاية والعمارة في الفضيلة والرفعة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله
او جعلتموهما كالايمان والجهاد وانما لم يذكر الايمان في جانب المشبه مع كونه معتبرا فيه
قطعا تعويلا على ظهور الامر واشعارا بان مدار انكار التشبيه هو السقاية والعمارة
دون الايمان وانما لم يترك ذكره في جانب المشبه به ايضا تقوية للانكار وتذكيرا لاسباب
الرجحان ومبادي الافضلية وايذانا بكمال التلازم بين الايمان وما تلاه وفي سلك عدم
الاستواء عند الله تعالى على هذا التقدير ظاهر وكذا اعظمية درجة الفريق الثاني واما قوله
تعالى والله لا يهدي القوم الظالمين فالمراد به عدم هدايته تعالى لهم الى معرفة الراجح من
المرجوح وظلمهم بوضع كل منهما موضع الآخر لا عدم الهداية مطلقا ولا الظلم على ما
في القصر في قوله تعالى اولئك هم الفائزون بالنسبة الى درجة الفريق الثاني واما الى الفوز
المطلق ادعاء كما مر والله اعلم يبشرهم وقرئ بالتخفيف ربهم برحمة منه ورضوان
كبير وجنات عالية لهم فيها في تلك الجنات نعيم مقيم لا نفاد لها وفي التعرض لعنوان
الربوبية تاكيد للتبشير وتربية له خالدين فيها اي في الجنات ابدا تاكيد للخلود لزيادة
توضيح المراد به اذ قد يراد به المكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم لا قدر عنده لاجور
الدنيا او للاعمال التي في مقابلته والجملة استيناف وقع تعليلا لما سبق يا ايها الذين
آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء نهي لكل فرد من افراد المخاطبين عن موالاة
فرد من المشركين بقضية مقابلة الجمع بالجمع الموجبة لانقسام الآحاد الى الآحاد كما في قوله عز وجل
وما للظالمين من انصار لا عن موالاة طائفة منهم فان ذلك مفهوم من النظم دلالة الاعتبار
والآية نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا وابناءنا
وعشيرتنا وذهبت تجاراتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين

نزلت فى المهاجرين فجعل الرجل يأتيه ابنه او ابوه او اخوه او قريبه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق
عليه ثم رخص لهم فى ذلك وقيل نزلت فى التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى عن موالاتهم وعن
النبى صلى الله عليه وسلم لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب فى الله ويبغض فى الله حتى يحب فى الله ابعد الناس
ويبغض فى الله اقرب الناس اليه ان استحبوا الكفر اى اختاروه على الايمان واصروا عليه اصرارا لا
يرجى معه الاقلاع عنه اصلا وفى تعليق النهى عن الموالاة بذلك لما انها قبل ذلك ربما يؤدى بهم الى
الاسلام بسبب شعورهم بمحاسن الدين ومن يتولهم اى واحدا منهم كما اشير اليه وافراد الضمير
الفعل مراعاة للفظ الموصول والايذان باستقلال كل واحد منهم فى الاتصاف بالظلم لان
المراد تولى فرد واحد وكلمة من فى قوله تعالى منكم للجنس لا للتبعيض فاولئك اى اولئك المتولون
هم الظالمون بوضعهم الموالاة فى غير موضعها كان ظلم غيرهم كلا ظلم عند ظلمهم قل تلوين للخطاب وامر له
صلى الله عليه وسلم بان يثبت المؤمنين ويقوى عزائمهم على الانتهاء عما نهوا عنه من موالاة الاباء والاخوان
ويزيدهم فيه ويمحو ما يحوم من الاولاد والازواج ويقطع علائقهم عن زخارف الدنيا وزينتها
على وجه التوبيخ والترهيب ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم لم يذكر الابناء
والازواج فيما سلف لان موالاة الابناء والازواج غير معتادة بخلاف المحبة وعشيرتكم
اى اقرباؤكم ماخوذ من العشرة اى الصحبة وقيل من العشرة فانهم جماعة ترجع الى عقد كعقد
العشرة وقرئ عشيراتكم وعشائركم واموال اقترفتموها اى اكتسبتموها وانما وصفت
بذلك ايماء الى عزتها عندهم لحصولها بكد اليمين وتجارة اى امتعة اشتريتموها للتجارة
والربح تخشون كسادها بفوات وقت رواجها بغيبتكم عن مكة المعظمة فى ايام الموسم
ومساكن ترضونها اى منازل تعجبكم الاقامة فيها من الدور والبساتين والتعرض
للصفات المذكورة للايذان بان اللوم على محبة ما ذكر من زينة الحيوة الدنيا ليس لذاتها بل من
مبادى المحبة وموجبات الرغبة فيها وانها مع ما لها من فنون المحاسن بمعزل عن ان يؤثر حبها
على حب الله تعالى وحب رسوله صلى الله عليه وسلم كما فى قوله عز وجل ما غرك بربك الكريم احب اليكم
من الله ورسوله بالحب الاختيارى المستتبع لاثره الذى هو الملازمة وعدم المفارقة
لا الحب الجبلى الذى لا يخلو عنه البشر فانه غير داخل تحت التكليف الدائر على الطاقة وجهاد
فى سبيله نظم حبه فى سلك حب الله عز وجل وحب رسوله عليه الصلوة والسلام تنويها لشانه
وتنبيها على انه مما يجب ان يحب فضلا عن ان يكره وايذانا بان محبته راجعة الى محبتهما فان
الجهاد عبارة عن قتال اعدائهما لاجل عداوتهم فمن يحبهما يجب ان يحب قتال من لا يحبهما فتربصوا
اى انتظروا حتى يأتى الله بامره عن ابن عباس رضى الله عنه انه فتح مكة وقيل هى عقوبة عاجلة او آجلة
والله لا يهدى القوم الفاسقين الخارجين عن الطاعة فى موالاة المشركين او
القوم الفاسقين كافة فيدخل فى زمرتهم هؤلاء دخولا اوليا اى لا يرشدهم الى ما هو خير لهم
وفى الاية الكريمة من الوعيد ما لا يكاد يتخلص منه الا من تداركه لطف من ربه والله المستعان
لقد نصركم الله الخطاب للمؤمنين خاصة فى مواطن كثيرة من الحروب وهى مواقعها
ومقاماتها والمراد وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة ويوم حنين
عطف على محل فى مواطن بحذف المضاف فى احدهما اى وموطن يوم حنين او فى ايام مواطن

كثيرة ويوم حنين ولعل التغيير للايماء الى ما وقع فيه من قلة الثبات من اول الامر وقيل المراد
بالمواطن الوقت كمقتل الحسين رضى الله عنه وقيل يوم حنين منصوب بمضمر معطوف على نصركم اى
ونصركم يوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم بدل من يوم حنين ولا منع فيه من عطفه على محل الظرف بناء
على انه لم يكن فى المعطوف عليه كثرة ولا اعجاب اذ ليس فى قضية العطف مشاركة المعطوفين
فيما اضيف اليه المعطوف او منصوب باضمار اذكر وحنين واد بين الطائف ومكة كانت
فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر الفا عشرة الاف منهم ممن شهد فتح مكة من المهاجرين والانصار
والفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وكانوا اربعة الاف فيمن ضامهم من امداد
سائر العرب وكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين اسمه سلمة بن سلامة الانصارى
لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم
المشركون وخلوا الذرارى فاكب المسلمون على الغنائم فتنادى المشركون يا حماة السوء اذكروا
الفضائح فتراجعوا فادركت المسلمين كلمة الاعجاب فانكشفوا وذلك قوله عز وجل فلم تغن
عنكم شيئا والاغناء اعطاء ما يدفع به الحاجة اى لم تعطكم تلك الكثرة ما تدفعون به حاجتكم
شيئا من الاغناء وضاقت عليكم الارض بما رحبت اى برحبها وسعتها على ان ما مصدرية والباء
بمعنى مع اى لا تجدون فيها مفرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب ولا تثبتون فيها كمن لا يسعه
مكانه ثم وليتم مدبرين روى انه بلغ فلهم مكة وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده
ليس معه الا عمه العباس آخذا بلجام بغلته وابن عمه ابو سفيان بن الحارث آخذا بركابه
وهو يركض البغلة نحو المشركين وهو يقول انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب وروى انه
عليه الصلوة والسلام كان يحمل على الكفار فيفرون ثم يحملون عليه فيقف لهم فعل ذلك بضع عشرة
مرة قال العباس كنت اكف البغلة لئلا تسرع به نحو المشركين وناهيك بهذه
الواحدة شهادة صدق على انه صلى الله عليه وسلم كان فى الشجاعة ورباطة الجاش سباقا
للغايات القاصية وما كان ذلك الا لكونه مؤيدا من عند الله العزيز الحكيم فعند ذلك قال
يا رب ائتنى بما وعدتنى وقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى الانصار فخذا فخذا
ثم نادى يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك
وذلك قوله تعالى ثم انزل الله سكينته على رسوله اى رحمته التى تسكن بها القلوب وتطمئن
اليها اطمئنانا كليا مستتبعا للنصر القريب واما مطلق السكينة فقد كانت حاصلة له عليه السلام
قبل ذلك ايضا وعلى المؤمنين عطف على رسوله وتوسيط الجار بينهما للدلالة على ما بينهما من
التفاوت اى المؤمنين الذين انهزموا وقيل على الذين ثبتوا مع النبى صلى الله عليه وسلم او على الكل
ولا ضير فى تحقق اصل السكينة فى الثابتين من قبل والتعرض لوصف الرسالة للاشعار
بعليته للانزال وانزل جنودا لم تروها اى بابصاركم كما يرى بعضكم بعضا وهم الملائكة عليهم السلام
عليهم البياض على خيول بلق فنظر النبى صلى الله عليه وسلم الى قتال المسلمين فقال هذا حين حمى الوطيس
واخذ كفا من التراب فرمى به نحو المشركين وقال شاهت الوجوه فلم يبق منهم احد الا امتلأت به
عيناه ثم قال عليه السلام انهزموا ورب الكعبة واختلفوا فى عدد الملائكة فقيل خمسة الاف
وقيل ثمانية الاف وقيل ستة عشر الفا وفى قتالهم ايضا فقيل قاتلوا وقيل لم يقاتلوا الا يوم

بعد وانما كان ذلك لهم لتقوية قلوب المؤمنين بالقاء الخواطر الحسنة في قلوبهم بذلك والقاء الرعب في
قلوب المشركين وقال سعيد بن المسيب حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما كشفنا المسلمين
جعلنا نسوقهم فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال بيض الوجوه فقالوا شاهت
الوجوه ارجعوا فرجعنا وركبوا اكتافنا وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك اي ما
فعل بهم مما ذكر جزاء الكافرين لكفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء
ان يتوب عليهم منهم لحكمة تقتضيه اي يوفقه للاسلام والله غفور يتجاوز عما سلف منهم من
الكفر والمعاصي رحيم يتفضل عليهم ويثيبهم روي ان ناسا منهم جاؤوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وبايعوه على الاسلام وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابر الناس وقد سبي
اهلونا واولادنا واخذت اموالنا قيل سبي يومئذ ستة الاف نفس واخذ من الابل والغنم
ما لا يحصى فقال ان عندي ما ترون ان خير القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما
اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاؤوا مسلمين
وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت
نفسه ان يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه
قالوا قد رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا
ذلك الينا فرفعوا اليه العرفاء انهم قد رضوا يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس
وصفوا بالمصدر مبالغة كأنهم عين النجاسة او هم ذوو نجس لخبث باطنهم او لان معهم الشرك
الذي هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة
لهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا
توضأ واهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم وهو
تخفيف نجس ككبد في كبد كأنه قيل انما المشركون جنس نجس او ضرب نجس واكثر ما جاء تابعا
لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام تفريع على نجاستهم وانما نهى عن القرب للمبالغة والمراد منعهم
من دخول الحرم وهو مذهب عطاء وقيل المراد به النهي عن الدخول مطلقا وقيل المراد
المنع عن الحج والعمرة وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله ويؤيده قوله عز وجل بعد عامهم هذا
فان تقييد النهي بذلك يدل على اختصاص المنهي عنه بوقت من اوقات العام اي لا يحجوا ولا
يعتمروا بعد حج عامهم هذا وهو عام تسعة من الهجرة حين امر ابو بكر على الموسم ويدل
عليه قول علي رضي الله عنه حين نادى ببراءة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون
من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عنده وعند الشافعي يمنعون من المسجد الحرام
خاصة وعند مالك يمنعون من جميع المساجد ونهي المشركين ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين
عن تمكينهم من ذلك وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا
عن ذلك وان خفتم عيلة اي فقرا بسبب منعهم من الحج وانقطاع ما كانوا
يجلبونه اليكم من الارزاق والمكاسب وقرئ عائلة على انها مصدر كالعافية او حال عائلة
فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او من تفضله بوجه آخر فارسل الله تعالى السماء
عليهم مدرارا فاغزر بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام

وما يعاش به فكان ذلك اعود عليهم مما خافوا على الفقد لفواته ثم فتح عليهم البلاد والغنائم
وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض ان شاء الله اي ان يغنيكم مشيئة تابعة للحكمة الداعية اليه وانما قيد ذلك
بها لينقطع الآمال الى الله تعالى ولان الاغناء ليس بطريق الكلية بحسب الافراد والاحوال والاوقات ان الله
عليم بمصالحكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ... امرهم بقتال اهل الكتابين
اثر امرهم بقتال المشركين وبمنعهم من ان يحوموا حول ما كانوا يفعلونه من الحج والعمرة غير مبالين بما
الفاقة المتوهمة من انقطاعهم وبشرهم بما تضاعف ذلك على بعض طرق الاغناء الموعود على الوجه
الكلي وارشدهم الى سلوكه ابتغاء لفضله واستنجازا لوعده والتعبير عنهم بالموصول للايذان
بعلية ما في حيز الصلة للامر بالقتال وبانتظامهم بسبب ذلك في سلك المشركين فان اليهود مثنية
والنصارى مثلثة فهم بمعزل من ان يؤمنوا بالله سبحانه ولا باليوم الآخر فان علمهم في احوال الآخرة
كلا علم فايمانهم المبني عليه ليس بايمان به ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله اي ما ثبت تحريمه بالوحي
متلوا وغير متلو وقيل المراد برسوله الرسول الذي يزعمون اتباعه اي يخالفون اصل دينهم المنسوخ
اعتقادا وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت الذي هو ناسخ لسائر الاديان وهو دين الاسلام
وقيل دين الله من الذين اوتوا الكتاب من التوراة والانجيل فمن بيانية لا تبعيضية حتى
يكون بعضهم على خلاف ما نعت حتى يعطوا اي يقبلوا ان يعطوا الجزية اي ما تقرر عليهم ان يعطوه
مشتق من جزى دينه اي قضاه او لانهم يجزون بها من من عليهم بالاعفاء عن القتل عن يد حال من
الضمير في يعطوا اي عن يد مؤاتية مطيعة بمعنى منقادين او من يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين
بايدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك لم تجب الجزية على الفقير العاجز او عن
يد قاهرة عليهم اي بسبب يد بمعنى عاجزين اذلاء او عن انعام عليهم فان ابقاء مهجتهم بما بذلوا
من الجزية نعمة عظيمة عليهم او من الجزية اي نقدا مسلمة عن يد الى يد وغاية القتال ليست نفس
هذا الاعطاء بل ما يتبعه كما اشير اليه وهم صاغرون اي اذلاء وذلك بان يأتي بها بنفسه
ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس ويؤخذ بتلبيبه ويقال له اد الجزية وان
كان يؤديها وهي تؤخذ عند ابي حنيفة رحمه الله من اهل الكتاب مطلقا ومن مشركي العجم لا من مشركي
العرب وعند ابي يوسف رحمه الله لا تؤخذ من العربي كتابيا كان او مشركا وتؤخذ من العجمي كتابيا
كان او مشركا وعند الشافعي رحمه الله تؤخذ من اهل الكتاب عربيا او عجميا ولا تؤخذ من اهل الاوثان
مطلقا ومذهب مالك والاوزاعي انها تؤخذ من جميع الكفار واما المجوس فقد اتفق الصحابة
على اخذ الجزية منهم لقوله عليه الصلاة والسلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب وروي عن
علي رضي الله عنه انه كان لهم كتاب يدرسونه فاصبحوا وقد اسري على كتابهم فرفع من بين اظهرهم
واتفقوا على تحريم ذبائحهم ومناكحتهم لقوله عليه الصلاة والسلام في آخر هذا الحديث غير ناكحي نسائهم
ولا آكلي ذبائحهم ووقت الاخذ عند ابي حنيفة رحمه الله اول السنة وتسقط بالموت والاسلام ومقدارها على الفقير المعتمل
أين السند؟
اثنا عشر درهما وعلى المتوسط الحال اربعة وعشرون درهما وعلى الغني ثمانية واربعون درهما
ولا تؤخذ من فقير عاجز عن الكسب ولا على شيخ فان او زمن او صبي او امرأة وعند الشافعي
تؤخذ في آخر السنة من كل واحد دينار غنيا كان او فقيرا كان له كسب او لم يكن وقالت اليهود
جملة مبتدأة سيقت لتقرير ما مر من عدم ايمان اهل الكتابين بالله سبحانه وانتظامهم بذلك

في ملة المشركين عزير ابن الله مبتدا وخبر ومن لم ينونه فلانه اسم اعجمي كعازر وعيزار غير منصرف للعجمة والتعريف واما لتخفيفه بالتقاء الساكنين او لجعل الابن وصفا على ان الخبر محذوف مثل معبودنا وشبهه وهو مستغنى عنه قيل هو قول قدمائهم ثم انقطع فحكى الله تعالى عنهم ذلك ولا عبرة بانكار اليهود وقيل قول بعض من كان بالمدينة عن ابن عباس رضي الله عنهما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ناس منهم وهم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص بن عازوراء وهو الذي قال ان الله فقير ونحن اغنياء وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عليه السلام فرفع الله عنهم التورية ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبريل عليه السلام فقال له اين تذهب فقال اطلب العلم فحفظه التورية فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التوراة في صدره وهو غلام الا انه ابنه قال الامام الكلبي لما قتل بخت نصر علماءهم جميعا وكان عزير اذ ذاك صغيرا فاستصغره ولم يقتله فلما رجع بنو اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التورية بعث الله عزيرا ليجدد لهم التورية ويكون اية بعدما اماته مائة عام يقال انه اتاه ملك باناء فيه ماء فسقاه فمثلت في صدره فلما اتاهم فقال انا عزير كذبوه فقالوا ان كنت كما تزعم فاملل علينا التورية فكتبها فقالوا ان الله تعالى لم يقذف في قلب رجل الا انه ابنه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود اضاعوا التورية وعملوا بغير الحق فانساهم الله تعالى التورية ونسخها من صدورهم ورفع التابوت فتضرع عزير الى الله تعالى وابتهل اليه فعاد حفظ التورية الى قلبه فانذر قومه به ثم ان التابوت نزل فعرضوا ما تلاه عزير على ما فيه فوجدوه مثله فقالوا انما قالوا وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بغير اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك اشارة الى ما صدر عنهم من العظيمتين وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد درجة المشار اليه في الشناعة والفظاعة قولهم بافواههم اما تاكيد لنسبة القول المذكور اليهم ونفي التجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الموجود في الافواه من غير ان يكون له مصداق في الخارج يضاهئون اي الكفرة الشاعة وترى بغير همزة قول الذين كفروا اي يشابه قولهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه عند انقلابه مرفوعا قول الذين كفروا من قبل اي من قبلهم وهم المشركون الذين يقولون الملائكة بنات الله او اللات والعزى بنات الله لا قدماؤهم كما قيل لان المراد في القول حتى يا لى التشبيه وجعله من قول الفريقين مع اتحاد المقول ليس فيه مزيد مزية وقيل الضمير للنصارى اي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم وهو ايضا كما ترى فان يستدعي اختصاص الرد والابطال بقوله تعالى ذلك قولهم بافواههم بقول النصارى قاتلهم الله دعاء عليهم جميعا بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون من الحق الى الباطل والحال انه لا سبيل اليه اصلا اتخذوا زيادة تقرير لما سلف من كفرهم بالله تعالى احبارهم وهم علماء اليهود واختلف في واحده قال الاصمعي لا ادري اهو حبر ام حبر وقال ابو الهيثم بالفتح لا غير وكان الليث وابن السكيت يقولان حبر وحبر للعالم ذميا كان او مسلما بعد ان كان من اهل الكتاب ورهبانهم وهم علماء النصارى من اصحاب

الصوامع اي اتخذ كل واحد من الفريقين علماءهم لا الكل الكل اربابا من دون الله بان اطاعوهم في تحريم ما احل الله تعالى وتحليل ما حرمه او بالسجود لهم ونحوه تسمية اتباع الشيطان عبادة له في قوله تعالى يا ابت لا تعبد الشيطان وقوله تعالى بل كانوا يعبدون الجن قال عدي بن حاتم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب وكان اذ ذاك على دين يسمى الركوسية فرق من النصارى وهو يقرا سورة براءة فقال يا عدي اطرح هذا الوثن فطرحته فلما انتهى الى قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قلت يا رسول الله لم يكونوا يعبدونهم فقال عليه السلام اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه فقلت بلى قال فتلك عبادتهم قال الربيع قلت لابي العالية كيف كانت تلك الربوبية في بني اسرائيل قال انهم ربما وجدوا في كتاب الله تعالى ما يخالف قول الاحبار فكانوا ياخذون باقوالهم ويتركون حكم كتاب الله والمسيح ابن مريم عطف على رهبانهم اي اتخذه النصارى ربا معبودا بعدما قالوا انه ابنه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وتخصيص الاتخاذ به يشير الى ان اليهود ما فعلوا ذلك بعزير وتاخيره في الذكر مع ان اتخاذهم له عليه السلام ربا معبودا اقوى من مجرد الاطاعة في امر التحليل والتحريم كما هو المراد باتخاذهم الاحبار والرهبان لانه مختص بالنصارى ونسبته عليه السلام الى امه من حيث دلالتها على مربوبيته المنافية للربوبية للايذان بكمال ركاكة رايهم والقضاء عليهم بنهاية الجهل والحماقة وما امروا اي والحال ان اولئك الكفرة ما امروا في كتابهم الا ليعبدوا الها واحدا عظيم الشان هو الله سبحانه وتعالى ويطيعوا امره ولا يطيعوا امر غيره بخلافه فان ذلك مخل بعبادته تعالى فان جميع الكتب السماوية متفقة على ذلك قاطبة وقد قال المسيح عليه السلام انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة واما طاعة الرسول عليه السلام وسائر من امر الله تعالى بطاعته فهي في الحقيقة اطاعة لله عز وجل او وما امر الذين اتخذهم الكفرة اربابا من المسيح والاحبار والرهبان الا ليعبدوا الله تعالى فكيف يصح ان يكونوا اربابا وهم مامورون مستعبدون ولا يقدح في ذلك كون ربوبية الاحبار والرهبان بطريق الاطاعة فان تخصيص العبادة به تعالى لا يتحقق الا بتخصيص الطاعة ايضا به تعالى واذ لم يخصوها به تعالى لم يخصوا العبادة به سبحانه وتعالى لا اله الا هو صفة ثانية لالها او استئناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون عن الاشراك به في العبادة والطاعة يريدون ان يطفئوا نور الله اطفاء النار عبارة عن ازالة لهبها الموجب لزوال نورها لا عن ازالة نورها كما قيل لكن لما كان الغرض من اطفاء النار لا يراد بها الا النور كالمصباح الا نورها جعل اطفاؤها عبارة عنها ثم شاع ذلك حتى كان عبارة عن مطلق ازالة النور وان كان لغير النار والسر في ذلك الخصاء ما كان الاراد في نورها والمراد بنور الله سبحانه اما حجته النيرة الدالة على وحدانيته وتنزهه عن الشركاء والاولاد والشرائع التي من جملتها ما خالفوه من امر الحل والحرمة بافواههم باقاويلهم الباطلة الخارجة عنها من غير ان يكون لها مصداق تنطبق عليه او اصل تستند اليه حسبما حكي عنهم وقيل المراد به نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وهذا وقد مثلت حالهم فيما ذكر بحال من يريد طمس نور عظيم منبث في الآفاق بنفخه ويابى الله اي لا يريد الا ان يتم نوره باعلاء كلمة التوحيد واعزاز دين الاسلام وانما صح الاستثناء المفرغ من الموجب لكونه بمعنى

النفي كما اشير اليه لمن تتبعه في مقابلة قوله تعالى يريدون ان يطفئوا من المبالغة والدلالة على الامتناع
ما ليس في نفي الارادة اي لا يرضى شيئا من الاشياء الا اتمام نوره فيندرج في المستثنى منه بقاؤه
على ما كان عليه فضلا عن الاطفاء وفي اظهار النور في مقام الاضمار مضافا الى ضميره عز وجل زيادة
اعتناء بشانه وتشريف له على تشريف واشعار بعلة الحكم ولو كره الكافرون جواب
لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة قبلها مقدرة وكلتاهما في موقع الحال اي لا يريد
الله الا اتمام نوره لو لم يكره الكافرون ذلك ولو كرهوه اي على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى
في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة لان الشيء اذا تحقق عند المانع فلان يتحقق
عنده اولى وعلى هذا السر يدور ما في ان ولو الوصليتين من التاكيد وقد مر زيادة تحقيق لهذا المرام
هو الذي ارسل رسوله ملتبسا بالهدى اي القرآن الذي هو هدى للمتقين ودين الحق
الثابت وهو دين الاسلام ليظهره اي رسوله على الدين كله اي على اهل الاديان كلهم او
ليظهر الدين الحق على سائر الاديان بنسخ اياها حسبما تقتضيه الحكمة والجملة بيان وتقرير
لمضمون الجملة السابقة والكلام في قوله عز وعلا ولو كره المشركون كما في ما سبق خلا
ان وصفهم بالشرك بعد وصفهم بالكفر للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الكفر بالله يا ايها
الذين آمنوا شروع في بيان حال الاحبار والرهبان في اغوائهم لاراذلهم اثر بيان سوء حال
الاتباع في اتخاذهم لهم اربابا يطيعونهم في الاوامر والنواهي واتباعهم لهم فيما ياتون وما
يذرون ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ياخذونها
بطريق الرشوة لتغيير الاحكام والشرائع والتخفيف والمسامحة فيها وانما عبر عن ذلك بالاكل
بناء على انه معظم الغرض منه وتقبيحا لهم وتنفيرا للسامعين عنهم ويصدون الناس عن سبيل الله
عن دين الاسلام او عن المسلك المقرر في التورية والانجيل الى ما افتروه وحرفوه باخذ الرشى او
يصدون عنه بانفسهم باكلهم الاموال بالباطل والذين يكنزون الذهب والفضة اي يجمعونهما
ويحفظونهما سواء كان ذلك بالدفن او بوجه آخر والموصول عبارة اما عن الكثير من الاحبار والرهبان
فيكون مبالغة في الوصف بالحرص والضن بهما بعد وصفهم بما سبق من اخذ الرشى والبراطيل في
الاباطيل واما عن المسلمين الكانزين غير المنفقين فهو انسب بقوله عز وجل ولا ينفقونها
في سبيل الله فيكون نظمهم في قرن المرتشين من اهل الكتاب تغليظا ودلالة على كونهم
اسوة لهم في استحقاق البشارة بالعذاب الاليم والمراد بالانفاق في سبيل الله الزكوة لما
روي انه لما نزل كبر ذلك على المسلمين فذكر عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تعالى لم
يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وقوله عليه السلام ما ادي زكوته فليس بكنز اي بكنز
اوعد عليه فان الوعيد عليه مع عدم الانفاق فيما امر الله بالانفاق فيه واما قوله عليه السلام
من ترك صفراء او بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد بها ما لم يؤد حقها لقوله عليه السلام ما من صاحب
ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفائح من نار فيكوى
بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب اليم خبر للموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط ويجوز
ان يكون الموصول منصوبا بفعل يفسره فبشرهم يوم منصوب بعذاب اليم او بمضمر يدل عليه
ذلك اي يعذبون يوم او باذكر يحمى عليها في نار جهنم اي يوم توقد النار ذات حمى شديد عليه

واصله يحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها
على المقصود فانتقل من صيغة التانيث الى التذكير كما تقول رفعت القصة الى الامير فان طرحت
القصة قلت رفع الى الامير وانما قيل عليها والمذكور شيئان لان المراد بها دنانير ودراهم كثيرة
كما قال علي رضي الله عنه اربعة آلاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا الكلام في
قوله تعالى ولا ينفقونها وقيل الضمير للاموال فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما
قانون التمول او الفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب كذلك بل اولى فتكوى
بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم لها وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى
والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم
او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد
او لانها اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن ومآخيره وجنباه هذا ما كنزتم على ارادة
القول لانفسكم لمنفعتها فكان عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون اي وبال
كنزكم او ما تكنزونه وقرئ بضم النون ان عدة الشهور اي عددها عند الله اي في حكمه وهو
معمول لها لانها مصدر اثنا عشر شهرا لان شهرا تمييز مؤكد كما في قولك عندي من الدنانير عشرون
دينارا والمراد الشهور القمرية اذ عليها يدور فلك الاحكام الشرعية في كتاب الله في اللوح
المحفوظ او فيما اثبته واوجبه وهو صفة لاثنا عشر اي اثنا عشر شهرا مثبتا في كتاب الله وقوله
عز وعلا يوم خلق السموات والارض متعلق بما في الجار والمجرور من معنى الاستقرار او بالكتاب
على انه مصدر والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر منذ خلق الله تعالى الاجرام والحركات
والازمنة منها اي من تلك الشهور الاثنى عشر اربعة حرم ثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق
الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلث متواليات ذو القعدة وذو الحجة
والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه من الحل
والحرمة وعاد الحج الى ذي الحجة بعد ما كانوا ازالوه عن محله بالنسيء الذي احدثوه في الجاهلية وقد
وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة ابي بكر رضي الله عنه قبلها في ذي القعدة ذلك اي تحريم الاشهر
الاربعة المعينة المعدودة وما في ذلك من معنى البعد لتفخيم المشار اليه هو الدين القيم
المستقيم دين ابرهيم عليه السلام واسمعيل عليه السلام وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا
يعظمون الاشهر الحرم ويكرهون القتال فيها حتى انه لو لقي رجل قاتل ابيه او اخيه لم يهجه وسموا رجبا
الاصم ومنصل الاسنة حتى احدثوا النسيء فغيروا فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتهن وارتكاب
ما حرم فيهن والجمهور على ان حرمة القتال فيهن منسوخة وان ارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا
كارتكابها في الحرم وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا
وما نسخت ويؤيد الاول انه عليه السلام حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شهر شوال وذي القعدة وقاتلوا
المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة اي جميعا وهو مصدر كف عن الشيء فان الجميع مكفوف
عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا ان الله مع المتقين اي معهم بالنصر والامداد فيما باشروه
وانما وضع المظهر موضع المضمر مدحا لهم بالتقوى وحثا للقاصرين عليه وايذانا بانه المدار في النصر

وقيل هو بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم ﴿انما النسيء﴾ هو مصدر نسأه اذا اخره نسأ ونسأ
ونسيئا نحو مس مسا ومساسا ومسيسا وقرئ بهن جميعا وقرئ بقلب الهمزة ياء والتشديد بالياء الاولى
فيها كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا اخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا
مجرد العدد وربما زادوا في عدد الشهور بان يجعلوها ثلاثة عشر او اربعة عشر ليتسع لهم الوقت ويجعلوا
اربعة اشهر من السنة حرما ولذلك نص على العدد المعين في الكتاب والسنة اي انما تأخير حرمة
شهر الى شهر اخر ﴿زيادة في الكفر﴾ لانه تحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله فهو كفر اخر ضموه
الى كفرهم ﴿يضل به الذين كفروا﴾ ضلالا على ضلالهم القديم وقرئ على البناء للفاعل من الافعال
على ان الفاعل هو الله سبحانه اي يخلق فيهم الضلال عند مباشرتهم لمباديه واسبابه وهو المعنى على القراءة
الاولى ايضا وقيل الفاعل رؤساؤهم والموصول عبارة عن اتباعهم وقرئ يضل بفتح الياء
والضاد من ضل يضل ونضل بنون العظمة ﴿يحلونه﴾ اي الشهر المؤخر ﴿عاما﴾ من الاعوام ويحرمون
مكانه شهرا اخر مما ليس بحرام ﴿ويحرمونه﴾ اي يحافظون على حرمته كما كانت والتعبير عن ذلك بالتحريم
باعتبار احلالهم له في العام الماضي او لاسنادهم له الى الهتهم كما سيجيء ﴿عاما﴾ اخر اذا لم يتعلق بتغييره
غرض من اغراضهم قال الكلبي اول من فعل ذلك رجل من كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان اذا هم
الناس بالصدور من الموسم يقوم فيخطب ويقول لا مرد لما قضيت وانا الذي لا اعاب ولا اجاب
فيقول المشركون لبيك ثم يسألونه ان ينسئهم شهرا يغزون فيه فيقول ان صفر العام حرام فاذا قال ذلك
حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة وان قال حلال عقدوا الاوتار وشدوا الازجة واغاروا
وقيل هو جنادة بن عوف الكناني كان مطاعا في الجاهلية كان يقوم على جمل في الموسم فينادي
باعلى صوته ان الهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في العام القابل فيقول ان الهتكم قد
حرمت عليكم المحرم فحرموه وقيل هو رجل من كنانة يقال له القلمس قال قائلهم
ومنا ناسي الشهر القلمس وعن ابن عباس رضي الله عنهما اول من سن النسيء عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف
والجملتان تفسير للضلال او حال من الموصول والعامل عامله ﴿ليواطئوا﴾ اي ليوافقوا ﴿عدة
ما حرم الله﴾ من الاشهر الاربعة واللام متعلقة بالفعل الثاني او بما يدل عليه مجموع الفعلين ﴿فيحلوا
ما حرم الله﴾ بخصوصه من الاشهر المعينة ﴿زين لهم سوء اعمالهم﴾ وقرئ على البناء للفاعل وهو الله
سبحانه والمعنى جعل اعمالهم مشتهاة للطبع محبوبة للنفس وقيل خذلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم
حسنا فاستمروا على ذلك ﴿والله لا يهدي القوم الكافرين﴾ هداية موصلة الى المطلوب البتة
وانما يهديهم الى ما يوصل اليه عند سلوكه وهم قد صدوا عنه بسوء اختيارهم فتاهوا
في تيه الضلال ﴿يا ايها الذين امنوا﴾ رجوع الى حث المؤمنين وتجريد عزائمهم على قتال الكفرة
اثر بيان طرف من قبائحهم الموجبة لذلك ﴿ما لكم﴾ استفهام فيه معنى الانكار والتوبيخ
﴿اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم﴾ اي تباطأتم وتقاعستم واصله تثاقلتم وقد قرئ
كذلك اي اي شيء حصل او حاصل لكم وما تصنعون حين قال لكم النبي صلى الله عليه وسلم انفروا
اي اخرجوا الى الغزو في سبيل الله متثاقلين على ان الفعل ماض لفظا مضارع معنى كانه قيل تتثاقلون
فالعامل في الظرف الاستقرار المقدر في لكم او معنى الفعل المدلول عليه بذلك ويجوز ان يعمل فيه
الحال اي ما لكم متثاقلين حين قيل لكم انفروا وقرئ اثاقلتم على الاستفهام الانكاري التوبيخي

فالعامل في الظرف اثاقلتم وهو الاولى ﴿الى الارض﴾ متعلق باثاقلتم على تضمينه معنى الميل والاخلاد
اي اثاقلتم مائلين الى الدنيا وشهواتها الفانية عما قليل وكرهتم مشاق الغزو ومتاعبه المستتبعة
للراحة الخالدة كقوله تعالى اخلد الى الارض واتبع هواه او الى الاقامة بارضكم ودياركم وكان ذلك
في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ وقد
ادركت ثمار المدينة وطابت ظلالها مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ذلك وقيل ما خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها الا ورى بغيرها الا في غزوة تبوك فانه عليه السلام بين لهم
المقصد فيها ليستعدوا لها ﴿ارضيتم بالحياة الدنيا﴾ وغرورها ﴿من الاخرة﴾ اي بدل الاخرة
ونعيمها الدائم ﴿فما متاع الحياة الدنيا﴾ اظهر في مقام الاضمار لزيادة التقرير فان التمتع
بها وبلذائذها ﴿في الاخرة﴾ اي في جنب الاخرة ﴿الا قليل﴾ مستحقر لا يؤبه له وفي ترشيح الدنيا
بما يؤذن بنفاستها ويستدعي الرغبة فيها وتجريد الاخرة عن مثل ذلك مبالغة في بيان حقارة
الدنيا ودناءتها وعظم شان الاخرة وعلوها ﴿الا تنفروا﴾ اي الا تنفروا الى ما استنفرتم اليه ﴿يعذبكم﴾
اي الله عز وجل ﴿عذابا اليما﴾ اي يهلككم بسبب هائل كقحط وظهور عدو ﴿ويستبدل بكم﴾ بعد
اهلاككم ﴿قوما غيركم﴾ وصفهم بالمغايرة لهم لتاكيد الوعيد والتشديد في التهديد بالدلالة
على المغايرة الوصفية والذاتية المستلزمة للاستئصال اي قوما مطيعين مؤثرين للاخرة على
الدنيا ليسوا من اولادكم ولا ارحامكم كاهل اليمن وابناء فارس وفيه من الدلالة على شدة السخط ما لا
يخفى ﴿ولا تضروه شيئا﴾ اي لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه اصلا فانه الغني عن كل شيء وفي كل شيء وقيل
الضمير للرسول صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل وعده بالعصمة والنصرة وكان وعده مفعولا لا محالة
﴿والله على كل شيء قدير﴾ فيقدر على اهلاككم والاتيان بقوم اخرين ﴿الا تنصروه فقد نصره
الله﴾ اي ان لم تنصروه فسينصره الله الذي قد نصره في وقت ضرورة اشد من هذه المرة فحذف
الجزاء واقيم سببه مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت
فلن يخذله في غيره ﴿اذ اخرجه الذين كفروا﴾ اي تسببوا لخروجه حيث اذن له عليه السلام في ذلك
حين هموا باخراجه ﴿ثاني اثنين﴾ حال من ضميره عليه السلام وقرئ بسكون الياء على لغة من يجري الناقص
مجرى المقصور في الاعراب اي احد اثنين من غير اعتبار كونه عليه السلام ثانيا فان معنى قولهم ثالث
ثلاثة ورابع اربعة ونحو ذلك احد هذه الاعداد مطلقا لا الثالث والرابع خاصة ولذلك
منع الجمهور ان ينصب ما بعده بان يقال ثالث ثلاثة ورابع اربعة وقد مر في قوله تعالى
لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة من سورة المائدة وجعله عليه السلام ثانيهما لمزية الصديق
امامه ودخوله في الغار اولا لكنسه وتسوية البساط كما ذكر في الاخبار بمعزل مستغنى عنه ﴿اذ هما
في الغار﴾ بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار نقب في اعلى ثور وهو
جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا ﴿اذ يقول﴾ بدل ثان او ظرف لثاني ﴿لصاحبه﴾ اي
الصديق ﴿لا تحزن ان الله معنا﴾ بالعون والعصمة والمراد بالمعية الولاية الدائمة التي لا
يحوم حول صاحبها شائبة شيء من الحزن وما هو المشهور من اختصاص مع بالمتبوع فالمراد
بما فيه من المتبوعية هو المتبوعية في الامر المباشر روي ان المشركين طلعوا فوق الغار
فاشفق ابو بكر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه السلام

ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله تعالى حمامتين فباضتا في اسفله
والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اعم ابصارهم فجعلوا
يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله تعالى بابصارهم عنه وفيه من الدلالة على
علو طبقة الصديق رضه وسابقة صحبته ما لا يخفى ومن ذلك قالوا من انكر صحبة ابي بكر فقد كفر
لانكاره كلام الله سبحانه وتعالى فانزل الله سكينته امنته التي تسكن عندها القلوب
عليه على النبي صلى الله عليه وسلم فالمراد بها ما لا يحوم حوله شائبة الخوف اصلا او على صاحبه اذ
هو المنزعج واما النبي عليه السلام فكان على طمانينة من امره وايده بجنود لم تروها عطف
على نصره الله والجنود هم الملائكة النازلون يوم بدر والاحزاب وحنين وقيل هم الملائكة
انزلهم ليحرسوه في الغار ويأباه وصفهم بعدم رؤية المخاطبين لهم وقوله عز وعلا وجعل
كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك او دعوة الكفر فان ذلك الجعل لا يتحقق بمجرد
الانجاء بل بالقتل والاسر ونحو ذلك وكلمة الله اي التوحيد او دعوة الاسلام هي العليا
لا غاية لها وتغيير الاسلوب للدلالة على انها في نفسها كذلك لا يتبدل شانها ولا يتغير حالها
دون غيرها من الكلم ولذلك وسط ضمير الفصل وقرئ بالنصب عطفا على كلمة الذين والله
عزيز لا يغالب حكيم في حكمه وتدبيره انفروا تجريد للامر بالنفور بعد التوبيخ على تركه
والانكار على المساهلة فيه وقوله تعالى خفافا وثقالا حالان من ضمير المخاطبين اي على اي
حال كان من يسر او عسر حاصلين باي سبب كان من الصحة والمرض او الغنى والفقر وقلة
العيال وكثرتهم او غير ذلك مما ينتظم مساعدة الاسباب وعدمها بعد الامكان والقدرة
في الجملة وما ذكر في تفسيرهما خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتها او خفافا من السلاح وثقالا
منه او ركبانا ومشاة او شبانا وشيوخا او مهازيل وسمانا او صحاحا ومراضا ليس لتخصيص الامرين
المتقابلين بالارادة من غير مقارنة وعن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلي
ان انفر قال عليه السلام نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وعن ابن عباس رضه نسخت بقوله عز وجل
ليس على الضعفاء ولا على المرضى الاية وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله
ايجاب للجهاد بهما ان امكن او باحدهما عند امكانه واعواز الاخر حتى ان من ساعده النفس
والمال يجاهد بهما ومن ساعده المال دون النفس يغزي مكانه من حاله على عكس حاله والى هذا
ذهب كثير من العلماء وقيل هو ايجاب للقسم الاول فقط ذلكم اي ما ذكر من النفير والجهاد
وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الشرف خير لكم اي خير عظيم في
نفسه او خير مما يبتغى بتركه من الراحة والدعة وسعة العيش والتمتع بالاموال
والاولاد ان كنتم تعلمون اي تعلمون الخير علمتم انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ لا
احتمال لغير الصدق في اخبار الله تعالى فبادروا اليه لو كان صرف للخطاب عنهم وتوجيه له
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعديدا لما صدر عنهم من الهنات قولا وفعلا على طريق المباثة
وبيانا لدناءة هممهم وسائر رذائلهم اي لو كان ما دعوا اليه عرضا قريبا العرض ما عرض لك
من منافع الدنيا اي لو كان ذلك غنما سهل المأخذ قريب المنال وسفرا قاصدا اذا قصد
القريب والبعيد لاتبعوك في النفير طمعا في الفوز بالغنيمة وتعليق الاتباع بكلا الامرين

يدل على عدم تحققه عند توسط السفر فقط ولكن بعدت عليهم الشقة اي المسافة الشاطة الشاقة
التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين وسيحلفون اي المتخلفون عن الغزو وقوله تعالى بالله
اما متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلامهم والقول مراد على الوجهين اي سيحلفون بالله اعتذارا عند
قفولك قائلين لو استطعنا او سيحلفون قائلين بالله لو استطعنا الخ لو كان لنا استطاعة من جهة
العدة او من جهة الصحة او من جهتهما جميعا حسبما عن لهم من الكذب والتعلل وعلى التقديرين فقوله
تعالى لخرجنا معكم ساد مسد جوابي القسم والشرط جميعا اما على الثاني فظاهر واما على الاول
فلان قولهم لو استطعنا في قوة بالله لو استطعنا بحكم الآية ونسبتها لها بما والجمع كما في قوله عز وجل
فتمنوا الموت يهلكون انفسهم بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب اهلاك للنفس ولذلك
قال عليه الصلوة والسلام اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع او حال من فاعله اي مهلكين انفسهم
او من فاعل لخرجنا جيء به على طريقة الاخبار عنهم كانه قيل نهلك انفسنا اي لخرجنا معكم مهلكين
انفسنا كما في قولك حلف ليفعلن مكان لافعلن والله يعلم انهم لكاذبون اي في مضمون
الشرطية وفيما ادعوا ضمنا من انتفاء تحقق المقدم حيث كانوا مستطيعين للخروج ولم يخرجوا
عفا الله عنك صريح في انه سبحانه وتعالى قد عفا عنه صلى الله عليه وسلم ما وقع منه من
استيذان المتخلفين في التخلف معتذرين بعدم الاستطاعة واذنه اعتمادا على ايمانهم ونحوا عليهم
لكونها على المراجح من ترك الاولى والافضل الذي هو التأني والتوقف الى انجلاء الامر وانكشاف
الحال وقوله عز وجل لم اذنت لهم اي لاي سبب اذنت لهم في التخلف حين استاذنوك معتلين بعللهم بيان لما
اشير اليه بالعفو من ترك الاولى واشارة الى انه ينبغي ان تكون اموره عليه السلام منوطة باسباب قوية
موجبة لها او مصححة وانما ابدوه في معرض التعلل والاعتذار مشفوعا بالايمان كان بمعزل من كونه سببا
للاذن قبل صدقه وكلتا اللامين متعلقة بالاذن لاختلافهما في المعنى فان الاولى للتعليل
والثانية للتبليغ والضمير المجرور في الجميع للمستاذنين وتوجيه الانكار الى الاذن باعتبار شموله
للكل لا باعتبار تعلقه بكل فرد فرد لتحقق عدم الاستطاعة لبعضهم كما ينبئ عنه قوله سبحانه حتى يتبين
لك الذين صدقوا اي فيما اخبروا به عند الاعتذار من عدم الاستطاعة من جهة المال او من
جهة البدن او من جهتهما معا حسبما عن لهم هناك وتعلم الكاذبين في ذلك فتعامل
كلا من الفريقين بما يستحقه وهو بيان لما ذلك الاولى الافضل وتخصيص لعلية الكلم
عليه فان كلمة حتى سواء كانت بمعنى اللام او بمعنى الى لا يمكن تعلقها بقوله تعالى لم اذنت لهم
لاستلزامه ان يكون اذنه عليه السلام لهم معللا او مغيا بالتبين والعلم ويكون توجه الاستفهام
اليه من تلك الحيثية وذلك بين الفساد بل بما يدل عليه ذلك كانه قيل لم سارعت الى الاذن
لهم وهلا تأنيت حتى ينجلي الامر كما هو قضية الحزم قال قتادة وعمرو بن ميمون
اثنان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشيء اذنه للمنافقين واخذه الفداء من
الاسارى فعاتبه الله كما تسمعون وتغيير الاسلوب بان عبر عن الفريق الاول بالموصول
الذي صلته فعل دال على الحدوث وعن الفريق الثاني بالاسم المفيد للدوام
للايذان بان ما ظهر من الاولين صدق حادث في امر خاص غير مصحح لنظمهم في سلك الصادقين
واما صدر من الاخرين وان كان كذبا حادثا متعلقا بامر خاص لكنه امر جار على عادتهم

المستمرة ناشئ عن رسوخهم في الكذب والتعبير عن ظهور الصدق بالتبين وعما يتعلق بالكذب بالعلم
لما هو المشهور من أن مدلول الخبر هو الصدق والكذب احتمال عقلي فظهور صدقه إنما
هو بتحقق ذلك المدلول وانقطاع احتمال نقيضه بعد ما كان محتملا له احتمالا عقليا وأما كذبه
فأمر حادث لا دلالة للخبر عليه حتى يكون ظهوره تبينا له بل هو نقيض لمدلوله فما يتعلق به يكون
علما مستأنفا وإسناده إلى ضميره عليه السلام لا إلى المعلومين ببنائه للمفعول مع إسناد التبين
إلى الأولين لما أن المقصود ههنا علمه عليه السلام بهم ومؤاخذتهم بموجبه بخلاف الأولين حيث لا
مؤاخذة عليهم ومن لم يتبين لهم ها هنا حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه
وأما ما قيل من أن الأولى تعليق العلم بالأولين مع أن مدار الإسناد والتعلق أولا
وبالذات موصوفية الصدق والكذب كما أشير إليه لما أن المقصد من العلم بكلا الفريقين
باعتبار اتصافهما بوصفيهما المذكورين ومعاملتهما بحسب استحقاقهما لا العلم بوصفيهما بذاتيهما
أو باعتبار قيامهما بموصوفيهما هذا وفي تصدير الخطاب ببشارة العفو دون ما
يوهم العتاب من مراعاة جانبه عليه السلام وتعهده بحسن المفاوضة ولطف المراجعة ما لا
يخفى على أولي الألباب قال سفيان بن عيينة انظروا إلى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل
ذكر المعفو ولقد أخطأ وأساء الأدب وبئسما فعل فيما قال وكتب من زعم أن الكلام
كناية عن الجناية وأن معناه أخطأت وبئسما فعلت هب أنه كناية أليس إيثارها
على التصريح بالجناية للتلطيف في الخطاب والتخفيف في العتاب وهب أن العفو مستلزم
للخطأ فهل هو مستلزم لكونه من القبح واستتباع اللائمة بحيث يصحح هذه المرتبة من
المشافهة بالسوء ويسوغ إنشاء الاستقباح بكلمة بئسما المنبئة عن بلوغ القبح إلى
رتبة يتعجب منها ولا يخفى أنه لم يكن في خروجهم مصلحة للدين أو منفعة للمسلمين بل كان
فيه فساد وخبال حسبما نطق به قوله لو خرجوا فيكم الخ وقد كرهه سبحانه كما يفصح عنه
قوله تعالى ولكن كره الله انبعاثهم الآية نعم كان الأولى تأخير الإذن حتى يظهر كذبهم
آثر ذي أثير ويفتضحوا على رؤوس الأشهاد ولا يتمكنوا من التمتع بالعيش على الأمن
والدعة ولا يتسنى لهم الابتهاج فيما بينهم بأنهم غروه عليه السلام وأرضوه بالأكاذيب
على أنه لم يتهنأ لهم عيش ولا قرت لهم عين إذ لم يكونوا على أمن واطمئنان بل كانوا
على خوف من ظهور أمرهم وقد كان لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر
نفيه عن أن كان ينبغي أن يستدل باستئذانهم على حالهم ولا يؤذن لهم أي ليس من عادة
المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأن الخلص منهم
يبادرون إليه من غير توقف على الإذن فضلا عن أن يستأذنوك في التخلف وحيث
استأذنك هؤلاء في التخلف كان ذلك مظنة للتأني في أمرهم بل دليلا على نفاقهم
وقيل المستأذن فيه محذوف ومعنى قوله تعالى أن يجاهدوا كراهة أن يجاهدوا أو
قيل المحذوف هو التخلف والمعنى لا يستأذنك المؤمنون في التخلف كراهة الجهاد
فيتوجه النفي إلى القيد وبه يمتاز المؤمن من المنافق وهو وإن كان في نفسه
أمرا خفيا لا يوقف عليه بادي الأمر لكن عامة أحوالهم لما كانت مبنية عن ذلك

جعل أن ظاهرا مقررا وقيل معناه الجهاد أي لا يستأذنك المؤمنون في الجهاد كراهة أن يجاهدوا
وأنه على أن الاستئذان في الجهاد ربما يكون لكراهيته ولا يخفى أن الاستئذان في الشيء لكراهته مما لا
يكاد يعقل ولو سلم فتوجه الاستئذان لعلة الكراهة مما لا يمتاز بحسب الظاهر من الاستئذان
لعلة الرغبة ولو سلم فالذي ينتفي من المؤمنين يجب أن يثبت للمنافقين وظاهر أنهم لم يستأذنوا في الجهاد
لكراهتهم له بل إنما استأذنوا في التخلف والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين
ووعد لهم بأجزل الثواب وتقرير لمضمون ما سبق كأنه قيل والله عليم بأنهم كذلك وإشعار بأن ما
صدر عنهم معلل بالتقوى إنما يستأذنك أي في التخلف على الإطلاق أو لكراهة الجهاد على ما ذكر الذين
لا يؤمنون بالله واليوم الآخر تخصيص الإيمان بهما في الموضعين للإيذان بأن الباعث على الجهاد
ببذل النفس والمال إنما هو الإيمان بهما إذ به يتسنى للمؤمنين استبدال الحياة الأبدية والنعيم المقيم
الخالد بالحياة الفانية والمتاع الكاسد وارتابت قلوبهم عطف على الصلة وإيثار صيغة
الماضي للدلالة على تحقق الريب وتقرره فهم حال كونهم في ريبهم وشكهم المستقر في قلوبهم يترددون
أي يتحيرون فإن التردد ديدن المتحير كما أن الثبات ديدن المستبصر والتعبير عنه بما لا يخفى حسن
موقعه ولو أرادوا الخروج معك كما يدل عليه أن بعضهم قالوا عند الاعتذار كنا نريد الخروج لكنا لم نتهيأ
له وقد قرب الرحيل بحيث لا يمكننا الاستعداد فقيل تكذيبا لهم لو أرادوه لأعدوا له أي للخروج
في وقته عدة أي أهبة من الزاد والراحلة والسلاح وغير ذلك مما لا بد منه للسفر وقرئ عده بحذف
التاء والإضافة إلى ضمير الخروج كما فعل بالعدة من قال وأخلفوك عد الأمر الذي وعدوا
أي عدته وقرئ عده بكسر العين وعده بالإضافة ولكن كره الله انبعاثهم أي نهوضهم للخروج
قيل هو استدراك عما يفهم من مقدم الشرطية فإن انتفاء إرادتهم للخروج يستلزم انتفاء
خروجهم وكراهة الله تعالى انبعاثهم يستلزم تثبطهم عن الخروج فكأنه قيل ما خرجوا ولكن
تثبطوا والاتفاق في المعنى لا يمنع الوقوع بين طرفي لكن بعد تحقق الاختلاف نفيا وإثباتا
في اللفظ كقولك ما أحسن إلى زيد ولكن أساء والأظهر أن يكون استدراكا من نفس
المقدم على نهج ما في الأقيسة الاستثنائية والمعنى لو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن ما
أرادوه لما أنه تعالى كره انبعاثهم لما فيه من المفاسد التي نبين فثبطهم أي حبسهم بالجبن
والكسل فتثبطوا عنه ولم يستعدوا له وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لإلقاء الله تعالى كراهة
الخروج في قلوبهم أو لوسوسة الشيطان بالأمر بالقعود أو حكاية قول بعضهم لبعض أو هو إذن
الرسول عليه السلام لهم في القعود والمراد بالقاعدين إما المعذورون أو غيرهم وأيا ما كان فهو حال
عن الذم لو خرجوا فيكم بيان لسر كراهته تعالى انبعاثهم أي لو خرجوا مخالطين لكم ما زادوكم
أي ما أورثوكم شيئا من الأشياء إلا خبالا أي فسادا وشرا فالاستثناء مفرغ متصل وقيل
منقطع وليس بذلك ولأوضعوا خلالكم أي ولسعوا فيما بينكم بالنمائم والتضريب وإفساد
ذات البين من وضع البعير وضعا إذا أسرع وأوضعته أنا أي حملته على الإسراع والمعنى
لأوضعوا ركائبهم بينكم والمراد به المبالغة في الإسراع بالنمائم لأن الراكب أسرع من الماشي وقرئ
ولأوفضوا من وفضت الناقة أسرعت وأوفضتها أنا وقرئ ولأوقصوا أي أسرعوا يبغونكم
الفتنة يحاولون أن يفتنوكم بإيقاع الخلاف فيما بينكم وإلقاء الرعب في قلوبكم

وافسادا فيما بينكم والجملة حال من ضمير اوضعوا او استيناف وفيكم سماعون لهم اى نمامون يسمعون حديثكم لاجل نقله اليهم او فيكم قوم ضعفة يسمعون للمنافقين اى يطيعونهم والجملة حال من مفعول يبغونكم او من فاعله لاشتمالها على ضميريهما او مستانفة ولعلهم لم يكونوا في كثرة العدد وكيفية الفساد بحيث يخل مكانهم فيما بين المؤمنين بامر الجهاد اخلالا عظيما ولم يكن فساد خروجهم معادلا لمنفعته ولذلك لم تقتض الحكمة عدم خروجهم فخرجوا مع المؤمنين ولكن حيث كان انضمام المنافقين القاعدين اليهم مستتبعا لخلل كلى كره الله انبعاثهم فلم يتيسر اجتماعهم فاندفع فسادهم وتوجيه العتاب على الاذن في قعودهم مع تقرره لا محالة وتضمنه لخروجهم لهذه المناسبة انهم لو قعدوا بغير اذن منه عليه السلام لظهر نفاقهم فيما بين المسلمين من اول الامر ولم يقدروا على مخالطتهم والسعي فيما بينهم بالاراجيف ولم يتسن لهم التمتع بالعيش الى ان يظهر حالهم بقوارع الايات النازلة والله عليم بالظالمين علما محيطا بضمائرهم وظواهرهم وما فعلوا فيما مضى وما يأتونه فيما سيأتي ووضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والتشديد في الوعيد والاشعار بترتبه على الظلم ولعل المراد بالظالمين السماعون والقاعدون لقد ابتغوا الفتنة تشتيت شملك وتفريق اصحابك عنك من قبل اى يوم احد حين انصرف عبد الله بن ابى بن سلول المنافق بمن معه وقد تخلف بمن معه عن تبوك ايضا بعدما خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم الى ذى جدة اسفل من ثنية الوداع وعن ابن جريج وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا من المنافقين ليفتكوا به عليه السلام فردهم الله تعالى خاسئين وقلبوا لك الامور تقليب الامر تدويره من وجه الى وجه وترديده لاجل التدبير والاجتهاد في المكر والحيلة يقال للرجل المتصرف في وجوه الحيل حول قلب اى اجتهدوا ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الاراء في ابطال امرك وقرئ بالتخفيف حتى جاء الحق اى النصر والتأييد الالهى وظهر امر الله غلب دينه وعلا شرعه وهم كارهون والحال انهم كارهون لذلك اى على رغم منهم والايتان لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عن تخلف المتخلفين وبيان ما ثبطهم الله تعالى لاجله وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعذارهم تداركا لما عسى يفوت بالمبادرة الى الاذن وايذانا بان ما فات بها ليس مما لا يمكن تلافيه تهوينا للخطب ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني اى لا توقعني في الفتنة بمعنى المعصية والاثم يريد انى متخلف لا محالة اذنت او لم تأذن فأذن لى حتى لا اقع في المعصية بالمخالفة او لا تلقني في الهلكة فانى اذا خرجت معك هلك مالى وعيالى لعدم من يقوم بمصالحهم وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار انى مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعنى نساء الروم ولكن اعينك بمالى فاتركنى وقرئ ولا تفتني من افتنه بمعنى فتنه الا في الفتنة اى في عينها ونفسها واكمل افرادها الغنى عن الوصف بالكمال الحقيق باختصاص اسم الجنس به سقطوا لا في شيء مغاير لها فضلا عن ان يكون مهربا ومخلصا عنها وذلك بما فعلوا من العزيمة على التخلف والجرأة على الاستيذان بهذه الطريقة الشنيعة والقعود بالاذن المبنى عليه وعلى الاعتذارات الكاذبة وقرئ بافراد الفعل نظرا الى لفظ من وفي تصدير الجملة بحرف التنبيه وتقديم الظرف ايذان بانهم وقعوا فيها وهم يحسبون انها منجية

الفتنة وعلمهم ان الفتنة انما هى التخلف بغير اذن وفي التعبير عن الافتنان بالسقوط في الفتنة تنزيل لها منزلة المهوات المهلكة المفصحة عن ترديهم في دركات الردى اسفل سافلين وقوله عز وجل وان جهنم لمحيطة بالكافرين وعيد لهم على ما فعلوا معطوف على الجملة السابقة داخل تحت التنبيه اى جامعة لهم يوم القيامة من كل جانب وايثار الجملة الاسمية للدلالة على الثبات والاستمرار او محيطة بهم الان تنزيلا لما سيقع عن قريب منزلة الواقع او وصفا للاسباب التي يؤدى منشأ فان مبادى احاطتها النار بهم من الكفر والنفاق محيطة بهم الان من جميع الجوانب ومن جملتها ما وقعوا فيه وما سقطوا فيه من الفتنة وقيل تلك المبادى المتشكلة بصور الاعمال والاخلاق هى النار بعينها ولكن لا يظهر ذلك في هذه النشأة وانما يظهر عند تشكلها بصورها الحقيقية في النشأة الاخرة والمراد بالكافرين اما المنافقون وايثار وصفهم المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالكفر والاشعار بانه معظم اسباب الاحاطة المذكورة واما جميع الكافرين الشاملين للمنافقين شمولا اوليا ان تصبك في بعض مغازيك حسنة من الظفر والغنيمة تسؤهم تلك الحسنة اى تورثهم مساءة لفرط حسدهم وعداوتهم لك وان تصبك في بعضها مصيبة من نوع شدة يقولوا متبجحين بما صنعوا حامدين لارائهم قد اخذنا امرنا اى تلافينا ما يهمنا من الامر يعنون به الاعتزال عن المسلمين والقعود عن الحرب والمداراة مع الكفرة وغير ذلك من امور الكفر والنفاق قولا وفعلا من قبل اى من قبل اصابة المصيبة في وقت تدارك يشيرون بذلك الى ان المعاملة المذكورة انما تروج عند الكفرة بوقوعها حال قوة الاسلام لا بعد اصابة المصيبة ويتولوا من مجلس الاجتماع والتحدث الى اهاليهم او يعرضوا عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم فرحون بما صنعوا من اخذ الامر وبما اصابه عليه الصلاة والسلام والجملة حال من الضمير في يقولوا ويتولوا لا في الاخير فقط لمقارنة الفرح لهما معا وايثار الجملة الاسمية للدلالة على دوام السرور واسناد المساءة الى الحسنة والمسرة الى انفسهم دون المصيبة بان يقال وان تصبك مصيبة تسرهم للايذان باختلاف حالهم في عروض المساءة والمسرة بانهم في الاولى مضطرون وفي الثانية مختارون قل ردا لما يزعمون من الاعتقاد لن يصيبنا ابدا وقرئ هل يصيبنا وهل يصيبنا من فعل لا من فعل لانه واوى يقال صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب الا ما كتب الله لنا اى اثبته لمصلحتنا الدنيوية او الاخروية من النصرة عليكم او الشهادة المؤدية الى النعيم الدائم هو مولانا ناصرنا ومتولى امورنا وعلى الله وحده فليتوكل المؤمنون التوكل تفويض الامر الى الله والرضا بما فعله وان كان ذلك بعد ترتيب المبادى العادية والفاء للدلالة على السببية والاصل ليتوكل المؤمنون على الله قدم الظرف على الفعل لافادة القصر ثم ادخل الفاء للدلالة على استيجابه تعالى للتوكل عليه كما في قوله تعالى واياى فارهبون والجملة ان كانت من تمام الكلام المأمور به فاظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار لاظهار التبرك والتلذذ به وان كانت مسوقة من قبله تعالى امر للمؤمنين بالتوكل اثر امره صلى الله عليه وسلم بما ذكر فالامر ظاهر وتكرير الامر في قوله عز وجل قل هل تربصون بنا لانقطاع حكم الامر الاول بالثاني وان كان امرا للغائب واما على الوجه الاول فهي لابراز كمال العناية بشأن المأمور به والاعتناء بما بينه وبين ما قبله من الفرق في السياق والتربص التمكث مع انتظار مجيء شيء خيرا كان او شرا والباء للتعدية واحدى التاءين محذوفة اى ما تنتظرون بنا الا احدى

الحسنيين اى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هى حسنى العواقب وهما النصر والشهادة وهذا نوع
بيان لما ابهم فى الجواب الاول وكشف لحقيقة الحال باعلام ان ما يزعمونه مضرة للمسلمين من الشهادة
انفع مما يعدونه منفعة من النصرة والغنيمة ونحن نتربص بكم احدى السوأيين من العواقب اما ان
يصيبكم الله بعذاب من عنده كما اصاب من قبلكم من الامم المهلكة والظرف صفة عذاب ولذلك
حذف عامله وجوبا او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا الفاء فصيحة اى اذا كان
الامر كذلك فتربصوا بنا ما هو عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فاذا لقى كل منا ومنكم
ما يتربصه لا تشاهدون الا ما يسرنا ولا نشاهد الا ما يسوؤكم قل انفقوا اموالكم فى سبيل الله
طوعا او كرها مصدران وقعا موقع الحال اى طائعين او كارهين وهو امر فى معنى الخبر
كقوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم والمعنى انفقتم طوعا او كرها لن يتقبل منكم ونظم
الكلام فى سلك الامر للمبالغة فى بيان تساوى الامرين فى عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا
الحال فينفقوا على الحالين فينظروا هل يتقبل منهم فيشاهدوا عدم القبول وهو جواب جد بن
قيس ولكن احيلت بالحال ونفى التقبل يحتمل ان يكون بمعنى عدم الاخذ منهم وان يكون بمعنى
عدم الاثابة عليه وقوله عز وجل انكم كنتم قوما فاسقين اى عاتين متمردين تعليل لرد انفاقهم
وما منعهم ان تقبل منهم وقرئ بالتحتانية نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله استثناء
من اعم الاشياء اى ما منعهم قبول نفقاتهم منهم شىء من الاشياء الا كفرهم وقرئ يقبل على البناء
للفاعل وهو الله تعالى ولا ياتون الصلاة الا وهم كسالى اى لا ياتونها فى حال من الاحوال الا حال
كونهم متثاقلين ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم لا يرجون بها ثوابا ولا يخافون على تركها
عقابا فقوله تعالى اى من يقينا لزام من جهة على الكم العتب او فضيلة سبب الدابة فلا يعجبك
اموالهم ولا اولادهم فان ذلك استدراج لهم ووبال عليهم حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل
انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحيوة الدنيا بما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يقاسون
فيها من الشدائد والمصائب وتزهق انفسهم وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن
النظر فى العاقبة فيكون ذلك لهم نقمة لا نعمة واصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله
انهم لمنكم فى الدين والاسلام وما هم منكم فى ذلك ولكنهم قوم يفرقون يخافون ان يفعل بهم ما
يفعل بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية ويؤيدونه بالايمان الفاجرة لو يجدون ملجأ استئناف
مرتب على ما سبق من انهم ليسوا من المسلمين وان التجاءهم الى الانتماء اليهم انما هو للتقية اضطرارا
حتى انهم لو وجدوا غير ذلك ملجأ اى مكانا حصينا يلجأون اليه من راس جبل او قلعة او جزيرة وايثار
صيغة الاستقبال فى الشرط وان كان المعنى على المضى لافادة استمرار عدم الوجدان فان المضارع
المنفى الواقع موقع الماضى ليس نصا فى افادة انتفاء استمرار الفعل كما هو الظاهر بل قد يفيد استمرار
انتفائه ايضا حسبما يقتضيه المقام فان معنى قولك لو تحسن الى لشكرتك ان انتفاء الشكر بسبب
استمرار انتفاء الاحسان لا انه بسبب انتفاء استمرار الاحسان فان الشكر يتوقف على وجود الاحسان
لا على استمراره كما حقق فى موضعه او مغارات اى غيرانا وكهوفا يخفون فيها انفسهم وقرئ بضم
الميم من اغار الرجل اذا دخل الغور وقيل هو تعدية غار اذا دخل الغور اى امكنة يغيرون فيها
اشخاصهم مع اهليهم ويجوز ان يكون من اغار الثعلب اذا اسرع بمعنى مهارب ومفار او مدخلا

اى نفقا يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول وقرئ مدخلا من الدخول ومدخلا من الادخال
اى مكانا يدخلون فيه انفسهم وقرئ متدخلا ومندخلا من التدخل والاندخال لولوا اى لصرفوا
وجوههم واقبلوا وقرئ لوالوا اى لالتجأوا اليه اى الى احد ما ذكر وهم يجمحون اى يسرعون اسراعا
لا يردهم شىء من الفرس الجموح وهو الذى لا يثنيه اللجام وفيه اشعار بكمال عتوهم وطغيانهم وقرئ
يجمزون بمعنى يجمحون ويشتدون ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك بكسر الميم وقرئ بضمها اى يعيبك سرا
وقرئ يلمزك ويلامزك فى الصدقات اى فى شأنها وقسمتها فان اعطوا منها بيان
لفساد لمزهم وان لا منشأ له سوى حرصهم على حطام الدنيا اى ان اعطوا منها قدر ما يريدون
رضوا بما وقع من القسمة واستحسنوها وان لم يعطوا منها فلك المقدار اذا هم يسخطون اى يفاجئون
السخط واذا نائبة مناب الفاء فى الجزاء قيل نزلت الاية فى ابى الجواظ المنافق حيث قال الا ترون الى صاحبكم
يقسم صدقاتكم فى رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل فى ابن ذى الخويصرة واسمه حرقوص بن زهير
التميمى راس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب
اهل مكة بتوفير الغنائم فقال اعدل يا رسول الله فقال عليه الصلوة والسلام ويلك ان لم
اعدل فمن يعدل وقيل هم المؤلفة قلوبهم والاول هو الاظهر ولو انهم رضوا ما آتاهم الله
ورسوله اى ما اعطاهم الرسول عليه الصلوة والسلام من الصدقات طيبى النفوس به وان قل
وذكر الله عز وجل للتعظيم وللتنبيه على ان ما فعله الرسول عليه الصلوة والسلام كان بامره سبحانه
وقالوا حسبنا الله اى كفانا فضله وصنعه بنا وما قسمه لنا سيؤتينا الله من فضله
ورسوله بعد هذا حسبما نرجو ونؤمل انا الى الله راغبون فى ان يخولنا فضله والاية باسرها
فى حيز الشرط والجواب محذوف بناء على ظهوره اى لكان خيرا لهم انما الصدقات شروع
فى تحقيق حقية ما صنعه الرسول صلى الله عليه وسلم من القسمة ببيان المصارف ورد لمقالة القالة
فى ذلك وحسم لاطماعهم الفارغة المبنية على زعمهم الفاسد ببيان انهم بمعزل من الاستحقاق
اى جنس الصدقات المشتملة على الانواع المختلفة للفقراء والمساكين اى مخصوصة بهؤلاء الاصناف
الثمانية الاتية لا يتجاوزهم الى غيرهم كانه قيل انما هى لهم لا لغيرهم فالذين لا علاقة بينها وبينهم
يقولون فيها ما يقولون وما سوغهم ان يتكلموا فيها وفى قاسمها والفقير من له ادنى شىء والمسكين
من لا شىء له هو المروى عن ابى حنيفة رح وقد قيل على العكس ولكل منهما وجه يدل عليه والعاملين
عليها الساعين فى جمعها وتحصيلها والمؤلفة قلوبهم اصناف فمنهم اشراف من العرب
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم ليسلموا فيرضخ لهم ومنهم قوم اسلموا ونياتهم ضعيفة فيؤلف
قلوبهم باجزال العطاء كعيينة بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس ومنهم من يترقب باعطائهم
اسلام نظرائهم ولعل الصنف الاول كان يعطيهم الرسول صلى الله عليه وسلم من خمس الخمس الذى هو خالص ماله
وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشىء منها على قتال الكفار ومانعى الزكوة وقد سقط سهم هؤلاء بالاجماع
لما ان ذلك كان لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله عز وعلا واعلى كلمته استغنى عن ذلك
وفى الرقاب اى وللصرف فى فك الرقاب بان يعان المكاتبون بشىء منها على اداء نجومهم وقيل
بان يفدى الاسارى وقيل بان يبتاع منها الرقاب فتعتق وايا ما كان ففى العدول عن اللام
لعدم ذكرهم بيان ان مصحح للملكية والاختصاص كالذين من قبلهم او للايذان بعدم قرار ملكهم

بما اعطوا كما في الوجهين الاولين او بعدم ثبوته واستكماله في الوجه الاخير او للاشعار برسوخهم في استحقاق
الصدقة لما ان في للظرفية المنبئة عن احاطتهم بها وكونهم محلها ومركزها وفي الغارمين اي الذين
تدينوا لانفسهم في غير معصية اذا لم يكن لهم نصاب فاضل عن ديونهم وكذلك عند الشافعي
من تدين لاصلاح ذات البين واطفاء النايرة بين الفئتين وان كانوا اغنياء وفي سبيل الله
اي فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن السبيل اي المسافر المنقطع عن ماله وتكرير الظرف في
الاخيرين للايذان بفضلهما في الاستحقاق او لما ذكر من ارادة ما يعتبرونه في صحة المالكية والاختصاص
فهذه مصارف الصدقات فللمزكي ان يدفع صدقته الى كل واحد منهم وان يقتصر على صنف
منهم لان اللام لبيان انهم مصارف لا يخرج عنهم لا لاثبات الاستحقاق وهو مروي ذلك
عن عمر وابن عباس وحذيفة رضي الله عنهم وعند الشافعي لا يجوز الا ان يصرف الى ثلثة من كل
الاصناف فريضة من الله مصدر مؤكد لما دل عليه صدر الآية اي فرض لهم الصدقات فريضة
ونقل عن سيبويه انه منصوب بفعله مقدرا اي فرض الله ذلك فريضة او حال من الضمير المستكن
في قوله للفقراء اي انما الصدقات كائنة لهم حال كونها فريضة اي مفروضة والله عليم باحوال
الناس ومراتب استحقاقهم حكيم لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة من الامور الحسنة التي من
جملتها سوق الحقوق الى مستحقيها ومنهم الذين يؤذون النبي نزلت في جماعة من المنافقين
قالوا في حقه عليه السلام ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ذلك فيقع بنا
فقال الجلاس بن سويد نقول ما شئنا ثم ناتيه فننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول
انما محمد اذن سامعة وذلك قوله عز وجل ويقولون هو اذن اي يسمع كل ما قيل من غير ان
يتدبر فيه ويميز بين ما يليق بالقبول لمساعدة امارات الصدق له وبين ما لا يليق به وانما قالوه
لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يواجههم بسوء ما صنعوا ويصفح عنهم حلما وكرما فحملوه على
سلامة القلب وقالوا ما قالوا قل اذن خير لكم من قبيل رجل صدق في الدلالة على المبالغة
في الجودة والصلاح كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز ان يكون المراد اذن في
الخير والحق وفيما ينبغي سماعه وقبوله لا في غير ذلك كما يدل عليه قراءة رحمة بالجر عطفا عليه اي هو
اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله وقرئ اذن بسكون الذال فيهما اذن خير على انه صفة
او خبر ثان وقوله عز وجل يؤمن بالله تفسير لكونه اذن خير لهم اي يصدق بالله تعالى لما قام
عنده من الادلة الموجبة له وكون ذلك خيرا للمخاطبين كما انه خير للعالمين مما لا يخفى ويؤمن
للمؤمنين اي يصدقهم لما علم فيهم من الخلوص واللام مزيدة للتفرقة بين الايمان المشهور وبين
الايمان بمعنى التسليم والتصديق كما في قوله تعالى انؤمن لك الخ وقوله تعالى فما آمن لموسى
الخ ورحمة عطف على اذن خير اي وهو رحمة بطريق اطلاق المصدر على الفاعل للمبالغة للذين
آمنوا منكم اي للذين اظهروا الايمان منكم حيث يقبله منهم لكن لا تصديقا لهم في ذلك
بل رفقا بهم وترحما عليهم ولا يكشف اسرارهم ولا يهتك استارهم واسناد الايمان اليهم بصيغة
الفعل بعد نسبته الى المؤمنين بصيغة الفاعل المنبئة عن الرسوخ والاستمرار للايذان
بان ايمانهم امر حادث ما له من قرار وقرئ بالنصب على انها علة لفعل دل عليه اذن خير اي ياذن
لكم رحمة والذين يؤذون رسول الله بما نقل عنهم من قولهم هو اذن ونحوه وفي صيغة

الاستقبال المشعرة بترتيب الوعيد على الاستمرار على ما هم عليه اشعار بقبول توبتهم كما افصح عنه قوله تعالى
فيما سياتي فان يتوبوا يك خيرا لهم بما يجترئون من اذيته عليه السلام كما ينبئ عنه بناء الحكم على الموصول
عذاب اليم وهذا اعتراض مسوق من قبله عز وجل على نهج الوعيد غير داخل تحت الخطاب
وفي تكرير الاسناد باثبات العذاب الاليم لهم ثم جعل الجملة خبرا للموصول ما لا يخفى من المبالغة والمراد
صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة مضافا الى الاسم الجليل لغاية التعظيم والتنبيه على ان اذيته
راجعة الى جنابه عز وجل موجبة لكمال السخط والغضب يحلفون بالله لكم الخطاب
للمؤمنين خاصة روي ان المنافقين كانوا يتكلمون بالمطاعن ثم ياتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون
معاذيرهم بالايمان ليعذروهم ويرضوا عنهم اي يحلفون لكم انهم ما قالوا ما نقل اليهم من اذية
النبي صلى الله عليه وسلم واما التخلف عن الجهاد فليس بداخل في هذا الاعتبار ليرضوكم بذلك
وافراد ارضائهم بالتعليل مع ان عمدة اغراضهم ارضاء الرسول عليه السلام للتنبيه على ان ذلك منهم
ولم يكذبهم بالايمان لان ذلك بمعزل من ان يكون وسيلة الى ارضائه عليه السلام وانه عليه السلام
انما لم يكذبهم رفقا بهم وسترا لعيوبهم لا عن رضى بما فعلوا كما اشير اليه والله ورسوله احق
ان يرضوه اي احق بالارضاء ولا يتسنى ذلك الا بالطاعة والمتابعة وايفاء حقوقه
عليه السلام في باب الاجلال والاعظام مشهدا ومغيبا واما ما اتوا به من الايمان الفاجرة فانما
يرضى بها من انحصر طريق علمه في الاخبار الى ان يجلي الحق ويزهق الباطل والجملة نصب على الحالية
من ضمير يحلفون اي يحلفون لكم لارضائكم والحال ان الله تعالى ورسوله احق بالارضاء منكم اي
يرضون عما يهمهم تحديهم ويشتغلون بما لا يعنيهم وافراد الضمير في يرضوه اما للايذان بان
رضاه عليه السلام مندرج تحت رضاه سبحانه وارضاؤه عليه السلام ارضاء له تعالى لقوله تعالى من يطع
الرسول فقد اطاع الله واما لانه مستعار لاسم الاشارة الذي يشار به الى الواحد والمتعدد
بتاويل المذكور كما في قول رؤبة فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق اي
كان ذلك لا يقال لا حاجة الى الاستعارة بعد التاويل المذكور لانا نقول لولا الاستعارة
لم يحسن التاويل لما ان الضمير لا يتعرض الا لذات ما يرجع اليه من غير تعرض لوصف من اوصافه
التي من جملتها المذكورية وانما المتعرض لها اسم الاشارة واما لانه عائد الى رسوله والكلام جملتان
حذف خبر الاولى لدلالة خبر الثانية عليه كما ذهب اليه سيبويه ومنه قول من قال
نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف او الى الله على ان المذكور خبر الجملة الاولى وخبر
الثانية محذوف كما هو راي المبرد ان كانوا مؤمنين جواب محذوف تعويلا على دلالة ما سبق عليه
اي ان كانوا مؤمنين فليرضوا الله ورسوله بما ذكر فانهما احق بالارضاء الم يعلموا اي اولئك
المنافقون والاستفهام للتوبيخ على ما اقدموا عليه من العظيمة مع علمهم بسوء عاقبتها وقرئ
بالتاء على الالتفات لزيادة التقريع والتوبيخ اي الم يعلموا بما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
من فنون القوارع والانذارات انه اي الشان من يحادد الله ورسوله المحادة من الحد
كالمشاقة من الشق والمعاداة من العدوة بمعنى الجانب فان كل واحد من مباشري كل من الافعال
المذكورة في محل غير محل صاحبه ومن شرطية جوابها قوله تعالى فان له نار جهنم على ان خبره محذوف
اي فحق ان له نار جهنم وقرئ بكسر الهمزة والجملة الشرطية في محل الرفع على انها خبر لان وهي

ومن جعلها سادة مسد مفعولي يعلموا وبينا المعنى فلهو ان تكرير للاولى تاكيدا لطول العهد لا ارتياب
الكلمة اللفظي الكلام للاولى من العمل ودخول الفا كما في قول من قال لقد علم الحي اليمانون انني
اذا قلت اما بعد اني خطيبها ومنهم من جوز ان يكون فان له معطوفا على انه وجواب الشرط محذوف
تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله يهلك فان له الى اخره ورد بان ذلك انما يجوز عند كون
فعل الشرط ماضيا او مضارعا مجزوما بلم خالدا فيها حال مقدرة من الضمير المجرور ان اعتبر في
الظرف ابتداء الاستقرار وحدوثه وان اعتبر مطلق الاستقرار فلا اشكال ذلك اشارة الى
ما ذكر من العذاب الخالد بذلك ايذانا ببعد درجته في الهول والفظاعة الخزي العظيم
الخزي الذل والهوان المقارن للفضيحة والندامة وهي ثمرة نفاقهم حيث يفتضحون على رؤس
الاشهاد بظهورها ولحوق العذاب الخاص بهم والجملة تذييل لما سبق يحذر المنافقون ان
تنزل عليهم في شانهم فان ما نزل في حقهم نازل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم من
الاسرار الخفية فضلا عما كانوا يظهرونه فيما بينهم من اقاويل الكفر والنفاق ومعنى تنبئتها
اياهم بما في قلوبهم مع انه معلوم لهم وان المحذور عندهم اطلاع المؤمنين على اسرارهم لا اطلاع
انفسهم انها تذيع ما كانوا يخفونه من اسرارهم فتنتشر فيما بين الناس فيسمعونها من افواه الرجال
مذاعة فكانها تخبرهم بها او المراد بالتنبئة المبالغة في كون السورة مشتملة على اسرارهم كانها تعلم
من احوالهم الباطنة ما لا يعلمونه فتنبئهم بها وتنعى عليهم قبائحهم وقيل معنى يحذر ليحذر وقيل
الضميران الاولان للمؤمنين والثالث للمنافقين ولا يبالي بالتفكيك عند ظهور الامر لعود المعنى
اليه اي يحذر المنافقون ان تنزل على المؤمنين سورة تخبرهم بما في قلوب المنافقين وتهتك
عليهم استارهم قال ابو مسلم كان اظهار الحذر منهم بطريق الاستهزاء فانهم كانوا اذا سمعوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر كل شيء ويقول انه بطريق الوحي يكذبونه ويستهزؤن به لذلك
قيل قل استهزؤا اي افعلوا الاستهزاء وهو امر تهديد ان الله مخرج اي من القوة الى الفعل
او من الكمون الى البروز ما تحذرون اي ما تحذرونه من انزال السورة ومن مخازيكم ومثالبكم
المستكنة في قلوبكم الفاضحة لكم على ملاء الناس والتاكيد لرد انكارهم بذلك لا لدفع تردد هم
ونفي المنفصلة ليس حذرهم بطريق الحقيقة ولئن سالتهم عما قالوا ليقولن انما كنا نخوض
ونلعب روي انه عليه السلام كان يسير في غزوة تبوك وبين يديه ركب من المنافقين يستهزؤن
بالقران وبالرسول عليه السلام ويقولون انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح حصون الشام
وقصورها هيهات هيهات فاطلع الله تعالى نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فاتاهم
فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله والله ما كنا في شيء من امرك ولا امر اصحابك
ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل غير ملتفت الى اعتذارهم
ناعيا عليهم جناياتهم منزلا اقدامهم منزلة المعترف بوقوع الاستهزاء موبخا لهم على اخطائهم موقع
الاستهزاء ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزؤن حيث عقب حرف التقرير بالمستهزأ
به ولا يستقيم ذلك الا بعد تحقق الاستهزاء وثبوته لا تعتذروا لا تشتغلوا بالاعتذار
وهو عبارة عن محو اثر الذنب فانه معلوم الكذب بين البطلان قد كفرتم اظهرتم الكفر بايذاء
الرسول عليه الصلاة والسلام والطعن فيه بعد ايمانكم بعد اظهاركم له ان نعف عن طايفة منكم

لتوبتهم واخلاصهم او تجنبهم عن الايذاء والاستهزاء وقرئ يعف على اسناد الفعل الى الله سبحانه
وقرئ على البناء للمفعول مسندا الى الظرف بتذكير الفعل وبتانيثه ايضا ذهابا الى المعنى كانه
قيل ان ترحم طايفة نعذب بنون العظمة وقرئ بالياء على البناء للفاعل وبالتاء على البناء
للمفعول مسندا الى ما بعده طايفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على الاجرام وهم غير التائبين
او مباشرين وهم غير المجتنبين قال محمد بن اسحق الذي عفي عنه رجل واحد هو يحيى بن حمير الاشجعي
لما نزلت هذه الاية تاب من نفاقه وقال اللهم اني لا ازال اسمع اية تقشعر منها الجلود
وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول احد انا غسلت انا كفنت
انا دفنت فاصيب يوم اليمامة فما احد من المسلمين الا عرف مصرعه غيره المنافقون والمنافقات
الموصوفون لاحوال لانا نع للايذان بكمال عراقتهم في الكفر والنفاق بعضهم من بعض اي متشابهون
في النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشيء الواحد بالشخص وقيل اريد به نفي ان يكونوا من
المؤمنين وتكذيبهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله تعالى وما هم منكم وقوله تعالى يامرون
بالمنكر اي بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف اي عن الايمان والطاعة استيناف مقرر
لمضمون ما سبق مفصح عن مضادة حالهم لحال المؤمنين او خبر ثان ويقبضون ايديهم اي عن
المبرات والانفاق في سبيل الله فان قبض اليد كناية عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكره فنسيهم
فتركهم من رحمته وفضله وخذلهم والتعبير عنه بالنسيان للمشاكلة ان المنافقين هم
الفاسقون الكاملون في التمرد والفسق الذي هو الخروج عن الطاعة والانسلاخ عن
كل خير والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير كما في قوله تعالى وعد الله المنافقين والمنافقات
والكفار اي المجاهرين نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود فيها هي حسبهم عقابا
وجزاء وفيه دليل على عظم عقابها وعذابها ولعنهم الله اي ابعدهم من رحمته واهانهم
وفي اظهار الاسم الجليل من الايذان بشدة السخط ما لا يخفى ولهم عذاب مقيم اي نوع
من العذاب غير عذاب النار دائم لا ينقطع ابدا او لهم عذاب مقيم معهم في الدنيا لا ينفك
عنهم وهو ما يقاسونه من تعب النفاق الذي هم فيه في بلية دائمة لا يامنون ساعة من خوف
الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على اسرارهم كالذين من قبلكم التفات من الغيبة الى
الخطاب للتشديد والكاف في محل الرفع على الخبرية اي انتم مثل الذين من قبلكم من الامم المهلكة
او في حيز النصب بفعل مقدر اي فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر
اموالا واولادا تفسير وبيان لتشبيههم بهم وتمثيل لحالهم فاستمتعوا وتمتعوا وفي صيغة الاستفعال ل
ما ليس في الفعل من الاستزادة والاستدامة في التمتع بخلاقهم بنصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه
من الخلق بمعنى التقدير وهو ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الكاف في محل
النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي استمتاعا كاستمتاع الذين من قبلكم بخلاقهم
ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم الخسيسة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر في العواقب
الحقة واللذائذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم اياهم واقتفائهم اثرهم وخضتم
اي دخلتم في الباطل كالذي خاضوا اي كالذين باسقاط النون او كالفوج او كالخوض الذي
خاضوه اولئك اشارة الى المتصفين بالاوصاف المعدودة من المشبهين والمشبه بهم

لا الا التوافق الاتى فقط فان ذلك يقتضى كون حبوط اعمالهم المتسببين وخسرانهم مفهوما مبين
ضمنا لا صريحا يؤدى الى الخلو تلوين الخطاب من الغائبين الى المخاطبين في اوليكم والخطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يصلح للخطاب اى اوليك الموصوفون بما ذكر من الافعال حبطت
اعمالهم ليس المراد بها اعمالهم المعدودة كما يشعر التعبير عنهم باسم الاشارة فان عاقبتها غنية عن
البيان بل اعمالهم التى كانوا يستحقون بها اجورا حسنة لو قارنت الايمان اى ضاعت وبطلت بالكلية
ولم يترتب عليها اثر في الدنيا والاخرة بطريق المثوبة والكرامة اما في الاخرة فظاهر واما
في الدنيا فلان ما يترتب على اعمالهم فيها من الصحة والسعة وغير ذلك حسبما ينبئ عنه قوله
تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ليس
يترتب عليها على طريق المثوبة والكرامة بل بطريق الاستدراج واوليك اى الموصوفون
بحبوط الاعمال في الدارين هم الخاسرون الكاملون في الخسران في الدارين الجامعون لمباديه
واسبابه طرا فانهم قد ذهبت رؤوس اموالهم التى هى اعمارهم ولم ينفعهم قط ولو انها ذهبت فيما
لا يضرهم ولا ينفعهم لكان خسرانا وايراد اسم الاشارة في الموضعين للاشعار بعلية الاوصاف
المشار اليها للحبوط والخسران الم ياتهم اى المنافقين نبأ الذين من قبلهم اى خبرهم الذى
له شان وهو ما فعلوا وما فعل بهم والاستفهام للتقرير والتحذير قوم نوح وعاد وثمود
وقوم ابرهيم واصحاب مدين وهم قوم شعيب والمؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت
بهم اى انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين
وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم بالبينات استيناف لبيان
نباهم فما كان الله ليظلمهم الفاء للعطف على مقدر ينبئ عليه الكلام ويستدعيه
النظام اى فكذبوهم فاهلكهم الله فما ظلمهم بذلك وايثار ما عليه النظم الكريم للمبالغة
في تنزيه ساحة السبحان عن الظلم اى ما صح وما استقام له ان يظلمهم ولكن ظلموا انفسهم والجمع بين
صيغتى الماضى والمستقبل في قوله عز وجل ولكن كانوا انفسهم يظلمون للدلالة
على استمرار ظلمهم حيث لم يزالوا يعرضونها للعقاب بالكفر والتكذيب وتقديم المفعول لمجرد
الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد الى قصر المظلومية عليهم على راى من لا يرى التقديم
موجبا للقصر فيكون كما في قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم من غير قصر للظلم على
الفاعل او المفعول وسيجى هذا مزيد بيان في قوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن
الناس انفسهم يظلمون والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض بيان لحسن حال
المؤمنين والمؤمنات حالا ومآلا اثر بيان قبح احوال اضدادهم عاجلا واجلا والتعبير عن نسبة
هؤلاء بعضهم الى بعض بالولاية وعن نسبة اوليك بمن الاتصالية للايذان بان نسبة هؤلاء
بطريق القرابة الدينية المبنية على المعاقدة المستتبعة للاثار من المعونة والنصرة وغير ذلك
ونسبة اوليك بمقتضى الطبيعة والعادة يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر
اى جنس المعروف والمنكر المنتظمين لكل خير وشر ويقيمون الصلوة فلا يزالون يذكرون
الله سبحانه فهو في مقابلة ما سبق من قوله تعالى نسوا الله ويؤتون الزكوة في مقابلة
قوله تعالى ويقبضون ايديهم ويطيعون الله ورسوله اى في كل امر ونهى وهو في مقابلة

وصف المنافقين بكمال الفسق والخروج عن الطاعة اوليك اشارة الى المؤمنين والمؤمنات
باعتبار اتصافهم بما سلف من الصفات الفاضلة وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد
درجتهم في الفضل اى اوليك المنعوتون بما فصل من النعوت الجليلة سيرحمهم الله اى
يفيض عليهم اثار رحمته من التاييد والنصرة البتة فان السين مؤكدة للوقوع كما في قولك
سانتقم منك ان الله عزيز تعليل للوعد اى قوى قادر على اعزاز اوليائه وقهر اعدائه
حكيم يبني احكامه على اساس الحكمة الداعية الى ايصال الحقوق من النعمة والنقمة الى مستحقيها
من اهل الطاعة واهل المعصية وهذا وعد للمؤمنين متضمن لوعيد المنافقين كما ان ما
سبق في شان المنافقين من قوله نسيهم وعيد لهم متضمن لوعد المؤمنين فانسحب لطفه
تعالى عنهم لطف في حق المؤمنين وعد الله المؤمنين والمؤمنات تفصيل لاثار رحمته
الاخروية اثر ذكر رحمته الدنيوية والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار
بعلية وصف الايمان لحصول ما تعلق به الوعد وعدم التعرض لذكر ما مر من الاعمال الموصوفة
وغير ذلك للايذان بانه من لوازمه ومستتبعاته اى وعدهم وعدا شاملا لكل
احد منهم على طبقاتهم في مراتب الفضل كيف وكلمة جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها
فان كل احد منهم فايز بها لا محالة ومساكن طيبة اى وعد لبعض الخواص لكل منهم
منازل تستطيب فيها النفوس او يطيب فيها العيش في الجنات وقصور من اللؤلؤ والزبرجد
والياقوت الاحمر في جنات عدن هى ابهى اماكن الجنات واسناها عن النبي صلى الله عليه وسلم
عدن دار الله لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون
والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وعن ابن عمر رضي ان في الجنة قصرا يقال له عدن
حوله البروج والمروج وله خمسة الاف باب على كل باب خمسة الاف حبرة لا يدخله الا نبي او صديق
او شهيد وعن ابن مسعود رض هى بطنان الجنة وسرتها وعدن على هذا علم وقيل هو عبارة
اللغوى اعنى الاقامة والخلود فمرجع العطف الى تغاير الوصف وتغايره فكانه وصفه
اولا بانه من جنس ما هو ابهى الاماكن المعروفة عندهم من الجنات ذات الانهار الجارية ليميل
اليه طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوايب الكدورات
التى لا تكاد تخلو عنها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه
دار اقامة وثبات في جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اعظم من
ذلك كله فقال ورضوان من الله اى وشئ يسير من رضوانه تعالى اكبر اذ عليه يدور فوز
كل خير وسعادة وبه يناط نيل كل شرف وسيادة ولعل عدم نظمه في سلك الوعد مع عزه
في نفسه لانه متحقق في ضمن كل موعود ولانه مستمر في الدارين روى انه تعالى يقول لاهل
الجنة هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا
اعطيكم افضل من ذلك قالوا واى شئ افضل من ذلك قال احل عليكم رضوانى فلا اسخط عليكم
ابدا ذلك اشارة الى ما سبق ذكره وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجته في العظم
والفخامة هو الفوز العظيم دون ما يعده الناس فوزا من حظوظ الدنيا فانها مع قطع
النظر عن فنائها وتغيرها وتنغصها وتكدرها ليست بالنسبة الى ادنى شئ من نعيم الاخرة

عقابه بجناح البعوضة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن جناح بعوضة ما سقى
الكافر منها شربة ماء ولنعم ما قال من قال تالله لو كانت الدنيا باجمعها تبقى علينا ويأتي رزقها
رغدا ما كان من حق حر ان يذل لها فكيف وهي متاع يضمحل غدا يا ايها النبي جاهد
الكفار اي المجاهرين منهم بالسيف والمنافقين بالحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم
في ذلك ولا تحابهم رافة قال عطاء نسخت هذه الآية كل شيء من العفو والصفح
ومأواهم جهنم جملة مستانفة لبيان آجلة امرهم اثر بيان عاجله وقيل حالية وبئس المصير
تذييل لما قبله والمخصوص بالذم محذوف يحلفون بالله ما قالوا استئناف لبيان ما صدر
منهم من الجرائم الموجبة لما مر من الامر بالجهاد والغلظة عليهم ودخول جهنم روي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين
فيسمعه من كان منهم معه عليه السلام فقال الجلاس بن سويد منهم لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا
الذين خلفناهم وهم سادتنا واشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري
للجلاس اجل والله ان محمدا لصادق وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستحضره فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب
وتكذيب الصادق فنزل وايثار صيغة الاستقبال في يحلفون لاستحضار الصورة او للدلالة على
تكرر الحلف وصيغة الجمع في قالوا مع ان القائل هو الجلاس للايذان بان بقيتهم برضاهم
بقوله صاروا بمنزلة القائل ولقد قالوا كلمة الكفر هي ما حكي آنفا والجملة مع ما عطف
عليها اعتراض وكفروا بعد اسلامهم اي اظهروا ما في قلوبهم من الكفر بعد اظهارهم
الاسلام وهموا بما لم ينالوا هو الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه توافق
خمسة عشر منهم ان يدفعوه عليه السلام عن راحلته اذا تسنم العقبة بالليل وكان عمار بن ياسر
اخذا بخطام راحلته يقودها وحذيفة اليماني خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة
بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا هم قوم متلثمون فقال اليكم اليكم
يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون لقتل عامر لرده على الجلاس وقيل ارادوا ان يتوجوا
عبد الله بن ابي سلول وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نقموا اي وما انكروا وما
عابوا او وما وجدوا ما يورث نقمتهم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله سبحانه
وتعالى وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في غاية ما يكون
من ضنك العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنائم وقتل للجلاس
مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ
من اعم المفاعيل او من اعم العلل اي وما انكروا شيئا من الاشياء الا اغناء الله تعالى اياهم
او ما انكروا ما انكروا لعلة من العلل الا لاغناء الله اياهم فان يتوبوا عما هم عليه من الكفر والنفاق
يك خيرا لهم في الدارين قيل لما تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجلاس يا رسول الله
لقد عرض الله علي التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته
وان يتولوا اي استمروا على ما كانوا عليه من التولي او الاعراض عن الدين او اعرضوا عن التوبة
بعد هذا العرض يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا بالقتل والاسر والنهب وغير ذلك

من فنون العقوبات وفي الآخرة بالنار وغيرها من افانين العقاب وما لهم في الارض مع
سعتها وتباعد اقطارها وكثرة اهلها المصحح لوجدان ما نفي بقوله عز وجل من ولي
ولا نصير ينقذهم من العذاب بالشفاعة او المدافعة ومنهم بيان لقبائح بعض آخر منهم
من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن لنؤتين الزكوة وغيرها من الصدقات
ولنكونن من الصالحين قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الحج وقرئ بالنون الخفيفة فيهما قيل
نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني
مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي
بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت
كما ينمو الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال
عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث
مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة
واقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما
هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رأيي وذلك قوله عز وجل فلما آتاهم من
فضله بخلوا به اي منعوا حق الله منه وتولوا اي اعرضوا عن طاعة الله سبحانه فلما رجعا
قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة
فقال عليه السلام ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب على راسه فقال عليه السلام هذا عملك
قد امرتك فلم تطعني فقبض عليه الصلوة والسلام فجاء بها الى ابي بكر فلم يقبلها فجاء بها
الى عمر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك في خلافة عثمان رضي الله عنه وقيل نزلت فيه وفي سهل
ابن الحرث وجد بن قيس ومعتب بن قشير والاول هو الاشهر وهم معرضون جملة معترضة
اي وهم قوم عادتهم الاعراض او حالية اي تولوا باجرامهم وهم موصوفون بقلوبهم
فاعقبهم اي جعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا راسخا في قلوبهم الى يوم يلقونه
الى يوم موتهم الذي يلقون الله تعالى عنده او يلقون فيه جزاء عملهم وهو يوم
القيمة وقيل فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم ولا يلائمه قوله عز وجل
بما اخلفوا الله ما وعدوه اي بسبب اخلافهم ما وعدوه تعالى من التصدق
والصلاح وبما كانوا يكذبون اي وبكونهم مستمرين على الكذب في جميع المقالات التي
من جملتها وعدهم المذكور وتخصيص الكذب به يؤدي الى تخلية الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
عن المزية فان تسبب الاعقاب المذكور بالاخلاف والكذب يقضي باسناده الى الله عز
وجل اذ لا معنى لكونهما سببين لاعقاب البخل النفاق والتحقيق انه لما كانت الآية
الدالة على الترتيب والتفريع مبنية عن ترتب اعقاب النفاق المخلد على افعالهم المحكية
عنهم من المعاهدة بالتصدق والصلاح والبخل والتولي والاعراض وفيها ما لا دخل له
في الاعقاب المذكور كالمعاهدة انزاح ما في ذلك من الايهام بتعيين ما هو المدار في ذلك والله
تعالى اعلم وقرئ يكذبون بالتشديد الم يعلموا اي المنافقون او من عاهد الله تعالى وقرئ
بالتاء التفاتا خطابا للمؤمنين فالهمزة على الاول للانكار والتوبيخ والتهديد

ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم أي ما أسروه في أنفسهم وما تناجوا به فيما بينهم
من المطاعن وتسمية الصدقة جزية وغير ذلك مما لا خير فيه وفي تقديم السر على النجوى سيظهر في قوله سبحانه
وستردون إلى عالم الغيب والشهادة وأن الله علام الغيوب فلا يخفى عليه شيء من الأشياء
حتى اجترؤوا على ما اجترؤوا عليه من العظائم وإظهار اسم الجلالة لإلقاء الروعة وتربية
المهابة وفي إيراد العلم المتعلق بسرهم ونجواهم بصيغة الفعل الدال على الحدوث والتجدد والعلم
المتعلق بالغيوب الكثيرة الدائمة بصيغة الاسم الدال على الدوام والمبالغة من الفخامة والجزالة
ما لا يخفى وعن الثاني لم يرد على الموسعين بذلك وتنبيههم على أنه تعالى مؤاخذهم ومجازيهم بما
علم من أعمالهم الذين يلمزون نصب أو رفع على الذم ويجوز جره على البدلية من الضمير في سرهم
ونجواهم وقرئ بضم الميم وفي لغة أي يعيبون المطوعين أي المتطوعين المتبرعين
من المؤمنين حال من المطوعين وقوله تعالى في الصدقات متعلق بيلمزون روي أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم حث الناس على الصدقة فأتى عبد الرحمن بن عوف بأربعين أوقية من
ذهب وقيل بأربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فأقرضت ربي أربعة وأمسكت
لعيالي أربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت
فبارك الله حتى صولحت تماضر امرأته عن ربع الثمن على ثمانين ألفا وتصدق عاصم بن عدي
بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الأنصاري بصاع من تمر فقال بت ليلتي أجر بالجرير على صاعين
فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره على الصدقات
فلمزهم المنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن بن عوف وعاصم إلا رياء وإن كان الله ورسوله
لغنيين عن صاع أبي عقيل ولكنه أحب أن يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت والذين
لا يجدون إلا جهدهم عطف على المطوعين أي ويلمزون الذين لا يجدون إلا طاقتهم
وقرئ بفتح الجيم وهو مصدر جهد في الأمر إذا بالغ فيه وقيل هو بالضم الطاقة
وبالفتح المشقة فيسخرون منهم عطف على يلمزون أي يستهزئون بهم والمراد بهم الفريق
الأخير سخر الله منهم إخبار بمجازاته تعالى إياهم على ما فعلوا من السخرية والتعبير عنها بذلك
للمشاكلة ولهم أي ثابت لهم عذاب أليم التنوين للتهويل والتفخيم وإيراد الجملة اسمية
للدلالة على الاستمرار استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إخبار باستواء الأمرين الاستغفار
لهم وتركه في استحالة المغفرة وتصويره بصورة الأمر للمبالغة في بيان استوائهما كأنه عليه
الصلاة والسلام أمر بامتحان الحال بأن يستغفر تارة ويتركه أخرى ليظهر له جلية الأمر كما
في قوله عز وجل قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم إن تستغفر لهم سبعين
مرة فلن يغفر الله لهم بيان لاستحالة المغفرة بعد المبالغة في الاستغفار إثر بيان
الاستواء بينه وبين عدمه روي أن عبد الله بن عبد الله بن أبي وكان من المخلصين سأل
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض أبيه أن يستغفر له ففعل عليه السلام فنزلت فقال عليه السلام
... هو الأصل من أن مراتب الأعداد ... حكم كل منها حكمها
فقيل إن الله قد رخص لي فسأزيد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم أم لم
تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة في

مطلق

مطلق التكثير لاشتمال السبعة على جملة أقسام العدد فكأنها العدد بأسره وقيل هي أكمل الأعداد لجمعها معانيها
ولأن الستة أول عدد تام لتعادل أجزائها الصحيحة إذ نصفها ثلاثة وثلثها اثنان وسدسها واحد وجملتها
ستة ومع الواحد سبعة فكانت كاملة إذ لا رتبة بعد التمام إلا الكمال ثم السبعون غاية
الكمال إذ الآحاد غايتها العشرات والسبعمائة غاية الغايات ذلك إشارة إلى امتناع
المغفرة لهم ولو بعد المبالغة في الاستغفار أي ذلك الامتناع ليس لعدم الاعتداد باستغفارك
بل بأنهم أي بسبب أنهم كفروا بالله ورسوله كفرا متجاوزا عن الحد كما يلوح به وصفهم بالفسق في
قوله عز وعلا والله لا يهدي القوم الفاسقين فإن الفسق في كل شيء عبارة عن التمرد
والتجاوز عن حدوده أي لا يهديهم هداية موصلة إلى المقصد البتة لمخالفة ذلك للحكمة التي عليها
يدور فلك التكوين والتشريع وأما الهداية بمعنى الدلالة على ما يوصل إليه فهي متحققة لا محالة
ولكنهم بسوء اختيارهم لم يقبلوها فوقعوا فيما وقعوا فيه والجملة تذييل مؤكد لما قبله من الحكم وإن
مغفرة الكافر إنما هي بالإقلاع عن الكفر والإقبال إلى الحق والمنهمك فيه المطبوع عليه بمعزل
من ذلك وفيه تنبيه على عذر النبي صلى الله عليه وسلم في استغفاره لهم وهو عدم يأسه من إيمانهم
حيث لم يعلم أنهم مطبوعون على الغي والضلال والممنوع هو الاستغفار لهم بعد تبين حالهم
كما يتلى من قوله عز وجل ما كان للنبي الآية فرح المخلفون أي الذين خلفهم النبي صلى الله عليه وسلم
بالإذن لهم في القعود عند استئذانهم أو خلفهم الله بتثبيطهم لما علم في ذلك من الحكمة الخفية
أو خلفهم كسلهم أو نفاقهم بمقعدهم متعلق بفرح أي بقعودهم وتخلفهم عن الغزو خلاف رسول
الله أي خلفه وبعده حيث خرج ولم يخرجوا يقال أقام خلاف الحي أي بعدهم ظعنوا ولم
يظعنوا ويؤيده قراءة من قرأ خلف رسول الله وانتصابه على أنه ظرف لمقعدهم إذ لا فائدة في تقييد فرحهم
بذلك وقيل بمعنى المخالفة وهو مصدر خالف رسول الله ... وانتصابه على أنه مفعول له
والعامل فيه إما فرح أي فرحوا لأجل مخالفته عليه السلام بالقعود وإما مقعدهم أي فرحوا بقعودهم
لأجل مخالفته عليه الصلاة والسلام أو على أنه حال أي مخالفين أي فرحوا مخالفين له عليه السلام
بالقعود أو فرحوا بالقعود مخالفين له عليه السلام وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل
الله إيثارا للدعة والخفض على طاعة الله تعالى فقط بل مع ما في قلوبهم من الكفر والنفاق وفي
إيثار ما عليه النظم الكريم ... يبلغ الاحتراز مرتبة الكراهية وإنما أوثر ما عليه
النظم الكريم على أن يقال وكرهوا أن يخرجوا إلى الغزو إيذانا بأن الجهاد في سبيل الله مع كونه من
أجل الرغائب وأشرف المطالب التي يجب أن يتنافس فيها المتنافسون قد كرهوه كما فرحوا بأقبح
القبائح الذي هو القعود خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا أي لإخوانهم تثبيتا لهم
على التخلف والقعود وتواصيا فيما بينهم بالشر والفساد أو للمؤمنين تثبيطا لهم عن الجهاد ونهيا
عن المعروف وإظهارا لبعض العلل الداعية لهم إلى ما فرحوا به من القعود فقد جمعوا ثلاث خصال
من خصال الكفر والضلال الفرح بالقعود وكراهية الجهاد ونهي الغير عن ذلك لا تنفروا في الحر
فإنه لا استطاعة لشدته قل ردا عليهم وتجهيلا لهم نار جهنم التي ستدخلونها بما فعلتم أشد حرا
مما تحذرون من الحر المعهود وتحذرون الناس منه فما لكم لا تحذرونها وتعرضون أنفسكم لها بإيثار
القعود على النفير لو كانوا يفقهون اعتراض تذييلي من جهته سبحانه وتعالى غير داخل

تحت القعود المامور به موكد المضمون وجواب لو اما مقدر اى لو كانوا يفقهون انها كذلك او كيف ما ولد
ما اطمأنوا اليها لما فعلوا ما فعلوا او لما تركوا بهذه الالام واما غير مقدر على ان لو بمعنى التمنى المبنى عن امتناع
تحققه ونحوها اى لو كانوا من اهل الفطانة والفقه كما فى قوله تعالى قل انظروا ماذا فى السموات
والارض وما تغنى الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا اخبار عن
عاقبة امورهم واخراجها على صيغة الامر للدلالة على تحتمها ووقوعها ... الطويل المؤدى اليه اعمالهم السيئة التى من جملتها ما ذكر
من الفرح والفاء لسببية ما سبق للاخبار بما ذكر من الضحك والبكاء لا للمخبر به اذ لا يتصور السببية
فى الاول اصلا وقليلا وكثيرا منصوبان على المصدرية او الظرفية اى ضحكا قليلا وبكاء كثيرا او زمانا قليلا
وزمانا كثيرا واخراجه فى صورة الامر للدلالة على تحتم وقوع المخبر به لان امر الامر المطاع لا
يكاد يتخلف عن المامور به فلا ان المقصود اما دته فى الاول هو وصف الضحك فقط فى الثانى وصف
الكثرة مع الموصوف يعنى ان اهل النفاق يبكون فى النار عمر الدنيا لا يرقا لهم دمع ولا
يكتحلون بنوم ويجوز ان يكون الضحك كناية عن الفرح والبكاء عن الغم وان يكون القلة عبارة عن
العدم والكثرة عن الدوام جزاء بما كانوا يكسبون من فنون المعاصى والجمع بين صيغتى
الماضى والمستقبل للدلالة على الاستمرار التجددى ما داموا فى الدنيا وجزاء مفعول له للفعل الثانى
اى ليبكوا جزاء او مصدر حذف ناصبه اى يجزون بما ذكر من البكاء الكثير جزاء بما كسبوا من المعاصى
المذكورة فان رجعك الله الفاء لتفريع الامر الاتى على ما بين من امرهم والفعل من الرجع
المتعدى دون الرجوع اللازم اى فان ردك الله تعالى الى طائفة منهم اى الى المنافقين من
المتخلفين فى المدينة فان تخلف بعضهم انما كان للعذر مع الاسلام او الى من بقى من المنافقين
المتخلفين بان ذهب بعضهم بالموت او بالغيبة عن البلد او بان لم يستأذن البعض عن قتادة انهم
كانوا اثنى عشر رجلا قيل فيهم ما قيل فاستأذنوك للخروج معك الى غزوة اخرى بعد غزوتك
هذه فقل اخراجا لهم عن ديوان الغزاة وابعادا لمحلهم من محل صحبتك لن تخرجوا معى ابدا ولن
تقاتلوا معى عدوا من الاعداء وهو اخبار فى معنى النهى للمبالغة وقد وقع كذلك انكم تعليل
لما سلف اى لانكم رضيتم بالقعود اى عن الغزو وفرحتم بذلك اول مرة هى غزوة تبوك فاقعدوا
الفاء لتفريع الامر بالقعود بطريق العقوبة على ما صدر عنهم من الرضا بالقعود اى اذ رضيتم
بالقعود اول مرة فاقعدوا من بعد مع الخالفين اى المتخلفين الذين ديدنهم القعود
والتخلف دائما وقرئ مع الخلفين على القصر فكان محو اساميهم عن دفتر المجاهدين ولزهم فى
قرن الخالفين عقوبة لهم اى عقوبة وتذكير اسم التفضيل المضاف الى المؤنث هو الاكثر الدائر
على الالسنة فانك لا تكاد تسمع قائلا يقول هى كبرى امرأة او اولى مرة ولا تصل على احد منهم
مات صفة لاحد وانما جىء بصيغة الماضى تنبيها على تحقق الوقوع لا محالة ابدا متعلق بالنهى اى لا
تدع ولا تستغفر لهم ابدا ولا تقم على قبره اى لا تقف عليه للدفن او للزيارة والدعاء روى
انه صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض رأس النفاق
عبد الله بن ابى بن سلول بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتيه فلما دخل عليه قال عليه السلام اهلكك
حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت اليك لتستغفر لى لا لتوبخنى وسأله ان يكفنه فى شعاره
الذى يلى جلده ويصلى عليه فلما مات دعا ابنه وكان مؤمنا صالحا فاجابه عليه الصلاة والسلام

تسلية له ومراعاة لجانبه وارسل اليه قميصه فكفن فيه فلما هم بالصلاة او صلى نزلت وعن عمر رضى الله عنه انه قال لما
هلك عبد الله بن ابى دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلى عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اتصلى على عدو الله
القائل يوم كذا كذا وكذا والقائل يوم كذا كذا وكذا وعددت ايامه الخبيثة فتبسم عليه السلام
فصلى عليه ثم مشى معه وقام على قبره حتى دفن فوالله ما لبث الا يسيرا حتى نزل ولا تصل على احد منهم فما صلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك على منافق ولا قام على قبره وانما لم ينه عن التكفين بقميصه عليه السلام
لان الضنة بالقميص كانت مظنة الاخلال بالكرم على انه كان مكافاة لقميصه الذى كان البسه العباس
رضى الله عنه حين اسر ببدر على ما هو المشهور انهم كفروا بالله ورسوله تعليل للنهى على معنى ان الاستغفار
للميت والوقوف على قبره انما يكون لاستصلاحه وذلك مستحيل فى حقهم لانهم استمروا على الكفر بالله
تعالى وبرسوله مدة حياتهم وماتوا وهم فاسقون اى متمردون فى الكفر خارجون عن حدوده
كما بين من معنى الفسق ولا تعجبك اموالهم واولادهم تكرير لما سبق وتقرير لمضمونه بالاخبار
بوقوعه ويجوز ان يكون هذا فى حق فريق غير الفريق الاول وتقديم الاموال فى امثال هذه المواقع
على الاولاد مع كونهم اعز منها اما لعموم مساس الحاجة اليها بحسب الذات وبحسب الافراد والاوقات
فانها مما لا بد منه لكل احد من الاباء والامهات والاولاد فى كل وقت وحين حتى ان من له
اولاد ولا مال له فهو فى ضيق ونكال واما الاولاد فانما يرغب فيهم من بلغ مبلغ الابوة
واما لان المال مناط لبقاء النفس والاولاد لبقاء النوع واما لانها اقدم فى الوجود من الاولاد
لان الاجزاء المنوية انما تحصل من الاغذية كما سيأتى فى سورة الكهف انما يريد الله ان يعذبهم
بها فى الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون اى يموتوا كافرين باشتغالهم بالتمتع بها والالتهاء
عن النظر والتدبر فى العواقب واذا انزلت سورة من القرآن ويجوز ان يراد بها بعضها ان
آمنوا بالله ان مفسرة لما فى الانزال من معنى القول والوحى او مصدرية حذف عنها الجار اى بان
آمنوا به وجاهدوا مع رسوله لاعزاز دينه واعلاء كلمته استأذنك اولوا الطول منهم اى
ذوو الفضل والسعة والقدرة على الجهاد بدنا ومالا وقالوا عطف تفسيرى لاستأذنك مغن عن
ذكر ما استأذنوا فيه يعنى القعود ذرنا نكن مع القاعدين اى الذين قعدوا عن الغزو لما بهم من عذر
رضوا استئناف لبيان سوء صنيعهم وعدم امتثالهم لكلا الامرين وان لم يردوا الاول صريحا
بان يكونوا مع الخوالف مع النساء اللاتى شأنهن القعود ولزوم البيوت جمع خالفة وقد
الخالفة ما لا خير فيه وطبع على قلوبهم فهم بسبب ذلك لا يفقهون ما فى الايمان
بالله وطاعته فى اوامره ونواهيه واتباع رسوله عليه السلام والجهاد من السعادة وما فى اضداد
ذلك من الشقاوة لكن الرسول والذين آمنوا معه بالله وبما جاء من عنده تعالى وفيه
ايذان بانهم ليسوا من الايمان بالله فى شىء وان لم يصرحوا به صريحا اعراضهم عن الجهاد باختيارهم
فى القعود جاهدوا باموالهم وانفسهم اى ان تخلف هؤلاء عن الغزو فقد نهد اليه ونهض له
من هو خير منهم واخلص نية ومعتقدا واقاموا امر الجهاد بكلا نوعيه كقوله تعالى فان
يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين واولئك لهم الخيرات المعهودون بالنعوت الجليلة
لهم بواسطة نعوتهم المذكورة الخيرات اى منافع الدارين النصر والغنيمة فى الدنيا والجنة

والكرامة في العقبى وقيل الحور كقوله عز قائلا فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة مخفف خيرة وأولئك هم
المفلحون أي الفائزون بالمطلوب لا من حاز بعضا من الحظوظ الفانية عما قليل وتكرير
اسم الإشارة تنويه لشأنهم وربا لمكانتهم أعد الله لهم استئناف لبيان كونهم مفلحين أي هيأ لهم في
الآخرة جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها حال مقدرة من الضمير المجرور والعامل أعد
ذلك إشارة إلى ما فهم من إعداد الله سبحانه لهم الجنات المذكورة من نيل الكرامة العظمى الفوز
العظيم الذي لا فوز وراءه وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم شروع في بيان أحوال
منافقي الأعراب إثر بيان منافقي أهل المدينة والمعذرون من عذر في الأمر إذا وتواني
ولم يجد فيه وحقيقته أن يوهم أن له عذرا فيما يفعل ولا عذر له أو المعتذرون بإدغام التاء في
الذال ونقل حركتها إلى العين فهم المعتذرون بالباطل وقرئ المعذرون من الإعذار وهو
الاجتهاد في العذر والاحتشاد فيه قيل هم أسد وغطفان قالوا إن لنا عيالا وإن بنا
جهدا فأذن لنا في التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا إن غزونا معك أغارت
أعراب طيء على أهالينا ومواشينا فقال عليه السلام سيغنيني الله تعالى عنكم وعن مجاهد نفر من غفار
اعتذروا فلم يعذرهم الله سبحانه وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرئ المعذرون بتشديد
العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن إذ التاء لا تدغم في العين إدغامها في الطاء والزاي
والصاد في المطوعين وازكى واصدق وقيل أريد بهم المعتذرون بالصحة وبه فسر المعذرون
والمعذرون أي الذين لم يفرطوا في العذر وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقو الأعراب
الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا وظهر أنهم كذبوا الله ورسوله في ادعاء الإيمان والطاعة
سيصيب الذين كفروا منهم أي من الأعراب أو من المعذرين فإن منهم من اعتذر لكسله لا
لكفره عذاب أليم بالقتل والأسر في الدنيا والنار في الآخرة ليس على الضعفاء ولا على المرضى
كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كمزينة وجهينة وبني عذرة
حرج ذنب في التخلف إذا نصحوا لله ورسوله وهو عبارة عن الإيمان بهما والطاعة لهما
في السر والعلن وتوليهما في السراء والضراء والحب فيهما والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح
بصاحبه ما على المحسنين من سبيل استئناف مقرر لمضمون ما سبق أي ليس عليهم جناح ولا
إلى معاتبتهم سبيل ومن مزيدة للتأكيد ووضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انتظامهم
بنصحهم لله ورسوله في سلك المحسنين أو تعليل لنفي الحرج عنهم أي ما على جنس المحسنين من سبيل
وهم من جملتهم والله غفور رحيم تذييل مؤكد لمضمون ما ذكر مشير إلى أن بهم حاجة إلى
المغفرة وإن كان تخلفهم بعذر ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم عطف على المحسنين كما
يؤذن به قوله عز وجل إنما السبيل الآية وقيل عطف على الضعفاء وهم البكاؤون سبعة
من الأنصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة
بن عنمة وعبد الله بن مغفل وعلبة بن زيد أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا قد نذرنا الخروج
فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال عليه الصلاة والسلام لا أجد فتولوا
وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل أبو موسى الأشعري وأصحابه قلت
لا أجد ما أحملكم عليه حال من الكاف في أتوك بإضمار قد وما عاقبة لما سأله عليه السلام وغيره

مما يحمل عليه عادة وفي إيثاره لا أجد على ليس عندي من تلطيف الكلام وتطييب قلوب السائلين ما لا يخفى
كأنه عليه السلام يطلب ما يسألونه على الاستمرار فلا يجده تولوا جواب إذا وأعينهم تفيض من الدمع أي
تسيل بشدة من الدمع وقد سبق أن من البيانية مع مجرورها في محل النصب على التمييز وهو أبلغ من يفيض دمعها
لإفادتها أن العين بعينها صارت دمعا فياضا والجملة حالية وقوله عز وجل حزنا نصب على العلة أو
الحالية أو المصدرية لفعل دل عليه ما قبله أي يفيض للحزن فإن الحزن يسند إلى العين مجازا كالفيض أو
تدل على أنهم يحزنون حزنا فإن مكون هذه الجملة حالا من الضمير في تفيض ألا يجدوا حذف لام
متعلقة بحزنا أو بتفيض أي لئلا يجدوا ما ينفقون في شراء ما يحتاجون إليه إذا لم يجدوه عندك إنما
السبيل بالمعاتبة على الذين يستأذنونك في التخلف وهم أغنياء واجدون لأهبة الغزو مع سلامتهم
رضوا استئناف تعليلي لما سبق كأنه قيل ما بالهم استأذنوا وهم أغنياء فقيل رضوا بأن يكونوا
مع الخوالف الذين شأنهم الضعة والدناءة وطبع الله على قلوبهم أي ختم عليها فغفلوا عن وخامة
العاقبة فهم بسبب ذلك لا يعلمون أبدا غائلة ما رضوا به وما يستتبعه آجلا كما لم يعلموا بخساسته
عاجلا يعتذرون إليكم استئناف لبيان ما يتصدون له عند القفول إليهم روي أنهم كانوا بضعة وثمانين
رجلا فلما رجع عليه السلام إليهم جاؤا يعتذرون إليه بالباطل والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه
فإنهم كانوا يعتذرون إليهم أيضا لا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط أي يعتذرون إليكم في التخلف
إذا رجعتم من الغزو منتهيا إليهم وإنما لم يقل إلى المدينة إيذانا بأن مدار الاعتذار هو الرجوع
إليهم لا الرجوع إلى المدينة فلعل منهم من بادر إلى الاعتذار قبل الرجوع إليها قل تخصيص هذا
الخطاب برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تعميم فيما سبق لأصحابه أيضا لما أن الجواب وظيفته عليه السلام
وأما اعتذارهم فكان بمثابة المسلمين حولا لرجوعهم لا تعتذروا أي لا تفعلوا الاعتذار كقوله
تعالى اخسؤوا فيها ولا تكلمون أو لا تعتذروا بما عندكم من المعاذير لما ذكر فإن الموعظ لعنوان كذبها
فلا يفيدكم قوله تعالى لن نؤمن لكم أي لن نصدقكم في ذلك أبدا فإنه استئناف تعليلي للنهي
مبني على سؤال من قال لم شرع على ادعاء الصدق في الاعتذار كأنهم قالوا لم لا نعتذر فقيل إنا
لا نصدقكم أبدا فيكون عبثا إذ لا يترتب عليه غرض المعتذر وقوله عز وجل قد نبأنا الله من أخباركم
تعليل لانتفاء التصديق أي أعلمنا بالوحي بعض أخباركم المنافية للتصديق مما أن ثم من الشر
والفساد وأضمرتموه في ضمائركم وهيأتموه للإبراز في موضع الاعتذار من الأكاذيب وجمع ضمير
المتكلم في الموضعين للمبالغة في حسم أطماعهم من التصديق رأسا ببيان عدم رواج اعتذارهم
عند أحد من المؤمنين أصلا فإن تصديق البعض لهم ربما يطمعهم في تصديق الرسول أيضا صلى الله
عليه وسلم بواسطة المصدقين وللإيذان بافتضاحهم بين المؤمنين كافة وسيرى الله عملكم ورسوله
فيما سيأتي أتتوبون عن الكفر بما أنتم فيه من النفاق أم تثبتون وكأنه استتابة وإمهال للتوبة
وتقديم مفعول الرؤية على ما عطف عليه في علمه من قوله تعالى ورسوله للإيذان بالاختلاف
حال الرؤيتين وتفاوتهما للاستعباد بأن مدار الوعيد هو علمه عز وجل بأعمالهم ثم تردون يوم
القيامة إلى عالم الغيب والشهادة للجزاء بما ظهر منكم من الأعمال ووضع المظهر موضع المضمر
لتشديد الوعيد فإن علمه سبحانه وتعالى بجميع أعمالهم الظاهرة والباطنة وإحاطته بأحوالهم
البارزة والكامنة مما يوجب الزجر العظيم فينبئكم عند ردكم إليه ووقوفكم بين يديه بما

بما كنتم تعملون أي بما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من الأعمال السيئة السابقة واللاحقة على أن
ما موصولة والعائد إليها محذوف أو بعملكم المستمر على أنها مصدرية والمراد بالتنبئة بذلك المجازاة
به وإيثارها عليها لمراعاة ما سبق من قوله تعالى قد نبأنا الله الخ فإن المنبأ به الأخبار المتعلقة بأعمالهم
وللإيذان بأنهم ما كانوا عالمين في الدنيا بحقيقة أعمالهم وإنما يعلمونها يومئذ سيحلفون بالله
لكم تأكيد لمعاذيرهم الكاذبة وترويج لها والسين للتأكيد والمحلوف عليه محذوف يدل عليه
الكلام وهو ما اعتذروا به من الأكاذيب والجملة بدل من يعتذرون أو بيان له إذا
انقلبتم أي انصرفتم من الغزو إليهم فإن معنى الانقلاب هو الرجوع والانصراف مع زيادة معنى
الوصول والاستيلاء وفائدة تقييد حلفهم به الإيذان بأنه ليس لدفع ما خاطبهم النبي صلى
الله عليه وسلم به من قوله تعالى لا تعتذروا الخ بل هو أمر مبتدأ لتعرضوا وتصفحوا عنهم
صفح رضا فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم كما يفصح عنه قوله تعالى لترضوا عنهم فأعرضوا
عنهم لكن لا إعراض رضا كما هو طلبتهم بل إعراض اجتناب ومقت كما يعرب عنه قوله تعالى
إنهم رجس فإنه صريح في أن المراد بالإعراض عنهم إما الاجتناب عنهم لما فيهم من الرجس الروحاني
وإما ترك استصلاحهم بترك المعاتبة لأن المقصود بها التطهير بالحمل على الإنابة وهؤلاء
أرجاس لا تقبل التطهير فلا يتعرض لهم بها وقوله عز وعلا ومأواهم جهنم إما من تمام
التعليل فإن كونهم من أهل النار من دواعي الاجتناب عنهم وموجبات ترك استصلاحهم
باللوم والعتاب وإما تعليل مستقل أي وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا
أنتم في ذلك جزاء نصب على أنه مصدر مؤكد لفعل مقدر من لفظه وقع حالا أي مجزيين
جزاء أو لمضمون الجملة السابقة فإنها مفيدة لمعنى المجازاة قطعا كأنه قيل يجزون جزاء
بما كانوا يكسبون في الدنيا من فنون السيئات أو على أنه مفعول له يحلفون لكم
بدل مما سبق وعدم ذكر المحلوف به لظهوره أي يحلفون به تعالى لترضوا عنهم بحلفهم وتستديموا
عليهم ما كنتم تفعلون بهم فإن ترضوا عنهم حسبما راموا وساعدتموهم في ذلك فإن
الله لا يرضى عن القوم الفاسقين أي فإن رضاكم لا يجديهم نفعا لأن الله ساخط عليهم
ولا أثر لرضاكم عند سخطه سبحانه ووضع الفاسقين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالخروج
عن الطاعة المستوجب لما حل بهم من السخط وللإيذان بشمول الحكم لمن شاركهم في ذلك والمراد
نهي المخاطبين عن الرضى عنهم والاغترار بمعاذيرهم الكاذبة على أبلغ وجه وآكده فإن الرضى
عمن لا يرضى الله تعالى عنه مما لا يكاد يصدر عن المؤمن وقيل إنما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم
أن رضى المؤمنين مقتض لرضى الله تعالى قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما
كانوا ثمانين منافقا فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين حين قدم المدينة لا تجالسوهم
ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن أبي يحلف أن لا يتخلف عنه أبدا الأعراب هي صيغة
جمع وليس بجمع للعرب قاله سيبويه لئلا يلزم كون الجمع أخص من الواحد فإن العرب
هو هذا الجيل الخاص سواء سكن البوادي أم القرى وأما الأعراب فلا يطلق إلا على من
يسكن البوادي ولهذا نسب إلى الأعراب على لفظه فقيل أعرابي قال أهل اللغة رجل عربي
كما يقال مجوسي ويهودي ثم يحذف ياء النسب في الجمع فيقال المجوس واليهود ورجل أعرابي

بجمع هو الأعراب والأعاريب أي أصحاب البدو أشد كفرا ونفاقا من أهل الحضر لجفائهم وقسوة
قلوبهم وتوحشهم ونشأتهم في بعد من مشاهدة العلماء ومفاوضتهم وهذا من باب وصف
الجنس بوصف بعض أفراده كما في قوله تعالى وكان الإنسان كفورا إذ ليس كلهم كما ذكر على ما
ستحيط به خبرا وأجدر أي أحق وأخلق بأن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله
لبعدهم عن مجلسه صلى الله عليه وسلم وحرمانهم من مشاهدة معجزاته ومعاينة ما ينزل عليه من الشرائع
في تضاعيف الكتاب والسنة والله عليم بأحوال كل من أهل الوبر والمدر حكيم فيما
يصيب به مسيئهم ومحسنهم من العقاب والثواب ومن الأعراب شروع في بيان تشعب جنس
الأعراب إلى فريقين وعدم انحصارهم على الفريق المذكور كما يتراءى من ظاهر النظم الكريم وشرح
لبعض مثالب هؤلاء المترتبة على الكفر والنفاق بعد بيان تماديهم فيهما وحمل الأعراب على الفريق
المذكور خاصة وإن ساعده كون من يحكي حاله بعضا منهم وهم الذين يعد الإنفاق من أهل
النفاق دون أعرابهم أما أعراب أسد وغطفان وبنو تميم كما قيل لكن لا يساعده ما سيأتي من قوله ومن
الأعراب من يؤمن الخ فإن أولئك ليسوا من هؤلاء قطعا وإنهم من الجنس أي من جنس الأعراب الذي
نعت بنعت بعض أفراده من يتخذ ما ينفق من المال أي يعد ما يصرفه في سبيل الله ويتصدق به صورة
مغرما أي غرامة وخسرانا لازما إذ لا ينفقه احتسابا ورجاء لثواب الله تعالى ليكون له مغنما وإنما ينفقه
رياء وتقية فهي غرامة محضة وما في صيغة الاتخاذ من معنى الاختيار والانتفاع بما يتخذ إنما
هو باعتبار غرض المنفق من الرياء والتقية لا باعتبار ذات النفقة أعني كونها غرامة ويتربص
بكم الدوائر أي أصل الدائرة ما يحيط بالشيء والمراد بها ما لا محيص عنه من مصائب الدهر أي ينتظر بكم
دوائر الدهر ونوبه ودوله ليذهب غلبتكم عليه فيتخلص مما ابتلي به عليهم دائرة السوء دعاء عليهم
بنحو ما أرادوا بالمؤمنين على نهج الاعتراض كقوله سبحانه غلت أيديهم بعد قوله اليهود ما قالوا والسوء
مصدر ثم أطلق على كل ضرر وشر وأضيفت إليه الدائرة ذما كما يقال رجل سوء لأن من دارت عليه
يذمها وهي من باب إضافة الموصوف إلى الصفة فوصفت في الأصل بالمصدر مبالغة ثم أضيفت إلى صفتها
كقوله عز وجل ما كان أبوك امرأ سوء وقيل معنى الدائرة يقتضي معنى السوء فإنما هي إضافة بيان
وتأكيد كما قالوا شمس النهار ولحيا رأسه وقرئ بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة والله سميع بما يقولون
عند الإنفاق مما لا خير فيه عليم بما يضمرون من الأمور الفاسدة التي من جملتها أن يتربصوا بكم الدوائر
وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى ومن الأعراب أي من جنسهم على الإطلاق من يؤمن بالله واليوم
الآخر ويتخذ أي يأخذ لنفسه على وجه الاصطفاء والادخار ما ينفق أي ينفقه في سبيل الله
قربات أي ذرائع إليها وللإيذان بما بينهما من كمال الاختصاص جعل كأنه نفس القربات والجمع
باعتبار أنواع القربات أو أفرادها وهي ثاني مفعولي يتخذ وقوله عز وجل عند الله صفتها أو ظرف
ليتخذ وصلوات الرسول أي وسائل إليها فإنه عليه الصلاة والسلام كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر
لهم ولذلك سن للمصدق أن يدعو للمتصدق عند أخذ صدقته لكن ليس له أن يصلي عليه كما
فعله صلى الله عليه وسلم حين قال اللهم صل على آل أبي أوفى فإن ذلك منصبه فله أن يتفضل به على من
يشاء وللتعرض لوصف الإيمان بالله واليوم الآخر في الفريق الأخير أن مساق الكلام
لبيان الفرق بين الفريقين في شأن اتخاذ ما ينفقانه حالا ومآلا وأن ذكر اتخاذه ذريعة

الى القربات في الصلوة ستحسن من التصريح بذلك لكمال العناية بايمانهم وبيان اتصافهم به وزيادة
الاعتناء بتحقيق الفرق بين الفريقين من اول الامر واما الفريق الاول فاتصافهم بالكفر والنفاق
معلوم من سياق النظم الكريم الا انها قربة لهم شهادة لهم من جانب الله تعالى بصحة ما
اعتقدوه وتصديق لرجائهم والضمير لما ينفق والتانيث باعتبار الخبر وجمع ما من تعدده باحسب
الوجهين والتنكير للتفخيم المغني عن الجمع اى قربة عظيمة لا يكتنه كنهها وفي ايراد الجملة اسمية وتصديرها
بحرفي التنبيه والتحقيق من الجزالة ما لا يخفى والاقتصار على بيان كونها قربة لهم لانها الغاية
القصوى وصلوات الرسول من ذرائعها وقوله تعالى سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة رحمته في رحمته
الواسعة بهم وتفسير للقربة كما ان قوله عز وعلا والله سميع عليم وعيد للاولين عقيب الدعاء
عليهم والسين للدلالة على تحقق ذلك وتقرره البتة وقوله تعالى ان الله غفور رحيم تعليل
لتحقق الوعد على نهج الاستيناف التحقيقي قيل هذه في عبد الله ذي البجادين وقومه وقيل في
بني مقرن من مزينة وقيل في اسلم وغفار وجهينة وروى ابو هريرة انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسلم وغفار وشيء من جهينة ومزينة خير عند الله يوم القيامة من تميم واسد بن خزيمة وهوازن
وغطفان والسابقون الاولون من المهاجرين بيان لفضائل اشراف المسلمين اثر بيان
فضيلة طائفة منهم والمراد بهم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين
اسلموا قبل الهجرة والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل بيعة الثانية
وكانوا سبعين رجلا والذين اسلموا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا
على والسابقون والذين اتبعوهم باحسان اى متلبسين به والمراد به كل خصلة حسنة
وهم اللاحقون بالسابقين من الفريقين على ان من تبعيضية او الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة
الى يوم القيامة فالمراد بالسابقين جميع المهاجرين والانصار ومن بيانية رضي الله عنهم خبر للمبتدا
اى رضي الله عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوا من رضاه المستتبع
لجميع المطالب واعد لهم في الآخرة جنات تجري تحتها الانهار وقرئ من تحتها كما في سائر
المواقع خالدين فيها ابدا من غير انتهاء ذلك الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه وما في
اسم الاشارة من معنى البعد لبيان بعد منزلتهم في مراتب الفضل وعظم الدرجة من مؤمني
الاعراب ومن حولكم من الاعراب شروع في بيان احوال منافقي اهل المدينة ومن حولها
من الاعراب بعد بيان حال اهل البادية منهم اى ممن حول بلدتكم منافقون وهم
جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على ممن
حولكم عطف مفرد على مفرد قوله تعالى مردوا على النفاق اما جملة مستانفة لا محل لها
من الاعراب مسوقة لبيان غلوهم في النفاق اثر بيان اتصافهم به واما صفة للمبتدا المذكور
فصل بينها وبينه بما عطف على خبره واما صفة لمحذوف اقيمت هي مقامه وهو مبتدا خبره
من اهل المدينة كما في قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا والجملة عطف على الجملة السابقة اى
اهل المدينة قوم مردوا على النفاق اى تمهروا فيه من مرن فلان على عمله ومرد عليه اذا درب
به وضرى حتى لان عليه ومهر فيه ولذلك لا يكاد يستعمل الا في الشر والتمرد على الوجهين
الاولين شامل للفريقين حسب شمول النفاق وعلى الوجه الاخير خاص بمنافقي اهل المدينة وهو

الاظهر والانسب بذكر منافقي اهل البادية اولا ثم ذكر منافقي الاعراب المجاورين للمدينة ثم ذكر منافقي اهلها والله
تعالى اعلم وقوله عز سلطانه لا تعلمهم بيان لتمردهم اى لا تعرفهم انت لكن باعيانهم واسمائهم وانسابهم بل
بعنوان نفاقهم يعني انهم بلغوا من المهارة في النفاق والتنوق في مراعاة التقية والتحامي عن مواقع
التهم الى حيث يخفى عليك حالهم مع ما انت عليه من علو الكعب وسمو الطبيعة وكمال الفطنة وصدق
الفراسة وفي تعليق نفي العلم بهم مع انه متعلق بحالهم مبالغة في ذلك وايماء الى ان ما هم فيه من صفة النفاق
لعراقتهم ورسوخهم فيها صارت بمنزلة ذاتياتهم او مشخصاتهم بحيث لا يعد من لا يعرفهم بتلك الصفة عالما بهم
وحمل هذا على عدم العلم باعيانهم مع ما هم عليه الكلام بعد مجي هذا البيان على انه علامة لكم ليعلم ان فيهم منافقين
لكن لا يعلمهم باعيانهم مع كونه خلاف الظاهر خلاف ما ذكرنا لما لغة فقوله عز وجل نحن نعلمهم
تقرير لما سبق منه اى نحن نعلمهم في فن النفاق اى لا يقف على سرائرهم المركوزة في ضمائرهم الا من لا يخفى عليه
خافية لما هم عليه من شدة الاهتمام بابطان الكفر واظهار الاخلاص وفي تعليق العلم بهم مع ان المقصود
بيان تعلقه بحالهم ما مر في تعليق نفيه بهم وقوله عز سلطانه سنعذبهم مرتين وعيد لهم وتحقيق لعذابهم
حسب ما علم الله فيهم من موجباته والسين للتاكيد من قيل عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم
قام خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج ناسا
وفضحهم فهذا هو العذاب الاول والثاني اما القتل واما عذاب القبر او الاول هو القتل والثاني
عذاب القبر او الاول اخذ الزكوة لما انهم يعدونها مغرما والثاني نهك الابدان واتعابها بالطاعات
الفارغة عن الثواب وقيل تكرير عذابهم لما فيهم من الكفر المشفوع بالنفاق او النفاق المؤكد
بالتمرد فيه ويجوز ان يكون المراد بالمرتين مجرد التكثير كما في قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اى كرة
بعد اخرى ثم يردون يوم القيامة الى عذاب عظيم هو عذاب النار وفي تغيير الاسلوب باسناد
عذابهم السابق الى نون العظمة حسب اسناد ما قبله من العلم واسناد ردهم الى العذاب اللاحق
الى انفسهم ايذان باختلافهما حالا فان الاول خاص بهم وقوعا وزمانا يتولاه سبحانه وتعالى
والثاني شامل لعامة الكفرة وقوعا وزمانا وان اختلفت طبقات عذابهم وآخرون بيان لحال
طائفة من المسلمين ضعيفة الهمم في امور الدين وهو عطف على منافقون اى وممن حولكم ومن
اهل المدينة قوم آخرون اعترفوا بذنوبهم التي هي تخلفهم عن الغزو وايثار
الدعة عليه والرضا بسوء جوار المنافقين وندموا على ذلك ولم يعتذروا بالمعاذير الكاذبة
ولم يخفوا ما صدر عنهم من الاعمال السيئة كما فعله من اعتاد واخفى ما فيه واثر ما يليه من
المنافقين الذين اعتذروا بالاكاذيب من المعاذير المؤكدة بالايمان الفاجرة حسب ديدنهم المالوف
وهم رهط من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد عندما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين حسب عادته الكريمة فرآهم كذلك فسأل
عن شأنهم فقيل انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يحلهم فقال عليه الصلاة والسلام وانا اقسم ان لا احلهم
او يؤمر فيهم خلطوا عملا صالحا هو ما سبق منهم من الاعمال الصالحة والخروج الى المغازي
السابقة وغيرها ما لحق من الاعتراف بذنوبهم في التخلف عن هذه المرة وتندمهم
على ذلك وتخصيصه بالاعتراف لا يناسب الخلط لا سيما على وجه يؤذن بتوارد المختلطين وكون
كل منهما مخلوطا ومخلوطا به كما يؤذن به تبديل الواو بالباء في قوله تعالى وآخر سيئا فان قولك

خلطت الماء باللبن يقتضي إيراد الماء على اللبن دون العكس وقولك خلطت الماء واللبن معناه
إيقاع الخلط بينهما من غير دلالة على اختصاص أحدهما بكونه مخلوطا والآخر بكونه مخلوطا به وفي ذلك
تلك الدلالة للدلالة على جعل كل منهما متصفا بالصفتين جميعا وذلك فيما نحن فيه بورود كل
من العملين على الآخر مرة بعد أخرى والمراد بالعمل السيء ما صدر عنهم من الأعمال السيئة أولا وآخرا
ومن الصالح التوبة والإثم وقيل الواو بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة ودرهما بمعنى
شاة بدرهم عسى الله أن يتوب عليهم أي يقبل توبتهم المفهومة من اعترافهم بذنوبهم إن الله
غفور رحيم يتجاوز عن سيئات التائب ويتفضل عليه وهو تعليل لما يفيده كلمة عسى من وجوب
القبول فإنها للإطماع الذي هو من أكرم الأكرمين إيجاب وأي إيجاب خذ من أموالهم
صدقة روي أنهم لما أطلقوا قالوا يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق
بها وطهرنا فقال عليه السلام ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا فنزلت فليس هي الصدقة المفروضة
لكونها مأمورا بها ولما روي أنه عليه السلام أخذ منهم الثلث وترك لهم الثلثين فوقع
ذلك بيانا لما في صدقة من الإجمال وإنما هي كفارة لذنوبهم حسب ما ينبئ عنه قوله عز وجل
تطهرهم أي عما تلطخوا به من أوضار التخلف والتاء للخطاب والجزم على أنه جواب الأمر وقرئ بالرفع
على أنه حال من ضمير المخاطب في خذ أو صفة لصدقة والتاء للخطاب أو للصدقة والعائد على الأول محذوف
ثقة بما بعده وقرئ تطهرهم من أطهره بمعنى طهره وتزكيهم بها بإثبات الياء وهو خبر لمبتدأ محذوف
والجملة حال من الضمير في الأمر أو في جوابه أي وأنت تزكيهم بها أي تنمي بتلك الصدقة حسناتهم إلى
مراتب المخلصين أو أموالهم أو تبالغ في تطهيرهم هذا على قراءة الجزم في تطهرهم وأما على قراءة
الرفع فسواء جعل التاء للخطاب أو للصدقة وكذا جعلت الجملة الأولى حالا من ضمير المخاطب أو صفة
للصدقة على الوجهين فالثانية عطف على الأولى حالا أو صفة من غير حاجة إلى تقدير المبتدأ لتوجيه
دخول الواو في الجملة الحالية وصل عليهم أي اعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم إن
صلواتك وقرئ صلاتك مراعاة لتعدد المدعو لهم سكن لهم تسكن نفوسهم إليها
وتطمئن قلوبهم بها ويتيقنون بأنه سبحانه قبل توبتهم والجملة تعليل للأمر بالصلاة عليهم والله
سميع يسمع ما صدر عنهم من الاعتراف بالذنب والتوبة والدعاء عليم بما في ضمائرهم
من الندم والغم لما فرط منهم ومن الإخلاص في التوبة والدعاء أو سميع يجيب دعاءك لهم
عليم بما تقتضيه الحكمة والجملة تذييل للتعليل مقرر لمضمونه على الأول تذييل لما سبق من
الآيتين محقق لما فيهما ألم يعلموا وقرئ بالتاء والضمير إما للتائبين فهو تحقيق لما سبق من قبول
توبتهم وتطهير الصدقة وتزكيتها لهم وتقرير لذلك وتوطين لقلوبهم ببيان أن المتولي لقبول
توبتهم وأخذ صدقاتهم هو الله سبحانه وأن إسناد الأخذ والتطهير والتزكية إليه عليه السلام أي ألم
يعلم أولئك التائبون أن الله هو يقبل التوبة الصحيحة الخالصة عن عباده المخلصين
فيها ويتجاوز عن سيئاتهم كما يفصح عنه كلمة عن والمراد بهم إما أولئك التائبون ووضع
المظهر في موضع المضمر للإشعار بعلية العبادة لقبولها وإما كافة العباد وهم داخلون في
ذلك دخولا أوليا ويأخذ الصدقات أي يقبل صدقاتهم على أن اللام عوض عن المضاف إليه
أو جنس الصدقات المندرج تحته صدقاتهم اندراجا أوليا أي هو الذي يتولى قبول التوبة

وأخذ الصدقات وما يتعلق بها من التطهير والتزكية وإن كنت أنت المباشر لهما ظاهرا وفيه من تقرير
ما ذكر ودفع شأن النبي صلى الله عليه وسلم على نهج قوله تعالى إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله
ما لا يخفى وأن الله هو التواب الرحيم تأكيد لما عطف عليه وزيادة تقرير لما يقرره مع زيادة
معنى ليس فيه أي ألم يعلموا أنه المختص المستأثر ببلوغ الغاية القصوى من قبول التوبة والرحمة وأن
ذلك سنة مستمرة له وشأن دائم والجملتان في حيز النصب بيعلموا بسد كل واحد منهما مسد مفعوله
وأما لغير التائبين من المؤمنين فقد روي أنهم قالوا لما تيب على الأولين هؤلاء الذين تابوا كانوا بالأمس
معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت أي ألم يعلموا ما للتائبين من الخصال الداعية إلى التكريم
والتقريب والانتظام في سلك المؤمنين والتلقي بحسن القبول والمجالسة فهو ترغيب لهم في
التوبة والصدقة وقوله تعالى وقل اعملوا زيادة ترغيب لهم في العمل الصالح الذي من جملته
التوبة أو للأولين في الثبات على ما هم عليه أي قل لهم بعد ما بان لهم شأن التوبة اعملوا ما تشاؤون
من الأعمال فظاهره ترخيص وتخيير وباطنه ترغيب وترهيب وقوله عز وعلا فسيرى الله عملكم
أي خيرا كان أو شرا تعليل لما قبله وتأكيد للترغيب والترهيب والسين للتأكيد ورسوله
عطف على الاسم الجليل وتأخيره عن المفعول للإشعار بما بين الرؤيتين من التفاوت والمؤمنون
في الخبر أن رجلا لو عمل في صخرة لا باب لها ولا كوة لخرج عمله إلى الناس كائنا ما كان والمعنى
أن أعمالكم غير خافية عليهم كما رأيتم وتبين لكم ثم إن كان المراد بالرؤية معناها الحقيقي
فالأمر ظاهر وإن أريد بها مآلها من الجزاء خيرا أو شرا فهو خاص بالدنيوي من إظهار
المدح والثناء والذكر الجميل والإعزاز ونحو ذلك من الأجزية وأضدادها وستردون أي بعد
الموت إلى عالم الغيب والشهادة وفي وضع الظاهر موضع المضمر من تهويل الأمر وتربية المهابة
ما لا يخفى ووجه تقديم الغيب في الذكر لسعة عالمه وزيادة خطره على الشهادة غني عن البيان
وقيل إن الموجودات الغائبة عن الحواس علل أو كالعلل للموجودات المحسوسة والعلم بالعلل
علة للعلم بالمعلولات فوجب سبق العلم بالغيب على العلم بالشهادة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الغيب
ما يسرون من الأعمال والشهادة ما يظهرون كقوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون فالتقديم
لتحقيق أن نسبة علمه المحيط بالسر والعلن واحدة على أبلغ وجه وآكده بإيهام أن علمه تعالى بما
يسرون أقدم منه بما يعلنون كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته منزه عن أن يكون بطريق حصول
الصورة بل وجود كل شيء وتحققه في نفسه والنسبة إليه تعالى في هذا المعنى لا يختلف الحال
بين الأمور البارزة والكامنة وأما للأذهان بالنسبة إلى حقيقة عارية العلى إذ ما من شيء
يعلن الآن هو أو بادية القريب والبعيد مضمر قبل ذلك في القلب فيتعلق علمه تعالى به في حالته
الأولى متقدم على تعلقه به في حالته الثانية فينبئكم عقيب الرد الذي هو عبارة عن الأمر الممتد إلى يوم
القيامة بما كنتم تعملون قبل ذلك في الدنيا والمراد بالتنبئة بذلك الجزاء به إن خيرا فخير وإن
شرا فشر فهو وعد ووعيد وآخرون عطف على آخرون قبله أي ومن المتخلفين من أهل المدينة
ومن حولها من الأعراب قوم آخرون غير المعترفين المذكورين مرجون وقرئ مرجؤون من
أرجيته وأرجأته أي أخرته ومنه المرجئة الذين لا يقطعون بقبول التوبة لأمر الله في شأنهم
قال ابن عباس رضي الله عنهما هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية لم يسارعوا

الى التوبة والاعتذار كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم على السوارى واظهار الغم والحزن والندم
على ما فعلوا فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى اصحابه عن ان يسلموا عليهم ويكلموهم
وكانوا من اصحاب بدر فجفوهم والناس في شانهم على اختلاف فمن قائل هلكوا وقائل عسى الله
ان يغفر لهم فصاروا عندهم مرجئين لامر الله تعالى اما يعذبهم ان لم يتوبوا على ما هم عليه من الحال
وقيل انهم اصروا على النفاق وليس بذلك فان المذكورين ليسوا من المنافقين واما
يتوب عليهم ان خلصت نيتهم وصحت توبتهم والجملة في محل النصب على الحالية اى منهم هؤلاء
اما معذبين واما متوبا عليهم وقيل اخرون مبتدا ومرجون صفته وهذه الجملة خبره
والله عليم باحوالهم حكيم فيما فعل بهم من الارجاء وما بعده وقرئ والله غفور رحيم
والذين اتخذوا مسجدا عطف على ما سبق اى ومنهم الذين او نصب على الذم وقرئ بغير
واو لانها قصة على حيالها ضرارا اى مضارة للمؤمنين وانتصابه على انه مفعول له او مفعول
ثان لاتخذوا او على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر منصوب على الحالية اى يضارون بذلك ضرارا
او على انه مصدر بمعنى الفاعل وقع حالا من ضمير اتخذوا مضارين للمؤمنين روى ان
بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فيصلى
بهم في مسجدهم فلما فعل عليه الصلوة والسلام حسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا
نبنى مسجدا ونرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فيه ويصلى فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من
الشام وهو الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق وقد كان قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يفعل ذلك الى يوم حنين
فلما انهزمت هوازن يومئذ ولى هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا
بما استطعتم من قوة وسلاح فانى ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا واصحابه
من المدينة فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قبا وقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذى
العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلى لنا فيه وتدعو لنا بالبركة
فقال صلى الله عليه وسلم انى على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا
فيه فلما قفل من غزوة تبوك سالوه عليه السلام اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك ابن الدخشم
ومعن بن عدى وعامر بن السكن ووحشى فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله
فاهدموه واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة وهلك
ابو عامر الفاسق بالشام بقنسرين وكفرا تقوية للكفر الذى يضمرونه وتفريقا بين
المؤمنين الذين كانوا يصلون في مسجد قبا مجتمعين فيغتص بهم فارادوا ان يتفرقوا ويختلف
كلمتهم وارصادا اعدادا او انتظارا وترقبا لمن حارب الله ورسوله وهو الراهب الفاسق
اى لاجله حتى يجئ فيصلى فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل متعلق باتخذوا
اى اتخذوه من قبل ان ينافقوا بالتخلف حيث كانوا بنوه قبل غزوة تبوك او بحارب اى
حاربهما قبل اتخاذ هذا المسجد وليحلفن ان اردنا اى ما اردنا ببناء هذا المسجد الا الحسنى
الا الخصلة الحسنى وهى الصلوة وذكر الله والتوسعة على المصلين او الارادة الحسنى والله يشهد
انهم لكاذبون في حلفهم ذلك لا تقم للصلوة فيه في ذلك المسجد ابدا

ودعوتك اليه لمسجد اسس اى بنى اصله على التقوى يعنى مسجد قبا اسسه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقبا وهى يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وخرج
يوم الجمعة وقيل هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعن ابى سعيد سالت النبى صلى
الله عليه وسلم عن المسجد الذى اسس على التقوى فاخذ حصباء فضرب بها الارض وقال هو مسجدكم
هذا مسجد المدينة واللام اما للابتداء او للقسم المحذوف اى والله لمسجد وعلى التقديرين
لمسجد مبتدا وما بعده صفته وقوله تعالى من اول يوم اى من ايام تاسيسه متعلق باسس
وقوله تعالى احق ان تقوم فيه اى للصلوة وذكر الله خبره وقوله تعالى فيه رجال
جملة مستانفة مبينة لاحقيته لقيامه عليه السلام فيه من جهة الحال بعد بيان احقيته من
حيث المحل او صفة اخرى للمبتدا او حال من الضمير فيه وعلى كل حال ففيه تحقيق وتقرير
للاستحقاق القيام فيه والمراد بكونه احق نفس كونه حقيقا به اذ لا استحقاق في
مسجد الضرار اصلا وانما عبر عنه بصيغة التفضيل لمضادة كامنة في نفسه او الافضلية في
الاستحقاق المتناول لما يكون باعتبار زعم الباني او من بناه في الاعتقاد وهو الانسب
بما سياتى يحبون ان يتطهروا من المعاصى والخصال المذمومة لمرضات الله سبحانه وقيل من
الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب المطهرين اى يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه
ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على
باب مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال
عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال عليه السلام اترضون بالقضاء قالوا نعم قال عليه السلام
اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون ورب
الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذى تصنعون
عند الوضوء وعند الغائط فقالوا نتبع الغائط الاحجار الثلاث ثم نتبع الاحجار الماء فتلا
النبى صلى الله عليه وسلم فيه رجال يحبون ان يتطهروا وقرئ ان يطهروا بالادغام وقيل هو
عام في التطهر عن النجاسات كلها وكانوا يتبعون الماء وعن الحسن رضى هو التطهير عن
الذنوب بالتوبة وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن اخرهم افمن اسس
بنيانه بناءه والفعل للفاعل وهو المنصب وقرئ على البناء للمفعول والرفع وقرئ اسس
بنيانه على الاضافة جمع اساس واساس بالفتح والكسر جمع اس وقرئ اساس بنيانه جمع اسس
واس بنيانه وهى جملة مستانفة مبينة لخيرية الرجال المذكورين من اهل الضرار والهمزة للانكار
والفاء للعطف على مقدر اى ابعد ما علم حالهم من اسس بنيانه ودينه على تقوى من الله
ورضوان اى على قاعدة محكمة هى التقوى من الله وابتغاء مرضاته بالطاعة والمراد
بالتقوى درجتها الثانية هى التوقى عن كل ما يؤثم من فعل او ترك وقرئ تقوى بالتنوين
على جعل الالف للالحاق دون التانيث خير ام من اسس بنيانه ترك الاضمار للايذان
باختلاف البنيانين ذاتا اختلافهما صفة واضافة على شفا جرف هار الشفا الحرف
والشفير والجرف ما جرفه السيل اى استاصله واحتفر ما تحته فبقى واهيا يريد الانهدام
والهار الهائر المتصدع المشرف الى السقوط من هار يهور ويهار او هار يهير وقدم

لانه على عينه نعار كعنان ودام وقيل هو من عينه اهباطا اى ثم وجب مجرى وجوه الاعراب عليه
فانهار به في نار جهنم مثل ما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس بما ذكر ثم رشح بانهياره
في النار ووضع بمقابلة الرضوان تنبيها على ان تاسيس ذلك على امر يحفظه من النار ويوصله الى
الرضوان ومقتضياته التي ادناها الجنة وتاسيس هذا على ما هو بصدد الوقوع في النار ساعة فساعة
ثم مصيرهم اليها لا محالة وقرئ جرف بسكون الراء والله لا يهدي القوم الظالمين اى لانفسهم
او الواضعين للاشياء في غير مواضعها اى لا يرشدهم الى ما فيه نجاتهم وصلاحهم ارشادا موجبا له
لا محالة واما الدلالة على ما يرشدهم اليه ان استرشدوا به فهو متحقق بلا اشتباه لا يزال بنيانهم
الذي بنوا البنيان مصدر اريد به المفعول ووصفه بالموصول الذي صلته فعله للايذان بكيفية بنائهم
له وتاسيسه على اوهن قاعدة واوهى اساس وللاشعار بعلة الحكم اى لا يزال ذلك مبنيا ومهدوما
ريبة في قلوبهم اى سبب ريبة وشك في الدين كانه نفس الريبة اما حال بنائه فظاهر لما ان اعتزالهم
من المؤمنين واجتماعهم في مجمع على حيالهم يظهرون فيه ما في قلوبهم من اثار الكفر والنفاق
ويدبرون فيه امورهم ويتشاورون في ذلك ويلقي بعضهم الى بعض ما سمعوا من اسرار المؤمنين
مما يزيدهم ريبة وشكا في الدين واما حال هدمه فلما انه رسخ به ما كان في قلوبهم من الشر وضاعف
اثاره واحكامه او سبب ريبة في امرهم حيث ضعفت قلوبهم من اعتقادهم بخفاء امرهم على المؤمنين
لانهم اظهروا لمن امرهم بعد البناء اكثر مما كانوا يظهرونه قبل ذلك ووقت اختلاطهم بالمؤمنين
وساءت ظنونهم بانفسهم فلما هدم بنيانهم تضاعف ذلك الضعف وتقوى وصاروا
مرتابين في ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يتركهم على ما كانوا عليه من قبل او يامر بقتلهم ونهب
اموالهم وقال الكلبي يعني حسرة وندامة وقال السدي وحبيب والمبرد لا يزال هدم
بنيانهم حزازة وغيظا في قلوبهم الا ان تقطع من التفعل بحذف احدى التائين اى الا
ان تتقطع قلوبهم قطعا وتتفرق اجزاء بحيث لا يبقى لها قابلية ادراك واضمار قطعا
وهو استثناء من اعم الاوقات او اعم الاحوال ومحله النصب على الظرفية اى لا يزال بنيانهم
ريبة في كل الاوقات او كل الاحوال الا وقت تقطع قلوبهم او حال تقطع قلوبهم فحينئذ يسلون
عنها واما ما دامت سالمة فالريبة باقية فيها فهو تصوير لامتناع زوال الريبة عن قلوبهم
ويجوز ان يكون المراد حقيقة تقطعها عند قتلهم او في القبور او في النار وقرئ تقطع على
بناء المجهول من التفعيل وعلى البناء للفاعل منه على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم اى الا ان
تقطع انت قلوبهم بالقتل وقرئ على البناء للمجهول من الثلاثي مذكرا ومؤنثا وقرئ الى
ان تقطع قلوبهم والى ان تقطع قلوبهم على الخطاب وقرئ ولو قطعت قلوبهم على اسناد
الفعل مجهولا الى قلوبهم ولو قطعت قلوبهم على الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل
احد ممن يصلح للخطاب وقيل الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما على تفريطهم والله
عليم بجميع الاشياء التي من جملتها ما ذكر من احوالهم حكيم في جميع افعاله التي من جملتها
امره الوارد في حقهم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم ترغيب للمؤمنين في الجهاد
ببيان فضيلته اثر بيان حال المتخلفين عنه ولقد بولغ في ذلك على وجه لا مزيد عليه حيث عبر
عن قبول الله تعالى من المؤمنين انفسهم واموالهم التي بذلوها في سبيله تعالى واثابته

اياهم بمقابلتها الجنة بالشراء على طريقة الاستعارة التبعية ثم جعل المبيع الذي هو
العمدة والمقصد في العقد انفس المؤمنين واموالهم الذي هو الوسيلة في الصفقة الجنة
ولم يجعل الامر على العكس بان يقال ان الله باع الجنة من المؤمنين بانفسهم واموالهم ليدل
على ان المقصد في العقد هو الجنة وما بذله المؤمنون في مقابلتها من الانفس والاموال
وسيلة اليها ايذانا بتعلق كمال العناية بهم وباموالهم ثم انه لم يقل بالجنة بل قيل بان
لهم الجنة مبالغة في تقرر وصول الثمن اليهم واختصاصه بهم كانه قيل بالجنة الثابتة
لهم المختصة بهم واما ما يقال من ان ذلك لمدح المؤمنين بانهم بذلوا انفسهم واموالهم بمجرد
الوعد لكمال ثقتهم بوعده تعالى وان تمام الاستعارة موقوف على ذلك اذ لو قيل بالجنة
لاحتمل كون الشراء حقيقة لانها صالحة للعوضية بخلاف الوعد بها فليس بشيء لان مناط دلالة
ما عليه النظم الكريم على الوعد ليس كونه جملة ظرفية مصدرة بان فان ذلك بمعزل من
الدلالة على الاستقبال بل هو الجنة التي يستحيل وجودها في الدنيا ولو سلم ذلك يكون
العوض الجنة الموعود بها لا الوعد بها يقاتلون في سبيل الله استئناف لكن لا
بيانا لما لاجله الشراء ولا لبيان نفس الاشتراء لان قتالهم في سبيل الله تعالى ليس باشتراء
الله تعالى منهم انفسهم واموالهم بل بذلهما في ذلك بل لبيان البيع الذي يستدعيه
الاشتراء المذكور كانه قيل كيف يبيعون انفسهم واموالهم بالجنة فقيل يقاتلون في سبيل الله
وهو بذل منهم لانفسهم واموالهم الى جهة الله سبحانه وتعريض لهما للهلاك وقوله تعالى فيقتلون
ويقتلون بيان لكون القتال في سبيل الله بذلا للنفس وان المقاتل في سبيله باذل
لها وان كانت سالمة غانمة فان الاسناد في الفعلين ليس بطريق اشتراط الجمع بينهما ولا
اشتراط الاتصاف باحدهما البتة بل بطريق وصف الكل بحال البعض فانه يتحقق القتال من الكل
سواء وجد الفعلان او احدهما منهم او من بعضهم بل يتحقق ذلك وان لم يصدر منهم احدهما ايضا
كما اذا وجدت المضاربة ولم يوجد القتل من احد الجانبين او لم توجد المضاربة ايضا فانه يتحقق
الجهاد بمجرد العزيمة والنفير وتكثير السواد وتقديم حالة القاتلية على حالة المقتولية للايذان
بعدم الفرق بينهما في كونهما مصداقا لكون القتال بذلا للنفس وقرئ بتقديم المبني للمفعول
رعاية لكون الشهادة عريقة في الباب وايذانا بعدم مبالاتهم بالموت في سبيل الله تعالى
بل بكونه احب اليهم من السلامة كما قيل في حقهم ۞ لا يفرحون اذا نالت رماحهم ۞ ۞
قوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا ۞ لا يقع الطعن الا في نحورهم ۞ وما لهم عن حياض الموت تهليل
وقيل في يقاتلون الخ معنى الامر كما في قوله تعالى تجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم
وعدا عليه مصدر مؤكد لما يدل عليه كون الثمن مؤجلا حقا نعت للوعد اي الظرف حال
منه لانه لو تاخر لكان صفة له وقوله تعالى في التوراة والانجيل والقرآن متعلق
بمحذوف وقع صفة لوعدا اي وعدا مثبتا في التوراة والانجيل كما هو مثبت في القرآن ومن
اوفى بعهده من الله اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من حقية الوعد على نهج المبالغة في
كونه سبحانه اوفى بالعهد من كل واف فان اخلاف الميعاد مما لا يكاد يصدر عن كرام الخلق
مع امكان صدوره عنهم فكيف بجناب الخلاق الغني عن العالمين جل جلاله وسبك

التركيب وان كان على انكار ان يكون احد اوفى بالعهد منه سبحانه من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها
لكن المقصود به قصدا مطردا انكار المساواة ونفيها قطعا فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل منه
فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل فاستبشروا التفات الى الخطاب تشريفا
لهم على تشريف وزيادة لسرورهم على سرور والاستبشار اظهار السرور والسين فيه ليس للطلب كاستوقد
واوقد والفاء لترتيب الاستبشار او الامر به على ما قبله اى فاذا كان كذلك فسروا نهاية السرور وافرحوا
غاية الفرح بما فزتم به من الجنة وانما قيل ببيعكم مع ان الابتهاج به باعتبار ادائه الى الجنة لان المراد
ترغيبهم في الجهاد الذي عبر عنه بالبيع وانما لم يذكر العقد بعنوان الشراء لان ذلك من قبل
الله سبحانه لا من قبلهم والترغيب انما يكون فيما يتم من قبلهم وقوله تعالى الذي بايعتم به
لزيادة تقريرهم والاشعار بكونه مغايرا لسائر البياعات فانه بيع للفاني بالباقي ولان كلا
البدلين له سبحانه وتعالى عن الحسن رضي الله عنه انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها روي ان الانصار
لما بايعوه عليه السلام على العقبة قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال عليه السلام
اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم
قال فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر برسول الله صلى الله
عليه وسلم اعرابي وهو يقرأها قال كلام من قال كلام الله قال بيع والله مربح لا نقيله ولا
نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد وذلك اى الجنة التي جعلت ثمنا بمقابلة ما بذلوا
من انفسهم واموالهم هو الفوز العظيم الذي لا فوز اعظم منه وما في ذلك من معنى
البعد اشارة الى بعد منزلة المشار اليه وسمو رتبته في الكمال ويجوز ان يكون ذلك اشارة
الى البيع الذي امروا بالاستبشار به ويجعل ذلك كانه نفس الفوز العظيم او يجعل فوزا
في نفسه فالجملة على الاول تذييل للآية الكريمة وعلى الثاني لقوله تعالى فاستبشروا واما
لصفوتهم التائبون رفع على المدح اى هم التائبون يعني المومنين المذكورين كما يدل
عليه القراءة بالياء نصبا على المدح ويجوز ان يكون مجرورا على انه صفة للمومنين وقد جوز الرفع
على الابتداء والخبر محذوف اى التائبون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله تعالى
وكلا وعد الله الحسنى ويجوز ان يكون خبره قوله تعالى العابدون وما بعده خبر
بعد خبر اى التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه النعوت الفاضلة اى المخلصون
في عبادة الله تعالى الحامدون لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء السائحون الصائمون
لقوله عليه السلام سياحة امتي الصوم شبه بها لانه عائق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية
يتوسل بها الى العثور على خفايا الملك والملكوت وقيل هم السائحون في الجهاد وطلب العلم
الراكعون الساجدون في الصلاة الآمرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون
عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعطف للدلالة على انه ما متعاطفين بمنزلة خصلة
واحدة واما قوله تعالى والحافظون لحدود الله اى فيما بينه وعينه من الحقائق
والشرائع عملا وحملا للناس عليه فللايذان باختصاصه باحد الجهتين وبشر
المومنين اى الموصوفين بالنعوت المذكورة ووضع المومنين موضع ضميرهم على ان ملاك
الامر هو الايمان وان المومن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للايذان

بحيث يخاطبهم عن ضد البيان فان في تخصيص الخطاب بالاول ليعلم الاظهار زيادة اعتناء بامرهم
الترغيب والتسلية ما كان للنبي والذين آمنوا اى ما صح لهم في حكم الله تعالى وحكمته وما
استقام ان يستغفروا للمشركين به سبحانه ولو كانوا اى المشركون اولي قربى اى ذوي قرابة
لهم وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة اخرى قبلها محذوفة حذفا
مطردا كما بين في قوله تعالى ولو كره الكافرون ونظائره روي انه عليه السلام قال لعمه ابي طالب لما
حضرته الوفاة يا عم قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى فقال عليه السلام لا ازال استغفر لك ما لم
انه عنه وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال اني استاذنت ربي
في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي وانزل علي الآيتين
من بعد ما تبين لهم اى للنبي عليه السلام والمومنين انهم اى المشركين اصحاب الجحيم بان ماتوا
على الكفر او نزل الوحي بانهم يموتون على ذلك وما كان استغفار ابراهيم لابيه بقوله
واغفر لابي بان توفقه للايمان وتهديه اليه كما يلوح به تعليله بقوله انه كان من الضالين
والجملة استيناف مسوق لتقرير ما سبق ودفع ما يتراءى بحسب الظاهر من المخالفة وقرئ
وما يستغفر ابراهيم لابيه على حكاية الحال الماضية وقوله
تعالى الا عن موعدة استثناء مفرغ من اعم العلل اى لم يكن استغفاره عليه السلام لابيه
ناشئا عن شيء من الاشياء الا عن موعدة وعدها ابراهيم عليه السلام اياه اى اباه وقد قرئ
كذلك بقوله لاستغفرن لك وقوله ساستغفر لك ربي بناء على رجاء ايمانه لعدم تبين
حقيقة امره والا لما وعدها اياه كانه قيل وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة
مبنية على عدم تبين امره كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما تبين له اى لابراهيم بان اوحي اليه بانه
مصر على الكفر غير مومن ابدا او قيل بان مات على الكفر والاول هو الانسب بقوله تعالى
انه عدو لله فان وصفه بالعداوة مما يأباه حالة الموت تبرأ منه اى تنزه عن
الاستغفار له وتجانب كل التجانب وفيه من المبالغة ما ليس في تركه ونظائره ان ابراهيم
لأواه لكثير التأوه وهو كناية عن كمال الرأفة ورقة القلب حليم صبور على الاذية والمحنة
وهو استيناف لبيان ما كان يدعوه عليه السلام الى ما صدر عنه من الاستغفار وفيه ايذان
بان ابراهيم عليه السلام كان اواها حليما فلذلك صدر عنه ما صدر من الاستغفار قبل التبين
فليس لغيره ان يتاسى به في ذلك وتاكيد لوجوب الاجتناب عنه بعد التبين بانه
عليه السلام تبرأ منه بعد التبين وهو في كمال رقة القلب والحلم فلا بد ان يكون غيره اكثر
منه اجتنابا وتبرؤا واما ان الاستغفار قبل التبين لو كان غير محظور لما استثني عن الايتساء
به في قوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك فتحقيقه في سورة مريم باذن الله تعالى
وما كان الله ليضل قوما اى ليس من عادته ان يصفهم بالضلال عن طريق الحق ويجري عليهم
احكامه بعد اذ هداهم للاسلام حتى يبين لهم بالوحي صريحا او دلالة ما يتقون اى
ما يجب اتقاؤه من محظورات الدين فلا ينزجروا عما نهوا عنه واما قبل ذلك فلا يسمى ما
صدر عنهم ضلالا ولا يؤاخذون به وفيه تسلية للذين استغفروا للمشركين قبل ذلك وفيه
دليل على ان الغافل غير مكلف بما لا يستبد بمعرفته العقل ان الله بكل شيء عليم تعليل

لما سبق اي ان الله تعالى عليم بجميع الاشياء التي من جملتها حاجتهم الى بيان ما لا يستقل العقل في معرفته
فيبينه لهم ذلك ثم نقل هنا ان الله له ملك السموات والارض من غير شريك له فيه يحيي
ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لما نهاهم من الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي
قربى وتضمن ذلك البراءة منهم بالكلية بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولي امورهم والغالب عليه
ولا تاتي لهم نصرة الا من جهته تعالى ليتوجهوا اليه بشراشرهم متبرئين عما سواه حتى لا يبقى لهم مقصود الا
اياه لقد تاب الله على النبي قال ابن عباس رضي الله عنه هو العفو عن اذنه للمنافقين في التخلف عنه والمهاجرين على النبي
والانصار قيل هو في حق زلات سبقت منهم يوم احد ويوم حنين وقيل المراد بيان فضل التوبة
وانه ما من مؤمن الا وهو محتاج اليها حتى النبي صلى الله عليه وسلم لما صدر عنه في بعض الاحوال من ترك
الاولى الذين اتبعوه ولم يتخلفوا عنه ولم يخلوا بامر من اموره في ساعة العسرة اي في وقتها
والتعبير عنه بالساعة لزيادة تعيينه وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب عشرة
على بعير واحد ومن الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة
الى ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء المتغير وفي عسرة من الماء حتى نحروا
الابل واعتصروا فروثها وفي شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة
ووصف المهاجرين والانصار بما ذكر من اتباعهم له صلى الله عليه وسلم في مثل هاتيك المراتب من الشدة
للمبالغة في بيان الحاجة الى التوبة فان ذلك حيث لم يغنهم عنها فلان لا يستغني عنها غيرهم اولى واحرى
من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم بيان لتناهي الشدة وبلوغها الى ما لا غاية وراءها وهو
اشراف بعضهم على ان يميلوا الى التخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم
الراجع اليه الضمير في منهم وقرئ بالياء لتغليب الفعل وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني
المتخلفين من المؤمنين كابي لبابة واضرابه ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد وتنبيه على انه تاب
عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة والمراد انه تاب عليهم لمكابدتهم انه بهم رؤوف رحيم
استئناف تعليلي فان صفة الرافة والرحمة من دواعي التوبة والعفو ويجوز كون الاول عبارة عن
ازالة الضرر والثاني عن ايصال المنفعة وان يكون احدهما للسوابق والاخر للواحق وعلى الثلاثة
الذين خلفوا اي وتاب الله على الثلاثة الذين اخر امرهم عن امر ابي لبابة واصحابه حيث لم يقبل
معذرتهم مثل اولئك ولا ردت ولم يقطع في شانهم بشيء الى ان نزل فيهم الوحي وهم كعب بن
مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية وقيل خلفوا اي خلفوا الغازين بالمدينة او فسدوا
من الخالفة وخلوف الفم وقرئ خلفوا وقرئ على المخلفين والاول هو الانسب لان قوله
تعالى حتى اذا ضاقت عليهم الارض غاية للتخليف ولا يناسبه الا المعنى الاول اي خلفوا واخر
امرهم الى ان ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي برحبها وسعتها لاعراض الناس عنهم وانقطاعهم
عن مفاوضتهم وهو مثل لشدة الحيرة كانه لا يستقر به قرار ولا تطمئن له دار وضاقت عليهم
انفسهم اي اذا رجعوا الى انفسهم لا يطمئنون بها لعدم الانس والسرور واستيلاء الوحشة
والحيرة وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه اي علموا ان لا ملجا من سخطه تعالى الا الى الاستغفار
ثم تاب عليهم اي وفقهم للتوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم ليصيروا من جملة التائبين او رجع عليهم
بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ان الله هو التواب [illegible] البالغ

في قبول التوبة كما وكيفا وان كثرت الجنايات وعظمت الرحيم المتفضل عليهم بفنون الالاء مع
استحقاقهم لافانين العقاب روي ان ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عليه السلام عن الحسن رحمه الله انه قال بلغني انه كان لاحدهم حائط كان
خيرا من مائة الف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني الا ظلالك وانتظار ثمارك اذهب فانت في سبيل الله
ولم يكن لاخر الا اهله فقال يا اهلاه ما بطاني ولا خلفني الا الضن بك فلا جرم والله لاكابدن
الشدائد حتى الحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فتأبط زاده ولحق به عليه السلام قال الحسن رحمه الله كذلك
والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن ابي ذر الغفاري ان بعيره ابطا به فحمل متاعه
على ظهره واتبع اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام لما رأى سواده كن ابا ذر فقال
الناس هو ذاك فقال عليه السلام رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وعن
ابي خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امراة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه
الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامراة حسناء ورسول
الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكان
ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق به عليه الصلاة والسلام
منهم الثلاثة قال كعب لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعد ما
ذكرني وقال يا ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه والنظر في عطفيه
قال عليه السلام معاذ الله ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم
يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن
فلما تمت خمسون ليلة فاذا انا بنداء من ذروة سلع ابشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا
وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وتتابعت
البشارة فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو جالس في المسجد وحوله
المسلمون فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله عليك
فلن انساها لطلحة رضي الله عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يستنير استنارة القمر ابشر يا
كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الاية وعن ابي بكر الوراق انه سئل
عن التوبة النصوح ان تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك
وصاحبيه يا ايها الذين امنوا خطاب عام يندرج فيه التائبون اندراجا اوليا وقيل لمن
تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك خاصة اتقوا الله في كل ما تاتون وما تذرون فيدخل
فيه المعاملة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر المغازي دخولا اوليا وكونوا مع الصادقين
في ايمانهم وعهودهم او في دين الله نية وقولا وعملا او في كل شان من الشؤون فيدخل فيه
ذلك [illegible] وثباتهم فيكون المراد بهم هؤلاء الثلاثة واضرابهم وعن ابن عباس رضي الله عنه انه خطاب
لمن امن من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين والانصار وانتظموا في سلكهم في الصدق
وسائر المحاسن وقرئ من الصادقين ما كان لاهل المدينة اي ما صح وما استقام لهم ومن
حولهم من الاعراب كمزينة وجهينة واشجع وغفار واضرابهم ان يتخلفوا عن رسول الله

عند توجهه صلى الله عليه وسلم الى الغزو ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه اى لا
يصرفوها عن نفسه الكريمة ولا يصونوها عما لم يصن عنه نفسه بل يكابدوا معه ما يكابده من
الاهوال والخطوب والكلام فى معنى النهى وان كان على صورة الخبر ذلك اشارة الى ما دل
عليه الكلام من وجوب المشايعة بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ اى عطش يسير ولا نصب
ولا تعب ما ولا مخمصة اى مجاعة ما لانه لا يستباح عنده المخافات من رواياتها فان الظماء والنصب
اليسيرين حين لم يخلوا من الثواب فلأن لا يخلوا ذلك الشديدة اولى فلا حاجة الى تاكيد النفى بتكرير كلمة
لا فيجوز اندراجهما تحت المنبه ويكون الترتيب بناء على كثرة الوقوع وقلته فان الظماء اكثر وقوعا
من النصب الذى هو اكثر وقوعا من المخمصة بالمعنى المذكور وتوسيط كلمة لا ليس لتاكيد النفى بل
للدلالة على استقلال كل واحد منها بالفضيلة والاعتداد به فى سبيل الله اى فى الجهاد ولا
يطؤن موطئا يغيظ الكفار اى لا يدوسون بارجلهم وحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم
دوسا او مكانا يغيظهم ولا ينالون من عدو نيلا مصدر كالقتل والاسر والنهب او مفعول اى شيئا
ينال من قبلهم الا كتب لهم به اى بكل واحد من الامور المعدودة عمل صالح وحسن قبول
مستوجبة لحكم الوعد الكريم للثواب الجزيل وقيل الأولى والانسب التفخيم وكون المكتوب عين ما
فعلوا من الامور لا يمنع دخول الباء وان اختلف العنوان كما فى ذلك ان الله لا يضيع اجر
المحسنين تعليل لما سلف من الكتب والمراد بالمحسنين اما المحدث عنهم ووضع المظهر
مقام المضمر لمدحهم بالشهادة عليهم بالانتظام فى سلك المحسنين وان اعمالهم من قبيل الاحسان
وللاشعار بعلية المأخذ للحكم واما جنس المحسنين وهم داخلون فيه دخولا اوليا ولا ينفقون
نفقة صغيرة ولو تمرة او علاقة سوط ولا كبيرة كما انفق عثمان رضى والترتيب باعتبار ما ذكر
من كثرة الوقوع وقلته وتوسيط لا للتنصيص على استبداد كل منهما بالكتب والجزاء لا لتاكيد
النفى كما فى قوله عز وجل ولا يقطعون واديا اى لا يجاوزون فى سيرهم واديا وهو فى الاصل
منفرج ما بين الجبال والآكام يكون منفذا للسيل اسم فاعل من ودى اذا سال ثم شاع فى الارض
على الاطلاق الا كتب لهم اى اثبت لهم ذلك الذى فعلوه من الانفاق والقطع ليجزيهم الله
بذلك احسن ما كانوا يعملون احسن جزاء اعمالهم او جزاء احسن اعمالهم وما كان
المؤمنون لينفروا كافة اى ما صح وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو او طلب علم
كما لا يستقيم لهم ان يثبطوا جميعا فان ذلك مخل بامر المعاش فلولا نفر فهلا نفر من
كل فرقة اى طائفة كبيرة منهم كاهل بلدة او قبيلة عظيمة طائفة اى جماعة قليلة
ليتفقهوا فى الدين اى ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا
قومهم اى وليجعلوا غاية سعيهم ومرمى غرضهم من ذلك ارشاد القوم وانذارهم اذا رجعوا
اليهم وتخصيصه بالذكر لاهتمام وفيه دليل على ان التفقه فى الدين من فروض الكفاية وان
يكون غرض المتعلم الاستقامة والاقامة لا الترفع على العباد والتبسط فى البلاد كما هو ديدن
ابناء الزمان والله المستعان لعلهم يحذرون عما ينذرون واستدل به على ان اخبار
الآحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضى ان ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها
كى يتذكروا او يحذروا فلو لم يعتبر الاخبار ما لم يتواتر لم يفد ذلك وقد قيل للآية وجه آخر هو ان

المؤمنين لما سمعوا ما نزل فى المتخلفين سارعوا الى النفير رغبة ورهبة وانقطعوا عن التفقه فامروا
ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذى هو الجهاد
الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فالضمير فى ليتفقهوا ولينذروا للبواقى
من الفرق اى ولينذر البواقى قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بعد الطوائف النافرة
للغزو وفى كذا ويحيطوا اليهم بما حصلوا فى ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين آمنوا قاتلوا
الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر عليه السلام اولا بانذار
عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح قيل هم اليهود حوالى المدينة كبنى قريظة
والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة بالنسبة الى
العراق وغيره وليجدوا فيكم غلظة اى شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين كسخط
وبضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان الله مع المتقين بالعصمة والنصرة والمراد بهم اما
المخاطبون ووضع الظاهر موضع الضمير للتنصيص على ان الايمان والقتال على الوجه المذكور من
باب التقوى والشهادة بكونهم من زمرة المتقين واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا
والمراد بالمعية الولاية الدائمة وتذكيرهم دخولا مع المسبوح فى قوله تعالى ان الله معنا
واذا ما انزلت سورة من سور القرآن فمنهم اى من المنافقين من يقول لاخوانه ليثبتهم
على النفاق او لعوام المؤمنين وضعفائهم ليصدهم عن الايمان ايكم زادته هذه السورة
ايمانا وقرئ بنصب ايكم على تقدير فعل يفسره المذكور اى ايكم زادت زادته هذه الخ وايراد الزيادة
مع انه لا ايمان فيهم اصلا باعتبار اعتقاد المؤمنين حسبما نطق به قوله تعالى انما المؤمنون
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا فاما الذين آمنوا
جواب من جهته سبحانه وتعالى وتحقيق للحق وتعيين لحالهم عاجلا وآجلا اى فاما الذين
آمنوا بالله تعالى وبما جاء من عنده فزادتهم ايمانا بزيادة العلم اليقينى الحاصل من التدبر
فيها والوقوف على ما فيها من الحقائق وانضمام ايمانهم بها بايمانهم السابق وهم
يستبشرون بنزولها وبما فيها من المنافع الدينية والدنيوية واما الذين فى قلوبهم مرض
اى كفر وسوء عقيدة فزادتهم رجسا الى رجسهم اى كفرا بها مضموما الى كفرهم بغيرها وعقائد
باطلة واخلاقا ذميمة كذلك وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك الى ان يموتوا
عليه اولا يرون الهمزة للانكار والتوبيخ والواو للعطف على مقدر اى لا ينظرون ولا يرون
انهم اى المنافقين يفتنون يبتلون فى كل عام من الاعوام مرة او مرتين والمراد مجرد التكثير
لا بيان الوقوع حسب العدد المذكور اى يبتلون بافانين البليات من المرض والشدة وما يذكر
الذنوب والوقوف بين يدى رب العزة المؤدى الى الايمان به تعالى او بالجهاد مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيعاينون ما ينزل عليه من الآيات لا سيما القوارع الزائدة للايمان الناعية عليهم
ما فيهم من القبائح المخزية لهم ثم لا يتوبون عطف على يرون داخل تحت الانكار والتوبيخ وكذا
قوله تعالى ولا هم يذكرون والمعنى اولا يرون افتتانهم الموجب لايمانهم ثم لا يتوبون عما هم عليه
من النفاق ولا هم يتذكرون بتلك الفتن الموجبة للتذكر والتوبة وقرئ بالتاء والخطاب
للمؤمنين والهمزة للتعجب اى الا تنظروا ولا ترون احوالهم العجيبة التى هى افتتانهم على وجه

التابع وعدم التنبيه لذلك فقوله تعالى ثم لا يتوبون وما عطف عليه معطوف على يفتنون
وإذا ما أنزلت سورة بيان لأحوالهم عند نزولها وهم في محفل تبليغ الوحي كما أن الأول
بيان لمقالاتهم وهم غائبون عنه نظر بعضهم إلى بعض تغامزوا بالعيون إنكاراً لها
أو سخرية بها أو غيظاً لما فيها من مخازيهم هل يراكم من أحد أي قائلين هل يراكم أحد من
المسلمين لننصرف مظهرين أنهم لا يصطبرون على استماعها ويغلب عليهم الضحك فيفتضحون أو
ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لواذاً يقولون هل يراكم من أحد إذا قمتم من المجلس
وإيراد ضمير الخطاب لبعث المخاطبين على الجد في انتهاز الفرصة فإن المرء بشأنه أكثر اهتماماً
منه بشأن أصحابه كما في قوله تعالى وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً وقيل المعنى وإذا ما
أنزلت سورة في عيوب المنافقين ثم انصرفوا عطف على نظر بعضهم والتراخي باعتبار وجدان
الفرصة والوقوف على عدم رؤية أحد من المؤمنين أي انصرفوا جميعاً عن محفل الوحي خوفاً
من الافتضاح أو غير ذلك صرف الله قلوبهم أي عن الإيمان حسب انصرافهم عن
المجلس والجملة إخبارية أو دعائية بأنهم أي بسبب أنهم قوم لا يفقهون لسوء الفهم
أو لعدم التدبر لقد جاءكم الخطاب للعرب رسول أي رسول عظيم الشأن من
أنفسكم من جنسكم عربي قرشي مثلكم وقرئ بفتح الفاء أي أشرفكم وأفضلكم عزيز
عليه ما عنتم أي شاق شديد عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء
العاقبة والوقوع في العذاب وهذا من نتائج ما سلف من المجانسة حريص عليكم في
إيمانكم وصلاح حالكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤوف رحيم قدم الأبلغ منهما
وهو الرأفة التي هي عبارة عن شدة الرحمة محافظة على الفواصل فإن تولوا تلوين للخطاب
وتوجيه له إلى النبي صلى الله عليه وسلم تسلية له أي إن أعرضوا عن الإيمان بك فقل حسبي الله
فإنه يكفيك ويعينك عليهم لا إله إلا هو استئناف مقرر لمضمون ما قبله عليه توكلت
فلا أرجو ولا أخاف إلا منه وهو رب العرش العظيم أي الملك العظيم أو
الجسم الأعظم المحيط الذي تنزل منه الأحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن أبي
أن آخر ما نزل هاتان الآيتان وعنه النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل القرآن
علي إلا آية آية وحرفاً حرفاً ما خلا سورة براءة وسورة قل هو الله أحد فإنهما أنزلتا
علي ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة عليهم السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تفخيم الراء المفتوحة وقرئ بالإمالة إجراء للألف الأصلية مجرى المنقلبة من الياء وقرئ بين بين وهو إما سرد
على نمط التعديد بطريق التحدي على أحد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الإعراب
وإما اسم للسورة كما عليه إطباق الأكثر فمحله الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي هذه السورة
مسماة بالر وهو الأظهر الرفع كالنسبة المتحصلة من اثنتي عشرة ثم تحصل كل من ذلك من تلك
يقينا متحصل من ذلك سبع وعشرون ساعة ... احصائية [illegible]

والتفتيح وقيل ليس فيه التفات بل معنى قوله تعالى حتى إذا كنتم في الفلك إذا كان بعضكم فيها إذ الخطاب
للكل ومنهم المسيرون في البر والضمير الغائب عائد إلى ذلك البعض فالمعنى كما في قوله تعالى أو كظلمات
في بحر لجي يغشاه موج وجرين بهم بريح طيبة لينة الهبوب موافقة لمقصدهم وفرحوا بها بتلك الريح لطيبها وموافقتها
جاءتها جواب إذا والضمير المنصوب للريح الطيبة أي تلقتها واستولت عليها من مخالفتها فإن
الهبوب على وفقها لا يسمى مجيئاً لريح أخرى عادة بل هو اشتداد للريح الأولى وقيل للفلك والأول
أظهر لاستلزامه للثاني من غير عكس لأن الهبوب على طريقة الريح اللينة يعد مجيئاً بالنسبة إلى الفلك
دون الريح اللينة مع أنه لا يستتبع تلاطم الأمواج الموجب لمجيئهم من كل مكان ولأن التهويل في بيان استيلاء
ما وقعوا فيه وتعلقوا بحبال رجائهم أكثر ريح عاصف أي ذات عصف وقيل العصوف مختص
بالريح فلا حاجة إلى الفارق وقيل الريح مذكر وجاءهم الموج في الفلك من كل مكان أي من
أمكنة مجيء الموج عادة ولا يعهد مجيئه من جميع الجوانب أيضاً إذ لا يجب أن يكون مجيئه من جهة هبوب الريح
فقط بل قد يكون من غيرها بحسب أسباب تقتضيه وظنوا أنهم أحيط بهم أي هلكوا فإن ذلك
مثل في الهلاك وأصله إحاطة العدو بالحي أو سدت عليهم مسالك الخلاص دعوا الله بدل من ظنوا بدل
اشتمال لما بينهما من الملابسة والتلازم أو استئناف مبني على سؤال ينساق إليه الأذهان كأنه قيل فماذا
صنعوا فقيل دعوا الله مخلصين له الدين من غير أن يشركوا به من آلهتهم لا مخصصين الدعاء به
تعالى فقط بل العبادة أيضاً فإنهم بمجرد تخصيص الدعاء به تعالى لا يكونون مخلصين له الدين لئن
أنجيتنا اللام موطئة للقسم على إرادة القول أي قائلين والله لئن أنجيتنا من هذه الورطة
لنكونن ألبتة بعد ذلك أبداً من الشاكرين لنعمك التي من جملتها هذه النعمة المسؤولة وقيل الجملة مفعول
دعوا لأن الدعاء من قبيل القول وإن الأول هو الأولى لاستدعاء الثاني لاقتصار دعائهم على ذلك
فقط وفي قوله لنكونن من الشاكرين من المبالغة الدالة على كونهم ثابتين في الشكر مثابرين عليه منتظمين في
سلك المنعوتين بالشكر الراسخين فيه ما ليس في أن يقال لنشكرن فلما أنجاهم مما غشيهم من الكربة
والفاء للدلالة على سرعة الإجابة إذا هم يبغون في الأرض أي فاجؤوا الفساد فيها وسارعوا إليه
مترامين في ذلك متجاوزين عما كانوا عليه من حدود العبث من قولهم بغى الجرح إذا ترامى في الفساد
وزيادة في الأرض للدلالة على شمول بغيهم لأقطارها وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار
وقوله تعالى بغير الحق تأكيد لما يفيده البغي أو معناه أنه بغير الحق عندهم أيضاً بأن يكون ذلك ظلماً
ظاهراً لا يخفى قبحه على أحد كما في قوله تعالى ويقتلون النبيين بغير الحق وأما ما قيل إنه للاحتراز عن البغي
بحق كتخريب الغزاة ديار الكفرة وقطع أشجارهم وإحراق زروعهم فلا يساعده النظم الكريم لابتنائه
على كون البغي بمعنى إفساد صورة الشيء وإبطال منفعته دون ما ذكر من المعنى اللائق بحال المفسدين
يا أيها الناس توجيه للخطاب إلى أولئك الباغين للتشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد إنما
بغيكم الذي تتعاطونه وهو مبتدأ وقوله تعالى على أنفسكم خبره أي عليكم في الحقيقة لا على الذين
تبغون عليهم وإن ظن كذلك وقوله تعالى متاع الحياة الدنيا بيان لكون ما فيه من المنفعة العاجلة
شيئاً غير معتد به سريع الزوال دائم الوبال وهو نصب على أنه مصدر مؤكد لفعل مقدر بطريق الاستئناف
أي تتمتعون متاع الحياة الدنيا وقيل على أنه مصدر وقع موقع الحال أي متمتعين بالحياة الدنيا
ولا عامل له الاستقرار الذي في الخبر لا نفس البغي لأنه يؤدي إلى الفصل بين المصدر ومعموله بالخبر

ولا يجوز عن الموصول الابعد تمام صلته وان جعل خبرا فليس في تقييد كون بغيهم على انفسهم بحال تمتعهم بالحيوة
الدنيا معنى يعتد به وقيل انه ظرف زمان نحو مقدم الحاج اى زمن متاع الحيوة الدنيا وفيه ما مر بعينه وقيل على
انه مفعول لفعل دل عليه المصدر اى تبغون متاع الحيوة الدنيا ولا يخفى انه لا يليق على البغي بمعنى الطلب وجعل
المصدر ايضا بمعناه مما يخل بجزالة النظم الكريم لان الاستيناف لبيان سوء عاقبة ما حكى عنهم من البغي المفسر
بالافساد المفرط اللائق بحالهم فاى مناسبة بينه وبين البغي بمعنى الطلب وجعل الاول ايضا بمعناه مما يجب
تنزيه ساحة التنزيل عنه وقيل على انه مفعول له اى لاجل متاع الحيوة الدنيا والعامل ما ذكر من الاستقرار
وفيه ان المعلل بما ذكر نفس البغي لا كونه على انفسهم وقيل العامل فيه فعل مدلول عليه بالمصدر اى تبغون
لاجل متاع الحيوة الدنيا على ان الجملة مستانفة وقيل على انه مفعول صريح للمصدر وعلى انفسكم ظرف لغو
متعلق به فالمراد بالانفس الجنس والخبر محذوف لطول الكلام والتقدير انما بغيكم على ابناء جنسكم متاع
الحيوة الدنيا محذور او ظاهر الفساد ونحو ذلك وفيه ما مر من ابتنائه على ما لا يليق بالمقام من كون
البغي بمعنى الطلب نعم لو جعل نصبه على العلة اى انما بغيكم على ابناء جنسكم لاجل متاع الحيوة الدنيا محذور
اختل تقسيم تقيد او وجه في الجملة لكن الحق الذى يقتضيه جزالة التنزيل انما هو الاول وقرئ متاع
بالرفع على انه الخبر والظرف صلة للمصدر او خبر ثان او خبر لمبتدأ محذوف اى هو متاع الحيوة فلا تلبث
عن قليل الا ساعة من نهار ثم الينا مرجعكم اى ثم الينا ما لزمكم ما مراد بانفسكم على الوجه الاول ابناء جنسكم وما غرهم
بذلك هنا لتقريعهم عليهم وحالهم على تلك الجنايات والمتعة المذكورة تحقيقهم ولا محال المهلة على الحقيقة
لان كون بغيهم وبالا عليهم ليس ثابتا عندهم حتى يقتضيه ما حكى عنهم ولم يجزه بعد حتى يجعل من
تتمة الكلام ويجعل كونه متاعا مقصود الافادة على ان عنوان كونه وبالا عليهم قادح في كونه متاعا
فضلا عن كونه مبادى بثبوته للبغاة كما هو المتبادر من السوق واما كون البغي على ابناء الجنس فمعلوم
الثبوت عندهم ومضمون لمبادى التمتع من احسن الكلام وابلغه على الناس في ذلك واما على الوجه
الاخير فلا موجب للعدول عن الحقيقة فان المبتدأ اما نفس البغي او الضمير العائد اليه من حيث هو لا من
حيث كونه وبالا عليهم ولا مسوغ لكون الظرف صلة للمصدر متعديا في وقرئ متاع الحيوة الدنيا اما نصبا
على انه وقد نصب الحيوة مصدر على انه بدل متعلقا بدل الاشتمال وقيل على انه مفعول به لمتاعا اذ لم يكن اختصاصا
على المصدرية لان المصدر المؤكد لا يعمل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمكر ولا تعن ماكرا ولا
تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وقال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه
البغي والنكث والمكر قال تعالى انما بغيكم على انفسكم وما يمكرون الا بانفسهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه
وعنه صلى الله عليه وسلم اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروى
ثنتان يعجلهما الله تعالى في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنهما لو بغى جبل على جبل
لدك الباغي ثم الينا مرجعكم عطف على ما مر من الجملة المستانفة المقدرة كانه قيل تتمتعون متاع الحيوة
الدنيا ثم ترجعون الينا وانما غير السبك الى الجملة الاسمية مع تقديم الجار والمجرور للدلالة على الثبات والقصر
فننبئكم بما كنتم تعملون في الدنيا على الاستمرار من البغي وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن
يتوعده سأخبرك بما فعلت وفيه نكتة خفية مبنية على حكمة ابية وهي ان كل ما يظهر في هذه النشأة من الاعيان
والاعراض فانما يظهر بصورة مغايرة لصورته الحقيقية التي بها يظهر في النشأة الاخرة فان المعاصي سموم
قاتلة وقد برزت في الدنيا بصورة تستحسنها نفوس العصاة وكذا الطاعات مع كونها احسن الاحاسن تظهر

منهم بصورة مكروهة ولذلك قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فالبغي في هذه
النشأة وان برز بصورة تشتهيها البغاة وتستحسنها الغواة لتمتعهم من حيث احداث المال والتشفي من الاعداء
ونحو ذلك لكن ذلك ليس بمتع في الحقيقة بل هو هلاك من حيث لا يحتسبون وانما ذلك عند ابرازه ما كانوا
يعملونه من البغي بصورته الحقيقية المضادة لما كانوا يشاهدونه على تلك الصورة وهو المراد بالتنبئة المذكورة
والله سبحانه اعلم انما مثل الحيوة الدنيا كلام مستانف سيق لبيان شأن الحيوة الدنيا وقصر مدة
التمتع وقرب زمان الرجوع الموعود وقد شبه حالها العجيبة الشأن البديعة المثال المنتظمة لغرابتها
في سلك الامثال في سرعة تقضيها وانصرام نعيمها عقب اقبالها واغترار الناس بها بحال ما على الارض
من انواع النبات في زوال رونقه ونضارته فجاءة وذهابه حطاما لم يبق لها اثر اصلا بعدما كانت
غضة طرية قد التف بعضها ببعض وزينت الارض بالوانها وتقوت بعد ضعفها بحيث طمع الناس فظنوا
انها سلمت من الجوائح وليس المشبه به ما دخله الكاف في قوله عز وجل كماء انزلناه من السماء فاختلط به
نبات الارض بل ما يفهم من الكلام فانه من التشبيه المركب مما يأكل الناس من البقول
والزروع والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها حتى جعلت الارض في تزينها بما عليها من اصناف النبات
واشكالها والوانها المختلفة المونقة اخذت زخرفها على طريقة التمثيل بالعروس التي قد اخذت من
الوان الثياب والزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وقرئ على الاصل وتزينت
كالعليس من غير اعلال والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون
عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا جواب اذا اى ضرب زرعها ما يجتاحه من الافات
والعاهات ليلا او نهارا فجعلناها اى زرعها وسائر ما عليها حصيدا اى شبيها بما حصد من
اصله كأن لم تغن كأن لم يغن زرعها اى لم يلبث والمضاف محذوف للمبالغة وقرئ بتذكير الفعل بالامس اى
فيما قبل بزمان قريب فان الامس مثل في ذلك كانه قيل لم تغن آنفا كذلك اى مثل ذلك التفصيل
البديع نفصل الآيات اى الآيات القرآنية التي من جملتها هذه الآية المنبهة على احوال الحيوة
الدنيا اى نوضحها ونبينها لقوم يتفكرون في تضاعيفها ويقفون على معانيها وتخصيص تفصيلها
بهم لانهم المنتفعون بها ويجوز ان يراد بالآيات ما ذكر في اثناء التمثيل من الكائنات والفاسدات
وبتفصيلها تصريفها على الترتيب المحكي ايجادا واعداما فانها آيات وعلامات يستدل بها من يتفكر
فيها على احوال الحيوة الدنيا حالا ومآلا والله يدعو الى دار السلام ترغيب للناس في الحيوة
الاخروية الباقية اثر ترغيبهم عن الحيوة الدنيوية الفانية اى يدعو الناس جميعا الى دار السلام عن كل
مكروه وآفة وهي الجنة وانما ذكرت بهذا الاسم لذكر الدنيا بما يقابله من كونها موضعا للآفات او الى دار الله
تعالى وتخصيص الاضافة التشريفية بهذا الاسم الكريم للتنبيه على ذلك او الى دار يسلم الله تعالى
والملائكة فيها على من يدخلها او يسلم بعضهم على بعض ويهدي من يشاء هدايته منهم الى صراط
مستقيم موصل اليها وهو الاسلام والتزود بالتقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل
على ان الامر غير الارادة وان من اصر على الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا اى اعمالهم اى عملوها
على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك الحسنى اى المثوبة الحسنى وزيادة اى وما
يزيد على تلك المثوبة تفضلا لقوله عز اسمه ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها

الى سبعماية ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة اللقاء ولا
يرهق وجوههم اى لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة اى اثر هوان وكسوف بال والمعنى لا
يرهقهم ما يرهق اهل النار ولا يرهقهم ما يوجب ذلك من الحزن وسوء الحال والتنكير للتحقير اى شئ
منهما والجملة مستانفة لبيان امنهم من المكاره اثر بيان فوزهم بالمطالب والاتى وان اقتضى الاول
الا انه ذكر اذكارا بما تقدم من اسر تعالى برحمته وتقديم المفعول على الفاعل لما مر من الاهتمام ببيان ان المصون
من الرهق اشرف اعضائهم وللتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة لوروده
فعند وروده عليها يتمكن عندها فضل تمكن ولان في الفاعل ضرب تفصيل كما في قوله تعالى يخرج منهما
اللؤلؤ والمرجان وقوله عز وجل وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين اشارة الى المذكورين
باعتبار اتصافهم بالصفات المذكورة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم و
طبقتهم اى اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجليلة الفائزون بالمثوبات الناجون عن المكاره اصحب
الجنة هم فيها خالدون بلا زوال دائمون بلا انتقاد والذين كسبوا السيئات اى الشرك
والمعاصي وهو مبتدا بتقدير المضاف خبره قوله تعالى جزاء سيئة بمثلها اى جزاء الذين كسبوا السيئات
ان يجازى سيئة واحدة سيئة مثلها لا يزاد عليها كما يزاد في الحسنة وتغيير السبك لما مر من مراعاة ما بين
الفريقين من كمال التنافي والتباين وايراد الكسب للايذان بان ذلك انما هو لسوء صنيعهم
وبسبب جنايتهم على انفسهم او الموصول معطوف على الموصول الاول كانه قيل وللذين كسبوا السيئات
جزاء سيئة بمثلها كقولك في الدار زيد والحجرة عمرو وفيه دلالة على ان المراد بالزيادة الفضل
وترهقهم ذلة اى ذلة عظيمة كما ينبئ عنه التنوين التفخيمي وفي اسناد الرهق الى انفسهم دون وجوههم
ايذان بانها محيطة بهم غاشية لهم جميعا وقرئ يرهقهم بالياء التحتانية ما لهم من الله من عاصم
اى لا يعصمهم احد من سخط الله تعالى وعذابه او ما لهم من عنده تعالى من يعصمهم كما يكون للمؤمنين وفي
نفي العاصم من المبالغة في نفي العصمة ما لا يخفى والجملة مستانفة او حال من ضمير ترهقهم كانما
اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما لفرط سوادها وظلمتها مظلما حال من الليل والعامل
فيه اغشيت لانه العامل في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل
في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرئ قطعا بسكون الطاء وهو طائفة من الليل قال
افتحي الباب فانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم فيجوز كون مظلما صفة له او حالا منه
وقرئ كانما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم والجملة كما قبلها مستانفة او حال من ضمير ترهقهم
اولئك اى الموصوفون بما ذكر من الصفات الذميمة اصحاب النار هم فيها خالدون وحيث كانت
الاية الكريمة في حق الكفار بشهادة السياق والسباق لم يكن فيها تمسك للوعيدية ويوم
نحشرهم كلام مستانف مسوق لبيان بعض اخر من احوالهم الفظيعة وتاخيره في الذكر مع تقدمه
في الوجود على بعض احوالهم المحكية سابقا للايذان باستقلال كل من السابق واللاحق بالاعتبار
ولو روعي الترتيب الخارجي لعد الكل شيئا واحدا كما مر في قصة البقرة ولذلك فصل عما قبله
ويوم منصوب على المفعولية بمضمر اى انذرهم او ذكرهم وضمير نحشرهم لكلا الفريقين الذين
احسنوا والذين كسبوا السيئات لانه المتبادر من قوله تعالى جميعا ومن افراد الفريق الثاني
في الذكر في قوله تعالى ثم نقول للذين اشركوا اى نقول للمشركين من بينهم ولان توبيخهم وتهديدهم

على رؤوس الاشهاد انطق والاخبار بحشر الكل في هول ذلك اليوم ادخل وتخصيص وصف اشراكهم بالذكر في
حيز الصلة من بين سائر ما اكتسبوه من السيئات لابتناء التوبيخ والتقريع عليه مع ما فيه من الايذان
بكونه معظم جناياتهم وعمدة سيئاتهم وقيل للفريق الاخير خاصة فيكون وضع الموصول موضع الضمير
لما ذكر انفا مكانكم نصب على انه في الاصل ظرف لفعل اقيم مقامه لا على انه اسم فعل وحركته
بنائية كما هو راي الفارسي اى الزموا حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تاكيد للضمير المنتقل اليه من عامله لسده
مسده وشركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب على ان الواو بمعنى مع فزيلنا من زلت الشئ عن مكانه ازيله
اى ازلته والتضعيف للتكثير لا للتعدية وقرئ فزايلنا بمعناه نحو كلمته وكالمته وهو معطوف على ما
نقول وايثار صيغة الماضي للدلالة على التحقق المورث لزيادة التوبيخ والتحسير والفاء للدلالة على وقوع
التزييل ومباديه عقيب الخطاب من غير مهلة ايذانا بكمال رخاوة ما بين الفريقين من العلاقة
والوصلة اى فرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا لكن لا من الجانبين
بل من جانب العبدة فقط لعدم احتمال شمول الشركاء للشياطين كما سيجئ فخابت امالهم وانصرمت عرى
اطماعهم وحصل لهم الياس الكلي من حصول ما كانوا يرجونه من جهتهم والحال وان كانت معلومة
لهم من حين الموت والابتلاء بالعذاب لكن هذه المرتبة من اليقين انما حصلت عند المشاهدة
والمشافهة وقيل المراد بالتزييل التفريق الحسي اى فباعدنا بينهم بعد الجمع في الموقف وتبرؤ شركائهم
منهم ومن عبادتهم كما في قوله تعالى اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا فالواو حينئذ في قوله
تعالى وقال شركاؤهم حالية بتقدير كلمة قد اعنى من شرطها او بدونه حسبما عرف لا عاطفة كما في التفسير الاول
لاستدعائها المحاورة المحاضرة المنافية للمباعدة وليس في ترتيب التزييل بهذا المعنى على الامر بلزوم المكان
ما في ترتبه عليه بالمعنى الاول لما للنكتة المذكورة ليصار لاجل رعايتها الى تعسف الترتيب انما يجئ ان
المباعدة بعد المحاورة حتما واما قطع الاقران والعلائق فليس كذلك بل ابتداؤه حاصل من حين الحشر
بل بعضه حاصل قبله ايضا واما الحاصل عند المحاورة اقصاها كما اشير اليه فلا مندوحة عن
تقديمه على التبري لا سيما مع رعاية ما ذكر من النكتة ولو سلم تاخر جميع مراتبه عن المحاورة فمراعاة تلك
النكتة كافية في استدعاء تقديمه عليها ويجوز ان تكون حالية على هذا المعنى ايضا والمراد بالشركاء
قيل الملائكة وعزير والمسيح وغيرهم ممن عبدوه من اولي العلم ففيه تاييد لرجوع الضمير الى الكل
ما كنتم ايانا تعبدون عبارة عن تبريهم من عبادتهم وانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم وشياطينهم
الذين اغووهم لانها الامرة لهم بالاشراك دونهم كقولهم سبحانك انت ولينا من دونهم الاية
وقيل الاصنام ينطقها الله الذي انطق كل شئ فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي
كانوا يتوقعونها فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العليم الخبير ان كنا عن عبادتكم
لغافلين اى عن عبادتكم لنا وترك الظهور للايذان بكمال الغفلة عنها والغفلة عبارة
عن عدم الارتضاء والا فعدم شعور الملائكة بعبادتهم لهم غير ظاهر وهذا يقطع احتمال كون
المراد بالشركاء الشياطين كما قيل فان ارتضاءهم باشراكهم مما لا ريب فيه وان لم يكونوا مجبرين لهم
على ذلك وان مخففة من ان واللام فارقة هنالك اى في ذلك المقام الدهش وفي ذلك الوقت
على استعارة ظرف المكان للزمان تبلوا اى تختبر وتذوق كل نفس مؤمنة كانت او كافرة سعيدة
او شقية ما اسلفت من العمل فتعاين بكنهه مستتبعا لاثاره من نفع او ضر وخير او شر واما

ما عملت من حالها من حين الموت والابتلاء بالعذاب في البرزخ فان حمل وقرئ نبلو بنون العظمة ونصب
كل وابدال ما منه اى نعاملها معاملة من يبلوها ويتعرف احوالها من السعادة والشقاوة باختبار
ما اسلفت من العمل ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء اى العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من
الشر فيكون ما منصوبا بنزع الخافض وقرئ تتلو اى تتبع لان عملها هو الذى يهديها الى طريق
الجنة او الى طريق النار او تقرأ صحيفة اعمالها ما قدمت من خير او شر وردوا الى الله للذين اشركوا
عطف على زيلنا وما عطف عليه وقوله عز وجل هنالك تبلو الخ اعتراض في اثناء الحكاية
مقرر لمضمونها الى الله اى الى جزائه وعقابه مولاهم ربهم الحق اى المتحقق الصادق ربوبيته
لا ما اتخذوه ربا باطلا وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولهم الحمد لله اهل الحمد او على المصدر المؤكد
وضل عنهم وضاع اى ظهر ضياعه وضلاله لا انه كان قبل ذلك غير ضال او ضل في اعتقادهم
ايضا ما كانوا يفترون من ان آلهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها آلهة هذا وقد حمل
الضمير في ردوا على النفوس المدلول عليها بكل نفس على انه معطوف على تبلو وان العدول الى الماضي
للدلالة على التحقق والتقرر وان ايثار صيغة الجمع للايذان بان ردهم الى الله تعالى يكون على طريقة
الاجتماع لا يلائمه التعرض لوصف الحقية في قوله تعالى مولاهم الحق فانه للتعريض بالمردودين
حسبما اشير اليه وان اكتفى فيه بالتعريض ببعضهم او حمل الحق على معنى العدل في الثواب والعقاب
فقوله عز وجل وضل عنهم ما كانوا يفترون مما لا مجال فيه للتدارك قطعا فان ما فيه من الضمائر
الثلاثة للمشركين فيلزم التفكيك حتما وتخصيص كل نفس بالنفوس المشركة مع عموم البلوى
للكل يأباه مقام تهويل المقام والله تعالى اعلم قل اى لاولئك المشركين الذين حكيت احوالهم
وبين ما تؤدى اليه اعمالهم احتجاجا على حقية التوحيد وبطلان ما هم عليه من الاشراك من يرزقكم
من السماء والارض اى منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل
واحدة منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان كلمة من على حذف المضاف اى من اهل السماء والارض
امن يملك السمع والابصار ام منقطعة وما فيها من كلمة بل للاضراب عن الاستفهام الاول لكن لا
على طريق الابطال بل على وجه الانتقال وصرف الكلام عنه الى استفهام آخر تنبيها على كفاية
ما هو المقصود اى من يستطيع خلقهما وتسويتهما على هذه الفطرة العجيبة او من يحفظهما من الآفات
مع كثرتها وسرعة انفعالهما من ادنى شيء يصيبهما ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى
اى من يحيى ويميت او من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان ومن يدبر الامر اى ومن يلى
تدبير امر العالم جميعا وهو تعميم بعد تخصيص بعض ما اندرج تحته من الامور الظاهرة بالذكر
فسيقولون بلا تلعثم ولا تأخير الله اذ لا مجال للمكابرة لغاية وضوحه والخبر محذوف اى الله
يفعل ما ذكر من الافاعيل الاخيرة فقل عند ذلك تبكيتا لهم افلا تتقون الهمزة
لانكار عدم الاتقاء بمعنى انكار الواقع كما في تضرب اباك لا بمعنى انكار الوقوع كما في اضرب ابى والفاء
للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم اى اتعلمون ذلك فلا تقون انفسكم عذابه الذى
ذكر لكم بما تتعاطونه من اشراككم به ما لا يشارككم في شيء مما ذكر من خواص الالوهية فذلكم
لما تقدم ذكره الذى اعترفتم باتصافه بالنعوت المذكورة وهو مبتدأ وقوله تعالى الله خبره
وقوله تعالى ربكم اى مالك امركم ومتولى اموركم على الاطلاق بدل منه او بيان له وقوله تعالى

الحق صفة له اى ربكم الثابت ربوبيته والمتحقق الوهيته تحقيقا لا ريب فيه فماذا يجوز ان يكون الكل اسما
واحدا قد غلب فيه الاستفهام على اسم الاشارة وان يكون ذا موصولا بمعنى الذى اى ما الذى بعد الحق
اى غيره بطريق الاستعارة واظهار الحق اما لان المراد به غير الاول واما لزيادة التقرير ومراعاة كمال
المقابلة بينه وبين الضلال والاستفهام انكارى بمعنى انكار الوقوع ونفيه اى ليس غير الحق الا الضلال
الذى لا يختاره احد فحيث ثبت ان عبادة من هو موصوف بما ذكر من النعوت الجليلة حق ظهر ان ما
عداها من عبادة الاصنام ضلال محض اذ لا واسطة بينهما وانما سميت ضلالا مع كونها من اعمال
الجوارح باعتبار ابتنائها على ما هو ضلال من الاعتقاد والرأى هذا على تقدير كون الحق عبارة عن
التوحيد واما على تقدير كونه عبارة عن الاول فالمراد بالضلال هو الاصنام لا عبادتها والمعنى فماذا
بعد الرب الحق الثابت ربوبيته الا الضلال اى الباطل الضائع المضمحل وانما سمى بالمصدر مبالغة كأنه
نفس الضلال والضياع ومنه التنبيه بقوله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون على التفسير الثاني فانى تصرفون
استفهام انكارى بمعنى انكار الواقع واستبعاده والتعجيب منه وفيه من المبالغة ما ليس في توجيه الانكار
الى نفس الفعل لان كل موجود لا بد ان يكون وجوده على حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احوال
وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني والفاء لترتيب الانكار على ما قبلها اى كيف
تصرفون من الحق الذى لا محيد عنه وهو التوحيد الى الضلال عن السبيل المستبين وهو الاشراك
وعبادة الاصنام او من عبادة ربكم الحق الثابت ربوبيته الى عبادة الباطل الذى سمعتم ضلاله وضياعه
في الآخرة وفي ايثار صيغة المبنى للمفعول ايذان بان الانصراف من الحق الى الضلال مما لا يصدر عن
العاقل بارادته وانما يقع عند وقوعه بالقسر من جهة صارف خارجى كذلك اى كما حقت الربوبية
لله تعالى او كما انه ليس بعد الحق الا الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة ربك اى حكمه وقضاؤه
على الذين فسقوا اى تمردوا في الكفر وخرجوا من اقصى حدوده انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة او تعليل
لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب قل هل من شركائكم احتجاج آخر على حقية التوحيد وبطلان الاشراك
باظهار كون شركائهم بمعزل من استحقاق الالهية ببيان اختصاص خواصها من بدء الخلق واعادته
به سبحانه وتعالى وانما لم يعطف على ما قبله ايذانا باستقلاله في اثبات المطلوب والسؤال للتبكيت والالزام
وقد جعلت اهل الاعادة وتحقيقها لوضوح مكانها وسنوح برهانها بمنزلة بدء الخلق فنظمت
في سلكه حيث قيل من يبدأ الخلق ثم يعيده ايذانا بتعينهما وجودا او علما يستلزم الاعتراف
به الاعتراف بها وان صدهم عن ذلك ما بهم من المكابرة والعناد ثم امر صلى الله عليه وسلم بان يبين لهم من
يفعل ذلك فقيل قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده اى هو يفعلهما لا غير كائنا ما كان لا بان ينوب عن الكل
عنهم في ذلك كما قيل لان المقول لما امر به غير ما اريد منهم من الجواب وان كان مستلزما له اذ
ليس المسئول عنه من يبدأ الخلق ثم يعيده كما في قوله تعالى قل من رب السموات والارض قل الله حتى
يكون المقول لما امر به عين الجواب الذى اريد منهم ويكون عليه السلام نائبا عنهم في ذلك بل انما هو
من يفعل البدء والاعادة من شركائهم فالجواب المطلوب منهم لا لا غير ثم امر صلى الله عليه وسلم
بان يضمنه مقالته ايذانا بتعينه وتحتمه واشعارا بانهم لا يجترئون على التصريح به مخافة التبكيت والقام
الحجر لا مكابرة ولجاجا وقد زيد في اعادة الجملة في الجواب بتمامها غير محذوفة الخبر كما في الجواب السابق
لمزيد التأكيد والتحقيق فانى تؤفكون الافك الصرف والقلب عن الشيء وقد يخص بالقلب عن

الرای وهو الانسب بالمقام ای کیف تعکسون من الحق الی الباطل والکلام فیه کما ذکر فی قوله تعالی
هل من شرکائکم احتجاج اخر علی ما ذکر جیء به اثر الزامهم عن الالزام الحامًا اثر الحام وفصله
عما قبله لما ذکر من الدلالة علی استقلاله من یهدی الی الحق ای یرشد بوجه من الوجوه فان ادنی مراتب
المعبودیة هدایة المعبود لعبدته الی ما فیه صلاح امرهم واما نصب طریق الهدایة وتخصیصه
بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفیق للنظر والتدبر کما قیل فیخل بما یقتضیه المقام من کمال التبکیت والالزام
فان الهدی من الهدایة علی وجه خاص لا یستلزم النفی عن مطلق الهدایة وهدی کما یستعمل بکلمة
الی لتضمنه معنی الانتهاء یستعمل باللام للدلالة علی ان المنتهی غایة للهدایة وانما لم یتوجه نحوه علی
سبیل الاتفاق ولذلک استعمل بهما ما اسند الی الله تعالی حیث قیل قل الله یهدی للحق
ای هو یهدی له دون غیره وذلک بما ذکر من نصب الادلة والحجج وارسال الرسل وانزال الکتب
والتوفیق للنظر والتدبر وغیر ذلک من فنون الهدایات والکلام فی الامر بالسؤال والجواب
کما مر فیما انفی یهدی الی الحق وهو الله عز وجل احق ان یتبع امن لا یهدی بکسر الهاء اصله
یهتدی فادغم وکسرت الهاء لالتقاء الساکنین وقری بکسر الیاء اتباعا لها وبحرکة الهاء وقری
بفتح الهاء نقلا لحرکة التاء الیها ای لا یهتدی بنفسه فضلا عن هدایة غیره وفیه من المبالغة
ما لا یخفی وانما نفی عنه الاهتداء مع ان المفهوم مما سبق نفی الهدایة لما ان نفیها مستتبع لنفیه
غالبا فان من اهتدی الی الحق لا یخلو عن هدایة غیره فی الجملة وادناها کونه قدوة له بان
یراه فیسلک مسلکه من حیث لا یدری والفاء لترتیب الاستفهام علی ما سبق من تحقق هدایته
تعالی صریحا وعدم هدایة شرکائهم المفهوم من القصر ومن عدم الجواب المنبیء عن الجواب
بالعدم فان ذلک مما یضطرهم الی الجواب الحق لا لتوجیه الاستفهام الی الترتیب کما یقع فی
بعض المواقع فان ذلک مختص بالانکاری کما فی قوله تعالی افمن اتبع رضوان الله ونحوه
والهمزة متاخرة فی الاعتبار وانما تقدیمها فی اللفظ لاظهار عراقتها فی اقتضاء الصدارة کما
هو رای الجمهور حتی لو کان السؤال بکلمة ای لاخرت حتما الا یری قوله تعالی فای الفریقین
احق بالامن ای تعقیب ما یلجئ المشرکین الی الجواب من حالهم وحال رسول الله صلی الله علیه وسلم
وقری لا یهدی بمعنی لا یهتدی لمجیئه لازما او لا یهدی غیره وصیغة التفضیل اما حقیقتها
والمفضل علیه محذوف کما اختاره مکی والتقدیر امن یهدی الی الحق احق ان یتبع ممن لا
یهدی امن لا یهدی احق الخ واما بمعنی حقیق کما اختاره ابو حیان وایا ما کان ففی الاستفهام
بالالزام وان یتبع فی حیز النصب او الجر بعد حذف الجار علی الخلاف المعروف ای بان یتبع الا
ان یهدی استثناء مفرغ من اعم الاحوال ای لا یهتدی او لا یهدی غیره فی حال من الاحوال
الا حال هدایته تعالی الی الاهتداء او الی هدایة الغیر وهذا حال اشراف شرکائهم
الملائکة والمسیح وعزیر علیهم السلام وقیل المعنی امن لا یهتدی من الاوثان الی مکان فینتقل
الیه الا ان ینقل الیه او الا ان ینقله الله تعالی من حاله الا ان یجعله حیوانا مکلفا فیهدیه وقری
الا ان یهدی من التفعیل للمبالغة فما لکم ای شیء لکم فی اتخاذکم هؤلاء شرکاء لله سبحانه
وتعالی والاستفهام للانکار التوبیخی وفیه تعجیب من حالهم وقوله تعالی کیف تحکمون
ای بما یقتضی صریح العقل بطلانه انکار لحکمهم الباطل وتعجیب منه وتشنیع لهم بذلک والفاء

ونقل الجمهور عن ان هذه الایة ... [illegible] ... وآله علیهم السلام
... شرح به ابن ابی الحدید فی شرح نهج البلاغة
... فی مناقبه وابن الاثیر وعلی بن ...
... یوسف الاعور الحنفی مرده بعض ...
... ولا تقول کما قال الفاضل المیبدی
... وبه تبیین اثبات العصمة لاهل البیت
... علیهم کما یظهر من کلام الجمهور ... غیرهم

لترتیب کلا الانکارین علی ما ظهر من وجوب اتباع الهادی الی الحق وان قلت التبکیت بالاستفهام
السابق انما یظهر فی حق من ینکس جوابه الصحیح فیحکم باحقیة من لا یهدی بالاتباع دون من یهدی وهم لیسوا حاکمین
باحقیة شرکائهم لذلک دون الله سبحانه وتعالی بل باستحقاقهما جمیعا مع رجحان جانبه تعالی حیث یقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله قلت حکمهم باستحقاقه تعالی للاتباع بطریق الاشتراک حکم منهم بعدم
استحقاقه تعالی لذلک بطریق الاستقلال فصاروا حاکمین باستحقاق شرکائهم له دون الله تعالی من
حیث لا یحتسبون وما یتبع اکثرهم کلام مبتدأ غیر داخل فی حیز الامر مسوق من جهته تعالی لبیان عدم
فهمهم لمضمون ما افحمهم والقمهم الحجر من البرهان النیر الموجب لاتباع الهادی الی الحق الناعی علیهم
بطلان حکمهم وعدم تأثرهم من ذلک لعدم اهتدائهم الی طریق العلم اصلا ای ما یتبع اکثرهم فی معتقداتهم
ومحاوراتهم الا ظنا واهیا من غیر التفات الی فرد من افراد العلم فضلا عن ان یسلکوا مسالک
الادلة الصحیحة الهادیة الی الحق المبنیة علی المقدمات الیقینیة الحقة فیفهموا مضمونها ویقفوا علی
صحتها وبطلان ما یخالفها من احکامهم الباطلة فیحصل التبکیت والالزام فالمراد بالاتباع مطلق
الاعتقاد الشامل لما یقارن القبول والانقیاد ولما لا یقارنه وبالقصر ما اشیر الیه من ان لا
یکون لهم فی اثنائه اتباع لفرد من افراد العلم والتفات الیه ووجه تخصیص هذا الاتباع باکثرهم
الاشعار بان بعضهم قد یتبعون العلم فیقفون علی حقیة التوحید وبطلان الشرک لکن لا یقبلونه
مکابرة وعنادا فیحصل بالنسبة الیهم التأثر من البرهان المزبور وان لم یظهروه وکونهم اشد کفرا
واکثر عذابا من الفریق الاول لا یقدح فیما یفهم من فحوی الکلام من کون اولئک اوسع
حالا من غیرهم اذ المعتبر سوء الحال من حیث الفهم والادراک لا من حیث الکفر والعذاب
او وما یتبع اکثرهم مدة عمرهم الا ظنا ولا یترکونه ابدا فان حرف النفی الداخل علی المضارع
یفید استمرارا لنفی بحسب المقام فالمراد بالاتباع فی هذا الوجه الاذعان والانقیاد والقصر اعتبار
الزمان ووجه تخصیص هذا الاتباع باکثرهم مشارکة المعاندین لهم فی ذلک التلویح
بما سیکون من بعضهم من اتباع الحق والتوبة کما سیأتی فی هذا وقد قیل المعنی وما یتبع اکثرهم
فی اقرارهم بالله تعالی الا ظنا غیر مستند الی برهان عندهم وقیل وما یتبع اکثرهم فی قولهم
للاصنام انها الهة الا ظنا والمراد بالاکثر الجمیع فتامل وقیل الضمیر فی اکثرهم للناس فلا حاجة
الی التکلف ان الظن لا یغنی من الحق من العلم الیقینی والاعتقاد الصحیح المطابق للواقع
شیئا من الاغناء ویجوز ان یکون مفعولا به ومن الحق حالا منه والجملة استئناف لبیان شأن الظن وبطلانه
وفیه دلالة علی وجوب العلم فی الاصول وعدم جواز الاکتفاء بالتقلید ان الله علیم بما یفعلون وعید لهم
علی افعالهم القبیحة فیندرج فیها ما حکی عنهم من الاعراض عن البراهین القاطعة والاتباع للظنون
الفاسدة اندراجا اولیا وقری تفعلون بالالتفات الی الخطاب لتشدید الوعید وما کان هذا
القرآن شروع فی بیان ردهم للقرآن الکریم اثر بیان ردهم للادلة العقلیة المندرجة فی تضاعیفه ای وما
صح وما استقام ان یکون هذا القرآن المحشو بفنون الهدایات المستوجبة للاتباع التی من جملتها
هاتیک الحجج البینة الناطقة بحقیة التوحید وبطلان الشرک ان یفتری من دون الله ای افتراء من
الخلق ای مفتری منهم سمی بالمصدر مبالغة ولکن تصدیق الذی بین یدیه من الکتب الالهیة المشهود
علی صدقها ای مصدقا لها کیف لا وهو لکونه معجزا دونها عیار علیها شاهد بصحتها ونصبه بانه خبر کان

مقدرا او فتجوز كونه علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق الخ وقرئ بالرفع على تقدير المبتدا اى
ولكن هو تصديق الخ وتفصيل الكتاب عطف عليه نصبا ورفعا اى وتفصيل ما كتب واثبت من
الحقائق والشرائع لا ريب فيه خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك اى منتفيا عنه الريب او حال من
الكتاب وان كان مضافا اليه فانه مفعول في المعنى او استيناف لا محل له من الاعراب من رب العالمين
خبر اخر كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق او بتفصيل او بالفعل المعلل بهما ولا ريب فيه اعتراض
كما في قولك زيد لا شك فيه كريم او حال من الكتاب او من الضمير في فيه ومساق الاية الكريمة
بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه ام يقولون افتراه اى بل ايقولون افتراه محمد عليه السلام
والهمزة لانكار الواقع واستبعاده قل تبكيتا لهم واظهارا لبطلان مقالتهم الفاسدة ان كان الامر كما
تقولون فاتوا بسورة مثله اى في البلاغة وحسن الصياغة وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلى
في العربية والفصاحة واشد تمرنا في النظم والعبارة وقرئ بسورة مثله على الاضافة اى بسورة كتاب
مثله وادعوا للمظاهرة والمعاونة من استطعتم دعاءه والاستعانة به من الهتكم التى تزعمون انها ممدة لكم
في المهمات والملمات ومدارهكم الذين تلجأون الى ارائهم في كل ما تأتون وما تذرون من دون
الله متعلق بادعوا ودون جار مجرى اداة الاستثناء وقد مر تفصيله في قوله تعالى وادعوا شهداءكم
من دون الله اى ادعوا سواه تعالى من استطعتم من خلقه فانه لا يقدر عليه احد واخراجه سبحانه من
حكم الدعاء للتنصيص على براءتهم منه تعالى وكونهم في عدوة المضادة والمشاقة لا للايذان باستبداده
تعالى بالقدرة على ما كلفوه فان ذلك مما يوهم انهم لو دعوه تعالى لاجابهم اليه ان كنتم
صادقين اى في انى افتريته فان ذلك مستلزم لامكان الاتيان بمثله وهو ايضا مستلزم لقدرتكم
عليه والجواب محذوف لدلالة المذكور عليه بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اضراب وانتقال عن اظهار
بطلان ما قالوا في حق القران العظيم بالتحدى الى اظهاره ببيان انه كلام ناشئ عن جهلهم بشانه
الجليل فما عبارة عن كله لا عما فيه من ذكر البعث والجزاء وما يخالف دينهم كما قيل فانه مما يجب تنزيه
ساحة التنزيل عن مثله اى سارعوا الى تكذيبه اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا فيه ويقفوا على ما
في تضاعيفه من الشواهد الدالة على كونه كما وصف انفا ويعلموا انه ليس مما يمكن ان يكون له نظير يقدر
عليه المخلوق والتعبير عنه بما لم يحيطوا بعلمه دون ان يقال بل كذبوا به من غير ان يحيطوا بعلمه او نحو ذلك
للايذان بكمال جهلهم به وانهم لم يعلموه الا بعنوان عدم العلم به وبان تكذيبهم به انما هو بسبب
عدم علمهم به لما ان تعليق الحكم بالموصول مشعر بعلية ما في حيز الصلة له ولما ياتهم تاويله عطف
على الصلة او حال من الموصول اى ولم يقفوا بعد على تاويله ولم تبلغ اذهانهم معانيه الرائقة المنبئة عن
علو شانه والتعبير عن ذلك باتيان التاويل للاشعار بان تاويله متوجه الى الاذهان منساق اليها
بنفسه او لم ياتهم تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين انه صدق ام كذب والمعنى ان
القران معجز من جهة النظم والمعنى ومن جهة الاخبار بالغيب وهم قد فاجأوا تكذيبه قبل ان
يتدبروا نظمه ويتفكروا في معناه او ينتظروا وقوع ما اخبر به من الامور المستقبلة ونفى اتيان
التاويل بكلمة لما الدالة على التوقع بعد نفى الاحاطة بعلمه بكلمة لم لتاكيد الذم وتشديد
التشنيع فان الشناعة في تكذيب الشيء قبل علمه المتوقع اتيانه افحش منها في تكذيبه قبل علمه مطلقا
والمعنى انه كان يجب عليهم ان يتوقفوا الى زمان وقوع المتوقع فلم يفعلوا واما ان المتوقع

قد وقع

قد وقع بعد وانهم استمروا عند ذلك ايضا على ما عليه او لا فلا تعرض له ههنا والاستشهاد عليه بعدم
انقطاع التكذيب بعد ادعاء ان قولهم افتراه تكذيب بعد التدبر ناشئ من عدم التدبر تقريره كيف لا وهم
لم يقولوه بعد التحدى بل قبله وادعاء كونه مسبوقا بالتحدى الوارد في سورة البقرة يرده انها مدنية وهذه
مكية وانما الذى يدل عليه ما سيتلى عليك من قوله تعالى ومنهم من يؤمن به ومنهم الخ كذلك كذب الذين من قبلهم
الخ وصف لحالهم المحكى وبيان لما يؤدى اليه من العقوبة اى مثل ذلك التكذيب المبنى على
بادى الراى والمجازفة من غير تدبر وتامل كذب الذين من قبلهم اى فعلوا التكذيب او كذبوا
ما كذبوا من المعجزات التى ظهرت على ايدى انبيائهم او كذبوا انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة
الظالمين وهم الذين من قبلهم من المكذبين وانما وضع المظهر موضع المضمر للايذان بكون التكذيب
ظلما وبعليته لاصابة ما اصابهم من سوء العاقبة ويدخل هؤلاء الظالمون في زمرتهم جرما ووعيدا
دخولا اوليا وقوله عز وجل ومنهم الخ وصف لحالهم بعد اتيان التاويل المتوقع اذ حينئذ يمكن تنويعهم الى
المؤمن به وغير المؤمن به ضرورة امتناع الايمان بشيء من غير علم به واشتراك الكل في التكذيب
به قبل ذلك حسبما افاده قوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اى ومن هؤلاء المكذبين من
يؤمن به بعد الاحاطة بعلمه واتيان تاويله وظهور حقيته بعدما سمعوا انه المعارضة ورأوا
قواهم فيها نقصان دونها او بعدما شاهدوا وقوع ما اخبر به كما اخبر به مرارا ومعنى الايمان به اما
الاعتقاد بحقيته فقط اى يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند ويكابر فهؤلاء هم الذين
اشير بقوله وما يتبع اكثرهم الا ظنا انهم يعلمون الحق على التفسير الاول كما اشير اليه فيما سلف
واما الايمان الحقيقى اى سيؤمنون به ويتوبون عن الكفر وهم الذين اشير بالقلة المذكورة على التفسير الثانى
الى انهم سيتبعون الحق كما مر ومنهم من لا يؤمن به اى لا يصدق في نفسه كما لا يصدق به ظاهرا
لفرط غباوته المانعة عن الاحاطة بعلمه كما ينبغى وان كان فوق مرتبة عدم الاحاطة به اصلا او لسخافة
عقله واختلاط تمييزه وعجزه عن تخليص علومه عن معارضة الظنون والاوهام التى الفها فيبقى على ما
كان عليه من الشك وهو القدر من الاحاطة واتيان التاويل ان كانت في مقابلة ما يليق من عدم
الاحاطة بالمرة فهؤلاء هم الذين اريدوا فيما سلف بقوله عز وجل وما يتبع اكثرهم الا ظنا على التفسير
الاول او لا يؤمن به فيما سياتى بل يموت على كفره معاندا كان او شاكا فهم المستمرون على اتباع الظن
على التفسير الثانى من غير اذعان للحق وانقياد له وربك اعلم بالمفسدين اى بكلا
الفريقين على الوجه الاول لا بالمعاندين فقط كما قيل لاشتراكهما في اصل الافساد المستدعى لاشتراكهما
في الوعيد او بالمصرين الباقين على الكفر على الوجه الثانى منها المعاندين والشاكين وان كذبوك
اى ان تمردوا على تكذيبك واصروا عليه حسبما اخبر عنهم بعد الزام الحجة بالتحدى فقل لى عملى ولكم
عملكم اى تبرأ منهم فقد اعذرت كقوله تعالى فان عصوك فقل انى برىء والمعنى لى جزاء عملى
ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا وتوحيد العمل المضاف اليهم باعتبار الاتحاد النوعى ولمراعاة
كمال المقابلة انتم بريئون مما اعمل وانا برىء مما تعملون تاكيد لما افاده لام الاختصاص
من عدم تعدى جزاء العمل الى غير عامله اى لا تؤاخذون بعملى ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام المتاركة
وعدم التعرض لهم قيل انه منسوخ باية السيف ومنهم من يستمعون اليك بيان لكونهم مطبوعا
على قلوبهم بحيث لا سبيل الى ايمانهم وانما جمع الضمير الراجع الى كلمة من رعاية لجانب المعنى كما افرد

فيما سياتي محافظة على ظاهر اللفظ ولعل ذلك للايذان الى كثرة المستمعين بناء على عدم توقف الاستماع
على ما توقف عليه النظر من المقابلة وانتفاء الحجاب والظلمة اى ومنهم ناس يستمعون اليك عند قراءتك
القرآن وتعليمك الشرائع افانت تسمع الصم الهمزة للاستفهام انكارية والفاء عاطفة وليس الجمع بينهما
لتوجيه الانكار الى الاسماع على الاستماع كما هو رأى سيبويه والجمهور على ان يجعل تقديم الهمزة على الفاء
لاقتضائها الصدارة كما تقرر في موضعه بل الانكار ترتبه عليه حسبما هو المعتاد لكن لا بطريق العطف على
الفعل المذكور لادائه الى اختلال المعنى لانه اما صلة او صفة وايا ما كان فالعطف عليه يستدعى دخول
المعطوف في حيزه وتوجيه الانكار اليه من تلك الحيثية ولا ريب في فساده بل بطريق العطف على مقدر
مفهوم من فحوى النظم كأنه قيل ايستمعون اليك فانت تسمعهم لا انكار لاستماعهم فانه امر محقق بل
انكار لوقوع الاسماع عقيب ذلك وترتبه عليه حسب العادة الكلية بل نفيا لامكانه ايضا كما
ينبئ عنه وضع الصم موضع ضميرهم ووصفهم بعدم العقل في قوله عز وجل ولو كانوا لا يعقلون اى ولو
انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس اذا وصل الى صماخه صوت واما اذا
اجتمع فقدان السمع والعقل جميعا فقد تم الامر ومنهم من ينظر اليك ويعاين دلائل نبوتك
الواضحة افانت اى اعقيب ذلك انت تهديهم وانما قيل تهدي العمى ترتيبا للانكار هنا ينتهم
وايراد الوقوع عليها موضع الاستحالة وفي ذلك التحقيق قيل ولو كانوا لا يب[illegible] اى ولو انضم
الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار الاعتبار والاستبصار والعمدة في
ذلك هي البصيرة ولذلك يتحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق فحيث اجتمع
فيهم الحمق والعمى فقد انسد عليهم باب الهدى وجواب لو في الجملتين محذوف لدلالة قوله تعالى
لتسمع الصم وتهدى العمى وكل منهما معطوفة على جملة مقدرة مقابلة لها في الحيز وكلتاهما في موضع الحال
من مفعول الفعل السابق اى افانت تسمع الصم لو كانوا يعقلون ولو كانوا لا يعقلون افانت تهدي
العمى لو كانوا يبصرون ولو كانوا لا يبصرون اى على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى في
الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق عند تحقق المانع او المانع
القوى فلان يتحقق عند عدمه او عند تحقق المانع الضعيف اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في
لو وان الوصليتين من التأكيد وقد مر الكلام في قوله تعالى ولو كره الكافرون وفي نظائره مرارا
ان الله لا يظلم الناس اشارة الى ما حكى عنهم من عدم اهتدائهم الى طريق الحق وتعطل
مشاعرهم من الادراك ليس لامر مستند الى الله عز وجل من خلقهم مؤوفي المشاعر ونحو ذلك بل انما هو من
قبلهم اى لا ينقصهم شيئا مما نيط به مصالحهم الدينية والدنيوية وكمالاتهم الاولية والاخروية
من مبادي ادراكاتهم واسباب علومهم من المشاعر الظاهرة والباطنة والارشاد الى الحق بارسال
الرسول وانزال الكتب بل يوفيهم ذلك من غير اخلال بشيء اصلا ولكن الناس وقرئ بالتخفيف
ورفع الناس على وضع الظاهر موضع المضمر لزيادة تعيين وتقرير اى لكنهم بعدم استعمال مشاعرهم فيما
خلقت له واعراضهم عن قبول دعوة الحق وتكذيبهم للرسل والكتب انفسهم يظلمون اى
ينقصونها ما ينقصون مما يخلون به من مبادي كمالهم وذرائع اهتدائهم وانما لم يذكروا لما ان مرمى الغرض
انما هو قصر الظلم على انفسهم لا بيان ما يتعلق به الظلم والتعبير عن فعلهم بالنقص مع كونه تفويتا بالكلية
وابطالا بالمرة لمراعاة جانب قرينته وقوله عز وجل انفسهم اما تاكيد للناس فيكون بمنزلة ضمير الفصل

في قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين في قصر الظالمية عليهم واما مفعول يظلمون حسبما وقع
في سائر المواقع وتقديمه عليه لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد الى قصر المظلومية
عليهم على رأى من لا يرى التقديم موجبا للقصر فيكون كما في قوله سبحانه وتعالى وما ظلمناهم ولكن
ظلموا انفسهم منتظما في قصر الظلم لا على الفاعل ولا على المفعول واما على رأى من يراه موجبا له فلعل
ايثار قصرها دون قصر الظالمية عليهم للمبالغة في بيان بطلان افعالهم وسخافة عقولهم لما ان
اقبح الامرين عند اتحاد الفاعل والمفعول واشدهما انكارا عند العقل وانزههما لدى الطبع براجعيتها
حيث راسه عند كل احد هو المظلومية لا الظالمية على ان قصر الاولى مستلزم لما يقتضيه ظاهر الحال
من قصر الثانية عليهم ضرورة انه اذا لم يظلم احدا من الناس الا نفسه يلزم ان لا يظلمه الا نفسه اذ لو
ظلمه غيره يلزم ذلك الغير ظالما لغير نفسه والمفروض انه لا يظلم احدا الا نفسه فاكتفى بالقصر
الاول على الثاني مع رعاية ما ذكر من الفائدة وصيغة المضارع للاستمرار نفيا واثباتا فان حرف
النفي اذا دخل على المضارع يفيد بحسب المقام استمرار النفي لا نفي الاستمرار الا ترى انك اذا قلت ما زيدا
ضربت يدل على اختصاص النفي لا على نفي الاختصاص وسياق الآية الكريمة لا لام الحجة ويجوز ان
يكون للوعيد فالمضارع المنفي للاستقبال والمثبت للاستمرار والمعنى ان الله لا يظلمهم بتعذيبهم
يوم القيامة شيئا من الظلم ولكنهم انفسهم يظلمون ظلما مستمرا فان مباشرتهم المستمرة للسيئات الموجبة
للتعذيب هي ظلمهم لانفسهم وعلى الوجهين فالآية الكريمة تذييل لما سبق ويوم يحشرهم منصوب
بمضمر وقرئ بالنون على الالتفات اى اذكر لهم او انذرهم يوم نحشرهم كأن لم يلبثوا اى كأنهم لم يلبثوا
الا ساعة من النهار اى شيئا قليلا منه فانها مثل في غاية القلة وتخصيصها بالنهار لان ساعاته
اعرف حالا من ساعات الليل والجملة في موقع الحال من ضمير المفعول اى يحشرهم مشبهين في احوالهم الظاهرة
للناس بمن لم يلبث في الدنيا ولم يتقلب في نعيمها الا ذلك القدر اليسير فان من اقام بها دهرا
يتمتع بمتاعها لا يخلو عن بعض آثار نعمة واحكام بهجة منافية لما هم فيه من رثاثة الهيئة وسوء
الحال او بمن لم يلبث في البرزخ الا ذلك المقدار فالفائدة تقييد بيان كمال يسر الحشر بالنسبة الى قدرته
تعالى ولو بعد دهر طويل واظهار بطلان استبعادهم وانكارهم بقولهم ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما
ائنا لمبعوثون ونحو ذلك او بيان تمام الموافقة بين النشأتين في الاشكال والصور فان عدم اللبث
في البرزخ من موجبات عدم التبدل والتغير ويكون قوله عز وجل يتعارفون بينهم بيانا وتقريرا له
لان التعارف مع طول العهد ينقلب تناكرا وعلى الاول يكون استئنافا اى يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم
يتعارفوا الا قليلا وذلك اول ما خرجوا من القبور اذ هم على ما كانوا عليه من الهيئة المتعارفة فيما
بينهم ثم ينقطع التعارف لشدة الاهوال المذهلة واعتراء الاحوال المعضلة المغيرة للصور والاشكال
المبدلة لها من حال الى حال قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله شهادة من الله سبحانه وتعالى على خسرانهم
وتعجيب منه وقيل حال من ضمير يتعارفون على ارادة القول والتصريح بالموصول مع كون المقام
مقام اضمار لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعليته لما اصابهم والمراد بلقاء الله تعالى ان
كان مطلق الحساب والجزاء وحسن اللقاء فالمراد بالخسران الوضيعة والمعنى وضعوا في تجارتهم
ومعاملتهم واشترائهم الكفر بالايمان والضلالة بالهدى وهو معنى قوله تعالى وما كانوا مهتدين
ما كانوا عارفين باحوال التجارة مهتدين لطرقها وان كان سوء اللقاء فالخسران الهلاك والضلال

اى قد ضلوا وهلكوا ابتكذيبهم ومالا فراهتدوا الى طريق النجاة وَاِمَّا نُرِيَنَّكَ اصله ان نرك وما مزيدة
لتاكيد معنى الشرط ومن ثمة اكد الفعل بالنون اى نبصرنك بانظهار بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ اى نعدنا هم
من العذاب وتعجيله فى حياتك فتراه والعدول الى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة او للدلالة على
التجدد والاستمرار اى نعدهم وعدا متجددا حسبما يقتضيه الحكمة من انذار عقيب انذار وفى تخصيص البعض
بالذكر رمز الى العدة باراءة بعض الموعود وقد اراه يوم بدر اَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ قبل ذلك فَاِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ
اى كيف ما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم اولا فالينا مرجعهم فى الدنيا والاخرة فنريكه
وعدنا لهم البتة وقيل المذكور جواب للشرط الثانى كانه قيل فالينا مرجعهم فنريكه فى الاخرة وجواب
الاول محذوف اى فذاك ثُمَّ اللّٰهُ شَهِيدٌ عَلٰى مَا يَفْعَلُونَ من الافعال السيئة التى حكيت عنهم والمراد
بالشهادة اما مقتضاها ونتيجتها وهى معاقبته تعالى اياهم واما اقامتها واداؤها بانطاق الجوارح
واظهار اسم الجلالة لادخال الروعة وتربية المهابة وتاكيد التهديد وثم اى هنالك وَلِكُلِّ
اُمَّةٍ من الامم الخالية رَسُولٌ يبعث اليهم بشريعة خاصة مناسبة لاحوالهم ليدعوهم الى الحق فَاِذَا جَاءَ
رَسُولُهُمْ فبلغهم ما ارسل به فكذبوه وخالفوه قُضِيَ بَيْنَهُمْ اى بين كل امة ورسولها بِالْقِسْطِ
اى بالعدل وحكم بنجاة الرسول والمؤمنين به وهلاك المكذبين كقوله تعالى وما كنا معذبين حتى
نبعث رسولا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ فى ذلك القضاء المستوجب لتعذيبهم لانه من نتائج اعمالهم او لكل امة من الامم
يوم القيمة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان كقوله عز وجل
وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم وَيَقُولُونَ مَتٰى هٰذَا الْوَعْدُ استعجالا وعدوا من العذاب على
طريقة الاستهزاء والانكار حسبما يشعر به الجواب لا طلبا لتعيين وقت مجيئه على وجه الالزام
كما فى سورة الملك اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ اى فى انه ياتينا والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين الذين يتلون عليهم الآيات المتضمنة للوعد المذكور وجواب الشرط محذوف اعتمادا
على ما تقدم حسبما حذف فى مثل قوله تعالى فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فان الاستعجال فى
قوة الامر بالاتيان عجلة كانه قيل فليات عجلة ان كنتم صادقين وفيه من الاشعار بكون اتيانه
بواسطة النبى صلى الله عليه وسلم ما فيه قُلْ لَا اَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا اى لا اقدر على شىء منهما بوجه
من الوجوه وتقديم الضر لما ان مساق النظم لاظهار العجز عنه واما ذكر النفع فلتوسيع الدائرة
تكملة للعجز وما وقع فى سورة الاعراف من تقديم النفع للاشعار باهميته والمقام مقامه والمعنى
انى لا املك شيئا من شئونى ردا وايرادا مع ان ذلك اقرب حصولا فكيف املك شئونكم حتى اتسبب فى
اتيان عذابكم الموعود اِلَّا مَا شَاءَ اللّٰهُ استثناء منقطع اى ولكن ما شاء الله كائن وحمله على الاتصال
على معنى الا ما شاء الله ان املكه باقدامه اياى عليه بعيد عن مقام المنع ان يكون له على الكلام دخل فى اتيان الوعد فان
ذلك يستدعى بيان كونه المانع فيه ما لا يشاء الله ان يملكه على الكلام وجعل ما عبارة عن بعض
الاحوال المعهودة المنوطة بالافعال الاختيارية المفوضة الى العباد على ان يكون المعنى لا املك لنفسي
من الضر والنفع الا ما شاء الله ان املكه منهما من الضر والنفع المترتبين على افعالى الاختيارية كالضر والنفع
المترتبين على الاكل والشرب عدما ووجودا تعسف ظاهر وقوله تعالى لِكُلِّ اُمَّةٍ اَجَلٌ بيان
لما ابهم فى الاستثناء وتقييد لما فى القضاء السابق من الاطلاق المشعر بكون المقضى به امرا منجزا متوقفا على
مجىء الرسول وتكذيب الامة اى لكل امة من الامم المقضى بينهم وبين رسولهم اجل معين خاص بهم لا

يتعدى الى امة اخرى مضروب لعذابهم يحل بهم عند حلوله اِذَا جَاءَ اَجَلُهُمْ ان جعل الاجل عبارة عن حد معين
من الزمان فمعنى مجيئه ظاهر فانه اريد به ما امتد اليه من الزمان فمجيئه عبارة عن انقضائه اذ هنالك
تحقق مجيئه بتمامه والضمير ان جعل للامم المدلول عليها بكل امة فاظهار الاجل مضافا اليه لافادة
المعنى المقصود الذى هو بلوغ كل امة اجلها الخاص بها ومجيئه اياها بعينها من بين الامم بواسطة
اكتساب الاجل بالاضافة عموما يفيده معنى الجمعية كانه قيل اذا جاءهم آجالهم بان يجىء كل واحدة
من تلك الامم اجلها الخاص بها وان جعل لكل امة خاصة كما هو الظاهر فالاظهار فى موقع
الاضمار لزيادة التقرير والاضافة الى الضمير لافادة كمال التعيين اى اذا جاءها اجلها الخاص بها فَلَا
يَسْتَاْخِرُونَ عن ذلك الاجل سَاعَةً اى شيئا قليلا من الزمان فانها مثل فى غاية القلة منه اى لا
يتاخرون عنه اصلا وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ
اى لا يتقدمون عليه وهو عطف على يستاخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع امكانه فى نفسه
كالتاخر بل للمبالغة فى انتفاء التاخر بنظمه فى سلك المستحيل عقلا كما فى قوله سبحانه وتعالى
وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن
ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافرا مع ظهور ان لا توبة له رأسا قد نظم فى عدم
قبول التوبة فى سلك من سوفها الى حضور الموت ايذانا بتساوى وجود التوبة حينئذ وعدمها
بالمرة كما مر فى سورة الاعراف وقد جوز ان يراد بمجىء الاجل دنوه بحيث يمكن التقدم فى الجملة كمجىء
اليوم الذى ضرب لهلاكهم ساعة معينة منه لكن ليس فى تقييد عدم الاستيخار بدنوه
مزيد فائدة وتقديم بيان انتفاء الاستيخار على بيان انتفاء الاستقدام لان المقصود الاهم
بيان عدم خلاصهم من العذاب ولو ساعة وذلك بالتاخر واما ما فى قوله تعالى ما تسبق من
امة اجلها وما يستاخرون من سبق السبق فى الذكر فلما ان المراد هنالك بيان سر تاخير عذابهم
مع استحقاقهم له حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف
يعلمون فالاهم اذ ذاك بيان انتفاء السبق كما ذكر هناك قُلْ لهم غب ما بيت كيفية جريان سنة الله
تعالى فيما بين الامم على الاطلاق ونبههم على ان عذابهم امر مقرر محتوم لا يتوقف الا على مجىء اجله
المعلوم ايذانا بكمال دنوه وتنزيلا لمنزلة اتيانه حقيقة اَرَاَيْتُمْ اى اخبرونى اِنْ اَتَاكُمْ
عَذَابُهُ الذى تستعجلون به بَيَاتًا اى وقت بيات واشتغال بالنوم اَوْ نَهَارًا اى عند اشتغالكم
بمشاغلكم حسبما عين لكم من الاجل بمقتضى المشيئة التابعة للحكمة كما عين لسائر الامم المهلكة
وترك هذا وجعل مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ جواب للشرط بحذف الفاء كما فى قولك ان اتيتك
ماذا تطعمنى والمجرمون موضوع موضع المضمر لتاكيد الانكار ببيان مباينة حالهم للاستعجال فان
حق المجرم ان يهلك فزعا من اتيان العذاب فضلا عن استعجاله والجملة الشرطية متعلقة باراتيم
والمعنى اخبرونى ان اتاكم عذابه تعالى اى شىء تستعجلون منه سبحانه والشىء لا يمكن استعجاله بعد اتيانه
والمراد به المبالغة فى انكار استعجاله باخراجه عن حيز الامكان وتنزيله فى الاستحالة منزلة استعجاله
بعد اتيانه بناء على تنزيل تقرر اتيانه ودنوه منزلة اتيانه حقيقة كما اشير اليه وهذا الانكار
بمنزلة النهى فى قوله عز وجل اتى امر الله فلا تستعجلوه خلا ان التنزيل هناك صريح وهاهنا
ضمنى كما فى قول من قال لغريمه الذى يتقاضاه حقه ارايت ان اعطيتك حقك ماذا تطلب منى

مزيد المبالغة في انكار القاصر بنظمه في سلك القاصي بعد الاعطاء بناء على تنزيل تقربه منزلة نفسه وقوله
عز وجل أثم إذا ما وقع آمنتم به انكار لايمانهم بنزول العذاب بعد وقوعه حقيقة داخل مع ما قبله
من انكار استعجالهم به بعد ما بين انه حكاية لقول المامور به اي ابعد ما وقع العذاب وحل بكم حقيقة
آمنتم به حين لا ينفعكم الايمان انكار التأخير الى هذا الحد ايذانا باستتباعه للندم والحسرة ليقلعوا
عما هم عليه من العناد ويتوجهوا نحو التدارك قبل فوت الوقت فتقديم الظرف للقصر وقيل ماذا يستعجل منه
متعلق بأرأيتم وجواب الشرط محذوف اي تندموا على الاستعجال او تعرفوا خطاه والشرطية اعتراض
متوسط بين الاستخبار وقيل الجواب قوله تعالى أثم إذا ما وقع الخ والاستفهامية الاولى اعتراض
والمعنى اخبروني ان اتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ثم جيء بكلمة التراخي دلالة
على الاستبعاد ثم زيد ارادة المرسل دلالة على الاستقلال بالاستبعاد وعلى الاول كالتمهيد له
وجيء بإذا مؤكدا بما ترجيحا لمعنى الوقوع وزيادة للتجهيل انهم لم يؤمنوا الا بعد ان لم ينفعهم الايمان
البتة وقوله تعالى آلآن استئناف من جهته تعالى غير داخل في حيز القول الملقن مسوق لتقرير مضمون
ما سبق على ارادة القول اي قيل لهم عند ايمانهم بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به انكارا للتأخير وتوبيخا
عليه بيان انه لم يكن ذلك لعدم سبق الانذار به ولا للتأمل والتدبر في صحته ولا لشيء آخر مما عسى يعد عذرا
في التأخير بل كان ذلك بطريق التكذيب والاستعجال به على وجه الاستهزاء وقرئ آلان بحذف
الهمزة والقاء حركتها على اللام وقوله تعالى وقد كنتم به تستعجلون اي تكذيبا واستهزاء جملة
وقعت حالا من فاعل آمنتم المقدر لتشديد التوبيخ والتقريع وزيادة التنديم والتحسير وتقديم الجار
والمجرور على الفعل لمراعاة الفواصل دون القصر وقوله تعالى ثم قيل الى آخره تاكيد للتوبيخ والعتاب
بوعيد العذاب والعقاب وهو عطف على ما قدر قبل آلآن للذين ظلموا اي صنعوا الكفر
والتكذيب موضع الايمان والتصديق او ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب والهلاك ووضع الموصول
موضع الضمير لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعليته لاصابة ما اصابهم ذوقوا عذاب الخلد
المؤلم على الدوام هل تجزون اليوم الا بما كنتم تكسبون في الدنيا من اصناف الكفر والمعاصي
التي كنتم من جملتها ما مر من الاستعجال ويستنبئونك اي يستخبرونك فيقولون على طريقة
الاستهزاء او الانكار أحق هو أحق خبر مقدم على المبتدأ الذي هو الضمير لهشام بن يؤيده قوله
تعالى ان الحق او مبتدأ والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر والجملة في موقع النصب بيستنبئونك وقرئ
الحق هو تعريضا بانه باطل كأنه قيل أهو الحق لا الباطل او هو الذي تسمونه الحق قل لهم
غير ملتفت الى استهزائهم بغضا عما قصدوه وبانيا للامر على اساس الحكمة اي وربي اي من
حروف الايجاب بمعنى نعم في القسم خاصة كما ان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة ولذلك
يوصل بواوه انه اي العذاب الموعود لحق لثابت البتة اكد الجواب بأتم وجوه التاكيد حسب شدة
انكارهم وقوته وقد زيد تقريرا وتحقيقا بقوله عز اسمه وما انتم بمعجزين اي بفائتين العذاب
بالهرب وهو لاحق بكم لا محالة وهو اما معطوف على جواب القسم او مستأنف سيق لبيان عجزهم عن
الخلاص مع ما فيه من التقرير المذكور ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك او التعدي على الغير وغير ذلك من
اصناف الظلم ولو مرة حسبما يفيده كون الصفة فعلا ما في الارض اي ما في الدنيا من خزائنها
واموالها ومنافعها قاطبة كثرت لافتدت به اي لجعلته فدية لها من العذاب من افتداه

يعني منه واسروا اي النفوس المدلول عليها بكل نفس والعدول الى صيغة الجمع مع تحقق العموم
في صورة الافراد ايضا لافادة تهويل الخطب بكون الاسرار بطريق المعية والاجتماع وانما لم
يراع ذلك فيما سبق لما يتوخى من فرض كون جميع ما في الارض لكل واحدة من النفوس وايثار
صيغة جمع المذكر لحمل لفظ النفس على الشخص او لتغليب ذكور مدلوله على اناثه الندامة لما رأوا
من الظلم اي اخفوها ولم يظهروها لكن لا للاصطبار والتجلد هيهات ولات حين اصطبار
بل لانهم بهتوا لما رأوا العذاب اي عند معاينتهم من فظاعة الحال وشدة الاهوال ما لم يكونوا
يحتسبون فلم يقدروا على ان ينطقوا بشيء فلما بمعنى حين منصوب بمعنى يأسروا او حرف شرط حذف
جوابه لدلالة ما تقدم عليه وقيل اسرها رؤساؤهم ممن اضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم ولكن
الامر اشد من ان يعتريهم هناك شيء غير خوف العذاب وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اسرارها
اخلاصها او لان سر الشيء خالصه حيث تختص به ويظن بها ففيه تهكم بهم وقيل اظهروا الندامة من قولهم
سر الشيء واسره اذا اظهره حين حل ضرره وفني تجلده وقضي بينهم اي اوقع القضاء بين
الظالمين من المشركين وغيرهم من اصناف اهل الظلم بأن اظهر الحق سواء كان من حقوق الله سبحانه
او من حقوق العباد من الباطل وعومل اهل كل منهما بما يليق به بالقسط بالعدل وتخصيص
الظلم بالتعدي وحمل القضاء على اجراء الحكومة بين الظالمين والمظلومين من غير ان يتعرض لحال
المشركين وهم اظلم الظالمين لا يساعده المقام فان مقتضاه اما كون الظلم عبارة عن الشرك
او عما يدخل فيه دخولا اوليا وهم اي الظالمون لا يظلمون فيما فعل بهم من العذاب
بل هو من مقتضيات ظلمهم ولوازمه ضرورة ألا إن لله ما في السماوات والأرض اي ما وجد
فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما وكلمة ما لتغليب غير العقلاء على العقلاء
فهو تذييل لكمال قدرته سبحانه على جميع الاشياء وبيان لاندراج الكل تحت ملكوته يتصرف
فيه كيفما يشاء ايجادا واعداما واثابة وعقابا ألا إن وعد الله حق اظهار الاسم الجليل
لتفخيم شأن الوعد والاشعار بعلية الحكم وهو اما بمعنى الموعود اي جميع ما وعد به كائنا ما كان
فيندرج فيه العذاب الذي استعجلوه وما ذكر في اثناء بيان حاله اندراجا اوليا او بمعناه
المصدري اي وعده بجميع ما ذكر فمعنى قوله تعالى حق على الاول ثابت واقع لا محالة وعلى الثاني
مطابق للواقع وتصدير الجملتين بحرفي التنبيه والتحقيق للتسجيل على تحقق مضمونهما المقرر لمضمون
ما سلف من الآيات الكريمة والتنبيه على وجوب استحضاره والمحافظة عليه ولكن اكثرهم
لقصور عقولهم واستيلاء الغفلة عليهم والفهم بالاحوال المحسوسة المعتادة لا يعلمون ذلك
فيقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون هو يحيي ويميت في الدنيا من غير دخل لاحد في ذلك واليه
ترجعون في الآخرة بالبعث والحشر يا أيها الناس التفات ورجوع الى استمالتهم نحو الحق واستنزالهم الى
قبوله واتباعه غب تحذيرهم من غوائل الضلال بما تلي عليهم من القوارع الناعية عليهم سوء عاقبتهم
وايذان بأن جميع ذلك مسوق لمصالحهم ومنافعهم قد جاءتكم موعظة هي والوعظ والعظة التذكير
بالعواقب سواء كان بالزجر والترهيب او بالاستمالة والترغيب وكلمة من في قوله تعالى من ربكم
ابتدائية متعلقة بجاءتكم او تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لموعظة اي موعظة كائنة من مواعظ
ربكم وفي التعرض لعنوان الربوبية من حسن الموقع ما لا يخفى وشفاء لما في الصدور وهدى

أي كتاب جامع لهذه الفوائد والمنافع فإنه كاشف عن أحوال الأعمال حسناتها وسيئاتها مرغب في الأولى
ورادع عن الأخرى ومبين للمعارف الحقة التي هي شفاء لما في الصدور من الأدواء القلبية كالجهل
والشك والشرك والنفاق ونحوها من العقائد الزائغة وهاد إلى طريق الحق واليقين بالإرشاد
إلى الاستدلال بالدلائل المنصوبة في الآفاق والأنفس ورحمة للمؤمنين حيث نجوا به من ظلمات
الكفر والضلال إلى نور الإيمان وتخلصوا من دركات النيران وارتقوا إلى درجات الجنان والتنكير في
الكل للتفخيم قل تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأمر الناس بأن يغتنموا ما في
مجيء القرآن العظيم من الفضل والرحمة بفضل الله وبرحمته المراد بهما إما ما في مجيء القرآن من الفضل
والرحمة وإما الجنس وهو داخل فيه دخولاً أولياً والباء متعلقة بمحذوف وأصل الكلام
ليفرحوا بفضل الله وبرحمته وتكرير الباء في رحمته للإيذان باستقلالها في استيجاب الفرح ثم قدم
الجار والمجرور على الفعل لإفادة القصر ثم أدخل عليه الفاء لإفادة معنى السببية فصار بفضل الله
وبرحمته فليفرحوا ثم قيل فبذلك فليفرحوا للتأكيد والتقرير ثم حذف الفعل الأول لدلالة الثاني
عليه والفاء الأولى جزائية والثانية للدلالة على السببية والأصل إن فرحوا بشيء فبذلك ليفرحوا لا
بشيء آخر ثم أدخل الفاء للدلالة على السببية ثم حذف الشرط وعين الفعل في اسم الإشارة للدلالة على
بعد درجة فضل الله تعالى ورحمته ويجوز أن يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز
أن يتعلق الباء بجاءتكم أي جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك أي فبمجيئها فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا
كما قرئ فافرحوا وعن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال
بكتاب الله والإسلام وقيل فضله الإسلام ورحمته ما وعد عليه هو أي ما ذكر من فضل الله ورحمته
خير مما يجمعون من حطام الدنيا وقرئ تجمعون أي فبذلك فليفرح المؤمنون هو خير مما
تجمعون أيها المخاطبون قل أرأيتم أي أخبروني ما أنزل الله لكم من رزق ما منصوبة المحل
بما بعدها أو بما قبلها واللام للدلالة على أن المراد بالرزق ما حل لهم وجعله منزلاً لأنه مقدر في
السماء محصل بها أو بما يتوقف عليه وجوده أو بقاؤه بأسباب سماوية من المطر والكواكب في
الإنضاج والتلوين فجعلتم منه أي جعلتم بعضه حراماً أي حكمتم بأنه حرام وحلالاً
أي وجعلتم بعضه حلالاً أي حكمتم بحله مع كون كله حلالاً وذلك قولهم هذه أنعام وحرث
حجر الآية وقولهم ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ونحو ذلك
وتقديم الحرام لظهور أن الجعل فيه ودوران التوبيخ عليه قل تكرير لتأكيد الأمر بالاستخبار
أي أخبروني آلله أذن لكم في ذلك الجعل فأنتم فيه ممتثلون بأمره تعالى أم على الله تفترون
أم متصلة والاستفهام للتقرير والتبكيت لتحقق العلم بالشق الأخير قطعاً كأنه قيل أم لم يأذن
لكم بل تفترون عليه سبحانه فأظهر الاسم الجليل وقدم على الفعل تأكيداً دلالة على كمال قبح افترائهم
وتأكيداً للتبكيت إثر تأكيد مع مراعاة الفواصل ويجوز أن يكون الاستفهام للإنكار وأم منقطعة
ومعنى بل فيها للإضراب والانتقال من التوبيخ والزجر بإنكار الإذن إلى ما يفيده همزتها من
التوبيخ على الافتراء عليه سبحانه وتقريره وتقديم الجار والمجرور على هذا يجوز أن يكون للقصر كأنه
قيل أعلى الله تعالى خاصة تفترون وما ظن الذين يفترون على الله الكذب كلام مسوق
من قبله تعالى لبيان هول ما سيلقونه غداً وتخلل الفعل المأمور به والتعبير عنهم بالموصول

في موقع الإضمار لقطع احتمال الشق الأول من الترديد والتسجيل عليهم بالافتراء وزيادة الكذب
مع أن الافتراء لا يكون إلا كذباً لإظهار كمال قبح ما افتعلوا وكونه كذباً في اعتقادهم أيضاً وكلمة ما
استفهامية وقعت مبتدأ وظن خبرها ومفعولاه محذوفان وقوله عز وجل يوم القيامة
ظرف لنفس الظن أي أي شيء ظنهم في ذلك اليوم يوم عرض الأفعال والأقوال والمجازاة
عليها مثقالاً بمثقال والمراد تهويله وتفظيعه بهوله لما يتعلق به مما يصنع بهم يومئذ وقيل هو
ظرف لما يتعلق به ظنهم اليوم من الأمور التي ستقع يوم القيامة تنزيلاً له لما فيه من الأهوال لكان
وضوح أمره في المقرر والمحقق منزلة المسلم عندهم أي أي شيء ظنهم بما يقع يوم القيامة أيحسبون
أنهم لا يسألون عن افترائهم أو لا يجازون عليه أو يجازون جزاء يسيراً ولأجل ذلك يفعلون
ما يفعلون كلا إنهم لفي أشد العذاب لأن معصيتهم أشد المعاصي ومن أظلم ممن افترى على الله
كذباً وقرئ على لفظ الماضي أي أي ظن ظنوا يوم القيامة وإيراد صيغة الماضي لأنه كائن فكأنه
قد كان إن الله لذو فضل أي عظيم لا يكتنه كنهه على الناس أي جميعاً حيث أنعم عليهم بالعقل
المميز بين الحق والباطل والحسن والقبيح ورحمهم بإنزال الكتب وإرسال الرسل وبين لهم الأسرار
التي لا تستقل العقول في إدراكها وأرشدهم إلى ما يهمهم من أمر المعاش والمعاد ولكن
أكثرهم لا يشكرون تلك النعم الجليلة فلا يصرفون قواهم ومشاعرهم إلى ما خلقت له ولا يتبعون
دليل العقل فيما يستبد به ولا دليل الشرع فيما لا يدرك إلا به وقد تفضل عليهم ببيان ما سيلقونه
يوم القيامة فلا يلتفتون إليه فيفعلون ما يفعلون فهو تذييل لما سبق مقرر لمضمونه وما تكون
في شأن أي في أمر من شأنت شأنه أي قصدت قصده مصدر بمعنى المفعول وما تتلو منه الضمير للشأن
والظرف صفة لمصدر محذوف أي تلاوة كائنة من الشأن إذ هي معظم شؤونه عليه السلام أو للتنزيل والإضمار
قبل الذكر لتفخيم شأنه ومن ابتدائية أو تبعيضية أو لله عز وجل ومن ابتدائية والتي في قوله تعالى من
قرآن مزيدة لتأكيد النفي أو ابتدائية على الوجه الأول وبيانية أو تبعيضية على الوجه الثاني والثالث ولا
تعملون من عمل تعميم للخطاب إثر تخصيصه بمن هو قدوة الكل وقد روعي في كل من المقامين ما
يليق به حيث ذكر أولاً من الأعمال ما فيه فخامة وجلالة وثانياً ما يتناول الجليل والحقير
إلا كنا عليكم شهوداً استثناء مفرغ من أعم أحوال المخاطبين بالأفعال الثلاثة أي ما تلابسون بشيء
منها في حال من الأحوال إلا حال كوننا رقباء مطلعين عليه حافظين له إذ تفيضون فيه أي تخوضون
وتندفعون فيه وأصل الإفاضة الاندفاع بكثرة أو بقوة وحيث أريد بالأفعال السابقة الحالة
المستمرة الدائمة المقارنة للزمان الماضي أيضاً أوثر في الاستثناء صيغة الماضي وفي الظرف كلمة
إذ التي تفيد المضارع معنى الماضي وما يعزب عن ربك أي لا يبعد ولا يغيب عن علمه الشامل
وفي التعرض لعنوان الربوبية من الإشعار باللطف ما لا يخفى وقرئ بكسر الزاي من مثقال ذرة
كلمة من مزيدة لتأكيد النفي أي ما يعزب عنه ما يساوي في الثقل نملة صغيرة أو هباء في الأرض
ولا في السماء أي في دائرة الوجود والإمكان فإن العامة لا تعرف سواهما ممكناً ليس في أحدهما
أو متعلقاً بهما وتقديم الأرض لأن الكلام في حال أهلها والمقصود إقامة البرهان على إحاطة
علمه تعالى بتفاصيلها وقوله تعالى ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين كلام برأسه
مقرر لما قبله ولا نافية للجنس وأصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على

مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الرفع او على محل مع الجار جعل الاستثناء منقطعا كانه قيل
لا يعزب عن ربك شيء ولكن جميع الاشياء في كتاب مبين فكيف يعزب عنه شيء منها وقيل يجوز ان يكون
الاستثناء متصلا فان عزب عنه بمعنى بين عنه يصدر والمعنى لا يصدر عنه تعالى شيء الا وهو في كتاب
والمراد بالكتاب المبين اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله بيان لما يحويه البشير والوعد لما هو نتيجة
لاعمال المؤمنين وغاية لما ذكر قبل من كونه تعالى مهيمنا على نبيه عليه السلام وامته في كل ما ياتون وما يذرون
واحاطة علمه سبحانه بجميع ما في الارض والسماء وما لا اصغر ولا اكبر بثبته في الكتاب المبين بعد ما اشير الى
فظاعة حال المفترين على الله تعالى يوم القيمة وما سيعتريهم من الهول اشارة الى اجماليه على طريق
التهديد والوعيد وصدرت الجملة بحرفي التنبيه والتحقيق لزيادة تقرير مضمونها والولي لغة القريب
والمراد باولياء الله تعالى خلص المؤمنين لقربهم الروحاني منه سبحانه وتعالى كما سيفصح عنه تفسيرهم
لا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اي لا يعتريهم ما يوجب
ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم خوف وحزن اصلا بل
يستمرون على النشاط والسرور كيف واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله سبحانه وهيبته
واستقصارا للجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص والمقربين والمراد بيان
دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر مرارا ان
النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الاستمرار والدوام بحسب المقام وانما لا يعتريهم ذلك لان مقصدهم
ليس الا طاعة الله تعالى ونيل رضوانه المستتبع للكرامة والزلفى وذلك مما لا ريب في حصوله ولا احتمال لفواته
بموجب الوعد بالنسبة اليه تعالى واما ما عدا ذلك من الامور الدنيوية بين الحصول والفوات فهي بمعزل
من الانتظام في سلك مقصدهم وجودا وعدما حتى يخافوا من حصول ضارها او يحزنوا بفوات نافعها
وقوله عز وجل الذين آمنوا اي بكل ما جاء من عند الله تعالى وكانوا يتقون اي يقون انفسهم
عما يحق وقايتها عنه من الافعال والتروك وقاية دائمة حسبما يفيده الجمع بين الصيغتين الماضي والمستقبل
بيان وتفسير لهم واشارة الى ما به نالوا ما نالوا على طريقة الاستئناف المبني على السؤال ومحل الموصول
الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف كانه قيل من اولئك وما سبب فوزهم بتلك الكرامة فقيل هم
الذين جمعوا بين الايمان والتقوى المفضي الى كل خير المنجي عن كل شر وقيل محله النصب او الرفع على
المدح او على انه وصف مادح للاولياء ولا يقدح في ذلك توسط الخبر والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة
الجامعة لما تحتها من مرتبة التوقي عن الشرك التي يفيدها الايمان ايضا ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم
من فعل وترك اعني تنزه الانسان عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بالكلية وهو المتقوى الحقيقي
المامور به في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وبه يحصل الشهود والحضور والقرب الذي
عليه يدور اطلاق الاسم عليه هكذا كان حال من دخل معه عليه الصلوة والسلام [illegible]
عن وعلا ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ لهم في شأن التبتل والتنزه درجات متفاوتة
حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشية المبنية على الحكم الابية اقصاها ما
انتهى اليه همم الانبياء عليهم السلام حتى جمعوا بذلك بين رياستي النبوة والولاية ولم يعقهم التعلق بعالم
الاشباح عن الاستغراق في عالم الارواح ولم يصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق
لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية فذلك امر الولاية هو المتقوى المذكور فاولياء

الله تعالى هم المتقون المؤمنون ويقرب منه ما قيل من انهم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان وتولوا
القيام بحق عبودية الله تعالى والدعوة اليه ولا يخالفه ما قيل من انهم الذين يذكر الله برؤيتهم لما
روي عن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من اولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم
اي بسيماهم واخباتهم وسكينتهم ولا ما قيل من انهم المتحابون في الله لما روي عن عمر رضي الله عنه انه قال سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء
يوم القيمة لمكانهم من الله تعالى قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا
في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون
اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس فان ما ذكر من حسن السمت والسكينة المذكورة بالله تعالى والحب
في الله سبحانه من الاحكام الدينية اللازمة للايمان والتقوى والآثار الخاصة بهما الحقيقية بالتخصيص
بالذكر لظهورها ونيلها من افهام الناس فما ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا من ذلك حسبما يقتضيه
مقام الارشاد والتذكير ترغيبا للسائلين او غيرهم من الحاضرين فما خصه بالذكر هنا من احكامهما
لعل الحاضرين اولا كانوا محتاجين الى اصلاح الحال من جهة الاقوال والافعال والملابس ونحو ذلك
والحاضرين ثانيا مفتقرين الى تأليف قلوبهم وعطفها نحو المؤمنين الذين لا علاقة بينهم وبينهم
من جهة النسب والقرابة وتاكيد ما بينهم من الاخوة الدينية ببيان عظم شأنها ورفعة مكانها وحسن
عاقبتها ليراعوا حقوقها ويهجروا من لا يوافقهم في الدين من ذوي ارحامهم واما ما ذكر من ان تغبطهم
الانبياء فتصوير لحسن حالهم على طريقة التمثيل قال الكواشي هذا مبالغة والمعنى لو فرض
قوم بهذه الصفة لكانوا هؤلاء وقيل اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة
وجعل قوله عز وجل الذين آمنوا وكانوا يتقون تفسيرا لتوليهم اياه تعالى وقوله عز وعلا لهم
البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة تفسيرا لتوليه تعالى اياهم ولا ريب في ان اعتبار
القيد الاخير في مفهوم الولاية غير مناسب لمقام ترغيب المؤمنين في تحصيلها والثبات ونيلهم
باثارها ونتايجها بل مخل بذلك اذ التحصيل انما يتعلق بالمقدور والاستيثاق لا يحصل الا بعلم
وجود سببه والقيد المذكور ليس بمقدور لهم حتى يحصلوا الولاية بتحصيله ولا بمعلوم لهم عند
حصوله حتى يعرفوا احوال الولاية لهم ويستبشروا بمحاسن آثارها بل التولي بالكرامة عين
نتيجة الولاية فاعتباره في عنوان الموضوع من الاخلال بعدم الخوف والحزن ما لا يليق بشأن التنزيل الجليل
فالذي يقتضيه نظم الكلام ان الاول تفسير للاولياء حسبما شرح والثاني بيان لما اولاهم باطنا من الولاية
تفضلا وكرامة من خيرات الدارين بعد بيان انجائهم من شرورهما ومكارههما والجملة مستانفة كما
سبق كانه قيل هل لهم وراء ذلك من نعمة وكرامة فقيل لهم ما يسرهم في الدارين وتقديم
[illegible] التحلية سابقة على التحلية مع ما فيه من مراعاة حق المقابلة بين حسن حال المؤمنين
وسوء حال المفترين وتعجيل ادخال المسرة بتيسير الخلاص عن الاهوال وتوسيط البيان السابق بين
بشارة الخلاص عن المحذور وبشارة الفوز بالمطلوب لاظهار كمال العناية بتفسير الاولياء مع الايذان
بان انتفاء الخوف والحزن لايمانهم وما يؤدي اليهما من الاسباب والبشرى مصدر اريد به المبشر به
من الخيرات العاجلة كالنصر والفتح والغنيمة وغير ذلك والآجلة الغنية عن البيان واوثر الابهام والاجمال
للايذان بكونه وراء البيان والتفصيل والظرفان في موقع الحال منه والعامل ما في الخبر من معنى

الاستقرار اى لهم البشرى حال كونهم فى الحيوة الدنيا وحال كونهم فى الآخرة اى عاجلا وآجلا او من الضمير المجرور اى حال كونهم فى الحيوة الدنيا اما البشرى العاجلة فالثناء الحسن والذكر الجميل ومحبة الناس عن ابى ذر رضى الله عنه قلت يا رسول الله الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال عليه السلام تلك عاجل بشرى المؤمن هذا وقد قيل البشرى مصدر والظرفان متعلقان به واما البشرى فى الدنيا فهى البشارات الواقعة للمؤمنين المتقين فى غير موضع من الكتاب المبين وعن النبى صلى الله عليه وسلم هى الرؤيا الصالحة يراها المؤمن او ترى له وعنه عليه الصلوة والسلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى فى الآخرة فتلقى الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بايمانهم وما يقرؤون منها وغير ذلك من البشارات فتكون هذه بشارة بما سيقع من البشارات العاجلة والآجلة المطلوبة لغاياتها لا لذواتها ولا يخفى ان صرف البشارة الناجزة عن المقاصد بالذات الى وسائلها مما لا يساعده جلالة شأن التنزيل الكريم لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله التى من جملتها مواعيده الواردة ببشارة المؤمنين المتقين فيدخل فيها البشارات الواردة ههنا دخولا اوليا وبذلك يثبت امتناع الاخلاف فيها ثبوتا قطعيا وعلى تقدير كون المراد بالبشرى الرؤيا الصالحة فالمراد بعدم تبديل كلماته تعالى ليس عدم الخلف بينها وبين نتائجها الدنيوية والاخروية بل عدم الخلف بينها وبين ما دل على ثبوتها ووقوعها فيما سيأتى بطريق الوعد من قوله تعالى لهم البشرى فتدبر ذلك اشارة الى ما ذكر من ان لهم البشرى فى الدارين هو الفوز العظيم الذى لا فوز وراءه وفيه تفسير لما ابهم فيما سبق وهاتان الجملة والتى قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شأنه وليس من شرطه ان يكون بعده كلام متصل بما قبله وهذه تذييل والسابقة اعتراض ولا يحزنك قولهم تسلية لرسول صلى الله عليه وسلم عما كان يلقاه من جهتهم من الاذية الناشئة من مقالاتهم الموحشة وتبشير له عليه السلام بانه عز وجل ينصره ويعزه عليهم اثر بيان ان له ولاتباعه امنا من كل محذور وفوزا بكل مطلوب وقرئ ولا يحزنك من احزنه وهو فى الحقيقة نهى له عليه السلام عن الحزن كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بتكذيبهم وتشاورهم فى تدبير هلاكك وابطال امرك وسائر ما يتفوهون به فى شأنك مما لا خير فيه وانما وجه النهى الى قولهم للمبالغة فى نهيه عليه السلام عن الحزن لما ان النهى عن التأثير نهى عن التأثر باصله ونفى له بالمرة وقد يوجه النهى الى اللازم والمراد هو النهى عن الملزوم كما فى قولك لا ارينك ههنا وتخصيص النهى عن الحزن بالايراد مع شمول النفى السابق للخوف ايضا لما انه لم يكن فيه عليه السلام شائبة خوف حتى ينهى عنه وربما كان يعتريه عليه السلام فى بعض الاوقات نوع حزن فسلى عن ذلك وقوله تعالى ان العزة تعليل للنهى على طريقة الاستئناف اى ان الغلبة والقهر لله جميعا اى فى مملكته وسلطانه لا يملك احد شيئا منها اصلا لا هم ولا غيرهم فهو يقهرهم ويعصمك منهم وينصرك عليهم وقد كان كذلك فهى من جملة البشارات العاجلة وقرئ بفتح ان على صريح التعليل اى لان العزة لله هو السميع العليم يسمع ما يقولون فى حقك ويعلم ما يعزمون عليه وهو مكافيهم بذلك الا ان لله من فى السموات ومن فى الارض اى العقلاء من الملائكة

والثقلين وتخصيصهم بالذكر للايذان بعدم الحاجة الى التصريح بغيرهم فانهم مع شرفهم وعلو طبقتهم اذا كانوا عبيدا له سبحانه مقهورين تحت قدرته وملكه فما عداهم من الموجودات اولى بذلك وهو مع ما فيه من التأكيد لما سبق من اختصاص العزة به تعالى الموجب لسلوته عليه السلام وعدم مبالاته بالمشركين وبمقالاتهم تمهيد لما لحق من قوله تعالى وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء وبرهان على بطلان ظنونهم واعمالهم المبنية عليها وما اما نافية وشركاء مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف لظهوره اى ما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فى الحقيقة وان سموها شركاء فاقتصر على احدهما لظهور دلالته على الآخر ويجوز ان يكون المذكور مفعول يدعون ويكون مفعول يتبع محذوفا لانفهامه من قوله تعالى ان يتبعون الا الظن اى ما يتبعون يقينا انما يتبعون ظنهم الباطل واما موصولة معطوفة على من كأنه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء اى وله شركاؤهم وتخصيصهم بالذكر مع دخولهم فيما سبق عبارة للمبالغة ببيان بطلان اتباعهم وفساد ما بنوه عليه من ظنهم شركاءهم معبودين مع كونهم عبيدا له سبحانه واما استفهامية واى شئ يتبعون اى لا يتبعون شيئا ما يتبعون الا الظن والخيال الباطل كقوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها وقرئ تدعون بالتاء والاستفهام للتبكيت والتوبيخ كأنه قيل واى شئ يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين اى انهم لكونهم متبعين لله تعالى مطيعين له وتوبيخا لهم على عدم اقتدائهم بهم فى ذلك كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقيل ان يتبع هؤلاء المشركون الا الظن وما يتبعون ما يتبعه الملائكة والنبيون من الحق وان هم الا يخرصون يكذبون فيما ينسبونه اليه سبحانه ويحزرون ويقدرون انهم شركاء تقديرا باطلا هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على تفرده تعالى بالقدرة الكاملة والنعمة الشاملة ليدلهم على توحده سبحانه باستحقاق العبادة وتقرير لما سلف من كون جميع الموجودات الممكنة تحت قدرته وملكته المفصح عن اختصاص العزة به سبحانه والجعل ان كان بمعنى الابداع والخلق فبطرادان فلكم متعلق به الثانى او هو حال كما فى الوجه الاول والمفعول الثانى لتسكنوا فيه او هو محذوف يدل عليه المفعول الثانى من الجملة الثانية كما ان العلة الغائية فيها محذوفة اعتمادا على ما فى الاولى والتقدير هو الذى جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتتحركوا فيه لمصالحكم كما يجى نظيره فى قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله الآية فحذف فى كل واحد من الجانبين ما ذكر فى الآخر اكتفاء بالمذكور عن المتروك واسناد الابصار الى النهار مجازى كالذى فى نهاره صائم ان فى ذلك اى فى جعل كل منهما كما وصف وفيهما وما فى اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه وعلو رتبته لآيات اى عجيبة كثيرة وآيات اخرى غير ما ذكر لقوم يسمعون اى هذه الآيات المتلوة ونظائرها المنبهة على تلك الآيات الكونية الآمرة بالتأمل فيها سماع تدبر واعتبار فيعملون بمقتضاها وتخصيص الآيات بهم مع انها منصوبة لمصلحة الكل لما انهم المنتفعون بها قالوا شروع فى ذكر ضرب آخر من اباطيلهم وبيان بطلانه اتخذ الله ولدا اى تبناه سبحانه تنزيه وتقديس له عما نسبوا اليه وتعجيب لهم من كلمتهم الحمقاء هو الغنى على الاطلاق عن كل شئ فى كل شئ وهو علة لتنزهه سبحانه وايذان بان اتخاذ

الولد من احكام الحاجة وقوله عز وجل له ما في السموات وما في الارض اى من العقلاء وغيرهم تقرير
لغناه وتحقيق لمالكيته تعالى لكل ما سواه وقوله تعالى ان عندكم من سلطان اى حجة بهذا
اى بما ذكر من قولهم الباطل توضيح لبطلانه بتحقيق سلامة ما اقيم من البرهان الساطع عن المعارض
فمن في من سلطان زائدة لتأكيد النفي وهو مبتدأ والظرف المقدم خبره او مرتفع على انه فاعل للظرف لاعتماده
على النفي وبهذا متعلق اما بسلطان لانه بمعنى الحجة والبرهان واما بمحذوف وقع صفة له واما بما في عندكم
من معنى الاستقرار كأنه قيل ان عندكم في هذا القول من سلطان والالتفات الى الخطاب لمزيد
المبالغة في الالزام والافحام وتأكيد ما في قوله تعالى اتقولون على الله ما لا تعلمون من التوبيخ
والتقريع على جهلهم واختلاقهم وفيه تنبيه على ان كل مقالة لا دليل عليها فهي جهالة وان
العقائد لابد لها من برهان قطعي وان التقليد بمعزل من الاعتداد به قل تلوين للخطاب وتوجيه له
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبين لهم سوء مغبتهم ووخامة عاقبتهم ان الذين
يفترون على الله الكذب اى في كل امر فيدخل ما نحن بصدده من الافتراء بنسبة الولد اليه
سبحانه دخولا اوليا لا يفلحون اى لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب اصلا وتحقيق
عدم النجاة والفوز بما ينبئ عنه ذلك من عدم النجاة من النار وعدم الفوز بالجنة لا يناسب
مقام المبالغة في الزجر عن الافتراء عليه سبحانه متاع في الدنيا كلام مستأنف سيق لبيان
ان ما يترائى فيهم بحسب الظاهر من نيل المطالب والفوز بالحظوظ الدنيوية على الاطلاق او في
ضمن افترائهم بمعزل من ان يكون من جنس الفلاح كأنه قيل كيف لا يفلحون وهم في غبطة ونعيم
فقيل هو متاع يسير في الدنيا ليس بفوز بالمطلوب ثم اشير الى انتفاء النجاة من المكروه
ايضا بقوله عز وعلا ثم الينا مرجعهم اى بالموت ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا
يكفرون فيبقون في الشقاء المؤبد بسبب كفرهم المستمر او بكفرهم في الدنيا فاين هم من
الفلاح وقيل المبتدأ المحذوف حياتهم او تقلبهم وقد قيل افتراؤهم ولا يخفى ان المتاع
انما يطلق على ما يكون مطبوعا عند النفس مرغوبا فيه في نفسه يتمتع وينتفع به وانما عدم
الاعتداد به لسرعة زواله ونفس الافتراء عليه سبحانه افتح القبائح عند النفس فضلا عن
ان يكون مطبوعا عندها وعده كذلك باعتبار اجراء حكم ما يؤدى اليه من دنيا ما هم عليه
لا وجه له فالوجه ما ذكر اولا وليس ببعيد ما قيل ان المحذوف هو الخبر اى لهم متاع والاية
اما مسوقة من جهة الله سبحانه لتحقيق عدم افلاحهم غير داخلة في الكلام المأمور به كما ينبئ عنه
ظاهر قوله تعالى ثم الينا وقوله تعالى ثم نذيقهم واما داخلة فيه على ان النبي صلى الله عليه وسلم
مأمور بنقله وحكايته عنه عز وجل واتل عليهم اى على المشركين من اهل مكة وغيرهم
لتحقيق ما سبق من انهم لا يفلحون وانما يتمتعون بما يتمتعون على جناح الفوات وانهم مشرفون على
العذاب الخالد نبأ نوح اى خبره الذى له شأن وخطر مع قومه الذين هم اضراب قومك
في الكفر والعناد ليتدبروا ما فيه من زوال ما تمتعوا به من النعم وحلول عذاب الغرق
الموصول بالعذاب المقيم ليتنزجروا بذلك عما هم عليه من الكفر او تنكسر شدة شكيمتهم او يعترف
بعضهم بصحة نبوتك بان عرفوا ما تتلوه موافقا لما ثبت عندهم من غير مخالفة بينهما اصلا
مع علمهم بانك لم تسمع ذلك من احد ليس الا بطريق الوحى وفيه من تقرير ما سبق من كون الكلام

سبحانه واختصاصه له به تعالى وانتفاء الخوف والحزن من اوليائه عز وعلا قاطبة وتسلية النبي
صلى الله عليه وسلم وحمله على عدم المبالاة بهم وباقوالهم وافعالهم ما لا يخفى اذ قال معمول لنبأ او بدل منه
بدل اشتمال واياما كان فالمراد بعض نبائه عليه السلام لا كل ما جرى بينه وبين قومه واللام في قوله تعالى
لقومه للتبليغ يا قوم ان كان كبر اى عظم وشق عليكم مقامي اى نفسي كما يقال فعلته لمكان
فلان اى لفلان ومنه قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه اى خاف ربه او قيامى ومكثى بين
ظهرانيكم مدة طويلة او قيامى وتذكيري بآيات الله فانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة يقومون
على ارجلهم والجماعة قعود ليظهر حالهم ويسمع مقالهم فعلى الله توكلت جواب للشرط اى دمت على
تخصيص التوكل به تعالى ويجوز ان يراد به احداث مرتبة مخصوصة من مراتب التوكل فاجمعوا امركم عطف
على الجواب والفاء لترتيب الامر بالاجماع على التوكل لا لترتيب نفس الاجماع عليه او هو الجواب وما
سبق جملة اعتراضية والاجماع العزم قيل هو متعد بنفسه وقيل بحرف وايصال قال السدوسي
اجمعت الامر افصح من اجمعت عليه وقال ابو الهيثم اجمع امره جعله مجموعا بعدما كان متفرقا وتفرقه
انه يقول مرة افعل كذا واخرى افعل كذا فاذا عزم على امر واحد فقد جمعه اى جعله جميعا وشركاءكم
بالنصب على ان الواو بمعنى مع كما يدل عليه القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل تنزيلا للفصل منزلة
التأكيد واسناد الاجماع الى الشركاء على طريقة التهكم وقيل انه عطف على امركم بحذف المضاف
اى امر شركائكم وقيل منصوب بفعل محذوف اى وادعوا شركاءكم وقد قرئ كذلك وقرئ
فاجمعوا من الجمع اى فاعزموا على امركم الذى تريدون بي من السعي في اهلاكي واحتشدوا فيه على اى
وجه يمكنكم ثم لا يكن امركم ذلك عليكم غمة اى مستورا من غمه اذا ستره بل مكشوفا مشهورا
تجاهرونني به فان الستر انما يصار اليه لسد باب تدارك الخلاص بالهرب او نحوه فحيث استحال ذلك
في حقي لم يكن للستر وجه وانما خاطبهم عليه السلام بذلك اظهارا لعدم المبالاة بهم وانهم لن يجدوا اليه سبيلا
وثقة بالله سبحانه وبما وعده من عصمته وكلاءته وكلمة ثم للتراخي في الرتبة والظاهر ان الامر في موقع
الاضمار لان يراد به تقرير بتبعيضها مقام الامر بالاظهار الذى يستلزم صرف النهى عن الستر والاسرار
وقيل المراد بامرهم ما يعتريهم من جهته عليه السلام من الحال الشديدة عليهم المكروهة لديهم والغمة الغم
كالكربة والكرب وثم للتراخي الزماني والمعنى لا يكن حالكم عليكم غمة وتخلصوا باهلاكى
من ثقل مقامي وتذكيري ولا يخفى انه لا يساعده قوله عز وجل ثم اقضوا الى ولا تنظرون اى
ادوا الى اى احكموا ذلك الامر الذى تريدون بي ولا تمهلوني كقوله تعالى وقضينا اليه ذلك
الامر وامضوا ما هو حق عليكم عندكم من اهلاكي كما يقضى الرجل غريمه فان توسيط ما يحصل بعد
الاهلاك بين الامر بالعزم على مباديه وبين الامر بقضائه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه
وقرئ افضوا بالفاء اى انتهوا الى بشركم او ابرزوا الى من افضى اذا خرج الى الفضاء فان
توليتم الفاء لترتيب التولى على ما سبق فالمراد به اما الاستمرار عليه واما احداث التولى
المخصوص اى ان اعرضتم عن نصحي وتذكيري اثر ما شاهدتم منى مخايل صحة ما اقول ودلائلها
التى من جملتها دعوتي اياكم جميعا الى التحقيق ما تريدون بى من السوء غير مبال بكم وبما
يأتى منكم واحجامكم عن الاجابة بعد ما سمعتم بالى على الحق المبين مؤيد من عند الله لعن يد
فما سألتكم من اجر بمقابلة وعظى وتذكيري تؤدونه الى حتى يؤدى ذلك الى توليكم

اما لامهالكم اياى بالطبع والسؤال واما لنقل المسئول عليكم او حتى تضجرى فلكم المودى الى الحرمان فالاول
لاظهار بطلان التولى ببيان عدم ما يصححه والثانى لاظهار عدم بنا لانه عليه السلام بوجوده وعدمه وعلى
التقديرين فالفاء الجزائية بسببية الشرط لاعلام مضمون الجزاء لا لنفسه والمعنى ان توليتم فاعلموا
ان ليس فيه ما يصحح له ولا ما ترمونه وقوله عز وجل ان اجرى الا على الله نظم معنيين جميعا اخذا من الاول
تاكيدا ومع الثانى تعليلا لاستغنائه عليه السلام عنهم اى ما ثوابى على العظة والتذكير الا عليه تعالى يثيبنى به
اسلمتم او توليتم وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره او المستسلمين
لكل ما يصيبنى من البلاء فى طاعة الله تعالى فكذبوه فاصروا على ما هم عليه من التكذيب بعدما الزمتهم
الحجة وبين ان توليهم ليس له سبب سوى التمرد والعناد فلا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه
ومن معه فى الفلك من المسلمين وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين واغرقنا
الذين كذبوا باياتنا اى بالطوفان وتاخير ذكره عن ذكر الانجاء والاستخلاف حسبما وقع فى قوله
عز وعلا ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة وغير
ذلك من الايات الكريمة لاظهار كمال العناية بشان المقدم وتعجيل المسرة للسامعين وللايذان
بسبق الرحمة التى هى من مقتضيات الربوبية على الغضب الذى هو من مستتبعات جرائم المجرمين
فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تهويل لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب بالرسول صلى الله عليه وسلم
وتسلية له عليه السلام ثم بعثنا اى ارسلنا من بعده اى من بعد نوح عليه السلام رسلا التنكير للتفخيم ذاتا ووصفا
اى رسلا كراما ذوى عدد كثير الى قومهم اى الى اقوامهم لكن لا بان ارسلنا كل رسول منهم الى اقوام
الكل او الى قوم ما اى قوم كانوا بل كل رسول الى قومه خاصة مثل هود الى عاد وصالح الى ثمود
وغير ذلك ممن قص منهم ومن لم يقص فجاءوهم اى جاء كل رسول قومه المخصوصين به بالبينات اى
بالمعجزات الواضحة الدالة على صدق ما قالوا والباء اما متعلقة بالفعل المذكور على انها للتعدية او بمحذوف
وقع حالا من ضميره اى ملتبسين بالبينات لكن لا بان ياتى كل رسول ببينة واحدة بل
ببينات كثيرة خاصة به معينة له حسبما اقتضته الحكمة فان مراعاة انقسام الاحاد الى الاحاد انما
هى بين ضميرى جاءوهم كما اشير اليه فما كانوا ليؤمنوا بيان لاستمرار عدم ايمانهم فى الزمان الماضى لا لعدم
استمرار ايمانهم كما مر مثله فى هذه السورة الكريمة غير مرة اى فما صح وما استقام لقوم من اولئك
الاقوام فى وقت من الاوقات ان يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعا منهم لشدة شكيمتهم فى الكفر والعناد
ثم انه ان كان المحكى اخر حال كل قوم حسبما يدل عليه قوم نوح فالمراد بعدم ايمانهم المذكور ههنا اصرارهم
على ذلك بعد اللتيا والتى وفيما اشير اليه فى قوله عز وجل بما كذبوا به من قبل تكذيبهم من حين
مجىء الرسل الى زمان الاصرار والعناد فانه لم يجعل مقصودا بالذات كالاول حيث جعل صلة للموصول
ايذانا بانه بين بنفسه غنى عن البيان وانما المحتاج الى ذلك عدم ايمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة
وتظاهر المعجزات الباهرة التى كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من اصحاب العقول والموصول الذى
تعلق به الايمان والتكذيب سلبا وايجابا عبارة عن جميع الشرائع التى جاء بها كل رسول اصولها وفروعها
وان كان المحكى جميع احوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكر اولا كفرهم المستمر من حين مجىء الرسل الى
ما اشير اليه اخرا تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من كون الموصول المذكور عبارة عن اصول الشرائع التى
اجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا اممهم اليها اثر ذى اثر لاستحالة تبدلها وتغيرها مثل ملة التوحيد

ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجىء رسلهم انهم ما كانوا فى زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوا بكلمة التوحيد قط
بل كان كل قوم من اولئك الاقوام يتسامعون بها من بقايا من قبلهم كثمود من بقايا عاد وعاد من
بقايا قوم نوح عليه السلام فكذبوها ثم كانت حالتهم بعد مجىء الرسل كحالتهم قبل ذلك كأن لم يبعث اليهم
احد وتخصيص التكذيب وعدم الايمان بما ذكر من الاصول لظهور حال الباقى بدلالة النص فانهم حين
لم يؤمنوا بما اجمعت عليه كافة الرسل فلأن لا يؤمنوا بما تفرد به بعضهم اولى وعدم جعل هذا التكذيب
مقصودا بالذات لما ان ما عليه يدور امر العذاب والعقاب عند اجتماع التكذيبين هو التكذيب
الواقع بعد الدعوة حسبما يؤذن به قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وانما ذكر ما وقع
قبله بيانا لعراقتهم فى الكفر والتكذيب وعلى التقديرين فالضمير المتسق واحد فى الموضعين وقيل ضمير كذبوا
راجع الى قوم نوح عليه السلام والمعنى فما كان قوم الرسل ليؤمنوا بما كذب به قوم نوح ولا يخفى ما فيه
من التعسف وقيل الباء للسببية اى بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل
ولا يخفى ان ذلك يؤدى الى نفى اللطف رأسا وحمل ما المصدرية من قبيل الاسماء كما هو رأى الاخفش
وابن السراج ليرجع اليها الضمير فى ارجاعه الى الحق بادعاء كونه مركوزا فى الاذهان ما لا يخفى من التعسف
كذلك اى مثل ذلك الطبع المحكم نطبع بنون العظمة وقرئ بالياء على ان الضمير لله سبحانه على قلوب
المعتدين المجاوزين عن الحدود المعهودة فى الكفر والعناد والمتجافين عن قبول الحق وسلوك
طريق الرشاد وذلك بخذلانهم وتخليتهم وشأنهم لانهماكهم فى الغى والضلال وفى امثال هذا
دلالة على ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد ثم بعثنا عطف على قوله تعالى ثم بعثنا
من بعده رسلا الى قومهم عطف قصة على قصة من بعدهم اى من بعد اولئك الرسل عليهم السلام موسى وهرون
خصتهما عليهما السلام بالذكر ولم يكتف باندراجهما فيما اشير اليه انفا اجمالا من اخبار الرسل
عليهم السلام مع اقوامهم وادرج فى ذلك ضرب تفصيل ايذانا بخطر شأن القصة وعظم وقعها كما فى نبأ
نوح عليه السلام الى فرعون وملائه اى اشراف قومه وتخصيصهم بالذكر لاصالتهم فى اقامة المصالح
والمهمات ومراجعة الكل اليهم فى النوازل والملمات باياتنا اى ملتبسين بها وهى الايات المفصلات
فى الاعراف فاستكبروا الاستكبار ادعاء الكبر من غير استحقاق والفاء فصيحة اى فاتياهم فبلغاهم الرسالة
فاستكبروا عن اتباعهما وذلك قول اللعين لموسى عليه السلام الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك
سنين الخ وكانوا قوما مجرمين اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اى كانوا معتادين لارتكاب الذنوب
العظام فان الاجرام مؤذن بعظم الذنب ومنه الجرم اى الجثة فلذلك اجترؤوا على ما اجترؤوا عليه من
الاستهانة برسالة الله عز وجل وحمل الاستكبار على الامتناع عن قبول الايات لا يساعده قوله عز وجل
فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين فانه صريح فى ان المراد باستكبارهم ما وقع منهم
قبل مجىء الحق الذى هو من اعظم العصا واليد البيضاء كما ينبئ عنه سياق النظم الكريم وذلك
اول ما اظهره عليه السلام من الايات العظام والفاء فيه ايضا فصيحة مفصحة عما صرح به فى مواضع اخر
كأنه قيل قال موسى قد جئتكم ببينة من ربكم الى قوله تعالى فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ونزع
يده فاذا هى بيضاء للناظرين فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه قالوا من فرط عتوهم وعنادهم
ان هذا لسحر مبين اى ظاهر كونه سحرا او فائق فى بابه واضح فيما بين اضرابه وقرئ لساحر قال موسى
استئناف مبنى على سؤال ينساق اليه الاذهان كأنه قيل فماذا قال لهم موسى عليه السلام فقيل قال على طريقة

الاستفهام الانكاري للتوبيخ اتقولون للحق الذي هو ابعد شيء من السحر الذي هو الباطل البحت لما جاءكم اي حين مجيئه اياكم ووقوفكم عليه او من اول الامر من غير تامل وتدبر وكلا الحالين مما ينافي القول المذكور والقول محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه وايذانا بانه مما لا ينبغي ان يتفوه به ولو على نهج الحكاية اي اتقولون له ما تقولون من انه لسحر يعني انه مما لا يمكن ان يقوله قائل ويتكلم به متكلم او القول بمعنى العيب والطعن من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونظيره الذكر في قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم الخ فيستغني عن المفعول اي اتعيبونه وتطعنون فيه وعلى الوجهين قوله عز وجل اسحر هذا انكار مستانف من جهته عليه السلام لكونه سحرا وتكذيب لقولهم وتوبيخ لهم على ذلك اثر توبيخ وتجهيل بعد تجهيل اما على الاول فظاهر واما على الثاني فوجه ايثار انكار كونه سحرا على انكار كونه معيبا بان يقال افيه عيب حتى تطعنوا فيه هو التصريح بالرد عليهم في خصوص ما عابوه به بعد التنبيه بالانكار السابق على انه ليس فيه شائبة عيب ما وما في هذا من معنى القرب زيادة تعيين للمشار اليه واستحضار لما فيه من الصفات الدالة على كونه اية باهرة من ايات الله المنادية على امتناع كونه سحرا اي اسحر هذا الذي امره واضح مكشوف وشانه مشاهد معروف بحيث لا يرتاب فيه احد ممن له عين مبصرة وتقديم الخبر للايذان بانه مصب الانكار وما التزم كونه سحرا كون من اتى به ساحرا اكد الانكار السابق وما فيه من التوبيخ والتجهيل بقوله عز وجل ولا يفلح الساحرون وهو جملة حالية من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو بلا ضمير كما في قولك جاء الشتاء ولست املك عدة وقولك جاء زيد ولم تطلع الشمس اي اتقولون للحق انه سحر والحال انه لا يفلح فاعله اي لا يظفر بمطلوب ولا ينجو من مكروه فكيف يمكن صدوره من مثلي من المؤيدين من عند العزيز الحكيم الفائزين بكل مطلب الناجين عن كل محذور وقوله تعالى اسحر هذا جملة معترضة بين الحال وصاحبها اكد بها الانكار السابق ببيان استحالة كونه سحرا بالنظر الى ذاته قبل بيان استحالته بالنظر الى صدوره عنه عليه السلام هذا واما تجويز ان يكون الكل مقولا لقوله عليه السلام على ان المعنى اجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون فمما لا يساعده النظم الكريم اصلا اما اولا فلان ما قالوا هو الحكم بانه سحر اذ يكون فيه دلالة على ما نقضوه فليس المعنى بوجه من الوجوه فضلا عن حكايته عليه السلام عن صريح ما خاطبوه به الى ما ليس منه اصلا مما يجب تنزيه التنزيل عن الحمل على امثاله واما ثانيا فلان التعرض لعدم افلاح السحرة على الاطلاق من وظائف من يتمسك بالحق المبين دون الكفرة المتشبثين باذيال بعض منهم في معارضته عليه السلام ولو كان ذلك من كلامهم لناسب تخصيص عدم الافلاح بمن تمويه ساحر ايضا على غلبة من ياتون به من السحرة واما ثالثا فلان قوله عز وجل قالوا اجئتنا الخ مسوق لبيان انه عليه السلام القمهم الحجر فانقطعوا عن الاتيان بكلام له تعلق بكلامه عليه السلام فضلا عن الجواب الصحيح واضطروا الى التشبث بذيل التقليد الذي هو داب كل عاجز محجوج وديدن كل معاند لجوج على انه استئناف وقع جوابا عما قبله من كلامه عليه السلام على طريقة قوله تعالى قال موسى الخ حسبما اشير اليه كانه قيل فماذا قالوا لموسى عليه السلام عندما قال لهم ما قال فقيل قالوا عاجزين عن المحاجة اجئتنا لتلفتنا اي لتصرفنا فان الفتل واللفت اخوان عما وجدنا عليه اباءنا اي من عبادة الاصنام ولا ريب في ان ذلك انما يستقيم بكون ما ذكر من تتمة كلامه عليه السلام على الوجه

الذي شرح اذ على تقدير كونه محكيا من قبلهم يكون جوابه عليه السلام خاليا عن التبكيت الملجئ لهم الى العدول عن سنن المحاجة ولا ريب في ان لا علاقة بين قولهم اجئتنا الخ وبين انكاره عليه السلام ما حكي عنهم مصحح لكونه جوابا عنه وتكون لكما الكبرياء اي الملك لاتصاف الملوك بالكبر على الناس باستتباعهم وقرئ ويكون بالياء التحتانية وكلمة في في قوله تعالى في الارض اي ارض مصر متعلقة بتكون او بالكبرياء او بالاستقرار في لكما لوقوعه خبرا او بمحذوف وقع حالا من الكبرياء او من الضمير في لكما لتحمله اياه وما نحن لكما بمؤمنين اي بمصدقين فيما جئتما به وتثنية الضمير في هذين الموضعين بعد افراده فيما تقدم من المقامين باعتبار شمول الكبرياء لهما عليهما السلام واستلزام التصديق لاحدهما التصديق للاخر واما اللفت والمجيء له فحيث كانا من خصائص صاحب الشريعة اسند الى موسى عليه السلام خاصة وقال فرعون توجيه الفعل الى الامر من وظائف فرعون اي قال للملا يامرهم بترتيب مبادي الزامه عليه السلام بالفعل بعد اليأس عن الزامه بالقول ائتوني بكل ساحر عليم متقن لفنون السحر حاذق ماهر فيه وقرئ سحار فلما جاء السحرة عطف على مقدر يستدعيه المقام قد حذف ايذانا بسرعة امتثالهم بامر فرعون كما هو شان الفاء الفصيحة في كل مقام اي فاتوا به فلما جاءوا قال لهم موسى لكن لا في الابتداء بل بعدما قالوا له عليه السلام ما حكي عنهم في السورة الاخرى من قولهم اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ونحو ذلك القوا ما انتم ملقون اي ملقون له كائنا ما كان من اصناف السحر فلما القوا ما القوا من العصي والحبال واسترهبوا الناس وجاءوا بسحر عظيم قال لهم موسى غير مكترث بهم وبما صنعوا ما جئتم به السحر ما موصولة وقعت مبتدا والسحر خبرها اي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه من ايات الله سبحانه وهو من جنس السحر يوهم ان حال الذين لا يعبا به كانه قال ما جئتم به مما لا ينبغي ان يجابه وقرئ السحر على الاستفهام فما استفهامية اي اي شيء جئتم به اهو السحر الذي يتحاشى عنه كل احد ولا يتصدى له عاقل وقرئ ما جئتم به سحر وقرئ ما اتيتم به سحر ودلالتها على المعنى الثاني في القراءة المشهورة اظهر ان الله سيبطله اي يمحقه بالكلية بما يظهره على يدي من المعجزة فلا يبقى له اثر اصلا او سيظهر بطلانه للناس والسين للتاكيد ان الله لا يصلح عمل المفسدين اي عمل جنس المفسدين على الاطلاق فيدخل فيه السحر دخولا اوليا او عملكم فيكون من باب وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالافساد والاشعار بعلة الحكم وليس المراد بعدم اصلاحه عليهم عدم جعل فساده صلاحا بل عدم اثباته وتمامه اي لا يثبته ولا يكمله ولا يديمه بل يمحقه ويهلكه ويسلط عليه الدمار والجملة تعليل لما سبق من قوله ان الله سيبطله الخ اعتراض تذييلي وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق عطف على قوله سيبطله اي يثبته ويقويه واظهار الاسم الجليل في المقامين لالقاء الروعة وتربية المهابة بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك والمراد بهم كل من اتصف بالاجرام من السحرة وغيرهم فما امن لموسى معطوف على مقدر قد فصل في مواقع اخر اي فالقى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون الخ وانما لم يذكر تعويلا على ذلك وايثارا للايجاز وايذانا بان قوله تعالى ان الله سيبطله مما لا يحتمل الخلف اصلا وعطفه على ذلك بالفاء مع كونه عدما مستمرا من قبيل ما في قوله تعالى فاتبعوا امر فرعون وما قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر والسر في ذلك ان الاتيان بالشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان

استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث اي فما آمن لموسى عليه السلام في مبدأ هذه تلك
الآيات القاهرة الا ذرية من قومه اي الا اولاد من اولاد قومه بني اسرائيل حيث دعا الآباء فلم
يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة
من شبانهم آمنوا به عليه السلام كمؤمن آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وامرأته وماشطته وهو
بعيد على خوف اي كائنين على خوف عظيم من فرعون وملائهم الضمير لفرعون لما هو المعتاد
في ضمائر العظماء والايذان بمقام بيان علوه في الفساد وعلوه في الارض التسلط على العباد او لان
المراد به آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم اي على خوف من فرعون ومن اشراف بني
اسرائيل حيث كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم ان يفتنهم اي
يعذبهم وهو بدل اشتمال او مفعول خوف فان اعمال المصدر المنكر كثير كما في قوله عز وجل
او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما او مفعول له بعد حذف اللام واسناد الفعل الى فرعون
خاصة لانه الآمر بالتعذيب وان فرعون لعال في الارض لغالب في ارض مصر وانه لمن
المسرفين في الظلم والفساد بالقتل وسفك الدماء او في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية
واسترق اسباط الانبياء والجملتان اعتراض تذييلي مؤكد لمضمون ما سبق وقال موسى
لما رأى تخوف المؤمنين منه يا قوم ان كنتم آمنتم بالله اي صدقتم به وبآياته فعليه
توكلوا وبه ثقوا ولا تخافوا احدا غيره فانه كافيكم كل شر وضر ان كنتم مسلمين مستسلمين
لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب
التوكل عليه تعالى فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام وجوده فانه لا يتحقق مع التخليط ونظيره
ان احسن اليك زيد فاحسن اليه ان قدرت عليه فقالوا مجيبين له عليه السلام من غير تلعثم
في ذلك على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ثم دعوا ربهم قائلين ربنا لا تجعلنا
فتنة اي موضع فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم علينا حتى يعذبونا او يفتنونا عن
ديننا او يفتتنوا بنا ويقولوا لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا وقوله تعالى ونجنا برحمتك
من القوم الكافرين دعاؤهم بالانجاء من سوء جوارهم وشؤم مصاحبتهم بعد الابتهال
ولذلك عبر عنهم بالكفر بعدما وصفوا بالظلم وفي تقديم الدعاء على التوكل تلويح بان
الداعي حقه ان يبني دعاءه على التوكل على الله تعالى واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا
ان مفسرة لان في الوحي معنى القول اي اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا تسكنون
فيها وترجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك قبلة مصلى وقيل
مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة فان موسى عليه السلام كان يصلي اليها واقيموا الصلاة
اي فيها امروا بذلك في اول امرهم لئلا تظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم
وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا اجابة لدعوتهم وبالجنة في العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان
التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتولاه رؤساء القوم بتشاور ثم جمع لان البيوت مساجد
والصلاة فيها مما يفعله كل احد ثم وحد لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشريعة ووضع المؤمنين
موضع ضمير القوم لمدحهم بالايمان والاشعار بانه المدار في التبشير وقال موسى ربنا انك آتيت
فرعون وملأه زينة اي ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوها واموالا اي انواعا كثيرة

من المال في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم بممارسة
احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت او
للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها ذريعة الى
الضلال فكأنهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تأكيدا او تنبيها على ان المقصود عرض
ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله تعالى ربنا اطمس على اموالهم الطمس المحق وقرئ بضم الميم اي
اهلكها واشدد على قلوبهم اي اجعلها قاسية واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان كما هو قضية
شأنهم فلا يؤمنوا جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهي او عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء
معترض حتى يروا العذاب الاليم اي يعاينوه ويوقنوا به بحيث لا ينفعهم ذلك اذ ذاك
قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى وهارون عليهما السلام لانه كان يؤمن كما يتحقق به
اضافة الرب الى ضمير المتكلم مع الغير في المواقع الثلاثة فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من
الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتماه كائن في وقته لا محالة روي انه
مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون اي بعادات
الله سبحانه في تعليق الامور بالحكم والمصالح او سبيل الجهلة في الاستعجال او عدم الوثوق
بوعد الله تعالى وقرئ بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان من تبع
ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببني اسرائيل البحر هو من جاوز المكان اذا خطاه وخلفه والباء
للتعدية اي جعلناهم مجاوزين البحر بان جعلناه يبسا وحفظناهم حتى بلغوا الشط وقرئ
جوزنا وهو من التجويز المرادف للمجاوزة لا ما هو بمعنى التضعيف كما وقع في قول الاعشى
كما جوز السكي في الباب فيتق وإلا لقيل وجوزنا بني اسرائيل في البحر وقد خلا النظم الكريم عن
الايذان بنقصانهم عن البحر وبمقارنة العناية الالهية لهم عند الجواز كما هو المفهوم في الفرق
بين اذهبه وذهب به فاتبعهم يقال تبعته حتى اتبعته اذا كان سبقك فلحقته اي ادركهم
ولحقهم فرعون وجنوده حتى تراءت الفئتان وكاد يجتمع الجمعان بغيا وعدوا ظلما
واعتداء اي باغين وعادين او للبغي والعدوان وقرئ عدوا وذلك ان موسى عليه السلام
خرج ببني اسرائيل على حين غفلة من فرعون فلما سمع بهم تبعهم حتى لحقهم ووصل الى الساحل
وهم قد خرجوا من البحر ومسلكهم باق على حاله يبسا فسلكه بجنوده اجمعين فلما دخل آخرهم
وهم اولهم بالخروج غشيهم من اليم ما غشيهم حتى اذا ادركه الغرق اي لحقه والجمه قال آمنت
انه اي بانه والضمير للشأن وقرئ انه على الاستئناف بدلا من آمنت وتفسيرا له لا اله
الا الذي آمنت به بنو اسرائيل لم يقل كما قالت السحرة آمنا برب العالمين رب موسى وهارون
بل عبر عنه تعالى بالموصول وجعل صلته ايمان بني اسرائيل به تعالى للاشعار برجوعه عن
الاستعصاء وباتباعه لمن كان يستتبعهم طمعا في القبول والانتظام معهم في سلك النجاة
وانا من المسلمين اي الذين اسلموا نفوسهم لله اي جعلوها سالمة خالصة له تعالى واراد
بهم اما بني اسرائيل خاصة واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة على الاول عطف
على آمنت وايثار الاسمية لادعاء الدوام والاستمرار وعلى الثاني تحتمل الحالية ايضا من ضمير
المتكلم اي آمنت مخلصا لله منتظما في سلك الراسخين فيه فلقد كرر المعنى الواحد ثلاث

عبارات حرصا على القبول المفضي الى النجاة وهيهات هيهات بعد ما فات ما فات واني باهوات
مقول لقوله عز وجل آلآن معمول لقول مقدر معطوف على قال اى فقيل له وهو القول تعالى اياه
حكاية لما جرى منه سبحانه من التعنيف عن العدول ومقابلته بالرد على وجه الانكار والتوبيخ
على تاخيره وتقريعه بالعصيان والافساد في ذلك ومن صفة الفعل المذكور فان الجمل المحكية
سوية الا ان فيها الدلالة على عظم السخط وشدة الغضب ما لا يخفى كما يفصح عنه ما روى ان جبريل
عليه السلام دس فاه عند ذلك بحال البحر ودسه به فانه تاكيد للرد القولي بالرد الفعلي ولا ينافيه
تعليله بمخافة ادراك الرحمة فيما نقل انه قال للنبي عليه السلام لو رايتني يا محمد وانا اخذ من
حال البحر فادسه في فيه مخافة ان تدركه الرحمة اذ المراد بها الرحمة الدنيوية اى النجاة التي
هو طالبها المخذول وليس من ضرورة ادراكها صحة الايمان كما في ايمان قوم يونس عليه السلام حتى
يلزم من كراهته ما لا يتصور في شان جبريل عليه السلام من الرضى بالكفر اذ لا استحالة في ترتيب
هذه الرحمة على مجرد التفوه بكلمة الايمان وان كان ذلك في حالة الباس واليأس فيحمل دسه
عليه السلام على سد باب الاحتمال البعيد لكمال الغيظ وشدة الحرد والله الموفق ومحل العامل
في الظرف ان يقدر موخرا ليتوجه الانكار والتوبيخ الى تاخير الايمان الى حد يمتنع قبوله فيه اى الآن
تؤمن حين يئست من الحيوة وايقنت بالممات وتوليت عن فعله وقد عصيت قبل حال من
فاعل الفعل المقدر جيء به لتشديد التوبيخ والتقريع على تاخير الايمان الى هذا الآن ببيان انه
لم يكن تاخيره لعدم بلوغ الدعوة اليه ولا للتامل والتدبر في دلائل الايمانية ولا لعلة اخرى
مما عسى يعد عذرا في التاخير بل كان ذلك على طريقة الرد والاستعصاء والافساد فان قوله
تعالى وكنت من المفسدين عطف على عصيت داخل في حيز الحال اى وكنت من الغالين له
في الضلال والاضلال عن الايمان كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم
عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فهذا عبارة عن فساده الراجع الى نفسه والساري
الى غيره من الظلم والتعدي وصد بني اسرائيل عن الايمان والاول عن عصيانه الخاص به فاليوم
ننجيك اى نخرجك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او في التعبير عنه بالتنجية
تلويح بان مراده بالايمان في النجاة كاين وتهكم به او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنو اسرائيل
وقرئ ننحيك من الانحاء وننجيك بالحاء المهملة اى نلقيك بناحية الساحل ببدنك في
موضع الحال من ضمير المخاطب اى ننجيك ملابسا ببدنك فقط لا مع روحك كما هو مطلوبك
فهو تخييب له وتهكم لاطماعه بالحياة او عاريا عن اللباس او كاملا سويا او ببدرعك وكانت
لدرع من الذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اى باجزاء بدنك كلها كقولهم هوى باجرامه
او بدروعك كانه كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك آية لمن وراءك علامة وهم بنو
اسرائيل اذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى روى انهم لم يصدقوا موسى
عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل او لتكون لمن ياتي بعدك
من الامم اذا سمعوا مال امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان
وان بلغ الغاية القصوى من عظم الشان وعلو الكبرياء وقوة السلطان فهو مملوك مقهور
بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلفك فعلا ماضيا اى لمن خلفك من الجبابرة وقرئ لمن

خلقك بالقاف اى ليكون لخالقك آية كسائر الآيات فان افراده سبحانه اياك بالالقاء الى
الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة في امرك وبرهان نير على كمال علمه
وقدرته وحكمته وارادته وهذا الوجه محتمل على القراءة المشهورة ايضا وفي تعليل تنجيته بما
ذكر ايذان بانها ليست لاعزازه او لفائدة اخرى عائدة اليه بل لكمال الاستهانة به وتفضيحه
على رؤوس الاشهاد وزيادة تفضيح حاله كمن يقتل ثم يجر جسده في الاسواق او ينادى باسمه في
البلاد واللام الاولى متعلقة بننجيك والثانية محذوف وقع حالا من آية اى كائنة لمن خلفك
وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وهو اعتراض
تذييلي جيء به عند الحكاية تقريرا لمضمون الكلام المحكي ولقد بوأنا بني اسرائيل كلام
مستانف سيق لبيان النعم الفائضة عليهم اثر نعمة الانجاء على وجه الاجمال واخلال طهم
بتركها واحقوقها اى اسكناهم انزلناهم بعدما انجيناهم واهلكنا اعداءهم
مبوأ صدق اى منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ملكوها بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا
في نواحيها حسبما نطق به قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض
ومغاربها التي باركنا فيها ورزقناهم من الطيبات اى اللذائذ فما اختلفوا في
امور دينهم حتى جاءهم العلم الا بعدما جاءهم العلم بقراءتهم التوراة وعلمهم باحكامها او في
امر محمد عليه السلام الا من بعدما علموا صدق نبوته وتظاهر معجزاته فالمراد بالمختلفين اعقابهم
الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما
كانوا فيه يختلفون فيميز بين المحق والمبطل بالاثابة والتعذيب فان كنت في
شك اى في شك ما يسير على الفرض والتقدير فان مضمون الشرطية انما هو تعليق شيء
لشيء من غير تعرض لامكان شيء منهما لا وقد يكون كلاهما ممتنعا كقوله عز وجل قل ان
كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك ونظائرهما
مما انزلنا اليك من القصص التي من جملتها قصة فرعون وقومه واخبار بني اسرائيل فاسال
الذين يقرؤون الكتاب من قبلك فان ذلك محقق عندهم ثابت في كتبهم حسبما القينا
اليك والمراد اظهار نبوته عليه السلام بشهادة الاحبار حسبما هو المسطور في كتبهم وان لم
يكن اليه حاجة اصلا او وصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة نبوته عليه السلام
او تهييج عليه السلام وزيادة تثبيته على ما هو عليه من اليقين لا تجويز صدور الشك منه عليه السلام
ولذلك قال عليه السلام لا اشك ولا اسال وقيل المراد بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب
كعبد الله بن سلام وتميم الداري وكعب واضرابهم وقيل الخطاب للنبي عليه السلام والمراد امته او لكل
من يسمع اى ان كنت ايها السامع في شك مما انزلنا اليك على لسان نبينا وفيه تنبيه على ان
من خالجته شبهة في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم وقرئ فاسال
الذين يقرؤون الكتاب لقد جاءك الحق الذي لا محيد عنه ولا ريب في حقيته
وظهر ذلك بالآيات القاطعة التي لا يحوم حولها شائبة الارتياب وفي التعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من التشريف ما لا يخفى فلا تكونن من الممترين بالتزلزل
عما انت عليه من الجزم واليقين ودم على ذلك كما كنت من قبل ولا تكونن من الذين

بآيات الله من باب التهييج والإلهاب والمراد به إعلام أن التكذيب من القبح والمحذورية بحيث ينبغي أن ينهى عنه من لا يتصور إمكان صدوره عنه فكيف بمن يمكن اتصافه به وفيه قطع لأطماع الكفرة فتكون بذلك من الخاسرين أنفساً وأعمالاً إن الذين حقت عليهم شروع في بيان أن إصرار الكفرة على ما هم عليه من الكفر والضلال أي ثبتت ووجبت بمقتضى المشيئة المبنية على الحكمة البالغة كلمة ربك حكمه وقضاؤه بأنهم يموتون على الكفر ويخلدون في النار كقوله تعالى ولكن حق القول مني لأملأن جهنم الآية لا يؤمنون أبداً إذ لا كذب لكلامه ولا انتقاض لقضائه أي لا يؤمنون إيماناً نافعاً واقعاً في أوانه فيندرج فيهم المؤمنون عند معاينة العذاب مثل فرعون وأتباعه عند الموت فيدخل فيهم المرتدون ولو جاءتهم كل آية واضحة المدلول مقبولة لذوي العقول لأن سبب إيمانهم وهو تعلق إرادته تعالى مفقود لكن فقدانه ليس لمنعه سبحانه عن استحقاقهم له بل لسوء اختيارهم المتفرع على عدم استعدادهم لذلك حتى يروا العذاب الأليم كدأب آل فرعون وأضرابهم فلولا كانت كلام مستأنف لتقرير ما سبق من استحالة إيمان من حقت عليهم كلمته تعالى لسوء اختيارهم مع تمكنهم من التدارك فيكون الاستثناء الآتي بياناً لكون قوم يونس عليه السلام ممن لم يحق عليه الكلمة لاهتدائهم إلى التدارك في وقته ولولا بمعنى هلا وقرئ كذلك أي فهلا كانت قرية من القرى المهلكة آمنت قبل معاينة العذاب ولم يؤخروا إيمانها إلى حين معاينته كما فعل فرعون وقومه فنفعها إيمانها بأن يقبله الله تعالى منها ويكشف بسببه العذاب عنها إلا قوم يونس استثناء منقطع أي لكن قوم يونس لما آمنوا أول ما رأوا أمارة العذاب ولم يؤخروا إلى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا بعدما أظلهم وكاد يحل بهم ويجوز أن تكون الجملة في معنى النفي كما ينبئ عنه حرف التحضيض فيكون الاستثناء متصلاً إذ المراد بالقرى أهاليها كأنه قيل ما آمنت طائفة من الأمم العاصية فنفعهم إيمانهم إلا قوم يونس عليه السلام فيكون قوله تعالى لما آمنوا استئنافاً لبيان نفع إيمانهم ويؤيده قراءة الرفع على البدلية ومتعناهم بمتاع الدنيا بعد كشف العذاب عنهم إلى حين مقدر لهم في علم الله سبحانه روي أن يونس عليه السلام بعث إلى نينوى من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضباً فلما تفقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا أربعين ليلة وقيل قال لهم يونس عليه السلام إن أجلكم أربعون ليلة فقالوا إن رأينا أسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون أغامت السماء غيماً أسود هائلاً يدخن دخاناً شديداً ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب وأولادها فحن بعضها إلى بعض وعلت الأصوات والعجيج وأظهروا الإيمان والتوبة وتضرعوا إلى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم وكان ذلك يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود رضي الله عنه بلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم حتى أن الرجل كان يقتلع الحجر قد وضع عليه أساس بنائه يرده إلى صاحبه وقيل خرجوا إلى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا إله إلا أنت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا إن ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم منها وأجل افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا

ما نحن أهله ولو شاء ربك لآمن من في الأرض تحقيق لدوران إيمان كافة المكلفين وجوداً وعدماً على قطب مشيئته تعالى مطلقاً إثر بيان تبعية كفر الكفرة لكلمته ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطاً وكون مفعولها مضمون الجزاء وأن لا يكون في تعلقها غرابة كما هو المشهور أي لو شاء سبحانه إيمان من في الأرض من الثقلين لآمن كلهم جميعاً بحيث لا يشذ عنهم أحد جميعاً مجتمعين على الإيمان لا يختلفون فيه لكنه لا يشاؤه لكونه مخالفاً للحكمة التي بني عليها أساس التكوين والتشريع وفيه دلالة على أن من شاء الله تعالى إيمانه يؤمن لا محالة أفأنت تكره الناس على ما لم يشأ الله منهم حسبما ينبئ عنه حرفا الامتناع في الشرطية والفاء للعطف على مقدر ينبئ عليه الكلام كأنه قيل أربك لا يشاء ذلك فأنت تكرههم حتى يكونوا مؤمنين فيكون الإنكار متوجهاً إلى ترتيب الإكراه المذكور على عدم مشيئته تعالى ويجوز أن يكون الفاء لترتيب الإنكار على عدم مشيئته تعالى بناء على أن الهمزة متأخرة في الاعتبار وإنما قدمت لاقتضائها الصدارة كما هو رأي الجمهور وأياً ما كان فالمشيئة على إطلاقها إذ لا فائدة بل لا وجه لاعتبار عدم مشيئة الإلجاء خاصة في إنكار الترتيب عليه وترتيب الإنكار عليه وفي إيلاء الاسم حرف الاستفهام إيذان بأن الإكراه أمر ممكن لكن الشأن في المكره من هو وما هو إلا هو وحده لا يشارك فيه لأنه القادر على أن يفعل في قلوبهم ما يضطرهم إلى الإيمان وذلك غير مستطاع للبشر وفيه إيذان باعتبار الإلجاء في المشيئة كما أشير إليه وما كان لنفس بيان لتبعية إيمان النفوس المؤمنة لمشيئته تعالى وجوداً عقيب بيان الدوران الكلي عليها وجوداً وعدماً أي ما صح وما استقام لنفس من النفوس التي علم الله تعالى أنها تؤمن أن تؤمن إلا بإذن الله أي بتسهيله ومنحه الألطاف وإنما خص النفس بمن ذكر لئلا يحتمل من قبيل قوله تعالى وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله إلا أن الاستثناء مفرغ من أعم الأحوال أي ما كان لنفس أن تؤمن في حال من أحوالها إلا حال كونها ملابسة بإذنه تعالى فلابد من كون الإيمان مما يؤول إليه حالها كما أن الموت حال لكل نفس بحيث لا محيص لها عنه فلابد من تخصيص النفس بمن ذكر فإن النفوس التي علم الله أنها لا تؤمن ليس لها حال تؤمن فيها حتى يستثنى تلك الحال عن غيرها ويجعل الرجس أي الكفر بقرينة ما قبله عبر عنه بالرجس الذي هو عبارة عن القبيح المستقذر المستكره لكونه علماً في القبح والاستكراه وقيل هو العذاب أو الخذلان المؤدي إليه وقرئ بالنون المعظمة ونزي بالزاي أي يجعل الكفر ويبقيه على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات أو لا يعقلون دلائله وأحكامه لما على قلوبهم من الطبع فلا تحصل لهم الهداية التي عبر عنها بالإذن فيبقون مغمورين بقبائح الكفر والضلال أو مقهورين بالعذاب والنكال والجملة معطوفة على مقدر ينبئ عليه النظم الكريم كأنه قيل فيأذن لهم ويمنح الألطاف ويجعل الخ قل مخاطباً لأهل مكة بعثاً لهم على التدبر في ملكوت السموات والأرض وما فيهما من عجائب الآيات الأنفسية والآفاقية ليتضح لك أنهم من الذين لا يعقلون وحقت عليهم الكلمة انظروا أي تفكروا وقرئ بنقل حركة الهمزة إلى اللام قل ماذا في السموات والأرض أي أي شيء بديع فيهما من عجائب صنعه الدالة على وحدته وكمال قدرته على أن ماذا جعل بالتركيب اسماً واحداً معلقاً به الاستفهام على اسم الإشارة فهو مبتدأ خبره الظرف ويجوز

ان يكون ما مبتدأ وذا بمعنى الذي والظرف صلته والجملة خبر المبتدأ وعلى التقديرين فالمبتدأ
والخبر في محل النصب باسقاط الخافض وفعل النظر معلق بالاستفهام وما تغني اي ما تنفع
وقرئ بالتذكير الآيات وهي التي عبر عنها بقوله تعالى ماذا في السموات والارض والنذر جمع نذير
على انه فاعل بمعنى منذر او على انه مصدر اي لا تنفع الآيات والرسل المنذرون او الانذارات عن قوم
لا يؤمنون في علم الله سبحانه وحكمه فما نافية والجملة اما حالية او اعتراضية ويجوز كونها
استفهامية انكارية في موضع النصب على المصدرية اي اي اغناء تغني الخ والجملة اعتراضية
فهل ينتظرون اي مشركو مكة واضرابهم الا مثل ايام الذين خلوا اي الا يوما مثل ايام الذين
خلوا من قبلهم من مشركي الامم الماضية اي مثل وقائعهم ونزول باس الله بهم اذ لا يستحقون غيره
من قولهم ايام العرب لوقائعها قل تهديدا لهم فانتظروا ما هو عاقبتكم اني معكم من المنتظرين
لذلك ثم ننجي رسلنا بالتشديد وقرئ بالتخفيف وهو عطف على مقدر يدل عليه قوله مثل ايام
الذين خلوا وما بينهما اعتراض جيء به مسارعة الى التهديد ومبالغة في تشديد الوعيد كأنه
قيل اهلكنا الامم ثم نجينا رسلنا المرسلة اليهم والذين آمنوا وصيغة الاستقبال
لحكاية الاحوال الماضية لتهويل امرها باستحضار صورها وتأخير حكايتها التنجية عن حكاية الاهلاك
على عكس ما في قوله تعالى فنجيناه ومن معه في الفلك الخ ونظائره الواردة في مواقع عديدة
ليتصل به قوله عز وعلا كذلك اي مثل ذلك الانجاء حقا علينا اعتراض بين العامل والمعمول
اي حق ذلك حقا وقيل بدل من المحذوف الذي ناب عنه كذلك اي انجاء مثل ذلك حقا وانما
متعلقه بقوله تعالى ننج المؤمنين اي من كل شدة وعذاب والجملة تذييل لما قبلها مقرر لمضمونه
والمراد بالمؤمنين اما الجنس المتناول للرسل عليهم السلام والاتباع واما الاتباع فقط وانما لم يذكر
انجاء الرسل ايذانا بعدم الحاجة اليه واياما كان ففيه تنبيه على ان مدار النجاة هو الايمان قل
لجمهور المشركين يا ايها الناس اوثر الخطاب باسم الجنس مصدرا بحرف التنبيه تعميما للتبليغ واظهارا
لكمال العناية بشأن ما بلغ اليهم ان كنتم في شك من ديني الذي اتعبد الله عز وجل به واداكم
اليه ولم تعلموا ما هو وما صفته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله في وقت من الاوقات
ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم ثم يفعل بكم ما يفعل من فنون العذاب اي فاعلموا انه تخصيص
العبادة به تعالى ورفض عبادة ما سواه من الاصنام وغيرها مما تعبدونه جهلا وتقديم
ترك عبادة الغير على عبادته تعالى لتقدم التخلية على التحلية كما في كلمة التوحيد وللايذان بالمخالفة
من اول الامر او ان كنتم في شك من صحة ديني وسداده فاعلموا ان خلاصته اخلاص العبادة لمن
بيده الايجاد والاعدام دون ما هو بمعزل منهما من الاصنام فاعرضوا عن عقولكم واجيلوا فيها
افكاركم وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا انه حق لا ريب فيه وفي تخصيص التوفي بالذكر متعلقا
بهم ما لا يخفى من التهديد والتعبير عما هم فيه من الشك مع كونهم قاطعين بعدم الصحة للايذان
بان اقصى ما يمكن عروضه للعاقل في هذا الباب هو الشك في صحته واما القطع بعدمها فمما لا
سبيل اليه او ان كنتم في شك من ثباتي على الدين فاعلموا اني لا اتركه ابدا وامرت ان اكون
من المؤمنين بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وهو تصريح بان ما عليه من دين التوحيد ليس بطريق
العقل الصرف بل بالامداد السماوي والتوفيق الالهي وحذف حرف الجر من ان يجوز ان يكون من

باب الحذف المطرد مع ان وان وان يكون خاصا بفعل الامر كما في قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به
وان اقم وجهك للدين عطف على ان اكون خلا ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا ضير في
ذلك لان مناط جواز وصلها بصيغ الافعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية
والطلبية ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف
بالجمل وهي لا توصف الا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفي كذلك اي وامرت بالاستقامة في الدين
والاستبداد فيه باداء المامور به والانتهاء عن المنهي عنه او باستقبال القبلة في الصلوة وعدم
الالتفات الى اليمين والشمال حنيفا حال من الدين او الوجه اي مائلا عن الاديان الباطلة
ولا تكونن من المشركين عطف على اقم داخل تحت الامر اي لا تكونن منهم اعتقادا ولا عملا
وقوله عز وعلا ولا تدع عطف على قوله تعالى قل يا ايها الناس غير داخل تحت الامر وقيل
عطف على النهي والوجه هو الاول لان ما بعده من الجمل الى آخر الآيتين متسقة لا يمكن فصل
بعضها عن بعض كما ترى والوجه لاندراج الكل تحت الامر هو تاكيد للنهي المذكور وتفصيل لما
اجمل فيه اظهارا لكمال العناية بالامر كشفا عن وجه بطلان ما عليه المشركون اي لا تعبد من
دون الله استقلالا ولا اشتراكا ما لا ينفعك اذا دعوته بدفع مكروه او جلب محبوب ولا
يضرك اذا تركته بسلب محبوب دفعا او رفعا او بايقاع المكروه وتقديم النفع على الضر غني عن بيان
السبب فان فعلت اي ما نهيت عنه من دعاء ما لا ينفع ولا يضر كني به عنه تنويها لشانه عليه السلام وتنبيها
على رفعة مكانه من ان ينسب اليه عبادة غيره سبحانه ولو في ضمن الجملة الشرطية فانك اذا من الظالمين
جزاء للشرط وجواب للسؤال عن تبعة ما نهي عنه وان يمسسك الله بضر تقرير لما اورد
في حيز الصلة من سلب النفع عن الاصنام وتصوير لاختصاصه به سبحانه فلا كاشف له عنك كائنا
من كان وما كان الا هو وحده فيثبت عدم كشف الاصنام بالطريق البرهاني وهو بيان
لعدم النفع بدفع المكروه المستلزم لعدم النفع بجلب المحبوب استلزاما ظاهرا فان دفع المكروه
اولى من ايصال النفع فاذا انتفى انتفى النفع بالكلية وان يردك بخير تحقيق لسلب الضر الوارد
في حيز الصلة اي ان يرد ان يصيبك بخير فلا راد لفضله الذي من جملته ما اراد بك من الخير فهو
دليل على جواب الشرط لا نفس الجواب وفيه ايذان بان فيضان الخير منه تعالى بطريق التفضل من
غير استحقاق عليه سبحانه اي لا احد يقدر على رده كائنا ما كان فيدخل فيه الاصنام دخولا اوليا
وهو بيان لعدم ضرها بدفع المحبوب قبل وقوعه المستلزم لعدم ضرها بايقاع المكروه
استلزاما جليا ولعل ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للايذان
بان الخير مراد بالذات وان الضر انما يمسهم لما يوجبه من الدواعي الخارجية لا بالقصد الاولي
او اريد معنى الفعلين في كل من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب
منهما فاوجز الكلام بان ذكر في احدهما المس وفي الآخر الارادة ليدل بما ذكر في كل جانب
على ما ترك في الجانب الآخر على انه قد صرح بالاصابة حيث قيل يصيب به اظهارا لكمال
العناية بجانب الخير كما ينبئ عنه ترك الاستثناء فيه اي يصيب بفضله الواسع المنتظم لما اراد بك من
الخير وجعل الفضل عبارة عن ذلك الخير بعينه على ان يكون من باب وضع المظهر في موضع المضمر
لما ذكرنا من الفائدة يأباه قوله عز وجل من يشاء من عباده فان ذلك ينادي بعموم الفضل

وقوله عز قائلا وهو الغفور الرحيم تذييل لقوله تعالى يصيب به الآية محقق لمضمونه والكل تذييل للشرطية الاخيرة محقق لمضمونها قل مخاطبا لاولئك الكفرة بعدما بلغتهم ما اوحى اليك يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم وهو القرآن العظيم المشتمل على محاسن الاحكام التي من جملتها ما مر آنفا من اصول الدين واطلعتم على مكانه نصاعة من البينات والهدى ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان به والعمل بما فيه فانما يهتدي لنفسه اي منفعة اهتدائه لها خاصة ومن ضل بالكفر به والاعراض عنه فانما يضل عليها اي فوبال الضلال مقصور عليها والمراد تنزيه ساحة الرسالة عن شائبة غرض عائد اليه عليه السلام من جلب نفع او دفع ضر كما يلوح به اسناد المجيء الى الحق من غير اشعار بكون ذلك بواسطته وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الى امركم وانما انا بشير ونذير واتبع اعتقادا وعملا وتبليغا ما يوحى اليك على نهج التجدد والاستمرار من الحق المذكور المتأكد يوما فيوما والتعبير عنه بالنسبة اليهم بالمجيء واليه عليه السلام بالوحي تنبيه على ما بين المقامين من التنائي واصبر على ما يعتريك من مشاق التبليغ حتى يحكم الله بالنصرة عليهم او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطأ في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون والحمد لله سبحانه على التمام والصلاة على سيدنا محمد وآله اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم الر محله الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف وقيل على انه مبتدا والاول هو الاظهر كما اشير اليه في سورة يونس عليه السلام او النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اذكر او اقرأ وعلى تقدير كونه اسما للسورة على ما عليه اطباق الاكثر اولا محل له من الاعراب مسرود على نمط التعديد حسبما فصل في اخواته وقوله تعالى كتاب خبر له على الوجه الاول ولمبتدا محذوف على الوجوه الباقية احكمت آياته نظمت نظما متقنا لا يعتريه خلل بوجه من الوجوه او جعلت حكيمة لانطوائها على جلائل الحكم البالغة ودقائقها او منعت من النسخ بمعنى التغيير مطلقا او ايدت بالحجج القاطعة الدالة على كونها من عند الله عز وجل او على ثبوت مدلولاتها فالمراد بالآيات جميعها او على حقيقته فالمراد بعضها المشتمل عليها اما اذا اريد بالاحكام المنع من النسخ بمعنى تبديل الحكم الشرعي خاصة واما تفسيره بالمنع من الفساد اخذا من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح ففيه ايهام ما لا يليق بشأن الآيات الكريمة من التداعي الى الفساد لولا المانع وفي اسناد الاحكام على الوجه المذكور الى آيات الكتاب دون نفسه لا سيما على الوجه الشامل لكل آية آية من حسن الموقع والدلالة على كونه في اقصى غاية منه ما لا يخفى ثم فصلت اي جعلت فصولا من الاحكام والدلائل والمواعظ والقصص او فصل فيها مهمات العباد في المعاش والمعاد على الاسناد المجازي والتفسير بجعلها آية آية لا يساعده المقام لان ذلك من الاوصاف الاولية لها فلا يناسب عطفه على احكامها بكلمة التراخي واما المعنيان

الاولان فهما وان كانا من الاحكام تماما حيث لم تزل الآيات محكمة مفصلة لا انها احكمت او فصلت بعد ان لم تكن كذلك اذ الفعلان من قبيل قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل الا انهما حيث كانا من صفات الآيات باعتبار نسبة بعضها الى بعض على وجه يستتبع احكاما مخصوصة وآثارا معتدا بها وبها حفظ مصالح العباد تأتى بيان لشأنهما الى التراخي في بيانهما عن رتبة الاحكام وان حمل جعلها آية آية على معنى تفريق بعضها عن بعض يكون من هذا القبيل لانه ليس في متانته في استتباع ما يستتبعه من الاحكام والآثار وقت في التنزيل منجما بحسب المصالح فان اريد تنزيلها المنجم بالفعل فالتراخي زماني وان اريد جعلها في نفسها بحيث يكون نزولها منجما حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فهو رتبي لان ذلك وصف لازم لها حقيق بان يرتب على وصف احكامها وقرئ احكمت آياته ثم فصلت على صيغة التكلم عن عكرمة والضحاك ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل من لدن حكيم خبير صفة لكتاب وصفه بها بعدما وصف باحكام آياته وتفصيلها الدالين على علو رتبته من حيث الذات ابانة لجلالة شأنه من حيث الاضافة او خبر بعد خبر للمبتدا المذكور او المحذوف او صلة للفعلين اي في بيانهما للمفعول ثم ايراد الفاعل بعنوان الحكمة البالغة والاحاطة بجلائلها ودقائقها منكرا بالتنكير التفخيمي وربطهما به لا على النهج المعهود في اسناد الافاعيل الى فاعلها مع رعاية حسن الطباق بين الجزأين والدلالة على فخامتهما وكونهما على اكمل ما يكون لما لا يكتنهه الا تعبدوا الا الله مفعول له حذف منه اللام مع فقد ان الشرط اعني كونه فعلا لفاعل الفعل المعلل جريا على سنن القياس المطرد في حذف حرف الجر مع ان المصدرية كأنه قيل كتاب احكمت آياته ثم فصلت لئلا تعبدوا الا الله اي لتتركوا عبادة غير الله عز وجل وتمحضوا في عبادته فان الاحكام والتفصيل على ما فصل من المعاني مما يدعوهم الى الايمان والتوحيد وما يتفرع عليه من الطاعات قاطبة وقيل ان مفسرة لما في التفصيل من معنى القول اي قيل لا تعبدوا الا الله انني لكم منه من جهته تعالى نذير انذركم عذابه ان لم تتركوا ما انتم عليه من الكفر وعبادة غير الله تعالى وبشير ابشركم بثوابه اذا آمنتم وتمحضتم في عبادته ولما ذكر شأن الكتاب من احكام آياته وتفصيلها وكون ذلك من لدنه تعالى واورد معظم ما نظم في سلك الغاية اي الامر بالتوحيد وترك الاشراك وسط بينه وبين قرينه اعني الاستغفار والتوبة ذكر ان من نزل عليه ذلك الكتاب مرسل من عند الله تعالى لتبليغ احكامه وتبيينها بالموعدات من الوعد والوعيد للايذان بان التوحيد في اقصى مراتب الاهمية حتى افرد بالذكر وايد ايجابه بالخطاب عقب الكتاب مع تلويح بانه كما لا يتحقق في نفس الاعتقاد بالحكم برسالته صلى الله عليه وسلم كذلك في الذكر لا ينفك احدهما عن الآخر وتقدم النذير في سوق الخطاب بتقديم الانذار على التبشير ما روعي في الكتاب تقديم النفي على الاثبات والتخلية على التحلية ليتجاوب اطراف الكلام ويجوز ان يكون قوله تعالى الا تعبدوا الا الله كلاما منقطعا عما قبله واردا على لسانه عليه السلام اغراء لهم على اختصاصه تعالى بالعبادة كأنه صلى الله عليه وسلم قال اتركوا عبادة غير الله اي الزموا على معنى اتركوا عبادة غير الله تركا مستمرا انني لكم منه نذير وبشير او نذير انذركم من عقابه على تقدير استمراركم على الكفر وبشير ابشركم بثوابه على تقدير ترككم له وتوحيدكم

ولما سيق اليهم حديث التوحيد واكد ذلك بخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم بان جعل الانذار والتبشير
شرع في ذكر ما هو من تمام ما عاهد به يتضمن تفصيل ما اجمل في وصف البشير الذي فقيل وان
استغفروا ربكم وهو معطوف على ان لا تعبدوا على الوجهين فعلى الاول ان مصدرية لجواز
كون صلتها امرا او نهيا كما في قوله تعالى وان اقم وجهك للدين حنيفا لان مدار جواز كونها فعلا
انما هو دلالة على المصدر وهو موجود فيهما ووجوب كونها خبرية في صلة الموصول الاسمي انما هو
للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف بها الا اذا كانت خبرية واما الموصول الحرفي فليس كذلك
ولما كان الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سواسا غ وقوع الامر والنهي صلة حسب مساغ
وقوع الفعل فيتجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال
ثم توبوا اليه عطف على استغفروا والكلام فيه كالكلام فيه والمعنى فعلا بما فصل من الاحكام
والتفصيل لتخصوا الله تعالى بالعبادة وتطلبوا منه ستر ما فرط منكم من الشرك ثم ترجعوا اليه
بالطاعة او تستمروا على ما انتم عليه من التوحيد والاستغفار او تستغفروا من الشرك وتتوبوا
من المعاصي وعلى الثاني ان مفسرة اي قيل في اثناء تفصيل الايات لا تعبدوا الا الله واستغفروا
ثم توبوا اليه والتعرض لوصف الربوبية تلقين للمخاطبين وارشاد لهم الى طريق الابتهال في السؤال
وترشيح لما يعقبه من التمتيع وايتاء الفضل بقوله يمتعكم متاعا حسنا اي تمتيعا وانتصابه
على انه مصدر حذف منه الزوائد كقوله تعالى انبتكم من الارض نباتا او على انه مفعول به
وهو اسم لما يتمتع به من منافع الدنيا من الاموال والبنين وغير ذلك والمعنى يعيشكم عيشا
مرضيا لا يفوتكم فيه شيء مما تشتهون ولا ينغصه شيء من المكدرات الى اجل مسمى مقدر عند الله
عز وجل وهو اخر اعماركم ولما كان ذلك غاية لا يطمح وراها طامح جرى التمتيع الى ما
يجري الابد عادة او لا يهلككم بعذاب الاستيصال ويؤت كل ذي فضل في الطاعة
والعمل فضله جزاء فضله اما في الدنيا او في الاخرة وهذه تكملة لما اجمل من التمتيع الى
اجل مسمى وتبيين لما عسى يعسر فهم حكمته من بعض ما يتفق في الدنيا من تفاوت الحال بين
العاملين فرب انسان له فضل طاعة او عمل لا يتمتع في الدنيا اكثر مما يتمتع اخر دونه في الفضل وربما
يكون المفضول اكثر تمتيعا فقيل ويعط كل فاضل جزاء فضله اما في الدنيا كما يتفق في بعض المواد
واما في الاخرة وذلك مما لا مرد له وهذا ضرب تفصيل لما اجمل فيما سبق من البيان ثم شرع
في الانذار فقيل وان تولوا اي تتولوا عما القي اليكم من التوحيد والاستغفار والتوبة
وانما اخر عن البيان جريا على سنن تقدم الرحمة على الغضب او لان العذاب قد تعلق بالتولي
عما ذكر من التوحيد والاستغفار والتوبة وذلك يستدعي سابقة ذكره وقرئ تولوا من ولي
فاني اخاف عليكم بموجب الشفقة والرأفة او في اتوقع عذاب يوم كبير هو يوم القيمة وصف
بالكبر كما وصف بالعظم في قوله تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم اما لكونه
كذلك في نفسه او وصف بوصف ما يكون فيه كما وصف بالثقل في قوله تعالى ثقلت في
السموات والارض وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط اكلوا فيه الجيف وايا ما كان ففي
اضافة العذاب اليه تهويل وتفظيع له الى الله مرجعكم رجوعكم بالموت ثم البعث للجزاء في
مثل ذلك اليوم لا الى غيره جميعا لا يتخلف منكم احد وهو على كل شيء قدير فيندرج

تلك الكلية قدرته على اماتتكم ثم بعثكم وجزائكم فيعذبكم بافانين العذاب وهو تقرير لما سلف من كبر اليوم
وتعليل للخوف ولما القي اليهم هذا الكتاب على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وسيق اليهم ما ينبغي
ان يساق من الترغيب والترهيب ووقع في ذهن السامع انهم بعد ما سمعوا مثل هذا المقام الذي
يخر له صم الجبال هل قابلوه بالاقبال ام تمادوا فيما كانوا عليه من الاعراض والضلال فقيل مصدرا
بكلمة التنبيه اشعارا بان ما يعقبها من هنائهم امر ذو بال ينبئهم ويتعجب منه الا انهم يثنون
صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه اي يستمرون على ما كانوا عليه من التولي والاعراض لان من
اعرض عن شيء ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه وهذا معنى جزل مناسب لما سبق ولكن يخالفه
العلامة الزمخشري ولكن حيث لم يصلح التولي سببا للاستخفاء في قوله عز وجل ليستخفوا منه
لجا الى اضمار الارادة حيث قال ويريدون ليستخفوا من الله تعالى فلا يطلع رسوله والمؤمنين
على ازورارهم وجعله في عداد المحذوف من قبيل الاضمار في قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق
اي فضرب فانفلق ولا يخفى ان انسياق الذهن الى توسيط الارادة بين ثني الصدور وبين
الاستخفاء ليس كانسياقه الى توسيط الضرب بين الامر وبين الانفلاق ولعل الاظهر انهم
يعطفون صدورهم على ما فيها من الكفر والاعراض عن الحق وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث
يكون ذلك مخفيا مستورا فيها كما يعطف الثياب على ما فيها من الاشياء المستورة وانما لم يذكر
ذلك استهجانا بذكره او ايذانا بان ظهوره مغن عن ذكره او ليذهب ذهن السامع الى كل ما لا
خير فيه من الامور المذكورة فيدخل فيه ما ذكر من فرط عداوتهم للحق الذي القي اليهم دخولا اوليا
فيظهر وجه كون ذلك سببا للاستخفاء ويؤيده ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في
الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو المنطق حسن السياق للحديث يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
المحبة ويضمر في قلبه ما يضادها وقال ابن شداد انها نزلت في بعض المنافقين كان اذا مر برسول
الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطاطا راسه وغطى وجهه كيلا يراه النبي صلى الله عليه وسلم
فكانه انما كان يصنع ما يصنع لانه لو رآه النبي صلى الله عليه وسلم لم يمكنه التخلف عن حضور مجلسه والمصاحبة
معه وربما يؤدي ذلك الى ظهور ما في قلبه من الكفر والنفاق وقرئ يثنوني صدورهم بالياء
والتاء من اثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة وعن ابن عباس رضي الله عنهما
لتثنوني وقرئ تثنون فعوعل من الثن وهو ما هش من الكلا وضعف يريد مطاوعة صدورهم
للثني كما ينثني الهش من النبات او اراد ضعف ايمانهم ورخاوة قلوبهم وقرئ تثنئن من اثنان افعال
منه ثم همز كما قيل ابياضت وادهامت وقرئ تثنوي بوزن ترعوي الا حين يستغشون ثيابهم
اي يتغطون بها للاستخفاء على ما نقل عن ابن شداد او حين ياوون الى فراشهم ويتدثرون بثيابهم فان
ما يقع حينئذ حديث النفس عادة وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني
ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي يعلم ما يسرون اي يضمرون في قلوبهم وما
يعلنون اي يستوي بالنسبة الى علمه المحيط سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه وانما
قدم على العلم بما عليهم الاول الا ان مرتبة ما صنعوا وايذانا بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه وتحقيقا
للمساواة بين العلمين على ابلغ وجه فكان علمه بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه ونظيره قوله تعالى قل ان
تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه الاخفاء على الابداء على عكس ما وقع في قوله تعالى

وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله لم يتعلق باشعار ان المحاسبة بما تخفونه اولى منها
بما تبدونه من حيث ان الامر بالعكس واما ههنا فقد تعلق باشعار كون تعلق علمه تعالى بما يسرونه اولى منه
بما يعلنونه مع كونهما على السوية كيف لا ان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول الصورة بل
وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة
ونظيره قوله تعالى واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون حيث كان ذلك اراد بسبب الخطاب مع الملائكة عليهم السلام
المنزهين مقامهم عن امتناع التاكيد والمبالغة في الاخبار باحاطة علمه تعالى بالظاهر والباطن لم يسلك فيه
ذلك المسلك مع ان متعلق العلم هناك ما بين من قوله عز وجل اني اعلم غيب السموات والارض ويجوز
ان يكون ذلك باعتبار ان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا هو او مباديه
قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق علمه سبحانه بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية انه عليم
بذات الصدور تعليل لما سبق وتقرير له وانه وقع موقع الكبرى من القياس وفي صيغة الفعيل وتحلية
الصدور بلام الاستغراق والتعبير عن الضمائر بعنوان صاحبها من البراعة ما لا يوصف اي انه
كانه قيل انه مبالغ في الاحاطة بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث
لا تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما يسرون وما يعلنون ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب التي
في قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه سر
اسرارها وما من دابة في الارض الا على الله رزقها غذاؤها اللائق بحالها من حيث الخلق و
من حيث الايصال اليها بطريق طبيعي او ارادي لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما جيء به على طريق
الوجوب اعتبارا لسبق الوعد وتحقيقا لوصوله اليها البتة وحملا للمكلفين على الثقة به تعالى
والاعراض عن اتعاب النفس في طلبه ويعلم مستقرها محل قرارها في الاصلاب ومستودعها
موضعها في الارحام وما يجري مجراها من البيض ونحوها وانما خص كل من الاسمين بما خص به من
المحلين لان النطفة بالنسبة الى الاصلاب في حيزها الطبيعي ومنشئها الخلقي واما بالنسبة
الى الارحام وما يجري مجراها فهي مودعة فيها الى وقت معين او مسكنها من الارض حين وجدت
بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة ولعل تقديم محلها باعتبار حالتها
الاخيرة لرعاية المناسبة بينها وبين عنوان كونها دابة في الارض والمعنى ما من دابة في الارض
الا يرزقها الله تعالى حيث كانت من اماكنها يسوق اليها بعلم موادها المتخالفة المندرجة في
مراتب الاستعدادات المتفاوتة المتطورة في الاطوار المتباينة ومقارها المتنوعة ويفيض
عليها في كل مرتبة ما يليق بها من مبادي وجودها وكمالاتها المتفرعة عليه وقد فسر المستودع باماكنها
في الممات ولا يلائمه مقام التكفل بارزاقها كل من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها
في كتاب مبين اي مثبت في اللوح المحفوظ البين لمن ينظر فيه من الملائكة عليهم السلام او المظهر لما
اثبت فيه للناظرين ولما انتهى الامر الى انه سبحانه محيط بجميع احوال ما في الارض من المخلوقات
التي لا تكاد تحصى من مبدا فطرتها الى منتهاها اقتضى الحال التعرض لمبدا خلق السموات والارض
والحكمة الداعية الى ذلك فقيل وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اي خلق السموات
في يومين والارض في يومين وما عليها من انواع الحيوان والنبات وغير ذلك في يومين حسبما
فصل في سورة حم السجدة ولم يذكر خلق ما في الارض لكونه من تتمات خلقها وهو السر في جعل

زمان خلقه تتمة لزمان خلقها في قوله تعالى في اربعة ايام اي في تتمة اربعة ايام والمراد بالايام الاوقات
كما في قوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره اي في ستة اوقات او مقدار ستة ايام فان اليوم في المتعارف
زمان كون الشمس فوق الارض ولا يتصور ذلك حين لا ارض ولا سماء وفي خلقها مدرجا مع القدرة
التامة على خلقها دفعة دليل على انه قادر مختار واعتبار للنظار وحث على التاني في الامور واما تخصيص
ذلك بالعدد المعين فامر استاثر بعلمه بما يقتضيه علام الغيوب جلت حكمته وايثار صيغة الجمع في
السموات لما هو المشهور من الاشارة الى كونها اجراما مختلفة الطبائع ومتفاوتة الاثار والاحكام
وكان عرشه قبل خلقهما على الماء ليس تحته شيء غيره سواء كان بينهما فرجة او كان موضوعا على متنه
كما ورد في الاثر فلا دلالة فيه على امكان الخلاء كيف لا ولو دل لدل على وجوده لا على امكانه فقط ولا
على كون الماء اول ما حدث في العالم بعد العرش وانما يدل على ان خلقهما اقدم من خلق السموات والارض
من غير تعرض للنسبة بينهما ليبلوكم متعلق بخلق اي خلق السموات والارض وما فيهما من
المخلوقات التي من جملتها انتم ورتب فيهما جميع ما تحتاجون اليه من مبادي وجودكم واسباب معايشكم
واودع في تضاعيفهما من تعاجيب الصنائع والعبر ما تستدلون به على مطالبكم الدينية ليعاملكم
معاملة من يبتليكم ايكم احسن عملا فيجازيكم بالثواب والعقاب غب ما تبين المحسن من المسيء
وامتازت درجات افراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم المترتبة على انظارهم فيما
نصب من الحجج والدلائل والامارات والمخايل ومراتب اعمالهم المتفرعة على ذلك فان العمل غير
مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله
واسرع في طاعة الله فان لكل من القلب والقالب عملا مخصوصا به فكما ان الاول اشرف من الثاني
فكذا الحال في عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجب على العباد اثر ذي اثير وانما طريقها
النظر والتفكر في بدائع صنائع الله الملك الخلاق والتدبر في آياته البينات المنصوبة في الانفس والآفاق
ولا طاعة بدون فهم ما في مطاوي الكتاب الحكيم من الاوامر والنواهي وغير ذلك مما له مدخل في الباب
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم
مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك بالتفكر في امر الله عز وجل الذي هو عمل القلب لان احدا
لا يقدر على ان يعمل في اليوم بجوارحه مثل عمل اهل الارض وتعليق فعل البلوى اي تعقيبه بحرف
الاستفهام لا التعليق المشهور الذي يقتضي عدم ايراد المفعول اصلا مع اختصاصه بافعال
القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظايره ولذلك اجري مجراه بطريق التمثيل
او الاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل للفريقين باعتبار اعمالهم المنقسمة
الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بان المراد بالذات والمقصود الاصلي ما ذكر
من ابداع تلك البدائع على ذلك النمط الرائع انما هو ظهور كمال احسان المحسنين وان ذلك لكونه
على اتم الوجوه اللائقة واكمل الاساليب الرائقة يوجب العمل بموجبه بحيث لا يحيد احد عن سننه
المستبين بل يهتدي كل فرد الى ما يرشد اليه من مطلق الايمان والطاعة وانما التفاوت بينهم في
مراتبهما بحسب القوة والضعف والكثرة والقلة واما الاعراض عن ذلك والوقوع في مهاوي
الضلال فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن ان ينتظم في سلك العلة الغائية لذلك
الصنع البديع وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب ولا يخفى ما فيه

من التحلية في المرتبة الى معارج العلوم ومدارج الطاعات عن مباشرة نقائضها والله تعالى اعلم
ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت على ما يوجبه قضية الابتلاء لترتب عليه الجزاء المترتب على
ظهور مراتب الاعمال ليقولن الذين كفروا اى بعد الخطاب في قوله تعالى انكم الى جميع المكلفين فالموصول
مع صلته للتخصيص اى ليقولن الكافرون منهم فهو وارد على طريقة الذم ان هذا الا سحر مبين
اى مثله في الخديعة او البطلان وهذه اشارة الى القول المذكور او الى القرآن فانه الاخبار عن كونهم
مبعوثين وان لم يكن مرتبطا بالوحي المتلو لانهم عند سماعهم ذلك تخلصوا الى القرآن لانبائه
عنه في كل موضع وكونه علما عندهم في ذلك فعمدوا الى تكذيبه وتسميته سحرا تماديا منهم في العناد
وتفاديا عن سنن الرشاد وقيل هو اشارة الى نفس البعث ولا يلايمه التسمية بالسحر فانه انما
يطلق على شيء موجود ظاهر لا اصل له في الحقيقة ونفس البعث عندهم معدوم بحت وتعلق الاية
الكريمة بما قبلها اما من حيث ان البعث من تتمات الابتلاء المذكور فكانه قيل الامر كما ذكر
ومع ذلك ان اخبرتهم بمقدمة من مقدماته ومقتضية من تتمته لا يتلقونه الا بالرد ويعدونه
ذلك من قبيل ما لا صحة له اصلا فضلا عن تصديق ما هو من تتمته واما من حيث ان البعث خلق
جديد فكانما قيل هو الذي خلق جميع المخلوقات ابتداء لهذه الحكمة البالغة ومع ذلك اذا اخبرتهم
بانه يعيدهم تارة اخرى وهو اهون عليه يقولون ما يقولون فسبحان الله عما يصفون وقرأ حمزة
والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى القائل او الى القرآن على اسلوب شعر شاعر وقرئ بالفتح
على تضمين قلت معنى ذكرت او على ان ان بمعنى عل اى ولئن قلت لعلكم مبعوثون على ان
الرجاء والتوقع باعتبار حال المخاطبين اى توقعوا ذلك ولا تبتوا القول بانكاره او على انه
مجاراة معهم في الكلام على نهج المساعدة لئلا يسارعوا الى اللجاج والعناد بمجرد اسماعهم
القول بخلاف ما اعتادوا عليه اباهم من انكار البعث ويكون ذلك ادعى لهم الى التأمل والتدبر
فيما يتلو قاتلهم الله انى يؤفكون ولئن اخرنا عنهم العذاب المترتب على تعنتهم او العذاب الموعود
في قوله تعالى وان تولوا فانى اخاف عليكم عذاب يوم كبير وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن
عباس رضي الله عنه انه قتل جبريل عليه السلام المستهزئين والظاهر ان المراد به العذاب الشامل للكفرة دون ما
يخص بعضهم على انه لم يكن موعودا يستعجلونه الى امة معدودة الى طائفة من
الايام قليلة لان ما يحصره العد قليل ليقولن ما يحبسه اى اى شيء يمنعه من المجيء فكانه يريده
فيمنعه مانع وانما كانوا يقولونه بطريق الاستعجال استهزاء لقوله تعالى ما كانوا به يستهزءون
ومرادهم انكار المجيء والحبس راسا لا الاعتراف به والاستفسار عن حابسه الا يوم يأتيهم
ذلك ليس مصروفا عنهم على معنى انه لا يرفعه رافع ابدا ان اريد به عذاب الاخرة
او لا يدفعه عنهم دافع بل هو واقع بهم ان اريد به عذاب الدنيا ويوم منصوب بخبر ليس مقدما
عليه واستدل به البصريون على جواز تقديم خبر ليس اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع
متبوعه ورد بان الظرف يجوز فيه ما لا يجوز في غيره توسعا وبانه قد يتقدم المعمول حيث
لا مجال لتقدم العامل كما في قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر فان اليتيم
والسائل مع كونهما منصوبين بالفعلين المجزومين قد تقدما على لا الناهية مع امتناع تقدم
الفعلين عليها قال ابو حيان وقد تتبعت جملة من دواوين العرب فلم اظفر بتقدم

خبر ليس عليها ولا بتقديم معموله الا ما دل عليه ظاهر هذه الاية الكريمة وقول الشاعر
فيأبى فما يزداد الا لجاجة * وكنت ابيا في الخنا لست اقدم * وحاق بهم اى احاط بهم ما كانوا به
يستهزءون اى العذاب الذي كانوا يستعجلون به استهزاء ووضع المستعجلين عنه بالموصول تهويل لمكانه
واشعار بعليته لما ورد في حيز الصلة من استهزائهم به لنزوله واحاطته والتعبير عنه بالماضي وارد
على عادة الله تعالى في اخباره لانها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكاينة الموجودة وفي ذلك من الفخامة
والدلالة على علو شان المخبر وتقرير وقوع المخبر به ما لا يخفى ولئن اذقنا الانسان منا رحمة اى
اعطيناه نعمة من صحة وامن وجدة وغيرها واوصلناها اليه بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه
اى سلبناه اياها وايراد النزع للاشعار بشدة تعلقه بها وحرصه عليها انه ليؤوس شديد القنوط
من روح الله قطوع رجاءه من عود امثالها عاجلا او آجلا بفضل الله تعالى لقلة صبره وعدم توكله
عليه وثقته به كفور عظيم الكفران لما سلف من النعم وفيه اشارة الى ان النزع انما كان بسبب كفرانهم
بما كانوا يتقلبون فيه من نعم الله عز وجل وتاخيره عن وصف ياسه مع تقدمه عليه لرعاية الفواصل على
ان الياس من فضل الله سبحانه وقطع الرجاء عنه اقوى مناسبة في العاجل ايثار الكفران في الآجل من
باب الكفران للنعمة السالفة ايضا ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم ووجد
بعد عدم وفرج بعد شدة وفي التعبير عن ملابسة الرحمة والنعماء بالذوق المؤذن بلذتهما وكونهما
مما يرغب فيه وعن ملابسة الضر بالمس المشعر بكونها في ادنى ما يطلق عليه اسم الملاقاة من مراتبها
واسناد الاول الى الله عز وجل دون الثاني ما لا يخفى من الجزالة والدلالة على ان مراده تعالى انما
هو ايصال الخير المرغوب فيه على احسن ما يكون وانه انما يريد بعباده اليسر دون العسر وانما
ينالهم ليبتلي اختبارهم تلابسا كانما يلاصق البشرة من غير تاثير واما نزع الرحمة فانما صدر
عنه بمقتضى الحكمة الداعية الى ذلك وهي كفرانهم بها كما سبق وتنكير الرحمة باعتبار لحوق
النزع بها ليقولن ذهب السيئات عنى اى المصايب التي ساءتني ولن يعتريني بعد امثالها
كما هو شان اولئك الاشرار فان الترقب لورود امثالها مما يكدر السرور وينغص العيش انه
لفرح بطر واشر بالنعم مغتر بها فخور على الناس بما اوتى منها مشغول بذلك عن القيام بحقها واللام
لئن في الآيات الاربع موطئة للقسم وجوابه ساد مسد جواب الشرط الا الذين صبروا على ما
اصابهم من الضراء سابقا ايمانا بالله واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات شكرا
على الآلاء سابقها ولاحقها واللام في الانسان اما لاستغراق الجنس فالاستثناء متصل او للعهد
فمنقطع اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل اى اولئك الموصوفون بتلك الصفات الحميدة لهم مغفرة
عظيمة لذنوبهم وان جمت واجر ثواب لاعمالهم الحسنة كبير ووجه تعلق الآيات الثلاث بما قبلهن
من حيث ان اذاقة النعماء ومساس الضراء فصل من باب الابتلاء واقع موقع التفصيل من الاجمال
الواقع في قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا والمعنى ان كلا من اذاقة النعماء ونزعها مع كونه
ابتلاء للانسان ايشكر ام يكفر لا يهتدي الى سنن الصواب بل يحيد في كلتا الحالتين عنه الى مهاوي
الضلال فلا يظهر منه حسن عمل الا من الصابرين الصالحين او من حيث ان انكارهم بالبعث واستهزاءهم
بالعذاب بسبب بطرهم وفخرهم كانه قيل انما فعلوا ما فعلوا لان طبيعة الانسان مجبولة على ذلك
هم

فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك من البينات الدالة على حقيقة نبوتك المنادية بكونها من
عند الله عز وجل لمن له اذن واعية وضائق به صدرك اى عارض لك ضيق صدر بتلاوته
عليهم وتبليغه اليهم في اثناء الدعوة والمحاجة ان يقولوا لان يقولوا تعاميا عن تلك
البراهين التى لا تكاد تخفى صحتها على احد ممن له اذن بصيرة وتماديا في العناد على وجه الاقتراح
لولا انزل عليه كنز مال خطير يدل على صدقه او جاء معه ملك يصدقه قيل قائله عبد الله
ابن امية المخزومي وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رؤساء مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهبا
ان كنت رسولا وقال الآخرون ائتنا بالملائكة يشهدوا بنبوتك فقال لا اقدر على ذلك فنزلت
فكانه صلى الله عليه وسلم لما عاين اجتراءهم على اقتراح مثل هذه العظائم غير قانعين بالبينات الباهرة
التى كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من ارباب العقول وشاهد ركوبهم من المكابرة متن كل صعب
وذلول مسارعين الى المقابلة بالتكذيب والاستهزاء وتسميتها سحرا حل بحاله ما يحل بحال من توقع
منه ان يضيق صدره بتلاوة تلك الآيات الساطعة عليهم وتبليغها اليهم فحمل على الحذر منه بما
في لعل من الاشفاق فقيل انما انت نذير ليس عليك الا الانذار بما اوحى اليك غير مبال بما
صدر عنهم من الرد والقبول والله على كل شيء وكيل يحفظ احوالك واحوالهم فتوكل
عليه في جميع امورك فانه فاعل بهم ما يليق بحالهم والاقتصار على النذير في اقصى غاية من اصابة
المحز ام يقولون افتراه اضراب بام المنقطعة عن ذكر ترك اعتدادهم بما يوحى وتهاونهم به وعدم
اقتناعهم بما فيه من المعجزات الظاهرة الدالة على كونه من عند الله عز وجل وعلى حقية نبوته
صلى الله عليه وسلم وشروع في ذكر ارتكابهم لما هو اشد منه واعظم وما فيها من معنى الهمزة
للتوبيخ والانكار والتعجيب والضمير المستكن في افتراه للنبي صلى الله عليه وسلم والبارز لما
يوحى اى بل أيقولون افتراه وليس من عند الله قل ان كان الامر كما تقولون فأتوا انتم ايضا
بعشر سور مثله في البلاغة وحسن النظم وهو نعت لسور اى امثاله وتوحيده اما باعتبار
مماثلة كل واحدة منها او لان المطابقة ليست بشرط حتى يوصف المثنى بالمفرد كما في قوله تعالى
انؤمن لبشرين مثلنا او للايماء الى ان وجه الشبه ومدار المماثلة في الجميع شيء واحد
هو البلاغة المؤدية الى مرتبة الاعجاز فكان الجميع واحد مفتريات صفة اخرى لسور اخرت
عن وصفها بالمماثلة لما يوحى لانها الصفة المقصودة بالتكليف اذ بها يظهر عجزهم وقعودهم عن
المعارضة واما وصف الافتراء فلا يتعلق به غرض يدور عليه شيء في مقام التحدى وانما
ذكر على نهج المساهلة وارخاء العنان ولانه لو عكس الترتيب لربما توهم ان المراد هو المماثلة في
الافتراء والمعنى فأتوا بعشر سور مماثلة له في البلاغة مختلقات من عند انفسكم ان صح انى اختلقته
من عندى فانكم اقدر على ذلك منى لانكم عرب فصحاء بلغاء قد مارستم مبادى ذلك من
الخطب والاشعار وحفظتم الوقائع والايام وذقتم اساليب النظم والنثر وادعوا
في المعارضة من استطعتم دعاءه والاستعانة به من آلهتكم التى تزعمون انها ممدة لكم في
كل ما تأتون وتذرون والكهنة ومداره‍كم الذين تلجأون الى آرائهم في الملمات ليسعدوكم
فيها من دون الله متعلق بادعوا اى متجاوزين الله تعالى ان كنتم صادقين في
انى افتريته فان ذلك يستلزم امكان الاتيان بمثله وهو ايضا يستلزم قدرتكم عليه والجواب

محذوف يدل عليه المذكور فان لم يستجيبوا لكم اى فان لم يفعلوا ما كلفتموه من الاتيان بمثله كقوله
تعالى فان لم تفعلوا وانما عبر عنه بالاستجابة ايماء الى انه صلى الله عليه وسلم على كمال امن من امره كان امره
لهم بالاتيان بمثله دعاء لهم الى امر يريد وقوعه والضمير في لكم للرسول عليه السلام والجمع للتعظيم كما في قول من
قال وان شئت حرمت النساء سواكم او له وللمؤمنين لانهم اتباع له عليه السلام في الامر بالتحدى وفيه
تنبيه لطيف على ان حقهم ان لا ينفكوا عنه عليه السلام ويناصبوا معه لمعارضة المعاندين كما كانوا يفعلونه
في الجهاد وارشاد الى ان ذلك مما يفيد الرسوخ في الايمان والطمأنينة في الايقان ولذلك رتب
عليه قوله عز وجل فاعلموا اى اعلموا حين ظهر لكم عجزهم عن المعارضة مع تهالكهم عليها علما
يقينيا متاخما لعين اليقين بحيث لا مجال معه لشائبة ريب بوجه من الوجوه كانما عداه من مراتب العلم
ليس بعلم لكن لا للاشعار بانحطاط تلك المراتب بل بارتفاع هذه الرتبة وقد سمح بايراد كلمة
الشك مع القطع بعدم الاستجابة فان تنزيل شأن المراتب منزلة العدم مستتبع لتنزيل الجزم بعدم
الاستجابة منزلة الشك فيه او اثبتوا واستمروا على ما كنتم عليه من العلم انما انزل ملتبسا بعلم الله
المخصوص به بحيث لا تكاد تحوم حوله العقول والافهام مستبدا بخصائص الاعجاز من جهتى النظم الرائق
والاخبار بالغيب وان لا اله الا هو اى واعلموا ايضا ان لا شريك له في الالوهية واحكامها ولا
يقدر على ما يقدر عليه احد فهل انتم مسلمون اى مخلصون في الاسلام او ثابتون عليه وهذا من
باب التثبيت والترقية الى معارج اليقين ويجوز ان يكون الخطاب في الكل للمشركين من جهة الرسول
صلى الله عليه وسلم لاختلاف الامر بالتحدى والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم اى فان لم يستجب لكم
آلهتكم وسائر من اليه تجأرون في مهماتكم وملماتكم الى المعاونة والمظاهرة فاعلموا ان ذلك خارج
من دائرة قدرة البشر وانه منزل من خالق القوى والقدر وايراد كلمة الشك مع الجزم بعدم الاستجابة
من جهة آلهتهم تهكم بهم وتسجيل عليهم بكمال سخافة العقل وترتيب الامر بالعلم على مجرد عدم الاستجابة
من حيث انه مسبوق بالدعاء المسبوق بعجزهم واضطرارهم فكانه قيل فان لم يستجيبوا لكم عند
التجائكم اليهم بعدما اضطررتم الى ذلك وضاقت عليكم الحيل وعيت بكم العلل او من حيث ان من
يستجيرون بهم اقوى منهم في اعتقادهم فاذا ظهر عجزهم بعدم استجابتهم وان كان ذلك قبل ظهور
عجز انفسهم يكون عجزهم اظهر واوضح واعلموا ايضا ان آلهتكم بمعزل عن رتبة الشركة
في الالوهية واحكامها فهل انتم داخلون في الاسلام اذ لم يبق بعد شائبة شبهة في حقيته وفي بطلان ما
كنتم فيه من الشرك ينخرط فيه الاذعان لكون القرآن من عند الله تعالى دخولا اوليا او منقادون
للحق هو كون القرآن من عند الله تعالى وتاركون لما كنتم فيه من المكابرة والعناد وفي هذا الاستفهام
ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر واقناط من ان يجيرهم
آلهتهم من بأس الله عز سلطانه هذا ولعل الانسب لما سلف من قوله تعالى وضائق به صدرك ولما
في قوله تعالى فلا تك في مرية منه وادق ارتباطا بما يعقبه كما سيجيء ان يجرى من كان يريد الحياة
الدنيا وزينتها اى ما يزينها ويحسنها من الصحة والامن والسعة في الرزق وكثرة الاولاد
والرياسة وغير ذلك والمراد بالارادة ما يحصل عند مباشرة الاعمال لا مجرد الارادة القلبية لقوله
تعالى نوف اليهم اعمالهم فيها وادخال كان عليها للدلالة على استمرارها منهم بحيث لا يكادون
يريدون الآخرة اصلا وليس المراد باعمالهم اعمال كلهم فانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل

احدها كلما يهواه فان ذلك منوط بالمشية الجارية على قضية الحكمة كما نطق به قوله تعالى من كان
يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ولا كل اعمالهم بل بعضها الذي يترتب عليه الاجر المذكور
بطريق الاجر والجزاء من اعمال البر وما اطلقت واريد بها ثمراتها فالمعنى نوصل اليهم ثمرات اعمالهم
في الحيوة الدنيا كاملة وقرئ يوف على الاسناد الى الله عز وجل ونوف بالتخفيف على البناء
للمفعول ورفع اعمالهم وقرئ نوفي بالتخفيف والرفع لكون الشرط ماضيا كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة
يقول لا غائب مالي ولا حرم وهم فيها اي في الحيوة الدنيا لا يبخسون اي لا ينقصون
وانما عبر عن ذلك بالبخس الذي هو نقص الحق مع انه ليس لهم شائبة حق فيما اوتوه كما عبر عن
اعطائه بالتوفية التي هي اعطاء الحقوق مع ان اعمالهم بمعزل من كونها مستوجبة لذلك بناء للامر على
ظاهر الحال ومحافظة على صور الاعمال ومبالغة في نفي النقص كان ذلك نقص لحقوقهم فلا يدخل
تحت الوقوع والصدور عن الكريم اصلا والمعنى انهم فيها خاصة لا ينقصون ثمرات اعمالهم
واجورها نقصا كليا مطلقا ولا يحرمونها حرمانا كليا واما في الاخرة فهم في الحرمان المطلق
واليأس المحقق كما ينطق به قوله تعالى اولئك فانه اشارة الى المذكورين باعتبار ارادتهم
الحيوة الدنيا او باعتبار توفيتهم اجورهم من غير بخس او باعتبارهما معا وما فيه من معنى
البعد للايذان ببعد منزلتهم في سوء الحال اي اولئك المريدون للحيوة الدنيا وزينتها والموفون
فيها ثمرات اعمالهم من غير بخس الذين ليس لهم في الاخرة الا النار لان هممهم كانت
مصروفة الى الدنيا واعمالهم مقصورة على تحصيلها وقد اجتنوا ثمرتها ولم يكونوا يريدون
بها شيئا اخر فلا جرم لم يكن لهم في الاخرة الا النار وعذابها المخلد وحبط ما صنعوا
فيها اي ظهر في الاخرة حبوط ما صنعوه من الاعمال التي كانت تؤدي الى الثواب لو كانت معمولة
للاخرة او حبط ما صنعوه في الدنيا من اعمال البر اذ شرط الاعتداد بها الاخلاص وباطل
اي في نفسه ما كانوا يعملون في اثناء تحصيل المطالب الدنيوية ولاجل ان الاول من شأنه
استتباع الثواب والاجر وان عدمه لعدم مقارنته للايمان والنية الصحيحة وان الثاني ليس له
جهة صالحة قط علق بالاول الحبوط المؤذن لسقوط اجره بصيغة الفعل المنبئ عن الحدوث
وبالثاني البطلان المفصح عن كونه بحيث لا طائل تحته اصلا بالاسمية الدالة على كون ذلك
وصفا لازما ثابتا فيه وفي زيادة كان في الثاني دون الاول ايماء الى ان صدور اعمال البر منهم
وان كان لغرض فاسد ليس في الاستمرار والدوام كصدور الاعمال التي هي من مقدمات مطالبهم
الدنيوية وقرئ وبطل على الفعل اي ظهر بطلانه حيث علم هناك ان ذلك وما يستتبعه من
الحظوظ الدنيوية مما لا طائل تحته وانقطع اثره الدنيوي فبطل مطلقا وقرئ وباطلا ما
كانوا يعملون على ان ما ابهامية او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام وعن
ابن ع رض ان المراد بقوله تعالى من كان يريد الخ اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا
رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة الرزق وصحة البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسهم لهم في الغنائم وانت خبير بان ذلك انما كان بعد الهجرة
والسورة مكية وقيل هم اهل الرياء يقال للقراء منهم اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك
وهكذا لغيرهم ممن يعمل اعمال البر لا لوجه الله تعالى فعلى هذا لا بد من تقييد قوله تعالى ليس لهم

في الاخرة الا النار بان ليس لهم بسبب اعمالهم الريائية الا ذلك والذي يقتضيه جزالة النظم الكريم ان المراد به مطلق الكفرة
بحيث يندرج فيهم القادحون في القرآن العظيم اندراجا اوليا فانه عز وعلا لما امر نبيه صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين بان يزدادوا علما ويقينا بان القرآن منزل بعلم الله وبان لا قدرة لغيره على شيء اصلا وهيجهم على
الثبات على الاسلام والرسوخ فيه عند ظهور عجز الكفرة وما يدعون من دون الله عن المعارضة وتبين
انهم ليسوا على شيء اصلا اقتضى الحال ان يتعرض لبعض شؤنهم الموهمة لكونهم على شيء في الجملة من نيلهم الحظوظ
العاجلة واستيلائهم على المطالب الدنيوية وبيان ان ذلك بمعزل عن الدلالة عليه ولقد تبين ذلك اي بيان
ثم اعيد الترغيب فيما ذكر من الايمان بالقرآن والتوحيد والاسلام فقيل افمن كان على بينة من ربه
اي برهان نير عظيم الشأن يدل على حقية ما رغب في الثبات عليه من الاسلام وهو القرآن وباعتباره او
بتأويل البرهان ذكر الضمير الراجع اليها في قوله تعالى ويتلوه اي يتبعه شاهد يشهد بكونه من عند الله
وهو الاعجاز في نظمه المطرد في كل مقدار سورة منه او ما وقع في بعض اياته من الاخبار بالغيب وكلاهما
وصف تابع له شاهد بكونه من عند الله عز وجل غير ان التعبير بكونه في الكلام اشارة الى حال رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في تمسكهم بالقرآن عند ثبوت كونه من عند الله بشهادة الاعجاز منه
اي من القرآن غير خارج عنه او من جهة الله تعالى فان كلا منهما وارد من جهته تعالى للشهادة ويجوز على
التقديرين ان يراد بالشاهد المعجزات الظاهرة على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ذلك ايضا من الشواهد
التابعة للقرآن الواردة من جهته تعالى فالمراد بمن في قوله تعالى افمن كان اما من يتصف بهذه الصفة الحميدة
فيدخل فيه المخاطبون بقوله فاعلموا فهل انتم مسلمون دخولا اوليا وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل مؤمنو
اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل المراد بالبينة دليل العقل وبالشاهد القرآن والضمير
في منه لله عز وجل او البينة القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل او لسان النبي صلى الله عليه وسلم على ان
الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والاولى هو الاول ولما كان المراد بتلو الشاهد للبرهان اقامة
الشهادة بصحته وكونه من عند الله تعالى تابعا لا يفارقه في مشهد من المشاهد فان القرآن بينة باقية
على وجه الدهر مع شاهدها الذي يشهد بامره الى يوم القيمة عند كل مؤمن وجاحد عطف كتاب موسى
في قوله عز قائلا ومن قبله كتاب موسى على فاعله مع كونه مقدما عليه في النزول فكانه قيل افمن
كان على بينة من ربه ويشهد به شاهد منه وشاهد اخر من قبله هو كتاب موسى وانما قدم في الذكر
المؤخر في النزول لكونه وصفا لازما له غير مفارق عنه ولعراقته في وصف التلو والتنكير في بينة
وشاهد للتفخيم اماما اي مؤتما به في الدين ومقتدى به في القصص لهذا الوصف مصدقا بان لو
الكتاب ما لا يخفى من تفخيم شأن المتلو ورحمة اي نعمة عظيمة على من انزل اليهم ومن بعدهم الى يوم
القيمة باعتبار احكامه الباقية المؤيدة بالقرآن العظيم وهما حالان من الكتاب اولئك الموصوفون
بتلك الصفة الحميدة وهي الكون على بينة من الله ولما ان ذلك عبارة عن مطلق التمسك بها
وتنكيرها ذلك بطريق التعليل لمن سلف من عظماء الدين من غير غفوة على دقائق وصفهم بانهم
يؤمنون به اي يصدقونه حق التصديق حسبما تشهد به شواهد لطفه المرية عن حقيته ومن يكفر
به اي بالقرآن ولم يصدق بتلك الشواهد الحقة من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنار موعده يردها لا محالة حسبما نطق به قوله عز وجل ليس لهم
في الاخرة الا النار وفي جعلها موعدا اشعار بان له فيها ما لا يوصف من افانين العذاب فلا تك صح

مرية منه اى فى شك من امر القرآن وكونه من عند الله عز وجل غب ما تظاهرت به الشواهد المذكورة وظهر
فضل من تمسك به انه الحق من ربك الذى يربيك فى دينك ودنياك ولكن اكثر الناس لا
يؤمنون بذلك اما لقصور انظارهم واختلال افكارهم واما لعنادهم واستكبارهم ومن فى قوله
تعالى افمن كان على بينة من ربه مبتدأ حذف خبره لاغناء الحال عن ذكره وتقديره افمن كان على بينة
من ربه كاولئك الذين ذكرت اعمالهم وبين مصيرهم ومآلهم يعنى ان بينهما تفاوتا عظيما بحيث لا
يكاد يتراءى ناراهما وايراد الفاء بعد الهمزة لانكار ترتب توهم المماثلة على ما ذكر من صفاتهم
وعد من ههنا انهم كانوا قيل ابعد ظهور حالهم فى الدنيا والآخرة كما وصف يتوهم المماثلة بينهم وبين
من كان على احسن ما يكون فى العاجل والآجل فى قوله تعالى افاتخذتم من دونه اولياء اى ابعد ان علمتموه
رب السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء وقوله تعالى افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق
كمن هو اعمى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان نسب اليه ما لا يليق به كقولهم للملائكة بنات الله
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقولهم لآلهتهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله يعنى انهم بكذبهم بآيات
الله تعالى مفترون عليه كذبا وهذا التركيب وان كان سبكه على انكار ان يكون احد اظلم منهم من
غير تعرض لانكار المساواة ونفيها لكن المقصود به قصدا مطردا انكار المساواة ونفيها وافادة
انهم اظلم من كل ظالم كما ينبئ عنه ما سيأتى من قوله عز وجل لا جرم انهم فى الآخرة هم الاخسرون فاذا قيل من
اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد منه حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل اولئك الموصوفون
بالظلم البالغ الذى هو الافتراء على الله تعالى وهذه الاشارة حصلت المعنى عن اسناد
العرض الى اعمالهم واكتفى باسناده اليهم حيث قيل يعرضون لان عرضهم من تلك الحيثية
وبذلك العنوان عرض لاعمالهم على وجه ابلغ فان عرض العامل بعمله افظع من عرض عمله
على ربهم الحق وفيه ايماء الى بطلان رأيهم فى اتخاذهم اربابا من دون الله عز وجل ويقول
الاشهاد عند العرض من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد او شهيد كاصحاب
واشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم بالافتراء عليه كان ذلك امر واضح غنى عن الشهادة و
انما المحتاج الى الشهادة تعيين من صدر عنه ذلك فلذلك يقولون هؤلاء
كذبوا على ربهم ويجوز ان يكون المراد بالاشهاد الحضار وهم جميع اهل الموقف على ما قال قتادة
ومقاتل رضى الله عنهم ويكون قولهم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ذما لهم بذلك لا شهادة
عليهم كما يشعر به قوله ويقول دون ويشهد الخ وقوله بما يعقبه من قوله الا لعنة الله على
الظالمين بالافتراء المذكور ويجوز ان يكون هذا وما بعده الاول من كلام الله عز وجل وفيه تهويل
عظيم لما يحيق بهم من عاقبة ظلمهم اللهم انا نعوذ بك من الخزى على رؤوس الاشهاد الذين يصدون
اى كل من يقدرون على صده او يفعلون الصد عن سبيل الله عن دينه القويم ويبغونها
عوجا انحرافا اى يصفونها بذلك وهى ابعد شئ منه او يبغون اهلها ان ينحرفوا عنها يقال بغيتك
خيرا او شرا اى طلبته لك وهذا شامل لتكذيبهم بالقرآن وقولهم انه ليس من عند الله وهم بالآخرة
هم كافرون اى يصفونها بالعوج والحال انهم كافرون بها لانهم يؤمنوا بها ولذلك يعدون
ان لها سبيلا سويا يهدون الناس اليه وتكرير الضمير لتأكيد كفرهم واختصاصهم كأن كفرهم
ليس بشئ عند كفرهم اولئك مع ما وصفت من احوالهم الموجبة للتدمير لم يكونوا معجزين الله تعالى

مغلبين بانفسهم من اخذه لو اراد ذلك فى الارض مع سعتها وان هربوا منها كل مهرب وما كان
لهم من دون الله من اولياء ينصرونهم من بأسه ولكن اخر ذلك لحكمة تقتضيه والجمع اما
باعتبار افراد الكفرة كانه قيل وما كان لاحد منهم من ولى او باعتبار تعدد ما كانوا يدعون
من دون الله تعالى فيكون ذلك لكمال الهتهم من سقوطها عن رتبة الولاية يضاعف
لهم العذاب استئناف يتضمن حكمة تأخير المؤاخذة وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب
بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لفرط تصامهم عن الحق وبغضهم له كانهم لا يقدرون
على السمع ولما كان قبح حالهم فى عدم اذعانهم للقرآن الذى طريق تلقيه السمع اشد منه
فى عدم قبولهم لسائر الآيات المنوطة بالابصار بالغ فى نفى الاول عنهم حيث نفى عنهم الاستطاعة
واكتفى فى الثانى بنفى الابصار فقال وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن آيات الله المبسوطة
فى الانفس والآفاق وهو استئناف وقع تعليلا لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان لما نفى
من ولاية الآلهة فان ما لا يسمع ولا يبصر بمعزل من الولاية وقوله تعالى يضاعف لهم
العذاب اعتراض وسط بينهما نعيا عليهم من اول الامر سوء حالهم اولئك المنعوتون بما ذكر
من القبائح الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله عز سلطانه وضل
عنهم ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها او خسروا ما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا
فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم فيه ثلاثة اوجه الاول ان لا نافية لما سبق وجرم
فعل بمعنى حق وان مع ما فى حيزه فاعله والمعنى لا ينفعهم ذلك الفعل حق انهم فى الآخرة
هم الاخسرون وهذا مذهب سيبويه والثانى جرم بمعنى كسب وما بعده مفعوله وفاعله
ما دل عليه الكلام اى كسب ذلك خسرانهم فالمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور خسرانهم
والثالث ان لا جرم بمعنى لا بد اى لا بد انهم فى الآخرة هم الاخسرون وايا ما كان فمعناه
انهم اخسر من كل خاسر فتبين انهم اظلم من كل ظالم وهذه الآيات الكريمة كما ترى
مؤكدة لما سبق من انكار المماثلة بين من كان على بينة من ربه وبين من كان يريد الحياة الدنيا
ابلغ تأكيد فانهم حيث كانوا اظلم من كل ظالم واخسر من كل خاسر لم يتصور مماثلة بينهم
وبين احد من الظلمة الاخسرين فما ظنك بالمماثلة بينهم وبين من هو فى اعلى مدارج الكمال
ولما ذكر فريق الكفار واعمالهم وبين مصيرهم وما لهم شرع فى بيان حال اضدادهم اعنى
فريق المؤمنين وما يؤول اليه امرهم من العواقب الحميدة تكملة لما سلف من محاسنهم المذكورة
فى قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه الآية لتتبين ما بينهما من التباين البين حالا ومآلا
فقيل ان الذين آمنوا اى بكل ما يجب ان يؤمن به فيندرج تحته ما نحن بصدده من الايمان
بالقرآن الذى عبر عنه بالكون على بينة من الله وانما يحصل ذلك باستماع الوحى والتدبر فيه
ومشاهدة ما يؤدى الى ذلك فى الانفس والآفاق او فعلوا الايمان كما فى يعطى ويمنع وعملوا
الصالحات واخبتوا الى ربهم اى اطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخضوع والتواضع
من الخبت وهى الارض المطمئنة ومعنى اخبت دخل فى الخبت كانجد واتهم دخل فى نجد وتهامة
اولئك المنعوتون بتلك النعوت الجميلة اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون وبعد بيان
تباين حاليهما عقلا اريد بيان تباينهما حسا فقيل مثل الفريقين المذكورين اى حالهما العجيب

لان المثل لا يطلق الا على ما فيه غرابة من الاحوال والصفات كالاعمى والاصم والبصير والسميع
اي كحال هؤلاء فلا تكون ذواتهم كذواتهم والكلام وان امكن ان يحمل على تشبيه الفريق
الاول بالاعمى وبالاصم وتشبيه الفريق الثاني بالبصير وبالسميع لكن الادخل في المبالغة
والاقرب الى ما يشير اليه لفظ المثل والانسب بما سبق من وصف الكفرة بعدم استطاعة السمع وعدم
الابصار ان يحمل على تشبيه الفريق الاول بمن جمع بين العمى والصمم وتشبيه الفريق الثاني بمن
جمع بين البصر والسمع على ان يكون الواو في قوله تعالى والاصم وفي قوله والسميع لعطف الصفة
على الصفة كما في قول من قال الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وايا
ما كان فالظاهر ان المراد الحال المدلول عليها بلفظ المثل وهي التي يدور عليها امر التشبيه
ما يلائم الاحوال المذكورة المعتبرة بجانب المشبه به من تعامي الفريق الاول عن مشاهدة
ايات الله المنصوبة في الافاق والانفس بعين الاعتبار وتصامهم عن استماع ايات
القرآن الكريم وتلقيها بالقبول حسبما ذكر في قوله تعالى لا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون
وانما لم يراع هذا الترتيب ههنا لكون الاعمى اظهر واشهر في سوء الحال من الاصم ومن
استعمال الفريق الثاني لكل من ابصارهم واسماعهم فيما ذكر كما ينبغي المدلول عليه بما سبق من
الايمان والعمل الصالح والاخبات حسبما فسر به فيما مر فلا يكون التشبيه تمثيليا
لا بجميع الاحوال المعدودة لكل من الفريقين مما ذكر وما يؤدي اليه من العذاب المضاعف
والخسران اللازم لاحدهما ومن النعيم في الاخرة فان اعتبار ذلك يرجع الى كون التشبيه
تمثيليا بان ينتزع من حال الفريق الاول في تعاميهم وتصامهم المذكورين ووقوعهم بسبب ذلك
في العذاب المضاعف والخسران الذي لا خسران فوقه هيئة فتشبه بهيئة منتزعة ممن فقد مشعري
البصر والسمع فتخبط في مسلكه فوقع في مهاوي الردى ولم يجد الى مقصده سبيلا وينتزع
من حال الفريق الثاني في استعمال مشاعرهم في ايات الله تعالى حسبما ينبغي وفوزهم بدار
الخلود هيئة فتشبه بهيئة منتزعة ممن له بصر وسمع يستعملهما في مهماته فيهتدي الى سبيله
وينال مرامه هل يستويان يعني الفريقين المذكورين والاستفهام انكاري متعلق بما سبق
من انكار المماثلة في قوله تعالى افمن كان على بينة الاية مثلا اي حالا وصفة وهو تمييز من فاعل
يستويان افلا تذكرون اي اتشكون في عدم الاستواء وما بينهما من التباين او
تغفلون عنه فلا تتذكرون بالتأمل فيما ضرب لكم من المثل فيكون الانكار واردا على المعطوفين
معا او تسمعون هذا فلا تتذكرون فيكون راجعا الى عدم التذكر بعد تحقق ما يوجب وجوده
وهو المثل المضروب كما في قوله تعالى افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم فان الفاء هناك
لانكار الانقلاب بعد تحقق ما يوجب عدمه من علمهم بخلو الرسل قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي افلا تفعلون التذكر او فلا تعقلون ومعنى الهمزة انكار عدم التذكر واستبعاد صدوره
عن المخاطبين وانه ليس مما يصح ان يقع لا من قبيل الانكار في قوله تعالى افمن كان على بينة
من ربه وقوله تعالى هل يستويان فان ذلك لنفي المماثلة ونفي الاستواء ولما بين من فاتحة
السورة الكريمة الى هذا المقام انها كتاب محكم الايات مفصلها نازل في شأن التوحيد وترك
عبادة غير الله سبحانه وان الذي انزل عليه نذير وبشير منه سبحانه وتعالى وقرر في تضاعيف

ذلك ما له مدخل في تحقيق هذا المرام من الترغيب والترهيب واثر المعاندين بما يقاربه
من الشواهد الحقة الدالة على كونه من عند الله تعالى وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم مما
عراه من ضيق الصدر العارض له من اقتراحاتهم الشنيعة وتكذيبهم له وتسميتهم القرآن
تارة سحرا واخرى مفترى وتثبيته عليه السلام والمؤمنين على التمسك به والعمل بموجبه على ابلغ وجه
وابدع اسلوب شرع في تحقيق مدلول ذلك بطريقين احدهما ان ما امر به من التوحيد وفروعه
مما اطبق عليه الانبياء قاطبة والثاني ان ذلك انما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدما ما ذكر تقريبه
بذكر قصص الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين المشتملة على ما اشتمل عليه فاتحة السورة
الكريمة وليتأكد صلى الله عليه وسلم بطريق الوحي فلا يبقى في حقيته كلام اصلا وليتسلى
بما يشاهد من معاناة الرسل قبله من اممهم ومقاساتهم الشدائد من جهتهم فقيل ولقد
ارسلنا نوحا الى قومه الواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وحرف الباء لا الواو
كما في سورة الاعراف لئلا يجتمع واوان ولا يكاد تطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع
وان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح هو ابن لمك بن متوشلخ بن ادريس
عليهما السلام وهو اول نبي بعث بعده قال ابن عباس رضي الله عنهما بعث عليه السلام على رأس اربعين
من عمره ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة وكان عمره الفا
وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن
مائتين وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين
فكان عمره الفا واربعمائة وخمسين سنة اني لكم نذير بالكسر على ارادة القول اي فقال
او قائلا وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالفتح على اضمار حرف الجر اي ارسلناه ملتبسا
بذلك الكلام وهو اني لكم نذير بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما في كأن فان المعنى على
الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد واقتصر على ذكر كونه نذيرا لا لان دعوته
عليه السلام كانت بطريق الانذار فقط الا يرى الى قوله عليه السلام فقلت استغفروا ربكم انه كان
غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الخ بل لانهم لم يغتنموا مغانم البشارة عليه السلام مبين ابين لكم
نوح ع موجبات العذاب ووجه الخلاص منه لان الانذار اعلام المحذور لا مجرد التخويف والا
بل التحذير منه فيتعلق بصفته بكلا وصفيه ان لا تعبدوا الا الله اي بان لا تعبدوا على
ان ان مصدرية والباء متعلقة بارسلنا ولا ناهية اي ارسلناه ملتبسا بنهيهم عن
الشرك الا الله وتوسيطه بيان بعض اوصافه عليه السلام وهو كونه نذيرا مبينا
ليكون ادخل في القبول ولم يفعل ذلك في صدر السورة لئلا يفرق بين الكتاب
ومضمونه بما ليس من اوصافه واحواله او مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذيرا او مفعول لمبين
وعلى قراءة الفتح بدل من اني لكم نذير مبين او تعيين لما يوجب وقوع المحذور وبيان
لوجه الخلاص وهو عبادة الله تعالى وقوله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم تعليل
لموجب النهي وتصريح بالمحذور وتحقيق للانذار والمراد به يوم القيامة او يوم الطوفان
ووصفه بالاليم على الاسناد المجازي للمبالغة كما في نهاره صائم وهذه المقالة وما
في معناها مما قاله عليه السلام في اثناء الدعوة على ما حكي عنه في سائر السور اما انه لم يصدعه

عليه السلام واخوته بل كان يذكرها عليهم في تلك المدة المتطاولة على ما نطق به قوله تعالى رب
اني دعوت قومي ليلا ونهارا الايات عطفت على فعل الابصار المقارن لها او القول المقدر بعده
جوابهم المتوجه لتحقيق الحق الموقع الذين اسعوا على الكلم بعد التبليغ والقيا بالفاء التعقيبية
فقيل فقال الملأ الذين كفروا من قومه اي الاشراف منهم من قولهم فلان ملي بكذا اذا
كان مطيقا له لانهم مليئوا بكفايات الامور او لانهم ملؤوا القلوب هيبة والمجالس ابهة او لانهم
ملؤوا بالاحلام والاراء الصائبة ووصفهم بالكفر لذمهم والتسجيل عليهم بذلك من اول الامر لا لان بعض
اشرافهم ليسوا بكفرة ما نراك الا بشرا مثلنا مرادهم ما انت الا بشر مثلنا ليس فيك مزية تخصك
من دوننا بما تدعيه من النبوة ولو كان كذلك لرأيناه لا ان ذلك محتمل ولكن لا نراه وكذا الحال
في قولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي فالفعلان من رؤية العين وحق كل
من قوله تعالى الا بشرا مثلنا حالا من المفعول وكذا قوله اتبعك في موضع الحالية اما على حاله او بتقدير قد
عند من يشترط ذلك ويجوز ان يكون من رؤية القلب وهو الظاهر فهما المفعول الثاني وتعلق
الرؤية بالمثلية لا بالبشرية فقط وانما لم يسبق القول بذلك مع جزمهم به واصرارهم عليه ايذانا
بان ذلك لم يصدر عنهم جزافا بل بعد التأمل في الامر والتدبر فيه ولذلك اختير واتى ذكر الظن فيما
سيأتي ولتعريضهم اول الامر اي المتبعين بكون قولهم ما نرى الجواب عمارة عليهم من انه عليه السلام
ليس عليهم عائد لأكل ثبوته واعظم اتباعه عين يتصرف قلب بذلك زعموا ان هؤلاء
اراذلنا اي اخساؤنا وادانينا جمع ارذل فانه صار بالغلبة جاريا مجرى الاسم كالاكبر والاكابر
او جمع ارذل جمع رذل كالكلب واكلب وكلاب يعنون انه لا عبرة باتباعهم لك اذ ليس لهم رزانة عقل
ولا اصابة رأي وقد كان ذلك منهم في بادي الرأي اي ظاهره من غير تعمق من البدو او في اول
من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقد قرأ ابو عمرو وانتصابه على الظرفية على حذف
المضاف اي وقت حدوث بادي الرأي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم مع كونهم اولي
الالباب الراجحة لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهر الحيوة الدنيا كان الاشرف عندهم الاكثر منها
حظا والارذل من حرمها ولم يفقهوا ان ذلك لا يزن عند الله جناح بعوضة وان النعيم انما
هو نعيم الاخرة والاشرف من فاز به والارذل من حرمه نعوذ بالله من ذلك وما نرى لكم اي لك ولمتبعيك
فغلب المخاطب على الغائبين علينا من فضل يعنون ان اتباعهم لك لا يدل على نبوتك ولا يجديكم
فضيلة تستتبع اتباعنا لكم واقتصارهم ههنا على ذكر عدم رؤية الفضل بعد تصريحهم برذالتهم فيما
سبق باعتبار حالهم السابق واللاحق ومرادهم انهم كانوا اراذل قبل اتباعهم لك ولا نرى فيهم وفيك
بعد الاتباع فضيلة علينا بل نظنكم كاذبين جميعا لكون كلامكم واحدا ودعواكم
واحدة او اياك في دعوى النبوة واياهم في تصديقك واقتصارهم على الظن احتراز منهم عن
نسبتهم الى المجازفة ومجاراة معه عليه السلام بطريق الاراءة على نهج الانصاف قال يا قوم ارأيتم
اخبروني وفيه ايماء الى ركاكة رأيهم المذكور ان كنت على بينة برهان ظاهر من ربي وشاهد
يشهد بصحة دعواي وآتاني رحمة من عنده هي النبوة ويجوز ان تكون هي البينة نفسها جيء بها
ايذانا بانها مع كونها بينة من الله تعالى رحمة ونعمة عظيمة من عنده فوجه افراد الضمير في قوله فعميت
عليكم ظاهر واذا اريد بها النبوة وبالبينة البرهان الدال على صحتها فالافراد لارادة كل

واحدة منهما او لكون الضمير للبينة والاكتفاء بذلك لاستلزام خفائها خفاء النبوة او لتقدير فعل
آخر لها بعد البينة ومعنى عميت اخفيت وقرئ عميت ومعناه خفيت وحقيقته ان الحجة كما تجعل بصيرة
وبصيرة تجعل عمياء لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره وفي قراءة ابي فعماها عليكم على الاسناد
الى الله عز وجل انلزمكموها اي انكرهكم على الاهتداء بها وهو جواب ارأيتم وساد مسد جواب
الشرط وقرأ ابو عمرو باختلاس حركة الميم وحيث اجتمع ضميران منصوبان وقد تقدم اعرفهما جاز في الثاني
الوصل والفصل فوصل كما في قوله تعالى فسيكفيكهم الله وانتم لها كارهون لا تختارونها
ولا تتأملون فيها وحاصل الجواب اخبروني ان كنت على حجة ظاهرة الدلالة على صحة دعواي الا انها
خافية عليكم غير مسلمة عندكم ايمكننا ان نكرهكم على قبولها وانتم معرضون عنها غير متدبرين فيها اي لا
يكون ذلك وظاهره مشعر بصدوره عنه عليه السلام بطريق اظهار اليأس عن الزامهم والقعود عن
محاجتهم كقوله ولا ينفعكم نصحي الآية لكنه محمول على ان مراده عليه السلام ردهم عن الاعراض وحثهم
على التدبر بصرف الانكار الى الالزام حال كراهتهم لها لا الى الالزام مطلقا هذا ويجوز ان
يكون المراد بالبينة دليل العقل الذي هو ملاك الفضل وبحسبه يمتاز افراد البشر بعضها عن
بعض وبه يناط الكرامة عند الله عز وجل والاجتباء للرسالة وبالكون عليها التمسك به والثبات
عليه وبخفائها على الكفرة على ان يكون الضمير للبينة عدم ادراكهم كونه عليه السلام عليها وبالرحمة النبوة التي
انكروا اختصاصه عليه السلام بها بين ظهرانيهم والمعنى انكم زعمتم ان عهد النبوة لا ينال الا من له
فضيلة على سائر الناس مستتبعة لاختصاصه به دونهم اخبروني ان امتزت عنكم بزيادة مزية
وحيازة فضيلة من ربي وآتاني بحسبها نبوة من عنده فخفيت عليكم تلك البينة ولم تصيبوها
ولم تنالوها ولم تعلموا حيازتي لها وكوني عليها الى الآن حتى زعمتم اني مثلكم وهي متحققة
في نفسها انلزمكم قبول نبوتي التابعة لها والحال انكم كارهون لذلك فيكون الاستفهام
للحمل على الاقرار وهو الانسب بمقام المحاجة وحينئذ يكون كلامه عليه السلام جوابا عن شبهتهم التي
ادرجوها في خلال مقالهم من كونه عليه السلام بشرا قصاراه ان يكون مثلهم من غير فضل له عليهم وقطعا
لشأفة رأيهم الركيك ويا قوم لا اسألكم عليه اي على ما قلته في اثناء دعوتكم مالا تؤدونه الي بعد
ايمانكم واتباعكم لي فيكون ذلك اجرا لي في مقابلة اهتدائكم ان اجري الا على الله الذي يثيبني
في الآخرة وفي التعبير عنه حيث نسب اليه بالمال ما لا يخفى من المزية وما انا بطارد الذين
آمنوا جواب عما لوحوا به بقولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا من انه لو اتبعه الاشراف
لوافقوهم وان اتباع الفقراء مانع لهم عن ذلك كما هو صريح في قولهم انؤمن لك واتبعك الارذلون
فكان ذلك التماسا منهم لطردهم وتعليقا لايمانهم به عليه السلام بذلك انفة من الانتظام معهم في
سلك واحد انهم ملاقوا ربهم تعليل لامتناعه عليه السلام عن طردهم اي انهم فائزون في الآخرة
بلقاء الله عز وجل كانه قيل لا اطردهم ولا ابعدهم عن مجلسي لانهم مقربون في حضرة القدس
والتعرض بوصف الربوبية لتربية وجوب رعايتهم وتحتم الامتناع عن طردهم او مصدقون
في الدنيا بلقاء ربهم موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة فكيف اطردهم وحمله على
معنى انهم يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لي او على خلاف
ذلك مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على بادي الرأي من غير نظر وتفكر وما علي ان اشق

عن قلوبهم والقصر سد ذلك منهم حتى طردهم ان كان الامر كما زعموا ياباه الجزم بترتب غضب الله
تعالى على طردهم كما سياتى وايضا فهم انما قالوا ان اتباعهم انما هو بحسب بادى الراى بلا تامل وتفكر
وهذا الانكار يصلح مدارا للطرد فى الدنيا ولا للمواخذة فى الاخرة غايته ان لا يكونوا فى مرتبة
الموقنين وادعاء ان الايمان على ظاهر الراى يودى الى الرجوع عنه عند التامل فكانهم قالوا انهم
اتبعوك بلا تامل فلا يثبتون على دينك بل يرتدون عنه تعسف لا يخفى ولكنى اريكم قوما
تجهلون بكل ما ينبغى ان يعلم ويدخل فيه جهلهم بلقاء الله عز وعلا وبما لهم عنده
وباستيجاب طردهم لغضب الله كما سياتى وبركاكة رايهم فى التماس ذلك وتوقيف ايمانهم عليه ونفيهم
عن الانتظام معهم فى سلك واحد وبحاليهم ان الرذالة بالفقر والشرف بالغنى وايثار صيغة الفعل للدلالة
على التجدد والاستمرار اى تجهلون على المومنين بنسبتهم الى الخساسة ويا قوم من ينصرنى من
الله بدفع حلول سخطه عنى ان طردتهم فان ذلك امر لا مرد له لكون الطرد ظلما موجبا لحلول السخط
وانما لم يصرح به استغناء بانه غنى عن البيان لا سيما غب ما قدم ما يلوح به من احوالهم مكانه قيل
يدفع عنى غضب الله تعالى ان طردتهم وهم بتلك المثابة من الكرامة والزلفى كما ينبئ عنه
قوله تعالى لقاء الله افلا تذكرون اى اتستمرون على ما انتم عليه من الجهل المذكور فلا تتذكرون
ما ذكر من حالهم حتى تعرفوا ان ما تاتونه بمعزل عن الصواب ولكون هذه العلة مستقلة بوجه
مخصوص ظاهر الدلالة على وجوب الامتناع عن الطرد وافردت عن التعليل السابق وصدرت
بيا قوم ولا اقول لكم حين ادعى النبوة عندى خزائن الله اى رزقه واموال حتى تستدلوا
بعدمها على كذبى بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين فان النبوة اعز من ان تنال
باسباب دنيوية ودعواها بمعزل عن ادعاء المال والجاه ولا اعلم الغيب اى ولا ادعى فى قولى
انى لكم نذير مبين انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم علم الغيب حتى تسارعوا الى الانكار
والاستبعاد ولا اقول لكم انى ملك حتى تقولوا ما نراك الا بشرا مثلنا فان البشرية
ليست من موانع النبوة بل من مباديها يعنى انكم اتخذتم فقدان هذه الامور الثلاثة ذريعة
الى تكذيبى والحال انى لا ادعى شيئا من ذلك ولا الذى ادعيه يتعلق بشىء منها وانما
يتعلق بالفضائل النفسانية التى بها تتفاوت مقادير البشر ولا اقول مساعدة لكم كما
تقولون للذين تزدرى اعينكم اى تستحقرهم وتحتقرهم من ازدراه اذا عابه واسناد الازدراء
الى اعينهم بالنظر الى قولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا واما للاشعار بان ذلك
لقصور نظرهم ولو تدبروا فى شانهم ما فعلوا ذلك اى لا اقول فى شان الذين استرذلتموهم
لفقرهم من المومنين لن يوتيهم الله خيرا فى الدنيا او فى الاخرة عسى الله ان يوتيهم خير الدارين
ان قلت هذا القول ليس بما يستنكره الكفرة ولا بما يتوهمون صدوره عنه عليه السلام اصالة
واستتباعا كادعاء الملائكة وعلم الغيب وحيازة الخزائن ما نفاه عليه السلام عن نفسه بطريق
التبرى والتنزه عنه فانى وجه عطف نفيه على نفيها قلت من جهة ان كلا النفيين رد لقياسهم
الباطل الذى تمسكوا به فيما سلف فانهم زعموا ان النبوة تستتبع الامور المذكورة وانها لا تتسنى لمن
ليس على تلك الصفات فان المعتبر على كمالها واغتنام مغانمها ليس من دأب الاراذل فاجاب
عليه السلام بنفى ذلك جميعا فكانه قال لا اقول بوجود تلك الاشياء من مواجب النبوة ولا عدم المال

والجاه من موانع الخير الله اعلم بما فى انفسهم من الايمان وانما اقتصر على نفى القول المذكور مع انه عليه السلام
جازم بان الله سبحانه سيوتيهم خير الدارين وانهم على يقين راسخ فى الايمان جريا على سنن الانصاف
مع القوم واكتفاء بمخالفة كلامهم وارشادا لهم الى مسلك الهداية بان اللائق لكل احد الاجتناب عن
الا انما يعلمه يقينا ويبنى امره على الشواهد الظاهرة ولا يجازف فيما ليس له على بينة ظاهرة انى اذا اى اذا
قلت ذلك لمن الظالمين لهم بحط مرتبتهم ونقص حقوقهم او من الظالمين لانفسهم بذلك فان وباله
راجع الى انفسهم وفيه تعريض بانهم ظالمون فى ازدرائهم واسترذالهم وقيل اذا قلت شيئا مما ذكر من
ادعاء الملكية وعلم الغيب وحيازة الخزائن وهو بعيد لان تبعة تلك الاقوال بمعزل عن التعليل
بلزوم الانتظام فى زمرة الظالمين قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا اى
اطلته او اتيت بانواعه فان اكثار الجدال يتحقق بعد وقوع اصله فلذلك عطف عليه بالفاء
او اردت ذلك فاكثرت كما فى قوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله ولما حجهم عليه السلام
واتى لهم بينات واضحة المدلول بحيث تلقاها العقول بالقبول والقمهم الحجر بردّ شبههم
الباطلة ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل قالوا فاتنا بما تعدنا من العذاب المعجل و
العقاب الذى اشير اليه فى قوله انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم حيث تهددنا بان لا يكون المراد
باليوم يوم القيمة ان كنت من الصادقين فيما تقول قال انما ياتيكم به الله ان شاء يعنى
ان ذلك ليس موكولا الىّ ولا هو مما يدخل تحت قدرتى وانما يتولاه الله الذى كفرتم به وعصيتموه
بان ياتيكم به عاجلا او اجلا ان تعلق به مشيئته التابعة للحكمة وفيه ما لا يخفى من
تهويل الموعود وكانه قيل الاتيان به امر خارج عن دائرة القوى البشرية وانما يفعله الله عز وجل
وما انتم بمعجزين بالهرب او بالمدافعة كما تدافعوننى فى الكلام ولا ينفعكم نصحى النصح كلمة جامعة
لكل ما يدور عليه الخير من فعل او قول وحقيقته امحاض ارادة الخير والدلالة عليه ونقيضه الغش
وقيل هو اعلام موقع الغى ليتقى وموضع الرشد ليقتفى ان اردت ان انصح لكم شرط حذف
جوابه لدلالة ما سبق عليه والتقدير ان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحى وهذه الجملة دليل على ما حذف
من جواب قوله تعالى ان كان الله يريد ان يغويكم والتقدير ان كان الله يريد ان يغويكم
فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحى هذا على ما ذهب اليه البصريون من عدم تقديم الجزاء
على الشرط واما على ما ذهب اليه الكوفيون من جوازه فقوله عز وعلا لا ينفعكم نصحى
جزاء للشرط الاول والجملة جزاء للشرط الثانى وعلى التقديرين فالجزاء متعلق بالشرط الاول
وتعلقه به متعلق بالشرط الثانى وهذا الكلام متعلق بقولهم قد جادلتنا فاكثرت جدالنا
صدر عنه عليه السلام اظهارا للعجز عن الزامهم بالحجج والبينات لتماديهم فى العناد وايذانا بان
ما سبق منه ليس بطريق الجدال والخصام بل بطريق النصيحة لهم والشفقة عليهم وبانه لم يال
جهدا فى ارشادهم الى الحق وهدايتهم الى السبيل المستبين وامحاض النصح لهم ولكن لا
ينفعهم ذلك عند ارادة الله تعالى لاغوائهم وتقييد عدم نفع النصح بارادته مع انه محقق
لا محالة للايذان بان ذلك النصح منه مقارن للارادة والاهتمام به ولتحقيق المقابلة بين
ذلك وبين ما وقع بازائه من ارادته تعالى لاغوائهم وانما اقتصر فى ذلك على مجرد ارادة
الاغواء دون نفسه حيث لم يقل ان كان الله يغويكم مبالغة فى بيان غلبة جنابه عز وجل حيث

دلالة على ان نصح المقارن للاهتمام به لا يجديهم عند تعلق ارادة الله سبحانه لاغوائهم فكيف عند
تحقق ذلك وتحققه فيهم وزيادة كان للاستحقاق بتقدم ارادته تعالى زمانا كتقدمه رتبة والدلالة
على ما يجددها واستراب بها فان انما تدل على هذا الكلام ما يتعلق وقطع فاتنا بما تعدنا من قوله
انما ياتيكم به الله ان شاء ردا عليهم من اول الامر وتسجيلا عليهم بحلول العذاب مع ما فيه من
اتصال الجواب بالسؤال وفيه دليل على ان ارادته تعالى يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف
مراده غير واقع وقيل معنى ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم وهلك
هو ربكم خالقكم ومالك امركم واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم لا محالة ام يقولون
افتراه قال ابن عباس يعني نوحا عليه السلام ومعناه بل ايقول قوم نوح ان نوحا افترى ما جاء به
مسندا الى الله عز وجل قل يا نوح ان افتريته بالفرض البحت فعلي اجرامي وبال اجرامي
وهو كسب الذنب وقرئ بلفظ الجمع وينصره ان فسر الاول بالفتح وانا بريء مما تجرمون
من اجرامكم في اسناد الافتراء الي فلا وجه لاعراضكم عني ومعاداتكم لي وقال مقاتل يعني محمدا صلى الله عليه
وسلم ومعناه بل ايقول مشركوا مكة افترى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر نوح فكانه انما جيء به
في تضاعيف القصة عند سوق طرف منها تحقيقا لحقيتها وتاكيدا لوقوعها وتشويقا للسامعين
الى استماعها لا سيما وقد قص منها طائفة متعلقة بما جرى بينه عليه السلام وبين قومه
المحاجة وبقيت طائفة مستقلة متعلقة بعذابهم واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا
من قد آمن تاييس له عليه السلام من ايمانهم واعلام لكونه كالمحال الذي لا يصح توقعه الا من قد
آمن الا من وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه وهذا الاستثناء على طريقة قوله الا ما قد سلف فلا
تبتئس بما كانوا يفعلون اي لا تحزن حزن بائس مستكين ولا تغتم بما كانوا يتعاطونه من التكذيب
والاستهزاء والايذاء في هذه المدة الطويلة فقد انتهى افعالهم وحان الانتقام منهم
واصنع الفلك ملتبسا باعيننا اي بحفظنا وكلائنا كان معه من الله عز وجل حفاظا وحراسا
يكلؤونه باعينهم من التعدي من الكفرة ومن الزيغ في الصنعة ووحينا اليك كيف تصنعها
وتعليمنا والهامنا عن ابن عباس رضي الله عنه لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله تعالى ان يصنعها مثل
جؤجؤ الطائر والامر للوجوب اذ لا سبيل الى صيانة الروح من الغرق الا به فيجب كوجوبه وانما اللام
اما للعهد بان يحمل على ان هذا مسبوق بوحي الله تعالى اليه عليه السلام انه سيهلكهم بالغرق وينجيه
ومن معه بشيء يصنعه بامره تعالى ووحيه من شانه كيت وكيت واسمه كذا واما للجنس قيل صنعها
عليه السلام في سنتين وقيل في اربعمائة سنة وكانت من خشب الساج وجعلت ثلثة بطون حمل في البطن الاول
الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وفي البطن الاعلى جنس البشر
هو ومن معه مع ما يحتاجون اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه السلام وقيل جعل في الاول الدواب
والوحوش وفي الثاني الانس وفي الاعلى الطير قيل كان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين
ذراعا وسمكها ثلثين وقال الحسن كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وقيل ان
الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق حتى انتهى الى
كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا
كعب بن حام فضرب بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن راسه وقد شاب

فقال له عيسى عليه السلام اهكذا هلكت قال لا ولكني مت وانا شاب ولكنني ظننت انها الساعة فمن ثمة
شبت فقال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الف ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع
وكانت ثلث طبقات طبقة للدواب والوحش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال عد باذن
الله تعالى كما كنت فعاد ترابا ولا تخاطبني في الذين ظلموا اي لا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع
العذاب عنهم وفيه من المبالغة ما ليس فيما لو قيل ولا تدعني فيهم وحيث كان فيه ما يلوح بما
يستتبعه اكد التعليل فقيل انهم مغرقون اي محكوم عليهم بالاغراق قد مضى به القضاء
وجف القلم فلا سبيل الى كفه ولزمتهم الحجة فلم يبق الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين ومثلا للآخرين
ويصنع الفلك حكاية حال ماضية لاستحضار صورتها العجيبة تقديره واخذ يصنع الفلك
او اقبل يصنعها فاقتصر على يصنع واياما كان ففيه ملاءمة للاستمرار المفهوم من الجملة الواقعة حالا من ضميره
اعني قوله تعالى وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه استهزؤوا به لعمله السفينة اما لانهم
ما كانوا يعرفونها ولا كيفية استعمالها والانتفاع بها فتعجبوا من ذلك وسخروا منه واما لانه
كان يصنعها في برية بهماء في ابعد موضع من الماء وفي وقت عزته شديدة وكانوا يتضاحكون ويقولون
يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا وقيل لانه عليه السلام كان ينذرهم الغرق فلما طال مكثه فيهم
ولم يشاهدوا منه عينا ولا اثرا عدوه من باب المحال ثم لما رأوا اشتغاله باسباب الخلاص
فعلوا ما فعلوا ومدار الجميع انكار ان يكون لعمله عليه السلام عاقبة حميدة مع ما فيه من تحمل المشاق العظيمة
التي لا تكاد تطاق واستجهالهم عليه السلام في ذلك قال ان تسخروا منا مستجهلين لنا فيما نحن فيه فانا
نسخر منكم اي نستجهلكم فيما انتم عليه واطلاق السخرية عليه للمشاكلة وجمع الضمير في منا اما لان سخريتهم
منه عليه السلام سخرية من المؤمنين ايضا ولانهم كانوا يسخرون منهم ايضا الا انه اكتفى بذكر سخريتهم منه عليه السلام
ولذلك تعرض للجميع في المجازاة في قوله تعالى فانا نسخر منكم الخ فتكافأ الكلام من الجانبين وتعليق
استجهاله عليه السلام اياهم بما فعلوا من السخرية باعتبار وقد نهيه عليه السلام اياهم بذلك والا فهو
عليه السلام اياهم جاهلين فيما يأتون ويذرون امر مطرد لا تعلق له بسخريتهم منه لكنه عليه السلام لم يكن
ليتصدى لاظهاره جريا على نهج الاخلاق الحميدة وانما اظهره جزاء بما صنعوا بعد اللتيا والتي
فان سخريتهم كانت مستمرة ومتجددة حسب تجدد مرورهم به ولم يكن يجيبهم في كل مرة والا لقيل ويقول
ان تسخروا منا الخ بل انما اجابهم بعد بلوغ اذاهم الغاية كما يؤذن به الاستئناف فكان سائلا
سأل فقال فما صنع نوح عليه السلام عند بلوغهم منه هذا المبلغ فقيل قال ان تسخروا منا الخ اي ان تستمروا
فيما نحن بصدده من التناهي في المباشرة لاسباب الخلاص من العذاب الى الجهل وتسخروا منا لاجله
فانا نستجهلكم فيما انتم فيه من الاعراض عن استدفاعه بالايمان والطاعة ومن الاستمرار على الكفر
والمعاصي والتعرض لاسباب حلول سخط الله تعالى التي من جملتها استجهالكم ايانا وسخريتكم
ومناط التشبيه في قوله عز وجل كما تسخرون اما مجرد التحقق والوقوع او في التجدد والتكرر حسبما
صدر عن ملاعب مثلا في الكيفيات والاحوال التي لا يليق بشان النبي عليه السلام فكان الامر
واقع في الحال وقيل نسخر منكم في المستقبل سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا
والحرق في الآخرة ولعل مراده نعاملكم معاملة من يفعل ذلك لان نفس السخرية مما لا يكاد يليق
بمنصب النبوة ومع ذلك لا يساعده اسناد لانهم اذ ذلك ليس مما يلائمه السخرية او ما يجري مجراها

فتامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه وهو عذاب الغرق ويحل عليه حلول الدين المؤجل عذاب
مقيم هو عذاب النار الدائم وهو ممتد بدليل ومن عبارة عنهم وهي اما استفهامية في حيز الرفع او موصولة
في محل النصب بتعلمون وما في حيزها ساد مسد مفعولين او مفعول واحد ان جعل العلم بمعنى المعرفة
وقد كانوا منادين تهكمهم واستجهالهم اياه عليه السلام في مكابدة المشاق الفادحة لدفع ما لا يكاد يدخل
تحت الصحة على زعمهم من الطوفان ومقاساة الشدائد في بناء السفينة وكانوا يعدونه عذابا فقال
بعد ما استجهلهم فسوف تعلمون من يأتيه العذاب يعني ان ما اباشره ليس فيه عذاب لاحق لي فسوف
تعلمون من المعذب ولقد اصاب العلم بعد ما استجهلهم مخزه ووصف العذاب بالاخزاء لما في الاستهزاء والسخرية
من لحوق الخزي والعار عادة والتعرض لحلول العذاب للمبالغة في التهديد وتخصيصه وايراد الاول بالاتيان
في غاية الجزالة حتى اذا جاء امرنا حتى هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية
لقوله ويصنع وما بينهما حال من الضمير فيه او حتى ولقيته جواب لكلما وقال استيناف على سؤال سائل كما
ذكرناه وقيل هو الجواب وسخروا منه بدل من سخروا او صفة لملأ وقد عرفت ان الحق هو الاول لان المقصود
بيان تناهيهم في ايذائه عليه السلام وتحمله لاذيتهم لا مسارعته عليه السلام الى جوابهم كلما وقع منهم ما يؤذيه من
الكلام وفار التنور نبع الماء منه وارتفع بشدة كما يفور القدر بغليانها والتنور تنور الخبز
وهو قول الجمهور روي انه قيل لنوح عليه السلام اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب انت ومن معك
في السفينة فلما نبع الماء اخبرته امرأته فركب وقيل كان تنور آدم عليه السلام وكان من حجارة فصار
الى نوح وانما نبع منه وهو ابعد شيء من الماء على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها
عن يمين الداخل مما يلي باب كنده وكان عمل السفينة في ذلك الموضع او في الهند او في موضع بالشام
يقال له عين وردة وعن ابن عباس رضي وعكرمة والزهري ان التنور وجه الارض وعن قتادة
اشرف موضع في الارض اي اعلاه وعن علي رضي الله عنه فار التنور طلع الفجر قلنا احمل فيها
اي في السفينة وهو جواب اذا من كل اي من كل نوع لا بد منه في الارض زوجين الزوج
ما له مشاكل من نوعه فالذكر زوج للانثى كما هي زوج له وقد يطلق على مجموعهما فيقابل الفرد
ولازالة ذلك الاحتمال اثنين كل منهما زوج للاخر وقرئ على الاضافة وانما قدم ذلك على اهله
وسائر المؤمنين لكونه عريقا فيما امر به من الحمل لانه يحتاج الى مزاولة الاعمال منه عليه السلام في تمييز بعضه
من بعض وتعيين الازواج فانه روي انه عليه السلام قال يا رب كيف احمل من كل زوجين اثنين فحشر الله
تعالى اليه السباع والطير وغيرها فجعل يضرب بيديه في كل جنس فيقع الذكر في يده اليمنى والانثى
في اليسرى فيحملها في السفينة واما البشر فانما يدخل الفلك باختياره فيخف فيه معنى الحمل ولانها
انما يحمل بمباشرة البشر وهم انما يدخلونها بعد حملهم اياها واهلك عطف على زوجين او على
اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين بسبب ظلمهم في
قوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون والمراد ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا
كافرين والاستثناء منقطع ان اريد بالاهل الايمان وهو الظاهر كما ستعرفه او متصل ان اريد به
الاهل قرابة ويكفي في صحة الاستثناء المعلومية عند المراجعة الى احوالهم والتفحص عن اعمالهم وجيء
بعلى لكون السابق ضارا لهم كما جيء باللام فيما هو نافع لهم في قوله عز وجل ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
المرسلين وقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ومن آمن من غيرهم وافراد الاهل منهم للاستثناء

وايثار صيغة الافراد في آمن محافظة على لفظ من للايذان بقلتهم كما اعرب عنه قوله عز قائلا وما آمن معه
الا قليل قيل كانوا ثمانية نوح عليه السلام واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن ابن اسحق كانوا عشرة خمسة
رجال وخمس نسوة وعنه ايضا انهم كانوا عشرة سوى نسائهم وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة واولاد
نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء واعتبار المعية في
ايمانهم للايماء الى المعية في مقر الامان والنجاة وقال اي نوح عليه السلام لمن معه من المؤمنين كما يلوح به قوله
تعالى ان ربي لغفور رحيم ولو رجع الضمير الى الله تعالى لناسب ان يقال ان ربكم ولعل ذلك بعدما ادخل ما
امر بحمله في الفلك من الازواج كانه قيل فحمل الازواج او ادخلها في الفلك وقال للمؤمنين اركبوا فيها
كما سيأتي مثله في قوله تعالى وهي تجري بهم والركوب العلو على شيء متحرك ويتعدى بنفسه واستعماله ههنا
بكلمة في ليس لان المأمور به كونهم في جوفها لا فوقها كما ظن فان اظهر الروايات انه عليه السلام
جعل الوحوش ونظائرها في البطن الاسفل والانعام في الاوسط وركب هو ومن معه في الاعلى
بل لرعاية جانب المحلية والمكانية في الفلك والسر فيه ان معنى الركوب العلو على شيء له حركة اما
ارادية كالحيوان او قسرية كالسفينة والعجلة ونحوهما فاذا استعمل في الاول يوفر له حظ الاصل فيقال
ركبت الفرس وعليه عز من قائل والخيل والبغال والحمير لتركبوها واذا استعمل في الثاني يلوح بمحلية المفعول
بكلمة في فيقال ركبت في السفينة وعليه الآية الكريمة وقوله عز قائلا فاذا ركبوا في الفلك وقوله
تعالى فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها بسم الله متعلق باركبوا حال من فاعله اي اركبوا
مسمين الله تعالى او قائلين بسم الله مجراها ومرساها نصب على الظرفية اي وقت اجرائها
وارسائها على انهما اسما زمان او مصدران كالاجراء والارساء بحذف الوقت كقولك آتيك خفوق
النجم او اسما مكان انتصابهما بما في بسم الله من معنى الفعل او ارادة القول ويجوز ان يكون بسم الله
مجراها ومرساها جملة مستقلة من مبتدأ وخبر في موقع الحال من ضمير الفلك اي اركبوا فيها مجراه ومرساه
باسم الله تعالى بمعنى التقدير كقوله تعالى ادخلوها خالدين او جملة مقتضبة على ان نوحا امرهم بالركوب
فيها ثم اخبرهم بان اجراءها وارساءها باسم الله تعالى فيكونان كلامين له عليه السلام قيل كان عليه السلام اذا
اراد ان يجريها يقول بسم الله فجرت واذا اراد ان يرسيها يقول بسم الله فرست
ويجوز ان يكون الاسم مقحما كما في قوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها
اي بقدرته وامره وقرئ مجريها ومرسيها على صيغة الفاعل مجروري المحل صفتين لله عز اسمه ومجراها
ومرساها بفتح الميم مصدرين او زمانين او مكانين من جرى ورسى ان ربي لغفور للذنوب
والخطايا رحيم لعباده ولذلك نجاكم من هذه الطامة والداهية العامة ولولا ذلك لما فعله
وفيه دلالة على ان نجاتهم ليست بسبب استحقاقهم لها بل بمحض فضل الله سبحانه وغفرانه ورحمته
على ما عليه رأي اهل السنة وهي تجري بهم متعلق بمحذوف دل عليه الامر بالركوب اي
فركبوا فيها مسمين وهي تجري ملتبسة بهم في موج كالجبال وهو ما ارتفع من الماء عند اضطرابه
كل موجة من ذلك كجبل في ارتفاعها وتراكمها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض
وكانت السفينة تجري في جوفه كالحوت غير ثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا
او اربعين ذراعا ولئن صح ذلك فلعل الجريان انما هو قبل ان يتفاقم الخطب كما يدل عليه قوله تعالى
ونادى نوح ابنه فان ذلك انما يتصور قبل ان تنقطع العلاقة بين السفينة والبر اذ حينئذ

يمكن جريان ما جرى بين نوح عليه السلام وبين ابنه من المفاوضة بالاستدعاء الى السفينة والجواب
بالاعتصام بالجبل وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامرأته وكان ربيبه وما يقال
من انه كان لغير رشده لقوله تعالى فخانتاهما فارتكاب عظيمة لا يقادر قدرها فان جناب
الانبياء صلوات الله تعالى عليهم وسلامه ارفع من ان يشار اليه باصبع الطعن وانما المراد بالخيانة
الخيانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف حرفها وانت خبير بانه
لا يلائم الاستدعاء الى السفينة فانه صريح في انه لم يقع من حيزه باس بعد وكان في معزل اي
في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه واخوته وقومه بحيث لم يتناوله الخطاب باركبوا واحتاج الى
النداء المذكور وقيل في معزل من الكفار قد انفرد عنهم وظن نوح انه يريد مفارقتهم ولذلك
دعاه الى السفينة وقيل كان ينافق اباه فظن انه مؤمن وقيل كان يعلم انه كافر الى ذلك الوقت
لكنه عليه السلام ظن انه عند مشاهدة تلك الاهوال ينزجر عما كان عليه ويقبل الايمان وقيل لم يكن
الذي تقدم من قوله تعالى الا من سبق عليه القول نصا في كونه داخلا تحته بل كان كالمجمل فحملته
شفقة الابوة على ذلك يا بني وقرئ بفتح الياء اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة وبكسرها
اقتصارا عليه من ياء الاضافة في قولك يا بنيا او سقطت الياء والالف لالتقاء الساكنين لان
الراء بعدهما ساكنة اركب معنا وقرأ الكسائي وحفص بادغام الباء في الميم
لتقاربهما في المخرج وانما اطلق الركوب عن ذكر الفلك لتعينها ولانه يضيق المقام حينئذ
الحيص دون التربص مع غناء المعية عن ذلك ولا تكن مع الكافرين اي في المكان
وهو وجه الارض خارج الفلك لا في الدين وان كان ذلك مما يوجبه كما يوجب ركوبه معه
عليه السلام كونه معه في الايمان لانه عليه السلام بصدد التحذير عن المهلكة فلا يلائمه النهي عن الكفر
قال ساوي الى جبل من الجبال يعصمني بارتفاعه من الماء زعما منه ان ذلك كسائر المياه
في ازمنة السيول المعتادة التي ربما يتقى منها بالصعود الى الربى وانى له ذلك وقد بلغ السيل الزبى
وجهلا بان ذلك انما كان لاهلاك الكفرة وان لا محيص من ذلك سوى الالتجاء الى ملجأ
المؤمنين فلذلك اراد عليه السلام ان يبين له حقيقة الحال ويصرفه عن ذلك الفكر المحال وكان
مقتضى الظاهر ان يجيب بما ينطبق على كلامه ويتعرض لنفي ما اثبته للجبل من كونه عاصما له من الماء
بان يقول لا يعصمك منه لكنه مفيد لنفي وصف العاصمية فقط من غير تعرض لنفيه عن ذاته ولا لنفي
الموصوف اصلا لكنه عليه السلام حيث قال لا عاصم اليوم من امر الله سلك طريقة نفي
الجنس المنتظم لنفي جميع افراد العاصم ذاتا وصفة كانه قيل ليس فيه داع ولا مجيب اي احد
الناس للمبالغة في نفي كون الجبل عاصما بالوجهين المذكورين وزاد اليوم للتنبيه على انه ليس كسائر
الايام التي تقع فيها الوقائع وتلم فيها الملمات المعتادة التي ربما يتخلص من ذلك بالالتجاء الى
بعض الاسباب العادية وعبر عن الماء في محل اضماره بامر الله اي عذابه الذي اشير اليه حيث قيل حتى
اذا جاء امرنا تفخيما لشأنه وتهويلا لامره وتنبيها لابنه على خطائه في تسميته ماء وتوهمه انه كسائر
المياه التي يتقى منها بالهرب الى بعض المهارب المعهودة وتعليلا للنفي المذكور فان امر الله لا يغالب
وعذابه لا يرد وتمهيدا لحصر العصمة في جناب الله عز جاره بالاستثناء كانه قيل لا عاصم من امر الله
الا هو وانما قيل الا من رحم تفخيما لشأنه الجليل بالابهام ثم التفسير وبالاجمال ثم التفصيل

واشعارا بعلية رحمته في ذلك بموجب سبقها على غضبه وكل ذلك لكمال عناية عليه السلام بتحقيق ما يتوخاه
من نجاة ابنه ببيان شأن الداهية وقطع اطماعه الفارغة وصرفه عن التعلل بما لا يغني عنه شيئا وارشاده
الى العياذ بالمعاذ الحق عز حماه وقيل لا مكان يعصم من امر الله الا مكان من رحمه الله وهو الفلك
وقيل معنى لا عاصم لا ذا عصمة الا من رحمه الله تعالى وحال بينهما الموج اي بين نوح وبين ابنه
فانقطع ما بينهما من المجاوبة لا بين ابنه وبين الجبل لقوله تعالى فكان من المغرقين اذ هو
انما يتفرع على حيلولة الموج بينه عليه السلام وبين ابنه لا بينه وبين الجبل لانه بمعزل من كونه عاصما وان لم
يحل بينه وبين الملتجي اليه موج وفيه دلالة على هلاك سائر الكفرة على ابلغ وجه فكان ذلك امرا مقرر
الوقوع غير مفتقر الى البيان وفي ايراد كان دون صار مبالغة في كونه منهم وقيل يا ارض ابلعي اي
انشفي استعير من ازدراد الحيوان ما يأكله للدلالة على ان ذلك ليس كالنشف المعتاد التدريجي
ماءك اي ما على وجهك من ماء الطوفان دون المياه المعهودة فيها من العيون والانهار وعبر عنه
بالماء بعدما عبر عنه فيما سلف بامر الله تعالى لان المقام مقام النقص والتقليل لا مقام التفخيم والتهويل
ويا سماء اقلعي امسكي عن ارسال المطر يقال اقلعت السماء اذا انقطع مطرها واقلعت الحمى
اي كفت وغيض الماء اي نقص ما بين السماء والارض من الماء وقضي الامر اي انجز ما وعد الله
نوحا من اهلاك قومه وانجائه باهله او تم الامر واستوت استقرت الفلك على الجودي هو جبل
بالموصل او بالشام او بآمد روي انه عليه السلام ركب في الفلك في عاشر رجب ونزل عنها
في عاشر المحرم فصام ذلك اليوم شكرا فصار سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين اي هلاكا والتعرض
لوصف الظلم للاشعار بعليته للهلاك ولتذكير ما سبق من قوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم
مغرقون ولقد بلغت الآية الكريمة من مراتب الاعجاز قاصيتها وملكت من غرر المزايا ناصيتها
وقد تصدى لتفصيلها المهرة المتقنون ولعمري ان ذلك فوق ما يصفه الواصفون فحري بنا ان
نوجز الكلام في هذا الباب ونفوض الامر الى افهام اولي الالباب والله عنده علم الكتاب
ونادى نوح ربه اي اراد ذلك بدليل الفاء في قوله تعالى فقال رب ان ابني من اهلي
وقد وعدتني انجاءهم في ضمن الامر بحملهم في الفلك او النداء على حقيقته والفاء لتفصيل ما فيه
من الاجمال وان وعدك الحق اي وان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه
خلف فيدخل فيه الوعد المعهود دخولا اوليا وانت احكم الحاكمين لانك اعلمهم
واعدلهم او انت اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع وهذا
السؤال منه عليه السلام على طريقة دعاء ايوب عليه السلام اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين
قال يا نوح لما كان دعاؤه عليه السلام تذكرة لوعده جل ذكره مبنيا على كون كنعان من اهله نفى اولا
كونه منهم بقوله تعالى انه ليس من اهلك اي ليس منهم اصلا لان مدار الاهلية هو القرابة
الدينية ولا علاقة بين المؤمن والكافر او ليس من اهلك الذين امرتك بحملهم في الفلك لخروجه
عنهم بالاستثناء وعلى التقديرين ليس هو من الذين وعد بانجائهم ثم علل عدم كونه منهم على
طريقة الاستئناف التحقيقي بقوله انه عمل غير صالح اصله انه ذو عمل غير صالح فجعل نفسه
العمل مبالغة كما في قول الخنساء فانما هي اقبال وادبار وايثار غير صالح على فاسد
اما لان الفاسد ربما يطلق على ما فسد ومن شأنه الصلاح فلا يكون نصا فيما هو من قبيل

التأسيس المحض كالتعليل الظالم واما الملوح بانجاه من نجا انما هي لصلاحه وقرأ الكسائي ويعقوب
انه عمل غير صالح اى عمل غير صالح ولما كان دعاؤه عليه السلام مبنيا على ما ذكرنا اعتقاد كونه من
اهله وقد نفى ذلك وحقق ببيان علته فرع على ذلك النهي عن سؤال النجاة له الا انه جيء بالنهي على
وجه عام يندرج فيه ذلك اندراجا اوليا فقيل فلا تسألن اى اذا وقفت على جلية الحال
فلا تطلب منى ما ليس لك به علم اى مطلبا لا تعلم يقينا ان حصوله صواب وموافق للحكمة على
تقدير كون ما عبارة عن المسؤل الذي هو مفعول للسؤال او طلبا لا تعلم انه صواب على تقدير
كونها عبارة عن المصدر الذي هو مفعول مطلق فيكون النهي واردا بصريحه في كل من معلوم الفساد ومشتبه
الحال ويجوز ان يكون المعنى ما ليس لك به علم بانه صواب او غير صواب فيكون النهي واردا في مشتبه
الحال ويفهم منه حال معلوم الفساد بالطريق الاولى وعلى التقديرين فهو عام يندرج تحته ما نحن فيه
كما ذكرناه وهذا كما ترى صريح في ان نداءه عليه السلام ربه عز وعلا ليس استفسارا عن سبب عدم
انجاء ابنه مع سبق وعده بانجاء اهله وهو منهم كما قيل فان النهي عن استفسار ما لم يعلم غير موافق
للحكمة اذ عدم العلم بالشيء داع الى الاستفسار عنه لا الى تركه بل هو دعاء منه لانجائه اين حين
حال الموج بينهما ولم يعلم بهلاكه بعد اما بتقريبه الى الفلك بتلاطم الامواج او بتقريبها اليه وقيل
او بانجائه في قلة الجبل واباه تنكير الوعد في الدعاء فانه مخصوص بالانجاء في الفلك وقوله لا
عاصم اليوم من امر الله الا من رحم ومجيء حيلولة الموج بينهما لا يستوجب هلاكه فضلا عن العلم
به لظهور امكان عصمة الله تعالى اياه برحمته وقد وعد بانجاء اهله ولم يكن مجاهرا بالكفر كما ذكرناه
حتى لا يجوز عليه عليه السلام ان يدعوه الى الفلك او يدعو له بالنجاة وان التجاءه عليه السلام وقصده
الالتجاء الى الجبل ليس بنص في الاصرار على الكفر لظهور جواز ان يكون ذلك لجهله بانحصار
النجاة في الفلك وزعمه ان الجبل ايضا يجري مجراه او لكراهة الاحتباس في الفلك بل قوله
ساوي الى جبل يعصمني من الماء بعد ما قال له نوح عليه السلام ولا تكن مع الكافرين ربما يطمعه عليه السلام
في ايمانه حيث لم يقل اكون معهم او ساوي انا وهم ليعصمنا فان ذا زاد نفسه بينهم المعلنين المذكورين
ربما يتوهم انه يريد ... من الكافرين بناء على التشبه بهم واستثناء بعض ما اراده نوح عليه السلام الا انه
عليه السلام لو تأمل في شأنه حق التأمل وتفحص في احواله في كل ما يأتي ويذر لما اشتبه عليه امره ولعلم
وانه المستثنى من اهله ولذلك قيل اني اعظك ان تكون من الجاهلين نوعا
ترك الاولى بذلك وقرئ فلا تسألني بياء الاضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء قال
رب اني اعوذ بك ان اسألك اى اطلب منك من بعد ما ليس لي به علم اى مطلبا
لا اعلم ان حصوله مقتضى الحكمة او طلبا لا اعلم انه صواب سواء كان معلوم الفساد او مشتبه
الحال او لا اعلم انه صواب او غير صواب فانه هذه توبة منه عليه السلام مما وقع منه وانما لم يقل
اعوذ بك او من ذلك مبالغة في التوبة واظهار الرغبة والنشاط فيها وتبركا بالذكر بما لقنه الله
تعالى وهو ابلغ من ان يقول اتوب اليك ان اسألك لما فيه من الدلالة على كون ذلك امرا
هائلا محذورا لا محيص منه الا بالعوذ بالله تعالى وان قدرته قاصرة عن النجاة من المكاره الا
بذلك والا تغفر لي ما صدر مني من السؤال المذكور وترحمني بقبول توبتي اكن من الخاسرين
اعمالا بسبب ذلك فان الذهول عن شكر الله تعالى لا سيما عند وصول مثل هذه النعمة

الجليلة التي هي النجاة وهلاك الاعداء والاشتغال بما لا يعني خصوصا بما دعي خلاص من قيل في شأنه
انه عمل غير صالح والتضرع الى الله تعالى في امر ما ... وبعد ان ... ذكر هذا النداء عن حكاية
الامر الوارد على الارض والسماء وما يتلوه من زوال الطوفان وقضاء الامر واستواء الفلك على الجودي
والدعاء بالهلاك على الظالمين انحطاطا ان يذكر عقيب قوله تعالى فكان من المغرقين حسبما وقع في
الخارج اذ حينئذ يتصور الدعاء بالانجاء لا بعد العلم بالهلاك ليس لما قيل من استقلاله بعرض مهم
هو جعل ما فيه غامرة لقرابة النسب وانه لا يقدم في الامور الدينية الاصلية الا بما ...
بيانا عاما وقع في قصة البقرة من تقديم ذكر الامر بذبحها على ذكر القتيل الذي هو اول القصة وكان
حقها ان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذهبوا ... بقرة فاضربوه ببعضها كما ذكر في
موضعه فان تغيير الترتيب هناك للدلالة على كمال سوء حال اليهود بتعديد جناياتهم المتوجهة
وتثنية التقريع عليهم بكل نوع نوع على حدة قوله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم
ان تذبحوا بقرة الخ لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك وقوله
تعالى واذ قتلتم نفسا الخ للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الامور العظيمة ولو قصت
القصة على ترتيبها لفات الغرض الذي هو تثنية التقريع ولظن ان المجموع تقريع واحد اما ما نحن فيه
فليس مما يمكن ان يراعى فيه مثل تلك النكتة اصلا وما ذكر من جعل القرابة الدينية غامرة للقرابة
النسبية الى اخره لا يفوت على تقدير سوق الكلام على ترتيب الوقوع ايضا لان ذكر هذا النداء ايضا
كان يستدعي لذكر ما مر من الجواب المستدعي لذكر ما مر من توبته عليه السلام المؤدي ذكرها الى ذكر
قبولها في ضمن الامر الوارد في نزوله عليه السلام من الفلك بالسلام والبركات الفائضة عليه وعلى المؤمنين
حسبما يجيء مفصلا ولا ريب في ان في هذه المعاني اخذا بعضها بحجز بعض بحيث لا يكاد يفرق الآيات
الكريمة المنطوية عليها بعضها من بعض وان ذكرها بتمام القصة ولا ريب ان ذلك انما
يكون بتمام الطوفان فلا جرم اقتضى الحال ذكر تمامها قبل هذا النداء وذلك انما يكون بذكر كونه من
المغرقين ولهذه النكتة ازداد حسن موقع الايجاز البليغ وفيه فائدة اخرى هي التصريح بهلاكه من اول
الامر ولو ذكر النداء الذي عقيب قوله فكان من المغرقين لربما توهم من اول الامر الى ان يرد قوله
تعالى انه ليس من اهلك الخ انه نجا بدعائه عليه السلام فيقص على هلاكه كما ابن اول الامر ذكر الامر الوارد
على الارض والسماء الذي هو عبارة عن تعلق الارادة الربانية الازلية بما ذكر من الغيض والاقلاع
وبين بلوغ امر الله محله وجريان قضائه ونفوذ حكمه عليهم بهلاك من هلك ونجاة من نجا بتمام
الطوفان واستواء الفلك على الجودي فقصت القصة الى هذه المرتبة وبين ذلك ثم اتى بيان ما
توحش ... في تضاعيف ذلك مما جرى بين نوح وربه جلت حكمته ذكر بعد توبته
عليه السلام بقبولها بقوله قيل يا نوح اهبط اى انزل من الفلك وقرئ بضم الباء بسلام ملتبسا
من المكاره كائنا منا اى بسلام وتحية منا عليك كما قال سلام على نوح في العالمين وبركات عليك
اى خيرات نامية في نسلك وما يقوم به معاشك ومعاشهم من انواع الارزاق ويجوز ان يكون هذا
اعلاما وبشارة من الله بقبول توبته وخلاصه من الخزي بنقصان انواع الخيرات عليه في كل ما يأتي
وما يذر وعلى امم ناشئة ممن معك متشعبة منهم فمن ابتدائية والمراد الامم المؤمنة المتناسلة ممن معه
الى يوم القيامة وامم سنمتعهم اى وممن معك امم ممتعة حذفت لدلالة ما سبق عليه فان ايراد الامم المباركة عليهم

المتشعبة منهم نكرة يدل على ان بعض من يتشعب منهم ليسوا على صفتهم يعني ليس من تشعب منهم مسلما
ومباركا عليه بل منهم امم ممتعون في الدنيا معذبون في الآخرة وعلى هذا لا يكون الكائنون مع نوح
عليه السلام مسلما ومباركا عليهم وكان انجاؤهم ذلك من كونهم مع نوح عليه السلام ومن كون ذرياتهم كذلك
بل لا كرامة لهم ويجوز ان يكون من بيانية اي وعلى امم هم الذين معك وانما سموا امما لانهم يتحزبون
جماعات متفرقة او لان جميع الامم انما تشعبت منهم فيكون المراد بالامم المشار اليهم في قوله تعالى
وامم سنمتعهم بعض الامم المتشعبة منهم وهي الامم المتناسلة منهم الى يوم القيامة ويسمى الامم
المؤمنة الناشئة منهم مفهوما منصوصا ولا احد لو قال عليه ومع ذلك ففي ذلك الاذكور عن بعض
المفسرين لان من المذكورة بيانية والمجرور متعين اقامة في فاهل منهم امما
الآخرة اي في الدنيا ايضا سنمتعهم ثم يمسهم عن محمد بن كعب القرظي دخل في ذكر السلام كل مؤمن
ومؤمنة الى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله
عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالامم الممتعة قوم هود
وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام وبالعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الى ما قص من قصة نوح
عليه السلام والاخبار بتفاصيلها في حكم البعيد للدلالة على بعد منزلتها وهي مبتدأ خبره من انباء
الغيب اي بعض من جنس انباء الغيب التي من جملتها ما تقدم ممّا عداها في
بعضها نوحيها اليك خبر ثان والضمير لها اي موحاة اليك او هو الخبر ومن انباء متعلق به او هو
بصيغة المضارع لاستحضار الصورة او حال من انباء الغيب اي موحاة اليك ما كنت تعلمها
انت ولا قومك خبر اخر اي مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا اي من قبل ايحائنا
اليك واخبارك بها او من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي او من قبل هذا الوقت او حال من الهاء
في نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك بها وفي ذكر جهلهم تنبيه على انه عليه السلام
لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يعلموا فكيف يعلم منهم فاصبر متفرع على الايحاء
او العلم المستفاد منه المدلول عليه بقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا اي واذ قد
اوحيناها اليك او علمتها بذلك فاصبر على مشاق تبليغ الرسالة واذية قومك كما صبر نوح
على ما سمعت من انواع البلايا في هذه المدة المتطاولة وهذا ناظر الى ما سبق من قوله تعالى
فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك الخ ان العاقبة بالظفر في الدنيا وبالفوز في الآخرة للمتقين
كما شاهدته في نوح عليه السلام وقومه ولك فيه اسوة حسنة وهي تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وتعليل للامر بالصبر فان كون العاقبة الحميدة للمتقين وهو في اقصى درجات التقوى والمؤمنون
كلهم متقون مما يسليه عليه السلام ويهون عليه الخطوب ويذهب عنه ما عسى يعتريه من ضيق صدره
وهذا على تقدير ان يراد بالتقوى الدرجة الاولى منها اعني التوقي من العذاب المخلد بالتبري عن
الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى ويجوز ان يراد الدرجة الثالثة وهي ان يتنزه
عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى حق
تقاته فالتقوى بهذا المعنى منطو على الصبر المذكور فكانه قيل فاصبر فان العاقبة للصابرين
والى عاد متعلق بمضمر معطوف على قوله تعالى ارسلنا في قصة نوح وهو الناصب لقوله تعالى
اخاهم اي وارسلنا الى عاد اخاهم اي واحدا منهم في النسب كقولهم يا اخا العرب وتقديم

المجرور على المنصوب ههنا للحذار عن الاضمار قبل الذكر وقيل متعلق بالفعل المذكور فيما سبق واخاهم
معطوف على نوحا وقد مر في سورة الاعراف وقوله تعالى هودا عطف بيان لاخاهم وكان تعليله السلام
من جملتهم فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هو ابن شالخ بن
ارفخشد بن سام بن نوح ابن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لكلامه واعرف بحاله وارغب في اقتفائه
قال يا قوم اعبدوا الله وحده كما يبنى عنه قوله تعالى ما لكم من اله غيره فانه استئناف يجري
مجرى البيان للعبادة المأمور بها والتعليل للامر بها كانه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا اذ
ليس لكم من اله سواه وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله وقرئ بالجر حملا على لفظه ان انتم الا
مفترون باتخاذكم الاصنام شركاء له او بقولكم ان الله امر بعبادتها تعالى عن ذلك
علوا كبيرا يا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني خاطب به كل نبي قومه ازاحة لما
عسى يتوهمونه وامحاضا للنصيحة فانها ما دامت مشوبة بالمطامع بمعزل عن التاثير وايراد الموصول
للتفخيم وجعل الصلة فعل الفطرة لكونه اقدم النعم الفائضة من جناب الله تعالى المستوجبة للشكر
الذي لا يتأتى الا بالاتيان بما هو موجب امره معرضا عن المطالب الدنيوية التي من جملتها الاجر افلا تعقلون
اي تغفلون عن هذه القضية او لا تتفكرون فيها فلا تعقلونها او تجهلون كل شيء فلا تعقلون
شيئا اصلا فان هذا مما لا ينبغي ان يخفى على احد من العقلاء ويا قوم استغفروا ربكم اي اطلبوا
مغفرته لما سلف منكم من الذنوب بالايمان والطاعة ثم توبوا اليه اي توسلوا اليه بالتوبة وايضا
التبري من الغير انما يكون بعد الايمان بالله تعالى والرغبة فيما عنده يرسل السماء اي المطر عليكم
مدرارا اي كثير الدرور ويزدكم قوة مضافة الى قوتكم اي يضاعفها لكم وانما رغبهم
بكثرة المطر لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله تعالى عنهم القطر واعقم ارحام
نسائهم ثلاث سنين فوعدهم عليه السلام كثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل على الايمان والتوبة
ولا تتولوا اي لا تعرضوا عما دعوتكم اليه مجرمين مصرين على ما كنتم عليه من الاجرام قالوا يا
هود ما جئتنا ببينة اي بحجة تدل على صحة دعواك وانما قالوه لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما
جاءهم من البينات الفائتة للحصر وما نحن بتاركي آلهتنا اي بتاركي عبادتها عن قولك
صادرين عنه اي صادرا تركنا عن ذلك باسناد الوصف الى الموصوف ومعناه التعليل
على ابلغ وجه لدلالته على كونه علة فاعلية ولا يفيده الباء واللام وهذا كقولهم المنقول عنهم في
سورة الاعراف اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا وما نحن لك بمؤمنين
اي بمصدقين في شيء مما تأتي وتذر فيندرج تحته ما دعاهم اليه من التوحيد وترك عبادة
الآلهة وفيه من الدلالة على التصميم ما لا يخفى وتلك قضية العمى لا يخفى ان نقول الا اعتراك
اي ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عن
عبادتها وحطك لها عن رتبة الالوهية والمعبودية بما مر من قولك ما لكم من اله غيره ان انتم الا
مفترون وتنكير سوء للتقليل كانهم ابوا المبالغة في ذلك ولذلك نسبوه الى بعض آلهتهم
دون كلها والجملة مقول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ وهذا الكلام منهم لما مر من قولهم
وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين فان اعتقادهم بكونه عليه السلام

كما قالوا وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك يوجب عدم الاعتداد بقوله وعده من قبيل الخرافات فضلا عن التصديق
والعمل بمقتضاه يعنون أنا لا نعتقد كلامك إلا من قبيل ما لا يحتمل الصدق والكذب من الهذيانات
الصادرة من المجانين فكيف نصدقه ونعمل به ونعمل بموجبه ولقد سلكوا في طريق المحاجة لغرض العناد
إلى سبيل الترقي من الأدنى إلى الأعلى حيث أخبروا أولا عن عدم مجيئه عليه السلام بالبينة مع احتمال كون ما جاء
به عليه السلام حجة في نفسه وإن لم يكن واضح الدلالة على المراد وثانيا عن ترك الامتثال بقوله عليه السلام
بقولهم وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك مع إمكان تحقق ذلك بتصديقهم له عليه السلام في كلامه ثم
نفوا تصديقهم له عليه السلام بقولهم وما نحن لك بمؤمنين مع كون كلامه عليه السلام مما يقبل التصديق
ثم نفوا عنه تلك المرتبة أيضا حيث قالوا ما قالوا قال إني أشهد الله واشهدوا
أني بريء مما تشركون من دونه أي من إشراككم من دون الله أي من غير أن ينزل به سلطانا كما
قال في سورة الأعراف أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان أو مما
تشركونه من آلهة غير الله أجاب به عن مقالتهم الحمقاء المبنية على اعتقاد كون آلهتهم مما يضر وينفع
وأنها بمعزل عن ذلك ولما كان ما مر من قوله عليه السلام في حق آلهتهم من كونها بمعزل عن الألوهية
إنما هو في ضمن الأمر بعبادة الله تعالى واختصاصها به وقد شق عليهم ذلك وعدوه مما يورث شينا
حتى زعموا أنها أصابته عليه السلام بسوء مجازاة لصنيعه معها صرح عليه السلام بالحق وصدع به حيث
أخبر ببراءته عنها بالجملة الاسمية المصدرة بأن واستشهد الله تعالى على ذلك وأمرهم بأن يسمعوا
ذلك ويشهدوا به استهانة بهم ثم أمرهم بالاجتماع والاحتشاد مع آلهتهم جميعا دون بعض
منها حسبما يشعر به قولهم بعض آلهتنا والتعاون في إيصال الكيد إليه عليه السلام ونهاهم عن الإنظار
والإمهال في ذلك فقال فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون أي إن صح ما لوحتم به من كون آلهتكم
مما يقدر على إضرار من ينال منها ويصد عن عبادتها ولو بطريق ضمني فإني بريء منها فكونوا
أنتم معها جميعا وباشروا كيدي ثم لا تمهلوني ولا تسامحوني في ذلك فالفاء لتفريع الأمر على
زعمهم في قدرة آلهتهم على ما قالوا وعلى البراءة كليهما وهذا من أعظم المعجزات فإنه عليه السلام كان رجلا
مفردا بين الجم الغفير والجمع الكثير من عتاة عاد الغلاظ الشداد وقد خاطبهم بما خاطبهم وحقرهم
وآلهتهم وهيجهم على مباشرة مبادي المضادة والمضارة وحثهم على التصدي لأسباب المعاداة
والمعاداة فلم يقدروا على مباشرة شيء مما كلفوه وظهر عجزهم عن ذلك أيضا كيف لا وقد التجأ
إلى ركن منيع رفيع واعتصم بحبل متين حيث قال إني توكلت على الله ربي وربكم يعني أنكم وإن بذلتم
في مضارتي مجهودكم لا تقدرون على شيء مما تريدون بي فإني متوكل على الله تعالى وإنما جيء بلفظ
الماضي لكونه أدل على الإنشاء المناسب للمقام وواثق بكلاءته وحفظه عن غوائلكم وهو مالكي
ومالككم لا يصدر عنكم شيء ولا يصيبني أمر إلا بإرادته ومشيئته ثم برهن عليه بقوله ما من
دابة إلا هو آخذ بناصيتها أي إلا هو مالك لها قادر عليها يصرفها كيف يشاء
غير مستعصية عليه فإن الأخذ بالناصية تمثيل لذلك إن ربي على صراط مستقيم هو ما سلك
تعليل لما يدل عليه التوكل من عدم قدرتهم على إضراره أي هو على الحق والعدل فلا يكاد يسلطكم علي إذ لا يضيع
عنده معتصم ولا يفتات عليه ظالم والاقتصار على إضافة الرب إلى نفسه إما بطريق الاكتفاء لظهور
المراد وإما لأن فائدة كونه تعالى مالكا لهم أيضا راجعة إليه عليه السلام فإن تولوا أي تتولوا بحذف إحدى

الثانية أي إن تستمروا على ما كنتم عليه من التولي والإعراض فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم أي لم أعاتب
على تفريط في الإبلاغ وكنتم محجوجين بأن بلغكم الحق فأبيتم إلا التكذيب والجحود ويستخلف ربي قوما
غيركم استئناف بالوعيد لهم بأن الله تعالى يهلككم ويستخلف في دياركم وأموالكم قوما آخرين أو عطف على
الجواب بالفاء ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه بالجزم عطفا على الموضع كأنه قيل فإن تولوا يعذرني ويهلككم
ويستخلف مكانكم آخرين وفي التعرض لعنوان الربوبية مضافا إلى ضميره عليه السلام رمز إلى اللطف به والتدمير للمخاطبين ولا
تضرونه شيئا من الضرر لاستحالة ذلك عليه ومن جملته ما يستخلف [illegible] إن ربي على كل شيء
حفيظ أي رقيب مهيمن فلا تخفى عليه أعمالكم فيجازيكم بحسبها أو حافظ مستول على كل شيء فكيف يضره
شيء وهو الحافظ للكل ولما جاء أمرنا أي نزول عذابنا وفي التعبير عنه بالأمر مضافا إلى ضميره جل جلاله
وعن نزوله بالمجيء ما لا يخفى من التفخيم والتهويل أو ورود أمرنا بالعذاب نجينا هودا والذين
آمنوا معه وكانوا أربعة آلاف برحمة عظيمة كائنة منا وهي الإيمان الذي أنعمنا عليهم بالتوفيق
له والهداية إليه ونجيناهم من عذاب غليظ أي كانت تلك التنجية تنجية من عذاب غليظ وهي
السموم التي كانت تدخل أنوف الكفرة وتخرج من أدبارهم فتقطعهم إربا إربا وقيل أريد بالثانية
عذاب الآخرة ولا عذاب أغلظ منه وأشد وهذه التنجية وإن لم تكن مقيدة بمجيء الأمر لكنها حيث بينها تتميم
للنعمة عليهم وتوبيخا بأن المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب
الغليظ وتلك عاد أنث اسم الإشارة باعتبار القبيلة أو لأن الإشارة إلى قبورهم وآثارهم جحدوا
بآيات ربهم كفروا بها بعد ما استيقنوها وعصوا رسله جمع الرسل مع أنه لم يرسل إليهم غير هود
عليه السلام تفظيعا لحالهم وإظهارا لكمال كفرهم وعنادهم ببيان أن عصيانهم له عليه السلام عصيان لجميع الرسل
السابقين واللاحقين لاتفاق كلمتهم على التوحيد لا نفرق بين أحد من رسله ويجوز أن يراد بالآيات
ما أتى به هود وغيره من الأنبياء عليهم السلام وفيه زيادة ملاءمة لما تقدم من جمع الآيات وما تأخر من قوله
واتبعوا أمر كل جبار عنيد من كبرائهم ورؤسائهم الدعاة إلى الضلال وإلى تكذيب الرسل فكأنه
قيل عصوا كل رسول واتبعوا أمر كل جبار وهذا الوصف ليس كالنص من جمع الآيات وعصيان الرسل
في الشمول للكل ولذلك فإن الاتباع للأمر من أوصاف الأسافل دون الرؤساء والعنيد فعيل من
عند عندا وعنودا إذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم إلى الهدى وأطاعوا من دعاهم إلى الردى وأتبعوا
في هذه الدنيا لعنة إبعادا عن الرحمة وعن كل خير أي جعلت اللعنة لازمة لهم وعبر عن ذلك بالتبعية
للمبالغة فكأنها لا تفارقهم وإن ذهبوا كل مذهب بل تدور معهم حيثما داروا ولوقوعه في صحبة اتباعهم
رؤساءهم يعني أنهم لما اتبعوهم أتبعوا ذلك جزاء لصنيعهم جزاء وفاقا ويوم القيامة أي أتبعوا
يوم القيامة أيضا لعنة وهي عذاب النار المخلد وحذفت لدلالة الأولى عليها وللإيذان بكون كل من
اللعنتين نوعا برأسه لم يجمعا في قرن واحد بأن يقال وأتبعوا في هذه الدنيا ويوم القيامة لعنة
كما في قوله تعالى واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إيذانا باختلاف نوعي الحسنتين فإن المراد
بالحسنة الدنيوية نحو الصحة والكفاف والتوفيق للخير وبالحسنة الأخروية الثواب والرحمة
ألا إن عادا كفروا ربهم أي بربهم أو نعمة ربهم حملا له على نقيضه الذي هو الشكر أو جحدوه
ألا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك مع كونهم هالكين أي هلاكا تسجيلا عليهم باستحقاق
الهلاك واستيجاب الدمار وتكرير حرف التنبيه وإعادة عاد للمبالغة في تفظيع حالهم

والحث على الاعتبار بقصتهم قوم هود عطف بيان لعاد فايدته التمييز عن عاد الثانية عاد ارم
والايماء الى ان استحقاقهم للبعد بسبب ما جرى بينهم وبين هود عليه السلام وهم قومه والى ثمود
اخاهم صالحا عطف على ما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا وهم قبيلة من العرب سموا
باسم ابيهم الاكبر ثمود ابن عابر بن ارم بن سام وقيل انما سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد وهو الماء
القليل وصالح عليه السلام هو ابن عبيد بن اسف بن ماسح بن عبيد بن حادر بن ثمود ولما كان الاخبار
بارساله اليهم مظنة لان يسال ويقال ماذا قال لهم قيل جوابا عنه بطريق الاستيناف قال يا
قوم اعبدوا الله اى وحده وعلل ذلك بقوله ما لكم من اله غيره ثم بين ما يوجبهم على الايمان
والتوحيد ويحثهم على زيادة الاخلاص فيه بقوله هو انشاكم من الارض اى هو كونكم وخلقكم
منها لا غيره تصريحا او قصرا فان خلق ادم عليه السلام خلق لجميع افراد البشر منها لما ان
خلقته عليه السلام لم تكن مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على خلق جميع ذريته التي ستوجد
الى يوم القيمة انطواء اجماليا وقيل انه خلق ادم عليه السلام ثم مواد النطف التي خلق نسله منها من التراب
انشاء لجميع الخلق من الارض واستعمركم فيها اى عمركم واستبقاكم فيها او جعلكم عمارها اى
اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام
اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه ثم توبوا
اليه فان ما فصل من فنون الاحسان داع الى الاستغفار عما وقع منهم من التفريط والتوبة عما كانوا
يباشرونه من القبائح وقد زيد في بيان ما يوجب ذلك فقيل ان ربي قريب اى قريب من
الرحمة كقوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين مجيب لمن دعاه وسأله وقد روعي في النظم الكريم نكتة
حيث قدم ذكر العلة الباعثة المتقدمة على الامر بالاستغفار والتوبة واخر عنه ذكر العلة
المتأخرة عنه في الوجود اعني الاجابة قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا اى كان ترجى منك
لما كانت تلوح منك من دلايل السداد ومخايل الرشاد ان تكون لنا سيدا او مستشارا في الامور عن ابن
عباس رضي الله عنهما فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه
قبل هذا الذى باشرته من الدعوة الى التوحيد وترك عبادة الالهة اى قبل هذا الوقت
فكانهم لم يكونوا الى هذا الآن على يأس من ذلك ولو بعد الدعوة الى الحق فالآن قد انصرم عنك
رجاؤنا ... اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا اى عبدوه
والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية واننا لفي شك مما تدعونا اليه من
التوحيد وترك عبادة الاوثان وغير ذلك من الاستغفار والتوبة مريب اى موقع
في الريبة من ارابه اى اوقعه في الريبة اى قلق النفس وانتفاء الطمأنينة او من اراب اذا
كان ذا ريبة واسناده الى الشك اسناد مجازى والتنوين فيه وفي شك للتفخيم قال يا قوم ارايتم
اى اخبروني ان كنت في الحقيقة على بينة اى حجة ظاهرة وبرهان وبصيرة من ربي
مالكي ومتولي امري واتاني منه الموافقة وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالتشديد
ما كانوا يستطيعون السمع لفرط تصامهم عن الحق وبغضهم له كانهم لا يقدرون على السمع
كانه قيل ما لهم في حد انفسهم للقرآن الذى طريق تلقيه السمع ... عدم ... لسائر
الايات المنوطة بالابصار ... في الاول ونفي عنهم ... الابصار

بنفي الابصار فقال وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن آيات الله المبسوطة في الانفس والآفاق وهو
استيناف وقع تعليلا لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان لما نفى من ولاية الالهة فان ما لا يسمع
ولا يبصر بمعزل عن الالوهية وقوله تعالى يضاعف لهم العذاب اعتراض وسط بينهما نعيا عليهم من
اول الامر سوء ... اولئك المنعوتون بما ذكر من القبائح الذين خسروا انفسهم
باشتراء عبادة الالهة بعبادة الله عز سلطانه وضل عنهم ما كانوا يفترون من الالهة وشفاعتها
او خسروا ما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوه فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم فيه ثلاثة اوجه
الاول ان لا نافية لما سبق من حجة النبوة وهذه الامور وان كانت محققة الوقوع
لكنها صدرت بكلمة الشك اعتبارا لحال المخاطبين ورعاية لحسن المحاورة لاستنزالهم عن المكابرة
فمن ينصرني من الله اى ينجيني من عذابه والعدول الى الاظهار لزيادة التهويل والفاء لترتيب انكار النصرة
على ما سبق من ايتاء النبوة وكونه على بينة من ربه على تقدير العصيان حسبما يعرب عنه قوله تعالى ان
عصيته اى بالمساهلة في تبليغ الرسالة والمجاراة معكم فيما تأتون وتذرون فان العصيان
ممن ذلك شأنه ابعد والمؤاخذة عليه الزم وانكار نصرته ادخل فما تزيدونني اذن باستتباعكم
اياى كما ينبئ عنه قولهم قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اى لا تفيدونني اذ لم يكن فيه اصل الخسران حتى يزيدوه
غير تخسير اى غير ان تجعلوني خاسرا بابطال اعمالي وتعريضي لسخط الله تعالى او فما تزيدونني بما تقولون
غير ان انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم لخاسرون فالزيادة على معناه والفاء لترتيب عدم الزيادة
على انتفاء الناصر المفهوم من انكاره على تقدير العصيان مع تحقق ما ينفيه من كونه عليه السلام
على بينة من ربه وايتائه النبوة ويا قوم هذه ناقة الله الاضافة للتشريف والتنبيه على انها
مفارقة لسائر ما يجانسها من حيث الخلقة ومن حيث الخلق لكم اية معجزة دالة على صدق نبوتي
وهي حال من ناقة والعامل ما في هذه من معنى الفعل ولكم حال من آية متقدمة عليها
لكونها نكرة ولو تأخرت لكانت صفة لها ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا من هذه او
عطف بيان ولكم خبرا عاملا في اية فذروها تأكل في ارض الله
تفريع ... وترتيب لما هو ... واضافة الارض الى الله عز وجل لتربية استحقاقها لذلك وتعليل الامر
بتركها ولا تمسوها بسوء بالغ في النهي عن التعرض لها بما يضرها حيث نهى عن المس الذى
هو من مبادي الاصابة ونكر السوء اى لا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها بشيء من السوء
فضلا عن عقرها وقتلها فياخذكم عذاب قريب اى قريب النزول روى انهم طلبوا منه
ان يخرج من صخرة تسمى الكاتبة ناقة عشراء مخترجة جوفاء وبراء قالوا ان فعلت ذلك صدقناك
فاخذ صالح عليه السلام مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة
تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها
في العظم فآمن به جندع بن عمرو في جماعة ومنع الباقين من الايمان ذؤاب بن عمرو والحباب
صاحب اوثانهم ورباب كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع
راسها من البئر حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاءوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون
ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه
فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق عليهم ذلك فعقروها قيل زين عقرها لهم عنيزة ام غنم

وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقى سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال صالح لهم
ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها
فقال لهم صالح تمتعوا اى عيشوا فى داركم اى فى منازلكم او فى الدنيا ثلاثة ايام قيل قال لهم تصبح
وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب ذلك اشارة
الى ما يدل عليه الامر بالتمتع ثلاثة ايام من نزول العذاب عقيبها وما فيه من معنى البعد لتفخيمه
وعد غير مكذوب اى غير مكذوب فيه فحذف الجار للاتساع المشهور كقوله ويوم شهدناه
سليما وعامرا او غير مكذوب على المجاز وكان الواعد قال له انى بك فان وفى به صدقه والا كذبه او وعد
غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا اى عذابنا او امرنا بنزوله وفيه ما لا يخفى
من التهويل نجينا صالحا والذين آمنوا معه متعلق بنجينا او بآمنوا برحمة بسبب رحمة
عظيمة منا وهى بالنسبة الى صالح النبوة والى المؤمنين الايمان كما مر او ملتبسين برحمة ورأفة
منا ومن خزى يومئذ اى ونجيناهم من خزى يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة كقوله تعالى ونجيناهم
من عذاب غليظ على معنى انه وكانت تلك التنجية تنجية من خزى يومئذ اى من ذلته ومهانته او من
فضيحتهم يوم القيامة كما فسر به العذاب الغليظ فيما سبق فيكون المعنى ونجيناهم من عذاب يوم
القيامة بعد تنجيتنا اياهم من عذاب الدنيا وعن نافع بالفتح على اكتساب المضاف البناء من
المضاف اليه هنا وفى المعارج فى قوله من عذاب يومئذ وقرئ بالتنوين ونصب يومئذ ان ربك
اى الخطاب للرسول عليه الصلوة والسلام هو القوى العزيز القادر على كل شىء والغالب
لا غيره ولكون الاخبار بتنجية الاولياء لا سيما عند انباء حلول العذاب اهم ذكرها اولا ثم اخبر
بهلاك الاعداء فقال واخذ الذين ظلموا عدل عن المضمر الى المظهر تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا
بعليته لنزول العذاب بهم الصيحة اى صيحة جبريل عليه السلام وقيل اتتهم من السماء صيحة فيها صوت
كل صاعقة وصوت كل شىء فى الارض فتقطعت قلوبهم فى صدورهم وفى سورة الاعراف فاخذتهم
الرجفة ولعلها وقعت عقيب الصيحة المستتبعة لتموج الهواء فاصبحوا اى صاروا فى ديارهم
اى فى بلادهم او مساكنهم جاثمين هامدين موتى لا يتحركون والمراد كونهم كذلك عند ابتداء
نزول العذاب بهم من غير اضطراب وحركة كما يكون ذلك عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من الدلالة
على شدة الاخذ وسرعته اللهم انا نعوذ بك من حلول غضبك قيل لما رأوا العلامات التى بينها
صالح من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله عليه السلام فنجاه الله تعالى الى ارض
فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع وهو يوم السبت تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم الصيحة فتقطعت
قلوبهم فهلكوا كأن لم يغنوا اى كأنهم لم يقيموا فيها اى فى بلادهم ومساكنهم وهو فى موقع الحال
اى اصبحوا جاثمين مماثلين لمن لم يوجد ولم يقم فى مقام قط الا ان ثمودا وضع موضع المضمر لزيادة
البيان ونونه ابو بكر هنا وفى النجم وقرأ حفص هنا وفى الفرقان والعنكبوت بغير تنوين كفروا ربهم
صرح بكفرهم مع كونه معلوما مما سبق من احوالهم تقبيحا لحالهم وتعليلا لاستحقاقهم بالدعاء
عليهم بالبعد والهلاك فى قوله تعالى الا بعدا لثمود وقرأ الكسائى بالتنوين ولقد جاءت
رسلنا ابراهيم وهم الملائكة عن ابن عباس رضى الله عنهما انهم جبريل عليه السلام وملكان وقيل
هم جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام وقال الضحاك كانوا تسعة وعن محمد بن كعب جبريل ومعه

سبعة وعن السدى احد عشر على صور الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل كانوا اثنى عشر ملكا
عليهم السلام وانما اسند اليهم مطلق المجىء بالبشرى دون الارسال لانهم لم يكونوا مرسلين اليه
عليه السلام بل الى قوم لوط لقوله تعالى انا ارسلنا الى قوم لوط وانما جاؤوا لداعية البشرى ولما
كان المقصود فى السورة الكريمة ذكر صنيع الامم السالفة مع الرسل المرسلة اليهم ولحوق
العذاب بهم بسبب ذلك ولم يكن جميع قوم ابراهيم عليه السلام ممن لحق بهم العذاب بل انما لحق بقوم
لوط منهم خاصة غير الاسلوب المطرد فيما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا والى ثمود
اخاهم صالحا ثم رجع الى السبك فقال والى مدين اخاهم شعيبا بالبشرى اى ملتبسين بها قيل
هى مطلق البشرى المنتظمة للبشارة بالولد من سارة لقوله تعالى فبشرناها باسحاق الاية وقوله
وبشرناه بغلام حليم وقوله وبشروه بغلام عليم وللبشارة بعد لحوق الروع لقوله تعالى فلما
ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى لظهور تفرع المجادلة على مجيئها كما سيأتى وقيل هى البناء
باهلاك قوم لوط ويأباه مجادلته عليه السلام فى شأنهم والاظهر انها البشارة بالولد واسحق ومن بعده
المجادلة على ذلك ولما كان الاخبار بمجيئهم بالبشرى مظنة لسؤال السامع بانهم ما قالوا اجيب بانهم
قالوا سلاما اى سلمنا او نسلم عليك سلاما ويجوز ان يكون نصبه بقالوا اى قالوا قولا ذا سلام
او ذكروا سلاما قال سلام اى عليكم سلام او سلام عليكم حياهم باحسن من تحيتهم وقرئ سلم كحرم
فى حرام وقرأ ابى فى لغة قالا سلاما وقرئ بالرفع فيهما فما لبث ان جاء بعجل اى فى
المجىء او ان ابطأ مجيئه بعجل حنيذ اى مشوى بالرضف فى الاخدود وقيل سمين يقطر ودكه لقوله
بعجل سمين من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال فلما رأى ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم
للاكل نكرهم اى انكرهم يقال نكره وانكره واستنكره بمعنى وانما انكرهم لانهم كانوا اذا نزل
بهم ضيف ولم يأكل من طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير وقد روى انهم كانوا ينكتون بقداح كانت
فى ايديهم فى اللحم ولا تصل اليه ايديهم وهذا الانكار منه عليه السلام راجع الى فعلهم المذكور
واما انكاره المتعلق بانفسهم فلا تعلق له بعدم اكلهم وانما وقع ذلك عند رؤيته لهم لعدم
كونهم من جنس ما كان يعهده من الناس الا ترى الى قوله تعالى فى سورة الذاريات سلام قوم منكرون
واوجس منهم اى احس او اضمر من جهتهم خيفة لما ظن انهم نزلوا لامر انكره الله تعالى عليه او
لتعذيب قومه وانما اخر المفعول الصريح عن الظرف لان المراد الاخبار بانه عليه السلام اوجس من جهتهم
شيئا هو الخيفة لا انه اوجس الخيفة من جهتهم لا من جهة غيرهم وتحقيقه ان تأخير ما حقه التقديم
يوجب ترقب النفس اليه فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن قالوا لا تخف ما قالوه بمجرد ما رأوا منه
مخايل الخوف انا ارسلنا بل بعد اظهاره عليه السلام قال تعالى فى سورة الحجر قال انا منكم وجلون
ولم يذكر ذلك ههنا اكتفاء بذلك انا ارسلنا ظاهره انه استئناف فى معنى التعليل للنهى
المذكور كما ان قوله تعالى انا نبشرك تعليل لذلك فان ارسالهم الى قوم آخرين يوجب امنهم من الخوف
اى ارسلنا بالعذاب الى قوم لوط خاصة لا انه ليس كذلك فان قوله تعالى قال فما خطبكم
ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين صريح فى انهم قالوه جوابا عن سؤاله عليه السلام وقد اوجز
الكلام اكتفاء بذلك وامرأته قائمة وراء الستر بحيث تسمع محاورتهم او على رؤوسهم للخدمة
حسبما هو المعتاد والجملة حال من ضمير قالوا اى قالوه وهى قائمة تسمع مقالتهم فضحكت سرورا

ونزول الملئكة لاهلاك اهل الفساد او بها جميعا وقيل بل فرح الاخر بما كانت تقول فيما سلف فانها
كانت تقول لابرهيم اضمم اليك لوطا فاني اعلم ان العذاب نازل بهولاء القوم وقيل ضحكت حاضت
ومنه ضحكت الشجرة اذا سال صمغها فهو بعيد وقرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحق اي عقبنا
سرورها بسرور اتم منه على السنة رسلنا ومن وراء اسحق يعقوب بالنصب على انه مفعول لما دل
عليه فبشرناها اي ووهبنا لها من وراء اسحق يعقوب وقرئ بالرفع على الابتداء وخبره الظرف اي من
بعد اسحاق يعقوب مولود او موجود وكلا الاسمين داخل في البشارة كيحيى واقع في الحكاية بعد
ان سميا بذلك وتوجيه البشارة هنا اليها مع ان الاصل في ذلك ابرهيم عليه السلام وقد وجهت
اليه حيث قيل وبشرناه بغلام حليم وبشروه بغلام عليم للايذان بان ما بشر به يكون منهما ولكونها
عقيمة حريصة على الولد قالت استيناف وقع جوابا عن سؤال من سال وقال فماذا قالت اذ بشرت
بذلك فقيل قالت يا ويلتى اصل الويل الخزي ثم شاع في كل امر فظيع والالف مبدلة من ياء
الاضافة كما في يا لهفا ويا عجبا وقرأ الحسن على الاصل وامالها ابو عمرو وعاصم في رواية وبعضا
يا ويلتا احضري فهذا اوان حضورك وقيل الف الندبة ويوقف عليها بهاء السكت ءألد
وانا عجوز بنت تسعين او تسع وتسعين سنة وهذا الذي تشاهدونه بعلي اي زوجي واصله
البعل القائم بالامر شيخا وكان ابن مائة وعشرين سنة ونصبه على الحال والعامل معنى الاشارة
وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل من اسم الاشارة
او بيان له وكلا الجملتين وقعت حالا من الضمير في ءألد لتقرير ما فيه من الاستبعاد وتعليله
اي أألد وكلانا على حالة منافية لذلك وانما قدمت بيان حالها على بيان حاله عليه السلام لان مباينة حالها
لما ذكر من الولادة اكثر اذ ربما يولد للشيوخ من الشواب اما العجائز فلا ولانهن عقائم ولان البشارة
متوجهة اليها صريحا ولان العكس في البيان ربما يوهم من اول الامر نسبة المانع من الولادة الى جانب
ابرهيم عليه السلام وفيه ما لا يخفى من المحذور واقتصارها على الاستبعاد على ولادتها من غير تعرض
لحال النافلة لانها المستبعد واما ولادة ولدها فلا يتعلق بها استبعاد ان هذا اي ما ذكر من
حصول الولد من هرمين مثلنا لشئ عجيب بالنسبة الى سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين عباده
وهذه الجملة لتعليل الاستبعاد بطريق الاستئناف التحقيقي والمقصود استعظام نعمة الله تعالى
عليها في ضمن الاستعجاب العادي لا استبعاد ذلك بالنسبة الى قدرته سبحانه وتعالى قالوا
اتعجبين من امر الله اي قدرته وحكمته او تكوينه او شانه انكروا عليها تعجبها من ذلك لانها كانت
ناشئة في بيت النبوة ومهبط الوحي والآيات ومظهر المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان
حقها ان تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء من امثال هذه الخوارق من الطاف الله
تعالى الخفية ولطائف صنعه الفائضة على كل احد ممن يتعلق بذلك مشيئته الازلية لاسيما على
اهل بيت النبوة التي ليست مرتبتهم عند الله سبحانه كمراتب سائر الناس وان تسبح الله تعالى وتحمده
وتمجده والى ذلك اشارة بقوله تعالى رحمت الله التي وسعت كل شئ واستتبعت كل خير وانما
وضع المظهر موضع المضمر لزيادة تشريفها وبركاته اي خيراته النامية المتكاثرة في كل باب التي من جملتها
هبة الاولاد وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من
ولد ابرهيم عليه السلام عليكم اهل البيت نصب على المدح او الاختصاص لانهم اهل بيت خليل الرحمن

وصرف الخطاب من صيغة الواحدة الى جميع المذكر لتعميم حكمه لابرهيم عليه السلام ايضا ليكون جوابهم لها
جوابا له ايضا ان خطر بباله مثل ما خطر ببالها والجملة كلام مستأنف علل به انكار تعجبها كانه قيل ايا
المقام مقام التعجب فان الله تعالى على كل شئ قدير ولستم يا اهل النبوة والكرامة والزلفى كسائر
الطوائف بل رحمته المستتبعة لكل خير الواسعة لكل شئ وبركاته اي خيراته النامية الفائضة
منه بواسطة تلك الرحمة الواسعة لازمة لكم لا تفارقكم انه حميد فاعل ما يستوجب الحمد مجيد
كثير الخير والاحسان الى عباده والجملة لتعليل ما سبق من قوله رحمت الله وبركاته عليكم فلما ذهب
عن ابرهيم الروع اي ما اوجس منهم من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم وعرفان سبب مجيئهم والفاء
لربط بعض احوال ابرهيم عليه السلام ببعض غب انفصالها بما ليس باجنبي من كل وجه بل له مدخل تام
في السباق والسياق وتأخير الفاعل عن الظرف لانه مصب الفائدة فان ما حقه التقدم
تبقى النفس منتظرة لوروده فيتمكن فيها عند وروده اليها فضل تمكن وجاءته البشرى ان فرح
البشرى بقولهم لا تخف فسببيه ذهاب الخوف ومجيء السرور للمجادلة المدلول عليها بقوله تعالى
يجادلنا في قوم لوط اي جادل رسلنا في شانهم وعدل الى صيغة الاستقبال لاستحضار صورتها
او طفق يجادلنا ظاهرها واما ان نحو بشارة الولد او بابهما فلعل سببيتها لها من حيث انها
تفيد زيادة اطمينان بسلامته وسلامة اهله كافة ومجادلته اياهم انه قال لهم حين قالوا انا
مهلكوا اهل هذه القرية ارأيتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون
قالوا لا قال فثلثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارأيتم ان كان فيها رجل مسلم اتهلكونها قالوا لا
فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله ان قيل المتبادر من هذا
الكلام ان يكون ابرهيم عليه السلام قد علم انهم مرسلون لاهلاك قوم لوط قبل ذهاب الروع
عن نفسه ولكن لم يقدر على مجادلتهم في شانهم لاشتغاله بشان نفسه فلما ذهب عنه
الروع فرغ لها مع ان ذهاب الروع انما هو قبل العلم بذلك لقوله تعالى قالوا لا تخف انا
ارسلنا الى قوم لوط كان لوط عليه السلام على شريعة ابرهيم عليه السلام وقومه مكلفين بها فلما راى من الملائكة
ما رأى خاف على نفسه وعلى كافة الامة التي من جملتهم قوم لوط ولا ريب في تقدم هذا الخوف
على قولهم لا تخف واما الذي علمه عليه السلام بعد النهي عن الخوف فهو اختصاص قوم لوط بالهلاك
لا دخولهم تحت العموم فتامل والله الموفق ان ابرهيم لحليم غير عجول على الانتقام
ممن اساء اليه اواه كثير التأوه على الذنوب والتأسف على الناس منيب رجاع الى الله تعالى
والمقصود بتعداد صفاته الجميلة المذكورة بيان ما حمله عليه السلام على ما صدر عنه من المجادلة يا
ابرهيم اي قالت الملائكة يا ابرهيم اعرض عن هذا الجدال انه اي الشان قد جاء امر ربك
اي قدره الجاري على وفق قضائه الذي هو عبارة عن الارادة الازلية العنائية الالهية المقتضية
لنظام الموجودات على ترتيب خاص حسب تعلقها بالاشياء في اوقاتها وهو الموجب لتقدره وانهم
اتيهم عذاب غير مردود لا بجدال ولا بدعاء ولا بغيرهما ولما جاءت رسلنا لوطا قال ابن عباس
رضي الله عنهما انطلقوا من عند ابرهيم عليه السلام الى لوط عليه السلام وبين القريتين اربع فراسخ ودخلوا عليه في
صورة غلمان مرد حسان الوجوه فلذلك سيء بهم اي ساءه مجيئهم لظنه انهم اناس فخاف ان
يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم وقرأ نافع وابن عامر والكسائي وابو عمرو سيء وسيئت

بإشمام الضم وروي أن الله تعالى قال للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات
فلما مشى معهم منطلقا بهم إلى منزله قال لهم أما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرها قال أشهد
بالله إنها لشر قرية في الأرض عملا يقول ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد فخرجت
امرأته فأخبرت بها قومها وقالت إن في بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قط وضاق بهم ذرعا
أي ضاق بمكانهم صدره أو قلبه أو وسعه وطاقته وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة
المكروه والاحتيال فيه وقيل ضاقت نفسه عن هذا الحادث وذكر الذرع مثل وهو المساحة
وكان قد امتد بدن مجازا أي بدنه ضاق عن احتمال ما وقع وقيل الذراع اسم للجارحة من المرفق
إلى الأنامل والذرع مدها ومعنى ضيق الذرع في قوله تعالى ضاق بهم ذرعا قصرها كما أن معنى
سعتها وبسطتها طولها ووجه التمثيل بذلك أن القصير الذراع إذا مدها لينال ما يناله الطويل
الذرع تقاصر عنه وعجز عن تناوله فضرب مثلا للذي قصرت طاقته دون بلوغ الأمر وقال هذا
يوم عصيب شديد من عصبه إذا شده وجاءه أي لوطا وهو في بيته مع أضيافه قومه
يهرعون إليه أي يسرعون كأنما يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من أضيافه والجملة حال من قومه
وكذا قوله ومن قبل أي من قبل هذا الوقت كانوا يعملون السيئات أي جاؤوا مسرعين والحال
أنهم كانوا منهمكين في عمل السيئات فضروا بها حتى لم يبق عندهم قباحتها ولذلك لم يستحيوا
مما فعلوا من مجيئهم مهرعين مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فتزوجوهن وكانوا
يطلبونهن من قبل ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لعدم مشروعيته فإن تزويج المسلمات من الكفار
كان جائزا وقد زوج النبي صلى الله عليه وسلم ابنته من عتبة بن أبي لهب وأبي العاص بن الربيع قبل الوحي
وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فأراد أن يزوجهما ابنتيه وأيا ما كان فقد أراد
به وقاية ضيفه وذلك غاية الكرم وقيل ما كان ذلك القول منه مجريا على الحقيقة من إرادة
النكاح بل كان ذلك مبالغة في التواضع لهم وإظهارا لشدة امتعاضه مما أوردوا عليه طمعا
في أن يستحيوا منه ويرقوا له إذا سمعوا ذلك فينزجروا عما أقدموا عليه مع ظهور الأمر واستقرار
العلم عنده وعندهم جميعا بأن لا مناكحة بينهم وهو الأنسب بقولهم لقد علمت ما لنا في بناتك
من حق كما ستقف عليه فاتقوا الله بترك الفواحش أو بإيثارهن عليهم ولا تخزون في ضيفي
أي لا تفضحوني في شأنهم فإن إخزاء ضيف الرجل وجاره إخزاء له أو لا تخجلوني من الخزاية
وهي الحياء أليس منكم رجل رشيد يهتدي إلى الحق الصريح ويرعوي عن الباطل القبيح
قالوا معرضين عما نصحهم به من الأمر بتقوى الله تعالى والنهي عن إخزاء ضيفه مجيبين عن أول كلامه لقد
علمت ما لنا في بناتك من حق مستشهدين بعلمه بذلك يعنون إنك قد علمت أن لا سبيل
إلى المناكحة بيننا وبينك وما عرضك الإناث علينا إلا عبث ولا مطمع لنا في ذلك وإنك لتعلم ما
نريد من إتيان الذكران ولما يئس عليه السلام من ارعوائهم عما هم عليه من الغي قال لو أن لي بكم قوة أي لفعلت
بكم ما فعلت وصنعت ما صنعت كقوله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض
أو كلم به الموتى أو آوي إلى ركن شديد عطف على أن لي بكم إلخ لما فيه من معنى الفعل أي لو
قويت على دفعكم بنفسي أو أويت إلى ناصر عزيز قوي أستند إليه وأتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في الشدة
والمنعة وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي لوطا كان يأوي إلى ركن شديد روي

أنه عليه السلام أغلق بابه دون أضيافه وأخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت
الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا أي الرسل لما شاهدوا عجزه عن مدافعة قومه يا لوط إنا رسل
ربك لن يصلوا إليك بضرر ولا مكروه فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن
جبريل عليه السلام ربه في عقوبتهم فأذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر
جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس
أعينهم وأعماهم كما قال عز وعلا فطمسنا أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون
النجاء النجاء فإن في بيت لوط قوما سحرة فأسر بأهلك بالقطع من الإسراء وقرأ ابن كثير ونافع
بالوصل حيث جاء في القرآن والفاء لترتيب الأمر بالإسراء على الإخبار برسالتهم المؤذنة
بورود الأمر والنهي من جنابه عز وجل إليه عليه السلام بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم
أحد أي لا يتخلف أو لا ينظر إلى ورائه أحد منك ومن أهلك وإنما نهوا عن ذلك ليجدوا في السير فإن من
يلتفت إلى ما وراءه لا يخلو عن أدنى وقفة أو لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم إلا امرأتك
استثناء من قوله تعالى فأسر بأهلك ويؤيده أنه قرئ فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك
وقرئ بالرفع على البدل من أحد فالالتفات بمعنى التخلف لا بمعنى النظر إلى الخلف كيلا يلزم التناقض
بين القراءتين المتواترتين فإن النصب يقتضي كونها غير مأمور بالإسراء بها والرفع كونها
مأمورا بذلك والاعتذار بأن مقتضى الرفع إنما هو مجرد كونها معهم وذلك لا يستدعي الأمر
بالإسراء بها حتى يلزم المناقضة لجواز أن تسري هي بنفسها كما روي أنه عليه السلام لما أسرى بأهله
تبعتهم فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فأدركها حجر فقتلها وأن يسري
بها عليه السلام من غير أمر بذلك إذ موجب النصب إنما هو عدم الأمر بالإسراء بها لا النهي عن الإسراء
بها حتى يكون إسراؤه عليه السلام بها مخالفا للنهي لا يجدي نفعا لأن انصراف الاستثناء إلى
الالتفات يستدعي بقاء الأهل على العموم فيكون الإسراء بها مأمورا به قطعا وفي حمل الأهلية
في إحدى القراءتين على الأهلية الدينية وفي الأخرى على النسبية مع أن فيه ما لا يخفى من التحكم
والاعتساف كرجوعها [illegible] من المناقضة فالأولى جعل الاستثناء في القراءتين من قوله
ولا يلتفت مثل الذي في قوله تعالى ما فعلوه إلا قليل منهم فإن ابن عامر قرأه بالنصب وإن كان
الأفصح الرفع على البدل ولا يبعد كون أكثر القراء على غير الأفصح ولا يلزم من ذلك أمرها بالالتفات
بل عدم نهيها عنه بطريق الاستصلاح ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله إنه مصيبها
ما أصابهم من العذاب وهو إمطار الحجارة وإن لم يصبها الخسف والضمير في إنه للشأن وقوله
تعالى مصيبها خبر وقوله ما أصابهم مبتدأ والجملة خبر لأن الذي اسمه ضمير الشأن ومما لا
يخفى من تحكم شأن ما أصابهم ولا تحسين جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع إن موعدهم
الصبح أي موعد عذابهم وهلاكهم تعليل للأمر بالإسراء والنهي عن الالتفات المشعر بالحث على
الإسراع أليس الصبح بقريب تأكيد للتعليل فإن قرب الصبح داع إلى الإسراع في الإسراء
للتباعد عن مواقع العذاب وروي أنه قال للملائكة عليهم السلام متى موعد هلاكهم قالوا
الصبح قال أريد أسرع من ذلك فقالوا ذلك وإنما جعل ميقات هلاكهم الصبح لأنه وقت
الدعة والراحة فيكون حلول العذاب حينئذ أفظع ولأنه أنسب بكون ذلك عبرة للناظرين

فلما جاء امرنا اي وقت عذابنا او موعده وهو الصبح جعلنا عاليها اي عالي قرى قوم لوط وهي التي
عبر عنها بالمؤتفكات وهي خمس مداين فيها اربعمائة الف الف سافلها اي قلبناها على تلك الهيئة جعل
عاليها مفعولا اول لجعل وسافلها مفعولا ثانيا له وان تحقق القلب بالعكس ايضا لتهويل الامر وتفظيع
الخطب لان جعل عاليها الذي هو مقار معمم ومساكنهم سافلها اشد عليهم واشق من جعل سافلها
عاليها وان كان مستلزما له روي انه جعل جبريل عليه السلم جناحه في اسفلها ثم رفعها الى
السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واسناد الجعل والامطار
الى ضميره سبحانه باعتبار انه المسبب وفيه تعظيم الامر وتهويل الخطب وامطرنا عليها اي على اهل المداين
او شذاذهم حجارة من سجيل من طين متحجر كقوله حجارة من طين واصله سنك كل معرب وقيل انه
من اسجله اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل او من مثل العطية في الادرار او من
السجل اي مما كتب الله تعالى ان يعذبهم به وقيل اصله سجين اي من جهنم فابدلت لامه نونا
منضود نضد في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه اثر بعض كقطار الامطار مسومة
معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيما تتميز به عن حجارة الارض او باسم من ترمى به عند
ربك في خزاينه التي لا يتصرف فيها غيره عز وجل وما هي اي الحجارة الموصوفة من الظالمين من
كل ظالم ببعيد فانهم بسبب ظلمهم مستحقون لها وملابسون بها وفيه وعيد شديد لاهل الظلم
كافة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل عليه السلم فقال يعني ظالمي امتك
ما من ظالم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من
ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم واسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجارة بالحجر او اجرائه على
مذكر اي بشيء بعيد او بمكان بعيد فانها وان كانت في السماء وهي في غاية البعد من الارض الا
انها حين هوت منها فهي اسرع شيء لحوقا بهم فكانها بمكان قريب منهم او لانه على زنة المصدر كالزفير
والصهيل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث والى مدين اي والى اولاد مدين ابن
ابرهيم عليه السلم او جعل اسما للقبيلة بالغلبة او الى اهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه اخاهم اي نسيبهم
شعيبا وهو ابن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته
قومه والجملة معطوفة على قوله تعالى والى ثمود اخاهم صالحا اي وارسلنا الى مدين شعيبا قال
استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا من صدر الكلام فكانه قيل فماذا قال فقيل قال كما قال
من قبله من الرسل عليهم السلم يا قوم اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا ما لكم من اله غيره تحقيق
للتوحيد وتعليل للامر به بعدما امرهم بما هو ملاك امر الدين واول ما يجب على المكلفين
نهاهم عن ترتيب مبادي ما اعتادوه من البخس والتطفيف عادة مستمرة فقال ولا تنقصوا المكيال
والميزان اي لا تتوسلوا بذلك الى بخس حقوق الناس اني اراكم بخير اي ملتبسين بثروة وسعة
تغنيكم عن ذلك او بنعمة من الله تعالى حقها ان تقابل بما تتوسلون من المسامحة والتفضل على الناس شكرا
عليها واني اخاف عليكم ان لم تنتهوا عما انتم عليه من البخس وهو على كل حال علة للنهي عقيب بيان اخرى وقوله
عز وجل واني اخاف عليكم ان لم تنتهوا عن ذلك عذاب يوم محيط لا يشذ منه شاذ منكم وقيل عذاب
يوم مهلك من قوله تعالى واحيط بثمره واصله من احاطة العدو والمراد عذاب يوم القيمة او عذاب
الاستيصال ووصف اليوم بالاحاطة وهي حال العذاب على الاسناد المجازي وفيه من المبالغة

يوهم

ما لا يخفى فان اليوم زمان يشتمل عليها وقع فيه من الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع
للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه ويجوز ان يكون هذا تعليلا للامر والنهي جميعا
ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط اي بالعدل من غير زيادة ولا نقصان فان
الزيادة في الكيل والوزن وان كانت تفضلا مندوبا اليه لكنها في الالة محظورة كالنقص فلعل
الزائد للاستعمال عند الاكتيال والناقص للاستعمال وقت الكيل وانما امر بتسويتهما تصريحا
صريحا بعد النهي عن نقصهما مبالغة في الحمل على الايفاء والمنع من البخس وتنبيها على انه لا يكفيهم
مجرد الكف عن النقص والبخس بل يجب عليهم اصلاح ما افسدوه وجعلوه معيارا لظلمهم و
عدلا وتمما ولا تبخسوا الناس اشياءهم بسبب نقصها وعمم بعد ما خص الاشياء التي يشترونها بها وانه قالوا يا
صرح بالنهي عن البخس بعد ما علم ذلك في ضمن النهي عن نقص المكيال والامر بايفائه اهتماما بشانه
وترغيبا في ايفاء الحقوق بعد الترهيب والزجر عن نقصها ويجوز ان يكون المراد بالامر بايفاء
المكيال والميزان الامر بايفاء المكيلات والموزونات ويكون النهي عن البخس عاما للنقص في القدر
وغيره ليعمها بعد التخصيص كما في قوله تعالى ولا تعثوا في الارض مفسدين فان العثي يعم
تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كاخذ العشور في المعاملات قال
زهير الضبي افي كل اسواق العراق اتاوة وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم والعثي في
الارض السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلم
من خرق السفينة وقتل الغلام وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين امر اخرتكم ومصالح
دينكم بقيت الله اي ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه عن تعاطي المحرمات خير لكم مما
تجمعون بالبخس والتطفيف فان ذلك هباء منثورا بل شر محض وان زعمتم انه خير كقوله تعالى
يمحق الله الربا ويربي الصدقات ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع
الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان لا محالة او ان كنتم مصدقين لي في مقالتي لكم
وقيل البقية الطاعة كقوله عز وجل والباقيات الصالحات خير عند ربك وقرئ تقية الله
بالتاء وهي تقواه عن المعاصي وما انا عليكم بحفيظ احفظكم من القبائح او احفظ
عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت اذ انذرت ولم ال في ذلك جهدا
او ما انا بحافظ عليكم نعم الله تعالى ان لم تتركوا ما انتم عليه من سوء الصنيع قالوا يا
شعيب اصلاتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا من الاوثان اجابوا به امره
عليه السلم اياهم بعبادة الله تعالى وحده المتضمن لنهيهم عن عبادة الاصنام وقصدوا بالغوا في
ذلك وبلغوا اقصى مراتب الخلاعة والمجون والضلالة حيث لم يكتفوا بانكار الوحي الامر
بذلك حتى ادعوا انه لا امر من العقل واللب اصلا وانه من احكام الوسوسة والجنون وعلى
ذلك بنوا استفهامهم وقالوا بطريق الاستهزاء اصلواتك التي هي من نتائج الوسوسة وافاعيل
المجانين تامرك بان نترك عبادة الاوثان التي توارثناها ابا عن جد وانما جعلوه عليه السلم مامورا
مع ان الصادر عنه انما هو الامر بعبادة الله تعالى وغير ذلك من الشرائع لانه عليه السلم لم يكن يامرهم
بذلك من تلقاء نفسه بل من جهة الوحي وانه كان يعلمهم بانه مامور بتبليغه اليهم وتخصيصهم

بإسناد الأمر إلى الصلاة من بين سائر أحكام النبوة لأنه عليه السلام كان كثير الصلاة معروفا بذلك
وكانوا إذا رأوه يصلي يتغامزون ويتضاحكون فكانت هي من بين سائر شعائر الدين ضحكة
لهم وقرئ أصلاتك أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء جواب عن أمره عليه السلام بإيفاء الحقوق
ونهيه عن البخس والنقص معطوف على ما أي أو أن نترك أن نفعل في أموالنا ما نشاء من الأخذ
والإعطاء والزيادة والنقص وقرئ بالتاء في الفعلين عطفا على مفعول تأمرك أي أصلواتك تأمرك
أن تفعل أنت في أموالنا ما تشاء ويجوز العطف على ما على أن قيل يشتمل على أن يراد بالترك
معنيان متغايران والمراد بفعله عليه السلام إيجاب الإيفاء والعدل في معاملتهم لا نفس الإيفاء
فإن ذلك ليس من أفعاله عليه السلام بل من أفعالهم وإنما لم يقل عطفا على أن نترك لأن الترك ليس مأمورا
به على الحقيقة بل المأمور به تكليفه عليه السلام إياهم وأمره بذلك والمعنى أصلواتك تأمرك أن تكلفنا أن نترك
ما يعبد آباؤنا وحمله على معنى أصلواتك تأمرك بما ليس في وسعك وعهدتك من أفاعيل غيرك ليكون
ذلك تعريضا منهم بركاكة رأيه عليه السلام واستهزاء به من تلك الجهة يأباه دخول الهمزة على الصلاة دون
الأمر ويستدعي أن يصدر عنه عليه السلام في أثناء الدعوة ما يدل على ذلك أو يوهمه أي ذلك فتأمل
وقرئ بالنون في الأول والتاء في الثاني عطفا على أن نترك أي وأن تفعل أنت في أموالنا عند المعاملة
ما تشاء من التسوية والإيفاء إنك لأنت الحليم الرشيد وصفوه عليه السلام بالوصفين على طريقة
التهكم وإنما أرادوا بذلك وصفه بضديهما كقوله تعالى ذق إنك أنت العزيز الكريم
ويجوز أن يكون تعليلا لما سبق من استبعادهم ما ذكروه على معنى إنك لأنت الحليم الرشيد على زعمك
وأما وصفه بهما على الحقيقة فيأباه مقام الاستهزاء اللهم إلا أن يراد بالصلاة الدين كما قيل قال
يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة أي حجة واضحة وبرهان نير عبر بها عما آتاه الله تعالى من النبوة
والحكمة ردا على مقالتهم الشنعاء في جعلهم أمره ونهيه غير مستند إلى سند من ربي ومالك أموري
وإيراد حرف الشرط مع جزمه عليه السلام بكونه على بينة لاعتبار حال المخاطبين ومراعاة
حسن المحاورة معهم كما ذكرناه في نظائره ورزقني منه أي من لدنه رزقا حسنا هو النبوة والحكمة
أيضا عبر عنهما بذلك تنبيها على أنهما مع كونهما بينة رزق حسن كيف لا وذلك مناط الحياة الأبدية
له ولأمته وجواب الشرط محذوف يدل عليه فحوى الكلام أي أتقولون في شأني ما تقولون والمعنى
أنكم نظمتموني في سلك السفهاء الغواة وعددتم ما صدر عني من الأوامر والنواهي من قبيل ما لا يصح
يتفوه به عاقل وجعلتموه من أحكام الوسوسة والجنون واستهزأتم بي وبأفعالي حتى قلتم إنما
أمرتكم به من التوحيد وترك عبادة الأصنام والاجتناب عن البخس والتطفيف ليس مما يأمر به العقل
ويقضي به الحكمة وإنما أمرتك به صلواتك التي هي من أحكام الوسوسة والجنون فأخبروني إن
كنت من جهة ربي ومالك أموري ثابتا على النبوة والحكمة التي ليس وراءها غاية للكمال ولا مطمح
لطامح ورزقني بذلك رزقا حسنا أتقولون في شأني وشأن أفعالي ما تقولون مما لا خير فيه ولا شر وراءه
هذا هو الجواب الذي يستدعيه السياق ويساعده النظم الكريم وأما ما قيل من أن
المحذوف أيصح لي أن لا آمركم بترك عبادة الأوثان والكف عن المعاصي أو هل يسع لي مع هذا الإنعام
الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية أن أخونه في وحيه وأخالفه في أمره ونهيه فبمعزل من

ذلك وإنما يناسب تقديره أن حمل كلامهم على الحقيقة وأريد بالصلاة الدين على معنى أدينك يأمرك أن
تكلفنا بترك عبادة آلهتنا القديمة وبترك التصرف المطلق في أموالنا فيجب علينا في ذلك وشق
عصاناه هذا مما لا ينبغي أن يصدر عنك فإنك أنت المشهور بالحلم الفاضل والرشد الكامل فيما
بيننا كما قال قوم صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا مسودا على ذلك النمط فأجاب بما أجاب به وعلى هذا الوجه
يكون المراد بالرزق الحسن الحلال الذي آتاه الله تعالى والمعنى حينئذ أخبروني إن كنت على بينة من
ربي ورزقني منه رزقا حلالا أستغني به عن العالمين أيصح أن أخالف أمره وأوافقكم فيما تأتون وما تذرون
وما أريد بنهيي إياكم عما أنهاكم عنه من البخس والتطفيف أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه أي أقصده
بعدما وليتم عنه وأستبد به دونكم يقال خالفت زيدا إلى كذا إذا قصدته وهو مول عنه وخالفته
عن كذا إذا كان الأمر على العكس إن أريد أي ما أريد بما أباشره من الأمر والنهي إلا الإصلاح
إلا أن أصلحكم بالنصيحة والموعظة ما استطعت أي مقدار ما استطعته من الإصلاح وإن لم تقيده
للاحتراز عن الاكتفاء بالإصلاح في الجملة لا عن إرادة ما ليس في وسعه منه وما توفيقي أي كوني
موفقا لتحقيق ما أنحيه من إصلاحكم إلا بالله أي بتأييده ومعونته بل الإصلاح من حيث الخلق مستند
إليه سبحانه وإنما أنا مباشر بالظاهر قاله عليه السلام تحقيقا للحق وإزاحة لما عسى يوهمه إسناد الاستطاعة
إليه بإرادة من استبداده بذلك عليه توكلت في ذلك معرضا عما عداه فإنه القادر على كل
مقدور وما عداه عاجز محض في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار بمعزل عن رتبة
الاستمداد به في الاستظهار وإليه أنيب أي أرجع فيما أنا بصدده ويجوز أن يكون المراد
وما كوني موفقا لإصابة الحق والصواب في كل ما آتي وأذر إلا بهدايته ومعونته عليه توكلت
وهو إشارة إلى محض التوحيد الذاتي والفعلي وإليه أنيب أي عليه أقبل بشراشر نفسي في مجامع أموري
وإيثار صيغة الاستقبال على الماضي الأنسب للتقرر والتحقق كما في التوكل لاستحضار الصورة
والدلالة على الاستمرار ولا يخفى ما في جوابه عليه السلام من مراعاة لطف المراجعة ورفق الاستنزال والمحافظة
على قواعد حسن المجاراة والمحاورة وتمهيد معاقد الحق بطلب التوفيق من جناب الله عز وجل
والاستعانة به في أموره وحسم أطماع الكفار وإظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وأما
تهديدهم بالرجوع إلى الله تعالى للجزاء كما قيل فلا لأن الإنابة إنما هي الرجوع الاختياري بالفعل إلى
الله تعالى لا الرجوع الاضطراري للجزاء أو ما يعمه ويا قوم لا يجرمنكم أي لا يكسبنكم من جرمته
ذنبا على كسبته إياه شقاقي معاداتي وأصلها أن أحد المتعاديين يكون في عدوة وشق والآخر
في آخر أن يصيبكم مفعول ثان ليجرمنكم أي لا يكسبنكم معاداتكم لي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح
من الغرق أو قوم هود من الريح أو قوم صالح من الصيحة والرجفة وعن ابن كثير بضم الياء من أجرمته
ذنبا إذا جعلته جارما له أي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي إلى مفعول واحد كما
نقل أكسبه المال من كسب المال ولا فرق بين كسبته مالا وأكسبته إياه ولا بين جرمته
ذنبا وأجرمته إياه في المعنى إلا أن الأول أصح وأدور على ألسنة الفصحاء وقرئ مثل ما أصاب
بالفتح بإضافته إلى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت حمامة في غصون ذات أوقال
وههنا وإن كان بحسب الظاهر نهيا للشقاق عن كسب إصابة العذاب لكنه في الحقيقة نهي
للكفرة عن مشاقته عليه السلام على ألطف أسلوب وأبدعه كما مر في سورة المائدة عند قوله تعالى

ولا يجرمنكم شقاقي الى تمام الآية وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا او مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم من الامم
المعدودة فاعتبروا بهم فكانه انما غير اسلوب التحذير بهم ولم يصرح باصابتهم بل اكتفى بذكر
قربهم ايذانا بان ذلك مغن عن ذكره لشهرة كونه منظوما في سمط ما ذكر من دواهي الامم المعدودة
او ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمعاصي فلا يبعد ان يصيبكم مثل ما اصابهم وافراد البعيد
مع تذكيره لان المراد وما اهلاكهم على تقدير المضاف او وما هم بشيء بعيد لان المقصود افادة عدم
بعدهم على الاطلاق لا من حيث خصوصية كونهم قوما او ما هم في زمان بعيد او مكان بعيد ولا
يبعد ان يكون ذلك بكونه على زنة المصادر كالنهيق والشهيق ولما انذرهم عليه السلام بسوء عاقبة
صنيعهم عقبه طمعا في ارعوائهم عما كانوا فيه يعمهون من طغيانهم على الاستغفار والتوبة فقال
واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه مر تفسيره في اول السورة ان ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين
ودود مبالغ في فعل ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من اللطف والاحسان وهذا تعليل للامر
بالاستغفار والتوبة وحث عليهما قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول الفقه معرفة
غرض المتكلم من كلامه اي ما نفهم مراده وانما قالوا ذلك بعدما سمعوا منه دلائل الحق المبين على احسن
وجه وابلغه وضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل فلم يجدوا الى محاورته سبيلا سوى الصدود
عن منهاج العقل والسلوك الى سبيل السفه كما هو ديدن المفحم المحجوج يقابل البينات بالسب
والابراق والارعاد فجعلوا كلامه المشتمل على فنون الحكم والمواعظ وانواع العلوم والمعارف
من قبيل ما لا يفهم معناه ولا يدرك فحواه وادمجوا في ضمن ذلك ان في تضاعيفه ما يستوجب
اقصى ما يكون من المؤاخذة والعقاب ولعل ذلك ما فيه من التحذير من عواقب الامم السالفة ولذلك
قالوا وانا لنراك فينا ضعيفا لا قوة لك ولا قدرة على شيء من الضر والنفع والايقاع
والدفع ولولا رهطك لولا مراعاة جانبهم لا لولاهم بالعون منا وبقوتنا لرجمناك فان ما بينه
الرهط من الثلاثة الى السبعة او الى العشرة وهم ما هم الوف مؤلفة فما الانكاد يتوهم وقد
ايد ذلك بقوله عز وجل وما انت علينا بعزيز مكرم محترم حتى نمتنع من رجمك وانما نكف عنك
للمحافظة على رهطك الذين ثبتوا على ديننا ولم يختاروك علينا ولم يتبعوك وتقديم اولي
الضمير وفي حرف النفي وان لم يكن الخبر فعليا يخلو عن الدلالة على رجوع النفي الى الفاعل دون
الفعل لا سيما مع قرينة قوله ولولا رهطك كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة
علينا وحيث كان غرضهم من عظيمتهم هذه عائدا الى نفي ما فيه عليه السلام من العزة والقوة الربانية
حسبما يوجبه كونه على بينة من ربه مؤيدا من عنده وتقتضيه قضية طلب التوفيق منه والتوكل
عليه والانابة اليه والى اسقاط ذلك كله عن درجة الاعتداد به والاعتبار قال عليه السلام في
جوابهم يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله فان الاستهانة بمن لا يتعزز الا به عز وجل استهانة
بجنابه العزيز وانما انكر عليهم اعزية رهطه منه تعالى مع ان ما اثبتوه انما هو مطلق عزة رهطه
لا اعزيتهم منه عز وجل مع الاشتراك في اصل العزة لتثنية التقريع وتكرير التوبيخ حيث انكر عليهم اولا
ترجيح جنبة الرهط على جنبة الله تعالى وثانيا نفي العزة بالمرة والمعنى ارهطي اعز عليكم من الله
فانه مما لا يكاد يصح والحال انكم لم تجعلوا له تعالى حظا من العزة اصلا واتخذتموه بسبب عدم
اعتدادكم بمن لا يرد ولا يصدر الا بامره وراءكم ظهريا شيئا منبوذا وراء الظهر منسيا لا يبالى به

منسوب الى الظهر والكسر لتغيير النسب كالامسي في النسبة الى الامس ان ربي بما تعملون من الاعمال
السيئة التي من جملتها عدم مراعاتكم لجانبه محيط لا يخفى عليه منها خافية وان جعلتموه منسيا فيجازيكم
عليها وقد يحتمل ان يكون الانكار والتكذيب فانهم لما ادعوا انهم لا يكفون عن رجمه عليه السلام لقوة
وعزة بل لمراعاة جانب رهطه رد عليهم ذلك بانهم ما قدروا الله حق قدره العزيز ولم يراعوا
جانبه القوي فكيف يراعون جانب رهطه الاذلة ويا قوم اعملوا لما راى عليه السلام اصرارهم على الكفر وانهم
لا يرعوون عما هم عليه من المعاصي حتى اجترؤوا على العظيمة التي هي الاستهانة به والعزيمة على رجمه لولا رهطه
قال لهم على طريقة التهديد يا قوم اعملوا على مكانتكم اي على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن
ابلغ التمكن وانما قال عليه السلام ذلك ردا لما ادعوا انهم اقوياء قادرون على رجمه وانه ضعيف فيما بينهم لا عزة
له او على ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة والمعنى اثبتوا
على ما انتم عليه من الكفر والمشاقة لي وسائر ما انتم عليه مما لا خير فيه وابذلوا جهدكم في مضادتي وايقاع
ما في نيتكم واخرجوا ما في امنيتكم من القوة الى الفعل اني عامل على مكانتي حسبما يؤتيني الله ويوفقني
بانواع التأييد والتوفيق سوف تعلمون لما هددهم عليه السلام بقوله اعملوا على مكانتكم الى
عامل كان مظنة ان يسأل منهم سائل فيقول فماذا يكون بعد ذلك فقيل سوف تعلمون من يأتيه
عذاب يخزيه وصف العذاب بالاخزاء تعريضا بما اوعدوه عليه السلام به من الرجم فانه مع كونه
عذابا فيه خزي ظاهر حيث لا يكون الا بجناية عظيمة توجبه ومن هو كاذب عطف على من يأتيه لا انه
قسيمه بل حيث اوعدوه بالرجم وكذبوه قيل سوف تعلمون من المعذب والكاذب وفيه
تعريض بكذبهم في ادعائهم القوة والقدرة على رجمه عليه السلام وفي نسبته الى الضعف والهوان
وفي ادعائهم الابقاء عليه لرعاية جانب الرهط والاختلاف بين المعطوفين بالفعلية والاسمية
لان كذب الكاذب ليس بمترقب كاتيان العذاب بل انما المترقب ظهور الكذب السابق المستمر ومن
اما استفهامية معلقة للعلم عن العمل كانه قيل سوف تعلمون اينا يأتيه عذاب يخزيه واينا كاذب
واما موصولة اي سوف تعرفون الذي يأتيه عذاب والذي هو كاذب وارتقبوا وانتظروا
ما اقول اني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالرحيم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع
وفي زيادة معكم اظهار منه عليه السلام لكمال الوثوق بامره ولما جاء امرنا اي عذابنا كما ينبئ عنه قوله
تعالى سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه او وقته فان الانتظار مؤذن بذلك نجينا شعيبا
والذين آمنوا معه برحمة منا وهي الايمان الذي وفقناهم له او برحمة كائنة منا لهم وانما
ذكر بالواو كما في قصة عاد لما انه لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب المقتضي لدخول الفاء
في معلومه كما في قصتي صالح ولوط فانه قد سبق هنالك سابقة الوعد بقوله ذلك وعد غير مكذوب
وقوله ان موعدهم الصبح واخذت الذين ظلموا عدل الى الموصول عن الضمير تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا
بان ما اخذهم انما اخذهم بسبب ظلمهم الذي فصل فيما سبق فنونه الصيحة قيل صاح بهم جبريل
عليه السلام فهلكوا وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة وفي سورة العنكبوت فاخذتهم الرجفة اي
الزلزلة ولعلها من روادف الصيحة المستتبعة لتموج الهواء المفضي اليها كما مر فيما قبل
فاصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين لازمين لاماكنهم لا براح لهم منها ولما لم يجعل متعلق
العلم في قوله تعالى سوف تعلمون من يأتيه عذاب الخ نفس مجيء العذاب بل من يجيئه ذلك

جعل مجيئه بعد ذلك امرا مسلم الوقوع غنيا عن الاخبار به حيث جعل شرطا له حيث جعل تنجية شعيب عليه السلام واهلاك
الكفرة جوابا له ومقصودا بالافادة وانما قدم تنجيته اهتماما بشأنها وايذانا بسبق الرحمة التي هي مقتضى
الربوبية على الغضب الذي يظهر اثره بموجب جرائمهم وجناياتهم كأن لم يغنوا اي لم يقيموا فيها
متصرفين في اطرافها متقلبين في اكنافها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود العدول عن الاضمار الى الاظهار
ليكون ادل على طغيانهم الذي اداهم الى هذه المرتبة وليكون انسب بمن شبه هلاكهم بهلاكهم اعني
ثمود وانما شبه هلاكهم بهلاكهم لانهما اهلكا بنوع من العذاب وهو الصيحة غير ان هؤلاء صيح بهم من
فوقهم واولئك من تحتهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب
الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر للمكسور ولقد ارسلنا موسى باياتنا وهي الايات
التسع المفصلات التي هي العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم
ونقص الثمرات والانفس ومنهم من جعلها اية واحدة وعد منها اظلال الجبل وليس كذلك فانه
لقبول احكام التوراة حين اباه بنو اسرائيل والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من مفعول ارسلنا او
نعتا لمصدره المؤكد اي ارسلناه حال كونه ملتبسا باياتنا او ارسلناه ارسالا ملتبسا بها وسلطان
مبين هو المعجزات الباهرة منها او هو العصا والافراد بالذكر لاظهار شرفها لكونها ابهرها او المراد
بالايات ما عداها او هما عبارتان عن شيء واحد اي ارسلناه بالجامع بين كونه اياتنا وبين كونه
سلطانا له واضحا في نفسه او موضحا اياها من ابان لازما ومتعديا او هو الغلبة والاستيلاء
كقوله تعالى ونجعل لكما سلطانا ويجوز ان المراد ما بينه عليه السلام في تضاعيف دعوته حين
قال له فرعون فمن ربكما فما بال القرون الاولى من الحقائق الرائقة والدقائق اللائقة وجعله
عبارة عن التوراة او ادراجها في جملة الايات يرده قوله عز وجل الى فرعون وملئه فان نزولها
انما كان بعد مهلك فرعون وقومه قاطبة ليعمل بها بنو اسرائيل فيما يأتون وما يذرون واما
فرعون وقومه فانما كانوا مأمورين بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة الشنعاء التي
كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية وبارسال بني اسرائيل من الاسر والقسر وتخصيص
ملئه بالذكر مع عموم رسالته عليه السلام لقومه كافة لاصالتهم في الرأي وتدبير الامور واتباع غيرهم لهم في
الورود والصدور وانما لم يصرح بكفر فرعون بايات الله تعالى وانهماكه فيما كان عليه من الضلال والاضلال
بل اقتصر على ذكر شأن ملئه فقيل فاتبعوا امر فرعون اي امره بالكفر بما جاء به موسى عليه السلام من
الحق المبين للايذان بوضوح حاله فكان كفره وامره ملأه بذلك امر محقق الوجود غير محتاج
الى الذكر صريحا وانما المحتاج الى ذلك شأن ملئه المترددين بين هاد الى الحق وداع الى الضلال
فنعى عليهم سوء اختيارهم وايراد الفاء في اتباعهم المترتب على امر فرعون المبني على كفره المسبوق بتبليغ
الرسالة للاشعار بمفاجأتهم في الاتباع ومسارعة فرعون الى الكفر وامرهم به فكأن ذلك
كله لم يتراخ عن الارسال والتبليغ بل وقع جميع ذلك في وقت واحد فوقع اثر ذلك اتباعهم
ويجوز ان يراد بامر فرعون شأنه المشهور وطريقته الزائغة فيكون معنى فاتبعوا فاستمروا
على الاتباع والفاء مثلها في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر فان الاتيان بالشيء
بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد
وصنع حادث فتأمل وترك الاضمار لدفع توهم الرجوع الى موسى عليه السلام من اول الامر ولزيادة تقبيح

حالا مبينا فان فرعون على الفساد والافساد والضلال والاضلال فاتبعوا لفرط الجهالة وعدم
الاستبصار وكذا الحال في قوله تعالى وما امر فرعون برشيد الرشد ضد الغي وقد يراد به محمود
العاقبة فهو على الاول بمعنى المرشد او ذي الرشد حقيقة لغوية والاسناد مجازي وعلى الثاني مجاز والاسناد
حقيقي يقدم قومه جميع من الاشراف وغيرهم يوم القيامة اي يتقدمهم من قدمه بمعنى تقدمه وهو استئناف
لبيان حاله في الاخرة اي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه او لتوضيح عدم
صلاح ماله اي وسوء عاقبته فاوردهم النار اي يوردهم وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع
لا محالة شبه فرعون بالفارط الذي يتقدم الواردة الى الماء واتباعه بالواردة والنار بالماء الذي
يردونه ثم قيل وبئس الورد المورود اي بئس الورد الذي يردونه فان الورد انما يراد لتسكين
العطش وتبريد الاكباد والنار على ضد ذلك واتبعوا اي الملأ الذين اتبعوا امر فرعون في هذه
اي في الدنيا لعنة عظيمة حيث يلعنهم من بعدهم من الامم الى يوم القيامة ويوم القيامة ايضا حيث يلعنهم اهل
الموقف قاطبة فهي تابعة لهم حيثما ساروا دائرة معهم اينما داروا في الموقف فكما اتبعوا فرعون اتبعتهم
اللعنة في الدارين جزاء وفاقا واكتفى ببيان حالهم الفظيع وشأنهم الشنيع عن بيان حال فرعون
اذ حين كان حالهم هكذا فما ظنك بحال من اغواهم والقاهم في هذا الضلال البعيد وحيث كان شأن
الاتباع ان يكونوا اعوانا للمتبوع جعلت اللعنة رفدا لهم على طريقة التهكم فقيل بئس الرفد المرفود اي
بئس العون المعان وتفسيره الرفد بالعطاء لا يلايمه المقام واصله ما يضاف الى غيره ليعمده
والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم وهي اللعنة في الدارين وكونه مرفودا من حيث ان كل لعنة منهما
معينة وممدة لصاحبتها ومؤيدة لها ذلك اشارة الى ما قص من انباء الامم وبعده باعتبار تقضيه
في الذكر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ خبره من انباء القرى المهلكة بما جنته ايدي
اهلها نقصه عليك خبر بعد خبر اي ذلك النبأ بعض انباء القرى مقصوص عليك منها اي من تلك
القرى قائم وحصيد اي ومنها حصيد حذف لدلالة الاول عليه ما بقي منها بالزرع القائم على ساقه
وما عفا وبطل بالحصيد والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب وما ظلمناهم بان اهلكناهم
ولكن ظلموا انفسهم بان جعلوها عرضة للهلاك باقتراف ما يوجبه فما اغنت عنهم فما نفعتهم
ولا دفعت باس الله تعالى عنهم الهتهم التي يدعون اي يعبدونها من دون الله اوثر صيغة المضارع
حكاية للحال الماضية او دلالة على استمرار عبادتهم لها من شيء في موضع المصدر اي شيئا من الاغناء
لما جاء امر ربك اي حين مجيء عذابه وهو منصوب باغنت وقرئ الهتهم اللاتي ويدعون على البناء
للمجهول وما زادوهم غير تتبيب اي اهلاك وتخسير فانهم انما هلكوا وخسروا بسبب عبادتهم
لها وكذلك اي ومثل ذلك الاخذ الذي مر بيانه وهو رفع على الابتداء وخبره قوله تعالى اخذ
ربك وقرئ اخذ ربك فمحل الكاف النصب على انه مصدر مؤكد اذا اخذ القرى اي اهلها وانما
اسند اليها للاشعار بسريان اثره اليها حسبما ذكر وقرئ اذ اخذ وهي ظالمة حال من القرى وهي في
الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامهم في الاخذ اجريت الحال عليها وفائدتها الاشعار بانهم انما
اخذوا بظلمهم ليكون ذلك عبرة لكل ظالم ان اخذه اليم شديد وجيع صعب على المأخوذ لا يرجى
منه الخلاص وفيه ما لا يخفى من التهديد والتحذير ان في ذلك اي في اخذه تعالى للامم
المهلكة او في قصصهم لاية لعبرة لمن خاف عذاب الاخرة فانه المعتبر به حيث يستدل بما حاق بهم

من العذاب الشديد بسبب ما عملوا من السيئات على احوال عذاب الآخرة واما من انكر الآخرة واحال
فناء العالم وزعم انه ليس هو ولا شيء من احواله مستندا الى الفاعل المختار وان ما يقع فيه من الحوادث
فانما يقع لاسباب تقتضيه من اوضاع فلكية تتفق في بعض الاوقات لا لما ذكر من المعاصي ليتبين انه
الامم الهالكة فهو بمعزل من هذا الاعتبار تبا لهم ولما لهم من الافكار ذلك اشارة الى يوم القيمة
المدلول عليه بذكر الآخرة يوم مجموع له الناس اي يجمع له الناس للمحاسبة والجزاء والتعبير للدلالة على ثبات
معنى الجمع وتحقق وقوعه لا محالة وعدم انفكاك الناس عنه فهو ابلغ من قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع
وذلك اي يوم القيمة مع ملاحظة عنوان جمع الناس له يوم مشهود اي مشهود فيه حيث يشهد فيه
اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كما في قوله في محفل من نواصي الناس
مشهود اي كثير شاهدوه ولو جعل نفس اليوم مشهودا لفات ما هو الغرض من تعظيم اليوم وتهويله
وتميزه عن غيره فان سائر الايام كذلك وما نؤخره اي ذلك اليوم الملحوظ بعنوان الجمع والشهود
الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة قليلة مضروبة حسبما تقتضيه الحكمة يوم يات اي حين يأتي
ذلك اليوم المؤخر بانقضاء اجله كقوله تعالى ان تأتيهم الساعة وقيل يوم يأتي الجزاء الواقع
فيه وقيل الله عز وجل فان المقام مقام تفخيم شان اليوم وقرئ باثبات الياء على الاصل لا تكلم
نفس اي لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب او شفاعة وهو العامل في الظرف او الانتهاء المحذوف
في قوله تعالى الا لاجل معدود اي ينتهي الاجل يوم يأتي او المضمر المعهود اعني اذكر الا باذنه عز سلطانه
في التكلم كقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موطن من مواطن ذلك اليوم وقوله
عز وجل هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف آخر من مواقفه كما ان قوله سبحانه
يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها في آخر منها والمأذون فيه الجوابات الحقة والممنوع عنه
الاعذار الباطلة نعم قد يؤذن فيها ايضا لاظهار بطلانها كما في قول الكفرة والله ربنا ما كنا
مشركين ونظائره فمنهم شقي وجبت له النار بموجب الوعيد وسعيد اي ومنهم سعيد حذف الخبر
لدلالة الاول عليه وهو من وجبت له الجنة بمقتضى الوعد والضمير لاهل الموقف المدلول عليهم بقوله لا
تكلم نفس او للناس وتقديم الشقي على السعيد لان المقام مقام التحذير والانذار فاما الذين
شقوا اي سبقت لهم الشقاوة ففي النار اي مستقرون فيها لهم فيها زفير وشهيق الزفير
اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما في اول النهيق وآخره قال الشماخ يصف حمار
الوحش بعيد مدى التطريب اول صوته زفير ويتلوه شهيق محشرج والمراد بهما وصف شدة
كربهم وتشبيه حالهم بحال من استولت على قلبه الحرارة وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير
وقرئ شقوا بالضم والجملة مستأنفة كان سائلا قال ما شأنهم فيها فقيل لهم فيها كذا وكذا او منصوب
المحل على الحالية من النار او من الضمير في الجار والمجرور كقوله عز اسمه خالدين فيها خلا انه ان اريد حدوث
كونهم في النار فالحال مقدرة ما دامت السموات والارض اي مدة دوامهما وهو للتوقيت عبارة عن
التأبيد ونفي الانقطاع بناء على منهاج قول العرب ما دام تعار وما اقام ثبير وما لاح كوكب وما
اختلف الليل والنهار وما طما البحر وغير ذلك من كلمات التأبيد لا لتعليق قرارهم فيها بدوام هذه
السموات والارض فان النصوص القاطعة دالة على تأبيد قرارهم فيها وانقطاع دوامهما وان اريد التعليق
فالمراد سموات الآخرة وارضها كما يدل على ذلك النصوص كقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض

والسموات وقوله تعالى واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء ومن المعلوم عند كل احد بان اهل الآخرة
لا بد لهم من مظلة ومقلة دائمتين يكفي في تعليق دوام قرارهم فيهما بدوامهما لا حاجة الى الوقوف على
تفاصيل احوالهما وكيفياتهما الا ما شاء ربك استثناء من الخلود على طريقة قوله تعالى لا يذوقون فيها
الموت الا الموتة الاولى وقوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف وقوله حتى يلج الجمل في سم
الخياط غير ان استحالة الامور المذكورة معلومة بحكم العقل واستحالة تعلق المشيئة بعدم الخلود معلومة
بحكم النقل يعني انهم مستقرون في النار في جميع الازمنة الا زمان مشيئة الله تعالى لعدم قرارهم فيها
واذ لا امكان لتلك المشيئة ولا لزمانها بحكم النصوص القاطعة الموجبة للخلود فلا امكان لانتهاء
مدة قرارهم فيها ولدفع ما عسى يتوهم من كون استحالة تعلق مشيئة الله تعالى بعدم الخلود بطريق
الوجوب على الله تعالى قال ان ربك فعال لما يريد يعني انه في تخليد الاشقياء في النار بحيث يستحيل
وقوع خلافه فعال بموجب ارادته قاض بمقتضى مشيئته الجارية على سنن حكمته الداعية الى ترتيب الاجزية
على افعال العباد والعدول من الاضمار الى الاظهار لتربية المهابة وزيادة التقرير وقيل هو استثناء من
الخلود في عذاب النار فانهم لا يخلدون فيه بل يعذبون بالزمهرير وبانواع اخر من العذاب وبما هو اغلظ
منها كلها وهو سخط الله تعالى عليهم وخسؤه لهم واهانته اياهم وانت تدري انا وان سلمنا ان
المراد بالنار ليس مطلق دار العذاب المشتملة على انواع العذاب بل نفس النار فاخراج عذاب الزمهرير
من تلك الانواع مقارن لعذاب النار فلا مصداق في ذلك للاستثناء ولك ان تقول انهم ليسوا
مخلدين في العذاب الجسماني الذي هو عذاب النار بل لهم من افانين العذاب ما لا يعلمه الا الله
سبحانه وهي العقوبات والآلام الروحانية التي لا يقف عليها في هذه الحيوة الدنيا المنغمسون في
احكام الطبيعة المقصور ادراكهم على ما يتوارد من الاحوال الجسمانية وليس لهم استعداد لتلقي ما وراء
ذلك من الاحوال الروحانية اذا القي اليهم ولذلك لم يتعرض لبيانه واكتفي بهذه المرتبة الاجمالية
المنبئة عن التهويل وهذه العقوبات وان كانت تعتريهم وهم في النار لكنهم ينسون بها عذاب النار
ولا يحسون به وهذه المرتبة كافية في تحقيق معنى الاستثناء هذا وقد قيل الا بمعنى سوى وهو وفق
بما ذكر وقيل الا بمعنى من على ارادة معنى الوصفية فالمعنى ان الذين شقوا في النار مقدرين الخلود
فيها الا الذين شاء الله عدم خلودهم فيها وهم عصاة المؤمنين واما الذين سعدوا ففي الجنة
خالدين فيها ما دامت السموات والارض الكلام فيه كالكلام فيما سبق خلا انه لم يذكر ههنا
ان لهم فيها بهجة وسرورا كما ذكر في اهل النار من ان لهم فيها زفيرا وشهيقا لان المقام مقام التحذير والانذار
الا ما شاء ربك ان حمل على طريقة التعليق بالمحال فقوله سبحانه عطاء غير مجذوذ نصب على المصدرية
من معنى الجملة لان قوله ففي الجنة خالدين فيها يقتضي اعطاء وانعاما فكانه قيل يعطيهم عطاء وهو اما
اسم مصدر هو الاعطاء او مصدر بحذف الزوائد كقوله تعالى انبتكم من الارض نباتا وان حمل
على ما اعد الله تعالى لعباده الصالحين من النعيم الروحاني الذي عبر عنه بما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر فهو نصب على الحالية من المفعول المقدر للمشيئة او تمييز فان نسبة
مشيئة الخروج الى الله تعالى تحتمل ان تكون على جهة عطاء مجذوذ وعلى جهة عطاء غير مجذوذ فهو رافع
للابهام عن النسبة قال ابن زيد اخبرنا الله تعالى بالذي يشاء لاهل الجنة فقال عطاء غير مجذوذ
ولم يخبرنا بالذي يشاء لاهل النار ويجوز ان يتعلق بكلا التعبيرين اذ بالاول ودفعا لما يتوهم من ظاهره

الاستثناء من انقطاعه فلا تك في مرية اي في شك والفاء لترتيب النهي على ما قص من القصص وبين
في تضاعيفها من العواقب الدنيوية والاخروية مما يعبد هؤلاء اي من جهة عبادة هؤلاء المشركين
وسوء عاقبتها او من حال ما يعبدونه من الاوثان في عدم نفعه لهم ولما كان مساق النظم الكريم
قبيل الشروع في القصص لبيان غاية سوء حال الكفرة وكمال حسن حال المؤمنين وقد ضرب لهم
مثل فقيل مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون ثم
وقد قص عقيب ذلك من انباء الامم السالفة مع رسلهم المبعوثة اليهم ما يتذكر به المتذكر نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن كونه في شك من مصير هؤلاء المشركين في العاجل والآجل ثم علل ذلك
بطريق الاستئناف فقيل ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم الذين قصصت عليك قصصهم من قبل
اي هم وآباؤهم سواء في الشرك ما يعبدون عبادة الا كعبادتهم او ما يعبدون شيئا الا مثل ما عبدوه
من الاوثان والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها اي مثل
ما كانوا يعبدونه فحذف كان لدلالة قوله من قبل عليه وقد بلغكم ما لحق بآبائهم فسيلحقهم مثل ذلك
فان تماثل الاسباب يقتضي تماثل المسببات وانا لموفوهم اي هؤلاء الكفرة نصيبهم اي حظهم المعين
لهم حسب جرائمهم وجرائرهم من العذاب عاجلا وآجلا كما وفينا آباءهم انصباءهم المقدرة لهم او من
الرزق المقسوم لهم فيكون عذرا لتأخر العذاب عنهم مع تحقق ما يوجبه غير منقوص حال
مؤكدة من النصيب كقوله تعالى ثم وليتم مدبرين وفائدته رفع توهم التجوز وجعلها مقيدة لم
لدفع احتمال كونه منقوصا في حد نفسه مبني على الذهول عن كون العامل هو التوفية فتأمل
ولقد آتينا موسى الكتاب اي التوراة فاختلف فيه اي في شأنه وكونه من عند الله تعالى فآمن
قوم وكفر به آخرون فلا تبال باختلاف قومك فيما آتيناك من القرآن وقولهم لولا انزل عليه
كنز او جاء معه ملك وزعمهم انك افتريته ولولا كلمة سبقت من ربك وهي كلمة القضاء بانظارهم
الى يوم القيامة على حسب الحكمة الداعية الى ذلك لقضي بينهم اي لاوقع القضاء بين المختلفين من
قومك بانزال العذاب الذي يستحقه المبطلون ليتميزوا به عن المحقين وقيل بين قوم موسى
وليس بذاك وانهم اي كفار قومك اريد به بعض من رجع اليهم ضمير بينهم للامن من الالباس
لفي شك عظيم منه اي من القرآن وان لم يجر له ذكر فان ذكر ايتاء كتاب موسى ووقوع الاختلاف فيه
لا سيما بصدد التسلية ينادي به نداء غير خفي مريب موقع في الريبة وان كلا التنوين عوض من المضاف
اليه اي وان كل المختلفين فيه المؤمنين والكافرين وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع
الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اي جزاء اعمالهم واللام الاولى موطئة للقسم
والثانية جواب للقسم المحذوف ولما مركبة من الجار وما الموصولة او الموصوفة واصلها لمن ما
فقلبت النون ميما للادغام فاجتمع ثلاث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين او لمن خلق
او لخلق فوالله ليوفينهم ربك وقرئ لما بالتخفيف على ان ما مزيدة للفصل بين اللامين
والمعنى ان جميعهم والله ليوفينهم الآية وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله سبحانه اكلا
لما وقرأ ابي وان كل لما ليوفينهم على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به انه بما يعملون
اي بما يعمله كل فرد من المختلفين من الخير والشر خبير بحيث لا يخفى عليه شيء من جلائله ودقائقه
وهو تعليل لما سبق من توفية اجزية اعمالهم فان الاحاطة بتفاصيل اعمال الفريقين وما

يستوجبه كل عمل بمقتضى الحكمة من الجزاء المخصوص يوجب توفيه كل ذي حق حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر فاستقم
كما امرت لما بين في تضاعيف القصص المحكية من الامم الماضية سوء عاقبة الكفر وعصيان الرسل واشير الى
ان حال هؤلاء الكفرة في الكفر والضلال واستحقاق العذاب مثل اولئك المعذبين وان نصيبهم من
العذاب واصل اليهم من غير نقص وان تكذيبهم للقرآن مثل تكذيب قوم موسى عليه السلام للتوراة وانه لو لم
تسبق كلمة القضاء بتأخير عقوبتهم العاجلة ومؤاخذتهم التامة الى يوم القيامة لفعل بهم ما فعل بآبائهم
من قبل وانهم موفون نصيبهم غير منقوص وان كلا من المؤمنين والكافرين يوفى جزاء عمله امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة كما امر بها في العقائد والاعمال المشتركة بينه وبين سائر المؤمنين ولا سيما
الاعمال الخاصة به من تبليغ الاحكام الشرعية والقيام بوظائف النبوة وتحمل اعباء الرسالة بحيث يدخل تحته ما
امر به فيما سبق من قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك الاية وبالجملة فهذا الامر
منتظم لجميع محاسن الاحكام الاصلية والفرعية والكمالات النظرية والعملية والخروج عن عهدته
في غاية ما يكون من الصعوبة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود ومن تاب معك
اي تاب من الشرك والكفر وشاركك في الايمان وهو المعني بالمعية وهو معطوف على المستكن في قوله
فاستقم وحسن من غير تأكيد لمكان الفاصل القائم مقامه وفي الحقيقة هو من عطف الجملة على الجملة اذ
المعنى وليستقم من تاب معك وقيل هو منصوب على انه مفعول معه كما قال ابو البقاء والمعنى استقم مصاحبا
من تاب معك ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم بافراط او تفريط فان كلا طرفي قصد الامور ذميم وانما
سمي ذلك طغيانا وهو تجاوز الحد تغليظا او تغليبا لحال سائر المؤمنين على حاله عليه السلام انه بما تعملون
بصير فيجازيكم على ذلك وهو تعليل للامر والنهي وفي الاية دلالة على وجوب اتباع النصوص عليه من غير
انحراف بمحض الرأي فانه طغيان وضلال واما العمل بمقتضى الاجتهاد التابع لعلل النصوص فذلك من
باب الاستقامة كما امر على موجب النصوص الآمرة بالاجتهاد ولا تركنوا اي لا تميلوا ادنى ميل الى الذين ظلموا
اي الى الذين وجد منهم الظلم في الجملة ومدار النهي هو الظلم والجمع باعتبار جمعية المخاطبين وما قيل من
ان ذلك للمبالغة في النهي من حيث ان كونهم جماعة مظنة الرخصة في مداهنتهم انما يتم لو كان المراد النهي
عن الركون اليهم من حيث انهم جماعة وليس كذلك فتمسكم بسبب ذلك النار واذا كان حال الميل في
الجملة الى من وجد منه ظلم ما في الافضاء الى مساس النار هكذا فما ظنك بمن يميل الى الراسخين في
الظلم والعدوان ميلا عظيما ويتهالك على مصاحبتهم ومنادمتهم ويلقي شراشره على مؤانستهم ومعاشرتهم
ويبتهج بالتزيي بزيهم ويمد عينيه الى زهرتهم الفانية ويغبطهم بما اوتوا من القطوف الدانية وهو في
الحقيقة من الحبة طفيف ومن جناح البعوض خفيف بمعزل من ان يميل اليه القلوب ضعف الطالب والمطلوب
والاية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من
المؤمنين للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الميل الى احد طرفي الافراط والتفريط ظلم على نفسه
او على غيره وقرئ تركنوا على لغة تميم وتركنوا على صيغة البناء للمفعول من اركنه وما لكم من دون الله
من اولياء اي من انصار ينقذونكم منه والجملة نصب على الحالية من قوله فتمسكم النار ونفي
الاولياء ليس بطريق نفي ان يكون لكل واحد منهم اولياء حتى يصدق بان يكون له ولي واحد
لكن بطريق انقسام الآحاد على الآحاد لكن لا على معنى نفي استقلال كل منهم بنصير بل على معنى نفي ان
يكون لواحد منهم نصير بقرينة المقام ثم لا تنصرون من جهة الله سبحانه اذ قد سبق في حكمه

ان يعذبكم بركونكم اليهم ولا يخفى عليكم وعيد لنا ثم لا تنصرون من جهته تعالى بعد ما
اوعدهم بالعذاب واوجبه عليهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفا بمعنى الاستبعاد فان ثم لا بين
ان الله تعالى معذبهم كان عدم نصرته مستبعدا مع انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلوة طرفي النهار
اي غدوه وعشيه وانتصابه على الظرفية لكونه مضافا الى الوقت وزلفا من الليل اي ساعات
منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه جمع زلفة وعطفه على طرفي النهار والمراد بصلوتهما
صلوة الغداة والعصر وقيل الظهر مع العصر لان ما بعد الزوال عشي وبصلوة الزلف المغرب
والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان
الحسنات التي من جملتها بل عمدتها ما امرت به من الصلوة يذهبن السيئات التي قلما يخلو منها البشر
اي يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنب الكبائر وقيل
نزلت في ابي اليسر الانصاري اذ قبل امرأة ثم ندم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما فعل
فقال صلى الله عليه وسلم انتظر امر ربي فلما صلى صلوة العصر قال عليه السلام نعم اذهب فانها كفارة لما
عملت او يمنعن من اقترافها كقوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ذلك اشارة الى
قوله تعالى فاستقم فما بعده وقيل الى القرآن ذكرى للذاكرين اي عظة للمتعظين واصبر
على مشاق ما امرت به في تضاعيف الاوامر السابقة واما ما نهي عنه من الطغيان والركون الى الذين
ظلموا فليس في الانتهاء عنه مشقة فلا وجه لتعميم الصبر له اللهم الا ان يراد به ما لم يكن عادة
خلو النفس عنه من ادنى ميل بحكم الطبيعة من الاستقامة المامور بها ومن ادنى ميل بحكم البشرية
الى من وجد منه ظلم ما فان في الاحتراز عن امثال ذلك من المشقة ما لا يخفى فان الله
لا يضيع اجر المحسنين اي يوفيهم اجور اعمالهم من غير بخس اصلا وانما عبر عن ذلك بنفي الاضاعة
مع ان عدم اعطاء الاجر ليس باضاعة حقيقة كيف لا والاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم
من تخلفه عنها ضياعها لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يمتنع صدوره
عنه سبحانه وتعالى من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه وانما عدل
عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود مع افادة فائدة عامة لكل من يتصف به وهو
تعليل للامر بالصبر وفيه ايماء الى ان الصبر على ما ذكر من باب الاحسان فلولا كان فهلا
كان من القرون الكائنة من قبلكم على راي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته او كائنة من
قبلكم اولوا بقية من الراي والعقل او اولوا فضل وخير وسموا بها لان الرجل انما يستبقي مما
يخرجه عادة اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم
اي من خيارهم ومنه ما قيل في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز ان يكون البقية بمعنى
البقوى كالتقية بمعنى التقوى اي فهلا كان منهم ذووا ابقاء على انفسهم وصيانة لها من
سخط الله تعالى وعقابه ويؤيده انه قرئ اولوا بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا
راقبه وانتظره اي اولوا مراقبة وخشية من عذاب الله كانهم ينتظرون نزوله لاشفاقهم ينهون
عن الفساد في الارض الواقع منهم حسبما حكي عنهم الا قليلا ممن انجينا منهم استثناء
منقطع اي لكن قليلا ممن انجينا منهم لكونهم على تلك الصفة على ان من للبيان لا للتبعيض
لان جميع الناجين ناهون ولا صحة للاتصال على ظاهر الكلام لانه يكون تخصيصا لاولى

البقية على النهي المذكور الا القليل من الناجين منهم كما اذا قلت هلا قرأ قومك القرآن
الا الصلحاء منهم مريدا الاستثناء الصلحاء منهم المحضضين على القراءة نعم يصح ذلك ان جعل
استثناء من النفي اللازم للتحضيض فكانه قيل ما كان من القرون اولوا بقية الا قليلا منهم لكن
الرفع هو الافصح على البدلية واتبع الذين ظلموا بمباشرة الفساد وترك النهي عنه
ما اترفوا فيه اي انعموا من الشهوات واهتموا بتحصيلها اما المباشرون فظاهر واما
المساهلون فلما في ذلك من نيل حظوظهم الفاسدة وقيل المراد بهم تاركوا النهي وانت خبير
بانه يلزم منه عدم دخول مباشري الفساد في الظلم والاجرام عبارة وكانوا مجرمين
اي كافرين فهو بيان لسبب استئصال الامم المهلكة وهو فشو الظلم واتباع الهوى فيهم وشيوع
ترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اي لم ينهوا واتبع
الخ ويكون العدول الى المظهر لادراج المباشرين معهم في الحكم والتسجيل عليهم بالظلم وللاشعار
بعلية ذلك لما حاق بهم من العذاب او استئناف مترتب على قوله الا قليلا اي الا قليلا ممن
انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا من مباشري الفساد وتاركي النهي عنه فيكون
الاظهار مقتضى الظاهر وقوله وكانوا مجرمين عطف على اترفوا اي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين
لان تابع الشهوات مغمور بالآثام او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر او على اتبع اي اتبعوا شهواتهم
وكانوا بذلك الاتباع مجرمين ويجوز ان يكون اعتراضا وتسجيلا عليهم بانهم قوم مجرمون وقرئ
واتبع اي اتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضده تقدم
الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى اي ما صح وما استقام بل استحال في الحكمة
ان يهلك القرى التي اهلكها حسبما بلغك انباؤها ويعلم من ذلك حال باقيها من القرى
الظالمة واللام لتاكيد النفي وقوله تعالى بظلم اي ملتبسا به قيل هو حال من الفاعل اي
ظالما وان التنكير للتفخيم والايذان بان اهلاك المصلحين ظلم عظيم والمراد تنزيه الله تعالى
عن ذلك بالكلية بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى والا فلا ظلم فيما فعله الله
تعالى بعباده كائنا ما كان لما تقرر من قاعدة اهل السنة وقد مر تفصيله في سورة آل
عمران عند قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد وقوله تعالى واهلها مصلحون
حال من المفعول والعامل عامله ولكن باعتبار تعلقه به اذ لا تحالا من فاعله المقيد بظلم
لدلالته على تقييد نفي الاهلاك ظلما بكون اهلها مصلحين ولا ريب في فساده
بل مطلقا عن ذلك وقيل المراد بالظلم الشرك والباء للسببية اي لا يهلك القرى بسبب
اشراك اهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا
اخر وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه تعالى ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق
حقوق العباد الفقراء على حقوق الله الغني الحميد وقيل الملك يبقى مع الشرك ولا يبقى مع
الظلم وانت تدري ان مقام النهي عن المنكرات التي اقبحها الاشراك بالله لا يلايمه فان
الشرك داخل في الفساد في الارض دخولا اوليا ولذلك كان ينهى كل من الرسل الذين
قصت انباؤهم امته اولا عن الاشراك ثم عن سائر المعاصي التي كانوا يتعاطونها فالوجه
حمل الظلم على مطلق الفساد الشامل للشرك وغيره من اصناف المعاصي وحمل الاصلاح على

إصلاحه والإقلاع عنه بكون بعضهم متصدين للنهي عنه وبعضهم متوجهين إلى الاتعاظ غير مصرين على ما
هم عليه من الشرك وغيره من أنواع الفساد ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة
مجتمعة على الحق ودين الإسلام بحيث لا يكاد يختلف فيه أحد ولكن لم يشأ ذلك فلم يكونوا متفقين على الحق
ولا يزالون مختلفين في الحق أي مخالفين له كقوله تعالى وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما
جاءتهم البينات بغياً بينهم إلا من رحم ربك إلا قوماً قد هداهم الله تعالى بفضله إلى الحق فاتفقوا
عليه ولم يختلفوا فيه أي لم يخالفوه وحمله على مطلق الاختلاف الشامل لما يصدر من المحق والمبطل يأباه
الاستثناء المذكور ولذلك أي ولما ذكر من الاختلاف خلقهم أي الذين بقوا بعد الثنيا وهم
المختلفون فاللام للعاقبة أو للترحم فالضمير لمن واللام في معناها أو لهما معاً فالضمير للناس كافة واللام
بمعنى مجازي عام لكلا المعنيين وتمت كلمة ربك أي وعيده أو قوله للملائكة لأملأن
جهنم من الجنة والناس أجمعين أي من عصاتهما أجمعين أو منهما أجمعين لا من أحدهما وكلا
أي وكل نبأ فالتنوين عوض عن المضاف إليه نقص عليك نخبرك به وقوله تعالى من أنباء الرسل
بيان لكلا وقوله تعالى ما نثبت به فؤادك بدل منه والأظهر أن يكون المضاف إليه المحذوف
في كلا المفعول المطلق لنقص أي كل اقتصاص أي كل أسلوب من أساليبه نقص عليك من أنباء
الرسل وقوله سبحانه ما نثبت به فؤادك مفعول لنقص وفائدته التنبيه على أن المقصود بالاقتصاص
زيادة يقينه عليه السلام وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على أداء الرسالة واحتمال أذية الكفار
بالوقوف على تفاصيل أحوال الأمم السالفة وتماديهم في الضلال وما لقي الرسل من جهتهم في مكابدة
المشاق وجاءك في هذه السورة أو الأنباء المقتصة عليك الحق الذي لا محيد عنه وموعظة
وذكرى للمؤمنين أي الجامع بين كونه حقاً في نفسه وكونه موعظة وذكرى للمؤمنين
ولكون الوصف حالاً له في نفسه حلي باللام دون ما هو وصف له بالقياس إلى غيره وتقديم
الظرف أعني في هذه على الفاعل لأن المقصود بيان منافع السورة أو الأنباء المقصوصة
فيها واشتمالها على ما ذكر من المنافع المفصلة لا بيان كون ذلك فيها لا في غيرها ولأن
في تأخير ما حقه التقديم تشويق النفس مترقبة إلى المؤخر فيتمكن فيها عند الورود فضل تمكن
ولأن في المؤخر نوع طول يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم وقل للذين لا يؤمنون
بهذا الحق ولا يتعظون به ولا يتذكرون اعملوا على مكانتكم على حالكم وجهتكم التي
هي عدم الإيمان إنا عاملون على حالنا وهو الإيمان به والاتعاظ والتذكر به وانتظروا
بنا الدوائر إنا منتظرون أن ينزل بكم نحو ما نزل بأمثالكم من الكفرة ولله غيب السموات
والأرض وإليه يرجع الأمر كله فيرجع لا محالة أمرك وأمرهم إليه وقرئ على البناء للفاعل
من رجع رجوعاً فاعبده وتوكل عليه فإنه كافيك والفاء لترتيب الأمر بالعبادة
والتوكل على كون مرجع الأمور كلها إلى الله عز وجل وفي تأخير الأمر بالتوكل عن الأمر بالعبادة
إشعار بأنه لا ينفع دونها وما ربك بغافل عما تعملون فيجازيهم بموجبه وقرئ
تعملون على تغليب المخاطب أي أنت وهم فيجازي كلا منك ومنهم بموجب الاستحقاق عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود أعطي عشر حسنات بعدد من صدق
كل واحد من الأنبياء المذكورين عليهم السلام وبعدد من كذبهم وكان يوم القيمة من السعداء

بفضل الله سبحانه وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الر الكلام فيه وفي محله كما مر بالإشارة والآيات والكتاب في قوله تعالى
تلك آيات الكتاب حسبما سلف في مطلع سورة يونس المبين من أبان بمعنى بان أي الظاهر
أمره في كونه من عند الله تعالى وفي إعجازه بنوعيه لا سيما الإخبار عن الغيب أو الواضح معانيه
للعرب بحيث لا يشتبه عليهم حقائقه ولا تلتبس لديهم دقائقه لنزوله على لغتهم أو بمعنى
بين أي المبين لما فيه من الأحكام والشرائع وخفايا الملك والملكوت وأسرار النشأتين
في الدارين وغير ذلك من الحكم والمعارف والقصص وعلى تقدير كون الكتاب عبارة
عن السورة فإبانته إنباؤه عن قصة يوسف فإنه قد روي أن أحبار اليهود قالوا لرؤساء المشركين
سلوا محمداً صلى الله عليه وسلم لماذا انتقل آل يعقوب عليه السلام من الشام إلى مصر وعن قصة يوسف عليه
السلام ففعلوا ذلك فيكون وصف الكتاب بالإبانة من قبيل براعة الاستهلال لما يأتي
ولما وصف الكتاب بما يدل على الشرف الذاتي عقب ذلك بما يدل على الشرف الإضافي فقيل
إنا أنزلناه أي الكتاب المنعوت بما ذكرنا من النعوت الجليلة فإن كان عبارة عن الكل
وهو اللائق بالأنسب بقوله تعالى قرآناً عربياً إذ هو المشهور بهذا الاسم المعروف بهذا
النعت المتسابق إلى الفهم عند إطلاقهما فالأمر ظاهر وإن جعل عبارة عن السورة فتسميتها
قرآناً لما عرفته فيما سلف في الشرع أن ذلك اسم جنس في الأصل يقع على الكل والبعض كالكتاب
أو لأنه مصدر بمعنى المفعول أي أنزلناه حال كونه مقروءاً بلغتكم لعلكم تعقلون أي
لكي تفهموا معانيه وتحيطوا بما فيه من البدائع خبراً وتطلعوا على أنه خارج عن طوق
البشر منزل من عند خلاق القوى والقدر نحن نقص عليك أي نخبرك ونحدثك
والقصص من قص أثره إذا اتبعه لأن من يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئاً
فشيئاً كما يقال تلا القرآن لأنه يتبع ما حفظ منه آية بعد آية أحسن القصص أي
أحسن الاقتصاص فنصبه على المصدرية وفيه مع بيان الواقع إبهام في اقتصاص أهل الكتاب
من القبح والخلل وترك المفعول إما للاعتماد على انفهامه من قوله عز وجل بما أوحينا
أي بإيحائنا إليك هذا القرآن أي هذه السورة فإن كونها موحاة منبئ عن كون ما في
ضمنها مقصوصاً والتعرض لعنوان قرآنيتها لتحقيق أن الاقتصاص ليس بطريق الإلهام أو
الوحي غير المتلو وإما لظهوره من سؤال المشركين بتلقين علماء اليهود وأحسنيته لأنه
اقتص على أبدع الطرائق الرائعة الرائقة وأعجب الأساليب الفائقة اللائقة كما لا يكاد
يخفى على من طالع القصة من كتب الأولين والآخرين وإن كان لا يميز الغث من السمين ولا
يفرق بين الشمال واليمين وفي كلمة هذا إيماء إلى مغايرة هذا القرآن لما في قوله تعالى
قرآناً عربياً بأن يكون المراد بذلك المجموع فتأمل أو نقص عليك أحسن ما يقص من الأنباء
وهو قصة آل يعقوب عليه السلام على أن القصص فعل بمعنى المفعول كالنبأ والخبر أو مصدر

محرزة المقبولة من الخلقة الصيدية ونصب احسن على المفعولية واحسنيتها لتضمنها من الحكم والعبر
ما لا يخفى كمال حسنه وان كنت ان مخففة من الثقيلة وضمير الشان الواقع اسما لها محذوف
واللام فارقة والجملة خبر والمعنى وان الشان كنت من قبله من قبل ايحائنا اليك هذه
السورة لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل
لكونه موحى والتعبير عن عدم العلم بالغفلة لاجلال شان النبي صلى الله عليه وسلم وان غفل
حتى يعض الغافلين اذ قال يوسف نصب باضمار اذكر وشروع في القصة انجازا للوعد بحسن
الاقتصاص او بدل من احسن القصص على تقدير كونه مفعولا بدل الاشتمال فان اقتصاص
الوقت المشتمل على المقصوص من حيث اشتماله عليه اقتصاص للمقصوص ويوسف اسم عبري
لا عربي لخلوه عن سبب اخر غير التعريف وفتح السين وكسرها على بعض القراءات بناء على التلعب به
لا على انه مضارع بني للمفعول او الفاعل من اسف لشهادة المشهور بعجمته لابيه يعقوب بن
اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وقد روي انه عليه السلام قال الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف
بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم يا ابت اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التانيث لتناسبهما
في الزيادة فلذلك قلبت هاء في الوقف على قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب وكسرها
لانها عوض عن حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القران لانها حركة اصلها او لان الاصل يا ابتا
فحذف الالف وبقي الفتحة وانما لم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم
اجراء لها مجرى الالفاظ المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وعدم تسكينها كاصلها لانها
حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب اني رايت من الرؤيا لا من الرؤية
لقوله لا تقصص رؤياك هذا تاويل رؤياي ولان الظاهر ان وقوع مثل هذا الامر البديع في
عالم الشهادة لا يختص برؤية راء دون راء فيكون طامة كبرى لا تخفى على احد من الناس احد عشر
كوكبا والشمس والقمر روي عن جابر رضي الله عنه ان يهوديا جاء الى الرسول
صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي راهن يوسف عليه السلام فسكت النبي صلى الله
عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام فاخبره بذلك فقال عليه السلام اذا اخبرتك بذلك هل تسلم
قال نعم قال عليه الصلاة والسلام جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق
والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين راها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء
يسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل ابوه
وخالته والكواكب اخوته وانما اخر الشمس والقمر عن الكواكب لاظهار مزيتهما وشرفهما
على سائر الطوالع بعطفهما عليها كما في عطف جبريل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام ويجوز
ان تكون الواو بمعنى مع اي رايت الكواكب مع الشمس والقمر لا يبعد ان يكون ذلك اشارة مع
الى تاخر ملاقاته عليه السلام لهما عن ملاقاته لاخوته وعن وهب ان يوسف عليه السلام راى
وهو ابن سبع سنين ان احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدائرة
واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر
هذا لاخوتك ثم راى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها
على ابيه فقال لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته

اليه اربعون سنة وقيل ثمانون رايتهم لي ساجدين استئناف لبيان حالهم التي راهم عليها
كان سائلا سال فقال كيف رايتهم فاجاب بذلك وانما اجريت مجرى العقلاء في الضمير
بوصف العقلاء اعني السجود وتقديم الجار والمجرور لاظهار العناية والاهتمام بما هو الاهم مع ما
في ضمنه من رعاية الفاصلة قال يا بني صغره للشفقة او لصغر السن [illegible] استئناف
مبني على سؤال من قال فماذا قال يعقوب بعد سماع هذه الرؤيا العجيبة ولما عرف يعقوب عليه السلام
من هذه الرؤيا ان يوسف يبلغه الله تعالى مبلغا جليلا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم
عليه بشرف الدارين كما فعل بابائه الكرام خاف عليه حسد الاخوة وبغيهم فقال صيانة
لهم من ذلك وله من معاناة المشاق ومقاساة الاهوال وان كان واثقا بان الله تعالى
سيحقق ذلك لا محالة وطمعا في حصوله بلا مشقة لا تقصص رؤياك هي ما في المنام كما ان
الرؤية ما في اليقظة فرق بينهما بحرفي التانيث كما في القربة والقربى وحقيقتها ارتسام الصور
المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما
بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني
الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة
ثم اذا كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت
الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه على اخوتك فيكيدوا نصب باضمار ان اي فيفعلوا لك
اي لاجلك ولاهلاكك كيدا متينا راسخا لا تقدر على التفصي عنه او خفيا عن فهمك لا تتصدى
لمدافعته وهذا اوفق بمقام التحذير وان كان يعقوب عليه السلام يعلم انهم ليسوا بقادرين على تحقيق
ما دلت الرؤيا على وقوعه وهذا الاسلوب اكد من ان يقال فيكيدوك كيدا اذ ليس فيه دلالة
على كون نفس الفعل مقصود الايقاع وقد قيل انما جيء باللام لتضمينه معنى الاحتيال المتعدي
باللام ليفيد معنى المضمن والمضمن فيه للتاكيد اي فيحتالوا لك باهلاكك حيلة وكيدا والمراد
باخوته ههنا الذين يخشى غوائلهم ومكايدهم من بني علاته الاحد عشر وهم يهوذا وروبيل وشمعون
ولاوي وريالون ويشجر ودينة بنو يعقوب من ليا بنت خالته وذان ونفتالي وجاد واشر
من سريتين زلفة وبلهة وهؤلاء هم المشار اليهم بالكواكب الاحد عشر واما بنيامين الذي هو شقيق
يوسف عليه السلام وامهما راحيل التي تزوجها يعقوب عليه السلام بعد وفاة اختها ليا او في حياتها
اذ لم يكن جمع الاختين اذ ذاك محرما فليس بداخل تحت هذا النهي اذ لا يتوهم مضرته ولا
يخشى معرته ولم يكن معدودا معهم في الرؤيا اذ لم يكن معهم في السجود ليوسف والمراد نهيه عن
اقتصاص الرؤيا عليهم كلا او بعضا ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر
العداوة فلا يالو جهدا في اغواء اخوتك واضلالهم وحملهم على ما لا خير فيه وهو استئناف
كان يوسف عليه السلام قال كيف يصدر ذلك من اخوتي الناشئين في بيت النبوة فقيل ان
الشيطان يحملهم على ذلك ولما نبهه عليه السلام على ان الرؤيا شانا عظيما يستتبع منافع [illegible]
اتباعها المؤدية الى حسد اخوته بينهما وبين ظهور اثارها فتحصنها [illegible]
شرع في تعبيرها وتاويلها على وجه اجمالي فقال وكذلك اي ومثل ذلك الاجتباء البديع الذي
شاهدت اثاره في عالم المثال من سجود تلك الاجرام العلوية النيرة لك وتحسبه وعلى وفقه

يجتبيك ربك يختارك لجناب كبريائه ويصطفيك من امثالك من اخوته او اعم منه ويصطفيك على اشراف
الخلائق وسراة الناس قاطبة ويبرز مصداق تلك الرؤيا في عالم الشهادة حسبما يجليه من غير
قصور وهذا ايضا من التشبيه بيان لما هاهنا المتحقق بين الصور المرئية في عالم المثال وبين ما تحقق
هي صورة واشباح لها من الكائنات الظاهرة بحسبها في عالم الشهادة اي كما سخر لك تلك الاجرام
العظام ليسخر لك وجوه الناس ونواصيهم مذعنين لطاعتك خاضعين لك على وجه الاستكانة
وزيادة بيان لطاعة ابويه واخوته لك اكتفاء بما الم به حذرا من اذاعته ويعلمك
كلام مستأنف غير داخل تحت التشبيه اراد به عليه السلام تأكيد مقالته وتحقيقها وتوطين نفس يوسف
عليه السلام بما اخبر على طريقة التعبير والتأويل كأنه قال وهو يعلمك من تأويل الاحاديث اي ذلك
الجنس من العلوم او طرفا صالحا منه فتطلع على حقيقة ما اقول ولا يخفى ما فيه من تأكيد ما سبق
والبعث على تلقي ما سيأتي بالقبول والمراد بتأويل الاحاديث تعبير الرؤيا اذ هي احاديث الملك
ان كانت صادقة او احاديث النفس او الشيطان ان لم تكن كذلك والاحاديث اسم جمع للحديث
كاباطيل اسم جمع للباطل لا جمع احدوثة وقيل كأنهم جمعوا حديثا على احدثة ثم جمعوا الجمع على الاحاديث
كقطيع واقطعة واقاطيع وتسمية التعبير تأويلا لانه جعل المرئي آيلا الى ما يذكره المعبر
في التعبير ومرجعا اليه فكأنه عليه السلام اشار بذلك الى ما سيقع من يوسف عليه السلام من تعبيره لرؤيا
صاحبي السجن ورؤيا الملك وكون ذلك ذريعة الى ما يبلغه الله تعالى اليه من الرياسة العظمى التي
عبر عنها باتمام النعمة وانما عرف يعقوب ذلك منه عليه السلام من جهة الرؤيا او ارادكون هذه الخصلة
لظهورها عليه السلام على الاطلاق فيجوز ان يكون معرفته عليه السلام بذلك بطريق الفراسة والاستدلال
من الشواهد والدلائل والامارات والمخايل بان من وفقه الله تعالى لمثل هذه الرؤيا لابد من
توفيقه لتعبيرها وتأويل امثالها وتمييز ما هو آفاقي منها مما هو انفسي كيف لا وهي تدل على كمال
تمكن نفسه عليه السلام في عالم المثال وقوة تصرفاتها فيه فيكون اقبل لفيضان المعارف المتعلقة بذلك
العالم وبما يحاكيه من الامور الواقعة بحسبها في عالم الشهادة واقوى وقوفا على النسب الواقعة
بين الصور المعاينة في احد ذينك العالمين وبين الكائنات الظاهرة على وفقها في العالم
الآخر فان هذا الشأن البديع لابد ان يكون انموذجا لظهور ما يتصف به ومدارا لجريان
احكامه فان لكل نبي من الانبياء عليهم الصلوة والسلام معجزة بها تظهر آثاره وتجري احكامه ويتم
نعمته عليك بان يضم الى النبوة المستفادة من الاجتباء الملك ويجعله تتمة لها وتوسيط
ذكر التعليم المذكور بينهما لكونه من لوازم النبوة والاجتباء ولرعاية ترتيب الوجود الخارجي
وللاشارة الى كونه ذريعة ووسيلة الى تمام النعمة ويجوز ان يعد نفس الرؤيا من نعم الله تعالى
عليه فيكون جميع النعم الواصلة اليه بحسبها مصداقا لها تماما لتلك النعمة وعلى آل يعقوب
وهم اهله من بنيه وغيرهم فان رؤية يوسف عليه السلام اخوته كواكب يهتدى بانوارها من نعم الله تعالى
عليهم لدلالتها على مصيرهم الى النبوة فيقع كل ما يخرج من القوة الى الفعل من كمالاتهم بحسب ذلك
تماما لتلك النعمة لا محالة ولما اريد بتمام النعمة الملك لكونه كذلك بالنسبة اليهم باعتبار انهم
ينتفعون بآثاره من العز والجاه والمال كما اتمها على ابويك نصب على المصدرية اي يتم نعمته
عليك اتماما كائنا كاتمام نعمته على ابويك وهي نعمة الرسالة والنبوة واتمامها على ابرهيم عليه السلام

باتخاذه خليلا وانجائه من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم
وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه وكل ذلك نعم جليلة وقعت تتمة لنعمة النبوة ولا يجب في
تحقيق التشبيه كون ذلك في جانب المشبه به بمثل ما تم في جانب المشبه من كل وجه من قبل
اي من قبل هذا الوقت او من قبلك ابرهيم واسحق عطف بيان لابويك والتعبير عنهما
بالاب مع كونهما ابا جده وابا ابيه للاشعار بكمال ارتباطه بالانبياء الكرام عليهم السلام
وتذكير معنى الولد سر ابيه ليطمئن قلبه بما اخبر به في ضمن التعبير الاجمالي لرؤياه والاقتصار
في المشبه به على ذكر اتمام النعمة من غير تعرض للاجتباء من باب الاكتفاء فان اتمام النعمة يقتضي
سابقة النعمة المستدعية للاجتباء لا محالة ان ربك استئناف لتحقيق مضمون الجمل المذكورة
اي يفعل ما ذكر لانه عليم بكل شيء فيعلم من يستحق الاجتباء وما يترتب عليه من التعليم
المذكور واتمام النعمة العامة على الوجه المذكور حكيم فاعل لكل شيء حسبما يقتضيه الحكمة
والمصلحة فيفعل ما يفعل كما يفعل جريا على سنن علمه وحكمته والتعرض لعنوان الربوبية
في الموضعين لتربية تحقيق وقوع ما ذكر من الافاعيل هذا وقد قيل في تفسير الآية الكريمة
اي وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعزة وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة
والملك او لامور عظام ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعم الآخرة حيث
جعلهم في الدنيا انبياء وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى في الجنة كما اتمها على ابويك
بالرسالة فتأمل والله الهادي لقد كان في يوسف واخوته اي في قصتهم والمراد
بهم هنا اما جميعهم لبيانهم بيان حسن القصة او بنو علات المعدودون فيما سلف اذ
عليهم يدور رحاها آيات علامات عظيمة الشأن دالة على قدرة الله تعالى القاهرة وحكمته
الباهرة للسائلين لكل من سأل عن قصتهم وعرفها او للطالبين للآيات المعتبرين بها
فانهم الواقفون عليها والمنتفعون بها دون من عداهم ممن اندرج تحت قوله تعالى وكأين
من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فالمراد بالقصة نفس المقصوص
او على نبوته صلى الله عليه وسلم للذين سألوه من المشركين او اليهود عن قصتهم فاخبرهم بذلك
على ما هي عليه من غير سماع من احد ولا ممارسة شيء من الكتب فالمراد بها اقتصاصها وجمع الآيات
للاشعار بان اقتصاص كل طائفة من القصة آية بينة كافية في الدلالة على نبوته
صلى الله عليه وسلم على نحو ما ذكر في قوله تعالى مقام ابرهيم على تقدير كونه عطف بيان لقوله تعالى
آيات بينات لا لما قيل من ان لتعدد جهة الاعجاز لفظا ومعنى وقرأ ابن كثير آية وفي بعض المصاحف
عبرة وقيل انما قص الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم خبر يوسف وبغي اخوته عليه لما رأى
من بغي قومه عليه ليتأسى به اذ قالوا ليوسف واخوه اي شقيقه بنيامين وانما لم يذكر باسمه
تلويحا بان مدار المحبة اخوته ليوسف من الطرفين الا يرى الى انهم كيف اكتفوا باخراج
يوسف من البين من غير تعرض له حيث قالوا اقتلوا يوسف الخ احب الى ابينا منا وحد
الخبر مع تعدد المبتدأ لان افعل من كذا لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر
والمؤنث نعم اذا عرف وجب الفرق واذا اضيف جاز الامران واللام لام الابتداء وفي
يوسف تحقيق لمضمون الجملة وتأكيده ونحن عصبة اي والحال انا جماعة قادرون على

احقاء بالمحبة والعصبة والعصابة العشرة من الرجال فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم ان ابانا
في ترجيحهما علينا في المحبة مع فضلنا عليهما وكونهما بمعزل من كفاية الامور بالصغر والقلة لفي ضلال
اي ذهاب عن طريق التعديل اللائق وتنزيل كل منا منزلته مبين ظاهر الحال روي انه كان
احب اليه لما يرى فيه من مخايل الخير وكانت اخوته يحسدونه فلما راى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث
لم يصبر عنه فتضاعف حسدهم حتى حملهم على مباشرة ما قص عنهم اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا من جملة
ما حكي بعد قوله اذ قالوا وقد قاله بعضهم مخاطبا للباقين بقضية المشيئة فكانهم رضوا بذلك
كما يروى ان القايل شمعون او دان والباقون كانوا راضين الا من قال لا تقتلوا الخ فجعلوا
كانهم القايلون واما اسند القول المسند الى الجميع او قاله كل واحد منهم مخاطبا للبقية
وهو ادل على مساعيهم الى ذلك القول وتنكير ارضا واخلاؤها من الوصف للابهام اي ارضا
منكورة مجهولة بعيدة من العمران ولذلك نصبت نصب الظروف المبهمة يخل بالجزم جواب للامر
اي يخلص لكم وجه ابيكم فيقبل عليكم بكليته ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في
محبته احد فذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم وتكونوا بالجزم عطفا على يخل او بالنصب على
اضمار ان والواو بمعنى مع مثل قوله وتكتموا الحق وايثار الخطاب في لكم وما بعده للمبالغة في
حملهم على القبول فان اعتناء المرء بشان نفسه واهتمامه بتحصيل منافعه اتم واكمل من بعده
من بعد يوسف اي من بعد الفراغ من امره او قتله او طرحه قوما صالحين تائبين الى الله تعالى عما
جنيتم او صالحين مع ابيكم باصلاح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في امر دنياكم
بانتظامها بعده بخلو وجه ابيكم قال قائل منهم هو يهوذا وكان احسنهم فيه رايا وهو
الذي قال فلن ابرح الارض الخ وقيل روبيل وهو استيناف مبني على سؤال من سال وقال اتفقوا
على ما عرض عليهم من خصلتي الضيم ام خالفهم في ذلك احد فقيل قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف
اظهره في مقام الاضمار استجلابا لشفقتهم عليه او استعظاما لقتله وهو هو فانه يروى انه قال
لهم القتل عظيم فلم يصرح بنهيهم عن الخصلة الاخرى واحالها على اولوية ما عرضه عليهم بقوله والقوه
في غيابت الجب اي في قعره وغوره سمي بها لغيبته عن عين الناظر والجب البير التي لم تطو بعد لانها
ارض جبت جبا من غير ان يزاد على ذلك شي وقرى نافع في غيابات الجب في الموضعين كان لتلك
الجب غيابات او اراد بالجب الجنس اي في بعض غيابات الجب وقرى غيابات وغيبة يلتقطه
ياخذه على وجه الصيانة عن الضياع والتلف فان الالتقاط اخذ شي مشرف على الضياع بعض
السيارة اي بعض طائفة تسير في الارض واللام في السيارة كما في الجب وفائدتهما وفي البعض من الابهام
لتحقيق ما يتوخاه من ترويج كلامه بموافقته لغرضهم الذي هو تنائي يوسف عنهم بحيث لا يدرى
اثره ولا يروى خبره وقرى تلتقطه على التانيث لان بعض السيارة سيارة كقوله
كما شرقت صدر القناة من الدم ومنه قطعت بعض اصابعه ان كنتم فاعلين بمشورتي
لم يبت القول عليهم بل انما عرض عليهم ذلك تاليفا لقلوبهم وتوجيها لهم الى رايه وحذرا من نسبتهم
له الى التحكم والافتيات اي ان كنتم فاعلين ما ازمعتم عليه من ازالته من عند ابيه لا محالة ولما كان
هذا مظنة لسؤال سائل يقول فما فعلوا بعد ذلك هل قبلوا ذلك منه ام لا اجيب بطريق
الاستيناف على وجه ادرج في تضاعيفه بقولهم لابيهم ما يستحي من قوله واجمعوا ان يجعلوه في غيابت

الجب فقيل قالوا يا ابانا خاطبوه بذلك تحريكا لسلسلة النسب بينه وبينهم وتذكيرا لرابطة
الاخوة بينهم وبين يوسف ليتسببوا بذلك الى استنزاله عليه السلام عن رايه في حفظه منهم لما احس
منهم بامارات الحسد والبغي فكانهم قالوا ما لك اي اي شي لك لا تامنا اي لا تجعلنا امناء على
يوسف مع انك ابونا ونحن بنوك وهو اخونا وانا له لناصحون مريدون له الخير ومشفقون
عليه ليس فينا ما يخل بالنصيحة والمحبة والقراءة المشهورة بالادغام والاشمام وعن نافع بترك
الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام ارسله معنا غدا الى الصحراء يرتع اي يتسع في اكل
الفواكه ونحوها فان الرتع هو الاتساع في الملاذ ويلعب بالاستباق والتناضل ونظائرهما
مما يعد من باب التاهب للغزو وانما عبروا عن ذلك باللعب لكونه على هيئته تحقيقا لما راموه
من استصحاب يوسف عليه السلام بتصويرهم له بصورة ما يلائم حاله عليه السلام وقرى نرتع ونلعب بالنون
وقرا ابن كثير نرتع من ارتعى ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرئ نرتع من ارتع ماشيته
ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء وانا له لحافظون من ان يناله مكروه
اكدوا مقالتهم باصناف التاكيد من ايراد الجملة اسمية وتحليتها بان واللام واسناد الحفظ
الى كلهم وتقديم له على الخبر احتيالا في تحصيل مقصدهم قال استيناف مبني على سؤال من يقول
فماذا قال يعقوب عليه السلام فقيل قال اني ليحزنني اللام للابتداء كما في قوله عز وجل ان ربك
ليحكم بينهم ان تذهبوا به لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه واخاف ان ياكله
الذئب لان الارض كانت مذأبة والحزن الم القلب بفوت المحبوب والخوف انزعاج
النفس لنزول المكروه ولذلك اسند الاول الى الذهاب به المفوت لاستمرار مصاحبته
ومواصلته ليوسف والثاني الى ما يتوقع نزوله من اكل الذئب وقيل راى في المنام ان قد
شد على يوسف عليه السلام ذئب وكان يحذره فقال ذلك وقد لقنهم العلة وفي امثالهم البلاء موكل بالمنطق
وقرا ابن كثير ونافع في رواية اليزيدي بالهمز على الاصل وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة
درجا وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هاجت من كل جانب وقال الاصمعي الامر بالعكس
وهو اظهر لفظا ومعنى وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم
بحفظه قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة اي والحال انا جماعة كثيرة جديرة بان
يعصب بنا الامور العظام وتكفى الخطوب بارائنا وتدبيراتنا واللام الداخلة على الشرط
موطئة للقسم وقوله انا اذا لخاسرون جواب مجزئ عن الجزاء اي انا لهالكون ضعفا وخورا
او عجزا او مستحقون للهلاك اذ لا غناء عندنا ولا جدوى في حياتنا او لمستحقون لان
يدعى علينا بالخسار والدمار ويقال خسرهم الله ودمرهم حيث اكل الذئب بعضهم وهم
حضور وقيل ان لم نقدر على حفظه وهو اعز شي عندنا فقد هلكت مواشينا اذن وخسرنا ها
وانما اقتصروا على جواب خوف يعقوب عليه السلام من اكل الذئب لانه السبب القوي في المنع دون الحزن
لقصر مدته بناء على انهم ياتون به عن قريب فلما ذهبوا به واجمعوا اي عزموا ان يجعلوه
مفعول لاجمعوا يقال اجمع الامر واجمع عليه فاجمعوا امركم ولا يستعمل ذلك الا في الافعال التي
قويت الدواعي الى فعلها في غيابت الجب قيل هي بير بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين
وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام بكنعان التي هي من نواحي الاردن كما انه مدين

كذلك واما ما قيل من انه بير بيت المقدس فيرده التعليل بالتقاط السيارة ومجيئهم اباهم
عشاء ذلك اليوم فان بين منزل يعقوب عليه السلام وبين بيت المقدس مراحل وجواب لما محذوف
ايذانا بظهوره واشعارا بان تفصيله مما لا يحويه فلك العبارة ومجمله فعلوا به من الاذية ما فعلوا
فقد روي انهم لما برزوا الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث
فقال يهوذا اما عاهدتموني ان لا تقتلوه فاتوا به الى البير فتعلق بثيابهم فنزعوها من يديه فدلوه
فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه لما عزموا عليه من تلطيخه بالدم احتيالا لابيه
فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تؤنسك فدلوه
فيها فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البير ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو
يبكي فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه فمنعهم يهوذا وكان يأتيه
بالطعام كل يوم ويحكى ان ابرهيم عليه السلام حين القي في النار جرد عن ثيابه اتاه جبريل عليه السلام
بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابرهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب في تميمة وعلقها
في عنق يوسف فجاءه جبريل عليه السلام فاخرجه من التميمة فالبسه اياه واوحينا اليه عند ذلك
تبشيرا له بما يؤول اليه امره وازالة لوحشته وايناسا له قيل كان ذلك قبل ادراكه كما اوحي
الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك مدركا قال الحسن كان له سبع عشرة سنة
لتنبئنهم بامرهم هذا اي لتتخلصن مما انت فيه من سوء الحال ولتحدثن اخوتك بما فعلوا
بك وهم لا يشعرون بانك يوسف لتباين حاليك حالك هذا وحالك يومئذ لعلو
شانك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن اوهامهم وقيل لبعد العهد المبدل للهيئات المغير
للاشكال والاول ادخل في التسلية روي انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له
منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم
اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان ابوكم يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابة
الجب وقلتم لابيكم اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون
بالايحاء على معنى انا آنسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة التي اورثوه وهم لا يشعرون
بذلك ويحسبون انه مرهق مستوحش لا انيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على انه وعيد لهم
فقوله وهم لا يشعرون متعلق باوحينا لا غير وجاؤا اباهم عشاء اي آخر النهار وقرئ عشيا
وهو تصغير عشي وعشى بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكاء يبكون متباكين
روي انه لما سمع يعقوب عليه السلام بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف
قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي متسابقين في العدو او في الرمي وقد يشترك الافتعال
والتفاعل كالانتضال والتناضل ونظايرهما وتركنا يوسف عند متاعنا اي ما نتمتع به
من الثياب والازواد وغيرهما فاكله الذئب عقيب ذلك من غير مضي زمان يعتاد
فيه التفقد والتعهد وحيث لا يكاد يطرح المتاع عادة الا في مقام يؤمن فيه الغوائل
لم يعد تركه عليه السلام عنده من باب الغفلة وترك الحفظ الملتزم لا سيما اذا لم يتبعدوا
ولم يغيبوا عنه فكانهم قالوا انا لم نقصر في محافظته ولم نغفل عن مراقبته بل تركناه في
مأمننا ومجمعنا بمرأى منا لان ميدان السباق لا يكون عادة الا بحيث يتراءى غاياته وما فارقناه

الا ساعة يسيرة بيننا وبينه مسافة قصيرة فكان ما كان وما انت بمؤمن لنا في هذه المقالة لما انه
عليهم بتقصيرنا في امره ولو كنا عندك وفي اعتقادك صادقين موصوفين بالصدق والثقة
لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا وكلمة لو في امثال هذه المواقع
ليست لتحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال
المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه
ثبوته وانتفاؤه مع غيره من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلأن
يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة
للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وقد مر تفصيله
في سورة البقرة عند قوله تعالى اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وفي سورة الاعراف
عند قوله تعالى اولو كنا كارهين وجاؤا على قميصه محله النصب على الظرفية من قوله بدم
اي جاؤا فوق قميصه بدم كما يقول جاؤا على جماله باحمال او على الحالية منه والخلاف في تقدم
الحال على المجرور فيما اذا لم يكن الحال ظرفا كذب مصدر وصف به الدم مبالغة او مصدر
بمعنى المفعول اي مكذوب فيه او بمعنى ذي كذب اي ملابس للكذب وقرئ كذبا على انه حال
من الضمير اي جاؤا كاذبين او مفعول له وقرأت عايشة رضي الله عنها بالمهملة اي كدر وقيل طري وقال
ابن جني اصله من الكدب وهو الفوف البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث كانه دم قد اثر
في قميصه روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه فلما سمع يعقوب بخبر يوسف عليه السلام
صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم
القميص وقال تالله ما رأيت كاليوم ذيبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل
كان في قميص يوسف عليه السلام ثلث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد
بصيرا ودليلا على براءة يوسف عليه السلام حين قد من دبر قال استينافا مبنيا على سؤال الحكاية قيل
فما قال يعقوب هل صدقهم فيما قالوا ام لا فقيل قال لم يكن ذلك بل سولت لكم انفسكم
اي زينت وسهلت قال ابن عباس رضي الله عنهما والتسويل تقدير شيء في النفس مع الطمع
في اتمامه قال الازهري كان التسويل تفعيل من سول الانسان وهو امنيته التي يطلبها
فتزين لطالبها الباطل وغيره واصله مهموز وقيل من السول وهو الاسترخاء امرا من الامور
منكرا لا يوصف ولا يعرف فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل بي وفي الحديث
الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه اي الى الخلق والا فقد قال يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي
وحزني الى الله وقيل سقط حاجباه على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا فقال
طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب اتشكوني قال يا رب
خطيئة فاغفرها لي وقرئ فصبرا جميلا والله المستعان اي المطلوب منه العون وهو انشاء
منه عليه السلام للاستعانة المستمرة على ما تصفون على اظهار ما تصفون وبيان كونه
كذبا او على احتمال سلامته فانه علم في الكذب قال الله سبحانه سبحان ربك رب العزة عما يصفون
وهذا الاليق بما سيجيء من قوله تعالى فصبر جميل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا وتفسير المستعان
عليه باحتمال ما تصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزية ياباه تكذيبه عليه السلام لهم في ذلك ولا

يساعده الصيغة فانها متعلقة في وصف الشيء بالبيع كالشرى فيه وجاءت شروع في بيان ما
جرى على يوسف في الجب بعد الفراغ عن ذكر ما وقع بين اخوته وبين ابيه والتعبير بالمجيء ليس
بالنسبة الى مكانهم فان كنعان ليس بالجانب الغربي من مدين الى مكان يوسف وفي
اثبات عبارة الورود والاتيان او نحوهما ايماء الى كونه عليه السلام في الكرامة والزلفى عند مليك مقتدر
والظاهر ان الجب كان في الامم المبنا فان المتبادر من المجيء الى السيارة مطلقا في قوله عز
وجل وجاءت سيارة اي رفقة تسير من جهة مدين الى مصر وقوعها باعتبار سيرهم المعتاد هو
الذي يقتضيه قوله تعالى فيما سلف يلتقطه بعض السيارة وقد قيل انه كان في قفرة بعيدة
من العمران لم يكن الا للرعاة فاخطؤا الطريق فنزلوا قريبا منه وقيل كان ماؤه ملحا فعذب
حين القي فيه عليه السلام فارسلوا واردهم الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان ذلك مالك بن
ذعر الخزاعي وانما لم يذكر مستهل الارسال كما لم يذكر مستهى المجيء الى الجب للايذان بان ذلك معهود
لا يحتاج الى الذكر فادلى دلوه اي ارسلها الى الجب ليملأها فتدلى بها
يوسف فخرج قال استئناف مبني على سؤال يقتضيه الحال يا بشرى هذا غلام كانه نادى
البشرى وقال تعالى هذا اوانك حيث فاز بنعمة باهرة اي مكان ما يوجد باحاسن الماء
وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرأ الكوفيون يا بشرى وامال فتحة الراء
حمزة والكسائي وقرأ ورش بين اللفظين وقرئ يا بشري بالادغام وهي لغة وبشراي على
تقدير الوقف واسروه اي اخفاه الوارد واصحابه عن بقية الرفقة وقيل اخفوا امره ووجدانهم
له في الجب وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك
ان يهوذا كان يأتيه كل يوم بطعام فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا
هذا غلامنا ابق منا فاشتروه منهم فسكت يوسف مخافة ان يقتلوه ولا يخفى ما فيه من البعد
بضاعة نصب على الحالية اي اخفوه حال كونه بضاعة اي متاعا للتجارة فانها قطعة من المال
يبضع عنه اي تقطع للتجارة والله عليم بما يعملون وعيد لهم على ما صنعوا من جعلهم مثل
يوسف وهو موعد للايتيان بالبيع والشرى وما دبروه في ذلك من الحيل وشروه اي باعوه
والضمير للوارد واصحابه بثمن بخس زيف ناقص العيار دراهم بدل من ثمن اي لا دنانير
معدودة اي غير موزونة فهو بيان لقلته ونقصانه مقدارا بعد بيان نقصانه في نفسه اذ
المعتاد فيما لا يبلغ اربعين العد دون الوزن نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما انها كانت عشرين درهما
وعن السدي انها كانت اثنين وعشرين درهما وكانوا اي الباعة فيه في يوسف من
الزاهدين من الذين لا يرغبون فيما بايديهم فلذلك باعوه بما ذكر من الثمن البخس
وسبب ذلك انهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به ادنى شيء وانه يخاف ان يظهر له
مستحق فينزعه منه فيبيعه من اول مساوم باوكس ثمن ويجوز ان يكون معنى شروه اشتروه
بناء على ما حكي وهم غير راغبين في شراه خشية ذهاب ما لهم لما ظنوا انه من
الاباق والعدول عن صيغة الافتعال المنبئة عن الاتخاذ لما ان اخذهم انما كان
بطريق البضاعة دون الاجتباء والاختيار وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل
اللام للتعريف وبيان لما زهدوا فيه ان جعلت موصولة كانه قيل في اي شيء زهدوا فقيل

في هذا فيه لان ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذي اشتراه من مصر وهو العزيز
الذي كان على خزائنه واسمه قطفير او اطفير وبيان كونه من مصر لترتيب ما يترتب عليه من الامور مع
الاشعار بكونه غير من اشتراه من الملتقطين بما ذكر من الثمن البخس وكان الملك يومئذ الريان بن
الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف عليه السلام ومات في حياته ثم ملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه
الى الاسلام فابى وقيل كان الملك في ايام فرعون موسى عليه السلام عاش اربعمائة سنة لقوله عز وجل ولقد
جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف عليه السلام والآية من قبيل خطاب
الاولاد باحوال الاباء واختلف في مقدار ما اشتراه به العزيز فقيل بعشرين دينارا وزوج
نعل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه في السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا
وورقا وحريرا فاشتراه قطفير لملك الملك وكان سنه اذ ذاك سبع عشرة سنة واقام
في منزله ثلاث عشرة سنة ولبث في السجن ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاثين
وآتاه الله العلم والحكمة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة
لامرأته راعيل او زليخا وقيل اسمها هو الاول والثاني لقبها واللام متعلقة بقال لا باشتراه
اكرمي مثواه اجعلي محل اقامته كريما مرضيا والمعنى احسني تعهده عسى ان ينفعنا في ضياعنا
واموالنا ونستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا اي نتبناه وكان ذلك لما تفرس فيه من
مخايل الرشد والنجابة ولذلك قيل افرس الناس ثلاثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت
استأجره وابو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما وكذلك نصب على المصدرية وذلك اشارة الى
ما تقدم من كلام العزيز وما فيه من معنى البعد للتفخيم اي مثل ذلك التمكين البديع مكنا ليوسف في الارض
اي جعلنا له فيها مكانا يقال مكنه فيه اي اثبته فيه ومكن له فيه اي جعل له فيه مكانا ولتقاربهما
وتلازمهما يستعمل كل منهما في محل الآخر قال عز وجل وكم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في
الارض ما لم نمكن لكم اي ما لم نمكنكم فيها او مكنا لهم في الارض والمعنى كما جعلنا له مثوى كريما
في منزل العزيز او مكانا عاليا في قلبه حتى امره باكرام مثواه دون سائر حواشيه باكرام مثواه وجعلنا له
مكانا رفيعا في ارض مصر ولعله عبارة عن جعله وجيها فيما بين اهلها ومحببا في قلوبهم كافة كائنا في
قلب العزيز لانه الذي يؤدي الى الغاية المذكورة في قوله تعالى ولنعلمه من تأويل الاحاديث
او نقول بعض تعبير بعض المنامات التي عمدتها رؤيا الملك وصاحبي السجن لقوله تعالى ذلكما مما
علمني ربي فعلناه معطوفا على غاية مقدرة ينساق اليها الكلام ويستدعيها النظام كانه
قيل ومثل ذلك التمكين مكنا ليوسف في الارض وجعلنا قلوب اهلها كافة محال محبته ليترتب عليه
ما يترتب عليه مما جرى بينه وبين امرأة العزيز ولنعلمه بعض تأويل الاحاديث وهو تأويل الرؤيا
المذكورة المؤدي ذلك الى الرياسة العظمى ولعل ترك المعطوف عليه للاشعار بعدم كونه مرادا
بالذات او جعلناه علة لمعلل محذوف كانه قيل ولهذه الحكمة البالغة فعلنا ذلك التمكين دون
غيرها مما ليس له عاقبة حميدة هذا ولا يخفى عليك ان الذي عليه يدور هذه الامور انما هو
التمكين في جانب العزيز واما التمكين في جانب الناس كافة فتأديته الى ذلك انما هي باعتبار اشتماله
على ذلك التمكين فالاحق ان يكون ذلك اشارة الى مصدر قوله تعالى مكنا ليوسف عليه السلام وان
يكون هو عبارة عن التمكين في قلب العزيز او في منزله وكون ذلك تمكينا في الارض بملابسة

انه عن يوسف لا عن تمكينه اذ ليس به كما في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا كما بين في ذلك الثاني
الى مصدر الفعل المذكور بعده لا الى جعل اخر يقصد تشبيه هذا الجعل به فالكاف مقحم للدلالة
على فخامة شان المشار اليه اقحاما لا يكاد يترك في لغة العرب ولا في غيرها ومن ذلك قولهم مثلك
لا يبخل وهكذا ينبغي ان يحقق المقام واما التمكين بمعنى جعله ملكا يتصرف في ارض مصر بالامر
والنهي فهو من اثار ذلك التعليم وتاليه المتفرعة عليه كما عرفته لا من مباديه المؤدية اليه فلا
سبيل الى جعله غاية له ولم يتعهد منه عليه السلام في تضاعيف قضاياه العمل بموجب المنامات
المنبهة على الحوادث قبل وقوعها عهدا مصححا لجعله غاية لولايته وما وقع من التدارك
في امر السنين فانما هو عمل بموجب الرؤيا السابقة المعهودة اللهم الا ان يراد بتعليم تاويل
الاحاديث ما سبق من فهم غوامض اسرار الكتب الالهية ودقائق سنن الانبياء عليهم السلام
فيكون المعنى مكناه في ارض مصر ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه معاني كتب الله تعالى واحكامها
ودقائق سنن الانبياء فيقضي بها فيما بين اهلها والتعليم الاجمالي لتلك المعاني والاحكام
وان كان غير متاخر عن تمكينه بذلك المعنى الا ان تعليم كل معنى شخصي يتفق في ضمن الحوادث
والتنبه الى الحق في كل نازلة من النوازل متاخر عن ذلك صالح لان يكون غاية له والله
غالب على امره لا يستعصي عليه امر ولا ينازعه شيء بل انما امره لشيء اذا اراد ان يقول له كن
فيكون فيدخل في ذلك شؤون المتعلقة بيوسف دخولا اوليا او متولي امر يوسف لا يكله
الى غيره وقد اراد به اخوته ما ارادوا فلم يكن الا ما اراد الله له من العواقب
الحميدة ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كذلك فياتون ويذرون
زعما منهم ان لهم من الامر شيئا وانى لهم ذلك وان الامر كله لله عز وجل او لا يعلمون لطائف صنعه
وخفايا فضله ولما بلغ اشده اي منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين
الى الاربعين وقيل سن الشباب ومبدؤه بلوغ الحلم والاول هو الاظهر لقوله اتيناه حكما حكمة
وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وفقها وعلما اي تفقها في الدين وتنكيرهما
للتفخيم اي حكما وعلما لا يكتنه كنههما ولا يقادر قدرهما وهما اتاه الله تعالى عند تكامل قواه سواء
كانا عبارة عن النبوة والحكمة بين الناس او غيرهما كيف لا وقد جعل اتيانهما جزاء لعمله
عليه السلام حيث قيل وكذلك اي مثل ذلك الجزاء العجيب نجزي المحسنين اي كل من يحسن في
عمله فيجب ان يكون ذلك بعد انقضاء اعماله الحسنة التي من جملتها معاناة الاحزان والشدائد
وقد فسر العلم بعلم تاويل الاحاديث ولا صحة له الا ان يخص بعلم تاويل رؤيا الملك فان
ذلك حيث كان بعد تناهي ايام البلاء ضرورة انه بدايتها ومن جملة الجزاء واما رؤيا صاحبي
السجن فقد نباه عليه السلام بعد تعبيرها في السجن بضع سنين وفي تعليق الجزاء المذكور بالمحسنين
اشعار بعلية الاحسان له وتنبيه على انه سبحانه انما اتاه ما اتاه لكونه محسنا في اعماله متقنا
في عنفوان امره هل جزاء الاحسان الا الاحسان وراودته التي هو في بيتها رجوع
الى شرح ما جرى عليه عليه السلام في منزل العزيز بعدما امر امراته باكرام مثواه وقوله تعالى وكذلك
مكنا ليوسف اعتراض جيء به انموذجا للقصة ليعلم السامع من اول الامر ان ما لقيه عليه السلام
من الفتن التي ستحكى بتفاصيلها له غاية جميلة وعاقبة حميدة وانه عليه السلام محسن

في جميع اعماله لم يصدر منه في حالتي السراء والضراء ما يخل بنزاهته ولا يخفى ان مدار حسن التخلص
الى هذا الاعتراض قبل تمام الاية الكريمة انما هو التمكين البالغ المفهوم من كلام العزيز فادرج
الانجاء السابق تحت الاشارة بذلك في قوله تعالى وكذلك مكنا كما فعله الجمهور نادى من التقريب
فتامل والمراودة المطالبة من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد لطالب
الماء والكلاء وهي مفاعلة من واحد نحو مطالبة الدائن ومماطلة المديون ومداواة الطبيب
ونظائرها مما يكون من احد الجانبين الفعل ومن الاخر سببه فان هذه الافعال وان كانت
صادرة عن احد الجانبين لكن لما كانت اسبابها صادرة عن الجانب الاخر جعلت كانها صادرة
عنها وهذا باب لطيف المسلك مبني على اعتبار دقيق تحقيقه ان سبب الشيء يقام مقامه
ويطلق عليه اسمه كما في قوله كما تدين تدان اي كما تجزي تجزى فان فعل البادي وان لم يكن
جزاء لكنه لكونه سببا للجزاء اطلق عليه اسمه وكذلك ارادة القيام الى الصلاة وارادة
قراءة القران حيث كانتا سببا للقيام والقراءة عبر عنهما بهما فقيل اذا قمتم الى الصلاة واذا
قرات القران وهذه قاعدة مطردة مستمرة ولما كانت اسباب الافعال المذكورة فيما نحن فيه
صادرة عن الجانب المقابل للجانب الفاعل فان مطالبة الدائن للمماطلة التي هي من جانب الغريم
وهي منه للمطالبة التي هي من جانب الدائن وكذا مداواة الطبيب للمرض الذي هو من جانب
المريض وكذلك مراودتها فيما نحن فيه لجمال يوسف عليه السلام نزل صدورها عن محالها منزلة
صدور مسبباتها التي هي تلك الافعال فبني الصيغة على ذلك وروعي جانب الحقيقة
بان اسند الفعل الى الفاعل واوقع على صاحب السبب فتامل ويجوز ان يراد بصيغة المغالبة
مجرد المبالغة وقيل الصيغة على بابها بمعنى انها طلبت منه الفعل وهو منها الترك ويجوز
ان يكون من الرويد وهو الرفق والتمحل وتعديتها بعن لتضمنها معنى المخادعة فالمعنى خادعته
عن نفسه اي فعلت ما يفعل المخادع بصاحبه عن شيء لا يريد اخراجه عن يده وهو يحتال ان
ياخذه منه وهي عبارة عن التمحل في مواقعته اياها والعدول عن التصريح باسمها للمحافظة على
الستر او للاستهجان بذكره وايراد الموصول لتقرير المراودة فان كونه في بيتها مما يدعو الى ذلك
قيل لواحدة ما حملك على ما انت عليه مما لا خير فيه قالت قرب الوساد وطول السواد ولاظهار
كمال نزاهته عليه السلام فان عدم ميله اليها مع دوام مشاهدته لمحاسنها واستعصاءه عليها مع كونه
تحت ملكها ينادي بكونه عليه السلام في اعلى معارج العفة والنزاهة وغلقت الابواب
قيل كانت سبعة ولذلك جاء الفعل بصيغة التفعيل دون الافعال وقيل للمبالغة في الايثاق
والاحكام وقالت هيت لك وقرئ بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبناؤه كبناء اين
وعيط وهيت كجير وهيت كحيث اسم فعل معناه اقبل وبادر واللام للبيان اي لك اقول
هذا كما في هلم لك وقرئ هئت على صيغة الفعل بمعنى تهيات يقال هاء يهيء كجاء يجيء
اذا تهيا وهيت لك واللام صلة للفعل قال معاذ الله اي اعوذ بالله معاذا مما تدعونني
اليه وهذا اجتناب منه على اتم الوجوه واشارة الى التعليل بانه منكر هائل يجب ان
يعاذ بالله تعالى للخلاص منه وما ذلك الا لانه عليه السلام قد شاهده بما اراه الله تعالى من البرهان
النير على ما هو عليه في حد ذاته من غاية القبح ونهاية السوء وقوله عز وجل انه ربي احسن

سوى تعليل للامتناع ببعض الاسباب الخارجية مما عسى يكون مانعا عنه و داعيا لها الى
اعتبار تقيد النية على سبيل التأني الذى لا يكاد يتعلل بما سولت لها نفسها و الصبر الشان
و مدار و صفحه من صغر ادعاء ما هي به المنعة عن ذكره و تأييد لتصدير الجملة بالايذان بفخامة
مضمونها مع ما فيه من زيادة ترغيب في التقوى فان الضمير لا يفهم منه اول الامر الا شان مبهم
خطر فيبقى الذهن مرتقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن فكانه قيل ان الشان الخطير
هذا و هو ربي اى سيدى العزيز احسن مثواى اى احسن تعهدى حيث امرك باكرامي فكيف
يمكن ان اسى اليه بالخيانة في حرمه و فيه ارشادها الى رعاية حق العزيز بالطف وجه و قيل
الضمير للشان و ربى خبره احسن مثواى خبر ثان او هو الخبر و الاول بدل من الضمير و المعنى
ان الحال هذا فكيف اعصيه بارتكاب تلك الفاحشة الكبيرة و فيه تحذيرها عن عقاب
الله عز و جل و على التقديرين في الاقتصار على ذكر هذه الحالة من غير تعرض لاقتضائها الامتناع
عنه تعالى ايذان بان هذه المرتبة من البيان كافية في الدلالة على استحالته و كونه مما لا يدخل
تحت الوقوع اصلا و قوله تعالى انه لا يفلح الظالمون تعليل للامتناع المذكور
عن غير تعليق الفلاح الظفر و قيل البقاء في الخير و معنى افلح دخل فيه كاصبح و امسى و المراد
بالظالمين كل من ظلم كائنا من كان فيدخل في ذلك المجازون للاحسان بالاساءة و العصاة
لامر الله تعالى دخولا اوليا و قيل الزناة لانهم ظالمون لانفسهم و للمزنى باهله و لقد همت به
بمخالطته اذ الهم لا يتعلق بالاعيان اى قصدتها و عزمت عليها عزما جازما لا يلويها عنه صارف
بعد ما باشرت مبادئها و فعلت ما فعلت من المراودة و تغليق الابواب و دعوته عليه السلام الى نفسها
بقولها هيت لك و لعلها تصدت هنالك لافعال اخر من بسط يدها اليه و قصد المعانقة
و غير ذلك مما يضطره عليه السلام الى الهرب نحو الباب و التاكيد لدفع ما عسى من احتمال اقلاعها عما كانت
عليه بما في مقالته عليه السلام من الزواجر و هم بها بمخالطتها اى مال اليها بمقتضى الطبيعة البشرية
و شهوة الشباب و قرمها ميلا جبليا لا يكاد يدخل تحت التكليف لا انه قصدها قصدا اختياريا
الا يرى الى ما سبق من استعصامه المنبئ عن كمال كراهيته له و نفرته عنه و حكمه بعدم افلاح الظالمين
و هل هو الا تسجيل باستحالة صدور الهم منه عليه السلام تسجيلا محكما و انما عبر عنه بالهم لمجرد وقوعه
في صحبة همها في الذكر بطريق المشاكلة لا لشبهه به كما قيل و لقد اشير الى تباينهما حيث لم يلزا
في قرن واحد من التعبير بان قيل و لقد هما بالمخالطة او هم كل منهما بالاخر و صدر الاول بما يقرر وجوده
من التوكيد القسمي و عقب الثاني بما يعفو اثره من قوله عز و جل لولا ان راى برهان ربه
اى حجته الباهرة الدالة على كمال قبح الزنا و سوء سبيله و المراد برؤيته لها كمال ايقانه بها و مشاهدته
لها مشاهدة واصلة الى مرتبة عين اليقين الذى تتجلى هناك حقائق الاشياء بصورها
الحقيقية و تنخلع عن صورها المستعارة التى بها تظهر في هذه النشأة على ما نطق به قوله عليه
السلام حفت الجنة بالمكاره و حفت النار بالشهوات فكان عليه السلام قد شاهد الزنا بموجب ذلك
البرهان النير على ما هو عليه في حد ذاته اقبح ما يكون و اوجب ما يجب ان يحذر منه و لذلك فعل ما
فعل من الاستعصام و الحكم بعدم فلاح من يرتكبه و جواب لولا محذوف يدل عليه الكلام
اى لولا مشاهدته برهان ربه في شأن الزنا لجرى على موجب ميله الجبلي لكنه حيث كان مشاهدا

له من قبل استمر على ما هو عليه من قضية البرهان و فائدة هذه الشرطية بيان ان امتناعه عليه السلام لم
يكن لعدم مساعدة من جهة الطبيعة بل لمحض العفة و النزاهة مع وفور الدواعي الداخلية و ترتب
المقدمات الخارجية الموجبة لظهور الاحكام الطبيعية هذا و قد نص ائمة الصناعة
على ان لولا في امثال هذه المواقع جار من حيث المعنى لا من حيث الصيغة مجرى التقييد للحكم المطلق
كما في مثل قوله تعالى ان كاد ليضلنا عن الهتنا لولا ان صبرنا عليها فلا يتحقق هناك هم اصلا
و قد جوز ان يكون و هم بها جواب لولا جريا على قاعدة الكوفيين في جواز التقديم فالهم حينئذ على معناه
الحقيقي فالمعنى لولا انه قد شاهد برهان ربه لهم بها كما همت به و لكن حيث انتفى عدم المشاهدة
بدليل استمرار الاستعصام و ما يترتب عليه من الثمرات هذا و قد فسر همه عليه السلام بانه حل الهميان و جلس
مجلس الختان و بانه حل تكة سراويله و قعد بين شعبها الاربع و رؤية البرهان بانه سمع صوتا اياك و اياها
فلم يكترث به ثم و ثم الى ان تمثل له يعقوب عليه السلام عاضا على انملته و قيل ضرب على صدره فخرجت
شهوته من انامله و قيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد و لا معصم مكتوب فيها و ان عليكم
لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم راى فيها و لا تقربوا الزنا انه كان فاحشة و ساء سبيلا فلم
ينته ثم راى فيها و اتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فقال الله عز و جل لجبريل عليه السلام ادرك
عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل عليه السلام و هو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء و انت
مكتوب في ديوان الانبياء و قيل راى تمثال العزيز و قيل ان كل ذلك الا خرافات و اباطيل
تمجها الاذان و تردها العقول و الاذهان و يل لمن لاكها و لفقها او سمعها و صدقها كذلك
الكاف منصوب المحل و ذلك اشارة الى الاراءة المدلول عليها بقوله تعالى لولا ان راى برهان
ربه اى مثل ذلك التبصير و التعريف عرفناه برهاننا فيما قبل او الى التثبيت اللازم له اى مثل ذلك
التثبيت ثبتناه لنصرف عنه السوء على الاطلاق فيدخل فيه خيانة السيد دخولا اوليا و الفحشاء و الزنا
لانه مفرط القبح و فيه اية بينة و حجة قاطعة على انه عليه السلام لم يهم بالمعصية و لا توجه اليها قط و الا
لقيل لنصرفه عن السوء و الفحشاء و انما توجه اليه ذلك من خارج فصرفه تعالى عنه بما فيه من
موجبات العفة و العصمة فتامل و قرئ ليصرف على اسناده الى ضمير الرب انه من عبادنا المخلصين
تعليل لما سبق من مضمون الجملة بطريق التحقيق و المخلصون هم الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته
بان عصمهم عما هو قادح فيها و قرئ على صيغة الفاعل و هم الذين اخلصوا دينهم لله سبحانه و على
كلا المعنيين فهو منتظم في سلكهم داخل في زمرتهم من اول امره بقضية الجملة الاسمية لان ذلك حدث
له بعد ان لم يكن كذلك فانحسم مادة احتمال صدور الهم بالسوء منه عليه السلام بالكلية و استبقا
الباب متصل بقوله و لقد همت به و هم بها لولا ان راى برهان ربه و قوله كذلك الى هنا اعتراض
جيء به بين المعطوفين تقريرا لنزاهته عليه السلام كقوله تعالى و كذلك نري ابراهيم ملكوت السموات
و الارض و المعنى و لقد همت به و ابى هو و استبقا اى تسابقا الى الباب البراني الذى هو المخلص
و لذلك وحد بعد الجمع فيما سلف و حذف حرف الجر او اوصل الفعل الى المجرور نحو و اذا كالوهم او ضمن
الاستباق معنى الابتدار و اسناد السبق في ضمن الاستباق اليهما مع ان مرادها مجرد منع يوسف
و لا يوجب الانتهاء الى الباب لانها لما رأته يسرع الى الباب ليتخلص منها اسرعت هي ايضا لتسبقه اليه
و تمنعه من الفتح و الخروج او عبر عن اسراعها اثره بذلك مبالغة و قدت قميصه من دبر اجتذبته

من ورائه فانشق طولا وهو القد كما ان الشق عرضا هو القط وقد قيل في وصف علي كرم الله
وجهه انه كان اذا اعتلى قد واذا اعترض قط واسناد القد اليها خاصة مع ان لقوة يوسف
ايضا دخلا فيه اما لانها الجزء الاخير للعلة التامة واما للايذان بمبالغتها في منعه عن الخروج وبذل
مجهودها في ذلك لفوت المحبوب او لخوف الافتضاح وألفيا سيدها اي صادفا زوجها
وانما لم يقل سيدهما لان ملكه ليوسف عليه السلام لم يكن صحيحا فلم يكن سيدا له قيل الفياه مقبلا وقيل كانا جالسا مع ابن
عم المرأة لدى الباب اي الباب البراني كما روى كعب ان لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط
حتى خرج من الابواب قالت استئناف مبني على سؤال سائل يقول فماذا كان حين ألفيا العزيز
عند الباب فقيل قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا من الزنا ونحوه الا ان يسجن
او عذاب اليم ما نافية اي ليس جزاؤه الا السجن او العذاب الاليم قيل المراد به الضرب بالسياط
او استفهامية اي اي شيء جزاؤه غير ذلك او ذلك ولقد اتت في تلك الحالة التي تدهش فيها الفطن
حيث شاهدها العزيز على تلك الهيئة المريبة بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما تبرئة ساحتها مما يلوح من
ظاهر الحال واستنزال يوسف عن رأيه في استعصائه عليها وعدم مواتاته على مرادها بالقاء
الرعب في قلبه من مكرها طمعا في مواقعته لها كرها عند ياسها عن ذلك اختيارا كما قالت ولئن
لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين ثم انها جعلت صدور الارادة المذكورة عن
يوسف عليه السلام امرا محققا مفروغا عنه غنيا عن الاخبار بوقوعه وان ما هي عليه من الافاعيل
لحقيق حالها متوقعا عنه حسبما تقتضيه قانون الايالة وفي ابهام المريد تهويل لشان
الجزاء المذكور بكونه قانونا مطردا في حق كل احد كائنا من كان وفي ذكر نفسها بعنوان اهلية
العزيز اعظام للخطب واغراء له على تحقيق ما يتوخاه بحكم الغضب والحمية قال استئناف
وجواب عما يقال فماذا قال يوسف عليه السلام فقيل قال هي راودتني عن نفسي اي طالبتني
للمواتاة لا اني اردت بها سوءا كما قالت وانما قاله عليه السلام لتبرئة نفسه عما اسندت اليه من الخيانة
وعدم مواقعتها لسيده فدفع ما عرضته من انه لا بد من احد الامرين وفي التعبير عنها بضمير الغيبة
دون الخطاب او اسم الاشارة مراعاة لحسن الادب مع الايماء الى الاعراض عنها وشهد
شاهد من اهلها قيل هو ابن عمها وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب
وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره وقد جوز ان يكون بعض اهلها قد بصر بها
من حيث لا تشعر فاغضبه الله تعالى ليوسف عليه السلام بالشهادة له والقيام بالحق وانما القى الله الشهادة
الى من هو من اهلها ليكون ادل على نزاهته عليه السلام وانفى للتهمة وقيل كان الشاهد
ابن خالة لها صبيا في المهد انطقه الله تعالى ببراءته وهو الاظهر فانه روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى
عليه السلام رواه الحاكم عن ابي هريرة وقال صحيح على شرط الشيخين وذكر كونه من اهلها لبيان الواقع اذ لا
يختلف الحال في هذه الصورة بين كون الشاهد من اهلها او من غيرهم ان كان قميصه قد من
قبل اي انه علم انه قد من قبل ونظيره ان احسنت الي فقد احسنت اليك فيما
قبل فان معناه ان تعتد باحسانك الي فاعتد باحساني السابق اليك فصدقت بتقدير
قد لانها تقرب الماضي الى الحال اي فقد صدقت وكذا الحال في قوله فكذبت وهو وان لم يصح

بانه عليه السلام اراد بها سوءا الا ان كلامه حيث كان واضح الدلالة على اسناد الصدق والكذب
بذلك الاعتبار فانهما كما يوصف بهما الكلام باعتبار منطوقه يوصف به باعتبار ما يستلزمه
وبذلك الاعتبار يعتريان الانشاءات وهو من الكاذبين وهذه الشرطية حيث
لا ملازمة عقلية ولا عادية بين مقدمها وتاليها ليست من الشهادة في شيء وانما ذكرت توسيعا
للدائرة وارخاء للعنان الى جانب المرأة بايجاب ما عسى يحتمل الحال في الجملة بان يقع القد من قبل
بدافعته عليه السلام لها عن نفسه عند ارادة المخالطة والتكشف بجعلها الظاهر الغالب الوقوع
تقريبا لما هو المقصود باقامة الشهادة اعني مضمون الشرطية الآتية التي هي قوله عز وجل وان
كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين الى التسليم المقبول عند الناس
لكونه اقرب الى الوقوع وادل على المطلوب وان لم يكن بين طرفيها ايضا تلازم وحكاية
الشرطية بعد فعل الشهادة لكونها من قبيل الاقوال او بتقدير القول اي شهد قائلا ان كان الخ وتسميتها
شهادة مع انه لا حكم فيها بالفعل بالصدق والكذب لتأديتها مؤدى الشهادة بل لانها شهادة
على الحقيقة وحكم بصدقه وكذبها اما على تقدير ان الشاهد هو الصبي فظاهر اذ هو اخبار بهما
من قبل علام الغيوب والتعبير بصورة الشرطية للايذان بان ذلك ظاهر من العلامات ايضا وأما
على تقدير كونه غيره فلان الظاهر ان صورة الحال معلومة له على ما هي عليه اما بمشاهدة او باخبار
فهو متيقن بعدم مقدم الشرطية الاولى وبوجود مقدم الشرطية الثانية ومن ضرورة الجزم
بانتفاء التالي الاولى وبوقوع التالي للثانية فاذن هو اخبار بكذبها وصدقه عليه السلام لكنه
ساق شهادته مساق ما هو ابعد من الجرح والطعن حيث صورها بصورة الشرطية المترددة ظاهرا
بين نفعها ونفعه واما حقيقة فلا تردد فيه قطعا لان الشرطية الاولى تعليق لصدقها بما يستحيل وجوده
من قد القميص من قبل لكونه محالا لا محالة ومن ضرورة ترتب كذبه والثانية تعليق لصدقه عليه السلام بامر
محقق الوجود وهو القد من دبر فيكون محققا البتة هذا كما قيل فيمن باللائمة في وجهه حيث
تنسك فقالت لي زوج نكذبه في ذلك فقال ان لم يكن لي زوج فقد فرحت نفسي بقبلة
الرجل فان الازوج لها فهو نكاح اذ تعليق الشيء بما هو محقق لتحققه وقرئ من قبل ومن دبر
بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف للتأنيث
والعلمية وقرئ بسكون العين فلما رأى قميصه قد من دبر كانه لم يكن رأى ذلك بعد ان لم
يدر به فلما تبين له علم حقيقة الحال قال انه اي الامر الذي وقع فيه التشاجر وهو عبارة
عن ارادة السوء التي اسندت الى يوسف وتدبير عقوبته بقولها ما جزاء من اراد باهلك
سوءا الخ لكن لا من حيث صدورها عن يوسف بل من حيث قطع النظر عن ذلك لئلا
يخلو قوله تعالى من كيدكن اي من جنس حيلكن ومكركن ايتها النساء لا من غيركن عن الافادة وتدبير
العقوبة وان لم يكن بحيث هو عن الاضافة اليها الا انها لما صورته بصورة الحق افاد الحكم بكونه من
كيدهن افادة ظاهرة فتأمل والتعميم للتنبيه على ان ذلك خلق لهن عريق او لا تحسبا
هذا لها العهد ويجعل وهو هاهنا سجية لكل واحدة منهن ومنعهن الضمير الى قولها ما جزاء من اراد
باهلك سوءا فقط عدول عن البحث عن اصل ما وقع فيه النزاع من ارادة السوء من هي الى البحث
عن شعبة وجعل الضمير للامر المعبر عنه عن طمعها في يوسف عليه السلام يأباه الخطاب فان الكيد

يستدعي ان تتيقن ذلك هنالك اقوى من قبلكم كما اشير اليه ان كيدكن عظيم فانه الطف واعلق
بالقلب واشد تأثيرا في النفس مع ان بعض العلماء قال انا اخاف من النساء ما لا اخاف من الشيطان
فانه تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم ولان الشيطان
يوسوس مسارقة وهن يواجهن به الرجال يوسف حذف منه حرف النداء لقربه وكمال تفطنه
للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله اعرض عن هذا اي عن هذا الامر وعن التحديث به واكتمه
فقد ظهر صدقك ونزاهتك واستغفري انت يا هذه لذنبك الذي صدر عنك وثبت
عليك انك كنت بسبب ذلك من الخاطئين من جملة القوم المذنبين او من جنسهم يقال
خطئ اذا اذنب متعمدا وهو تعليل للامر بالاستغفار والتذكير لتغليب الذكور على الاناث
وكان العزيز رجلا حليما فاكتفى بهذا القدر من مؤاخذتها وقيل كان قليل الغيرة وقال نسوة
اي جماعة من النساء وكن خمسا امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة
صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي كتأنيث اللمة
وهي اسم لجماعة النساء والنساء وسمي اسم لجماعة الرجال ولذلك لم تلحق فعله تاء التأنيث
في المدينة ظرف لقال اي اشعن الامر في مصر او صفة للنسوة امرأة العزيز اي الملك تريد قطفير
واضفنها الى لقبه ذلك العنوان دون ان يصرحن باسمها او اسمه ليست لقصد المبالغة في اشاعة
الخبر بحكم ان النفوس الى سماع اخبار ذوي الاخطار اميل كما قيل اذ ليس مرادهن تفضيح الرجل
بل هو لقصد الاشاعة في لومها يقولون تراود فتاها اي تطالبه بمواقعته لها وقيل
تطلب منه الفاحشة واثارهن لصيغة المضارع للدلالة على دوام المراودة والفتى من
الناس الشاب واصله فتى لقولهم فتيان والفتوة شاذة وجمعه فتية وفتيان وقد يستعار
للمملوك وهو المراد ههنا وفي الحديث لا يقولن احدكم عبدي وامتي وليقل فتاي وفتاتي
وتعبيرهن عن يوسف عليه السلام بذلك مضافا اليها لا الى العزيز الذي لا يستلزم الاضافة اليه
الهوان بل ... ذلك ... لتشنيع ... لابانة ما بينهما من
التباين البين الناشئ عن الخادمية والمخدومية وكل ذلك لتربية ما مر من المبالغة والاشباع
في اللوم فان من لا زوج لها من النساء او لها زوج دني قد تعذر في مراودة الاخدان لا سيما اذا
كان فيهم علو الجناب واما التي لها زوج واي زوج عزيز مصر فمراودتها لغيره لا سيما لعبدها
الذي لا كفاءة بينها وبينه اصلا وتماديها في ذلك غاية الغي ونهاية الضلال قد شغفها
حبا اي شق حبه شغاف قلبها وهو حجابه او جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب حتى وصل
الى فؤادها وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير اذا هنأه فاحرقه بالقطران وعن الضحاك
عن ابن عباس رضي الله عنهما الشغف الحب القاتل والشعف دون ذلك وكان الشعبي
يقول الشغف حب والشعف جنون وحبا تمييز ... اي حال من فاعل تراود او من مفعوله
... لما كانت فهو تكرير للوم وتأكيد للعذل ببيان اختلال احوالها القلبية كاحوالها
القالبية وجعلها تعليلا لدوام المراودة من حيث ان الانهماك مصير الى الاستدلال على الاجلى
بالاخفى ومن حيث اللمس ميل الى تمهيد العذر قبلها وليس بذلك المقام واسقاط
جاء على التمييز لنقله عن الفاعلية اذ الاصل قد شغفها حبه كما اشير اليه انا لنراها اي نعلمها

عيانا كما للمشاهدة والعيان فيما صنعت من المراودة والمحبة المفرطة مستغرقة في ضلال عن
طريق الرشد والصواب اي سنن العقل مبين واضح لا يخفى كونه ضلالا على احد او مظهر لامرها
فيما بين الناس فالجملة مقررة لمضمون الجملتين السابقتين المسبوقتين للوم والتشنيع وتسجيل
عليها بانها في امرها على خطأ عظيم وانما لم يقلن انها لفي ضلال مبين اشعارا بان ذلك الحكم
غير صادر عنهن مجازفة بل عن علم ورأي مع التلويح بانهن متنزهات عن امثال ما هي عليه
فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وسوء قالتهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها
الكنعاني وهو مقتها وتسميته مكرا لكونه خفية منهن كمكر الماكر وقيل كانت اطلعتهن على
امرها واستكتمتهن فافشينه عليها وقيل انما قلن ذلك لتريهن يوسف عليه السلام ارسلت
اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين امرأة منهن الخمس المذكورات واعتدت اي احضرت
وهيأت لهن متكأ اي ما يتكئن عليه من النمارق والوسائد او دعتهن الى مجلس طعام
وشراب لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهي
الرجل ان يأكل متكئا وقيل متكأ طعاما من قولهم اتكأنا عند فلان اي طعمنا قال جميل
فظللنا بنعمة واتكأنا ۝ وشربنا الحلال من قلله ۝ وعن مجاهد متكأ طعاما يحز حزا كان المعنى
يعتمد بالسكين عند القطع لان القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين وقرئ بحذف الهمزة وقرئ باشباع
الحركة كمنتزاح في منتزح ومتكا وهو الاترج قال الشاعر
واهدت متكة لبني ابيها ۝ تخب بها العثمثمة الوقاح ۝ او ما يقطع من متك الشيء اذا بتكه ومتكا
من متك اذا بتك وآتت كل واحدة منهن سكينا لتستعملها في قطع ما يعهد قطعه مما قدم
بين ايديهن وقرب اليهن من اللحوم والفواكه ونحوها وهن متكآت وغرضها من ذلك
ما سيقع من تقطيع ايديهن وقالت ليوسف وهن مشغولات بمعالجة السكاكين واعمالها
فيما بايديهن من الفواكه واضرابها والعطف بالواو ربما يشير الى عدم ... اخرج عليهن اي
ابرز لهن ولم يكن عقيب ترتيب امورهن ليتم غرضها من استغفالهن فلما رأينه عطف على
مقدر يستدعيه الامر بالخروج وينسحب عليه الكلام اي فخرج عليهن فرأينه وانما حذف
تحقيقا لمفاجأة رؤيتهن كانها تفوت عند ذكر خروجه عليهن كما حذف لتحقيق السرعة
في قوله عز وجل فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك وفيه
ايذان بسرعة امتثاله عليه السلام لامرها فيما لا يشاهد مضرة من الافاعيل اكبرنه عظمنه وهبن
حسنه الفائق وجماله الرائق فان فضل جماله على جمال كل جميل كان كفضل القمر ليلة البدر على
سائر الكواكب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر
وقيل كان يرى تلألؤ وجهه في الجدران كما يرى نور الشمس على الماء وقيل معنى اكبرن حضن
والهاء للسكت او ضمير راجع الى يوسف عليه السلام على حذف اللام اي حضن له من شدة الشبق كما
قال المتنبي خف الله واستر ذا الجمال ببرقع ۝ فان لحت حاضت في الخدور العواتق ۝ وقطعن
ايديهن اي جرحنها بما في ايديهن من السكاكين لفرط دهشتهن وخروج حركات جوارحهن
عن منهاج الاختيار والاعتياد حتى لم يعلمن ما عملن وفي التعبير عن الجرح بالقطع ما لا يخفى
من الدلالة على كثرة جرحهن ومع ذلك لم يبالين بذلك ولم يشعرن به وقلن حاش لله

تنزيها لله سبحانه عن صفات العجز والتعجب من قدرته على مثل ذلك الصنع البديع واصله حاشا كما قرأه ابو عمرو
في الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فلا يستثنى به
الا ما يكون مستحقا للتنزيه فوضع موضعه نفى حاشا الله تنزيه الله وبراءة الله وسمى قراءة ابن مسعود واللام
لبيان المنزه فانها كما في سقيا لك والدليل على وضعه موضع المصدر قراءة ابي السمال حاشا بالتنوين … آه
الى غير حذف الالف الاخيرة وقراءة الاعمش بحذف الالف الاولى فان الحرف ليس من خصائص الاسم فيدل على تنزيله منزلته
وعدم التنوين لمراعاة اصله كما في قولك جلست من عن يمينه وقوله عدت من عليه … بقلب الالف الى الياء
مع الضمير وعجبات … بسكون الشين اتباعا للفتحة الالف في الاسقاط … حاشا لله فيل حاشا فاعل
من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اي صار في ناحية من ان يقارف ما رميته به اي
لطاعته او لمكانه … لاجل الله ما هذا بشرا على اعمال ما عمل ليس وهي لغة اهل الحجاز
لمشاركتها في نفي الحال … على الخبر … اي … بشري … هذه البشرية لما شاهدن
فيه من الجمال … الذي لم يعهد مثله في البشر … على الملكية بقولهن ان هذا الا ملك
كريم بناء على ما ركز في العقول من ان لا احسن من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان
ولذلك لا يزال يشبه بهما كل متناه في الحسن والقبح … باقصى مراتب الحسن والجمال
قالت فذلكن الذي … والخطاب للنسوة والاشارة الى يوسف بالعنوان الذي … به
الا ان … في الحسن والجمال عن المراتب البشرية والاقتصار على الملكية فاسم الاشارة مبتدأ والموصول
خبره والمعنى ان كان … فذلكن … الملك الكريم الثاني عن المراتب البشرية هو الذي
لمتنني فيه اي … في الافتتان به حيث … الى العبد … بكونه
من المماليك … بالعنوان الذي وصفته به فيما سبق بقولهن امرأة العزيز تراود فتاها
الكنعاني … فهو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتنه في انفسكن وقلتن
فيه … فالان … ولكن … لم تتصورنه بحق صورته
ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به … المقام … وتمهيد
تمهيد … على ما صدر عنهن من اللوم … ذلك … عليه بما
ذكرنا المقال … ظهور معذرتها وقد قيل في تعليل الملكية ان الجمع بين الجمال الرائق
والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملكية … ايلام … فذلكن الذي لمتنني فيه
فان عنوان العصمة … عليهن الحجة واوضحت لديهن عذرها
وقد اصابهن … فقالت ولقد راودته عن نفسه
حسبما قلتن وسمعتن فاستعصم امتنع طالبا للعصمة … على الامتناع
البليغ والتحفظ الشديد كأنه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها كما في استمسك واستجمع
الرأي … لم يصدر عنه … الله
… ثم … بذلك
…
ولئن لم يفعل
ما آمره … لم يفعل … واوصل الفعل الى الضمير كما في امرتك

الى فالضمير للموصول او امري اياه اي موجب امري ومقتضاه فما مصدرية والضمير ليوسف عليه السلام
وحذفت من ما وذكرتها بالامر اظهارا للجرأة وحكمها عليه واقتضاء الامتثال بامرها ليسجنن
بالنون المثقلة وفي بناء الفعل للمفعول جريا على رسم الملوك وايذانا بالسرعة ترتب ذلك على
عدم امتثاله لامرها كانه لا يدخل بينهما فعل فاعل وليكونا بالمخففة من الصاغرين اي
الاذلاء في السجن وقد ترى الفعلان بالتثقيل ولكن المشهورة اولى لان النون كتبت في
المصحف الفا على حكم الوقف واللام الداخلة على حرف الشرط موطئة للقسم وجوابه ساد مسد
الجوابين وقد تعلقت بهذا الوعيد المطوي على فنون التأكيد بحضرتهن ليعلم يوسف انها ليست
في امرها على خفية ولا خيفة من احد فيضيق عليه الحيل ويتحقق … الى
موافقتها … هذا الابراق والارعاد منها مظنة لسؤال سائل يقول فما صنع يوسف عليه السلام
في قبل قال مناجيا لربه … رب السجن الذي اوعدتني بالالقاء فيه …
يتقرب بالفتح على المصدر احب الي مما يدعونني عندي لانه مشقة قليلة نافذة اثرها راحات
جليلة ابدية مما يدعونني اليه من مواتاتها التي تؤدي الى الشقاء والعذاب الاليم وهذا
الكلام منه عليه السلام مبني على ما مر من انكشاف الحقائق لديه وبروز كل منها بصورتها اللائقة
بها فصيغة التفضيل ليست على بابها اذ ليس له شائبة محبة لما دعته اليه وانما هو والسجن …
اهونهما واقربهما الى الايثار والسجن والتعبير عن الايثار بالمحبة لحسم مادة طمعها عن المساعدة
خوفا من الحبس والاقتصار على ذكر السجن لان الصغار من فروعه ومستتبعاته واسناد الدعوة
اليهن جميعا لان النسوة رغبنه في مطاوعتها وخوفنه من مخالفتها وقيل دعونه الى انفسهن
وقيل انما ابتلي عليه السلام بالسجن لقوله هذا وكان الاولى به ان يسأل الله تعالى العافية ولذلك
رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل الصبر والا تصرف اي ان لم تصرف عني كيدهن
في تحبيب ذلك الي وتحسينه لدي بان تثبتني على ما انا عليه من العصمة والعفة اصب اليهن
اي امل الى اجابتهن او الى انفسهن على قضية الطبيعة وحكم القوة الشهوية وهذا فزع منه
عليه السلام الى الطاف الله تعالى جريا على سنن الانبياء والصالحين في قصر نيل الخيرات
والنجاة عن الشرور على جناب الله عز وجل وسلب القوى والقدر عن انفسهم ومبالغة
في استدعاء لطفه في صرف كيدهن باظهار ان لا طاقة له بالمدافعة كقول المستغيث ادركني
والا هلكت لا انه يطلب الاجبار والالجاء الى العصمة والعفة وفي نفسه داعية تدعوه
الى هواهن والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها
وروحها وقرئ اصب اليهن من الصبابة وهي رقة الشوق واكن من الجاهلين اي
الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو والجاهل سواء او من السفهاء بارتكاب ما
يدعونني اليه من القبائح لان الحكيم لا يفعل القبيح فاستجاب له ربه دعاءه الذي تضمنه قوله
والا تصرف عني كيدهن الخ فان فيه استدعاء لصرف كيدهن على ابلغ وجه وان الطفه كما مر
… والاستجابة الى الرب … اليه عليه السلام ما لا يخفى من اظهار اللطف فصرف عنه
كيدهن حسب دعائه وثبته على العصمة والعفة انه هو السميع لدعاء المتضرعين اليه
العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم اي ظهر للعزيز واصحابه المتصدين للحل والعقد ريثما

اكتفوا بامر يوسف بالكتمان والاعراض عن ذلك من بعد ما راوا الآيات الصادقة لهم عن ذلك البدو
وهي الشواهد الدالة على براءته عليه السلام وفاعل بدا ما ضمير ان الدال عليه قوله من البداء اما المصدر
المدلول عليه بقوله ليسجننه والمعنى بدا لهم بدا اى راى او سجنه المحتوم قائلين والله ليسجننه فاللام
الموطئة للقسم وجوابه معمول للقول المقدر حالا من ضميرهم وما كان ذلك البداء الا باستنزال المراة
لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب وكان مطاوعا لها وقرونا حيث شاءت قال
السدي انها قالت للعزيز ان هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس يخبرهم باني راودته عن نفسه
فاما ان تاذن لي فاخرج فاعتذر الى الناس واما ان تحبسه فحبسه ولقد ارادت بذلك تحقيق
وعيدها لتلين به عريكته وينقاد لها ويحسب لما انصرمت حبال رجائها عن استتباعه بعرض الجمال
والترغيب بنفسها وباعوانها وقرئ لتسجننه على صيغة الخطاب بان خاطب بعضهم العزيز ومن
يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم او خاطب به العزيز ومن عنده من اصحاب الراي المباشر
للسجن والحبس حتى حين الى حين انقطاع قالة الناس وهذا بادي الراي عند العزيز وذويه
واما عندها فحتى يذلله السجن ويسخره لها ويحسب الناس انه المجرم وقرئ عتى حين بلغة هذيل
ودخل معه اي في صحبته السجن فتيان من فتيان الملك مملوكان له احدهما شرابيه والآخر
خبازه روي ان جماعة من اهل مصر ضمنوا لهما مالا ليسما الملك في طعامه وشرابه فاجاباهم الى ذلك
ثم ان الساقي نكل عن ذلك ومضى عليه الخباز فسم الخبز فلما حضر الطعام قال الساقي لا تاكل ايها
الملك فان الخبز مسموم وقال الخباز لا تشرب ايها الملك فان الشراب مسموم فقال الملك
للساقي اشرب فشربه فلم يضره وقال للخباز كل فابى فجرب بدابة فهلكت فامر بحبسهما فاتفق ان
ادخلاه معه وتاخير الفاعل عن المفعول لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى
المؤخر ليتمكن عند النفس حين وروده عليها فضل تمكن ونظيره تقديم الظرف على المفعول الصريح
في قوله تعالى فاوجس في نفسه خيفة موسى وتاخير السجن عن الظرف لايهام الحكم ان يكون الظرف
خبرا مقدما والمبتدا نكرة تكون الجملة من فاعل دخل فتامل قال احدهما استئناف مبني على سؤال
من يقول فما صنعا بعد ما دخلا معه السجن فاجيب بانه قال احدهما وهو الشرابي اني اراني اي
رايتني والتعبير بالمضارع لاستحضار الصورة الماضية اعصر خمرا اي عنبا سماه بما يؤول اليه لكونه
المقصود من العصر وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود اعصر عنبا وقال
الآخر وهو الخباز اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاخير المفعول عن الظرف لما مر انفا
وقوله تاكل الطير منه اي تنهش منه صفة للخبز او استئناف مبني على السؤال نبئنا بتاويله
بتاويل ما ذكر من الرؤييين او ما روي باجراء الضمير مجرى ذلك بطريق الاستعارة فان اسم
الاشارة يشار به الى متعدد كما في قوله فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق
اي كان ذلك والسر في المصير الى اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة مع انه لا حاجة اليه بعد تاويل
المرجع بما ذكر فبيان الحال ان الضمير انما يتعرض لنفس المرجع من حيث هو من غير تعرض لحال من احواله
فلا يتعين تاويله باحد الاعتبارين الا باجرائه مجرى اسم الاشارة الذي يدل على المشار اليه بالاعتبار
الذي جرى عليه في الكلام فتامل هذا اذا قالاه معا او قاله احدهما من جهتهما معا واما اذا
قاله كل منهما اثر ما قص ما راه فالخطاب المذكور ليس عبارة عنهما بل عبارة احدهما من جهتهما

ليتعدد

ليتعدد المرجع بل عبارة كل منهما نبئني بتاويله مستفسرا لما راه وصيغة المتكلم مع الغير واقعة في
الحكاية دون المحكي على طريقة قوله عز وجل يا ايها الرسل كلوا من الطيبات فانهم لم يخاطبوا بذلك
دفعة بل خوطب كل منهم في زمانه بصيغة مفردة خاصة به انا نراك تعليل لعرض رؤياهما عليه
واستفسارهما منه عليه السلام من المحسنين من الذين يحسنون عبارة الرؤيا لما رأياه يقص
عليه بعض اهل السجن رؤياه فياوّل لهم تاويلا حسنا او من العلماء لما سمعاه يذكر للناس ما يدل
على علمه وفضله او من المحسنين الى اهل السجن اي فاحسن الينا بكشف غمتنا ان كنت قادرا
على ذلك روي انه عليه السلام كان اذا مرض منهم رجل قام عليه واذا ضاق مكانه اوسع له
واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم
فجعل يقول ابشروا اصبروا تؤجروا فقالوا بارك الله عليك ما احسن وجهك وما
احسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب
بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني
احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن شئت وعن الشعبي انهما تحالما ليمتحناه فقال
الشرابي اراني في بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها
في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اني اراني وفوق راسي ثلاث سلال فيها انواع الاطعمة فاذا
سباع الطير تنهش منها قال لا ياتيكما طعام ترزقانه في منامكما هذا حسب عادتكما المطردة الا
نبأتكما بتاويله استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا ياتيكما طعام في حال من الاحوال الا حال
ما نباتكما بان بينت لكما ماهيته وكيفيته وسائر احواله قبل ان ياتيكما واطلاق
التاويل عليه اما بطريق الاستعارة فان ذلك بالنسبة الى مطلق الطعام المبهم بمنزلة التاويل بالنظر
الى ما يرى في المنام وشبيه له واما بطريق المشاكلة حسبما وقع في عبارتهما من قولهما نبئنا
بتاويله ولا يبعد ان يراد بالتاويل الشيء الآيل لا المآل فانه في الاصل جعل شيء آيلا الى شيء آخر
فكما يجوز ان يراد به المآل يجوز ان يراد به الآيل فالمعنى لا ياتيكما بما يؤول اليه الكلام والحال
المطابق للواقع وقد كان عليه السلام يقول لهما اليوم ياتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كذلك
ومراده عليه السلام بذلك بيان كل ما يهمهما من الامور المترقبة قبل وقوعها وانما تخصيص الطعام
بالذكر لكونه عريقا في ذلك بحسب الحال مع ما فيه من مراعاة حسن التخلص اليه مما استدعاه
من الرؤييين المتعلقتين بالشراب والطعام وقد حمل الضمير فيه على الرؤييين على معنى لا ياتيكما
طعام ترزقانه حسب عادتكما الا اخبرتكما بتاويلهما وقصصتهما عليكما قبل ان ياتيكما ذلك الطعام
الموقت تعجيلا لتاويلهما مرادا به الايعاد بالاستعجال في التنبيه وانت خبير بان النظم الكريم ظاهر في
تعدد اتيان الطعام والاخبار بالتاويل وتجددهما وان المقام مقام اظهار فضله في فنون
العلوم بحيث يدخل في ذلك تاويل رؤياهما دخولا اوليا وانما لم يكتف عليه السلام بتاويل رؤياهما
مع ان فيه دلالة على فضله لانه لما انباه عليه السلام بالانتظام في سلك المحسنين وانهما قد علما ذلك
حيث قالا انا نراك من المحسنين توسم عليه السلام فيهما خيرا وتوجههما الى قبول الحق فاراد ان يخرج اثر
ذي اثير ما في عهدته من دعوة الخلق الى الحق فمهد قبل الخوض في ذلك مقدمة تزيدهما علما
بعظم شانه وثقة بامره وتوقفا على علو طبقته في بدائع العلوم توسلا بذلك الى تحقيق ما يتوخاه

ومتطلعا اليه من كلامهما فكانه قال تأويلهما فقصصتاه على وفق التمام حيث انبأتكما لرؤية
المنام وانى ابين لكما كل جليل ودقيق من الامور المستقبلة وان لم يكن هناك مقدمة
المنام حتى ان الطعام الموظف الذى يأتيكما كل يوم انبئكما ببيان ماهيته ثم اخبرهما بان علم
ذلك ليس من قبيل علوم الكهنة والعرافين بل هو فضل الهى يؤتيه من يشاء ممن يصطفيه
للنبوة فقال ذلكما اى ذلك التأويل والاخبار بالمغيبات ومعنى البعد فى ذلك للاشارة
الى علو درجته وبعد منزلته مما علمنى ربى بالوحى والالهام اى بعض منه او من ذلك الجنس الذى
لا يحوم حوله ادراك العقول ولقد دلهما بذلك على ان له علوما جمة ما سمعاه قطعة من جملتها
وشعبة من دوحتها ثم بين ان نيل تلك الكرامة بسبب اتباعه ملة آبائه الانبياء العظام وامتناعه
عن الشرك فقال انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهو استئناف وقع جوابا
عن سؤال نشأ من قوله ذلكما مما علمنى ربى وتعليلا له لا للتعلم الواقع صلة للموصول لادائه
بمعنى انما علمنى ربى لهذا السبب دون غيره ولا الصق بالجملة الخبرية لان ما ذكر بصدد التعليل
ليس بعلة لكون التأويل المذكور بعضا مما علمه ربه او لكونه من جنسه بل لتعليم ما علم
فكانه قيل لماذا علمك ربك تلك العلوم البديعة فقيل لانى تركت ملة الكفرة اى دينهم الذى
اجمعوا عليه من الشرك وعبادة الاوثان والمراد بتركها الامتناع عنها رأسا كما يفصح عنه
قوله ما كان لنا ان نشرك بالله من شئ لا انه كان متلبسا بها ثم تركها [illegible] لكن
ادخل بحسب الظاهر فى اقتدائهما به عليه السلام والتعبير عن كفرهم بالله تعالى بسلب الايمان به
للتنصيص على ان عبادتهم له تعالى مع عبادة الاوثان ليست بايمان به تعالى كما هو زعمهم الباطل
[illegible] فى قوله تعالى [illegible] وهم بالآخرة وما فيها من الجزاء هم كافرون
الخصوص دون غيرهم لافراطهم فى الكفر واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب يعنى انه انما
حاز هذه الكمالات وفاز بتلك الكرامات بسبب انه اتبع ملة آبائه الكرام ولم يتبع ملة قوم
كفروا بالمبدأ والمعاد وانما قاله عليه السلام ترغيبا لصاحبيه فى الايمان والتوحيد وتنفيرا
لهما عما كانا عليه من الشرك والضلال وقدم ذكر تركه لملتهم على ذكر اتباعه لملة آبائه لان
التخلية مقدمة على التحلية ما كان لنا اى ما صح وما استقام فضلا عن الوقوع لنا معشر الانبياء
لقوة نفوسنا ووفور علومنا ان نشرك بالله من شئ اى شئ كان من ملك او جنى او انسى
فضلا عن الجماد البحت ذلك اى التوحيد المدلول عليه بقوله ما كان لنا ان نشرك بالله
من شئ من فضل الله علينا اى ناشئ من تأييده لنا بالنبوة وترشيحه ايانا لقيادة
الامة وهدايتهم الى الحق وذلك مع كونه من موجبات التوحيد ودواعيه فى حد ذاته
فضل عظيم علينا بالذات وعلى الناس كافة بواسطتنا وحيث عبر عن ذلك بذلك
العنوان جرى عن التوحيد الذى يوجبه بالشكر فقيل ولكن اكثر الناس لا يشكرون
اى لا يوحدون فان التوحيد مع كونه من آثار ما ذكر من التأييد شكر لله عز وجل على تلك
النعمة وانما وضع الظاهر موضع الضمير الراجع الى الناس لزيادة توضيح وبيان ولقطع توهم
رجوعه الى المجموع الموهم لعدم اختصاص غير الشاكر بالناس وقيل ذلك التوحيد من فضل الله
علينا حيث نصب لنا ادلة ننظر فيها ونستدل بها على الحق وقد نصب مثل تلك الادلة لسائر

الناس ايضا ولكن اكثرهم لا ينظرون ولا يستدلون بها اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين
غير شاكرين ولك ان تقول ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث اعطانا عقولا ومشاعر
نستعملها فى دلائل التوحيد التى مهدها فى الانفس والآفاق وقد اعطى سائر الناس ايضا
مثلها ولكن اكثرهم لا يشكرون اى لا يصرفون تلك القوى والمشاعر الى ما خلقت هى له
ولا يستعملونها فى ذكرنا من ادلة التوحيد الآفاقية والانفسية والعقلية والنقلية يا صاحبى
السجن اى يا صاحبىّ فى السجن كما تقول يا سارق الليلة [illegible] بعنوان الصحبة فى مدار الاشجان
ودار الاحزان التى تصفو فيها المودة وتخلص النصيحة ليقبلا عليه ويقبلا مقالته وقد
ضرب لهما مثلا يتضح به الحق عندهما حق اتضاح فقال أأرباب [illegible] لا ارتباط
بينهم ولا اتفاق يستعبدكما كل منهم حسبما اراد غير ناظر للآخرين مع عدم استقلاله خير لكما ام الله
المعبود بالحق الواحد المتفرد بالالوهية القهار الغالب الذى لا يغالبه احد وبعد ما بين لهما فساد تعدد
الارباب بين لهما سقوط آلهتهما عن درجة الاعتبار رأسا فضلا عن الالوهية فقال معمما للخطاب لهما ولمن
على دينهما ما تعبدون من دونه اى من دون الله الا اسماء فارغة لا مطابق لها فى الخارج لان
ما ليس فيه مصداق اطلاق الاسم عليه لا وجود له اصلا فكانت عبادتهم لتلك الاسماء فقط سميتموها
جعلتموها اسماء وانما لم يذكر المسميات تربية لما يقتضيه المقام من اسقاطها عن مرتبة الوجود
وايذانا بان تسميتهم فى البطلان حيث كانت بلا مسمى كعبادتهم حيث كانت بلا معبود انتم وآباؤكم
بمحض جهلكم وضلالكم ما انزل الله بها اى بتلك التسمية المستتبعة للعبادة من سلطان
من حجة تدل على صحتها ان الحكم فى امر العبادة المتفرعة على تلك التسمية الا لله عز سلطانه لانه
المستحق لها بالذات اذ هو الواجب بالذات الموجد للكل والمالك لامره امر استئناف مبنى على
سؤال ناشئ من قوله ان الحكم الا لله فكانه قيل فماذا حكم الله تعالى فى هذا الشأن فقيل امر
على السنة الانبياء عليهم السلام الا تعبدوا الا اياه حسبما يقضى به قضية
العقل ايضا ذلك اى تخصيصه تعالى بالعبادة الدين القيم الثابت المستقيم الذى تعاضدت
عليه البراهين عقلا ونقلا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان ذلك هو الدين القيم لجهلهم
بتلك البراهين او لا يعلمون شيئا اصلا فيعبدون اسماء سموها من تلقاء انفسهم معرضين
عن البرهان العقلى والسلطان النقلى وبعد تحقيقه الحق ودعوتهما اليه وبيانه لهما
مقداره الرفيع ومرتبة علمه الواسع شرع فى تفسير ما استفسراه ولكونه بحثا مغايرا لما سبق فصله
عنه بتكرير الخطاب فقال يا صاحبى السجن اما احدكما وهو الشرابى وانما لم يعينه ثقة بدلالة
التعبير وتوسلا بذلك الى ابهام امر صاحبه حذار مشافهته بالسوء فيسقى ربه اى سيده
روى انه عليه السلام قال له ما رأيت من الكرمة وحسنها الملك وحسن حالك عنده واما القضبان
الثلاثة فثلاثة ايام تمضى فى السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقرأ عكرمة فيسقى ربه على البناء
للمفعول اى يسقى ما يروى به واما الآخر وهو الخباز فيصلب فتأكل الطير من رأسه روى انه
عليه السلام قال له ما رأيت من السلال الثلاث ثلاثة ايام ثم تخرج فتقتل قضى الامر واحكم
الامر الذى فيه تستفتيان وهو ما رأياه من الرؤييين قطعا لا المآل الذى هو عبارة عن نجاة
احدهما وهلاك الآخر كما يوهمه اسناد القضاء اليه اذ الاستفتاء انما يكون فى الحادثة لا فى

حتى انه يقال استفتى الفقيه في الحادثة اي طلب منه بيان حكمها ولا يقال استفتاه في حكمها وكذا الافتاء
ثم انه يقال افتى فلان في الواقعة الفلانية بكذا ولا يقال افتى في حكمها او جوابها بكذا ومما هو علم
في ذلك قوله تعالى يا ايها الملأ افتوني في رؤياي فمعنى استفتائهما منه طلبهما لتأويلها بقولهما نبئنا
بتأويله وانما عبر عن ذلك بالامر وعن طلب تأويله بالاستفتاء تهويلا لامره وتفخيما لشأنه اذ الاستفتاء
انما يكون في النوازل المشكلة الحكم المبهم الجواب وايثار صيغة الاستقبال مع سبق استفتائهما في ذلك
لانهما بصدده الى ان يقضي عليه السلام الجواب وطي ذكره والقضاء اليه انما هو ما جرى ما لم
لان في الحقيقة عين ذلك المآل قد ظهر في عالم المثال بتلك الصورة واما توحيده مع تعدد رؤيا
فوارده بحسب ما وصاه في قولهما نبئنا بتأويله لان الامر ما اتهمهما به وسيما لاجل سؤال الملك فانه
لم يستفتيا فيه ولا فيما هو صورته بل فيما هو صورة مآله وعاقبته فتأمل وانما اخرهما عليه السلام ذلك
تحقيقا لتعبيره وتأكيدا له وقيل لما عبر رؤياهما جحدا وقالا ما رأينا شيئا فقال انما ذلك كأني
صدقتما او كذبتما ولعل الجحود من الخباز اذ لا داعي الى جحود الشرابي الا ان يكون ذلك لمراعاة
جانبه وقال اي يوسف عليه السلام للذي ظن انه ناج او ثبتنا صيغة الماضي مبالغة في الدلالة على
النجاة حسبما يفيده قوله تعالى قضي الامر الذي فيه تستفتيان وهو السر في ايثار ما عليه النظم الكريم
على ان يقال للذي ظنه ناجيا منهما اي من صاحبيه وانما ذكر بوصف النجاة تمهيدا لمناط التوصية
بالذكر عند الملك وعنوان التقرب المفهوم من التعبير المذكور انما كان داخلا في ذلك وادعى
الى تحقيق ما وصاه به لكن ليس بوصف نازع يدور على الامتياز بينه وبين صاحبيه المذكورة
لا تدور على ظن الناجي بل هو على ظن يوسف وهو بمعنى اليقين كما في قوله تعالى ظننت اني ملاق
حسابيه فالتعبير بالوحي كما ينبئ عنه قوله تعالى قضي الامر الخ وقيل هو بمعناه والتعبير بالاجتهاد
والحكم بقضاء الامر ايضا اجتهادي اذكرني عند ربك بما انا عليه من الحال والصفة عند ربك سيدك
وصفني له بصفتي التي شاهدتها فانساه الشيطان اي انسى الشرابي بوسوسته والقائه
في قلبه اشتغالا تعوقه عن الذكر والا فالانساء في الحقيقة لله عز وجل والفاء للسببية فان
توصيته عليه السلام المتضمنة للاستعانة بغيره سبحانه كانت باعثة لما ذكر من الانساء ذكر ربه اي ذكر
الشرابي له عليه السلام عند الملك والاضافة لادنى ملابسة او ذكر اخبار ربه فلبث اي يوسف بسبب
ذلك الانساء او القول في السجن بضع سنين البضع ما بين الثلاث الى التسع من البضع وهو
القطع واكثر الاقاويل انه لبث فيه سبع سنين وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم
الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد
وان كانت مرخصة لكن اللائق بمناصب الانبياء عليهم السلام الاخذ بالعزائم وقال الملك
اي الريان اني ارى اي رأيت وايثار صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية سبع بقرات
سمان جمع سمين وسمينة كالكرام في جمع كريم وكريمة يقال رجال كرام ونسوة كرام يأكلهن
اي اكلهن والعدول الى المضارع لاستحضار الصورة تعجبا والجملة حال من البقرات او صفة لها
سبع عجاف اي سبع بقرات عجاف وهي جمع عجفاء والقياس عجف لان فعلاء وافعل لا
يجمع على فعال ولكن عدل به عن القياس حملا لاجل النقيض على النقيض والاعراق انما لم يقل سبع
عجاف بالاضافة لان التمييز موضوع لبيان الجنس والصفة ليست بصالحة لذلك فلا يقال

ثلاث ضخام واربعة علاظ واما قولك ثلاثة فرسان وخمسة ركبان فلجريان الفارس والراكب
مجرى الاسماء روي انه رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وخرج عقيبهن سبع بقرات
عجاف في غاية الهزال فابتلعت العجاف السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها
واخر يابسات اي وسبعا اخر يابسات قد ادركت والتوت على الخضر حتى غلبتها على ما روي
ولعل عدم التعرض لذكره للاكتفاء بما ذكر من حال البقرات يا ايها الملأ خطاب للاشراف
من العلماء والحكماء افتوني في رؤياي هذه اي عبروها وبينوا حكمها وما تؤول اليه من العاقبة
والتعبير عن التعبير بالافتاء لتشريفهم وتفخيم امر رؤياه ان كنتم للرؤيا تعبرون اي
تعلمون عبارة جنس الرؤيا علما مستمرا وهي الانتقال من الصور الخيالية المشاهدة في المنام
الى ما هي صورة وامثلة لها من الامور الآفاقية او الانفسية الواقعة في الخارج من العبور وهو
المجاوزة تقول عبرت النهر اذا قطعته وجاوزته ونحوه اولتها اي ذكرت مآلها وعبرت الرؤيا
عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا والجمع بين الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار كما اشير اليه واللام
للبيان او لتقوية العامل المؤخر لرعاية الفواصل او لتضمين تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كأنه
قيل ان كنتم تنتدبون لعبارتها ويجوز ان يكون للرؤيا خبر كان كما يقال فلان لهذا الامر اذا
كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبرا آخر او حالا قالوا استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا
قال الملأ للملك فقيل قالوا هي اضغاث احلام اي تخاليطها جمع ضغث وهو في الاصل ما جمع من
اخلاط النبات وحزم ثم استعير لما تجمعه القوة المتخيلة من احاديث النفس ووساوس الشيطان
وتريها في المنام والاحلام جمع حلم وهي الرؤيا الكاذبة التي لا حقيقة لها والاضافة بمعنى من
اي هي اضغاث من احلام اخرجوها من جنس الرؤيا التي لها عاقبة تؤول اليها ويعتنى بامرها
وجمعوها وهي رؤيا واحدة مبالغة في وصفها بالبطلان كما في قولهم فلان يركب الخيل ويلبس العمائم
لمن لا يملك الا فرسا واحدا وعمامة فردة او لتضمنها اشياء مختلفة من البقرات السبع السمان
والسبع العجاف والسنابل السبع الخضر والاخر اليابسات فتأمل حسن موقع الاضغاث مع
السنابل فلله در شأن التنزيل وما نحن بتأويل الاحلام اي المنامات الباطلة التي لا اصل
لها بعالمين لا لان لها تأويلا ولكن لا نعلمه بل لانه لا تأويل لها وانما التأويل للمنامات
الصادقة ويجوز ان يكون ذلك اعترافا منهم بقصور علمهم وانهم ليسوا بنحارير في تأويل الاحلام
مع ان لها تأويلا كما يشعر به عدولهم عما وقع في كلام الملك من العبارة المعربة عن مجرد الانتقال
من الدال الى المدلول حيث لم يقولوا بتعبير الاحلام او عبارتها الى التأويل المنبئ عن التصرف والتكلف
في ذلك لما بين الآيل والمآل من البعد ويؤيده قوله عز وجل انا انبئكم بتأويله وقال الذي
نجا منهما اي من صاحبي يوسف وهو الشرابي وادكر بغير المعجمة هو الفصيح وعن الحسن
بالمعجمة اي تذكر يوسف عليه السلام وشئونه التي شاهدها ووصيته بتقريب رؤيا الملك واشكال
تأويلها على الملأ بعد امة اي مدة طويلة وقرئ امة بالكسر وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه
بالنجاة وامه اي نسيان والجملة حال من الموصول او من ضميره في الصلة وقيل معطوفة على نجا وليس
بذاك لان حق كل من الصفة والصلة ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف والموصول
عند المخاطب كما عند المتكلم ولذلك قيل ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم

بها مفاجأة وانت تدري ان تذكره بعد امة انما علم بهذه الجملة فلا مجال لنظمها بعد جملة المعطوفة في
في سلك الصلة انا انبئكم بتاويله اي اخبركم به بالتلقي عمن عنده علمه لا من تلقاء نفسي ولذلك
لم يقل انا افتيكم فيها وعقبه بقوله فارسلون اي الى يوسف وانما لم يذكره ثقة بما سبق من
التذكر وما لحق من قوله يوسف ايها الصديق اي ارسل اليه فاتاه فقال يا يوسف ووصفه بالمبالغة
في الصدق حسبما شاهده وذاق احواله وجربها لكونه بصدد اغتنام اثاره واقتباس انواره
فهو من باب براعة الاستهلال افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع
سنبلات خضر واخر يابسات اي في رؤيا ذلك وانما لم يصرح به لوضوح مرامه بقرينة ما سبق
من معاملتهما وللاكتفاء بذلك بتحقيقه عليه السلام في الفصل عبر عن ذلك بالافتاء ولم يقل كما قال هو وصاحبه
ولا انبئنا بتاويله دمج في قوله افتنا مع ان المستفتي وحده اشعارا بان الرؤيا ليست له بالذات بل لمن له
ملابسة بامور العامة وانه في ذلك معبر وسفير كما اذن بذلك حيث قال لعلي ارجع الى الناس
اي الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد ان كان السجن في الخارج كما قيل فانبئهم بذلك
لعلهم يعلمون ذلك ويعملون بمقتضاه او يعلمون فضلك ومكانك مع ما انت فيه من الحال
فتخلصوك وانما لم يبت القول في ذلك مجاراة معه على نهج الادب واحترازا عن المجازفة اذ لم
يكن على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه لعل المنايا دون ما تعداني ولا من علمهم بذلك
فربما لم يعلموه قال استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال يوسف عليه السلام في التاويل
فقيل قال تزرعون سبع سنين دأبا بفتح الهمزة وسكونها وكلاهما مصدر داب في العمل
اذا جد فيه وتعب وانتصابه على الحالية من فاعل تزرعون اي دائبين او تدابون دأبا على انه
مصدر مؤكد لفعل هو الحال اول عليه السلام البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب
والعجاف واليابسات بسنين مجدبة فاخبرهم بانهم يواظبون سبع سنين على الزراعة ويبالغون
فيها اذ بذلك يتحقق الخصب الذي هو مصداق البقرات السمان وتاويلها ودلهم في تضاعيف
ذلك على امر نافع لهم فقال فما حصدتم اي في كل سنة فذروه في سنبله ولا تذروه كيلا
ياكله السوس كما هو شأن غلال مصر ونواحيها ولعله عليه السلام استدل على ذلك بالسنبلات الخضر وانما
امرهم بذلك اذ لم يكن معتادا فيما بينهم ومن حيث كانوا معتادين للزراعة لم يامرهم بها وجعلها
امرا محققا لوقوع تاويلا للرؤيا مصداقا لما فيها من البقرات السمان الا قليلا مما تاكلون
في تلك السنين وفيه ارشاد منه عليه السلام لهم الى التقليل في الاكل والاقتصار على استثناء
الماكول دون البذر لكون ذلك معلوما من قوله تزرعون سبع سنين وبعدما اتم ما امرهم به
شرع في بيان بقية التاويل التي يظهر منها حكم الامر المذكور فقال ثم ياتي وهو عطف على تزرعون
فلا وجه لجعله بمعنى الامر حثا لهم على الجد والمبالغة في الزراعة على انه يحصل بالامتثال بذلك ايضا
من بعد ذلك اي من بعد السنين المذكورات وانما لم يقل من بعدهن قصدا الى الاشارة الى وصفهن
فان الضمير ساكت عن اوصاف المرجع بالكلية سبع شداد اي سبع سنين صعاب على الناس ياكلن
ما قدمتم لهن من الحبوب المتروكة في سنابلها وفيه تنبيه على ان امره عليه السلام بذلك كان لوقت الضرورة
واسناد الاكل اليهن مع ان الحال للناس فيهن مجازي كما في نهاره صائم وفيه تلويح بانه تاويل لاكل
العجاف السمان واللام في لهن ترشيح لذلك فكانه قد ادخر في السنابل من الحبوب شيء قد هيئ.

وتقديم لهن كالذي يقدم للنازل لا انه في الحقيقة تقديم للناس فيهن الا قليلا مما تحصنون
تحرزون لبذور الزراعة ثم ياتي من بعد ذلك اي من بعد السنين الموصوفة بما ذكر من الشدة واكل
الغلال المدخرة عام لم يعبر عنه بالسنة تحاشيا عن المدلول الاصلي لها من عام القحط وتنبيها من اول
الامر على اختلاف الحال بينه وبين السوابق فيه يغاث الناس من الغيث اي يمطرون يقال غيثت
البلاد اذا امطرت في وقت الحاجة او من الغوث يقال اغاثنا الله تعالى اي امدنا برفع المكاره
حين اظلتنا وفيه يعصرون اي ما شانه ان يعصر من العنب والقصب والزيتون
والسمسم ونحوها من الفواكه لكثرتها والتعرض لذكره مع جواز الاكتفاء عنه بذكر الغيث
المستلزم له عادة كما اكتفى به عن ذكر تصرفهم في الحبوب اما لان استلزام الغيث له ليس كاستلزامه
للحبوب اذ المذكورات يتوقف صلاحها على مبادئ اخرى غير المطر واما لمراعاة جانب المستفتي باعتبار
حالته الخاصة به بشارة له وهي التي يدور عليها حسن موقع تغليب الناس في القراءة بالفوقانية
وقيل معنى يعصرون يحلبون الضروع وتكريره اما للاشعار باختلاف اوقات ما يقع فيه من الغيث
والعصر زمانا وتوسطاهر عنوانا فان الغيث والغوث من فضل الله تعالى والعصر من فعل
الناس واما لان المقام مقام تعداد منافع ذلك العام ولاجله قدم في الموضعين على الفعلين
فان المقصود الاصلي بيان انه يقع في ذلك العام هذا النفع وذلك النفع لا بيان انهما يقعان
في ذلك العام كما يفيده التاخير ويجوز ان يكون التقديم للقصر على معنى ان غيثهم وعصرهم في
سائر السنين بمنزلة العدم بالنسبة الى عامهم ذلك وان يكون ذلك في الاول لمراعاة الفواصل
وفي الثاني لرعاية حاله وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو المناسب للاغاثة
ويجوز ان يكون المبني للفاعل ايضا منه كانه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون اي يغيثهم الله
ويغيث بعضهم بعضا وقيل معنى يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة اما بتضمين اعصرت
معنى مطرت وتعديته واما بحذف الجار وايصال الفعل اليه لان الاصل اعصرت عليهم
واحكام هذا العام المبارك ليست مستنبطة من رؤيا الملك وانما تلقاها عليه السلام من جهة الوحي
فبشرهم بها بعدما اول الرؤيا بما اول وامرهم بالتدبير اللائق في شانه ابانة لعلو كعبه ورسوخ
قدمه في الفضل وانه محيط بما لم يحط به الآخرون فضلا عما يرى صورته في المنام على نحو قوله لصاحبيه
عند استفتائهما في منامهما لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتاويله في اتمام ما للنعمة عليهم حيث
لم يشاركه عليه السلام في العلم بوقوعها احد ولو برؤية ما يدل عليها في المنام وقال الملك بعدما
جاءه السفير بالتعبير وسمع منه ما سمع من نقير وقطمير مما ينبئ عن علو شأنه وفضله ائتوني به
اي بيوسف فلما جاءه الرسول واستدعاه الى الملك قال ارجع الى ربك اي سيدك فاسأله ما بال
النسوة اللاتي قطعن ايديهن اي فتشه عن شانهن وانما لم يقل فاسأله ان يفتش عن ذلك
حثا للملك على الجد في التفتيش لتتبين براءته ويتضح نزاهته اذ السؤال مما يهيج الانسان على
الاهتمام في البحث للتفصي عما توجه اليه واما الطلب فمما قد يتسامح ويتساهل فيه ولا يبالي به وانما لم
يتعرض لامراة العزيز مع ما لقي منها ما لقي من مقاساة الاحزان ومعاناة الاشجان محافظة على
مواجب الحقوق واحترازا عن مكرها حيث اعتقدها في عدوة العداوة واما النسوة فقد كان
يطمع في صدعهن بالحق وشهادتهن باقرارها بانها راودته عن نفسه فاستعصم ولذلك اقتصر

عن وصفهن بتقطيع الايدى ولم يصرح بمراودتهن له وقولهن له اطع مولاتك واكتفى بالايماء الى
ذلك بقوله ان ربى بكيدهن عليم مجاملة معهن واحترازا عن سوء مقالتهن عند الملك وانتصابهن
للخصومة مدافعة عن انفسهن متى سمعن بنسبته لهن الى الفساد قال استئناف مبنى على السؤال
كانه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل قال الملك اثر ما بلغه الرسول الخبر واحضرهن ما خطبكن
اى شانكن وهو الامر الذى يحق ان يخاطب له لعظمه فيه صاحبه اذ راودتن يوسف
وخادعتنه عن نفسه ورغبتنه فى اطاعة مولاته هل وجدتن فيه شيئا من سوء وريبة
قلن حاش لله تنزيها له وتعجبا من نزاهته وعفته ما علمنا عليه من سوء بالغن فى نفى
جنس السوء عنه بالتنكير وزيادة من قالت امرأة العزيز وكانت حاضرة فى المجلس وقيل
اقبلت النسوة عليها يقررنها وقيل خافت ان يشهدن عليها بما قالت لهن ولقد راودته عن نفسه
فاستعصم ولئن لم يفعل ما امره ليسجنن وليكونا من الصاغرين فاقرت قائلة الان حصحص
الحق اى ثبت واستقر او تبين وظهر بعد خفاء قاله الخليل وقيل هو ماخوذ من الحصة
وهى القطعة من الجملة اى تبينت حصة الحق من حصة الباطل كما تتبين حصص الاراضى وغيرها
وقيل بان وظهر من حص شعره اذا استاصله بحيث ظهرت بشرة راسه وقرئ على البناء للمفعول
من حصحص البعير مباركه اى القاها فى الارض للاناخة قال فحصحص فى صم الصفا ثفناته
وناء بسلمى نوأة ثم صمما والمعنى ان الحق فى مقره ووضع فى موضعه ولم ترد بذلك مجرد
ظهور ما ظهر بشهادتهن من نزاهته عليه السلام فيما احاط به علمهن من غير تعرض لنزاهته
فى سائر المواطن خصوصا فيما وقع فيه التشاجر بمحضر العزيز ولا بحث عن حال نفسها وما صنعت
فى ذلك الباب بل ارادت ظهور ما هو متحقق فى نفس الامر وثبوت من نزاهته عليه السلام فى محل النزاع
وخيانتها فقالت انا راودته عن نفسه لا انه راودنى عن نفسى وانه لمن الصادقين اى
فى قوله حين افترت عليه هى راودتنى عن نفسى وارادت بالآن زمان تكلمها بهذا الكلام لا زمان
شهادتهن فتامل ايها المصنف هل ترى فوق هذه المرتبة نزاهة حيث لم تتمالك الخصماء من الشهادة
بها والفضل ما شهدت به الخصماء وانما تصدى عليه السلام لتمهيد هذه المقدمة قبل الخروج
ليظهر براءة ساحته عما قرف به لا سيما عند العزيز فلا يتمكن عنده كما يعرب عنه قوله عليه السلام لما
رجع اليه الرسول واخبره بكلامهن ذلك اى ذلك التثبت المؤدى الى ظهور حقيقة الحال
ليعلم اى العزيز انى لم اخنه فى حرمته كما زعمه لا ليعلم مطلقا فان ذلك لا يستدعى تقديم
التفتيش على الخروج من السجن بل قبل ما ذكر من تفصيلها بين يديه لعله لمراعاة حقوق السيادة
لان المباشرة للخروج من حبسه قبل ظهور بطلان ما جعله سببا له وان كان ذلك بامر
الملك مما يوهم الافتيات عليه وانما يكون ذلك لئلا يتمكن من تقبيح امره عند الملك
محلا لامضاء ما قصداه فلا يليق بشانه عليه السلام فى الوثوق بامره والتوكل عليه ان يجعل حيلا لم
بالغيب اى بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اى لم اخنه وانا غائب عنه او وهو
غائب عنى او ظرف اى بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة واياما كان
فالمقصود بيان كمال نزاهته عن الخيانة وغاية اجتنابه عنها عند تعاضد اسبابها وان
الله اى وليعلم ان الله تعالى لا يهدى كيد الخائنين اى لا ينفذه ولا يسدده بل يبطله

ويزهقه او لا يهديهم فى كيدهم ايقاعا للفعل على الكيد مبالغة كما فى قوله تعالى يضاهئون قول الذين
كفروا اى يضاهئونهم فى قولهم وتعريض بامرأته فى خيانتها امانته وبه فى خيانته امانة الله تعالى حين
ساعدها على حبسه بعدما رأوا الآيات الدالة على نزاهته عليه السلام ويجوز ان يكون ذلك لتأكيد امانته وانه لو كان
خائنا لما هدى الله عز وجل امره واحسن عاقبته وما ابرئ نفسى اى لا انزهها عن السوء قاله
عليه السلام هضما لنفسه الكريمة البريئة عن كل سوء وربا بمكانها عن التزكية والاعجاب بحالها عند ظهور
كمال نزاهتها على اسلوب قوله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وتحديثا بنعمة الله عز وجل
واظهارا لما فى المكنون فى شأن افعال العباد اى لا انزهها عن السوء من حيث هى هى ولا اسند هذه
الفضيلة اليها بمقتضى طبعها من غير توفيق من الله عز وعلا ان النفس البشرية التى من جملتها
نفسى فى حد ذاتها لامارة بالسوء مائلة الى الشهوات مستعملة للقوى والآلات فى تحصيلها
بل انما ذلك بتوفيق الله تعالى وعصمته ورحمته كما يفيده قوله الا ما رحم ربى من النفوس التى يعصمها
عن الوقوع فى المهالك ومن جملتها نفسى او هى امارة بالسوء فى كل وقت الا وقت رحمة ربى وعصمته
لها وقيل الاستثناء منقطع اى لكن رحمة ربى هى التى تصرف عنها السوء كما فى قوله تعالى ولا هم
ينقذون الا رحمة ان ربى غفور رحيم عظيم المغفرة لما يعترى النفوس بموجب طباعها ومبالغ
فى الرحمة لها بعصمتها من الجريان بمقتضى ذلك وايثار الاظهار فى مقام الاضمار مع التعرض لعنوان
الربوبية لتربية مبادى المغفرة والرحمة وقيل الآية من كلام امرأة العزيز والمعنى ذلك الذى
قلت ليعلم يوسف عليه السلام انى لم اخنه ولم اكذب عليه فى حال الغيبة وجئت بما هو الحق الواقع
وما ابرئ نفسى مع ذلك من الخيانة حيث قلت فى حقه ما قلت وفعلت به ما فعلت ان كل
نفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى اى الا نفسا رحمها الله تعالى بالعصمة كنفس يوسف ان ربى
غفور لمن استغفر لذنبه واعترف به رحيم له تعلقى هذا يكون تأنيه عليه السلام فى الخروج عن
السجن لعدم رضاه عليه السلام بملاقاة الملك وامره بين بين فعل ما فعل حتى يتبين نزاهته وانه
انما سجن بظلم عظيم مع ما له من الفضل ونباهة الشأن ليتلقاه الملك بما يليق به من الاعظام والاجلال
وقد وقع وقال الملك ائتونى به استخلصه لنفسى اجعله خالصا لنفسى وخاصا بى فلما كلمه
اى فاتوا به فحذف للايذان بسرعة الاتيان به فكانه لم يكن بين الامر باحضاره والخطاب معه
زمان اصلا والضمير المستكن فى كلمه ليوسف والبارز للملك اى فلما كلمه يوسف اثر ما
اتاه فاستنطقه وشاهد منه ما شاهد قال انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة رفيعة
امين مؤتمن على كل شيء واليوم ليس بمعيار لمدة المكانة والامانة بل هو آن التكلم والمراد
تحديد مبدئهما احترازا عن احتمال كونهما بعد حين روى انه عليه السلام لما جاءه الرسول
خرج من السجن ودعا لاهله واغتسل ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم انى اسألك
بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما
هذا اللسان فقال لسان آبائى وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها
فتعجب منه فقال احب ان اسمع منك رؤياى فحكاها ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على
ما رآها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفى قطفير فى تلك الليالى فنصبه منصبه وزوجه
راعيل فوجدها عذراء وولدت له افرائيم وميشا ولعل ذلك انما كان بعد تعبيره عليه السلام [illegible]

لمن اراد الخيانة كما يعرب عنه قوله عز وجل قال اجعلني على خزائن الارض اى ارض مصر اى ولني
امرها من الايراد والصرف انى حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها وفيه دليل
على جواز طلب الولاية اذا كان الطالب ممن يقدر على اقامة العدل واجراء احكام الشريعة وان
كان من يد الجائر او الكافر وعن مجاهد ان اسلم الملك على يده عليه السلام ولعل ايثاره عليه السلام
تلك الولاية خاصة انما كان للقيام بما هو اهم امور السلطنة اذ ذاك من تدبير امر السنين
حسبما فصل في التأويل لكونه من فروع تلك الولاية لا لمجرد عموم الفائدة وجموم العائدة كما
قيل وانما لم يذكر اجابة الملك الى ما سأله عليه السلام من جعله على خزائن الارض ايذانا بان ذلك امر لا مرد له
غنى عن التصريح به لا سيما بعد تقديم ما يندرج تحته من احكام السلطنة بحذافيرها من قوله انك
اليوم لدينا مكين امين وللتنبيه على ان كل ذلك من الله عز وجل وانما الملك آلة في ذلك
قيل وكذلك اى مثل ذلك التمكين البديع مكنا ليوسف اى جعلنا له مكانا في الارض
اى ارض مصر روى انها كانت اربعين فرسخا في اربعين وفي التعبير عن الجعل المذكور بالتمكين
في الارض مسندا الى ضمير الجلالة من تشريفه عليه السلام والمبالغة في كمال ولايته والاشارة
الى حصول ذلك من اول الامر لا انه حصل بعد السؤال ما لا يخفى يتبوأ منها ينزل من بلادها
حيث يشاء ويتخذه مباءة وهو عبارة عن كمال قدرته على التصرف فيها ودخولها تحت
ملكته وسلطانه فكأنها منزله يتصرف فيها كما يتصرف الرجل في منزله وقرأ ابن كثير بالنون روى ان
الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت
فقال عليه السلام اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من
لباسي ولا لباس آبائي فقال قد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت
له الملوك وفوض اليه الملك امره واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنساء وباع من
اهل مصر في سني القحط الطعام في السنة الاولى بالدنانير والدراهم وفي الثانية بالحلي والجواهر
وفي الثالثة بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا ما رأينا
كاليوم ملكا اجل واعظم منه ثم اعتقهم ورد اليهم املاكهم وكان لا يبيع لاحد من الممتارين
اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس نصيب برحمتنا بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى
وغيرهما من النعم من نشاء بمقتضى الحكمة الداعية الى المشيئة ولا نضيع اجر المحسنين
بل نوفيه بكماله وفيه اشعار بان مدار المشيئة المذكورة احسان من تصيبه الرحمة المرقوم
وانها اجر له ولدفع توهم انحصار ثمرة الاحسان فيما ذكر من الاجر العاجل قيل على سبيل
التوكيد ولاجر الآخرة اى اجرهم في الآخرة فالاضافة للملابسة وهو النعيم المقيم الذي لا
نفاد له خير لهم اى المحسنين المذكورين وانما وضع موضعه الموصول فقيل للذين آمنوا وكانوا
يتقون تنبيها على ان المراد بالاحسان انما هو الايمان والثبات على التقوى المستفاد من جمع
صيغتي الماضي والمستقبل وجاء اخوة يوسف ممتارين لما اصاب ارض كنعان وبلاد
الشام ما اصاب مصر وقد كان ارسلهم يعقوب عليه السلام جميعا غير بنيامين فدخلوا عليه
اى على يوسف وهو في مجلس ولايته فعرفهم لقوة فهمه وعدم مباينة احوالهم السابقة
لحالهم يومئذ لمفارقته اياهم وهم رجال وتشابه هيآتهم وزيهم في الحالين ولكون همته

مفقودة بهم وبمعرفة احوالهم لا سيما في زمن القحط وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له وهم له منكرون
اى والحال انهم منكرون له لطول العهد وتباين ما بين حاليه عليه السلام في نفسه ومنزلته وزيه ولاعتقادهم
انه هلك وحيث كان انكارهم له امرا مستمرا في حالتي المحضر والمغيب اخبر عنه بالجملة الاسمية بخلاف عرفانه عليه السلام
اياهم ولما جهزهم بجهازهم اى اصلحهم بعدتهم من الزاد وما يحتاج اليه المسافر واوقر ركائبهم بما جاءوا
له من الميرة وجهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من ابيكم لم يقل باخيكم مبالغة في اظهار عدم معرفته
لهم ولعله عليه السلام انما قال ذلك لما قيل من انهم سألوه عليه السلام حملا زائدا على المعتاد لبنيامين فاعطاهم ذلك
وشرطهم ان يأتوا به ليعلم صدقهم او لما قيل من انه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم من انتم فما شأنكم فقالوا نحن
قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لهم لعلكم جئتم عيونا قالوا معاذ الله نحن
اخوة بنو اب واحد وهو شيخ كبير صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا
اثنى عشر فهلك منا واحد فقال كم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا هو عند ابيه
يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم عيونا وان ما تقولون حق قالوا نحن ببلاد
لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم وهو
يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت القرعة شمعون فخلفوه عنده اذ لا يساعده
تفويض الامر بالاتيان به عند التجهيز ولا الحث عليه بايفاء الكيل ولا الاحسان في الانزال ولا
الاقتصار على منع الكيل على تقدير عدم الاتيان به ولا جعل بضاعتهم في رحالهم لاجل رجوعهم ولا
عدتهم بالاتيان به بطريق المراودة ولا تعليلهم عند ابيهم ارسال اخيهم بمنع الكيل من دون ذكر
المسألة على ان استيقافهم لو وقع لكان ذلك طامة يسعى عندها كل بلية قال الا ترون
انى اوفى الكيل اتمه لكم وايثار صيغة الاستقبال مع كون هذا الكلام بعد التجهيز للدلالة على
ان ذلك عادة له مستمرة وانا خير المنزلين جملة حالية اى الا ترون انى اوفى الكيل لكم ايفاء
مستمرا والحال انى في غاية الاحسان في انزالكم وضيافتكم وقد كان الامر كذلك وتخصيص الرؤية
بالايفاء لوقوع الخطاب في اثنائه واما الاحسان في الانزال فقد كان مستمرا فيما سبق ويلحق ولذلك
اخبر عنه بالجملة الاسمية ولم يقله عليه السلام بطريق الامتنان بل لحثهم على تحقيق ما امرهم به والاقتصار
في الكيل على ذكر الايفاء لان معاملته عليه السلام معهم في ذلك كمعاملته مع غيرهم في مراعاة مواجب
العدل واما الضيافة فليس للناس فيها حق فخصهم في ذلك بما شاء فان لم تأتوني به فلا كيل
لكم عندي فيما بعد فضلا عن ايفائه ولا تقربون بدخول بلادي فضلا عن الاحسان
في الانزال والضيافة وهو اما نهي او نفي معطوف على محل الجزاء وفيه دليل على انهم كانوا
على نية الامتيار مرة بعد اخرى وان ذلك كان معلوما له عليه السلام قالوا سنراود عنه اباه
اى سنخادعه عنه ونحتال في انتزاعه من يده ونجتهد في ذلك وفيه تنبيه على عزة
المطلب وصعوبة مناله وانا لفاعلون ذلك غير مفرطين فيه ولا متوانين او لقادرون
عليه لا نتعانى به وقال يوسف لفتيانه لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرئ لفتيته وهو جمع قلة له
اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فانه وكل بكل رحل رجلا يعبئ فيه بضاعتهم التي شروا بها
الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعله عليه السلام تفضلا عليهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه
ما يرجعون به مرة اخرى وكل ذلك لتحقيق ما يتوخاه من رجوعهم باخيه كما يؤذن به

قوله لعلهم يعرفونها اى يعرفون حق ردها والتكرم في ذلك او لكي يعرفوها فهو ظاهر التعلق
بقوله اذا انقلبوا الى اهلهم فان معرفتهم لها مقيدة بالرجوع وتفريغ الاوعية قطعا واما
معرفة حق التكرم في ردها فهي وان كانت في ذاتها غير مقيدة بذلك لكن لما كان ابتداؤها
حين تحققت به لعلهم يرجعون حسبما امرتهم به فان التفضل عليهم باعطاء البدلين ولا سيما
اعوان البضاعة من اقوى الدواعي الى الرجوع وما قيل انما فعل عليه السلام ذلك من الكرم ان
يأخذ من ابيه واخوته ثمنا فكلام حق في نفسه ولكن يأباه التعليل المذكور واما ان
على الجعل المذكور للرجوع من حيث ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لانهم لا يستحلون امساكها
فمآله حسبانهم انها بقيت في رحالهم نسيانا وظاهر ان ذلك مما لا يخطر ببال احد اصلا فان
هيئة التعبية تنادي بان ذلك بطريق التفضل الا يرى انهم كيف جزموا بذلك حين راوها
وجعلوا ذلك دليلا على التفضلات السابقة كما سيحيط به خبرا فلما رجعوا الى ابيهم قالوا قبل
ان يشتغلوا بفتح المتاع يا ابانا منع منا الكيل اى فيما بعد وفيه ما لا يخفى من الدلالة على كون
الاستيارة بعده معهودا فيما بينهم وبينه عليه السلام فارسل معنا اخانا بنيامين الى مصر
وفيه ايذان بان مدار المنع عدم كونه معهم نكتل بسببه من الطعام ما نشاء وقرأ حمزة
والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ لكونه سببا للاكتيال او يكتل لنفسه مع اكتيالنا
وانا له لحافظون من ان يصيبه مكروه قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه يوسف
من قبل وقد قلتم في حقه ايضا ما قلتم ثم فعلتم به ما فعلتم فلا اثق بكم ولا بحفظكم وانما افوض
الامر الى الله فالله خير حافظا وقرئ حفظا وانتصابهما على التمييز والحالية على القراءة الاولى
لتوهم تقييد الخيرية بتلك الحالة وهو ارحم الراحمين فارجوا ان يرحمني بحفظه ولا يجمع على
مصيبتين وهذا كما ترى ميل منه عليه السلام الى الاذن والارسال لما رأى فيه من المصلحة ولما
فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم اى تفضلا وقد علموا ذلك بما مر من دلالة
الحال وقرئ بنقل حركة الدال المدغمة الى الراء كما قيل وكيل قالوا استئناف مبني على السؤال
كأنه قيل ماذا قالوا حينئذ فقيل قالوا لابيهم ولعله كان حاضرا عند الفتح يا ابانا ما نبغي اذا
فسر البغي بالطلب فما اما استفهامية منصوبة به فالمعنى ماذا نبغي وراء ما وصفنا لك من
احسان الملك الينا وكرمه الداعي الى امتثال امره والمراجعة اليه في الحوائج وقد كانوا
اخبروه بذلك وقالوا انا قدمنا على رجل من اكرم الناس لو كان رجلا من آل
يعقوب ما اكرمنا كرامته وقوله تعالى هذه بضاعتنا ردت الينا جملة مستأنفة موضحة لما
دل عليه الانكار من بلوغ اللطف غايته كأنهم قالوا كيف لا وهذه بضاعتنا ردها الينا تفضلا
من حيث لا ندري بعدما من علينا من المنن العظام هل من مزيد على هذا فنطلبه ولم
يريدوا به الاكتفاء بذلك مطلقا والقعود عن طلب نظائره بل ارادوا الاكتفاء به في
استيجاب الامتثال لامره والالتجاء اليه في استجلاب المزيد كما اشرنا اليه وقوله تعالى ردت
الينا حال من بضاعتنا والعامل معنى الاشارة وايثار صيغة البناء للمفعول للايذان بكمال
الاحسان الناشئ عن كمال الاخفاء المفهوم من كمال غفلتهم عنه بحيث لم يشعروا به ولا بفاعله
وقوله عز وجل ونمير اهلنا اى نجلب اليهم الطعام من عند الملك معطوف على مقدر ينسحب عليه

رد البضاعة اى نستظهر بها ونمير اهلنا ونحفظ اخانا فما يصيبه مكروه حسب ما وعدنا فيما يصيبه من مكروه
ونزداد اى بواسطته ولذلك وسط الاخبار بحفظه بين الاصل والمزيد كيل بعير اى وسق بعير
زائدا على اوساق اباعرنا على قضية التقسيط ذلك اى ما يحمله اباعرنا كيل يسير اى مكيل قليل لا يقوم
باودنا فهو استئناف وقع تعليلا لما سبق كأنه قيل اى حاجة الى الازدياد فقيل ما قيل او ذلك الكيل
كيل الزائد شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك او سهل عليه لا يتعاظمه او اى مطلب نطلب من مهماتنا والجملة الواقعة
بعده توضيح وبيان لما يشعر به الانكار من كونهم فائزين ببعض المطالب او متمكنين من تحصيله فكأنهم قالوا
بضاعتنا حاضرة نستظهر بها ونمير اهلنا ونحفظ اخانا فما يصيبه شيء من المكاره ونزداد بسببه غير ما نكتاله
لانفسنا كيل بعير فاى شيء نبتغي وراء هذه المباغي وفي ما سبق من خطاب يعقوب عليه السلام اى اى
شيء وراء هذه المباغي المشتملة على سلامة اخينا وسعة ذات ايدينا او وراء ما فعل بنا الملك من
الاحسان داعيا الى التوجه اليه والجملة الاستئنافية موضحة لذلك او اى شيء نبتغي شاهدا على
صدقنا فيما وصفنا لك من احسانه والجملة المذكورة عبارة عن الشاهد المدلول عليه بفحوى الانكار
واما نافية فالمعنى ما نبتغي شيئا غير ما رأينا من احسان الملك في وجوب المراجعة اليه او ما نبتغي هذه المباغي
وقيل ما نطلب منك بضاعة اخرى والجملة المستأنفة تعليل له واما اذا فسر البغي بمجاوزة الحد فما نافية
فقط والمعنى ما نبتغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا من احسان الملك الينا وكرمه الموجب لما ذكر
والجملة المستأنفة لبيان ما ادعوا من عدم البغي وقوله ونمير اهلنا عطف على ما نبغي اى ما نبغي
فيما ذكرنا من احسانه ونحصل ما نستمير اهلنا ونحفظ اخانا فان ذلك اهون شيء بواسطة
احسانه وقد جوزان يكون كلاما مبتدأ اى جملة اعتراضية تذييلية على معنى وينبغي ان نمير اهلنا
ونسبب ذلك بسعيت في حاجة فلان ويجب ان نسعى ان جيبا باذنه الجمل التذييلية ان تكون
مؤكدة لمضمون الصدر ومقررة له كما في المثال المذكور فقولك ثلاثا ينطق بالحق فالحق ابلج واذ
مدد ونمير اهلنا ان ساعدنا في حمله على معنى ينبغي ان نمير اهلنا بمعزل من ذلك او ما ينبغي في الرأي
وما يعدل عن الصواب فيما نشير به عليك من ارسال اخينا معنا والجمل الى آخرها تفصيل وبيان
لعدم بغيهم واصابة رأيهم اى بضاعتنا حاضرة نستظهر بها ونمير اهلنا وتضع كيت وكيت
وديت فتأمل قال لن ارسله معكم بعد ما عاينت منكم ما عاينت حتى تؤتون موثقا من الله
اى ما اوثق به من جهة الله عز وجل وانما جعله موثقا منه تعالى لان توكيد العهود به مأذون
فيه من جهته تعالى فهو اذن منه عز وعلا لتأتنني به جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله
لتأتنني به الا ان يحاط بكم اى الا ان تغلبوا فلا تطيقوا به او الا ان تهلكوا واصله من احاطة
العدو فان من احاط به العدو فقد هلك غالبا وهو استثناء من اعم الاحوال او اعم العلل على
تأويل الكلام بالنفي الذي ينساق اليه اى لتأتنني به ولا تمتنعن منه في حال من الاحوال او لعلة من
العلل الا حال الاحاطة بكم او لعلة الاحاطة بكم ونظيره قولهم اقسمت عليك لما فعلت والا فعلت
اى ما اريد منك الا فعلك ولا تنجوز الاول بلا تأويل ايضا اى لتأتنني به على كل حال الا حال
الاحاطة بكم وانت تدري انه حيث لم يكن الاتيان به من الافعال الممتدة الشاملة للاحوال على سبيل
المعية كما في قولك لالزمنك الا ان تعطيني حقي ولم يكن ارادة عليه السلام مقارنته على سبيل البدل الا
عند الحال المستثناة كما اذا قلت صل الا ان تكون محدثا بل مجرد تحققه وقوعه من غير اخلال به

كانه قيل لا يحتمل العام الا ان احيط فان مرادك انما هو الاخبار بعدم منع ما سوى حال الاحصار عن
المجيء لا الاخبار بمقارنته لتلك الاحوال على سبيل البدل كما هو مراد في مثال الصلاة كان اعتبار
الاحوال المذكورة من حيث عدم منعها فلا المعنى الى التاويل المذكور فلما اتوه موثقهم عهدهم من
الله حسبما اراد يعقوب عليه السلام قال الله على ما نقول اى على ما قلنا في اثناء طلب الموثق واتيانه
من الجانبين وايثار صيغة الاستقبال لاستحضار صورته المؤدية الى تثبيتهم وتحافظهم على ما ذكره
مدامته وكيل مطلع رقيب يريد به عرض ثقته بالله تعالى وحثهم على مراعاة ميثاقهم وقال
ناصحا لهم لما ازمع على ارسالهم جميعا يا بني لا تدخلوا مصر من باب واحد نهاهم عن ذلك حذارا
من اصابة العين فانهم كانوا اجلاء ذوي جمال وشارة حسنة وقد كانوا تجملوا في هذه الكرة اكثر
مما في المرة الاولى وقد اشتهروا في مصر بالكرامة والزلفى لدى الملك بخلاف النوبة الاولى
فكانوا مظنة لطموح كل ناظر وطموح كل طامح واصابة العين بتقدير العزيز الحكيم ليست مما ينكر
وقد ورد عنه عليه السلام ان العين حق وعنه عليه السلام ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر وقد
كان صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسنين عليهما السلام بقوله اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة
ومن كل عين لامة وكان يقول كان ابوكما ابراهيم يعوذ بها اسمعيل واسحق عليهما السلام رواه البخاري
في صحيحه وقال بعد ما نبهت تلك الجاذب ولما لم يكن عدم الدخول من باب واحد مستلزما للدخول
من ابواب متفرقة وكان في دخولهم من بابين او ثلثة بعض ما في الدخول من باب واحد من
نوع اجتماع مصحح لوقوع المحذور قال وادخلوا من ابواب متفرقة بيانا لما هو المراد بالنهي وانما لم
يكتف بهذا الامر مع كونه مستلزما للنهي اظهارا لكمال العناية به وايذانا بانه المراد بالامر المذكور
لا تحقيق شيء وما اغني عنكم اى لا انفعكم ولا ادفع عنكم بتدبيري من الله من شيء اى شيئا مما
قضى عليكم فان الحذر لا يمنع القدر ولم يرد به عليه السلام الغاء الحذر بالمرة كيف لا وقد قال عز
وعلا ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقال خذوا حذركم بل اراد بيان ان ما وصاهم به ليس مما
يستوجب المراد لا محالة بل هو تدبير في الجملة وانما التاثير وترتب المنفعة عليه من العزيز القدير
وان ذلك ليس بمدافعة للقدر بل هو استعانة بالله تعالى وهرب منه اليه ان الحكم
مطلقا الا لله لا يشاركه احد ولا يمانعه شيء عليه لا على احد سواه توكلت في كل ما آتي واذر
وفيه دلالة على ان ترتيب الاسباب غير مخل بالتوكل عليه وعليه دون غيره فليتوكل المتوكلون جمع
بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة مع تقديم الصلة للاختصاص مفيدا بالواو عطف فعل غيره
من تخصيص التوكل بالله عز وجل على فعل نفسه وبالفاء سببية فعله لكونه نبيا لفعل غيره
من المقتدين فيدخل فيهم بنوه دخولا اوليا وفيه ما لا يخفى من حسن هدايتهم وارشادهم
الى التوكل فيما هم بصدده غير مغترين بما وصاهم به من التدبير ولما دخلوا
من حيث امرهم ابوهم من الابواب المتفرقة من البلد قيل كانت لها اربعة ابواب فدخلوا منها
وانما اكتفى لاستلزامه الانتهاء عما نهوا عنه ما كان ذلك الدخول يغني فيما سياتي عند وقوع
ما وقع عليهم عن الداخلين لان المقصود به استدفاع الضرر عنهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
لتحقيق المقارنة الواجبة بين جواب لما ومدخوله فان عدم الاغناء بالفعل انما يتحقق عند نزول
المحذور لا وقت الدخول وانما المتحقق حينئذ ما افاده الجمع المذكور من عدم كون الدخول المذكور

مغنيا فيما سياتي فتامل من الله من جهته من شيء اى شيئا مما قضاه عليهم مع كونه مظنة لذلك في بادي الراي
حيث وصاهم به يعقوب عليه السلام وعملوا بموجبه وانتفى بحده وادامه من فضل الله تعالى فليس المراد
بيان سببية الدخول المذكور لعدم الاغناء كما في قوله تعالى فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا فان
مجيء النذير هناك سبب لزيادة نفورهم بل البيان عدم سببيته للاغناء مع كونه متوقعا في بادي الراي
كما في قولك حلف ان يعطيني حقي عند حلول الاجل فلما حل لم يعطني شيئا فان المراد بيان عدم سببية
حلول الاجل للاعطاء مع كونه مرجو الوقوع بموجب الحلف لا بيان سببيته لعدم الاعطاء فالمال عدم
ترتب الغرض المقصود على التدبير المعهود مع كونه مرجو الوجود لا بيان ترتب عدمه عليه ويجوز ان يراد
ذلك ايضا بناء على ما ذكره عليه السلام في تضاعيف وصيته من انه لا يغني عنهم من الله شيئا فكانه قيل
ولما فعلوا ما وصاهم به لم يفد ذلك شيئا ووقع الامر حسبما قال عليه السلام فلقوا ما لقوا فيكون من
باب وقوع المتوقع فتامل الا حاجة استثناء منقطع اى ولكن حاجة وحزازة كائنة في
نفس يعقوب قضاها اى اظهرها ووصاهم بها دفعا للخاطرة غير معتقد ان للتدبير تاثيرا
في تغيير التقدير وقد جعل ضمير الفاعل في قضاها للدخول على معنى ان ذلك الدخول قضى حاجة في
نفس يعقوب وهي ارادته ان يكون دخولهم من ابواب متفرقة فالمعنى ما كان ذلك الدخول يغني
عنهم من جهة الله شيئا ولكن قضى حاجة حاصلة في نفس يعقوب بوقوعه حسب ارادته فالاستثناء
منقطع ايضا وعلى التقديرين لم يكن للتدبير فائدة سوى دفع الخاطرة واما اصابة العين فانما لم تقع
لكونها غير مقدرة عليهم لا لانها اندفعت بذلك مع كونها مقضية عليهم وانه لذو علم
جليل لما علمناه لتعليمنا اياه بالوحي ونصب الادلة حيث لم يعتقد ان الحذر يدفع القدر وان
التدبير له حظ من التاثير حتى يتبين الخلل في رايه عند تخلف الاثر او حيث بت القول بانه لا يغني
عنهم من الله شيئا فكان الحال كما قال وفي تاكيد الجملة بان واللام وتنكير العلم وتعليله بالتعليم
المسند الى ذاته سبحانه من الدلالة على جلالة شان يعقوب عليه السلام وعلو مرتبة علمه وفخامته ما لا
يخفى ولكن اكثر الناس لا يعلمون اسرار القدر ويزعمون انه يغني عنه الحذر واما
ما يقال من ان المعنى لا يعلمون ايجاب الحذر مع انه لا يغني شيئا من القدر فيأباه مقام بيان تخلف المطلوب
عن المبادي ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه بنيامين اى ضم اليه في الطعام او في المنزل او
فيهما روي انهم لما دخلوا عليه قالوا هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم وستجدون ذلك
عندي فاكرمهم ثم اضافهم واجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا يبكي وقال لو كان اخي يوسف
حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم وحيدا واجلسه معه على مائدته وجعل يواكله ثم انزل كل
اثنين منهم بيتا فقال هذا لا ثاني معه فيكون معي فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى اصبح
وسأله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت اسماءهم من اسم اخ لي هلك فقال له اتحب ان اكون
اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف
وقام اليه وعانقه وقال له عند ذلك قال اني انا اخوك يوسف فلا تبتئس اى فلا
تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله تعالى قد احسن الينا وجمعنا بخير ولا تعلمهم بما
اعلمتك قال ابن عباس رضي الله عنهما وعن وهب انه لم يرد انه اخوه بل اراد انا اخوك بدل اخيك المفقود
ومعنى فلا تبتئس بما كنت تلقاه من الحسد والاذى فقد امنتهم وروي انه قال له فانا لا افارقك

قال قد علمت باغتمام والدى بى فاذا حبستك يزداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا
يجمل قال لا ابالى فافعل ما بدا لك قال فانى ادس صاعى فى رحلك ثم انادى عليك بانك سرقته ليتهيأ لى
ردك بعد تسريحك معهم قال افعل فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية اى المشربة قيل
كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت تسقى بها الدواب ويكال بها الحبوب وكانت فضة
وقيل من ذهب وقيل من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت اناء مستطيلة تشبه المكوك الفارسى
الذى يلتقى طرفاه يستعمله الاعاجم وقيل كانت مرصعة بالجواهر فى رحل اخيه بنيامين وقرئ
وجعل على حذف جواب لما تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى مناد ايتها العير
وهى الابل التى عليها الاحمال لانها تعير اى تذهب وتجيء وقيل هى قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل
لكل قافلة عير كانها جمع عير واصلها فعل كسقف وسقف فعل به ما فعل ببيض وعيد والمراد
اصحابها كما فى قوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبى روى انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى
انطلقوا منزلا وقيل خرجوا من العمارة ثم امر بهم فادركوا ونودوا انكم لسارقون هذا
الخطاب ان كان بامر يوسف فلعله اريد بالسرقة اخذهم له من ابيه ودخول بنيامين فيه
بطريق التغليب والا فهو من قبل المؤذن بناء على زعمه والاول هو الاظهر الاوفق للسياق
وقرأ اليمانى سارقون بلا لام قالوا اى الاخوة واقبلوا عليهم جملة حالية من ضمير قالوا جئ
بها للدلالة على انزعاجهم مما سمعوه لمباينته لحالهم ماذا تفقدون اى تعدمون تقول
فقدت الشئ اذا عدمته بان ضل عنك لا بفعلك والمآل ماذا ضاع عنكم وصيغة المستقبل
لاستحضار الصورة وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا والعدول عما
يقتضيه الظاهر من قولهم ماذا سرق منكم لبيان كمال نزاهتهم باظهار انه لم يسرق منهم شئ فضلا
ان يكونوا هم السارقين له وانما الممكن ان يضيع منهم شئ فيسالونهم انه ماذا وفيه ارشاد لهم
الى مراعاة حسن الادب والاحتراز عن المجازفة ونسبة البراءة الى بالاخيرة لا سيما بطريق
التوكيد فلذلك غيروا كلامهم حيث قالوا فى جوابهم نفقد صواع الملك ولم يقولوا سرقتموه
او سرق وقرئ صاع وصوع بفتح الصاد وضمها واهمال العين واعجامها من الصياغة
ثم قالوا تربية لما تلقوه من قبلهم وازاحة لاعتقاداته انما يبقى فى رحلهم اتفاقا ولمن جاء به
من عند نفسه مظهرا له قبل التفتيش حمل بعير من الطعام جعلا له لا على يد التحقيق الوعد بجزائهم
بامتناع وجود الشرط وزعمهم على ما لا يخفى من ان من وجد فى رحله وانا به زعيم
كفيل اؤديه اليه وهو قول المؤذن قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الواو ولذلك لا تدخل
الا على الجلالة المعظمة او الرب المضاف الى الكعبة او الرحمن فى قول ضعيف ولو قلت تالرحيم
لم يجز وقيل من الباء وقيل اصل بنفسه وايا ما كان ففيه تعجب لقد علمتم علما جازما مطابقا
للواقع ما جئنا لنفسد فى الارض اى لنسرق فانه من اعظم انواع الافساد او لنفسد فيها
اى افساد كان فضلا عما نسبتمونا اليه من السرقة ونفى المجئ للافساد وان لم
يكن مستلزما لما هو مقتضى المقام من نفى الافساد مطلقا لكنهم جعلوا المجئ الذى يترتب
عليه ذلك ولو بطريق الاتفاق مجيئا لغرض الافساد مفعولا لاجله ادعاء اظهارا لكمال
قبحه عندهم وتربية لاستحالة صدوره عنهم كما قيل فى قوله تعالى ما يبدل القول لدى وما

انا بظلام للعبيد الدال بظاهره على نفى المبالغة فى الظلم دون نفى الظلم فى الجملة الذى هو
مقتضى المقام من المعنى اذا عذبت من لا يستحق التعذيب كنت ظالما مفرطا فى الظلم
فكانهم قالوا ان صدر عنا افساد كان مجيئنا لذلك مريدين به تقبيح حالنا واظهار كمال
نزاهتهم عنه ليعقوب انه قد شاع بينكم فى كرتى مجيئنا ما نحن عليه وقد كانوا فى غاية ما
يكون من الديانة والصيانة فيما يأتون ويذرون حتى روى انهم دخلوا مصر وافواه رواحلهم
مكمومة لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد وكانوا مثابرين على فنون الطاعات وعلم
بذلك انه لا يصدر عنا افساد وما كنا سارقين اى ما كنا نوصف بالسرقة قط وانما
حكموا بعلمهم ذلك لان العلم باحوالهم المشاهدة يستلزم العلم باحوالهم الغائبة وانما لم يكتفوا
بنفى الامرين المذكورين بل استشهدوا بعلمهم بذلك الزاما للحجة عليهم وتحقيقا للتعجب المفهوم
من تاء القسم قالوا اى اصحاب يوسف عليه السلام فما جزاؤه الضمير للصواع على حذف المضاف
اى فما جزاء سرقته عندكم وفى شريعتكم ان كنتم كاذبين لا فى دعوى البراءة عن السرقة
فانهم صادقون فيها بل فيما يستلزمه ذلك من نفى كون الصواع فيهم كما يؤذن به قوله
عز وجل قالوا جزاؤه من وجد اى اخذ من وجد الصواع فى رحله حيث ذكر بعنوان
الوجدان فى الرحل دون عنوان السرقة وان كان ذلك مستلزما لها فى اعتقادهم
المبنى على قواعد العادة ولذلك اجابوا بما اجابوا فان الاخذ والاسترقاق سنة انما
هو جزاء السارق دون من وجد فى يده مال غيره كيفما كان فتأمل واحمل كلام كل فريق
على ما لا يأباه رأيه فانه اقرب الى معنى الكيد وابعد من الافتراء وقوله فهو جزاؤه تقرير
لذلك الحكم اى فاخذه جزاؤه كقولك حق الضيف ان يكرم فهو حقه ويجوز ان يكون
جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هى خبره على اقامة الظاهر مقام المضمر والاصل جزاؤه
من وجد فى رحله فهو هو على ان الاول لمن والثانى للظاهر الذى وضع موضعه كذلك
اى مثل ذلك الجزاء الاوفى نجزى الظالمين بالسرقة تاكيد للحكم المذكور غب تاكيد وبيان لقبح السرقة
ولقد فعلوا ذلك ثقة بكمال براءتهم عنها وهم عما فعل بهم غافلون فبدأ يوسف بعدما
رجعوا اليه للتفتيش باوعيتهم باوعية الاخوة العشرة اى بتفتيشها قبل تفتيش وعاء
اخيه بنيامين لنفى التهمة روى انه لما بلغت النوبة الى وعائه قال ما اظن هذا
اخذ شيئا فقالوا والله لا تتركه حتى تنظر فى رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا ثم استخرجها
اى السقاية او الصواع فانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه لم يقل منه على رجع الضمير
الى الوعاء او من وعائه على رجعه الى الاخ قصدا الى زيادة كشف وبيان وقرئ بضم الواو
وبقلبها همزة كما فى اشاح فى وشاح كذلك نصب على المصدرية والكاف مقحم للدلالة على
فخامة المشار اليه كذا اما فى ذلك من معنى البعد اى مثل ذلك الكيد العجيب وهو
عبارة عن ارشاد الاخوة الى الافتاء المذكور باجرائه على السنتهم وبحملهم عليه بواسطة
المستفتين من حيث لم يحتسبوا فمعنى قوله عز وجل كدنا ليوسف صنعنا ودبرنا لاجل
تحصيل غرضه من المقدمات التى رتبها من دس الصواع وما يتلوه فاللام ليست كما فى قوله
تعالى فيكيدوا لك كيدا فانها داخلة على المتضرر على ما هو الاستعمال الشائع وقوله تعالى

ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك استئناف وتعليل لذلك الكيد وصنعه وتفسير وبيان له
كأنه قيل لماذا فعل ذلك فقيل لأنه لم يكن ليأخذ أخاه بما فعله في دين الملك في أمر
السارق أي في سلطانه قاله ابن عباس أو في حكمه وقضائه قاله قتادة إلا به لأن جزاء السارق
في دينه إنما كان ضربه وتغريمه ضعف ما أخذ دون الاسترقاق والاستعباد كما هو شريعة يعقوب
عليه السلام فلم يكن يتمكن بما صنعه من أخذ أخيه بالوجه الذي سماه في حال من الأحوال إلا أن يشاء الله
أي إلا حال مشيئته التي هي عبارة عن إرادته لذلك الكيد أو إلا حال مشيئته للأخذ بذلك
الوجه ويجوز أن يكون الكيد عبارة عنه وعن مباديه المؤدية إليه جميعا من إرشاد يوسف
وقومه إلى ما صدر عنهم من الأفعال والأقوال حسبما شرح مرتبا لكن لا على أن يكون القصر
المستفاد من تقديم المجرور مأخوذا بالنسبة إليه مطلقا على معنى مثل ذلك الكيد
كدنا لا كيدا آخر إذ لا معنى لتعليله بعجز يوسف عليه السلام عن أخذ أخيه في دين الملك في أمر
السارق قطعا إذ لا علاقة بين مطلق الكيد وبين دين الملك في أمر السارق أصلا بل بالنسبة
إلى بعضه على معنى مثل ذلك الكيد البالغ إلى هذا الحد كدنا ولم نكتف ببعض من ذلك
لأنه لم يكن ليأخذ أخاه في دين الملك بالأفعال المستندة إلى ما يجري مجرى
الجزء الصوري من العلة التامة وهو إرشاد أخوته إلى الإفتاء المذكور وعلى هذا ينبغي أن
يحمل القصر في تفسير قوله تعالى كذلك مكنا ليوسف بقوله علمناه إياه وأوحينا به إليه أي
مثل ذلك التعليم المستتبع لما شرح مرتبا علمناه دون بعض من ذلك فقط إلى آخره وعلى
كل حال فالاستثناء من أعم الأحوال ويجوز أن يكون من أعم العلل والأسباب أي لم
يكن ليأخذه لعلة من العلل أو بسبب من الأسباب إلا لعلة مشيئته تعالى أو إلا بسبب مشيئته
تعالى وأياما كان فهو متصل لأن أخذ السارق إذا كان ممن يرى ذلك ويعتقده دينا
لا سيما عند رضاه وإفتائه به ليس مخالفا لدين الملك وقد قيل معنى الاستثناء إلا أن
يشاء الله أن يجعل ذلك الحكم حكم الملك وأنت تدري أن المراد بيان ما عليه ... فهو
مخل بالاتصال وإرادة مطلق ما يتدين به ... وما يحدث يفضي إلى كون الاستثناء
من قبيل التعليق بالمحال إذ المقصود بيان عجز يوسف عليه السلام عن أخذ أخيه ... ولم يتعلق
المشيئة بالجعل المذكور إذ ذاك وإرادة عجزه مطلقا تؤدي إلى خلاف المراد فإن استثناء
حال المشيئة المذكورة من أحوال عجزه عليه السلام مما يشعر بعدم الحاجة إلى الكيد المذكور وقد قيل
وقد يجوز الانقطاع أي لكن أخذه بمشيئة الله تعالى إذ ثبت في دين غير دين الملك نرفع
درجات أي رتبا كثيرة عالية من العلم وانتصابها على المصدرية أو الظرفية أو على نزع الخافض
أي إلى درجات والمفعول قوله تعالى من نشاء أي من نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة
وتستدعيه المصلحة كما رفعنا يوسف وإيثار صيغة الاستقبال للإشعار بأن ذلك سنة
مستمرة غير مختصة بهذه المادة والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب وفوق كل
ذي علم من أولئك المرفوعين عليم لا ينالون شأوه وقد ... اعلم أنه إن جعل الكيد
عبارة عن المعنى الأول فالمراد برفع يوسف عليه السلام ... بالشرطية أو الشرطية ...
... عليه السلام كلا من الصواع في رحل أخيه وما يتفرع عليه من المقدمات المرتبة لاستيفا

أخيه مما يتم من قبله وأما المعنى إرشاد أخوته إلى الإفتاء المذكور لأنه لم يكن متمكنا من أخذ
أخيه بدونه وإرشاده كلا منهم من يوسف وأصحابه إلى ما صدر عنهم ولم يكتف
بما تم من قبل يوسف فقط لأنه لم يكن متمكنا من أخذ أخيه به وحده وأمر بها كلا منهم
ومن يوسف وأصحابه بذلك فقوله نرفع درجات الخ قوله تعالى عليم توضيح لذلك على
معنى أن الرفع المذكور لا يوجب تمام ما رامه إذ ليس ذلك بحيث لا يعزب عن علمه شيء بل إنما
نرفع كل من نرفع حسب استعداده وفوق كل واحد منهم عليم لا يقادر قدر علمه ولا يكتنه كنهه
يرفع كلا منهم إلى ما لا يليق به من معارج العلم ومدارجه وقد رفع يوسف إلى ما لا يليق
به من الدرجات العالية وعلم ما حواه دائرة علمه لا يخفى عليه مرامه فأرشد أخوته
إلى الإفتاء المذكور فكان ما كان إذ لو كان عليه السلام لم يكن على يقين من صدور الإفتاء المذكور
عن أخوته وإن كان على طمع منه فإن ذلك إنما وجد بجودة علمه العرض
لوصف العلم لتعيين جهة العلو ... وفي صيغة الغيبة لما تقدم من التنكير والالتفات إلى
الغيبة من الدلالة على فخامة شأنه عز وعلا وجلالة مقدار علمه المحيط ما لا يخفى وأما
إن جعل عبارة عن التعليم المستتبع للإفتاء المذكور فالرفع عبارة عن ذلك التعليم
والإفتاء وإن لم يكن داخلا تحت قدرته عليه السلام لكنه كان داخلا تحت علمه بواسطة
الوحي والتعليم والمعنى مثل ذلك التعليم البالغ إلى هذا الحد علمناه ولم نقتصر
على تعليم ما عدا الإفتاء الذي سيصدر عن أخوته إذ لم يكن متمكنا من أخذ أخيه
إلا بذلك فقوله نرفع درجات من نشاء توضيح لقوله كدنا وبيان لأن ذلك من باب
الرفع إلى الدرجات العالية من العلم ومدح ليوسف برفعه إليها وقوله وفوق كل ذي
علم عليم تذييل له أي نرفع درجات عالية من العلم من نشاء رفعه وفوق كل منهم عليم
هو أعلى درجة قال [...] ابن عباس رضي الله عنهما فوق كل عالم عالم إلى أن ينتهي العلم
إلى الله تعالى والمعنى أن أخوة يوسف كانوا علماء إلا أن يوسف أفضل منهم وقرئ
درجات من نشاء بالإضافة والأول أنسب بالتذييل حيث نسب فيه الرفع إلى من
نسب إليه الفوقية لا إلى درجته ويجوز كون العليم في هذا التفسير عبارة عن الله عز وجل
أي وفوق كل من أولئك المرفوعين عليم كلامهم إلى الدرجة اللائقة به والله تعالى
أعلم قالوا إن يسرق يعنون بنيامين فقد سرق أخ له من قبل يريدون
به يوسف عليه السلام وما جرى عليه من جهة عمته على ما قيل من أنها كانت تحضنه فلما شب
أراد يعقوب عليه السلام انتزاعه منها وكانت لا تصبر عنه ساعة وكانت لها منطقة ورثتها
من أبيها إسحق عليه السلام فاحتالت لاستبقاء يوسف عليه السلام فعمدت إلى المنطقة فحزمتها
عليه من تحت ثيابه ثم قالت فقدت منطقة إسحق فانظروا من أخذها فوجدوها
محزومة على يوسف فقالت إنه لي سلم أفعل به ما أشاء فخلاه يعقوب عندها حتى
ماتت وقيل كان أخذ في صباه صنما لأبي أمه فكسره وألقاه في الجيف وقيل
دخل كنيسة فأخذ منها تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه فأسرها يوسف
أي أكن الحزازة الحاصلة مما قالوا في نفسه لا أنه أسرها لبعض أصحابه كما في قوله تعالى

واسرّها لهم ارباباً لم يبدها لهم لا قولاً ولا فعلاً صفحاً عنهم وحلماً وهو تأكيد لما سبق قال اي في نفسه وهو
استئناف مبني على سؤال نشأ من الاخبار بالاسرار المذكور كأنه قيل فماذا قال في نفسه في تضاعيف
ذلك الاسرار فقيل قال انتم شر مكاناً اي منزلة حيث سرقتم اخاكم من ابيكم ثم طفقتم تفترون على البري
وقيل بدل من اسرها والضمير للمقالة المفسرة بقوله انتم شر مكاناً والله اعلم بما تصفون اي
عالم علماً بالغاً الى اقصى المراتب بان الامر ليس كما تصفون من صدور السرقة منا بل انما هو افتراء علينا
فالصيغة لمجرد المبالغة لا لتفضيل علمه عز وجل على علمهم كيف لا وليس لهم بذلك من علم قالوا عندما
شاهدوا مخايل اخذ بنيامين مستعطفين يا ايها العزيز ان له اباً مريداً وابتداء الاخبار بان له
اباً مع ان ذلك معلوم مما سبق وانما ارادوا الاخبار بان له اباً شيخاً كبيراً في السن لا يكاد يستطيع
فراقه وهو علالته يتسلى به عن شقيقه الهالك فخذ احدنا مكانه فليس عنده من له
من المحبة والشفقة انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك بهذه التتمة او المتعودين
بالاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله اي نعوذ بالله معاذاً من ان نأخذ فحذف الفعل
واقيم مقامه المصدر مضافاً الى المفعول به وحذف الجار الا من وجدنا متاعنا عنده
لان اخذنا له انما هو بقضية فتواكم فليس لنا الاخلال بموجبها وايثار صيغة التكلم مع الغير
كون الخطاب متجاذباً اخوته على التوحيد من باب السلوك الى سنن الملوك او للاشعار بان
الاخذ والاعطاء ليس مما يستبد به بل هو منوط باراء اهل الحل والعقد وايثار من وجدنا متاعنا
عنده دون من سرق متاعنا لتحقيق الحق والاحتراز عن الكذب في الكلام مع تمام المرام فانهم
لا يحملون معنى ان الصواع الذي على قاعدة السرقة انا اذا ای اذا اخذنا غير من وجدنا متاعنا
عنده ولو برضاه لظالمون في مذهبكم وما لنا ذلك او هذا المعنى هو الذي اريد بالكلام
في اثناء المحاورة ولعمري يا ظاهره وان الله عز وجل انما امرني بالوحي ان اخذ بنيامين لمصالح علمها الله
في ذلك فلو اخذت غيره كنت ظالماً وعاملاً بخلاف الوحي فلما استيأسوا منه اي يئسوا من
يوسف واجابته لهم اشد يأس بدلالة صيغة الاستفعال وانما حصلت لهم هذه المرتبة من اليأس
لما شاهدوه من عوذه بالله مما طلبوه الدال على كون ذلك عنده في اقصى مراتب الكراهة وانه
مما يجب ان يحترز عنه ويعاذ منه بالله عز وجل ومن تسميته ظلماً بقوله انا اذا لظالمون خلصوا اي
اعتزلوا وانفردوا عن الناس نجياً اي ذوي نجوى على ان يكون بمعنى النجوى والتناجي او فوجاً
نجياً على ان يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجياً ويجوز
ان يقال لهم نجي كما يقال هم صديق لانه بزنة المصادر جمع انجية قال كبيرهم في السن وهو
روبيل او في العقل وهو يهوذا او رئيسهم وهو شمعون الم تعلموا كانهم اجمعوا عند التناجي على
الانقلاب جملة ولم يرض به فقال منكراً عليهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقاً من الله
عهداً يوثق به وهو حلفهم بالله تعالى وكونه من الله لاذنه به وكونه الحلف باسمه الكريم ومن
قبل اي من قبل هذا ما فرطتم في يوسف اي قصرتم في شأنه ولم تحفظوا عهد ابيكم وقد قلتم وانا له
لناصحون وانا له لحافظون وما مزيدة او مصدرية ومحل المصدر النصب عطفاً على مفعول تعلموا
اي الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقاً وتفريطكم السابق في شأن يوسف ولا ضير في الفصل بين العاطف
والمعطوف بالظرف وقد جوز النصب عطفاً على اسم ان والخبر في يوسف او من قبل على معنى الم تعلموا ان

تفريطكم السابق وقع في شأن يوسف او ان تفريطكم الكائن او كائناً في شأن يوسف وقع من قبل
وفيه ان مقتضى المقام انما هو الاخبار بوقوع ذلك التفريط لا بكون تفريطهم السابق واقعاً في
شأن يوسف كما هو المفاد على الاول ولا بكون تفريطهم الكائن في شأنه واقعاً من قبل كما هو المفاد
على الثاني على ان الظرف المقطوع عن الاضافة لا يقع خبراً ولا صفة ولا صلة ولا حالاً الا عند الحصر
كما تقرر في موضعه وقيل محله الرفع على الابتداء والخبر من قبل وفيه ما فيه وقيل ما موصولة او
موصوفة ومحلها النصب او الرفع والحق هو النصب عطفاً على مفعول تعلموا اي ما فرطتم بمعنى قدمتموه
في حقه من الخيانة واما النصب عطفاً على اسم ان او الرفع على الابتداء فقد عرفت حاله فلن ابرح
الارض متفرع على ما ذكره وذكرهم به من ميثاق ابيه وقوله فلن ابرح الا ان يحاط بكم اي
فلن افارق ارض مصر جرياً على قضية الميثاق حتى يأذن لي ابي في البراح بالانصراف اليه وكأن
ايمانهم كانت معقودة على عدم الرجوع بغير اذن يعقوب عليه السلام او يحكم الله لي بالخروج منها
على وجه لا يؤدي الى نقض الميثاق او بخلاص اخي بسبب من الاسباب روي انهم
كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك لتردن الينا اخانا او لاصيحن صيحة لا تبقى بمصر
حامل الا القت ولدها ووقفت كل شعرة في جسده فخرجت من ثيابه وكان بنو يعقوب اذا
غضبوا لا يطاقون خلا انه اذا مس من غضب واحد منهم سكن غضبه فقال يوسف لابنه قم الى
جنبه فمسه فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد لبذراً من بذر يعقوب وهو خير
الحاكمين اذ لا يحكم الا بالحق والعدل ارجعوا انتم الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق
على ما شاهدناه من ظاهر الحال وقرئ سُرِّق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا وشاهدنا
ان الصواع استخرج من رحله وما كنا للغيب اي باطن الحال حافظين فما ندري ان حقيقة
الامر كما شاهدنا ام بخلافه او ما كنا لعلمنا حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انا نبتلى في
هذا الامر او انك تصاب به كما اصبت بيوسف واسأل القرية التي كنا فيها اي مصر او قرية
بقربها لحقهم المنادي عندها اي ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة والعير التي اقبلنا فيها
اي اصحابها فان القصة معروفة فيما بينهم وكانوا قوماً من كنعان من جيران يعقوب وقيل من
صنعاء وانا لصادقون تأكيد في محل القسم قال اي يعقوب عليه السلام وهو استئناف على سؤال نشأ مما
سبق فكأنه قيل فماذا كان عند قول الموقف لاخوته ما قال فقيل قال يعقوب عندما رجعوا اليه
فقالوا له ما قالوا وانما حذف للايذان بان مسارعتهم الى قبوله ورجوعهم به الى ابيهم امر مسلم غني
عن البيان وانما المحتاج اليه جوابه بل سولت اي زينت وسهلت وهو اضراب لا عن
صريح كلامهم فانهم صادقون في ذلك بل عما يتضمنه من ادعاء البراءة عن التسبب فيما نزل به وانه لم
يصدر منهم ما يؤدي الى ذلك من قول او فعل كأنه قيل لم يكن الامر كذلك بل زينت لكم انفسكم
امراً من الامور فاتيتموه يريد بذلك فتياهم بأخذ السارق بسرقته فصبر جميل اي فامري صبر جميل
او فصبر جميل اجمل عسى الله ان يأتيني بهم جميعاً يوسف واخيه والموقف بمصر انه هو العليم
بحالي وحالهم الحكيم الذي لم يبتلني الا لحكمة بالغة وتولى اي اعرض عنهم كراهة لما سمع منهم
وقال يا اسفى على يوسف الاسف اشد الحزن والحسرة اضافه الى نفسه والالف بدل من ياء المتكلم
فناداه اي يا اسفى تعال فهذا اوانك وانما تأسف على يوسف مع ان الحادث مصيبة اخويه

لاان رزأه كان قاعدة الارزاء عنده وان تقادم عهده اخذا بمجامع قلبه لا ينساه ولانه كان
واثقا بحياتهما طامعا في ايابهما واما يوسف فلم يكن في شانه ما يحرك سلسلة رجائه
سوى رحمة الله تعالى وفضله وفي الخبر لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون الا امة محمد صلى الله
عليه وسلم الا يرى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع بل قال ما قال والتجانس بين لفظي
الاسف ويوسف مما يزيد النظم الكريم بهجة كما في قوله عز وجل وهم ينهون عنه وينأون عنه وقوله
اثاقلتم الى الارض ارضيتم وقوله ثم كلي من كل الثمرات ويحسبون انهم يحسنون صنعا ونظايرها وابيضت
عيناه من الحزن الموجب للبكاء فان العبرة اذا كثرت محقت سواد العين وقلبته الى بياض
كدر قيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا روي انه ما جفت عينا يعقوب من يوم
فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله عز وجل من يعقوب
عليه السلام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عليه السلام ما بلغ من وجد يعقوب على ابنه
قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة قط
وفيه دليل على جواز التاسف والبكاء عند النوائب فان الكف عند ذلك مما لا يدخل تحت التكليف
فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابرهيم وقال
القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون وانما الذي
لا يجوز ما يفعله الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الخدود والصدور وشق الجيوب وتمزيق
الثياب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل
يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين
احمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح فهو كظيم مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له
في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله تعالى وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه
او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها
في جوفه قالوا تالله تفتؤا تذكر يوسف اي لا تفتؤ ولا تزال تذكره تفجعا عليه فحذف حرف النفي كما
في قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا لعدم الالتباس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة
الاثبات يكون على النفي حتى تكون حرضا مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض من اذابه
هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف
وقد قرئ به وبضمتين كجنب وغرب او تكون من الهالكين اي الميتين قال انما اشكو بثي
البث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس اي ينشره كانهم قالوا ما قالوا بطريق
التسلية والاشكاء فقال لهم اني لا اشكو ما بي اليكم او الى غيركم حتى تتصدوا لتسليتي وانما
اشكو همي وحزني الى الله تعالى ملتجئا الى جنابه متضرعا لدى بابه في دفعه وقرئ بفتحتين
وضمتين واعلم من الله ما لا تعلمون من لطفه ورحمته فارجوا ان يرحمني ويلطف بي ولا
يخيب رجائي او اعلم وحيا او الهاما من جهته ما لا تعلمون من حياة يوسف قيل راى ملك الموت
عليه السلام في المنام فسأله عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف عليه السلام انه سيخر له ابواه
واخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا اي تعرفوا وهو تفعل من الحس وقرئ بالجيم من الجس
وهو الطلب اي تطلبوا من يوسف واخيه اي من خبرهما ولم يذكر الثالث لان غيبته

اختيارية لا يشتر ان لها ولا تياسوا من روح الله اي لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ بضم
الراء اي من رحمته التي يحيي بها العباد وهذا ارشاد لهم الى بعض ما ابهم في قوله واعلم من الله ما لا تعلمون
ثم حذرهم عن ترك العمل بموجب نهيه بقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون لعدم
علمهم بالله تعالى وصفاته فان العارف لا يقنط في حال من الاحوال فلما دخلوا عليه اي
على يوسف بعدما رجعوا الى مصر بموجب امر ابيهم وانما لم يذكر ذلك ايذانا بمسارعتهم الى ما امروا
به واشعارا بان ذلك امر محقق لا يفتقر الى الذكر والبيان قالوا يا ايها العزيز اي الملك
القادر الممتنع مسنا واهلنا الضر الهزال من شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة
مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته
والريح تزجي السحاب قيل كانت بضاعتهم من متاع الاعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر
وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة وانما
قدموا ذلك ليكون ذريعة الى اسعاف مرامهم ببعث الشفقة وهز العطف والرأفة وتحريك
سلسلة الرحمة ثم قالوا فاوف لنا الكيل اي اتممه لنا وتصدق علينا برد اخينا الينا قاله
الضحاك وابن جريج ومرادهم الاب لكمال نظرهم الى اتيانه او بالايفاء او بالمسامحة وقبول المزجاة
او بالزيادة على ما يساويها تفضلا وانما سموه تصدقا تواضعا اما ارادوا التصدق فوق ما يعطيهم
بالثمن بناء على اختصاص حرمة الصدقة بنبينا صلى الله عليه وسلم وانما لم يبدؤوا بما امروا به استجلابا
للرافة والشفقة ليبعثوا بما قدموا من رقة الحال رقة القلب والحنو عليه ولما ساقه كلام ذو
وجهين فان قولهم وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين يحتمل الحمل على المحملين فلعله
عليه السلام حمله على المحمل الاول فلذلك قال مجيبا عما عرضوا به وضمنوه كلامهم من طلب رد اخيهم هل
علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه وكان الظاهر ان يتعرض لما فعلوا باخيه فقط وانما تعرض
لما فعلوا بيوسف لاشتراكهما في وقوع الفعل عليهما فان المراد بذلك افرادهم له عن يوسف واذلاله
بذلك حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اي هل تبتم عن ذلك بعد علمكم بقبحه
فهو سؤال عن الملزوم والمراد لازمه اذ انتم جاهلون بقبحه فلذلك اقدمتم على ذلك
او جاهلون بعاقبته وانما قاله نصحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما راى عجزهم وتمسكنهم
لا معاتبة وتثريبا ويجوز ان يكون هذا الكلام منه عليه السلام منقطعا عن كلامهم وتنبيها لهم على
ما هو حقهم ووظيفتهم من الاعراض عن جميع المطالب والتمحض في طلب بنيامين بل يجوز ان
يقف عليه السلام بطريق الوحي او الالهام على وصية ابيه وارساله اياهم للتحسس منه ومن اخيه
فلما رآهم قد اشتغلوا عن ذلك قال ما قال وقيل اعطوه كتاب يعقوب عليه السلام وهو فيه
من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد
فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فشدت يداه ورجلاه فرمي به في النار فجعلها الله
تعالى عليه بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله
واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا
بالدم فقالوا اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من
امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته وانا اهل بيت

لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرأ
لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ما قال وقيل لما قراه بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا
قالوا أئنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك اكده بان واللام قالوه استغرابا وتعجبا
وقرىء انك بالايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع
التاج عن راسه فراوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكان لسارة ويعقوب مثلها وقرىء
اينك او انت يوسف على معنى اينك يوسف او انت يوسف فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وفيه
زيادة استغراب قال انا يوسف جوابا عن سؤالهم وقد زاد عليه قوله وهذا اخي اي من
ابوي مبالغة في تعريف نفسه وتفخيما لشان اخيه وتكملة لما افاده قوله هل علمتم ما فعلتم
بيوسف واخيه حتى قوله قد من الله علينا فكانه قال هل علمتم ما فعلتم بنا من التفريق
والاذلال فانا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا بالخلاص عما ابتلينا به وبالاجتماع بعد
الفرقة والعزة بعد الذلة والانس بعد الوحشة ولا يبعد ان يكون فيه اشارة الى الجواب عن
طلبهم لرد بنيامين بانه اخي لا اخوكم فلا وجه لطلبكم ثم علل ذلك بطريق الاستيناف التعليلي
بقوله انه من يتق اي يفعل التقوى في جميع احواله او يتق نفسه عما يوجب سخط الله تعالى وعذابه
ويصبر على المحن او على مشقة الطاعات او عن المعاصي التي تستلذها النفس فان الله لا
يضيع اجر المحسنين اي اجرهم وانما وضع المظهر موضع المضمر تنبيها على ان المنعوتين بالتقوى
والصبر موصوفون بالاحسان قالوا تالله لقد اثرك الله علينا اختارك وفضلك علينا
بما ذكرت من النعوت الجليلة وان كنا وان الشان انا كنا لخاطئين لمتعمدين للذنب اذ فعلنا
بك ما فعلنا ولذلك اعزك واذلنا وفيه اشعار بالتوبة والاستغفار ولذلك قال لا
تثريب اي لا عتب ولا تانيب عليكم وهو تفعيل من الثرب وهو الشحم الغاشي للكرش ومعناه
ازالته كما ان التجليد ازالة الجلد والتقريع ازالة القرع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية الهزال
فضرب مثلا للتقريع الذي يذهب بماء الوجه وقوله تعالى اليوم منصوب بالتثريب او بالمقدر
خبر اللا اي لا اثربكم او لا تثريب مستقر عليكم اليوم الذي هو مظنة له فما ظنكم بسائر الايام او بقوله
يغفر الله لكم لانه صفح عن جريمتهم وعفى عن جرائمهم بما فعلوا من التوبة وهو ارحم الراحمين
يغفر الصغاير والكباير ويتفضل على التائب بالقبول ومن كرمه عليه السلام ان اخوته ارسلوا اليه انك
تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك بما فرط منا فيك فقال عليه السلام ان اهل مصر
وان ملكت فيهم كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان الله من بلغ عبدا بيع بعشرين
درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم الان وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني من
حفدة ابرهيم اذهبوا بقميصي هذا قيل هو الذي كان عليه وقيل هو القميص المتوارث
الذي كان في التعويذ امره جبريل عليه السلام ان يرسله اليه وقال ان فيه ريح الجنة لا يقع على
مبتلى الا عوفي فالقوه على وجه ابي يات بصيرا يصر بصيرا او يات الي بصيرا ويشهد له قوله
واتوني باهلكم اجمعين اي بابي وغيره ممن ينتظمه لفظ الاهل جميعا من النساء والذراري
قيل الذي حمل القميص يهوذا وقال انا احزنته بحمل القميص ملطخا بالدم اليه فافرحه كما احزنته
وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا ولما

فصلت العير خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انفصل العير قال ابوهم يعقوب عليه السلام لمن عنده اني لاجد ريح يوسف
اوجده الله سبحانه ما عبق بالقميص من ريح يوسف من ثمانين فرسخا حين اقبل به يهوذا لولا
ان تفندون اي تنسبوني الى الفند وهو الخرف وانكار العقل من فساد الراي من هرم
يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة اذ لم تكن في شبيبتها ذات راي فتفند في كبرها وجواب
لولا محذوف اي لصدقتموني قالوا اي الحاضرون عنده تالله انك لفي ضلالك القديم
لفي ذهابك عن الصواب قدما في افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك للقائه
وكان عندهم انه قد مات فلما ان جاء البشير هو يهوذا القاه اي القى البشير القميص
على وجهه اي على وجه يعقوب او القاه يعقوب على وجه نفسه فارتد اي عاد بصيرا لما انتعش
من القوة قال الم اقل لكم يعني قوله اني لاجد ريح يوسف والخطاب لمن كان عنده بكنعان
او قوله ولا تياسوا من روح الله فالخطاب لبنيه وهو الانسب بقوله اني اعلم من الله ما لا
تعلمون فان مدار النهي المذكور انما هو العلم الذي اوتي يعقوب من جهة الله سبحانه وعلى
هذا يجوز ان يكون هذا مقولا لقوله اي الم اقل لكم حين ارسلتكم الى مصر وامرتكم بالتحسس
ونهيتكم عن الياس من روح الله تعالى اني اعلم من الله ما لا تعلمون من حياة يوسف
روي انه سال البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر قال ما اصنع بالملك على اي
دين تركته قال على دين الاسلام قال الان تمت النعمة قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا
انا كنا خاطئين ومن حق من اعترف بذنبه ان يصفح عنه ويستغفر له فكانهم كانوا على
ثقة من عفوه عليه السلام ولذلك اقتصروا على استدعاء الاستغفار او ادرجوا ذلك في الاستغفار
قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم وهذا مشعر بقبوله قيل اخره الى
وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة وقيل اخره الى ان يستحل لهم من
يوسف عليه السلام او يعلم انه قد عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويعضده انه روي
عنه انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة
خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة نزل جبريل عليه السلام فقال ان الله
قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة فان صح ثبت نبوتهم
وان ما صدر عنهم انما صدر من قبل الاستنباء وقيل المراد الاستمرار على الدعاء فقد
روي انه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل قام الى الصلوة في وقت
السحر فلما فرغ رفع يديه فقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر
لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحى الله اليه ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين فلما دخلوا
على يوسف روي انه وجه يوسف الى ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه فاستقبله
يوسف والملك في اربعة الاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب
عليه السلام وهو يمشي متوكيا على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون
مصر قال لا بل هذا ولدك فلما لقيه قال السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل قال له يوسف يا ابت
بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيمة تجمعنا فقال بلى ولكن خشيت ان تسلب

دينك فقال بنى هذا بيتك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل
وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى
الذرية والهرمى وكانت الذرية الف الف ومائتى الف آوى اليه ابويه اى اباه وخالته ونزلها
منزلة الام تنزيل العم منزلة الاب فى قوله عز وجل واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق او لان يعقوب
عليه السلام تزوجها بعد امه وقال الحسن وابن اسحق كانت امه فى الحيوة فلا حاجة الى التأويل ومعنى
آوى اليه ضمهما اليه واعتنقهما ولعله عليه السلام ضرب فى الملتقى مضربا فنزل فيه فدخل عليه فآواهما
اليه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين من الشدائد والمكاره قاطبة والمشيئة متعلقة بالدخول
على الامن ورفع ابويه على العرش على السرير تكرمة لهما فوق ما فعله لاخوته
وخروا له اى ابواه واخوته سجدا تحية له فانه كان السجود عندهم جاريا مجرى التحية والتكرمة
كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها من عادات الناس الفاشية فى التعظيم والتوقير وقيل
ما كان ذلك الا انحناء دون تعفير الجبهة ويأباه الخرور وقيل خروا لاجله سجدا شكرا ويرده قوله
تعالى وقال يا ابت هذا تأويل رؤياى التى رأيتها وقصصتها عليك من قبل فى زمن الصبا
قد جعلها ربى حقا صدقا واقعا بعينها والاعتذار بجعل يوسف بمنزلة القبلة وجعل
اللام كما فى قول حسان اليس اول من صلى لقبلتكم تعسف لا يخفى وتأخيره عن الرفع على العرش ليس بنص فى
ذلك لان الترتيب الذكرى لا يجب كونه على وفق الترتيب الوقوعى فلعل تأخيره عنه ليتصل به ذكر
كونه تعبير الرؤيا وما يتصل به من قوله وقد احسن بى المشهور استعمال الاحسان بالى وقد
يستعمل بالباء ايضا كما فى قوله عز اسمه وبالوالدين احسانا وقيل هذا بتضمين لطف وهو
الاحسان الخفى كما يؤذن به قوله تعالى ان ربى لطيف لما يشاء وفيه فائدة لا تخفى اى لطف
محسنا الى فى هذا الاحسان اذ اخرجنى من السجن بعد ما ابتليت به ولم يصرح بقصة الجب
حذرا من تثريب اخوته لان الظاهر حضورهم لوقوع الكلام عقيب خرورهم سجدا او اكتفاء
بما يتضمنه قوله تعالى وجاء بكم من البدو اى البادية من بعد ان نزغ الشيطان بينى وبين
اخوتى اى افسد بيننا بالاغواء واصله من نخس الرائض الدابة وحملها على الجرى يقال نزغه
ونسغه اذا نخسه ولقد بالغ عليه السلام فى الاحسان حيث اسند ذلك الى الشيطان ان ربى
لطيف لما يشاء اى لطيف التدبير لاجله رفيق حتى يجئ على وجه الحكمة والصواب ما من
صعب الا وهو بالنسبة الى تدبيره سهل انه هو العليم بوجوه المصالح الحكيم الذى يفعل
كل شئ على قضية الحكمة روى ان يوسف اخذ بيد يعقوب عليهما السلام وطاف فى
خزائنه فادخله فى خزائن الورق والذهب وخزائن الحلى وخزائن الثياب وخزائن السلاح
وغير ذلك فلما ادخله خزائن القراطيس قال يا بنى ما اعقك عندك هذه القراطيس وما
كتبت الى على ثمانى مراحل قال امرنى جبريل قال اوما تسأله قال انت ابسط اليه منى فسأله قال
جبريل الله تعالى امرنى بذلك لقولك اخاف ان يأكله الذئب قال فهلا خفتنى وروى ان
يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحق فمضى
بنفسه ودفنه ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلاثا وعشرين سنة فلما تم امره وعلم انه
لا يدوم له تاقت نفسه الى الملك الدائم الخالد فتمنى الموت فقال رب قد آتيتنى من الملك

اى بعضا منه عظيما وهو ملك مصر وعلمتنى من تأويل الاحاديث اى بعضا من ذلك كذلك ان
اريد بتعليم تأويل الاحاديث تفهيم غوامض اسرار الكتب الالهية ودقائق سنن الانبياء عليهم السلام
فالترتيب ظاهر واما ان اريد به تعليم تعبير الرؤيا كما هو الظاهر فلعل تقديم ايتاء الملك عليه فى
الذكر لانه مقام تعداد النعم الفائضة عليه من الله سبحانه والملك اعرف فى كونه نعمة من التعليم
المذكور وان كان ذلك ايضا نعمة جليلة فى نفسه ولا يمكن تمشية هذا الاعتذار فيما سبق لان
التعليم هنالك وارد على نهج العلة الغائية للتمكين فان حمل على معنى التمكين لزم تأخره عنه وان
الوقوع يجوز التأخير فى الذكر لان العطف بحرف الواو لا يستدعى ذلك الترتيب فى الوجود فاطر
السموات والارض مبدعهما وخالقهما نصب على انه صفة للمنادى او منادى آخر وصفه تعالى
به بعد وصفه بالربوبية مبالغة فى ترتيب مبادى ما يعقبه من قوله انت وليى مالك امورى
فى الدنيا والآخرة او الذى يتولانى بالنعمة فيهما واذ قد اتممت على نعمة الدنيا توفنى اى
اقبضنى مسلما والحقنى بالصالحين من آبائى او بعامة الصالحين فى الرتبة والكرامة
فلما تم امره بذلك قيل لما دعا توفاه الله تعالى طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر فى تربته
وتشاحوا فى ذلك حتى هموا بالقتال فرأوا ان يجعلوه فى صندوق من مرمر ويجعلوه فيدفنوه
فى النيل ليمر عليه ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا فيه فى التبرك به وولد له افرائيم وميشا ولافرائيم
نون ولنون يوشع فتى موسى عليه السلام ولقد توارثت الفراعنة من العمالقة بعده مصر ولم يزل بنو
اسرائيل تحت ايديهم على بقايا دين يوسف وآبائه الى ان بعث الله تعالى موسى عليه السلام ذلك اشارة
الى ما تقدم من نبأ يوسف وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الدلالة على بعد منزلته او كونه بالانقضاء
فى حكم البعيد والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ خبره من انباء الغيب الذى لا
يحوم حوله احد وقوله نوحيه اليك خبر بعد خبر او حال من الضمير فى الخبر ويجوز ان يكون ذلك
اسما موصولا ومن انباء الغيب صلته ويكون الخبر نوحيه اليك وما كنت لديهم اى لدى اخوة
يوسف اذ اجمعوا امرهم وهو جعلهم اياه فى غيابة الجب وهم يمكرون ويبغون له الغوائل حتى
تقف على ظواهر اسرارهم وبواطنها وتطلع على سرائرهم طرا وتحيط بما لديهم خبرا وليس المراد مجرد
نفى حضوره عليه السلام فى مشهد اجتماعهم ومكرهم فقط بل فى سائر المشاهد ايضا وانما تخصيصه بالذكر
لكونه مطلع القصة واخفى احوالها كما ينبئ عليه قوله وهم يمكرون والخطاب وان كان
للرسول صلى الله عليه وسلم لكن المراد الزام المكذبين والمعنى ان ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك
اذ لا سبيل الى معرفتك اياه سوى ذلك اذ عدم سماعك ذلك من الغير وعدم مطالعتك الكتب
امر لا يشك فيه المكذبون ايضا ولم تكن بين ظهرانيهم عند وقوع الامر حتى تعرفه كما هو فتبلغه اليهم
وفيه تهكم بالكفرة فانهم يشكون فى ذلك فيدفع شكهم وفيه ايضا ايذان بان ما ذكر
من النبأ هو الحق المطابق للواقع وما ينقله اهل الكتاب ليس على ما هو عليه يعنى ان مثل
هذا التحقيق بلا وحى لا يتصور الا بالحضور والمشاهدة واذ ليس ذلك بالحضور فهو بالوحى
ومثله قوله تعالى وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وقوله وما كنت بجانب
الغربى اذ قضينا الى موسى الامر وما اكثر الناس يريد العموم او اهل مكة ولو حرصت اى
على ايمانهم وبالغت فى اظهار الآيات القاطعة الدالة على صدقك بمؤمنين لتصميمهم على الكفر

واقامتهم على العناد روى ان اليهود وقريشا لما سالوا عن قصة يوسف وتوعدوا ان يسلموا
فلما اخبرهم بها على موافقة التورية فلم يسلموا حزن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل له ذلك وما
تسالهم عليه اى على الانباء او على القران من اجر من جعل كما يفعله حملة الاخبار ان هو الا ذكر
عظة من الله تعالى للعالمين كافة لا ان ذلك مختص بهم وكاين من آية اى كاى عدد شئت
من الايات والعلامات الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته وحكمته غير هذه
الآية التي جئت بها في السموات والارض اى كائنة فيهما من الاجرام الفلكية وما
فيهما من النجوم وتغير احوالها ومن الجبال والبحار وسائر ما في الارض من العجائب الفائتة
للحصر يمرون عليها اى على الايات ويشاهدونها وقرئ برفع الارض على الابتداء ويمرون خبره وقرئ بنصبها	اى يشاهدونها
على معنى ويطؤن الارض يمرون عليها وفي مصحف عبد الله والارض يمشون عليها والمراد
ما يرون فيها من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من الايات والعبر وهم عنها معرضون
غير ناظرين اليها ولا متفكرين فيها وما يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته
الا وهم مشركون بعبادتهم لغيره او باتخاذهم الاحبار اربابا او نسبة الولد اليه او بقولهم
باتخاذه تعالى ولدا سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا او بالنور والظلمة وهي
جملة حالية اى لا يؤمن اكثرهم الا في حال شركهم قيل نزلت الآية في اهل مكة وقيل في
المنافقين وقيل في اهل الكتاب افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله
اى عقوبة تغشاهم وتشملهم او تاتيهم الساعة بغتة فجأة من غير سابقة علامة
وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلي وهي الدعوة الى
التوحيد والايمان بالاخلاص وفسرها بقوله ادعو الى الله على بصيرة بيان وحجة
واضحة غير عمياء وهي حال من الضمير في سبيلي والعامل فيها معنى الاشارة انا تاكيد
للمستكن في ادعو وعلى بصيرة لانه حال منه او مبتدا خبره على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه
وسبحان الله وما انا من المشركين ... وما ارسلنا من
قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء الله لانزل ملائكة نوحي اليهم كما اوحينا اليك
وقرئ بالياء من اهل القرى لانهم اعلم واحلم واهل البوادي فيهم الجهل والجفاء
والقسوة افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من
المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك ولدار الآخرة اى الساعة او الحياة
الآخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي افلا تعقلون فيستعملون عقولكم
لتعرفوا خيرية دار الآخرة وقرئ بالياء على ... حتى اذا استيأس الرسل
غاية لمحذوف دل عليه السياق اى لا يغرنهم تماديهم لايامهم فيما هم فيه من الدعة والرخاء
فان من قبلهم قد امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او من ايمانهم
لانهماكهم في الكفر وتماديهم في الطغيان من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا
كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون عليهم او كذبوا رجاهم فانه يوصف بالصدق والكذب
والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله تعالى قد تطاولت
وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا جاءهم نصرنا فجأة وعن ابن

عباس

عباس رضي الله عنه وظنوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر فان صح ذلك عنه فلعله اراد بالظن ما يخطر
بالبال من شبه الوسوسة وحديث النفس وانما عبر عنه بالظن تهويلا للخطب واما الظن الذي هو ترجيح
احد الجانبين على الآخر فلا يتصور ذلك من احاد الامة فما ظنك بالانبياء عليهم السلام وهم هم ومنزلتهم
بسمو شئون الله سبحانه خبرتهم وقيل الضمائر للمرسل اليهم وقيل الاول لهم والثاني للرسل وقرئ
بالتشديد اى ظن الرسل ان القوم كذبوهم فيما اوعدوهم وقرئ بالتخفيف على بناء الفاعل اى و
الضمير للرسل اى ظنوا انهم كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا على ان
الاول لقومهم فنجي من نشاء هم الرسل والمؤمنون بهم وقرئ فنجي على لفظ الماضي المبني للمفعول بالتخفيف
والتشديد وقرئ فنجا ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين اذا نزل بهم وفيه بيان لمن تعلق
بهم المشيئة لقد كان في قصصهم اى قصص الانبياء واممهم وقرئ بكسر القاف
وقصص يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبرأة عن شوائب احكام الحس
ما كان اى القرآن المدلول عليه بما سبق دلالة واضحة حديثا يفترى ولكن تصديق
الذي بين يديه من الكتب السماوية وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اى ولكن هو
تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء مما يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا
وهو يستند الى القرآن بالذات او بوسط وهدى من الضلالة ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم
يؤمنون اى يصدقونه لانهم المنتفعون به واما من عداهم فلا يهتدون بهداه
ولا ينتفعون بجدواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم
تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

بسم الله الرحمن الرحيم المر اسم للسورة ومحله اما الرفع
على انه خبر لمبتدا محذوف اى هذه السورة مسماة بهذا الاسم وهو اظهر من الرفع على الابتداء اذ لم
يسبق العلم بالتسمية كما مر مرارا وقوله تعالى تلك على الوجه الاول مبتدا مستقل وعلى الوجه الثاني
مبتدا ثان او بدل من الاول اشير به الى آياتها ... واما النصب بتقدير فعل يناسب المقام
نحو اقرا او اذكر فتلك مبتدا كما اذا جعل المر مسرودا على نمط التعديد او بمعنى انا الله اعلم وارى
على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما والخبر على التقادير قوله تعالى آيات الكتاب اى الكتاب
العجيب الكامل الغني عن الوصف به المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب
به فهو عبارة عن جميع القرآن او عن الجميع المنزل حينئذ حسبما مر في مطلع سورة يونس عليه السلام اذ
هو المتبادر من مطلق الكتاب المستغني عن النعت وبه يظهر ما اريد من وصف الآيات
بوصف ما اضيفت اليه من نعوت الكمال بخلاف ما اذا جعل عبارة عن السورة
فانها ليست بتلك المثابة من الشهرة في الاتصاف بتلك الصفة المغنية عن التصريح بالوصف على انها
عبارة عن جميع آياتها فلا بد من جعل تلك اشارة الى كل واحدة منها وفيه ما لا يخفى من
التعسف الذي مر تفصيله في سورة يونس والذي انزل اليك من ربك اى الكتاب
المذكور بكماله لا هذه السورة وحدها الحق الثابت المطابق للواقع في كل ما نطق به

الحقيق بانه يخص به الحقيقة لعراقته فيها و ليس فيه ما يدل على ان ما عداه ليس بحق اصلاً على ان
حقيته مستتبعة لحقية سائر الكتب السماوية لكونه مصدقا لما بين يديه و مهيمنا عليه و في
التعبير عنه بالموصول و اسناد الانزال اليه بصيغة المبني للمفعول و التعرض لوصف الربوبية
مضافا الى ضميره عليه السلام من الدلالة على فخامة المنزل التابعة لجلالة شان المنزل و تشريف
المنزل اليه و الايماء الى وجه بناء الخبر ما لا يخفى ولكن اكثر الناس لا يؤمنون بذلك الحق
المبين لاخلالهم بالنظر و التامل فيه فعدم ايمانهم متعلق بعنوان حقيته لانه المحوج للتصديق
والتكذيب لا بعنوان كونه منزلا كما قيل و لانه وارد على طريقة الوصف دون الاخبار الله الذي رفع
السموات اي خلقهن مرتفعات على طريقة قولهم سبحان من كبر الفيل و صغر البعوض لا انه
رفعها بعد ان لم تكن كذلك و الجلالة مبتدأ و خبر كقوله و هو الذي مد الارض بغير عمد
اي بغير دعائم جمع عماد كاهاب و اهب و هو ما يعمد به اي يسند يقال عمدت الحائط اي
اعمدته و قرئ عمد على انه جمع عمود كرسل و رسول او اريد صيغة الجمع لجمع السموات لا لان
المنفي عن كل واحدة منها عمد لا عماد ترونها استيناف استشهاد على ما ذكر من رفع السموات
بغير عمد و قيل صفة لعمد جي بها ايهاما لان لها عمدا غير مرئية هي قدرة الله سبحانه ثم استوى
اي استولى على العرش بالحفظ والتدبير او استوى امره و عن اصحابنا ان الاستواء على العرش
صفة لله عز وجل بلا كيف و ايا ما كان فليس المراد به القصد الى ايجاد العرش و خلقه فلا
حاجة الى الحمل كلمة ثم للتراخي في المرتبة وسخر الشمس والقمر ذللهما و جعلهما طائعين
لما اريد منهما من الحركات و غيرها كل من الشمس والقمر يجري حسبما اريد منهما لاجل
مسمى لمدة معينة فيها تتم دورته كالسنة للشمس و الشهر للقمر فان كلا منهما يجري كل يوم على
مقدار معين من المدارات اليومية او لمدة ينتهي فيها حركاتهما و يخرج جميع ما اريد منهما من القوة
الى الفعل او لغاية يتم عندها ذلك و الجملة بيان لحكم تسخيرهما يدبر بما صنع من الرفع و الاستواء
و التسخير اي يقضي و يقدر حسبما يقتضيه الحكمة و المصلحة الامر امر الخلق كله و امر ملكوته
و ربوبيته يفصل الآيات الدالة على كمال قدرته و بالغ حكمته اي ياتي بها مفصلة و هي
ما ذكر من الافعال العجيبة و ما يتلوها من الاوضاع الفلكية الحادثة شيئا فشيئا المستتبعة
للآثار الغريبة في السفليات على موجب التدبير و التقدير فالجملتان اما حالان من ضمير
استوى و قوله و سخر الشمس والقمر من تتمة الاستواء و اما مفسرتان له او الاولى حال منه
و الثانية من الضمير فيها او كلاهما من ضمائر الافعال المذكورة و قوله كل يجري لاجل مسمى من تتمة
التسخير او خبران من قوله الله بعد خبر و الموصول صفة للمبتدا جي به للدلالة على تحقق الخبر
و تعظيم شانه كما في قول الفرزدق ان الذي سمك السماء بنى لنا ○ بيتا دعائمه
اعز و اطول ○ لعلكم عند معاينتكم لهذه و تعرفكم تفاصيلها بلقاء ربكم بملاقاة لجزائه توقنون
فان من تدبرها حق التدبر ايقن ان من قدر على ابداع هذه الصنائع البديعة على كل شيء
قدير و ان لهذه التدبيرات المتقنة عواقب و غايات لا بد من وصولها و قد بينت على
السنة الانبياء عليهم السلام ان ذلك ابتلاء المكلفين ثم جزاؤهم حسب اعمالهم فاذن لا بد من
الايقان بالجزاء و لما قرر الشواهد العلوية اردفها بذكر الدلائل السفلية فقال و هو

الذي

الذي مد الارض اي بسطها طولا و عرضا لــــ الاصم الله هو البسط الى ما لا يدرك منتهاه
ففيه دلالة على بعد مداها و سعة اقطارها و جعل فيها رواسي اي جبالا ثوابت في احيازها
من الرسو و هو ثبات الاجسام الثقيلة و لم يذكر الموصوف لاغناء غلبة الوصف بها عن ذلك
و اختصاص مجي فواعل لجمع فاعل علة فوارس و هوالك و نواكس انما هو في صفات العقلاء فاما
في غيرهم فلا يراعى ذلك اصلا كما في قوله تعالى اياما معدودات و قوله الحج اشهر معلومات الى
غير ذلك فلا حاجة الى ان يجعل مفردها صفة لجمع القلة اعني اجبالا و يعتبر في جمع الكثرة اعني جبالا
انتظامها لطائفة من جموع القلة و تنزيل كل منها منزلة مفردها كما قيل على انه لا مجال لذلك فان
جمعية كل من صيغتي الجمع انما هي باعتبار الافراد التي تحتها لا باعتبار انتظام جمع القلة للافراد
و جمع الكثرة لجموع القلة و كل منهما جمع جبل لا ان جبالا جمع اجبل كما ان طوائف جمع طائفة و لا
الى ان يلتجي الى جعل الوصف المذكور بالغلبة في عداد الاسماء التي تجمع على فواعل كما ظن على انه
لا وجه له لما ان القلة انما هي في الجمع دون المفرد و التعبير عن الجبال بهذا العنوان لبيان تفرع قرار الارض
على ثباتها و انهارا مجاري واسعة و المراد ما يجري فيها من المياه و قرن نظمها مع الجبال في صورية
فعل واحد اشارة الى ان الجبال منشأ للانهار و بيان لفائدة اخرى للجبال غير كونها حافظة
للارض عن الاضطراب المخل بثبات الاقدام و تقلب الحيوان متفرعة عن تمكنه و تقلبه و هي
تعيشه بالماء و الكلاء و من كل الثمرات متعلق بجعل في قوله تعالى جعل فيها زوجين اثنين
اي اثنينية حقيقية و هما الفردان اللذان كل منهما زوج الاخر و اكتفى بالزوجين لئلا يفهم ان
المراد بذلك الشفعان اذ يطلق الزوج على المجموع و لكن اثنينية ذلك اثنينية اعتبارية
اي جعل من كل نوع من انواع الثمرات الموجودة في الدنيا ضربين و صنفين اما في اللون كالابيض
و الاسود و في الطعم كالحلو و الحامض او في القدر كالصغير و الكبير او في الكيفية كالحار و البارد
و ما اشبه ذلك و يجوز ان يتعلق بجعل الاول و يكون الثاني استينافا لبيان كيفية ذلك
الجعل يغشي الليل النهار استعارة تبعية تمثيلية مبنية على تشبيه ازالة نور الجو بواسطة
الاشياء الظاهرة لا بالاغطية اي يستر النهار بالليل و المركب و لان احتمال العكس ايضا بالحمل على
تقديم المفعول الثاني على الاول فان ضوء النهار ايضا ساتر لظلمة الليل الا ان الانسب بالليل ان
يكون هو الغاشي و عد هذا في تضاعيف الآيات السفلية و ان كان تعلقه بالآيات
العلوية ظاهرا باعتبار ان ظهوره في الارض فان الليل انما هو ظلها و فيما فوق موقع ظلها
لا ليل اصلا و لان الليل و النهار لهما تعلق بالثمرات من حيث العقد و الانضاج على انهما
ايضا زوجان متقابلان مثلها و قرئ يغشي من التغشية ان في ذلك اي فيما ذكر من مد
الارض و اثباتها بالرواسي و اجراء الانهار و خلق الثمرات و اغشاء الليل النهار و في
الاشارة بذلك تنبيه على عظم شان المشار اليه في بابه لآيات باهرة فان آثار تلك الافاعيل البديعة
جلت حكمة صانعها تعالى على معناها فان تلك الآثار مستمرة في ذلك الافاعيل فتحتاج الى لقوم
يتفكرون فان التفكر فيها يؤدي الى الحكم بان تكوين كل من ذلك على هذا النمط الرائق
و الاسلوب اللائق لا بد له من مكون قادر حكيم يفعل ما يشاء و يختار ما يريد لا معقب لحكمه
و هو الحميد المجيد و في الارض قطع جملة مستانفة مشتملة على طائفة اخرى من الآيات اي بقاع

كثيرة مختلفة الاوصاف من طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة الى غير ذلك متجاورات
اى متلاصقات وفى بعض المصاحف قطعا متجاورات اى جعل فى الارض قطعا وجنات من
اعناب اى بساتين كثيرة منها وزرع خالطه اخلاص كل نوع من انواع الحبوب وافراده
لمراعاة اصله ولعل تقديم ذكر الجنات عليه مع كونه عمود المعاش لظهور حال ما فيه اختلافها وتباينها
لسائرها وسوغ ذلك فيها وتأخير قوله تعالى ونخيل لئلا يقع بينها وبين صفتها وهو قوله تعالى
صنوان وغير صنوان فاصلة والصنوان جمع صنو كقنوان وقنو وهى النخلة التى لها راسان
واصلها واحد وقرئ بضم الصاد على لغة بنى تميم وبنى وقرئ جنات بالنصب عطفا على
زوجين وبالجر على كل الثمرات فلعل عدم نظم قوله تعالى وفى الارض قطع متجاورات
فى هذا المسلك لما ان اختصاص كل من تلك القطع بما لها من الاحوال والصفات
بمحض جعل الخالق الحكيم جلت قدرته حين مد الارض ودحاها للايجاد الى كون تلك الاحوال
صفات راسخة لتلك القطع وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب او جنات
تسقى اى ما ذكر من القطع والجنات والزرع والنخيل وقرئ بالياء مراعاة للفظ الاول
اوفق بمقام بيان اتحاد الكل فى حالة السقى بماء واحد والاختلاف فى طعمه سواء كان السقى
بماء الامطار او بماء الانهار ونفضل مع اتحاد اسباب التشابه بمحض قدرتنا واختيارنا
بعضها على بعض فى الاكل فيما يحصل منها من الثمر والطعم وقرئ بالياء على بناء
الفاعل رداً على يدبر ويفصل وبصيغة بناء المفعول وفيما لا يخفى من الفخامة والدلالة
على عدم احتمال اسناد الفعل الى فاعل اخر مع عدم بناء الفعل للفاعل ان فى ذلك الذى
من احوال القطع والجنات لايات كثيرة عظيمة ظاهرة لقوم يعقلون يعملون على
قضية عقولهم فان من عقل هذه الاحوال العجيبة لا يتلعثم فى الجزم بان من قدر على ابداع
هذه البدايع وخلق تلك الثمار المختلفة فى الاشكال والالوان والطعوم والروايح فى
تلك القطع المتباينة المتجاورة وجعلها حدائق ذات بهجة قادر على اعادة ما ابداه
بل هى اهون فى القياس وهذه الاحوال وان كانت هى الايات انفسها لا ما فيها الا انها قد
جردت عنها امثالها مبالغة فى كونها اية ففى تجريده سلماته قوله تعالى لهم فيها دار الخلد
والمشار اليه الاحوال الكلية والايات افرادها الحادثة شيئا فشيئا فى الازمنة واحادها
الواقعة فى الاقطار والامكنة المشاهدة لاهلها فى على معناها وحيث كانت دلالة هذه
الاحوال على مدلولاتها اظهر مما سبق علق كونها ايات بمحض التعقل ولذلك لم يتعرض
لى تفضيل بعضها على بعض فى الاكل الظاهر لكل عاقل مع تحقق ذلك فى الخواص
والكيفيات مما يتوقف العثور عليه على نوع تأمل وتفكر كانه لا حاجة فى ذلك الى
التفكر اصلا ولعله متضمن بان المشركين عدماء قلبى وان تعجب يا محمد من شىء فعجب لا عجب منه
حقيق بان يقصر عليه التعجب قولهم بعد مشاهدة ما عدد من الايات الشاهدة بانه تعالى
على كل شىء قدير ءاذا كنا ترابا على طريقة الاستفهام الانكارى المفيد لكمال الاستبعاد
والاستنكار وهو فى محل الرفع على البدلية من قولهم على انه مقول المقول او فى محل النصب
على المفعولية منه على انه مصدر فالعجب على الاول كلامهم وعلى الثانى تكلمهم والعامل

فى اذا ما دل عليه قوله اءنا لفى خلق جديد وهو نبعث او نعاد وتقديم الظرف لتقوية الانكار بالبعث بتوجيهه
اليه فى حالة منافية له وتكرير الهمزة فى قولهم ائنا لتأكيد الانكار وليس انكارهم لكونهم ثابتين فى الخلق الجديد
بالفعل عند كونهم ترابا بل لكونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له وفيه من الدلالة على عتوهم وتماديهم
فى الكفر ما لا يخفى وقيل وان تعجب من تكذيبهم فى انكار البعث فعجب قولهم والمآل وان تعجب فقد تعجبت
فى موضع التعجب وقيل وان تعجب من انكارهم البعث فعجب قولهم الدال عليه فتامل وتجويز كون
الخطاب لكل من يصلح له ان تعجب يا من ينظر فى هذه الايات من قدرة من هذه افعاله فازدد
تعجبا ممن ينكر مع هذه الدلائل قدرته تعالى على البعث وهو اهون من هذه الاشياء بقوله وليس
بالسديد هو الاول وقوله فعجب خبر قدم على المبتدأ للقصر والتسجيل من اول الامر بكون قولهم امرا
عجيبا ويجوز ان يكون مبتدأ لكونه موصوفا بالوصف المقدر كما اشير اليه فالمعنى وان تعجب فالعجب
الذى لا عجب وراءه قولهم هذا فالتعجب منه رد على الاول وان تعجب فقولهم هذا عجب اى عجب ووقته
اولئك مبتدأ والموصول خبره اى اولئك المنكرون لقدرته تعالى على البعث ريثما عاينوا ما فصل من
الايات الباهرة الملجئة لهم الى الايمان بر لو كانوا يبصرون الذين كفروا بربهم وتمادوا فى ذلك
فان انكارهم لقدرته عز وجل كفر به واى كفر واولئك مبتدأ خبره قوله الاغلال فى
اعناقهم اى يقيدون بقيود الضلال لا يرجى خلاصهم او يغلون يوم القيمة واولئك الموصوفون
بما ذكر من الصفات اصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط ضمير الفصل ليس
لتخصيص الخلود بمنكرى البعث خاصة بل بالجمع المدلول عليه بقوله تعالى اولئك الذين كفروا
بربهم ويستعجلونك بالسيئة بالعقوبة التى انذروها وذلك حين سألوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره قبل الحسنة اى قبل العافية والاحسان
اليهم بالامهال وقد خلت من قبلهم المثلات اى عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لا يعتبرون
بها ولا يحترزون حلول مثلها بهم والجملة حالية لبيان ركاكة رأيهم فى الاستعجال بطريق الاستهزاء
اى يستعجلونك بها مستهزئين بانذارك منكرين لوقوع ما انذرتهم اياه والحال انه قد مضت
العقوبات النازلة على امثالهم من المكذبين المستهزئين والمثلة بوزن السمرة العقوبة سميت بها
لما بينها وبين المعاقب عليه من المماثلة ومنه المثال للقصاص وقرئ المثلات بضمتين باتباع
الفاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون
الثاء تخفيف المثلات والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة عظيمة
للناس على ظلمهم انفسهم بالذنوب والمعاصى ومحله النصب على الحالية اى ظالمين والعامل
فيه المغفرة والمعنى ان ربك لغفور للناس لا يعجل لهم العقوبة وان كانوا ظالمين بل يمهلهم
بتأخيرها وان ربك لشديد العقاب يعاقب من يشاء منهم حين يشاء فتأخير ما يستعجلونه
ليس للاهمال وعن على عليه السلام لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ لاحد العيش ولولا وعيده وعقابه
لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا وهم المستعجلون ايضا وانما عدل عن الاضمار الى الموصول
ذما لهم ونعيا عليهم كفرهم بايات الله تعالى التى تخر لها صم الجبال حيث لم يرفعوا لها راسا
ولم يعدوها من جنس الايات وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه مثل ايات موسى وعيسى عليهما السلام
عنادا او مكابرة والا ففى ادنى اية انزلت عليه عليه السلام غنية وعبرة لاولى الالباب انما انت منذر

مهلك للانذار من سوء عاقبة ما يأتونه ويذرونه كدأب من قبلك من الرسل ليس عليك الا الاتيان
بما يعلم به نبوتك وقد حصل ذلك بما لا مزيد عليه ولا حاجة الى الزامهم والقامهم الحجر بالاتيان
بما اقترحوه من الايات ولكل قوم هاد معين لا بالذات بل بعنوان الهداية يعني لكل قوم نبي
مخصوص له هداية مخصوصة يقتضي اختصاص كل منهم بما يخص به حكم لا يعلمها الا الله تعالى او
لكل قوم هاد عظيم الشأن قادر على ذلك هو الله سبحانه وما عليك الا انذارهم فلا يهمنك
عنادهم وانكارهم للايات المنزلة عليك وازدراؤهم بها ثم عقبه بما يدل على كمال علمه وقدرته
وشمول قضائه وقدره المبني على الحكم الصالح تنبيها على ان تخصيص كل قوم بنبي وكل نبي بجنس معين
من الايات انما هو للحكم الداعية الى ذلك اظهارا لكمال قدرته على هدايتهم لكن لا يهدي الا
من تعلق بهدايته مشيئته التابعة لحكم استأثر بعلمها فقال الله يعلم ما تحمل كل انثى اي تحمله
فما موصولة او مصدرية اي حملها في بطنها من حين العلوق الى زمن الولادة لا بعد تكامل الخلق فقط او العالم
بتفاصيل احوالها اي يعلم ما تحمل على اي حال هو من الاحوال المتواردة عليه طورا فطورا او استفهامية
معلقة العلم او حالها مصدرية وما تغيض الارحام وما تزداد اي تنقصه وما تزداده في
الجثة كالخديج والتام وفي المدة كالمولود في اقل مدة الحمل والمولود في اكثرها وفيما بينهما قيل ان
الضحاك ولد في سنتين وهرم بن حيان في اربع ومن ذلك سمي هرما وفي العدد كالواحد فما
فوقه يروى ان شريكا كان رابع اربعة او يعلم نقصها وازديادها لما فيها فالفعلان متعديان
كانه قوله تعالى وغيض الماء وقوله وازدادوا تسعا وقوله ونزداد كيل بعير او لازمان وقد
اسندا الى الارحام مجازا لما فيها وكل شئ من الاشياء عنده بمقدار بقدر لا يمكن
مجاوزته عنه كقوله انا كل شئ خلقناه بقدر فان كل حادث من الاعيان والاعراض
له في كل مرتبة من مراتب التكوين ومباديها وقت معين ومحل مخصوص لا يكاد
يجاوزه والمراد بالعندية الحضور العلمي بل العلم الحضوري فان تحقق الاشياء في نفسها
في اي مرتبة كانت من مراتب الوجود والاستعداد لذلك علم له بالنسبة الى الله عز وجل
عالم الغيب اي الغائب عن الحس والشهادة اي الحاضر له عبر عنهما بهما مبالغة وقيل
اريد بالغيب المعدوم وبالشهادة الموجود وهو خبر مبتدأ محذوف او خبر بعد خبر
وقرئ بالنصب على المدح وهذا كالدليل على ما قبله من قوله الله يعلم الخ الكبير العظيم
الشأن الذي كل شئ دونه المتعال المستعلي على كل شئ بقدرته او المنزه عن نعوت
المخلوقات وبعد ما بين سبحانه انه عالم بجميع احوال الانسان في ادوار فطرته ومحيط بعالمي
الغيب والشهادة بين انه تعالى عالم بجميع ما يأتون وما يذرون من الافعال والاقوال وانه
لا فرق بالنسبة اليه بين السر والعلن فقال سواء منكم من اسر القول في نفسه ومن جهر به
اظهره لغيره ومن هو مستخف مبالغ في الاختفاء كانه مختف بالليل وطالب للزيادة وسارب
بارز يراه كل احد بالنهار من سرب سروبا اي برز وهو عطف على من هو مستخف اي على مستخف
ومن عبارة عن الاثنين كما في قوله فان عاهدتني لا تخونني نكن مثل من يا ذئب يصطحبان
كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والاستواء وان اسند الى
من اسر ومن جهر والى المستخفي والسارب لكنه في الحقيقة مسند الى ما اسر وما جهر به

يا ذيب صح

او الى الفا

او الى الفاعل من حيث هو فاعل كما في الاخيرين وتقديم الاسرار والاستخفاء لابانة كمال علمه تعالى فكانه تعلق
بالخفيات اقدم منه بالظواهر والا فنسبته الى الكل سواء لما عرفته انفا له اي لكل ممن اسر
او جهر والمستخفي والسارب معقبات ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقبه مبالغة
عقبه اذا جاء على عقبه كان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونها او اعتقب
فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة او المراد بالمعقبات الجماعات وقرئ معاقيب جمع معقب
او معقبة على تعويض الياء من احدى القافين من بين يديه ومن خلفه من جميع جوانبه او من
الاعمال ما قدم واخر يحفظونه من امر الله من بأسه حين اذنب بالاستمهال والاستغفار
له او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله تعالى وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء
وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه
في توهمه من قضاء الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم من النعمة والعافية حتى يغيروا ما بانفسهم
من الاحوال الصالحة او ملكاتها التي هي فطرة الله التي فطر الناس عليها الى اضدادها واذا
اراد الله بقوم سوءا لسوء اختيارهم واستحقاقهم لذلك فلا مرد له فلا رد له والعامل في
اذا ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه من وال يلي امرهم ويدفع عنهم السوء الذي اراده
الله بهم بما قدمت ايديهم من تغيير ما بهم وفيه دلالة على ان تخلف مراده تعالى محال وايذان بانهم
بما باشروه من انكار البعث واستعجال السيئة واقتراح الاية قد غيروا ما بانفسهم من الفطرة
واستحقوا لذلك حلول غضب الله تعالى وعذابه هو الذي يريكم البرق خوفا من الصاعقة
وطمعا في المطر وجه تقديم الخوف على الطمع ظاهر لما ان المخوف عليه النفس او الرزق العتيد
والمطموع فيه الرزق المترقب وقيل الخوف ايضا من المطر لكن للخائف منه غير الطامع فيه
كالخراث والحاج ويأباه الترتيب اللهم الا ان يتكلف ما اشير اليه من ان المخوف عتيد والمطموع
مترقب وانتصابهما اما على المصدرية اي فتخافون خوفا وتطمعون طمعا او على الحالية من
البرق او المخاطبين باضمار ذوي او بجعل المصدر بمعنى المفعول او الفاعل مبالغة او على العلية
بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع او بتأويل الاخافة والاطماع ليتحد فاعل العلة والفعل
المعلل اما بجعل المعلل هو الرؤية التي يتضمنها الاراءة على طريقة قول النابغة
وحلت بيوتي في يفاع ممنع تخال به راعي الحمولة طائرا حذارا على ان لا تنال مقادتي
ولا نسوتي حتى يمتن حرائرا اي احللت بيوتي حذارا فالسبيل اليه اما وقوعه موقع العلة
الغائية لا سيما الخوف لا يصلح علة لرؤيتهم وينشئ السحاب الغمام المنسحب في الجو الثقال
بالماء وهي جمع ثقيلة وصفت به السحاب لكونه اسم جنس في معنى الجمع والواحد سحابة
يقال سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما يقال امرأة كريمة ونسوة كرام ويسبح الرعد اي سامعوه
من العباد الراجين للمطر متلبسين بحمده اي يضجون بسبحان الله والحمد لله واسناده الى الرعد
لحمله لهم على ذلك او يسبح الرعد نفسه على ان تسبيحه عبارة عن دلالته على وحدانيته تعالى
وفضله المستوجب لحمده وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول سبحان
من يسبح الرعد بحمده واذا اشتد يقول اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك
وعافنا قبل ذلك وعن علي كرم الله تعالى وجهه سبحان من سبحت له وعن

لفعل صح

ابن عباس رضي الله عنهما أن اليهود سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك من الملائكة
موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله تعالى
ليس بملك والملائكة أي ويسبح الملائكة من خيفته من هيبته وإجلاله
جل جلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه بذلك
وهم أي الكفرة المخاطبون في قوله تعالى هو الذي يريكم البرق وقد التفت إلى الغيبة إيذانا
بإسقاطهم عن درجة الخطاب وإعراضا عنهم وتعديدا لجناياتهم لدى كل من يستحق الخطاب
كأنه قيل هو الذي يفعل أمثال هذه الأفاعيل العجيبة من إراءة البرق وإنشاء السحاب
الثقال وإرسال الصواعق الدالة على كمال علمه وقدرته ويعقلها من يعقلها من المؤمنين أو
الرعد نفسه أو الملك الموكل به والملائكة ويعملون بموجب ذلك من التسبيح والحمد والخوف
من هيبته تعالى وهم أي الكفرة الذين حكيت هناتهم مع ذلك الفهم وهو أنهم وحماقتهم
يجادلون في الله أي في شأنه تعالى حيث يفعلون ما يفعلون من إنكار البعث واستعجال
العذاب استهزاء واقتراح الآيات فالواو لعطف الجملة على ما قبلها من قوله تعالى هو الذي يريكم
البرق الخ أو على قوله الله يعلم ما تحمل كل أنثى الخ وأما العطف على قوله تعالى ويقول الذين كفروا
كما قيل فلا مجال له لأن قوله تعالى الله يعلم الخ استئناف لبيان بطلان قولهم ذلك ونظائره
من استعجال العذاب وإنكار البعث قاطع لعطف ما بعده على ما قبله أو حال أي فيصيب
بالصواعق من يشاء وهم في الجدال وقد روي أنه أصاب أربد بن ربيعة أخا لبيد فإنه
أقبل مع عامر بن الطفيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغيانه الغوائل فدخلا المسجد وهو عليه السلام
جالس في نفر من الأصحاب رضي الله عنهم فاستشرفوا لجمال عامر وكان من أجمل الناس وقد كان أوصى
إلى أربد أنه إذا رأيتني أكلم محمدا عليه السلام فدر من خلفه واضربه بالسيف فجعل يكلم عليه السلام
ودار أربد من خلفه فاخترط من سيفه شبرا ثم حبسه الله تعالى فلم يقدر على سله وجعل عامر
يومي إليه فرأى النبي صلى الله عليه وسلم الحال فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فأرسل الله عز وجل
على أربد صاعقة في يوم صحو صائف فأحرقته وولى عامر هاربا فنزل في بيت امرأة سلولية
فلما أصبح ضم عليه سلاحه وتغير لونه وركب فرسه فجعل يركض في الصحراء ويقول ابرز
يا ملك الموت ويقول الشعر ويقول واللات لئن أصحر لي محمد وصاحبه يعني ملك الموت
لأنفذتهما برمحي فأرسل الله تعالى ملكا فلطمه بجناحه فأرداه في التراب فخرجت على ركبته في الوقت
غدة عظيمة فعاد إلى بيت السلولية وهو يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية
ثم دعا بفرسه فركبه فأجراه حتى مات على ظهره وقيل الآية فيما روي عن الحسن أنه كان
رجل من طواغيت العرب فبعث النبي صلى الله عليه وسلم نفرا من أصحابه يدعونه إلى الله عز وجل
فقال لهم أخبروني بما تدعونني إليه ما هو ومم هو من ذهب أو من فضة أم من حديد أم من
نحاس أم من در فاستعظموا مقالته فرجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا رجلا
أكفر قلبا ولا أعتى على الله منه فقال عليه السلام ارجعوا إليه فرجعوا إليه فزاد على المقالة الأولى
وأخبث فرجعوا إليه عليه السلام وأخبروه بما صنع فقال عليه السلام ارجعوا إليه فرجعوا إليه فبينما
هم عنده ينازعونه إذ ارتفعت سحابة فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فأحرقت الكافر

فجاءوا يخبرونه عليه السلام بالخبر فاستقبلهم الأصحاب فقالوا احترق صاحبكم قالوا من أين علمتم
قالوا أوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو شديد المحال أي المحال أنه شديد المماحلة والمكا
يدة لأعدائه من محله إذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل إذا تكلف استعمال الحيل
وقيل هو مفعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول أو الحيلة أعل على غير قياس ويعضده
أنه قرئ بفتح الميم على أنه مفعل من حال يحول إذا احتال ويجوز أن يكون بمعنى الفقار فيكون
مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله أشد وموساه أحد له دعوة الحق أي
الدعوة الثابتة الواقعة في محلها المجابة عند وقوعها والإضافة للإيذان بملابستها للحق
واختصاصها به وكونها بمعزل من شائبة البطلان والضلال كما يقال كلمة الحق وقيل له
دعوة الله سبحانه أي الدعوة اللائقة بحضرته كما في قوله عليه السلام فمن كانت هجرته إلى الله
ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله والمقصود وصف الدعوة بتربية معنى الاستجابة والأولى هو
الأول لقوله تعالى وما دعاء الكافرين إلا في ضلال وتعلق الجملتين بما قبلهما من حيث إن
إهلاك أربد وعامر من محال من الله تعالى وإجابة لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما
إن كانت الآية نزلت في شأنهما أو من حيث إنه وعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم بحلول محاله بهم وتهديد لهم بإجابة دعوته عليهم والذين يدعون أي الأصنام
الذين يدعوهم المشركون فحذف العائد من دونه عز وجل لا يستجيبون لهم
بشيء من طلباتهم إلا كباسط كفيه إلى الماء أي إلا استجابة كائنة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه
إليه من بعيد فإن الاستجابة مصدر من المبني للفاعل على ما يقتضيه الفعل الظاهر أعني لا
يستجيبون ويجوز أن يكون من المبني للمفعول بحذف أحدهما فكأنه قيل لا يستجيبون لهم بشيء
فلا يستجاب لهم استجابة إلا استجابة كائنة كاستجابة من بسط كفيه إلى الماء كما في قوله
وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحت أو مجلف أي لم يدع فلم يبق إلا مسحت
أو مجلف ليبلغ فاه أي الماء بنفسه من غير أن يؤخذ بشيء من الإناء ونحوه وما هو أي الماء
ببالغه أي ببالغ فيه أبدا لكونه جمادا لا يشعر بعطشه ولا ببسط يديه إليه فضلا عن الاستجابة
لإرادة من البلوغ إلى فيه شبه حال المشركين في عدم حصول ما في دعائهم آلهتهم على أصلا
وركاكة رأيهم في ذلك بحال عطشان هائم لا يدري ما يفعل قد بسط كفيه من بعيد إلى الماء
يبتغي وصوله إلى فيه من غير ملاحظة التشبيه في جميع مفردات الأطراف فإن الماء في
نفسه شيء نافع بخلاف آلهتهم أو المراد نفي الاستجابة رأسا إلا أنه قد أخرج الكلام مخرج
التهكم بهم فقيل لا يستجيبون لهم شيئا من الاستجابة إلا استجابة كائنة في هذه الصورة
التي ليست فيها شائبة الاستجابة قطعا فهو من باب التعليق بالمحال وقرئ
تدعون بالتاء وكباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين إلا في ضلال أي في ذهاب وضياع
وخسار وبوار ولله يسجد يخضع وينقاد لا لشيء غيره استقلالا ولا اشتراكا
فالقصر ينتظم القلب والإفراد من في السموات والأرض من الملائكة والثقلين طوعا وكرها
أي طائعين وكارهين أي انقياد طوع وكره أو حال طوع وكره فإن خضوع الكل لعظمته
عز وجل وانقياده لإحداث ما أراده فيهم من أحكام التكوين والإعدام شاءوا أو أبوا وعدم

ما حفظ حكم عنده بل بحكم تعالى في ثلاث السور بما لا يخفى على احد و ظلالهم اى سقاد له تعالى ظلال
ظل منهم اعنى الانس حيث يتصرف على مشيته و يتاتى للارادة في الامتداد و التقلص بالفى و الزوال
بالغدو و الاصال ظرف للسجود المقدر او حال من الظلال و تخصيص الوقتين مع الذكر مع
انقيادها يتحقق في جميع الاوقات لوجود ها الظهور ذلك فيهما و الغدو جمع غداة كقنى في جمع قناة
و الاصال جمع اصيل و قيل جمع اصل و هو جمع اصيل و هو ما بين العصر و المغرب و قيل الغدو
مصدر و يؤيده انه قرى و الايصال اى الدخول في الاصيل هنا و قد قيل ان المراد حقيقة السجود
فان الكفرة حال الاضطرار و هو المعنى بقوله تعالى و كرها يخصون السجود به سبحانه قال تعالى و اذا
ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين و لا يبعد ان ينطق الله تعالى الظلال انها عقولا
لتسجد به سبحانه كما خلق للجبال حتى اشتغلت بالتسبيح و ظهرت فيها اثار التجلى كما قال ابن الانبارى
و يجوز ان يراد بسجودها ما يشاهد فيها من هيئة السجود تبعا لاصحابها و انت خبير بان اختصاص
سجود الكافر حالة الضرورة و الشدة بالله سبحانه لا يجدى فان سجودهم للاصنام حالة الرخاء مخل
بالقصر المستفاد من تقديم الجار و المجرور فالوجه حمل السجود على الانقياد و لان تحقيق انقياد
الكل في الابداع و الاعدام له تعالى ادخل في التوبيخ على اتخاذ اولياء من دونه من تحقيق سجودهم
له تعالى و تخصيص انقياد العقلاء بالذكر مع كون غيرهم ايضا كذلك لانهم العمدة و انقيادهم
دليل انقياد غيرهم على انه يثبت ذلك بقوله عز و جل قل من رب السموات و الارض فانه لتحقيق ان
خالقهما و متولى امرهما مع ما فيهما من على الاطلاق هو الله سبحانه و قوله قل الله امر بالجواب من قبله
عليه الصلاة و السلام اشعارا بانه متعين للجوابية فهو و الخصم في تقريره سواء او ان يحكيه من اعترافهم ايذانا
بانه امر لا بد لهم من ذلك كانه قيل اعترفوا اعترافهم ثم بكتهم بما يلزمهم من الحجة و الفهم الحجر او امر بتلقينهم
ذلك ان تلعثموا في الجواب حذرا من الالزام فانهم لا يتمالكون اذ ذاك و لا يقدرون على
انكاره قل الزاما لهم و تبكيتا افاتخذتم لا انفسكم و الهمزة للانكار الواقع كما في قولك اضربت
اباك لا للانكار الوقوعى كما في قوله اخترت اى و الفاء للعطف على مقدر بعد الهمزة اى اعلمتم انه
ربها هو الله الذى ينقاد لامره من فيهما كافة فاتخذتم من دونه اولياء عاجزين لا يملكون
لانفسهم نفعا يستجلبونه و لا ضرا يدفعونه عن انفسهم فضلا عن القدرة على جلب النفع لغيرهم
و دفع الضر عنه فلا على ان يكون الانكار متوجها الى المعطوفين معا كما في قوله تعالى افلا تعقلون
اذا قدر المعطوف عليه الا تسمعون بل الى ترتب الثانى على الاول مع وجوب ان يترتب عليه
نقيضه و المعنى بعد ما علمتم ان ربها هو الله جل جلاله اتخذتم من دونه اولياء
عجزة و الحال ان قضية العلم بذلك انما هو الاقتصار على توليه فعكستم الامر كما في قوله تعالى
كان مزاجها فسق عن امر ربه افتتخذونه و ذريته اولياء من دونى و وصف الاولياء هنا
بعدم المالكية للنفع و الضر في ترشيح الانكار و تاكيده كتقييد الاتخاذ هناك بالجملة الحالية اعنى
قوله و هم لكم عدو فان كلا منهما مما ينفى الاتخاذ المذكور و يؤكد نكارته قل تصويرا للاراء
الركيكة بصورة المحسوس هل يستوى الاعمى الذى هو المشرك الجاهل بالعبادة و مستحقها
و البصير الذى هو الموحد العالم بذلك او الاول عبارة عن المعبود الغافل و الثانى اشارة
الى المعبود العالم بكل شئ ام هل تستوى الظلمات التى هى عبارة عن الكفر و الضلال

و النور الذى هو عبارة عن التوحيد و الايمان و روى بالياء و المراد بالظلم الكثيرة
على ان الكفرة فيما فعلوا من اتخاذ الاصنام اولياء من دون الله سبحانه في الضلال
المحض و الخطأ البين بحيث لا يخفى بطلانه على احد فانهم في ذلك كالاعمى الذى لا
يهتدى لشئ اصلا و ليس لهم في تلك شبهة تصلح ان تكون منشأ لغلطهم و خطائهم
فضلا عن الحجة اكد ذلك فقيل ام جعلوا لله اى بل جعلوا له شركاء خلقوا كخلقه
سبحانه و الهمزة لانكار الوقوع لا لانكار الواقع مع وقوعه و قوله خلقوا كخلقه هو الذى
يتوجه اليه الانكار و اما نفس الجعل فهو واقع لا يتعلق به الانكار بهذا المعنى و المعنى انهم
لم يجعلوا لله تعالى شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم بسبب ذلك و قالوا
هؤلاء خلقوا كخلقه تعالى فاستحقوا بذلك العبادة كما استحقها ليكون ذلك منشأ
لخطائهم بل انما جعلوا له شركاء ما هو بمعزل من ذلك بالمرة و فيه ما لا يخفى من التوبيخ و ركاكة
رايهم و التهكم بهم قل تحقيقا للحق و ارشادا لهم اليه الله خالق كل شئ كان لا خالق سواه
فيشاركه في استحقاق العبادة و هو الواحد المتوحد بالالوهية المتفرد بالربوبية
لكل ما سواه فكيف يتوهم ان يكون له شريك و بعد ما مثل المشرك و الشرك بالاعمى
و الظلمات و الموحد و التوحيد بالبصير و النور مثل الحق الذى هو القرآن العظيم في فيضانه
من جناب القدس على قلوب خالية عنه متفاوتة الاستعداد و في جريانه عليها ملاحظة
و حفظا على الالسنة مذاكرة و تلاوة و في ثباته فيها مع كونه ممدا للحياة الروحانية
و ما يتلوها من الملكات السنية و الاعمال المرضية بالماء النازل من السماء السائل في اودية
يابسة لم تجر عادتها بذلك سيلانا مقدرا بمقدار اقتضته الحكمة في احياء الارض و ما
عليها الباقى فيها حسبما يدور عليه منافع الناس و كونه حلية يتحلى به النفوس و تصل الى
البهجة الابدية و متاعا يستمتع به في المعاش و المعاد بالذهب و الفضة و سائر الفلزات
التى يتخذ منها انواع الالات و الادوات و يبقى منتفعا بها مدة طويلة و مثل الباطل الذى
ابتلى به الكفرة لقصور نظرهم بما يظهر فيهما من غير مداخلة لهما و انحلال بصفائها من الزبد
الرابى فوقهما المضمحل سريعا فقيل انزل من السماء اى من جهتها ماء اى كثيرا او نوعا منه و هو
ماء المطر فسالت بذلك اودية و اخرى في موقع لا جميع الاودية اذ الامطار لا تستوعب
الاقطار و هو جمع واد و هو موضع بين جبال او تلال او آكام على الشذوذ كنادٍ و اندية و ناج
و انجية قال ابو حيان لا نعلم فاعلا يجمع على افعلة الا هذه كفعيل كناصر و نصير و شهيد و شاهد و علم و عليم جمع
فعيل على افعلة كرغيف و اجربة جمع فاعل على افعلة فان اريد بها ما يسيل فيها فمجاز
فالاسناد السيلان اليها حقيقى و ان اريد معناها الحقيقى فالاسناد مجازى كما في جرى النهر
و ايثار التمثيل بها على الانهار المستمرة الجريان لوضوح المماثلة بين شانها و شان ما مثل بها
كما اشير اليه بقدرها اى سالت ملتبسة بمقدارها الذى عينه الله تعالى و اقتضته حكمته
في نفع الناس او بمقدارها المتفاوت قلة و كثرة بحسب تفاوت محالها صغرا و كبرا لا بكونها مالئة
لها منطبقة عليها بل بمجرد قلتها بصغرها المستلزم لقلة موارد الماء و كثرتها بكبرها المستدعى
لكثرة الموارد فان مورد السيل الجارى في الوادى الصغير اقل من موارد السيل الجارى في الوادى

الكبير هنا ان اريد بالاودية ما يسيل فيها اما ان اريد بها معناها الحقيقي فالمعنى سالت مياهها
بقدر تلك الاودية على نحو ما عرفته آنفا او يراد بضميرها مياهها بطريق الاستخدام والمراد
بقدرها ما ذكر لا من المصنفين فاحتمل السيل الجاري في تلك الاودية اي حمل معه
زبدا اي غثاء ورغوة وانما وصف ذلك بقوله تعالى رابيا اي عاليا منتفخا فوق الماء
بيانا لما اريد بالاحتمال بان صار المحمول لكونه الحميل على طافيا كالاحمال الثقيلة وانما
لم يدفع ذلك الاحتمال بان يقال فاحتمل السيل زبدا للايذان بان تلك الفوقية مقتضى شان
الزبد لا من جهة المحمل تحقيقا للمماثلة بينه وبين ما مثل به من الباطل الذي شأنه الظهور
في بادي الرأي من غير مداخلة في الحق ومما يوقدون عليه في النار اي يفعلون الايقاد
عليه كائنا في النار والضمير للناس اضمر مع عدم سبق الذكر لظهوره وقرئ بالخطاب ابتغاء
حلية او متاع اي لطلب اتخاذ حلية وهي ما يتزين ويتجمل به كالحلي المتخذة من الذهب
والفضة او اتخاذ متاع وهو ما يتمتع به من الاواني والآلات المتخذة من الرصاص والحديد
وغير ذلك من الفلزات زبد خبر مثله اي مثل ما ذكر من زبد الماء في كونه رابيا فوقه
فقوله زبد مبتدأ خبره الظرف المقدم ومن ابتدائية والمعنى مجيء كونه مبتديا وناشيا
منه لا تبعيضية معربة عن كونه بعضا منه كما قيل لاخلاله بالتمثيل وفي التعبير
عن ذلك بالموصول والتعرض لما في حيز الصلة من ايقاد النار عليه جري على سنن
الكبرياء باظهار التهاون به كما في قوله تعالى فاوقد لي يا هامان على الطين واشارة
الى كيفية حصول الزبد منه بذوبانه وفي زيادة في النار مبالغة في
الاعتبار للاذابة وحصول الزبد كما اشير اليه وعدم التعرض لاخراجه من الارض لعدم
دخل ذلك العنوان في التمثيل كما ان لعنوان انزال الماء من السماء دخلا فيه حسبما فصل فيما
سلف بل له اخلال بذلك كذلك اي مثل ذلك الضرب البديع المشتمل على نكت رائقة
يضرب الله الحق والباطل اي مثل الحق ومثل الباطل والحذف للانباء عن كمال
التماثل بين الممثل والممثل به كان المثل المضروب عين الحق والباطل وبعد تحقيق
التمثيل مع الايماء في تضاعيف ذلك الى وجوه المماثلة على ابدع وجه واتقنه حسبما
اشير اليه في مواقعها بين عاقبة كل من الممثلين على نهج التمثيل مع التصريح ببعض ما به المماثلة
من الذهاب والبقاء للغرض من التمثيل من الحث على اتباع الحق الثابت
والردع عن الباطل الزائل فقيل فاما الزبد من كل منهما فيذهب جفاء اي مرميا
به ومرميا الى المعنى واحد واما ما ينفع الناس منهما كالماء الصافي والفلز الخالص
فيمكث في الارض اما الماء فيثبت بعضه في منافعه ويسلك بعضه في عروق الارض
الى العيون والقنى والآبار واما الفلز فيصاغ من بعضه انواع الحلي ويتخذ من
بعضه اصناف الآلات والادوات فينتفع بكل من ذلك انواع الانتفاع مدة طويلة
فالمراد بالمكث في الارض ما هو اعم من المكث في نفسها ومن البقاء في ايدي المتقلبين
فيها وتغيير ترتيب اللف الواقع في الفذلكة الموافق للترتيب الواقع في التمثيل لمراعاة الملاءمة
بين حالتي الذهاب والبقاء وبين ذكرهما فان المعتبر انما هو بقاء الثاني بعد ذهاب

الذاهب لا قبله كذلك يضرب الله الامثال اي مثل ذلك الضرب العجيب يضرب الامثال في كل
باب اظهارا لكمال اللطف والعناية في الارشاد والهداية وفيه تفخيم لشأن هذا
التمثيل وتأكيد لقوله كذلك يضرب الله الحق والباطل اما باعتبار ابتنائه على
التمثيل الاول او بجعل ذلك اشارة اليهما جميعا وبعدما بين شأن كل من الحق والباطل
حالا ومآلا اكمل بيان شرع في بيان حال اهل كل منهما حالا ومآلا تكميلا للدعوة ترغيبا
وترهيبا فقيل للذين استجابوا لربهم اذ دعاهم الى الحق بفنون الدعوة التي من جملتها
ضرب الامثال فانه الطف ذريعة الى تفهيم القلوب الغبية واقوى وسيلة الى تسخير
النفوس الابية كيف لا وهو تصوير للمعقول بصورة المحسوس وابراز لاوابد المعاني
في هيئة المأنوس فاي دعوة اولى منه بالاستجابة والقبول الحسنى اي المثوبة الحسنى
وهي الجنة والذين لم يستجيبوا له وعاندوا الحق الجلي لو ان لهم ما في الارض من اصناف
الاموال جميعا بحيث لم يشذ منه شاذ في اقطارها او مجموعا غير متفرق بحسب الازمان
ومثله معه لافتدوا به اي بما في الارض ومثله معه جميعا ليتخلصوا عما بهم وفيه من تهويل
ما يلقاهم ما لا يحيط به البيان فالموصول مبتدأ والشرطية كما هي خبره لكن لا على انها
وضعت موضع السوءى فوقعت في مقابلة الحسنى الواقعة في القرينة الاولى لمراعاة
حسن المقابلة فصار كأنه قيل وللذين لم يستجيبوا له السوءى كما توهم فان الشرطية وان دلت على كمال سوء
حالهم لكنها بمعزل من القيام مقام لفظ السوءى مصحوبا باللام الداخلة على الموصول او ضميره وعليه يدور
حصول المرام وانما الواقع في تلك المقابلة سوء الحساب في قوله تعالى اولئك لهم سوء الحساب
وحيث كان اسم الاشارة الواقع مبتدأ في هذه الجملة عبارة عن الموصول الواقع مبتدأ في الجملة
السابقة كان خبرها اعني الجملة الظرفية خبرا عن الموصول في الحقيقة وبيانا لابهام مضمون الشرطية
الواقعة خبرا عنه اولا ولذلك ترك العطف فصار كأنه قيل والذين لم يستجيبوا له لهم سوء الحساب
وذلك في قوة ان يقال وللذين لم يستجيبوا لهم سوء الحساب بمعنى زيادة تأكيد فتم حسن المقابلة
على ابلغ وجه وآكده ثم بين مؤدى ذلك فقيل ومأواهم جهنم اي مرجعهم جهنم وفيه نوع تأييد
لتفسير الحسنى بالجنة وبئس المهاد اي المستقر والمخصوص بالذم محذوف وقيل اللام في قوله
للذين استجابوا لربهم متعلقة بقوله يضرب الله الامثال اي الامثال السالفة وقوله الحسنى
صفة للمصدر اي استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله والذين لم يستجيبوا له معطوف على الموصول
الاول وقوله لو ان لهم الخ كلام مستأنف لبيان ما اعد لغير المستجيبين من العذاب والمعنى
كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين المستجيبين والكافرين المعاندين اي هما مثلا الفريقين
وانت خبير بان عنوان الاستجابة وعدمها لا مناسبة بينه وبين ما يدور عليه امر التمثيل وان
الاستعمال المستفيض دخول اللام على من يقصد تذكيره بالمثل نعم قد يستعمل في هذا المعنى
ايضا كما في قوله سبحانه ضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون ونظائره على ان بعض
الامثال المضروبة لا سيما المثل الاخير الموصول بالكلام ليس بمثل الفريقين بل مثل للحق
والباطل ولا مساغ لجعل الفريقين مضروبا لهما ايضا بان يجعل في حكم ان يقال كذلك
يضرب الله الامثال للناس اذ لا وجه لتوزيعهما الى المستجيبين وغير المستجيبين فتأمل

أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك من القرآن الذي مُثّل بالماء المنزل من السماء وبالإبريز الخالص
في المنفعة والجدوى الحق الذي لا حق وراءه أو الحق الذي أشير إليه بالأمثال المضروبة فيستجيب له
كمن هو أعمى عمى القلب لا يشاهده وهو على حاله ولا يقدر قدره وهو في أقصى مراتب العلو
والعظم فيبقى حائراً في ظلمات الجهل وغياهب الضلال أو لا يتذكر بما ضرب من الأمثال أي لا يكن
من يعلم ذلك إلا أنه أريد زيادة تقبيح حاله فعبر عنه بالأعمى وإيراد الفاء بعد الهمزة لتوجيه
الإنكار إلى ترتيب توهم المماثلة على ظهور حال كل منهما بما ضرب من الأمثال وبين المصير والمآل كأنه
قيل أبعد ما بين حال كل من الفريقين ومآلهما يتوهم المماثلة بينهما ثم استؤنف فقيل إنما
يتذكر بما ذكر من المذكورات فيقف على ما بينهما من التفاوت والتنافي أولوا الألباب أي
العقول الخالصة المبرأة من متابعة الإلف ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد الله بما عقدوا
على أنفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى أو ما عهد الله عليهم في كتبه ولا ينقضون
الميثاق ما وثقوه على أنفسهم وقبلوه من الإيمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله
وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص وفيه تأكيد للاستمرار المفهوم من صيغة المستقبل
والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والإيمان بجميع الأنبياء
المجمعين على الحق من غير تفريق بين أحد منهم ويندرج فيه مراعاة جميع حقوق الناس بل
حقوق كل ما يتعلق بهم من الهرة والدجاج ويخشون ربهم خشية جلال وهيبة ورهبة
فلا يعصونه فيما أمر به ويخافون سوء الحساب فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا
وفيه دلالة على كمال فظاعته حسبما ذكر فيما قبل والذين صبروا على كل ما تكرهه النفس من الأفعال
والتروك ابتغاء وجه ربهم طلباً لرضاه خاصة من غير أن ينظروا إلى جانب الخلق رياء أو سمعة
ولا إلى جانب النفس زينة وعجباً وحيث كان الصبر على الوجه المذكور ملاك الأمر في كل ما
ذكر من الصلات السابقة واللاحقة أورد على صيغة المضي اعتناء بشأنه ودلالة على وجوب
تحققه فإن ذلك مما لا بد منه إما في نفس الصلات كما فيما عدا الأولى والرابعة والخامسة
وفي إظهار أحكامها كما في الصلات الثلاث المذكورات فإنها وإن استغنت عن الصبر في أنفسها
حيث لا مشقة على النفس في الاعتراف بالربوبية والخشية والخوف لكن إظهار أحكامها والجري
على موجبها غير خال عن الاحتياج إليه وأقاموا الصلاة المفروضة وأنفقوا مما رزقناهم
أي بعضه الذي يجب عليهم إنفاقه سراً لمن لم يعرف بالمال أو لمن لا يتهم بترك الزكاة وعند
إنفاقه وإعطاء من يمنعه المروءة من أخذه ظاهراً وعلانية لمن لم يكن كما ذكر والأول
في التطوع والثاني في الفرض ويدرءون بالحسنة السيئة أي يجازون الإساءة بالإحسان
أو يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها عن ابن عباس رضي الله عنهما يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم
من سيء غيرهم وعن الحسن إذا حرموا أعطوا وإذا ظلموا عفوا وإذا قطعوا وصلوا وعن ابن
كيسان إذا أذنبوا تابوا وقيل إذا رأوا منكراً أمروا بتغييره وتقديم المجرور على المنصوب لإظهار
كمال العناية بالحسنة أولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة والملكات الجميلة وهو مبتدأ
خبره الجملة الظرفية أعني قوله لهم عقبى الدار أي عاقبة الدنيا وما ينبغي أن يكون مآل أهلها
وهي الجنة وقيل الجار والمجرور خبر لأولئك وعقبى الدار فاعل الاستقرار وأياً ما كان فليس فيه

قصر يعني به أن بعض ما في حيز الصلة ليس من العزائم التي يخل إخلالها بالوصول إلى حسن العاقبة
والجملة خبر للموصولات المتعاطفة أو استيناف لبيان ما استوجبوه بتلك الصفات أو جعلت الموصولات
المتعاطفة صفات لأولي الألباب على طريقة المدح من غير أن يقصد أن يكون للصلات المذكورة مدخل
في التذكر جنات عدن بدل من عقبى الدار ويستأجره يدخلونها والعدن الإقامة ثم صار
علماً لجنة من الجنان أي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح من آبائهم جمع أبوي
كل واحد منهم فكأنه قيل من آبائهم وأمهاتهم وأزواجهم وذرياتهم وهو عطف على المرفوع في
يدخلونها وإنما ساغ ذلك للفصل بالضمير الآخر أو مفعول معه والمعنى أنه يلحق بهم من صلح
من أهليهم وإن لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعاً لهم تعظيماً لشأنهم وهو دليل على أن الدرجة تعلو بالشفاعة
وأن الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول
الجنة زيادة في أنسهم وفي التقييد بالصلاح قطع للأطماع الفارغة لمن يتمسك بمجرد حبل
الأنساب والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من أبواب المنازل أو من أبواب الفتوح
والتحف قائلين سلام عليكم بشارة لهم بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم أو بمحذوف
أي هذه الكرامة العظمى بما صبرتم أي بسبب صبركم أو بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه
والمعنى لئن تعبتم في الدنيا لقد استرحتم الساعة وتخصيص الصبر بالذكر من بين الصلات
السابقة لما أن له دخلاً في كل منها ومزية زائدة من حيث إنه ملاك الأمر في كل
منها وأن الإتيان بها لا يعتد به إذا لم يكن لابتغاء وجه الرب تعالى وتقدس فنعم عقبى الدار
فنعم عقبى الدار الجنة وقرئ بفتح النون والأصل نعم فسكن العين بنقل حركتها إلى النون
تارة وبه وتركها أخرى وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأتي قبور الشهداء
على رأس كل حول فيقول سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وكذا عن الخلفاء
الأربعة رضوان الله عليهم أجمعين والذين ينقضون عهد الله أريد بهم من يقابل الأولين
وليبان ما هم في الأوصاف تنافي صفاتهم من بعد ميثاقه من بعد ما أوثقوه به من
الاعتراف والقبول ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل من الإيمان بجميع الأنبياء المجمعين
على الحق حيث يؤمنون ببعضهم ويكفرون ببعضهم ومن حقوق الأرحام وموالاة المؤمنين
وغير ذلك مما لا يراعون حقوقه من الأمور المعدودة فيما سلف وإنما لم يتعرض لنفي
الخشية والخوف عنهم صريحاً لدلالة النقض والقطع على ذلك وأما عدم التعرض لنفي الصبر
المذكور فلأنه إنما اعتبر تحققه في ضمن الحسنات المعدودة ليقع موقعاً ولا وجه لنفيه عن
بينه وبين الحسنات نفي المشركين كما لا وجه لنفي الصلاة والزكاة ممن لا يحوم حول أصل
الإيمان بالله تعالى فضلاً عن فروع الشرائع وإذا أريد بالإنفاق التطوع فنفيه مندرج تحت
قطع ما أمر الله به أن يوصل وأما درء السيئة بالحسنة فلا يناقضه حتماً ظاهراً فيما سبق ولحق فإن
من يجازي إحساناً [illegible] بنقض العهد ومخالفة الأمر مباشر للفساد [illegible] حسبما يحكيه
قوله عز وعلا ويفسدون في الأرض أي بالظلم وتهييج الفتن كيف يتصور منه
مجازاة الإساءة بالإحسان على أن ذلك يشعر بأن لهم دخلاً في الإفضاء إلى العقوبة التي ينبئ عنها
قوله تعالى أولئك الخ أي أولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح لهم بسبب ذلك اللعنة

اي الايعاد من رحمة الله تعالى او لهم مع ذلك سوء الدار اي سوء عاقبة الدنيا او عذاب جهنم فانها
دارهم لا انه بسبب الحكم على الموصول مستوجب عليه الصلة ولا يخفى انه لا دخل في ذلك لاكثر الافعال
فان بيان اداء السيئة مثلها ما ذونا فيها ودفع الكلام التي بالحسن وكذا الاعطاء عند المنع والعفو
عند الظلم والصلة عند القطع ليس مما يورث تركه بعضه اما ما اعتبر اندراجه في الصلة الآتية
من الاخلال ببعض الحقوق المندوبة فلا ضير في ذلك لانه اعتبر من حيث انه من مستتبعات
الاخلال بالعزائم بالكفر ببعض الانبياء وعقوق الوالدين وترك سائر الحقوق الواجبة
وتكرير لهم للتأكيد والايذان باختلافهما واستقلال كل منهما في الثبوت الله يبسط الرزق
اي يوسعه لمن يشاء من عباده ويقدر اي يضيقه على من يشاء حسبما تقتضيه الحكمة من غير ان
يكون لاحد مدخل في ذلك ولا لشئ من حكمه فربما يبسط للكافر املاء واستدراجا ويضيقه على
المؤمن زيادة للاجر فلا يغتر ببسط الكافر كما لا يقنط بضيقه المؤمن وفرحوا اي اهل مكة فرح
اشر وبطر لا فرح سرور بفضل الله تعالى بالحيوة الدنيا وما بسط لهم فيها من نعيمها وما
الحيوة الدنيا اي فيما يتبعها من النعيم في الآخرة في جنب نعيم الآخرة الا متاع الا شئ
يتمتع به كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى انهم رضوا بحظ الدنيا معرضين عن نعيم الآخرة والحال
ان ما اشروا به في جنب ما اعرضوا عنه شئ قليل النفع سريع النفاد ويقول الذين كفروا
اي اهل مكة وايثار هذه الطريقة على الاضمار مع ظهور ارادتهم عقيب ذكر فرحهم بالحياة الدنيا
لذمهم والتسجيل عليهم بالكفر فيما حكي عنهم من قولهم لولا انزل عليه آية من ربه فان ذلك في اقصى
مراتب المكابرة والعناد كان ما انزل عليه عليه السلم من الآيات العظام الباهرة ليس باية حتى
اقترحوا ما لا تقتضيه الحكمة من الآيات المحسوسة التي لا يبقى لاحد بعدها طاقة بعدم القبول
ولذلك اسند الجواب بقوله تعالى قل ان الله يضل من يشاء اضلاله مشيئة تابعة للحكمة
الداعية اليها اي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره الى تحصيله ويدعه منهمكا فيه لعلمه بانه لا
ينجع فيه اللطف ولا ينفعه الارشاد لمن كان على صفتكم في المكابرة والعناد وشدة الشكيمة والغلو
في الفساد فلا سبيل له الى الاهتداء ولو جاءته كل آية ويهدي اليه اي الى جنابه العلي الكبير هداية
موصلة اليه لا دلالة مطلقة على ما يوصل اليه فان ذلك غير مختص بالمهتدين وفيه من تشريفهم
ما لا يوصف من اناب ابدا الى الحق وتأمل في تضاعيف ما نزل من دلائله الواضحة وحقيقة
الانابة الدخول في نوبة الخير وايثار ايرادها في الصلة على ايراد المشيئة كما في الصلة الاولى
للتنبيه على الداعي الى الهداية بل الى مشيئتها والاشعار بما دعا الى المشيئة الاولى من المكابرة وفيه
حث للكفرة على الاقلاع عما هم عليه من العتو والعناد وايثار صيغة الماضي للايماء الى استدعاء
الهداية لسابقة الانابة كما ان ايثار صيغة المضارع في الصلة الاولى للدلالة على استمرار المشيئة
حسب استمرار مكابرتهم الذين آمنوا بدل من اناب فان اريد بالهداية الهداية المستمرة فالامر
ظاهر لظهور كون الايمان مؤديا اليها وان اريد احداثها فالمراد بالذين آمنوا الذين صار امرهم
الى الايمان كما في قوله تعالى هدى للمتقين اي الصائرين الى التقوى والا فالايمان لا يؤدي
الى الهداية نفسها او خبر مبتدأ محذوف اي هم الذين آمنوا او منصوب على المدح وتطمئن قلوبهم
اي تستقر وتسكن بذكر الله بكلامه المعجز الذي لا ريب فيه كقوله وهذا ذكر مبارك

انزلناه وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ويعلمون ان الآية اعظم منه فيقترحوها والعدول
الى صيغة المضارع لافادة دوام الاطمينان وتجدده حسب تجدد الآيات وتعددها الا بذكر الله
وحده تطمئن القلوب دون غيره من الامور التي يميل اليها النفوس من الدنيويات وهذا
ظاهر اما سائر المعجزات فالقصر من حيث انها ليست في افادة الطمانينة بالنسبة الى من لم يشا هدها
بمثابة القرآن المجيد فانه معجزة باقية الى يوم القيمة يشاهدها كل احد وتطمئن به القلوب
كافة وفيه اشعار بان الكفرة ليست لهم قلوب وافئدة بل هواء حيث لم يطمئنوا بذكر الله
تعالى ولم يعدوه آية وهو اظهر الآيات وابهرها وقيل تطمئن قلوبهم بذكر رحمته ومغفرته
بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله
او بذكر دلائله الدالة على وحدانيته او بذكره جل وعلا انسا به وتبتلا اليه فالمراد بالطمانينة
دوامها واستمرارها الذين آمنوا وعملوا الصالحات بدل من القلوب على حذف المضاف
بدل الكل بحسبما دون الذات اي قلوب الذين آمنوا وفيه ايماء الى ان الانسان انما هو القلب او
مبتدأ خبره الجملة الدعائية على التأويل اعني قوله طوبى لهم او خبر مبتدأ مضمر او نصب على المدح وطوبى
لهم حال عاملها الفعلان وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى والواو منقلبة من الياء
كموقن وموسر واحكونه الاعرابي طيبي لتسلم الياء والمعنى اصابوا خيرا ومحلها النصب كلاهما
لك او الرفع على الابتداء وان كانت نكرة لكونها في معنى الدعاء كسلام عليك يدل على ذلك
القراءة في قوله تعالى وحسن مآب بالنصب والرفع واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك
كذلك اي مثل ذلك الارسال العظيم الشأن المصحوب بهذه المعجزة الباهرة ارسلناك في
امة قد خلت اي مضت من قبلها امم كثيرة فلا ارسلنا اليهم رسلا لتتلو لتقرأ عليهم الذي
اوحينا اليك من الكتاب العظيم الشأن وتهديهم الى الحق رحمة لهم وتقديم المجرور على
المنصوب من قبيل الابهام ثم البيان كما في قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك وفيه ما لا
يخفى من ترقب النفس الى ما سيرد وحسن قبولها له عند وروده عليها وهم اي والحال
انهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت كل شئ رحمته واحاطت به نعمته
والعدول الى المظهر المتعرض لوصف الرحمة من حيث ان الارسال ناشئ منها كما قال تعالى وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين فلم يقدروا قدره ولم يشكروا نعمه لا سيما ما انعم به عليهم بارسال
مثلك اليهم وانزال القرآن الذي هو مدار المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل
نزلت في مشركي مكة حين امروا بالسجود فقالوا وما الرحمن قل هو اي الرحمن الذي كفرتم
به وانكرتم معرفته ربي الرب في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشئ الى كماله شيئا فشيئا
ثم وصف به مبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت اي خالقي ومبلغي الى مراتب
الكمال وايراده قبل قوله لا اله الا هو اي لا مستحق للعبادة سواه تنبيه على ان استحقاق
العبادة منوط بالربوبية وقيل ان اباجهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن
فرجع الى المشركين فقال ان محمدا يدعو الهين فنزلت ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا
الرحمن الآية عليه توكلت في جميع اموري لا سيما في النصرة عليكم لا على احد سواه واليه
خاصة متاب اي توبتي كقوله تعالى واستغفر لذنبك امر عليه السلم

بتلك الآيات بفضل التوبة ومقدارها عند الله تعالى وأنها صفة الأنبياء وبعثا للكفرة على
الرجوع عما هم عليه بأبلغ وجه وألطف نهج فإنه عليه السلام حيث أمر بها وهو منزه عن شائبة اقتراف
ما يوجبها من الذنب وأن تكف قبيحهم ومعاصيهم وهم عاكفون على أنواع الكفر والمعاصي مما لا بد منه أصلا
وتفسير المتاب متعلق الرجوع فقيل رجعي ورجعكم وزيد فيحكم بيني وبينكم وقيل فيثيبني
على مصابرتكم فتأمل ولو أن قرآنا أي قرآنا ما وهو اسم أن والخبر قوله تعالى سيرت به الجبال
وجواب لو محذوف لانسياق الكلام إليه بحيث يتلقفه السامع من التالي والمقصود إما
بيان عظم شأن القرآن العظيم وفساد رأي الكفرة حيث لم يقدروا قدره العلي ولم يعدوه
من قبيل الآيات فاقترحوا غيره مما أوتي موسى وعيسى عليهما السلام وإما بيان غلوهم في المكابرة
والعناد وتماديهم في الضلال والفساد فالمعنى على الأول لو أن قرآنا سيرت به الجبال أي
بإنزاله أو بتلاوته عليها وزعزعت عن مقارها كما فعل ذلك بالطور لموسى عليه السلام أو قطعت
به الأرض أي شققت وجعلت أنهارا أو عيونا كما فعل بالحجر حين ضربه عليه السلام بعصاه أو
جعلت قطعا متصدعة أو كلم به الموتى أي بعد أن أحييت بقراءته عليها كما أحييت لعيسى عليه السلام
لكان ذلك هذا القرآن لكونه الغاية القصوى في الانطواء على عجائب آثار قدرة
الله تعالى وهيبته عز وجل كقوله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا
متصدعا من خشية الله لا في الإعجاز إذ لا مدخل له في هذه الآثار ولا في التذكير والإنذار
والتخويف لاختصاص ذلك بالعقلاء مع أنه لا علاقة لها بتكليم الموتى واعتبار فرض العقول
لهم مخل بالمبالغة المقصودة وتقديم المجرور في المواضع الثلاثة على المرفوع لما مر غير مرة من
قصد الإبهام ثم التفسير لزيادة التقرير لأن بتقديم ما حقه التأخير تبقى النفس مستشرفة
ومترقبة إلى المؤخر أنه ماذا فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن وكلمة أو في الموضعين
لمنع الخلو لا لمنع الجمع واقتراحهم وإن كان متعلقا بمجرد ظهور مثل هذه الأفاعيل العجيبة على
يده عليه السلام لا بظهورها بواسطة القرآن لكن ذلك حيث كان مبنيا على عدم اشتماله في زعمهم
على الخوارق نيط ظهورها به مبالغة في بيان اشتماله عليها وأنه حقيق بأن يكون مصدرا لكل
خارق وإبانة لركاكة رأيهم في شأنه الرفيع كأنه قيل لو أن ظهور أمثال ما اقترحوه من مقتضيات
الحكمة لكان مظهرها هذا القرآن الذي لم يعدوه آية وفيه من تفخيم شأنه العزيز ووصفهم
بركاكة العقل ما لا يخفى بل لله الأمر جميعا أي له الأمر الذي عليه يدور فلك الأكوان وجودا
وعدما يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لما يدعو إليه من الحكم البالغة وهو إضراب عما تضمنته
الشرطية من معنى النفي لا بحسب منطوقه بل باعتبار موجبه ومؤداه أي لو أن قرآنا فعل به
ما ذكر لكان ذلك هذا القرآن ولكن لم يفعل بل فعل ما عليه الشأن الآن لأن الأمر
كله له وحده فالإضراب ليس بمتوجه إلى كون الأمر لله سبحانه بل إلى ما يؤدي إليه ذلك من
كون الشأن على ما كان لما يقتضيه الحكمة من بناء التكليف على الاختيار أفلم ييأس الذين
آمنوا أي أفلم يعلموا على لغة هوازن أو قوم من النخع أو على استعمال اليأس في معنى العلم لتضمنه له
ويؤيده قراءة علي وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين
أفلم يتبين بطريق التفسير والفاء للعطف على مقدر أي أغفلوا عن كون الأمر جميعا لله تعالى

فلم يعلموا أن لو يشاء الله على حذف ضمير الشأن وتخفيف أن لهدى الناس جميعا بإظهار أمثال
تلك الآيات العظيمة فالإنكار متوجه إلى المعطوفين جميعا أي أعلموا كون الأمر جميعا لله فلم يعلموا ما
يوجبه ذلك العلم مما ذكر فهو متوجه إلى ترتب المعطوف على المعطوف عليه أي تخلف العلم الثاني
عن العلم الأول وعلى التقديرين فالإنكار إنكار الوقوع كما في قوله تعالى ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا
لا إنكار الواقع كما في قولك ألم تخش الله حتى عصيته ثم إن مناط الإنكار ليس عدم علمهم بمضمون
الشرطية فقط بل مع عدم علمهم بعدم تحقق مقدمها كأنه قيل ألم يعلموا أن الله تعالى لو شاء هدايتهم
لهداهم وأنه لم يشأها وذلك لأنهم كانوا يودون أن يظهر ما اقترحوه من الآيات ليجتمعوا
على الإيمان وعلى الثاني لو أن قرآنا فعل به ما فصل من التعاجيب لما آمنوا به كقوله تعالى ولو أننا نزلنا
إليهم الملائكة وكلمهم الموتى الآية فالإضراب حينئذ متوجه إلى ما سلف منهم من اقتراحهم مع كونهم في العناد
على ما شرح أي فليس لهم ذلك بل لله الأمر جميعا إن شاء أتى بما اقترحوه وإن شاء لم يأت بحسبما تستدعيه
داعية الحكمة من غير أن يكون لأحد عليه تحكم أو اقتراح واليأس بمعنى القنوط أي ألم ييأس الذين آمنوا
حالهم هذه فلم يقنطوا من إيمانهم حتى أحبوا ظهور مقترحاتهم فالإنكار متوجه إلى المعطوفين أو
أعلموا ذلك فلم يقنطوا من إيمانهم فهو متوجه إلى وقوع المعطوف بعد المعطوف عليه أي إلى تخلف
القنوط عن العلم المذكور وعلى التقديرين فالإنكار الواقع كما في قوله تعالى فلا تتقون ونظائره لا إنكار
الوقوع فإن عدم قنوطهم منه مما لا مرد له وقوله تعالى أن لو يشاء الله تعالى الخ متعلق بمحذوف
أي أفلم ييأسوا من إيمانهم علما منهم أو عالمين بأن لو يشاء الله لهدى الناس وأنه لم يشأ هداهم ذلك
أو يأسوا أي أفلم يقنط الذين آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا على معنى أفلم ييأس من
إيمانهم المؤمنون بمضمون الشرطية وبعدم تحقق مقدمها المفهوم من مكابرتهم حسبما يحكيه
كلمة لو فالوصف المذكور من دواعي إنكار يأسهم وقيل إن أبا جهل وأضرابه قالوا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم إن كنت نبيا سير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها
البساتين والقطائع فقد سخرت لداود فلست بأهون على الله منه إن كنت نبيا كما زعمت أو سخر
لنا به الريح كما سخرت لسليمان عليه السلام لنتجر عليها إلى الشام فقد شق علينا قطع الطريق الشقة
البعيدة أو ابعث لنا رجلين أو ثلاثة ممن مات من آبائنا فنزلت فمعنى تقطيع الأرض حينئذ
قطعها بالسير فلا حاجة إلى الاعتذار في إسناد الأفاعيل المذكورة إلى القرآن كما احتيج إليه في
الوجهين الأولين وعن الفراء أنه متعلق بما قبله من قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض
وهو بالحقيقة دليل على الجواب والمعنى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض
أو كلم به الموتى لكفروا بالرحمن والتذكير في كلم به الموتى لتغليب المذكر من الموتى على غيره ولا يزال
الذين كفروا من أهل مكة تصيبهم بما صنعوا أي بسبب ما صنعوه من الكفر والتمادي فيه
وعدم بيانه إما للقصد إلى تهويله أو استهجانه وهو تصريح بما أشعر به بناء الحكم على الموصول
من علية الصلة لهم مع ما في صيغة الصنع من الإيذان برسوخهم في ذلك قارعة داهية تقرعهم
وتقلقهم وهو ما كان يصيبهم من أنواع البلايا والمصائب من القتل والأسر والنهب والسلب
وتقديم المجرور على الفاعل لما مر مرارا من إرادة التفسير إثر الإبهام لزيادة التقرير والإحكام مع ما
فيه من بيان أن مدار الإصابة من جهتهم أثر ذي أثير أو تحل تلك القارعة قريبا أي مكانا قريبا

من دارهم فيفزعون منها ويتطاير إليهم شرارها شبهت القارعة بالعدو المتوجه إليهم فأسند إليها الإصابة
تارة والحلول أخرى ففيه استعارة بالكناية وتخييل وترشيح حتى يأتي وعد الله أي موتهم
والقيامة فإن كلا منهما وعد محتوم لا مرد له وفيه دلالة على أن ما يصيبهم عند ذلك من العذاب
في غاية الشدة وأن ما ذكر سابقا نحو يسيرة بالنسبة إليه ثم حقق ذلك بقوله تعالى إن الله لا
يخلف الميعاد أي الوعد كالميلاد والميثاق بمعنى الولادة والتوثقة لاستحالة ذلك على الله سبحانه
وقال ابن عباس رضي الله عنهما أريد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها وكانوا
بين إغارة واختطاف وتخويف بالهجوم عليهم في ديارهم فالإصابة والحلول حينئذ من أحوالهم ويجوز
على هذا أن يكون قوله تعالى أو تحل قريبا من دارهم خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم مرادا به حلوله
الحديبية والمراد بوعد الله ما وعد به من فتح مكة ولقد استهزئ برسل كثيرة من قبلك
فأمليت للذين كفروا أي تركتهم ملاوة من الزمان في أمن ودعة كما يملى للبهيمة في المرعى
وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما لقي من المشركين من التكذيب والاقتراح على طريقة
الاستهزاء به ووعيد لهم والمعنى أن ذلك ليس مختصا بك بل هو أمر مطرد قد فعل ذلك برسل
كثيرة كائنة من قبلك فأمهلت الذين فعلوه بهم والعدول عن الصلة التي هي صفة الكفر ليس
لأن المملي لهم هم المستهزئون بل المراد الجمع بين الوصفين أي فأمليت للذين كفروا مع استهزائهم
لا باستهزائهم فقط ثم أخذتهم فكيف كان عقاب أي عقابي إياهم وفيه من الدلالة على تناهي
كيفيته في الشدة والفظاعة ما لا يخفى أفمن هو قائم أي رقيب مهيمن على كل نفس كائنة
كانت بما كسبت من خير أو شر لا يخفى عليه شيء من ذلك بل يجازي كلا بعمله وهو الله سبحانه والخبر
محذوف أي كمن ليس كذلك وإنما لم يذكر لدلالة ما بعده عليه والهمزة للإنكار وإدخال الفاء لتوجيه الإنكار إلى توهم المماثلة
عقيب ما علم مما فعل تعالى بالمستهزئين من الإملاء المديد والأخذ الشديد ومن كون الأمر كله
لله تعالى ومن كون هداية الناس جميعا منوطة بمشيئته تعالى ومن تواتر القوارع على الكفرة
إلى أن يأتي وعد الله كأنه قيل الأمر كذلك فمن هذا شأنه كما ليس في عداد الأشياء حتى أشركوه
به فالإنكار متوجه إلى ترتب المعطوف أعني توهم المماثلة على المعطوف عليه المقدر أعني كون الأمر
كما ذكر كما في قولك أتعلم الحق فلا تعمل به لا إلى المعطوفين جميعا كما إذا قلت ألا تعلم فلا تعمل
وقوله تعالى وجعلوا لله شركاء جملة مستقلة جيء بها للدلالة على الخبر المحذوف أي أفمن هذه
صفاته كما ليس كذلك وقد جعلوا له شركاء لا شريكا واحدا أو معطوفة على الخبر إن قدر ما
يصلح لذلك أي أفمن هذا شأنه لم يوحدوه وجعلوا له شركاء ووضع المظهر موضع المضمر للتنصيص على
وحدانيته ذاتا واسما والتنبيه على اختصاصه باستحقاق العبادة مع ما فيه من البيان بعد
الإبهام بإيراده موصولا للدلالة على التفخيم وقوله تعالى قل سموهم تبكيت لهم إثر تبكيت أي سموهم
من هم وماذا أسماؤهم أو صفوهم وانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة أم
تنبئونه أي بل أتنبئونه بما لا يعلم في الأرض أي بشركاء مستحقين للعبادة لا يعلمهم الله تعالى
ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض وقرئ بالتخفيف أم بظاهر من القول
بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون له معنى وحقيقة كتسمية الزنجي كافورا كقوله
تعالى ذلك قولهم بأفواههم وهاتيك الأساليب البديعة التي وردت عليها الآية الكريمة

منادية على أنها بمعزل من قدرة البشر من كلام خلاق القوى والقدر فتبارك الله رب العالمين
بل زين للذين كفروا وضع الموصول موضع المضمر ذما لهم وتسجيلا عليهم بالكفر مكرهم تمويههم
الأباطيل أو كيدهم للإسلام بشركهم وصدوا عن السبيل أي سبيل الحق من صده صدا وقرئ
بكسر الصاد على نقل حركة الدال إلى الصاد وقرئ بفتحها أي صدوا الناس أو من صد صدودا ومن يضلل الله
أي يخلق فيه الضلال بسوء اختياره أو يخذله فما له من هاد يوفقه للهدى لهم عذاب شاق في الحياة
الدنيا بالقتل والأسر وسائر ما يصيبهم من المصائب فإنها إنما تصيبهم عقوبة على كفرهم ولعذاب
الآخرة أشق من ذلك بالشدة والمدة وما لهم من الله من عذابه المذكورين من واق من حافظ
يعصمهم من ذلك فمن الأولى صلة للوقاية والثانية مزيدة للتأكيد مثل الجنة أي صفتها العجيبة الشأن
التي في الغرابة كالمثل التي وعد المتقون عن الكفر والمعاصي وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه
أي فيما قصصنا عليك مثل الجنة وقوله تعالى تجري من تحتها الأنهار تفسير لذلك المثل على أنه حال من الضمير
المحذوف من الصلة العائد إلى الجنة أي وعدها وهو الخبر عند غيره كقولك شأن زيد يأتيه الناس
ويعظمونه أو على حذف موصوف أي مثل الجنة جنة تجري الخ أكلها دائم لا ينقطع وظلها أيضا
كذلك لا تنسخه الشمس كما تنسخ ظلال الدنيا تلك الجنة المنعوتة بما ذكر عقبى الذين اتقوا الكفر
والمعاصي أي مآلهم ومنتهى أمرهم وعقبى الكافرين النار لا غير وفيه ما لا يخفى من إطماع المتقين
وإقناط الكافرين والذين آتيناهم الكتاب هم المسلمون من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب
وأضرابهما ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون
بالحبشة يفرحون بما أنزل إليك إذ هو الكتاب الموعود في التوراة والإنجيل ومن الأحزاب
أي من أحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الأشرف
والسيد والعاقب أسقفي نجران وأتباعهما من ينكر بعضه وهو الشرائع الحادثة إنشاء أو نسخا لا
ما يوافق ما حرفوه وإلا لنعي عليهم من أول الأمر أن مدار ذلك إنما هو جنايات أيديهم وأما ما يوافق كتبهم
فلم ينكروه وإن لم يفرحوا به وقيل يجوز أن يراد بالموصول الأول عامتهم فإنهم أيضا يفرحون به لكونه
مصدقا لكتبهم في الجملة فحينئذ يكون قوله تعالى ومن الأحزاب الخ تتميما له أن يقال ومنهم
من ينكر بعضه قل إنما أمرت ورد لإنكارهم إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به أي شيئا من
الأشياء أو لا أفعل الإشراك به والمراد قصر الأمر بالعبادة على الله تعالى لا قصر الأمر مطلقا على
عبادته خاصة أي قل لهم إنما أمرت فيما أنزل إلي بعبادة الله وتوحيده وظاهر أنه لا سبيل لكم
إلى إنكاره لإطباق جميع الأنبياء والكتب على ذلك كقوله تعالى قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة
سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا فما لكم تشركون به عزيرا والمسيح وقرئ
ولا أشرك به بالرفع على الاستئناف أي وأنا لا أشرك به إليه أدعو أي إلى الله تعالى خاصة على النهج المذكور
من التوحيد أو إلى ما أمرت به من التوحيد أدعو الناس لا إلى غيره أو لا إلى شيء آخر مما لا يطبق عليه الكتب
الإلهية والأنبياء عليهم السلام فأي وجه لإنكاركم وإليه أي إلى الله تعالى وحده مآب مرجعي للجزاء وحيث
كانت هذه الحجة الباهرة لازمة لهم لأنهم لا يجدون عنها محيصا ... أتبع ذلك
تبكيتا لهم وشروعا في رد إنكارهم لفروع الشرائع الواردة ابتداء أو بدلا من الشرائع المنسوخة
ببيان الحكمة في ذلك فقيل وكذلك أنزلناه أي مثل ذلك الإنزال وذلك إشارة إلى مصدر

انزلناه وانزل اليك وهو محط الغضب على المصدرية اى مثل ذلك الانزال البديع المنتظم لاصول
مجمع عليها وفروع متشعبة الى موافقة ومخالفة حسبما تقتضيه قضية الحكمة والمصلحة انزلناه
حكما يحكم في القضايا والواقعات بالحق ويحكم به كذلك والتعرض لذلك العنوان
مع انه بمعزل من تحكم المنزل منه ووجوب مراعاته وحكم المحافظة عليه عربيا مترجما بلسان
العرب والتعريف لذلك للاشارة الى ان ذلك احدى مواد المخالفة للكتب السابقة مع ان
ذلك مقتضى الحكمة اذ بذلك يسهل فهمه وادراك اعجازه والاقتصار على اشتمال الانزال على
اصول الديانات المجمع عليها حسبما يفيده قوله تعالى قل انما امرت ان اعبد الله الخ يأباه التعرض
لاتباع اهوائهم وحديث المحو والاثبات وان لكل اجل كتاب فان المجمع عليه لا يتصور
فيه الاستتباع والاتباع ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونك اليها من تقرير الامور
المخالفة لما انزل اليك من الحق كالصلاة الى بيت المقدس بعد التحويل بعد ما جاءك من
العلم العظيم الشأن الفائض من ذلك الحكم العربي او العلم بمضمونه مالك من الله من جناب
العزة والالتفات من التكلم الى الغيبة وايراد الاسم الجليل لتربية المهابة من ولي
يكون الها حتى يكون حاكما لنا ورازقا ومدبرا من ولي يلي امرك وينصرك
على من يبغيك الغوائل ولا واق يقيك من مصارع السوء وحيث لم يستلزم نفي الناصر على
العدو نفي الواقي من نكايته اذ ادخل في المعطوف وفي النفي للتاكيد لقولك ما لي دينار ولا درهم
او مالك من باس الله من ناصر وواق لاتباعك اهواءهم وامثال هاتيك القوارع انما هي
لقطع اطماع الكفرة وتهييج المؤمنين على الثبات في الدين واللام في لئن موطئة ومالك
ساد مسد جوابي الشرط والقسم ولقد ارسلنا رسلا كثيرة كائنة من قبلك وجعلنا
لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما جعلناها لك وهو رد لما كانوا يعيبونه صلى الله
عليه وسلم بالزواج والولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول ياكل الطعام الخ وما كان
لرسول منهم اى ما صح وما استقام ولم يكن في وسعه ان ياتي باية مما اقترح عليه وحكم
مما التمس منه الا باذن الله وبمشيئته المبنية على الحكم والمصالح التي عليها يدور امر الكائنات
لا سيما مثل هذه الامور العظام والالتفات لما مر مرارا وللتحقيق مضمون الجملة بالايماء الى
العلة لكل اجل اى لكل مدة ووقت من المدد والاوقات كتاب حكم معين يكتب على
العباد حسبما تقتضيه الحكمة فان الشرائع كلها لاصلاح احوالهم في المبدأ والمعاد ومن
قضية ذلك ان تختلف حسب اختلاف احوالهم المتغيرة حسب تغير الاوقات كاختلاف العلاج
حسب اختلاف احوال المرضى بحسب الاوقات يمحو الله ما يشاء اى ينسخ ما يشاء نسخه
من الاحكام لما تقتضيه الحكمة بحسب الوقت ويثبت بدله ما فيه المصلحة او يبقيه على حاله
غير منسوخ او يثبت ما يشاء اثباته مطلقا اعم منهما ومن الانشاء ابتداء او يمحو من ديوان
الحفظة الذين ديدنهم كتبة كل قول وعمل ما لا يتعلق به الجزاء ويثبت الباقي او يمحو
سيئات التائب ويثبت مكانها الحسنة او يمحو قرنا ويثبت آخرين او يمحو الفاسدات
من العالم الجسماني ويثبت الكائنات او يمحو الرزق ويزيد فيه او يمحو الاجل او السعادة
والشقاوة وبه قال ابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهم والقائلون به يتضرعون الى الله تعالى ان

يجعلهم سعداء وهذا رواه جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم والانسب تعميم كل من المحو والاثبات
ليشمل الكل ويدخل في ذلك مواد الانكار دخولا اوليا وقرئ بالتشديد وعنده ام
الكتاب اى اصله وهو اللوح المحفوظ اذ ما من شيء من الذاهب والثابت الا وهو مكتوب فيه
كما هو وان ما نرينك اصله ان نرك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط ومن ثمة الحقت النون بالفعل
بعض الذي نعدهم اى وعدناهم من انزال العذاب عليهم والعدول الى صيغة المضارع
لحكاية الحال الماضية او نعدهم وعدا متجددا حسبما يقتضيه الحكمة من انذار غب انذار
وفي ايراد البعض رمز الى اراءة بعض الموعود او نتوفينك قبل ذلك فانما عليك البلاغ اى تبليغ
احكام الرسالة بتمامها لا تحقيق مضمون ما بلغته من الوعيد الذي هو من جملتها وعلينا لا عليك
الحساب محاسبة اعمالهم السيئة والمؤاخذة بها اى كيفما دارت الحال اريناك بعض ما
وعدناهم من العذاب الدنيوي او لم نرك ففيما ذلك وما عليك الا تبليغ الرسالة فلا تهتم
بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تأخره فان ذلك لما نعلم من
المصالح الخفية ثم طيب نفسه عليه السلام بطلوع تباشيره فقال او لم يروا استفهام انكاري والواو
للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى انكروا نزول ما وعدناهم او شكوا او لم ينظروا في ذلك
ولم يروا انا ناتي الارض اى ارض الكفر ننقصها من اطرافها بان نفتحها على المسلمين شيئا فشيئا
ونلحقها بدار الاسلام ونذهب منها اهلها بالقتل والاسر والاجلاء اليس هذا من ذلك ومثله
قوله عز سلطانه افلا يرون انا ناتي الارض اى ارض الكفر ننقصها من اطرافها افهم الغالبون وقوله
ننقصها حال من فاعل ناتي او من مفعوله وقرئ ننقصها بالتشديد وفي لفظ الاتيان المؤذن بالا
المحتوم والاستيلاء المنطوي على الفخامة ما لا يخفى كما في قوله عز وجل وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه
هباء منثورا والله يحكم ما يشاء كما يشاء وقد حكم للاسلام بالعزة والاقبال وعلى الكفر بالذلة
والادبار حسبما يشاهد من المخايل والاثار وفي الالتفات من التكلم الى الغيبة وبناء الحكم
على الاسم الجليل من الدلالة على الفخامة وتربية المهابة وتحقيق مضمون الخبر بالاشارة الى العلة
ما لا يخفى وهي جملة اعتراضية جيء بها لتاكيد فحوى ما تقدمها وقوله تعالى لا معقب لحكمه اعتراض
في اعتراض لبيان علو شأن حكمه جل جلاله وقيل نصب على الحالية كانه قيل والله يحكم نافذا
حكمه كما تقول جاء زيد لا عمامة على راسه اى حاسرا والمعقب من يكر على الشيء فيبطله وحقيقته
من يعقبه ويقفيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء
والطلب وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم ويجازيهم في الاخرة بانواع العذاب غب ما
عذبهم بالقتل والاسر والاجلاء في الدنيا وقال ابن عباس رضي الله عنهما سريع الانتقام
وقد مكر الذين من قبلهم من قبل كفار مكة بانبيائهم وبالمؤمنين كما مكر
هؤلاء وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان لا عبرة بمكرهم ولا تاثير بل لا وجود
له في الحقيقة ولم يصرح بذلك اكتفاء بدلالة القصر المستفاد من تعليله الحقي قوله تعالى فلله المكر
اى جنس المكر جميعا لا وجود لمكرهم اصلا اذ هو عبارة عن ايصال المكروه الى الغير من حيث
لا يشعر به وحيث كان جميع ما ياتون به وما يذرون بعلم الله تعالى وقدرته وانما لهم مجرد الكسب
من غير فعل ولا تاثير حسبما يبينه قوله عز وجل يعلم ما تكسب كل نفس ومن قضيته عصمة اوليائه

وعقاب الماكرين بهم توفية لكل نفس جزاء ما تكسبه ظهر انه ليس لمكرهم بالنسبة الى من يكيدونهم عين
ولا اثر وان المكر كله لله تعالى حيث يؤاخذهم بما كسبوا من فنون المعاصي التي من جملتها مكرهم من حيث
لا يحتسبون وهذا المكر الذي باشروه جميعا لا اثر له على معنى ان ذلك ليس مكرا منهم بالانبياء بل
هو بعينه مكر من الله تعالى بهم وهم لا يشعرون حيث لا يحيق المكر السيء الا باهله وسيعلم
الكفار حين يقضي بمقتضى علمه بما في كل نفس جزاء ما تكسب لمن عقبى الدار العاقبة الحميدة
من الفريقين وان جهلوا ذلك يومئذ وقيل السين لتاكيد وقوع ذلك والعلم به وقرئ
سيعلم الكافر على ارادة الجنس والكافرون والكفر اي اهله والذين كفروا وسيعلم على صيغة
المجهول من الاعلام اي سيخبر ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل قالت رؤساء اليهود
وصيغة الاستقبال لاستحضار صورة كلمتهم الشنعاء تعجيبا منها او للدلالة على تجدد ذلك
واستمراره منهم قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه قد اظهر على رسالتي من الحجج القاطعة
والبينات الساطعة ما فيه مندوحة عن شهادة شاهد اخر ومن عنده علم الكتاب
اي علم القرآن وما عليه من النظم المعجز او من هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون
بنعته عليه السلام في كتبهم والاية مدنية بالاتفاق او من عنده علم اللوح المحفوظ وهو الله سبحانه
اي كفى شاهدا بيننا بالذي يستحق العبادة فانه قد تحقق كما بر بالدعوة الى عبادته وايد نى
باقوام الايات وبالذي يختص بعلم ما في اللوح من الاشيا الكائنة التي من جملتها رسالتي
وقرئ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف المعتمد على الموصول او مبتدأ خبره
الظرف وهو متعين على الثاني ومن عنده علم الكتاب بالكسر وبناء المفعول ورفع
الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر
عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث يوم
القيمة من الموفين بعهد الله عز وجل والله تعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الر الكلام فيه وفي محل غيره وقوله تعالى كتاب خبر على تقدير كون الر مبتدأ
ولمبتدأ مضمر على تقدير كونه خبرا لمبتدأ محذوف او مسرودا على نمط التعديد ويجوز ان يكون خبرا
ثانيا لهذا المبتدأ المحذوف وقوله تعالى انزلناه اليك صفة له وقوله تعالى لتخرج الناس
متعلق بانزلناه اي لتخرجهم كافة بما في تضاعيفه من البينات الواضحة المفصحة عن كونه من عند الله
عز وجل الكاشفة عن العقائد الحقة وقرئ ليخرج الناس اي ليخرج به الناس من الظلمات
من عقائد الكفر والضلال التي كلها ظلمات محضة وجهالات صرفة الى النور الى الحق
الذي هو نور بحت لكن لا كيف ما كان فانك لا تهدي من احببت بل باذن ربهم اي بتيسيره
وتوفيقه وللانباء عن كون ذلك منوطا باقبالهم الى الحق كما يفصح عنه قوله تعالى ويهدي اليه
من اناب استعير له الاذن الذي هو عبارة عن تسهيل الحجاب لمن يقصد الورود ثم اضيف الى ضميرهم
اسم الرب المفصح عن التربية التي هي عبارة عن تبليغ الشيء الى كماله المتوجه اليه وتعلق الاذن بهذا المعنى

لكل

للكل واضح وعليه يدور كون الانزال لاخراجهم جميعا وعدم تحقق الاذن بالفعل في بعضهم لعدم
تحقق شرطه المستند الى سوء اختيارهم غير مخل بذلك والباء متعلقة بتخرج او بمضمر هو حال من
مفعوله اي ملتبسين باذن ربهم وجعله حالا من فاعله يأباه اضافة الرب اليهم لا اليه حيث كان
الحق مع وضوحه في نفسه وايضاحه لغيره موصلا الى الله عز وجل استعير له النور تارة والصراط اخرى
فقيل الى صراط العزيز الحميد على وجه الابدال بتكرير العامل كما في قوله تعالى للذين استضعفوا
لمن آمن منهم واخلال البدل والبيان بالاستعارة انما هو في الحقيقة لا في المجاز كما في قوله تعالى
حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر وقيل هو استئناف مبني على سؤال كأنه قيل الى
اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد واضافة الصراط اليه تعالى لانه مقصده او المبين له وتخصيص
الوصفين بالذكر للترغيب في سلوكه ببيان ما فيه من الامن والعاقبة الحميدة الله بالجر عطف
بيان للعزيز الحميد لجريانه مجرى الاعلام الغالبة بالاختصاص بالمعبود بالحق كالنجم في الثريا وقرئ
بالرفع على هو الله اي العزيز الحميد الذي اضيف اليه الصراط الله الذي له ملكا وملكا ما في السموات وما في
الارض اي ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما كما مر في اية الكرسي ففيه على
القراءتين بيان لكمال فخامة شان الصراط واظهار لتحتم سلوكه على الناس قاطبة ويجوز في الرفع
على الابتداء بجعل الموصول خبرا لتنبيه العقول عن هذه النكتة وقوله عز وجل وويل للكافرين
وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور بالويل وهو نقيض الوأل وهو
النجاة وفي اصله النصب كسائر المصادر ثم رفع رفعها للدلالة على الثبات كسلام عليك من
عذاب شديد متعلق بويل على معنى يولولون ويضجون منه قائلين يا ويلاه كقوله تعالى
دعوا هنالك ثبورا الذين يستحبون الحيوة الدنيا اي يختارونها استفعال من المحبة فان
المؤثر للشيء على غيره كأنه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها من غيره على الاخرة
اي الحيوة الاخرة الابدية ويصدون الناس عن سبيل الله التي بينها وفي الاقتصار على
الاضافة الى الاسم الجليل المنطوي على كل وصف جميل لزوم الاختصار وهو مصدر صدا وقرئ
يصدون من اصده المنقول من صد صدودا اذا نكب وهو غير فصيح كاوقف فان في صده
مندوحة لمن وجد عن تكلف النقل ويبغونها اي يبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل الى
الضمير اي يطلبون لها عوجا اي زيغا واعوجاجا وهي ابعد شيء من ذلك اي يقولون لمن يريدون
صده واضلاله انها سبيل ناكبة زائغة غير مستقيمة ومحل الموصول هذه الصلات الجر
على انه بدل من الكافرين او صفة له فيعتبر كل وصف من اوصافهم بازاء ما يناسبه من
المعاني المعتبرة في الصراط فالكفر المنبئ عن الستر بازاء كونه نورا والاستحباب الحيوة الدنيا الفانية
المفصح عن وخامة العاقبة بمقابلة كون سلوكه محمود العاقبة والصد بازاء كونه مأمونا وفيه
من الدلالة على غاية دميم في الغي ما لا يخفى او النصب على الذم او الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى
اولئك في ضلال بعيد وعلى الاول جملة مستأنفة وقعت معللة لما سبق من لحوق الويل بل
تاكيدا لما اشعر به بناء الحكم على الموصول اي اولئك الموصوفون بالقبائح المذكورة من استحباب الحيوة
الدنيا على الاخرة وصد الناس عن سبيل الله المستقيم ووصفها بالاعوجاج وهي منه بريئة في
ضلال عن طريق الحق بعيد بالغ في ذلك غاية الغايات القاصية والبعد وان كان من احوال

الضلال الا انه قد وصف به صاحبه مجازا للمبالغة كجد جده وداهية دهياء ويجوز ان يكون
المعنى في ضلال ذي بعد او فيه بعد فان الضال قد يضل عن الطريق مكانا وزمانا قد يضل بعيدا
وفي جعل الضلال محيطا بهم احاطة الظرف بما فيه ما لا يخفى من المبالغة وما ارسلنا اي في الامم
الخالية من قبلك كما سيذكر اجمالا من رسول الا متلبسا بلسان قومه متكلما بلغة من ارسل اليهم
من الامم المتفقة على لغة سواء بعث فيهم او لا وروي بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش وبلسن
بضمتين وضمة وسكون كعمد وعمد ليبين لهم ما امروا به فيتلقوه منه بيسر وسرعة ويعملوا
بموجبه من غير حاجة الى الترجمة ممن لم يؤمر به وحيث لم يمكن مراعاة هذه القاعدة في شان
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين لعموم بعثته الثقلين كافة على اختلاف لغاتهم
وكان تعدد نظم الكتاب المنزل اليه حسب تعدد السنة الامم ادعى الى التنازع واختلاف
الكلمة وتطرق ايدي التحريف مع ان استقلال بعض من ذلك بالاعجاز دون غيره مئنة
لقدح القادحين واتفاق الجميع فيه امر قريب من الالجاء وحصل البيان بالترجمة والتفسير اقتضت
الحكمة اتحاد النظم المنبئ عن العزة وجلالة الشان المستتبع لفوائد غنية عن البيان
على ان الحاجة الى الترجمة تتضاعف عند التعدد اذ لابد لكل امة من معرفة توافق الكل وتخالفه
حذو القذة بالقذة من جهة القدرة لو تحصله منه وانما يتم ذلك بمن يترجم عن الكل
واحدا او متعددا وفيه من التعذر ما يخرج الاستباع ثم لما كان اشرف الاقوام واولاهم بدعوته
عليه السلام قومه الذين بعث فيهم ولغتهم افضل اللغات نزل الكتاب المبين بلسان عربي مبين
وانتشرت احكامه فيما بين الامم اجمعين وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى
انزل الكتب كلها عربية ثم ترجمها جبريل عليه السلام او كل من نزل عليهم من الانبياء عليهم السلام بلغة
من نزل عليهم ويرده قوله تعالى ليبين لهم فانه ضمير القوم وظاهر ان جميع الكتب لم تنزل
لتبيين العرب وفي رجع الضمير الى قوم كل نبي كانه قيل وما ارسلنا من رسول الا بلسان قوم محمد عليه السلام
ليبين الرسول لقومه الذين ارسل اليهم ما لا يخفى من التكلف فيضل الله من يشاء اضلاله اي
يخلق فيه الضلال لمباشرته اسبابه المؤدية اليه او يخذله ولا يلطف به لما يعلم انه لا ينجع فيه الالطاف
ويهدي بالتوفيق ومنح الالطاف من يشاء هدايته لما فيه من الانابة والاقبال الى الحق والالتفات
باسناد الفعلين الى الاسم الجليل المنطوي على الصفات لتفخيم شانهما وترشيح مناط كل منهما
والفاء فصيحة مثلها في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق كانه قيل فبينوه لهم
فاضل الله منهم من شاء اضلاله لما لا يليق الا به وهدى من شاء هدايته لاستحقاقه لها والحذف
للايذان بان مسارعة كل رسول الى ما امر به وجريان كل من اهل الخذلان والهداية
على سننه امر محقق غني عن الذكر والبيان والعدول الى صيغة الاستقبال لاستحضار
الصورة او للدلالة على التجدد والاستمرار حسب تجدد البيان من الرسل المتعاقبة عليهم السلام
وتقديم الاضلال على الهداية اما لانه ابقاء ما كان على ما كان والهداية انشاء ما لم يكن
او للمبالغة في بيان ان لا تاثير للتبيين والتذكير من قبل الرسل وان مدار الامر انما هو مشيئته
تعالى بايهام ان ترتب الضلالة على ذلك اسرع من ترتب الاهتداء وهذا محقق لما سلف
من تقييد الاخراج من الظلمات الى النور باذن الله تعالى وهو العزيز فلا يغالب في مشيئته

الحكيم

الحكيم الذي لا يفعل شيئا من الاضلال والهداية الا لحكمة بالغة وفيه ان ما فوض الى الرسل انما
هو تبليغ الرسالة وتبيين طريق الحق واما الهداية والارشاد اليه فذلك بيد الله سبحانه يفعل
ما يشاء ويحكم ما يريد ولقد ارسلنا موسى شروع في تفصيل ما اجمل في قوله عز وجل وما
ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم الاية بآياتنا اي ملتبسا بها وهي معجزاته التي
اظهرها لبني اسرائيل ان اخرج قومك بمعنى اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول او بان اخرج
كما في قوله تعالى وان اقم وجهك فان صيغ الافعال في الدلالة على المصدر سواء وهو المدار
في صحة الوصل والمراد بذلك اخراج بني اسرائيل بعد هلاك فرعون من الظلمات من الكفر
والجهالات التي ادتهم الى ان يقولوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة الى النور الى الايمان
بالله وتوحيده وسائر ما امروا به وذكرهم بايام الله اي بنعمائه وبلائه كما ينبئ عنه قوله
عليه السلام اذكروا نعمة الله عليكم لكن لا بما جرى عليهم فقط بل عليهم وعلى من قبلهم من الامم في الايام
الخالية حسبما ينبئ عنه قوله تعالى الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم الآيات او بايامه المنطوية على
ذلك كما يلوح به قوله اذ انجاكم والالتفات من التكلم الى الغيبة باضافة الايام الى الاسم الجليل
للايذان بفخامة شانها والاشعار بعدم اختصاص ما فيها من المعاملة بالمخاطب وقومه كما يوهمه
الاضافة الى ضمير المتكلم اي عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد وقيل ايام الله وقائعه
التي وقعت على الامم قبلهم وايام العرب وقائعها وحروبها وملاحمها الذي انذرهم وقائعه
التي وقعت على الامم الدارجة وبه ما تصدى له عليه السلام بصدد الامتثال من التذكير لكل من
السراء والضراء مما جرى عليهم وعلى غيرهم حسبما يتلى من الآيات ان في ذلك اي في التذكير بها
او في مجموع تلك النعماء والبلاء او في ايامها لآيات عظيمة او كثيرة دالة على وحدانية الله
تعالى وقدرته وعلمه وحكمته هي على الاول عبارة عن الايام سواء اريد بها انفسها او ما
فيها من النعماء والبلاء ومعنى ظرفيته للتذكير لها كونه مناطا لظهورها وعلى الثالث عن
تلك النعماء والبلاء ومعنى الظرفية ظاهر واما على الثاني فعن كل واحدة من تلك
النعماء والبلاء والمشار اليه المجموع المشتمل عليها من حيث هو مجموع او كلمة في تجريدية
مثلها في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد لكل صبار على البلاء شكور للنعماء وقيل لكل
مؤمن والتعبير عنهم بذلك للاشعار بان الصبر والشكر عنوان المؤمن اي لكل من
يليق بكمال الصبر والشكر والايمان وتصير ابه اليها لا لمن اتصف بها بالفعل لانه
تعليل للامر بالتذكير المذكور السابق على التذكير المؤدي الى تلك المرتبة فان من تذكر ما نزل
او نزل على من قبله من النعماء والبلاء وتنبه لعاقبة الشكر والصبر او الايمان لا يكاد
يفارقهما وتخصيص الآيات بهم لانهم المنتفعون بها لا لانها خافية عن غيرهم فان التبيين
حاصل بالنسبة الى الكل وتقديم الصبار على الشكور لتقدم متعلق الصبر اعني البلاء
على متعلق الشكر اعني النعماء وكون الشكر عاقبة الصبر اذ قال موسى لقومه شروع في
بيان تصديه عليه السلام لما امر به من التذكير الاخراج المذكور واذ منصوب على المفعولية بمضمر
خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من
الحوادث قد مر سره غير مرة اي اذكر لهم وقت قوله عليه السلام لقومه اذكروا نعمة الله عليكم

بدا عليه السلام بالترغيب لانه عند النفوس اقبل وهي اليه اميل واذ الظرف متعلق بنفس النعمة ان جعلت
مصدرا او بمحذوف وقع حالا منها ان جعلت اسما اى اذكروا نعمه عليكم او اذكروا انعامه
كائنة عليكم وكذا الكلام ان في قوله تعالى اذ انجاكم من آل فرعون اى اذكروا نعمه
عليكم وقت انجائه اياكم من آل فرعون او اذكروا انعام الله مستقرة عليكم وقت انجائه اياكم
منهم او بدل اشتمال من نعمة الله مرادا بها الانعام او العطية يسومونكم يبغونكم من سامه خسفا
اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب السوء مصدر ساءه يسوءه
والمراد جنس العذاب السيء او استعبادهم واستعمالهم في الاعمال الشاقة والاستهانة
بهم وغير ذلك مما لا يحصر ونصبه على انه مفعول ليسومونكم ويذبحون ابناءكم المولودين
وانما عطفه على يسومونكم اخراجا له عن مرتبة العذاب المعتاد وانما فعلوا ذلك لان فرعون
رأى في المنام او قال له الكهنة ان سيولد منهم من يذهب بملكه فاجتهدوا في ذلك فلم
يغن عنهم من قضاء الله شيئا ويستحيون نساءكم اى يبقونهن في الحياة مع الذل والصغار
ولذلك عد من جملة البلاء والجملة حال من آل فرعون او من ضمير المخاطبين او منهما جميعا
لان فيها ضمير كل منهما وفي ذلكم اى فيما ذكر من افعالهم الفظيعة بلاء من ربكم
اى ابتلاء ومحنة لا ان البلاء عين تلك الافعال اللهم الا ان يجعل في تحديد فنسبته
الى الله تعالى اما من حيث الخلق او الاقدار والتمكين عظيم لا يطاق ويجوز ان يكون
المشار اليه الانجاء من ذلك والبلاء الابتلاء بالنعمة وهو الانسب كما يلوح به التعرض
لوصف الربوبية وعلى الاول يكون ذلك باعتبار المآل الذي هو الانجاء او باعتبار
ان بلاء المؤمن تربية له واذ تأذن ربكم من جملة مقال موسى عليه السلام لقومه
معطوف على نعمة الله اى اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم اى آذن
ايذانا بليغا لا يبقى معه شائبة شبهة لما في صيغة التفعل من معنى التكلف المحمول في حقه
سبحانه على غايته التي هي الكمال وقيل هو معطوف على قوله تعالى اذ انجاكم اى اذكروا
نعمته تعالى في هذين الوقتين فان هذا التأذن ايضا نعمة من الله تعالى عليهم لما فيه من
خيري الدنيا والاخرة وفي قراءة ابن مسعود رضي واذ قال ربكم ح لقد ذكرهم عليه السلام
اولا بنعمائه تعالى عليهم صريحا وضمنه تذكيرا ايامهم وقبل ذلك في الفراغ ثم امرهم ثانيا
بذكر ما جرى من الله سبحانه من الوعد بالزيادة على تقدير الشكر والوعيد بالعذاب على
تقدير الكفر والمراد بتذكير الاوقات تذكير ما وقع فيها من الحوادث مفصلة
اذ هي محيطة بذلك فاذا ذكرت ذكر ما فيها كأنه مشاهد معاين لئن شكرتم
يا بني اسرائيل ما خولكم من نعمة الانجاء واهلاك العدو وغير ذلك من النعم والآلاء الفائتة
للحصر وقابلتموه بالايمان والطاعة لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ذلك وغمطتموه
ان عذابي لشديد فعسى يصيبكم منه ما يصيبكم ومن عادة الكرام التصريح بالوعد
والتعريض بالوعيد فما ظنك باكرم الاكرمين ويجوز ان يكون المذكور تعليلا للجواب
المحذوف اى لاعذبنكم واللام في الموضعين موطئة للقسم وكل من الجوابين
ساد مسد جوابي الشرط والقسم والجملة اما مفعولا لتأذن لانه ضرب من القول او لقول

مقدر بعده كأنه قيل واذ تأذن ربكم فقال الخ وقال موسى ان تكفروا نعمه تعالى ولم
تشكروها انتم يا بني اسرائيل ومن في الارض من الخلائق جميعا فان الله لغني عن شكركم
وشكر غيركم حميد مستوجب للحمد بذاته لكثرة ما يوجبه من اياديه وان لم يحمده احد او محمود
يحمده الملائكة بل كل ذرة من ذرات العالم ناطقة بحمده والحمد حيث كان مقابلا للنعم وغيرها
من الفضائل كان ادل على كماله سبحانه وهو تعليل لما حذف من جواب ان اى ان تكفروا
لم يرجع وباله الا عليكم فان الله تعالى لغني عن شكركم وشكر غيركم ولعله عليه السلام انما قال
عندما عاين منهم دلائل العناد ومخايل الاصرار على الكفر والفساد وتيقن انه لا ينفعهم
الترغيب ولا التعريض بالترهيب او قاله عقيب تذكيرهم بما ذكر من قول الله عز سلطانه تحقيقا
لمضمونه وتحذيرا لهم من الكفران ثم شرع في الترهيب بتذكير ما جرى على الامم الخالية فقال
ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم ليتدبروا ما آل كل من حزبي المؤمنين والكافرين فيقلعوا عما هم عليه
من الشر وينيبوا الى الله تعالى وقيل هو ابتداء كلام من الله سبحانه خطابا للكفرة في عهد
النبي صلى الله عليه وسلم فيختص تذكير موسى عليه السلام بالاخص ببني اسرائيل اى الضراء والسراء
والايام بالايام الجارية عليهم فقط وفيه ما لا يخفى من البعد وايضا لا يظهر حينئذ وجه
تخصيص تذكير الكفرة الذين في عهد النبي عليه الصلاة والسلام بما اصاب اولئك المعدودين
مع ان غيرهم اسوة لهم في الخلق قبل هؤلاء قوم نوح بدل من الموصول او عطف بيان
وعاد معطوف على قوم نوح وثمود والذين من بعدهم اى من بعد هؤلاء المذكورين
عطف على قوم نوح وما عطف عليه وقوله تعالى لا يعلمهم الا الله اعتراض او الموصول مبتدأ
ولا يعلمهم الخ خبره والجملة اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله
سبحانه وعن ابن عباس رضي بين عدنان واسمعيل ثلاثون ابا لا يعرفون وكان
ابن مسعود رضي اذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب
وقد نفى الله تعالى علمها عن العباد جاءتهم رسلهم استئناف لبيان نبأهم بالبينات
بالمعجزات الظاهرة والبينات الباهرة فبين كل رسول لامته طريق الحق وهداهم
اليه ليخرجهم من الظلمات الى النور فردوا ايديهم في افواههم مشيرين بذلك الى السنتهم
وما يصدر عنها من المقالة اعتناء منهم بشأنها وتنبيها للرسل على تلقيها والمحافظة
عليها واقناطا لهم عن التصديق والايمان باعلام ان لا جواب لهم سواه وقالوا انا كفرنا
بما ارسلتم به اى على زعمكم وهي البينات التي اظهروها حجة على صحة رسالتهم كقوله تعالى
ولقد ارسلنا موسى باياتنا ومرادهم بالكفر بها الكفر بدلالتها على صحة رسالتهم اى فوضعوها
غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها على
افواههم تعجبا منه واستهزاء به كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا لهم باطباق الافواه
او ردوها في افواه الانبياء عليهم السلام يمنعونهم من التكلم تحقيقا او تمثيلا او جعلوا ايدي
الانبياء في افواههم تعجبا من عتوهم وعنادهم كما ينبئ عنه تعجيبهم بقولهم افي الله الخ وقيل
الايدي بمعنى الايادي اى ردوا بها عن مواعظهم ونصائحهم وشرائعهم التي هي مدار النعم الدينية
والدنيوية لانهم لما كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردوها الى حيث جاءت منه وانا لفي شك

عظيم ما تدعوننا اليه من الايمان بالله والتوحيد ولانيا في شكهم في ذلك كزعمهم القطعي بما ارسل به الرسل
من البينات فانهم كفروا بها قطعا حيث لم يعتدوا بها ولم يجعلوها من جنس المعجزات ولذلك قالوا فاتونا
بسلطان مبين وقرئ تدعونا بالادغام مريب موقع في الريبة من ارابه او ذي ريبة من اراب الرجل
وهي قلق النفس وعدم اطمينانها بالشيء قالت رسلهم استيناف مبني على سوال ينساق اليه المقال
كانه قيل فماذا قالت لهم رسلهم فاجيب بانهم قالوا منكرين عليهم ومتعجبين من مقالتهم الحمقاء افي الله
شك بادخال الهمزة على الظرف للايذان بان مدار الانكار ليس نفس الشك بل وقوعه فيما لا يكاد
يتوهم فيه الشك اصلا مستفاد من تطبيق الجواب على كلام الكفرة بان يقولوا انتم في شك مريب
من الله تعالى مبالغة في تنزيه ساحة السبحان عن شائبة الشك وتسجيلا عليهم بسخافة العقول اي افي
شانه سبحانه من وجوده ووحدته ووجوب الايمان به وحده شك ما وهو اظهر من كل ظاهر واجلى
من كل جلي حتى تكونوا من قبله في شك مريب وحيث كان مقصدهم الاقصى الدعوة الى الايمان
والتوحيد وكان اظهار البينات وسيلة الى ذلك لم يتعرضوا للجواب عن قول الكفرة انا كفرنا
بما ارسلتم به واقتصروا على بيان ما هو غاية القصوى ثم عقبوا ذلك الانكار بما يوجب من
الشواهد الدالة على انتفاء المنكر فقالوا فاطر السموات والارض اي مبدعهما وما فيهما من
المصنوعات على نظام انيق شاهد بتحقق ما انتم منه في شك وهو صفة للاسم الجليل او بدل منه
وشك مرتفع بالظرف لاعتماده على الاستفهام وجعله مبتدا على ان الظرف خبره يفضي الى الفصل
بين الموصوف والصفة بالاجنبي اعني المبتدا والفاعل ليس باجنبي من رافعه يدعوكم ذلك
ايضا يدعوكم الى الايمان بارساله ايانا لا انا ندعوكم اليه من تلقاء انفسنا كما يوهم قولكم مما تدعوننا
اليه ليغفر لكم بسببه او يدعوكم لاجل المغفرة كقولك دعوته لياكل معي من ذنوبكم اي بعضها وهو
ما عدا المظالم مما بينهم وبينه تعالى فان الاسلام يجبه قيل هكذا وقع في جميع القرآن في وعد الكفرة
دون وعد المومنين تفرقة بين الوعدين ولعل ذلك لان المغفرة حيث جاءت في خطاب
الكفرة مرتبة على محض الايمان وفي شان المومنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي
ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم وقيل المعنى ليغفر لكم بدلا من ذنوبكم ويوخركم الى
اجل مسمى الى وقت سماه الله تعالى وجعله منتهى اعماركم على تقدير الايمان قالوا استيناف كما سبق
ان انتم اي ما انتم الا بشر مثلنا من غير فضل يوهلكم لما تدعونه من النبوة تريدون صفة ثانية لبشر حملا
على المعنى كقوله البشر يهدوننا او كلام مستانف اي تريدون بما تتصدون له من الدعوة والارشاد ان تصدونا
بتخصيص العبادة بالله سبحانه عما كان يعبد اباونا اي عن عبادة ما استمر اباونا على عبادته من غير شي يوجبه
فاتونا اي ان لم يكن الامر كما قلنا بل كنتم رسلا من جهة الله تعالى كما تدعونه فاتونا بسلطان
مبين بدليل ظاهر على فضلكم واستحقاقكم لتلك الرتبة او على صحة ما تدعونه من النبوة حتى نترك ما لم نزل نعبده
ابا عن جد ولقد كانوا اتوهم من الايات الظاهرة والبينات الباهرة ما تخر له صم الجبال ولكنهم انما
يقولون ما يقولون من العظائم مكابرة وعنادا وارادة لما ليس فيه ان ذلك ليس من جنس ما ينطق عليه
السلطان المبين قالت لهم رسلهم مجاراة معهم في اول مقالتهم وانما قيل لاختصاص الكلام بهم حيث اريد
الزامهم بخلاف ما سلف من انكار وقوع الشك في الله سبحانه فان ذلك عام وان اختص بهم ما يعقبه
ان نحن الا بشر مثلكم كما تقولون ولكن الله يمن بالنبوة على من يشاء من عباده يعنون ان ذلك عطية من

الله تعالى يعطيها من يشاء من عباده بمحض الفضل والامتنان من غير داعية توجبه فالوه انا اصحاب
فهم للنفس او ما نحن من الملائكة بل نحن بشر مثلكم في الصورة او في الدخول تحت الجنس لكن
الله يمن بالفضائل والاستعدادات والكمالات على من يشاء الله بها وما يشاء ذلك الا
لعلمه باستحقاقه لها وبتلك الفضائل والكمالات والاستعدادات التي هي عليها فلذلك
اصطفانا للنبوة وما كان وما صح وما استقام لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله اي بحجة من الحجج
فضلا عن السلطان المبين بشي من الاشياء وسبب من الاسباب الا باذن الله فانه امر متعلق
بمشيئته تعالى ان شاء كان والا فلا وعلى الله وحده دون ما عداه مطلقا فليتوكل المومنون
امرهم للمومنين بالتوكل مقصود منه حمل انفسهم عليه اثر ذي اثير الاترى الى قوله عز وجل وما لنا
اي اي عذر لنا الا نتوكل على الله اي في ان لا نتوكل عليه والاظهار لاظهار النشاط بالتوكل
عليه والاستلذاذ بذكر اسمه تعالى وتعليلا للتوكل وقد هدانا اي والحال انه قد فعل بنا
ما يوجبه ويستدعيه حيث هدانا سبلنا اي ارشد كلا منا سبيله ومنهاجه الذي شرع له واوجب
عليه سلوكه في الدين وحيث كانت اذية الكفار مما يوجب القلق والاضطراب القادح في التوكل
قالوا على سبيل التوكيد القسمي مظهرين لكمال العزيمة ولنصبرن على ما اذيتمونا بالعناد واقتراح
الايات وغير ذلك مما لا خير فيه وعلى الله خاصة فليتوكل المتوكلون اي فليثبت المتوكل
على ما احدثوه من التوكل والمراد هو المراد مما سبق من ايجاب التوكل على انفسهم والمراد بالمتوكلين
المومنون والتعبير عنهم بذلك لسبق ذكر اتصافهم به ويجوز ان يراد وعليه فليتوكل من يتوكل
دون غيره وقال الذين كفروا لرسلهم لعل هولاء القائلين بعض المتمردين العاتين الغالين في
الكفر من اولئك الامم الكافرة التي نقلت مقالاتهم المستعرة عن جميعهم كقوم شعيب واضرابهم
ولذلك لم يقل وقالوا لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا لم يقتنعوا بعصيانهم الرسل
ومعاندتهم الحق بعد ما رأوا البينات الفائتة للحصر حتى اجترؤا على مثل هاتيك العظيمة التي لا
يكاد يحيط بها دائرة الامكان فحلفوا على ان يكون احد الامرين والعود اما بمعنى مطلق الصيرورة
او باعتبار تغليب المومنين على الرسل وقد مر في الاعراف وسيأتي في الكهف فاوحى اليهم اي الى
الرسل ربهم مالك امرهم عند تناهي كفر الكفرة وبلوغهم من العتو الى غاية لا مطمع بعدها في ايمانهم
لنهلكن الظالمين على اضمار القول او على اجراء الايحاء مجراه لكونه ضربا منه ولنسكننكم الارض
اي ارضهم وديارهم عقوبة لهم بقولهم لنخرجنكم من ارضنا كقوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا
يستضعفون مشارق الارض ومغاربها من بعدهم اي من بعد اهلاكهم وقرئ ليهلكن وليسكننكم
بالياء اعتبارا لاوحى كقولهم حلف زيد ليخرجن غدا ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك
الظالمين واسكان المومنين ديارهم اي ذلك الامر محقق ثابت لمن خاف مقامي موقفي وهو
الموقف الذي يقف فيه العباد يوم يقوم الناس لرب العالمين او قيامي عليه وحفظي لاعماله
وقيل لفظ المقام مقحم وخاف وعيد اي وعيدي بالعذاب او عذابي الموعود للكفار والمعنى
ان ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين واستفتحوا اي استنصروا الله على اعدائهم
كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح او استحكموا وسالوه القضاء بينهم من الفتاحة وهي
الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق والضمير للرسل وقيل للكفرة وقيل

للمتقين فانهم سالوا ان ينصروا الحق ويهلك الباطل هو معطوف على واوحى اليهم وقرئ بلفظ
الامر عطفا على لنهلكن الظالمين اى اوحى اليهم ربهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا وخاب اى
خسر وهلك كل جبار عنيد متعظم بعد ما اتصف به المتقون اى فنصروا عند استفتاحهم
وظفروا بما سالوا وافلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم المعاندون فالخيبة بمعنى مطلق الحرمان
دون الحرمان عن المطلوب اى ذلك باعتبار انهم كانوا يزعمون انهم على الحق او استفتح الكفار
على الرسل وخابوا ولم يفلحوا وانما قيل وخاب كل جبار عنيد ذما لهم وتسجيلا عليهم بالجبر والعناد
لا ان بعضهم ليسوا كذلك وانه لم يصبهم الخيبة او استفتحوا جميعا فنصر الرسل وانجز لهم الوعد
وخاب كل عات متمرد فالخيبة بمعنى الحرمان عن الطلب وفي اسناد الخيبة الى كل منهم ما لا يخفى من
المبالغة من ورائه جهنم اى بين يديه فانه مرصد بها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها في الاخرة
وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك ويسقى معطوف على مقدر جوابا عن سؤال سائل
كانه قيل فماذا يكون اذن فقيل يلقى فيها ويسقى من ماء مخصوص لا كالمياه المعهودة صديد
وهو قيح اى دم مختلط به يسيل من الجرح قال مجاهد وغيره هو ما يسيل من اجساد اهل النار
وهو عطف بيان لماء ابهم اولا ثم بين بالصديد تهويلا لامره وتخصيصه بالذكر من بين عذابها
يدل على انه من اشد انواعه يتجرعه قيل هو صفة لماء او حال منه والاظهر انه استيناف مبني على
السؤال كانه قيل فماذا يفعل به فقيل يتجرعه اى يتكلف جرعه مرة بعد اخرى لغلبة العطش
واستيلاء الحرارة عليه ولا يكاد يسيغه اى لا يقارب ان يسيغه فضلا عن الاساغة بل
يغص به فيشربه بعد اللتيا والتي جرعة غب جرعة فيطول عذابه تارة بالحرارة والعطش
واخرى بشربه على تلك الحال فان السوغ انحدار الشراب في الحلق بسهولة وقبول نفس
ونفيه لا يوجب نفي ما ذكر جميعا وقيل لا يكاد يدخله في جوفه وعبر عنه بالاساغة لما انها
المعهودة في الاشربة وهو حال من فاعل يتجرعه او من مفعوله او منهما جميعا ويأتيه الموت اى
اسبابه من الشدائد من كل مكان ويحيط به من جميع الجهات او من كل مكان من جسده حتى من اصول
شعره وابهام رجله وما هو بميت اى والحال انه ليس بميت حقيقة كما هو الظاهر من مجئ اسبابه لا
سيما من جميع الجهات حتى لا يتألم بما غشيه من اصناف الموبقات ومن ورائه ومن بين يديه
عذاب غليظ يستقبل كل وقت عذابا اشد واشق مما كان قبله وفيه دفع ما يتوهم من الخفة
بحسب الاعتياد كما في عذاب الدنيا وقيل هو الخلود في النار وقيل هو حبس الانفاس وقيل
المراد بالاستفتاح استمطار اهل مكة في سنيهم التي ارسلها الله تعالى عليهم بدعوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وخيبتهم في ذلك وقد وعد لهم بدل ذلك صديد اهل النار مثل الذين كفروا بربهم
اى صفتهم وحالهم العجيبة الشان التي هي كالمثل في الغرابة وهو مبتدا خبره قوله تعالى اعمالهم
كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول او هو استيناف مبني على سؤال من قال
ما بال اعمالهم التي عملوها في وجوه البر من صلة الارحام واعتاق الرقاب وفداء الاسارى واغاثة
الملهوفين وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم حتى آل امرهم الى هذا المآل
بان ذلك كرماد اشتدت به الريح حملته واسرعت الذهاب به في يوم عاصف العصف اشتداد
الريح وصف به زمانها مبالغة كقولك ليلة ساكرة وانما البكور للريح شبهت صنايعهم المعدودة

لابتنائها على غير اساس من معرفة الله تعالى والايمان به والتوجه بها اليه تعالى برماد طيرته الريح العاصفة
او استيناف مسوق لبيان ان اعمالهم للاصنام او مبتدا خبره محذوف كما هو راى سيبويه اى فيما
يتلى عليك مثلهم وقوله اعمالهم جملة مستانفة مبنية على سؤال من يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم
كيت وكيت سواء اريد بها صنايعهم او اعمالهم لاصنامهم وقيل اعمالهم بدل من مثل الذين
وقوله كرماد خبره لا يقدرون يوم القيمة مما كسبوا من تلك الاعمال على شئ ما اى لا يرون
له اثرا من ثواب او تخفيف عذاب كداب الرماد المذكور وهو فذلكة التمثيل والاكتفاء
ببيان عدم رؤية الاثر لاعمالهم للاصنام مع ان لها عقوبات هايلة للتصريح ببطلان اعتقادهم
وزعمهم انها شفعاء لهم عند الله تعالى وفيه تهكم بهم ذلك اى ما دل عليه التمثيل دلالة واضحة
من ضلالهم مع حسبانهم انهم على شئ هو الضلال البعيد عن طريق الحق والثواب او عن نيل
الثواب الم تر خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به امته وقيل لكل احد من الكفرة
لقوله تعالى يذهبكم والرؤية رؤية القلب وقوله تعالى ان الله خلق السموات والارض ساد
مسد مفعوليها اى الم تعلم انه تعالى خلقها بالحق ملتبسة بالحكمة والوجه الصحيح الذي يحق
ان تخلق عليه وقرئ خالق السموات والارض ان يشا يذهبكم يعدمكم بالمرة ويات بخلق جديد
اى يخلق بدلكم خلقا اخر مستانفا لا علاقة بينكم وبينهم رتب قدرته تعالى على ذلك على
قدرته تعالى على خلق السموات والارض على هذا النمط البديع ارشادا الى طريق الاستدلال
فان من قدر على خلق مثل هاتيك الاجرام العظيمة كان على تبديل خلق اخر بهم اقدر ولذلك
قال وما ذلك اى اذهابكم والاتيان بخلق جديد مكانكم على الله بعزيز بمتعذر او متعسر
فانه قادر لذاته على جميع الممكنات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شانه حقيق
بان يؤمن به ويرجى ثوابه ويخشى عقابه وبرزوا لله جميعا اى يبرزون يوم القيمة وايثار
صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه كما في قوله سبحانه ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار او لانه
لا مضي ولا استقبال بالنسبة اليه سبحانه والمراد ببروزهم من قبورهم لامر الله تعالى ومحاسبته
او لله على ظنهم فانهم كانوا يظنون عند ارتكابهم الفواحش سرا انها تخفى على الله سبحانه فاذا
كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم فقال الضعفاء الاتباع جمع ضعيف والمراد ضعف
الراي وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة للذين استكبروا لرؤسائهم الذين
استتبعوهم واستغووهم انا كنا لكم تبعا في الدنيا في تكذيب الرسل والاعراض عن
نصائحهم وهو جمع تابع كخدم في جمع خادم او مصدر نعت به مبالغة او على اضمار اى ذوى
تبع فهل انتم مغنون دافعون عنا والفاء للدلالة على سببية الاتباع للاغناء والمراد
التوبيخ والعتاب والتقريع والتبكيت من عذاب الله من شئ من الاولى للبيان واقعة موقع
الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اى بعض الشئ الذي هو عذاب الله تعالى
ويجوز كونهما للتبعيض اى بعض شئ هو بعض عذاب الله والاعراب كما سبق ويجوز ان يكون
الاولى مفعولا والثانية مصدرا اى فهل انتم مغنون عنا بعض العذاب بعض الاغناء ويعضد
الاول قوله تعالى فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قالوا اى المستكبرون جوابا عن معاتبة
الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله اى للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا

فاصبلنا كم اى احونا لكم ما احونا لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم
واغنينا عنكم كما عرضناكم له ولكن سد دونا طريق الخلاص ولات حين مناص سواء علينا
اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص ذلك اى مستو علينا الجزع والصبر فى عدم الانجاء والهمزة وام ما
لتاكيد التسوية كما فى قوله تعالى سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم واما اسندوهما ونسبوا استواءهما
الى ضمير المتكلم المنتظم للمخاطبين ايضا بالغة فى النهى عن التوبيخ باعلام انهم شركاؤهم فيما ابتلوا به
وتسلية لهم ويجوز ان يكون وسواء علينا الخ من كلام الفريقين على منوال قوله تعالى ذلك ليعلم
انى لم اخنه ويؤيده ما روى انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون
تعالوا نصبر فيصبرون كذلك فلا ينفعهم فعند ذلك يقولون ذلك ولما كان عتاب الاتباع
من باب الجزع ذيلوا جوابهم ببيان ان لا جدوى فى ذلك فقالوا ما لنا من محيص منجا ومهرب
من العذاب من حاص الحمار اذا عدل بالفرار وهو اما اسم مكان كالمبيت والمضيق او مصدر كالمغيب
والمشيب ومن جملة مسوق لحال اهاليهم الاسواء فلا محل لها من الاعراب او حال مؤكدة او بدل
وقال الشيطان الذى اضل كلا الفريقين واستتبعهما عند ما عاتباه بما قال الاتباع للمستكبرين
لما قضى الامر اى احكم وفرغ منه وهو الحساب ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا
فى محفل الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق اى وعدا من حقه ان ينجز فانجزه
او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم اى وعد الباطل وهو ان لا بعث
ولا حساب ولئن كان فالاصنام شفعاؤكم ولم يصرح ببطلانه لما دل عليه قوله فاخلفتكم اى موعدى
على حذف المفعول الثانى اى نقضته جعل خلف وعده كالاخلاف منه كانه كان قادرا على انجازه
وانى له ذلك وما كان لى عليكم من سلطان اى تسلط او حجة تدل على صدقى الا ان دعوتكم
الا دعائى اياكم الى الغى وتسويله وهو وان لم يكن من باب السلطان لكنه ابرزه فى معرض على طريقة تحية بينهم
ضرب وجيع مبالغة فى نفى السلطان عن نفسه كانه قال انما يكون لى عليكم سلطان اذا كان مجرد الدعاء من بابه
ويجوز كون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لى فاسرعتم اجابتى فلا تلومونى بوعدى اياكم حيث لم يكن
ذلك على طريقة القسر والالجاء كما يدل عليه الفاء وقرئ بالياء على وجه الالتفات كما فى قوله تعالى حتى اذا
كنتم فى الفلك وجرين بهم ولوموا انفسكم حيث استجبتم لى باختياركم حين دعوتكم بلا حجة ولا دليل
بمجرد تزيين وتسويل ولم تستجيبوا ربكم اذ دعاكم دعوة الحق المقرونة بالبينات والحجج وليس مراده
التنصل عن توجه اللائمة اليه بالمرة بل بيان انهم احق بها منه وليس فيه دلالة على استقلال
العبد فى افعاله كما زعمت المعتزلة بل يكفى فى ذلك ان يكون لقدرته الكاسبة التى عليها يدور فلك
التكليف مدخل فيه فانه سبحانه انما يخلق افعاله حسبما يختاره وعليه يترتب السعادة والشقاوة
وما قيل من انه يستدعى ان يقال فلا تلومونى ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم
عليه يبتنى على عدم الفرق بين مذهب اهل الحق وبين مسلك الجبرية ما انا بمصرخكم اى بمغيثكم مما
انتم فيه من العذاب وما انتم بمصرخى مما انا فيه وانما تعرض لذلك مع انه لم يكن فى حيز الاحتمال
مبالغة فى بيان عدم اصراخه اياهم وايذانا بانه ايضا مبتلى بمثل ما ابتلوا به ومحتاج الى الاصراخ
فكيف من اصراخ الغير لذلك اوثر الجملة الاسمية وكان ما مضى كان جوابا منه عن توبيخهم
وتقريعهم وهذا جواب عن استغاثتهم به فى استدفاع ما دهمهم من العذاب و قرئ بكسر
انى اى كفرت اليوم بما اشركتمونى من قبل اى باشراككم اياى يعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله
تعالى ويوم القيمة يكفرون بشرككم يعنى اشراككم لى بالله سبحانه فيما الذى يطيعونه فى ترتيبكم بان كان
لكم على حق حيث جعلتمونى معبودا وكنت او ذلك اذا رغبتم فيه فاليوم كفرت بذلك ولم احمده
ولم اقبله منكم بل تبرأت منه ومنكم فلم يبق بينى وبينكم علاقة او كفرت من قبل حين ابيت
السجود لآدم بالذى اشركتمونيه وهو الله عز وجل كما فى قوله سبحان ما سخركن لنا فيكون
تعليلا لعدم اغنائه فان الكافر بالله سبحانه بمعزل من الاغاثة والاعانة سواء كان
ذلك بالمدافعة او الشفاعة واما جعله تعليلا لاياه فلا وجه له اذ لا احتمال له حتى يحتاج ح له
الى التعليل ولان تعليل عدم اصراخهم بكفره يوهم انهم بسبيل من ذلك لولا المانع من جهته
ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من جهة الله عز وجل وفى حكاية امثاله
لطف للسامعين وايقاظهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين
آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم اى بامره
او بتوفيقه وهدايته وفى التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم اظهار مزيد اللطف
بهم والمدخلون هم الملائكة عليهم السلام وقرئ على صيغة التكلم فيكون قوله تعالى باذن ربهم
متعلقا بقوله تعالى تحيتهم فيها سلام اى تحييهم الملائكة بالسلام باذن ربهم الم تر الخطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بما بعده من قوله تعالى كيف ضرب الله مثلا اى كيف اعتمده
ووضعه فى موضع اللائق به كلمة طيبة منصوب بمضمر اى جعل كلمة طيبة هى كلمة التوحيد او كل
كلمة حسنة كالتسبيح والتحميد والاستغفار والتوبة والدعوة كشجرة طيبة اى حكم بانها مثلها لا
تعالى ضربها فالجملة تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه
حلة وحمله على فرس ويجوز ان يكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدأ محذوف اى
هى كشجرة وان يكون اول مفعولى ضرب اجراء له مجرى جعل وقد اقتصر عن ثانيهما اعنى مثلا لئلا يبعد
عن صفته التى هى كشجرة وقد قرئ بالرفع على الابتداء اصلها ثابت اى ضارب بعروقه فى الارض
وقرأ انس بن مالك ثابت اصلها وقراءة الجماعة اقوى سبكا وانسب بزينة
اعنى قوله تعالى وفرعها اى اعلاها فى السماء فى جهة العلو ويجوز ان يراد وفروعها على
الاكتفاء بلفظ الجنس عن الجمع تؤتى اكلها تعطى ثمرها كل حين وقته الله تعالى لاثمارها
باذن ربها بارادة خالقها والمراد بالشجرة المنعوتة النخلة كما روى مرفوعا او شجرة فى الجنة
ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان فى ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير
للمعانى بصور المحسوسات ومثل كلمة خبيثة هى كلمة الكفر والدعاء اليه او تكذيب الحق
او ما يعم الكل وكل كلام قبيح كشجرة خبيثة اى كمثل شجرة خبيثة قيل هى كل شجرة لا يطيب ثمرها
كالحنظلة والكشوث ونحوهما وفى تغيير الاسلوب للايذان بان ذلك غير مقصود الضرب والبيان
وانما ذلك امر ظاهر يعرفه كل احد اجتثت استؤصلت واخذت جثتها بالكلية من
فوق الارض لكون عروقها قريبة منها ما لها من قرار استقرار عليها يثبت الله الذين
آمنوا بالقول الثابت الذى ثبت بالحجة عندهم وتمكن فى قلوبهم وهو الكلمة الطيبة التى
ذكرت صفتها العجيبة فى الحيوة الدنيا فلا يزالون عنه اذا افتتنوا فى دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس

ويتسوق والذين فتنتهم اصحاب الاخدود وفي الاخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا من معتقدهم
في الموقف ولا يدهشهم اهوال القيمة او عند سؤال القبر روي انه عليه السلام ذكر قبض روح المؤمن
فقال ثم تعاد روحه في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه في قبره فيقولان من ربك وما دينك
ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم فينادي مناد من السماء ان
صدق عبدي فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت وهذا شأن الاية الشجرة
المذكورة اكلها كل حين قال الثعلبي في تفسيره اخبرني ابو القسم بن حبيب في سنة ست وتسعين
وثلثمائة قال سمعت ابا الطيب محمد بن الخياط يقول سمعت سهل بن عمار العتكي يقول رأيت يزيد
بن هرون في المنام بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال اتاني في قبري ملكان فظان فقالا من ربك
وما دينك ومن نبيك فاخذت بلحيتي البيضاء فقلت لهما المثلي يقال هذا وقد علمت الناس
جوابكما ثمانين سنة فذهبا ويضل الله الظالمين اي يخلق فيهم الضلال عن الحق الذي ثبت
المؤمنين عليه حسب ارادتهم واختيارهم والمراد بهم الكفرة بدليل ما يقابله ووصفهم بالظلم اما باعتبار
وصفهم بالظلم اما باعتبار وضعهم للشيء في غير موضعه واما باعتبار ظلمهم لانفسهم حيث بدلوا
فطرة الله التي فطر الناس عليها فلم يهتدوا الى القول الثابت او كل من ظلم نفسه بالاقتصار على التقليد
والاعراض عن البينات الواضحة فلا يثبت في مواقف الفتن ولا يهتدي الى الحق فالمراد بالذين
امنوا ح المخلصون في الايمان الراسخون في الايقان كما ينبئ عنه التثبيت لكنه يوهم كون كلمة التوحيد
اذا كانت لا عن ايقان داخلة في الاقرار من الشجرة الخبيثة مثلا ويفعل الله ما يشاء من
تثبيت بعض واضلال اخرين حسبما توجبه مشيئته التابعة للحكم البالغة المقتضية لذلك وفي اظهار
الاسم الجليل في الموضعين من الفخامة وتربية المهابة ما لا يخفى مع ما فيه من الايذان بالتفاوت
في مبدأي التثبيت والاضلال فان مبدأ صدور كل منهما عنه سبحانه وتعالى من صفات العلى غير ما
هو مبدأ صدور الاخر الم تر تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد مما صنع الكفرة
من الاباطيل التي لا تكاد تصدر عمن له ادنى ادراك اي الم تنظر الى الذين بدلوا نعمت الله
اي شكر نعمته تعالى بان وضعوا موضعه كفرا عظيما وغمطا لها او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم
لما كفروها سلبوها فصاروا مستبدلين بها كفرا كاهل مكة حيث خلقهم الله سبحانه واسكنهم حرمه
الامن الذي يجبى اليه ثمرات كل شيء وجعلهم قوام بيته وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك
فقحطوا سبع سنين وقتلوا واسروا يوم بدر فصاروا اذلاء مسلوبي النعمة باقين بالكفر بدلا لها وعن
عمر رضي الله عنه هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية اما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية
فمتعوا الى حين كانهما بيانا ولان ما سيأتي من قوله عز وجل قل تمتعوا الاية واحلوا اي انزلوا قومهم
بارشادهم اياهم الى طريقة الشرك والضلال وعدم التعرض لحلولهم لدلالة الاحلال عليه اذ هو
فرع الحلول كقوله تعالى يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار دار البوار دار الهلاك الذي لا
هلاك وراءه جهنم عطف بيان لها وفي الابهام ثم البيان ما لا يخفى من التهويل يصلونها حال
منها او من قومهم اي داخلين فيها مقاسين لحرها او استيناف لبيان كيفية الحلول او مفسر لفعل مقدر
ناصب لجهنم فالمراد بالاحلال المذكور تعريضهم للهلاك بالقتل والاسر كيف وقوله تعالى قل تمتعوا
فان مصيركم الى النار ناسب بالتفسير الاول وبئس القرار على حذف المخصوص بالذم اي بئس المقر جهنم

او بئس القرار جهنم وارتهم فيها وفيه بيان ان حلولهم وصليهم على وجه الدوام والاستمرار وجعلوا
عطف على احلوا وما عطف عليه داخل معهما في حيز الصلة وحكم التعجيب اي جعلوا في اعتقادهم
وحكمهم لله الفرد الصمد الذي ليس كمثله شيء وهو الواحد القهار اندادا اشباها في التسمية
او في العبادة ليضلوا قومهم الذين يشايعونهم حسبما ضلوا عن سبيله القويم الذي
هو التوحيد ويوقعوهم في ورطة الكفر والضلال ولعل تغيير الترتيب مع ان مقتضى ظاهر
النظم ان يذكر كفرانهم بنعمة الله تعالى ثم كفرهم بذاته تعالى باتخاذ الانداد ثم اضلالهم لقومهم
المؤدي الى احلالهم دار البوار لتثنية التعجيب وتكريره فان الاية ان بان كلا واحد من صنفي
الكفر موضع التعجيب واحلال القوم دار البوار واتخاذ الانداد للاضلال امر يقضي منه العجب ولو
سيق النظم على نسق الوجود لربما فهم التعجيب من مجموع الهنات الثلث كما في قصة البقرة وقري ليضلوا
بالفتح وايا ما كان فليس ذلك غرضا حقيقيا لهم من اتخاذ الانداد لكن لما كان ذلك نتيجة له شبه
بالغرض فادخل عليه اللام بطريق الاستعارة التبعية قل تهديدا لاولئك الضالين المضلين
ووعيدا عليهم وايذانا بانهم لشدة اباءهم قبول الحق وفرط انهماكهم في الباطل وعدم ارعوائهم
عن ذلك بحال الحقاء بان يضرب عنهم صفحا ويعطف عنهم عنان العظة ويخلوا وشأنهم
ولا ينهوا عنه بل يؤمروا بمباشرته مبالغة في التخلية والخذلان ومسارعة الى بيان عاقبته
الوخيمة ويقال لهم تمتعوا بما انتم عليه من الشهوات التي من جملتها كفران النعم العظام واستتباع
الناس في عبادة الاصنام فان مصيركم الى النار ليس الا فلا بد لكم من تعاطي ما يوجب ذلك ويقتضيه
من احوال الكفر بل هي في الحقيقة صورة لدخولها ومثال لحسبما يلوح به قوله سبحانه واحلوا
قومهم دار البوار الخ فهو تعليل للامر المأمور فيه من التهديد التشديد والوعيد الاكيد
ما لا يوصف او قولهم لتصويب الحالهم او تعبيرا عما يلجيهم الى ذلك تمتعوا ايذانا بانهم لفرط
انغماسهم في التمتع بما هم فيه من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم مأمورون بذلك من قبل امر
الشهوة من حيث الحكمة منقادون لامره كذلك مأمور سارع في طاعة امر مطاع فليس قوله تعالى
فان مصيركم الى النار حينئذ تعليلا للامر بل هو جواب شرط ينسحب عليه الكلام كانه قيل هذه حالكم
فان دمتم عليه فان مصيركم الى النار وفيه التهديد والوعيد لا في الامر قل لعبادي الذين امنوا خصهم
بالاضافة اليه تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون لوظائف العبودية الموفون بحقوقها وترك
العاطف بين الامرين للايذان بتباين حالهما باعتبار المقول مع ما فيه من الدلالة الى ان المقول هنا
محكي ودل عليه الجواب اي قل لهم اقيموا وانفقوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم
اي يداوموا على ذلك وفيه ايذان بكمال مطاوعتهم الرسول صلى الله عليه وسلم وغاية مسارعتهم
الى الامتثال باوامره وتجويزوا ان يكون المقول يقيموا وينفقوا بحذف لام الامر عنهما
وانما حسن ذلك دون الحذف في قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا
لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا اقيما مقامهما وليس بذلك سرا وعلانية
منتصبان على المصدرية من الامر المقدر لا من جواب الامر المذكور اي انفقوا انفاق سر وعلانية
والاحب في الانفاق اخفاء المتطوع به واعلان الواجب والمراد حث المؤمنين على الشكر
لنعم الله سبحانه بالعبادة البدنية والمالية وترك التمتع بمتاع الدنيا والركون اليها كما هو صنيع

الكف ومن قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتلافى به تقصيره او يفتدي به نفسه والمقصود
نفي عقد المعاوضة بالمرة وتخصيص البيع بالذكر لانجازه مع المبالغة في نفي العقد اذ انتفاء
البيع يستلزم انتفاء الشراء على ابلغ وجه وانتفاؤه ربما يتصور مع تحقق الايجاب من قبل البائع ولا
خلال ولا مخالة فيشفع له خليل او يسامحه بما يفتدي به نفسه او من قبل ان ياتي يوم لا انتفاع فيه بما
فرط منهم من البيع والمخالة ولا انتفاع بذلك وانما الانتفاع والارتفاق فيه بالانفاق
لوجه الله سبحانه والظاهر ان من متعلقة بانفقوا وتذكير اتيان ذلك اليوم لتاكيد مضمونه كما في سورة
البقرة من حيث ان كلا من فقدان الشفاعة وما يتدارك به التقصير معاوضة وتبرعا وانقطاع
آثار البيع والخلال الواقعين في الدنيا وعدم الانتفاع بهما من اقوى الدواعي الى الاتيان بما يبقى
عوائده ويدوم فوائده من الانفاق في سبيل الله عز وجل او من حيث ان ادخار المال وترك انفاقه انما
يقع غالبا للتجارات والمهادات فحيث لا يمكن ذلك في الآخرة فلا وجه لادخاره الى وقت الموت
وتخصيص التاكيد بذلك لميل الطباع الى المال وكونها مجبولة على حبه والضنة به ولا يبعد ان يكون
تاكيدا لمضمون الامر باقامة الصلوة ايضا من حيث ان تركها كثيرا ما يكون للاشتغال بالبياعات
والمخالات كما في قوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وقرئ بالفتح فيهما على ارادة النفي
العام ودلالة الرفع على ذلك باعتبار خطابي هو وقوعه في جواب هل فيه بيع او خلال الله مبتدأ
خبره الذي خلق السموات وما فيها من الاجرام العلوية والارض وما فيها من انواع المخلوقات لما ذكر
احوال الكافرين لنعم الله تعالى وامر المؤمنين باقامة مراسم الطاعة شكرا لنعمه شرع في تفصيل
ما يستوجب على كافة الانام المثابرة على الشكر والطاعة من النعم العظام والمنن الجسام حثا للمؤمنين عليها
وتقريعا للكفرة المخلين بها الواقعين موقع الكفر والمعاصي وفي جعل المبتدأ الاسم الجليل والخبر
الاسم الموصول بتلك الافاعيل العظيمة من خلق هذه الاجرام العظام وانزال الامطار واخراج الثمرات
وما يتلوها من الآثار العجيبة ما لا يخفى من تربية المهابة والدلالة على قوة السلطان وانزل من
السماء اي السحاب فان كل ما علاك سماء او من الفلك فان المطر يبتدي من السماء الى السحاب ومنه الى
الارض على ما دلت عليه ظواهر النصوص او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض
الى الجو فتنعقد سحابا ماطرا واياما كان فمن ابتدائية ماء اي نوعا منه هو المطر وتقديم المجرور
على المنصوب اما باعتبار كونه مبدأ لنزوله او للتربية كما في قولك اعطاه السلطان
من خزانته مالا او لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر فاخرج به بذلك الماء من الثمرات الفائتة
للحصر اما لان صيغ الجموع يتعاور بعضها موضع بعض واما لانه اريد بمفردها جماعة الثمرة التي في قولك
ادركت ثمرة بستان فلان رزقا لكم تعيشون به وهو بمعنى المرزوق شامل للمطعوم والملبوس
مفعول لاخرج ومن للبيان كقولك انفقت من الدراهم الفا ويجوز ان يكون من الثمرات مفعولا
ورزقا حالا منه او مصدرا من اخرج لانه بمعنى رزق او للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات
كانه قيل انزل من السماء بعض الماء فاخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم اذ لم ينزل من السماء
كل الماء ولا اخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل الرزق ثمرا وخروج الثمرات وان كان بمشيئته
عز وجل وقدرته لكن جرت عادته تعالى بافاضة صورها وكيفياتها على المواد الممتزجة من
الماء والتراب اما اودع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار

وهو قادر على ايجاد الاشياء بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب كذلك لما ان له تعالى
في انشائها مدرجا من طور الى طور صنائع وحكما يجدد فيها لاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظيم
قدرته ليس ذلك في ابداعها دفعة وقوله لكم صفة لقوله رزقا ان اريد به المرزوق ومفعول له
ان اريد به المصدر كانه قيل رزقا اياكم وسخر لكم الفلك بان اقدركم على صنعتها واستعمالها
بالهامكم كيفية ذلك لتجري في البحر جريا تابعا لارادتكم بامره بمشيئته التي نيط بها كل شيء وتخصيصه
بالذكر للتنصيص على ان ذلك ليس بمزاولة الاعمال واستعمال الالات كما يتراءى من ظاهر الحال وسخر لكم
الانهار ان اريد بها المياه العظيمة الجارية في الانهار العظام كما يؤسس الذكر عند البحر فتسخيرها جعلها
معدة لانتفاع الناس حيث يتخذون منها جداول يسقون بها زروعهم وجناتهم وما اشبه
ذلك وان اريد بها نفس الانهار فتسخيرها تيسيرها لهم وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدأبان
في سيرهما وانارتهما اصالة وخلافة واصلاحهما لما نيط بهما صلاحه من المكونات وسخر لكم الليل
والنهار يتعاقبان لمنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار وانضاجها ذكر سبحانه وتعالى انواع
النعم الفائضة عليهم وابرز كل واحدة منها في جملة مستقلة تنويها لشانها وتنبيها على رفعة مكانها
وتنصيصا على كون كل منها جليلة مستوجبة للشكر وفي التعبير عن التسخير المتعلق بما ذكر من
الفلك والانهار والشمس والقمر والليل والنهار بالتسخير من الاشعار بما فيها من صعوبة
الماخذ وعزة المنال والدلالة على عظمة السلطان وشدة المحال ما لا يخفى وتاخير تسخير الشمس
والقمر عن تسخير ما تقدم من الامور المعدودة مع ما بينه وبين خلق السموات من المناسبة الظاهرة
لاستتباع ذكرها لذكر الانهار المستدعي لذكر انزال الماء منها اليها الموجب لذكر اخراج الرزق
الذي من جملته ما يحصل بواسطة الفلك والانهار او للتفادي عن توهم كون الكل اعني خلق
السموات والارض وتسخير الشمس والقمر نعمة واحدة كما وقع في سورة البقرة وآتاكم من كل ما
سألتموه اي اعطاكم بعض جميع ما سألتموه حسبما تقتضيه مشيئته التابعة للحكمة والمصلحة كقوله
سبحانه من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد او آتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه
ويتطلبه انتظام احوالكم على الوجه المقدر فكانكم سالتموه او كل ما طلبتموه بلسان الاستعداد
او كل ما سالتموه على ان من للبيان وكلمة كل للتكثير كقولك فلان يعلم كل شيء واتاه كل
الناس وعليه قوله عز وجل فتحنا عليهم ابواب كل شيء وقيل الاصل وآتاكم من كل ما سالتموه
وما لم تسالوه فحذف الثاني للدلالة ما بقي على ما القي وقرئ بتنوين كل على ان ما نافية ومحل ما
سالتموه النصب على الحالية اي آتاكم من كل شيء غير سائليه وان تعدوا نعمت الله التي انعم بها عليكم
لا تحصوها لا تطيقوا لحصرها ولو اجمالا فانها غير متناهية واصل الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ
عقدا معينا من عقود الاعداد وضع حصاة ليحفظ بها ففيه ايذان بعدم بلوغ مرتبة معتد بها
من مراتبها فضلا عن بلوغ غايتها كيف لا وما من فرد من افراد الناس وان كان في اقصى مراتب
الفقر والابتلاء بمصاعب البلايا مبتلى بانواع الرزايا فهو بحيث لو تاملته الفيته متقلبا في
نعم لا تحصى ولا تعد كانه قد اعطي كل ساعة وانه من النعماء ما حواه حيطة الامكان
وان كنت في ريب من ذلك فقدر انه ملك ملك اقطار العالم ودانت له كافة الامم واذعنت
لطاعته السراة وخضعت لهيبته رقاب العتاة وفاز بكل مرام ونال كل منال وحاجات

جميع ما في الدنيا من اصناف الاموال من عهد نوح واحد ولا شريك فيها معه بل قدر انما فيها من جواهر ودرر
يواقيت غالية ونفائس درر ثم قدر انه قد دفع من فقد مشروب او مطعوم في حال بلغت نفسه
الحلقوم فهل اشترى وهو في تلك الحال بجميع ما له من الملك والمال لقمة تنجيه عن ذواقه او شربة
تروي من ظماه ام يختار الهلاك فيذهب الاموال والاملاك بحيث لا يبقى عليه ولا يسع ان يبقى
اليه كلا بل يبذل لذلك كل ما يحويه اليدان كائنا ما كان وليس في صفقته شائبة الخسران
فاذن تلك اللقمة والشربة خير مما في الدنيا بالمرة مع انهما في طرفة لتمام نيلهما من شاء
من الليالي والايام او قدر انه قد احتبس عليه النفس فلا دخل منه ما خرج ولا خرج منه ما دخل الى الحين
قد حان واتاه الموت من كل مكان اما يعطي ذلك كله بمقابلة نفس واحد بل يعطي ان هو
اليه حاصل فاذن هو خير من اموال الدنيا بجملتها وطالما يتمتع بهما مدى عمره من كل ان
من انات الليالي والايام حال اليقظة والمنام هذا من الظهور والجلاء بحيث لا يكاد
يخفى على احد من العقلاء وان تدبرت العثور على حقيقة الحق والوقوف على كل ما جل من الدقائق
فاعلم ان الانسان بمقتضى حقيقته الممكنة بمعزل من استحقاق الوجود وما يتبعه من
الكمالات اللائقة والملكات الرائقة بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الالهية
من العلاقة لما استقر له القرار ولا اطمأنت به الدار الا في مطمورة العدم والبوار
ومهاوي الهلاك والدمار لكن يفيض عليه من الجناب الاقدس تعالى شأنه وتقدس في
كل زمان يمضي وكل ان يمر وينقضي بانواع الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وسائر
صفاته الروحانية والنفسانية والجسمانية ما لا يحيط به نطاق التعبير ولا يعلمه الا العليم
الخبير لو ينحاز انه كما لا يستحق الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء وانما ذلك من جناب المبدأ
الاول عز وجل فكما لا يتصور وجوده ابتداء ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه الاصلي لا يتصور
بقاؤه على الوجود بعد تحققه بعلته ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه الطارئ لان الاستمرار
والدوام من خصائص الوجود الواجبي وانت خبير بان ما يتوقف عليه وجوده من الامور
الوجودية التي هي علله وشرائطه وان وجب كونها متناهية لوجوب تناهي ما دخل تحت
الوجود لكن الامور العدمية التي لها دخل في وجوده ليس كذلك اذ لا استحالة في ان
يكون لشيء واحد موانع غير متناهية وانما الاستحالة في دخولها تحت الوجود بارتفاع تلك
الموانع التي لا تتناهى اعني بقاءها على العدم مع امكان وجودها في نفسها في كل ان من
انات وجوده نعم غير متناهية حقيقة لا ادعاء وكذا الحال في وجودات علله وشرائطه
القريبة والبعيدة ابتداء وبقاء فكذا في كل اية الى نعمة لوجوده فانعم ان يفيض عليه
كل ان نعم لا تتناهى من وجوه شتى فسبحانك سبحانك ما اعظم سلطانك لا تلاحظه
العيون بانظارها ولا تطالعه العقول بافكارها شأنك لا يضاهى واحسانك لا
يتناهى ونحن في معرفتك حائرون وفي اقامة مراسم شكرك قاصرون نسالك الهداية
الى مناهج معرفتك والتوفيق لاداء حقوق نعمك لا نحصي ثناء عليك لا اله الا انت
نستغفرك ونتوب اليك ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او بوضعها
في غير موضعها او يظلم نفسه بتعريضها للحرمان كفار شديد الكفران وقيل ظلوم في

الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واللام في الانسان للجنس ومصداق الحكم بالظلم والكفران
بعض من وجد فيه من افراده ويدخل في ذلك الذين بدلوا نعمة الله كفرا الخ دخولا اوليا وإذ قال
ابراهيم اي اذكر وقت قوله عليه السلام والمقصود من تذكيره تذكير ما وقع فيه من مقالاته عليه السلام على نهج
التفصيل والمراد به تاكيد ما سلف من تعجيبه صلى الله عليه وسلم ببيان فن آخر من جناياتهم حيث كفروا بالنعم
الخاصة بهم بعد ما كفروا بالنعم العامة وعصوا اباهم ابراهيم عليه السلام حيث اسكنهم بمكة شرفها الله تعالى
لاقامة الصلوة والاجتناب عن عبادة الاصنام والشكر لنعم الله تعالى وسال الله تعالى ان يجعله
بلدا آمنا ويرزقهم من الثمرات ويهوي قلوب الناس اليهم من كل اوب سحيق فاستجاب الله سبحانه
دعاءه وجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء فكفروا بتلك النعم العظام فاستبدلوا بالبلد الحرام دار البوار
وجعلوا لله تعالى اندادا وفعلوا ما فعلوا رب اجعل هذا البلد يعني مكة شرفها الله سبحانه
آمنا اي ذا امن او آمنا اهله بحيث لا يخاف فيه على ما مر في سورة البقرة والفرق بينه وبين ما
فيها من قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا ان المسؤول هناك البلدية والامن معا وههنا الامن
فقط حيث جعل هو المفعول الثاني للجعل وجعل البلد صفة للمفعول الاول فان حمل على تعدد
السؤال فلعله عليه السلام سأل اولا كلا الامرين فاستجيب له في احدهما وتأخر الاخر الى وقته المقدر
لما تقتضيه من الحكمة الداعية ثم كرر السؤال كما هو المعتاد في الدعاء والابتهال او كان
المسؤول اولا مجرد الامن المصحح للسكنى كما في سائر البلاد وقد اجيب اليه وثانيا الامن المعهود
او كان هو المسؤول فيهما وقد اجيب اليه ايضا لكن السؤال الثاني لاستدامته والاقتصار على
ذلك لانه المقصود الاصلي او لان المعتاد في البلدية الاستمرار بعد التحقق بخلاف الامن
وان حمل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر ان المسؤول كلا الامرين
وقد حكي اولا واقتصر ههنا على حكاية سؤال الامن لان نعمة الامن ادخل في استيجاب
الشكر فذكره انسب بمقام تقريع الكفرة على اغفاله كما قيل او لان سؤال البلدية قد حكي
بقوله تعالى فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم اذ المسؤول هويها اليهم للمساكنة معهم لا للحج
فقط وهو عين سؤال البلدية قد حكي بعبارة اخرى وكان ذلك اول ما قدم عليه السلام
مكة كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه عليه السلام لما اسكن اسمعيل وهاجر هناك
وعاد متوجها الى الشام تبعته هاجر وجعلت تقول الى من تكلنا في هذا البلقع وهو لا يرد
عليها جوابا حتى قالت آلله امرك بهذا فقال نعم قالت اذا لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى
اذا استوى على ثنية كداء اقبل على الوادي فقال ربنا اني اسكنت الاية وما فصل ما
بينهما تشبيه للامتنان وايذانا بان كلا منهما نعمة جليلة مستتبعة لشكر كثير واجنبني
وبني بعد اي وايهم ان نعبد الاصنام واجعلنا منه في جانب بعيد اي ثبتنا على ما
كنا عليه من التوحيد وملة الاسلام والبعد عن عبادة الاصنام وقرئ اجنبني من الافعال
وهما لغتا اهل نجد يقولون جنبني شره واجنبني شره واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره
وفيه دليل على ان عصمة الانبياء عليهم السلام بتوفيق الله تعالى والظاهر ان المراد بنيه اولاده
الصلبية فلا احتجاج به لابن عيينة رحمه الله على ان احدا من اولاد اسمعيل عليه السلام لم يعبد الصنم
وانما كان لكل قوم حجر نصبوه وقالوا هو حجر البيت فكانوا يدورون به ويسمونه الدوار

الدول فاستحق ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت وليت شعري كيف ذهب عليهما
في القرآن العظيم من قبايح شنيعة لقريش عبادة الاصنام على ان ما ذكره كما علمت رب
انهن اى الاصنام اضللن كثيرا من الناس اى تسببن له كقوله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا وهو
تعليل لدعايه وانما صدره بالنداء اظهارا لاعتنايه به ورغبته في استجابته فمن تبعني منهم فيما
ادعو اليه من التوحيد وملة الاسلام فانه مني اى بعضي قاله عليه السلام لغيره في بيان اختصاصه
به اى متصل بي لا ينفك عني في امر الدين ومن عصاني اى لم يتبعني وانما عبر عنه بالعصيان للايذان
بانه عليه السلام مستمر على الدعوة وان عدم اتباع من لم يتبعه انما هو لعصيانه لا لانه لم
يبلغه الدعوة فانك غفور رحيم قادر على ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد توبته وفيه
ان كل ذنب فلله تعالى ان يغفره حتى الشرك خلا ان الوعيد قضى بالفرق بينه وبين غيره ربنا
اثر عليه السلام ضمير الجماعة لا لما قيل من تقدم ذكره وذكر بنيه والا لراعاه في قوله رب انهن الخ بل لان
الدعاء المصدر به وما اورده بصدد تمهيد مبادي اجابته من قوله الى اسكنت الاية متعلق
بذريته فالتعرض لوصف ربوبيته تعالى لهم ادخل في القبول واجابة المسؤل من ذريتي اى بعضهم
او ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهو اسمعيل عليه السلام وما سيولد له فان اسكانه حيث كان
على وجه الاطمينان متضمن لاسكانهم روي ان هاجر ام اسمعيل كانت لسارة فوهبتها
من ابرهيم عليه السلام فلما ولدت له اسمعيل عليه السلام غارت عليها فناشدته ان يخرجهما من عندها
فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله تعالى عين زمزم بواد غير ذي زرع لا يكون فيه زرع
اصلا وهو وادي مكة شرفها الله سبحانه عند بيتك ظرف لاسكنت كقولك صليت بمكة
عند الركن لا انه صفة لواد او بدل منه اذ المقصود اظهار كون ذلك الاسكان مع
فقدان مباديه بالمرة لمحض التقرب الى الله تعالى والالتجاء الى جواره الكريم كما ينبئ
عنه التعرض لعنوان الحرمة المؤذن بعزة الملتجى وعصمته عن المكاره في قوله تعالى المحرم
حيث حرم التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما ممنعا تهابه الجبابرة في كل عصر او منع
منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا وتسميته اذ ذاك بيتا ولم يكن له بناء
وانما كانت نشزا مثل الرابية تاتيه السيول فتاخذ ذات اليمين وذات الشمال ليست باعتبار
ما سيؤول اليه الامر من بنايه عليه السلام فانه يحتاج الى اعتبار عنوان الحرمة ايضا كذلك بل انما
هي باعتبار ما كان من قبل فان تعدد بنا الكعبة المعظمة مما لا ريب فيه وانما الاختلاف
في كيفيته وعدده وقد ذكرناه في سورة البقرة بفضل الله سبحانه ربنا ليقيموا الصلوة
متوجهين اليه متبركين به وهو متعلق باسكنت وتخصيصها بالذكر من بين سائر شعائر
الدين لفضلها وتكرير النداء وتوسيطه لاظهار كمال العناية باقامة الصلوة والاهتمام
بعرض ان الغرض من اسكانهم بذلك الوادي البلقع ذلك المقصد الاقصى والمطلب
الاسنى وكل ذلك لتمهيد مبادي اجابة دعايه واعطا مسؤله الذي لا يتسنى ذلك
المرام الا به ولذلك ادخل عليه الفاء فقال فاجعل افئدة من الناس اى افئدة
من افئدتهم تحن للشيعص ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس
والروم وهذا انما يرد عليه من قولهم ولحجت اليهود والنصارى غير مناسب للمقام اذ

توجيه القلوب اليهم للمساكنة معهم لا توجيهها الى البيت للحج والا لقيل تهوي اليه فانه عين
الدعاء بالبلدية وقد حكي بعبارة افئدة كما مر او لابتداء الغاية كقولك القلب مني سقيم اى
افئدة ناس وقرئ آفدة على القلب كآدر في ادؤر او على انه اسم فاعل من ادفت الرحلة اى
عجلت اى جماعة من الناس وافدة بطرح الهمزة من الافئدة او على النعت من افد تهوي
اليهم تسرع اليهم شوقا وودادا وقرئ على البناء للمفعول من اهواه غيره وتهوى من باب
علم اى تحب وتعديته بالى لتضمنه معنى الشوق والنزوع واول اثار هذه الدعوة ما روي
ان رفقة من جرهم تريد الشام راوا الطير تحوم على الجبل فقالوا ان هذا الطاير لعائف
على الماء فاشرفوا فاذا هم بهاجر فقالوا لها ان شيت كنا معك وآنسناك والماء ماؤك
فاذنت لهم وكانوا معها الى ان شب اسمعيل عليه السلام وماتت هاجر فتزوج اسمعيل
عليه السلام منهم كما هو المشهور وارزقهم اى ذريتي الذين اسكنتهم هناك او مع من ينحاز
اليهم من الناس وانما لم يخص بالمؤمنين منهم كما في قوله وارزق اهله من الثمرات من آمن
منهم بالله واليوم الاخر اكتفاء بذكر اقامة الصلوة من الثمرات من انواعها بان
تجعل بقربه قرى يحصل فيها ذلك او تجبى اليه من الاقطار الشاسعة وقد حصل كلاهما
حتى انه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد روي عن ابن عباس
ان الطايف كانت في ارض فلسطين فلما دعا ابرهيم عليه السلام بهذه الدعوة رفعها الله تعالى
فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم وعن الزهري انه تعالى نقل قرية من قرى الشام فوضعها
بالطايف لدعوة ابرهيم عليه السلام لعلهم يشكرون تلك النعمة باقامة الصلوة واداء
سائر مراسم العبودية وقيل اللام في ليقيموا لام الامر والمراد امرهم باقامة الصلوة
والدعاء من الله تعالى بتوفيقهم لها ولا يلائمه الفاء في قوله تعالى فاجعل الخ وفي
دعايه عليه السلام من مراعاة حسن الادب والمحافظة على قوانين الضراعة وعرض الحاجة
واستنزال الرحمة واستجلاب الرافة ما لا يخفى فانه عليه السلام ذكر كون الوادي غير ذي
زرع بيانا لكمال افتقارهم الى المسؤل وبين كون اسكانهم عند البيت المحرم اشارة الى ان
جوار الكريم يستوجب افاضة النعم وعرض كون ذلك الاسكان مع كمال اعواز مرافق
المعاش لمحض اقامة الصلوة واداء حقوق البيت مهد جميع مبادي اجابة السؤال ولذلك
قرنت دعوته عليه السلام بحسن القبول ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن من الحاجات
وغيرها والمراد بما نخفي ما يقابل ما نعلن سواء تعلق به الاخفاء اولا اى تعلم ما نظهره
وما لا نظهره فان علمه تعالى متعلق بما لا يخطر بالبال بما فيه من الاحوال الخفية فضلا
عن اخفايه وتقديم ما نخفي على ما نعلن لتحقيق المساواة بينهما في تعلق العلم
بهما على ابلغ وجه فكان تعلقه بما نخفي اقدم منه بما نعلن او لان مرتبة السر والخفاء
متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو قبل ذلك خفي فتعلق علمه سبحانه
بحالته الاولى اقدم من تعلقه بحالته الثانية ومقصده عليه السلام ان اظهار هذه الحاجات
وما هو من مباديها وتتماتها ليس لكونها غير معلومة لك بل انما هو لاظهار العبودية
والتخشع لعظمتك والتذلل لعزتك وعرض الافتقار الى ما عندك والاستعجال

فيه ايذانا بذلك وتكرير النداء للمبالغة في الضراعة والابتهال وضمير الجماعة لان المراد ليس مجرد علمه تعالى
بسره وعلنه بل بجميع خفايا الملك والملكوت وقد حققه بقوله على وجه الاعتراض وما يخفى على الله من شيء
في الارض ولا في السماء لانه العالم بالذات فما من امر يدخل تحت الوجود كائنا ما كان في زمان
من الازمان الا ووجوده في ذاته علم بالنسبة اليه سبحانه وانما قال وما يخفى على الله الخ دون
ان يقول ويعلم ما في السموات والارض تحقيقا لما عناه بقوله تعالى تعلم ما نخفي من ان علمه تعالى
بذلك ليس على وجه يكون فيه شائبة خفاء بالنسبة الى علمه تعالى كما يكون ذلك بالنسبة الى
علوم المخلوقات وكلمة في متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء اي من شيء كائن فيهما اعم من ان يكون
ذلك على وجه الاستقرار فيهما او على وجه الجزئية منهما او بتخصيص وتقديم الارض على السماء مع
توسيطها لا بينهما باعتبار القرب والبعد منا المستدعيين للتفاوت بالنسبة الى علومنا والالتفات
من الخطاب الى اسم الذات المستجمع للصفات لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم على نهج قوله
تعالى الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير والايذان بعمومه لانه ليس بشأن يختص به
او بمن يتعلق به بل شامل لجميع الاشياء فالمناسب ذكره تعالى بعنوان مصحح لمبدأ الكل
وقيل هو من كلام الله عز وجل وارد بطريق الاعتراض لتصديقه عليه السلام كقوله سبحانه وكذلك
يفعلون ومن للاستغراق الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اي مع كبري ويأسي
عن الولد قيد الهبة به استعظاما للنعمة واظهارا لشكرها اسمعيل واسحق روي انه ولد له اسمعيل
وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة او مائة وسبع عشرة
سنة ان ربي ومالك امري لسميع الدعاء لمجيبه من قولهم سمع الملك كلامه اذا اعتد به وهي
ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله باسناد السماع الى دعاء الله
تعالى مجازا وهو مع كونه من تتمة الحمد والشكر اذ هو وصف له تعالى بان ذلك الجميل سنته
المستمرة تعليل على طريقة التذييل للهبة المذكورة وفيه ايذان بتضاعف النعمة فيها حيث وقعت بعد
الدعاء بقوله رب هب لي من الصالحين فاقترنت الهبة بقبول الدعوة وتوحيد ضمير المتكلم وان
كان عقيب ذكر هبتهما لما ان نعمة الهبة فائضة عليه خاصة وهما من النعم لا من المنعم عليهم رب
اجعلني مقيم الصلوة مثابرا عليها معدلا لها وتوحيد ضمير المتكلم مع شمول دعوته لذريته ايضا
حيث قال ومن ذريتي اي بعضهم من المذكورين ومن سيرتهما من اولادهما للاشعار بانه المقتدى
في ذلك وذريته اتباع له وان ذكرهم بطريق الاستطراد لا كما في قوله ربنا اني اسكنت الخ
فان اسكانه مع عدم تحققه بلا ملابسة لمن اسكنه انما هو مذكور بطريق التمهيد للدعاء الذي
هو مخصوص بذريته وانما خص هذا الدعاء ببعض ذريته لعلمه من جهة الله تعالى ان بعضا منهم
لا يكون مقيم الصلوة كقوله تعالى ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك ربنا
وتقبل دعاء اي دعائي هذا المتعلق بجعلي وجعل بعض ذريتي مقيمي الصلوة ثابتين على
ذلك مجتنبين عن عبادة الاصنام ولذلك جيء بضمير الجماعة ربنا اغفر لي اي ما فرط مني
من ترك الاولى في باب الدين وغير ذلك مما لا يسلم منه البشر ولوالدي وقرئ بالتوحيد ولابوي
وهذا الاستغفار منه عليه السلام انما كان قبل تبين الامر له عليه السلام وقيل اراد بوالديه ادم
وحواء وقيل بشرط الاسلام ويرده قوله تعالى الا قول ابرهيم الاية وقد مر في سورة التوبة

تحقيق المقام وسيأتي تمامه في سورة مريم بتفضل الله عز وجل للمؤمنين كافة من ذريته وغيرهم
وللايذان باشتراك الكل في الدعاء بالمغفرة جيء بضمير الجماعة يوم يقوم الحساب اي يثبت ويتحقق
محاسبة اعمال المكلفين على وجه العدل استعير له من ثبوت القائم على الرجل بالاستقامة ومنه قامت
الحرب على ساق او المراد يقوم اهله فاسند اليه مجازا او حذف المضاف كما في واسأل القرية
واعلم ان ما حكي عنه عليه السلام من الادعية والاذكار وما يتعلق بها ليس بصادر عنه على الترتيب المحكي
ولا على وجه المعية بل صدر عنه في ازمنة متفرقة وحكي مرتبا للدلالة على سوء حال الكفرة بعد ظهور امره
في الملة وارشاد الناس اليها والتضرع الى الله تعالى لمصالحهم الدينية والدنيوية ولا تحسبن الله
غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد تثبيته على ما كان عليه من عدم
حسبانه عز وجل كذلك نحو قوله تعالى ولا تكونن من المشركين ونظائره ومع ما فيه من الايذان
بكونه واجب الاحتراز عنه في الغاية حتى نهى عنه من لا يمكن تعاطيه او نهيه عليه السلام عن حسبانه
تعالى تاركا لعقابهم على طريقة العفو والتعبير عنه بذلك للمبالغة في النهي والايذان بان ذلك الحسبان
بمنزلة حسبانه تعالى غافلا عن اعمالهم اذ العلم بذلك مستوجب لعقابهم لا محالة وترك لو كان لكان
للغفلة عنها او عجز من اعمالهم الخبيثة وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعد له اكيد ووعيد
للكفرة وسائر الظالمين شديد او لكل احد ممن يستعجل عذابهم او يتوهم اهمالهم للجهل بصفاته
تعالى والاغترار بامهاله وقيل معناه لا تحسبنه تعالى يعاملهم معاملة الغافل عما عملوا بل معاملة من
يحافظ على اعمالهم ويجازيهم بذلك نقيرا وقطميرا والمراد بالظالمين اهل مكة ممن عدد مساويهم من
تبديل نعمة الله تعالى كفرا واحلال قومهم دار البوار واتخاذ الانداد كما يؤذن به الموضع لا الجنس
المبني عنه قوله تعالى وقل تمتعوا الاية او جنس الظالمين وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا انما يؤخرهم
يمهلهم متمتعين بالحظوظ الدنيوية ولا يعجل عقوبتهم حسبما يشاهد وهو استئناف وقع تعليلا للنهي
السابق اي دم على ما كنت عليه من عدم حسبانه تعالى غافلا عن اعمالهم ولا تحزن بتأخير ما يستوجبه من
العذاب الاليم ان تأخيره للتشديد والتغليظ او لا تحسبنه تعالى تاركا لعقوبتهم لما ترى من تأخيرها
انما ذلك لاجل هذا او لا تحسبنه تعالى يعاملهم معاملة الغافل ولا يؤاخذهم باعمالهم لما ترى من
التأخير انما هو لهذه الحكمة وقرئ بالنون وايقاع التأخير عليهم مع ان المؤخر انما هو عذابهم وتفظيع
الحال ببيان انهم متوجهون الى العذاب مرصودون لاتيانه لا انهم باقون باختيارهم وللدلالة على ان
حقهم من العذاب هو الاستئصال بالمرة وان لا يبقى منهم في الوجود عين ولا اثر وللايذان بان
المؤخر من جملة العذاب وعنوانه ولو قيل انما يؤخر عذابهم الى اجله لما فهم ذلك ليوم هائل تشخص
فيه الابصار اي تشخص ابصار اهل الموقف فيدخل في زمرتهم الكفرة المعهودون دخولا اوليا اي تبقى
مفتوحة لا تتحرك اجفانهم من هول ما يرونه وباعتبار عدم قرارها في اماكنها اما باعتبار الارتفاع
الحسي في جرم العين او بجعل الصيغة من شخص من بلد الى بلد اي سار في ارتفاع مهطعين مسرعين
الى الداعي مقبلين عليه بالخوف والذل والخشوع او مقبلين بابصارهم عليه لا يقلعون عنه ولا
يطرفون هيبة وخوفا واصله الكف بادامة النظر وقيل الاهطاع ادامة النظر الى الداعي مقنعي رؤوسهم اي
رافعيها مع ادامة النظر من غير التفات الى شيء قاله القتيبي وابن عرفة او ناكسيها ويقال اقنع راسه
اي طأطأها ونكسها فهو من الاضداد وهذه حال مما دل عليه الابصار من اصحابها او انما هي حال مقدرة

من المعنى الاول واضافته غير حقيقية فلا ينافي الحالية لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع اليهم تحريك اجفانهم
حسبما كان يرجع اليهم كل لحظة بل تبقى اعينهم مفتوحة لا تطرف او لا ترجع اليهم اجفانهم التي هي آلة
الطرف فيكون اسناد الرجوع الى الطرف مجازيا او هو نفس الجفن قال الفيروزابادي الطرف العين
لا يجمع لانه مصدر في الاصل او اسم جامع للعين او لا يرجع نظرهم الى انفسهم فضلا عن ان يرجع الى
شيء آخر فيبصروه بل يبقون مبهوتين وهو ايضاح للاقناع او بدل او من مقتضى انه استئناف والمعنى ان اول ما
اعتراهم من شخوص الابصار وتأخر عما قبله مما يتضمنه الاهطاع والاقناع مع ما بينه وبين الشخوص
المذكور من المناسبة لترتيب هذا المعنى وافئدتهم هواء خالية من العقل والفهم لفرط الحيرة والدهشة
كانها نفس الهواء الخالي عن كل شاغل ومنه قيل للجبان والاحمق قلبه هواء اي لا قوة ولا راي
فيه ومن اعتبار خلوها عن كل شيء لا يناسب المقام وهو ما حال عاملها لا يرتد مبينة لكون شخوص
ابصارهم وعدم ارتداد طرفهم بلا فهم ولا اختيار او جملة مستقلة وانذر الناس خطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد اعلامه ان تأخيرهم لماذا وامر له بانذارهم وتخويفهم والمراد بالناس الكفار
المعبر عنهم بالظالمين كما يقتضيه ظاهر اتيان العذاب والعدول الى الناس من الاضمار للاشعار بان المراد
بالانذار هو الزجر عما هم عليه من الظلم شفقة عليهم لا التخويف للازعاج والايذاء فالمناسب عدم
ذكرهم بعنوان الظلم او الناس جميعا فان الانذار عام للفريقين كقوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر
والاتيان يعمهما من حيث كونهما في الموقف وان كان لحوقه بالكفار خاصة اي انذرهم وخوفهم
يوم يأتيهم العذاب المعهود وهو اليوم الذي وصف بما وصف من الاوصاف الهائلة اعني
يوم القيمة وقيل هو يوم موتهم معذبين بالسكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى او يوم هلاكهم
بالعذاب العاجل ويأباه القول السابق فيقول الذين ظلموا اي فيقولون والعدول عنه الى ما عليه
النظم الكريم للتسجيل عليهم بالظلم والاشعار بان ما لقوه من الشدة انما هو لظلمهم وايثاره على
صيغة الفاعل حسبما ذكر اولا للايذان بان الظلم في الجملة كاف في الافضاء الى ما ذكر من الاهوال
من غير حاجة الى الاستمرار عليه كما ينبئ عنه صيغة الفاعل وعلى كون المراد بالناس ما يعم المسلمين ايضا
فالمعنى الذين ظلموا منهم وهم الكفار او يقول كل من ظلم بالشرك والتكذيب من المنذرين ومن غيرهم من
الامم الخالية فان اتيان العذاب يعمهم كما يشعر بذلك وعدهم باتباع الرسل ربنا اخرنا الى
الدنيا وامهلنا الى اجل قريب الى امد وحد من الزمان قريب نجب دعوتك اي الدعوة اليك
والى توحيدك او دعوتك لنا على السنة الرسل ففيه ايماء الى انهم صدقوهم في انهم مرسلون من عند الله
تعالى ونتبع الرسل فيما جاؤونا به اي نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة الدعوة واتباع الرسل والجمع اما
باعتبار اتفاق الجميع على التوحيد وكون عصيانهم للرسول عليه السلام عصيانا لهم جميعا عليهم السلام واما باعتبار
ان المحكي كلام ظالمي الامم جميعا والمقصود بيان وعد كل امة باتباع رسولها اولم تكونوا اقسمتم
من قبل على اضمار القول معطوفا على فيقول اي فيقال لهم توبيخا وتبكيتا الم تؤخروا في الدنيا ولم
تكونوا اقسمتم اذ ذاك بالسنتكم بطرا واشرا وجهلا وسفها ما لكم من زوال مما انتم عليه من
التمتع بالحظوظ الدنيوية او بالسنة الحال حيث بنيتم مشيدا واملتم بعيدا ولم تحدثوا انفسكم بالانتقال
الى هذه الحالة وفيه اشعار بامتداد زمان التأخير وبعد مداه او ما لكم من انتقال من هذه
الدار الى دار اخرى للجزاء كقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وصيغة

الخطاب في جواب القسم لمراعاة حال الخطاب في اقسمتم كما في قوله حلفت بالله لتخرجن وهو ادخل في التوبيخ من ان
يقال ما لنا لمراعاة حال المقسم ذكر البيهقي عن محمد بن كعب القرظي رحمه الله انه قال لاهل النار خمس دعوات
يجيبهم الله تعالى في اربع منها فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها ابدا يقولون ربنا امتنا اثنتين
واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيجيبهم الله تعالى ذلكم بانه اذا دعي الله
وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا
نعمل صالحا انا موقنون فيجيبهم الله تعالى فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا الآية ثم يقولون ربنا
اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل فيجيبهم الله تعالى اولم تكونوا اقسمتم الآية ثم يقولون
ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم
النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فيجيبهم
الله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها ابدا ان هو الا زفير وشهيق وعند ذلك
انقطع رجاؤهم واقبل بعضهم ينبح في وجه بعض واطبقت عليهم جهنم اللهم انا بك نعوذ وبكنفك
نلوذ عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك وسكنتم من السكنى بمعنى التبوء والايطان وانما
استعمل بكلمة في حيث قيل في مساكن الذين ظلموا انفسهم جريا على الاصل لانه منقول عن مطلق السكون
الذي حقه التعدية بها او من السكون واللبث اي قررتم في مساكنهم مطمئنين سائرين سيرتهم في الظلم
بالكفر والمعاصي غير محدثين لانفسكم بما لقيه الاولون بسبب ما اجترحوا من الموبقات وفي ايقاع
الظلم على انفسهم بعدما طلاه فيما سلف ايذان بان غائلة الظلم آيلة الى صاحبه والمراد بهم اما جميع
من تقدم من الامم المهلكة على تقدير اختصاص الاستمهال والخطاب السابق بالمنذرين واما اوائلهم من
قوم نوح وهود على تقدير عمومها للكل وهذا الخطاب وما يتلوه باعتبار حال اواخرهم وتبين
لكم بمشاهدة الآثار وتواتر الاخبار كيف فعلنا بهم من الاهلاك والعقوبة بما فعلوا من الظلم والفساد
وكيف منصوب بما بعده من الفعل وليس الجملة فاعلا لتبين كما قاله بعض الكوفيين بل الفاعل ما
دلت هي عليه دلالة واضحة اي فعلنا العجيب بهم [illegible] ما ليس في ان يقال بما فعلنا بهم كما
في قوله تعالى ليسجننه وقرئ نبين وضربنا لكم الامثال اي بينا لكم في القرآن العظيم على تقدير
اختصاص الخطاب بالمنذرين او على السنة الانبياء عليهم السلام على تقدير عمومه لجميع الظالمين صفات ما
فعلوا وما فعل بهم من الامور التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم لتعتبروا بها فتقيسوا
اعمالكم على اعمالهم ومآلكم على مآلهم وتنتقلوا من حلول العذاب العاجل الى حلول العذاب الآجل
فترتدعوا عما كنتم فيه من الكفر والمعاصي او بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب
والجمل الثلاث في موقع الحال من ضمير اقسمتم اي اقسمتم بالخلود والحال انكم سكنتم في مساكن المهلكين
بظلمهم وتبين لكم فعلنا العجيب بهم وبينا لكم على جلية الحال الامثال [illegible] وقد
مكروا مكرهم حال من الضمير الاول في فعلنا بهم او من الثاني او منهما جميعا وانما قدم عليه قوله تعالى
وضربنا لكم الامثال لشدة ارتباطه بما قبله اي فعلنا بهم ما فعلنا والحال انهم قد مكروا في ابطال
الحق وتقرير الباطل مكرهم العظيم الذي استفرغوا في عمله المجهود وجاوزوا فيه كل حد معهود
بحيث لا يقدر عليه غيرهم فالمراد بيان تناهيهم في استحقاق ما فعل بهم او قد مكروا مكرهم المذكور في
ترتيب مبادي البقاء ومدافعة اسباب الزوال فالمقصود اظهار عجزهم واضمحلال قدرتهم وحقارتها

عند قدرة الله تعالى حيث ... مكرهم اي جزاء مكرهم الذي فعلوه على ان المكر مضاف الى فاعله او اخذه
تعالى بهم على انه مضاف الى مفعوله وتسميته مكرا لكونه بمقابلة مكرهم وجودا او ذكرا او لكونه في صورة
المكر في الاتيان من حيث لا يشعرون وعلى التقديرين فالمراد ما افاده قوله عز وجل كيف فعلنا
بهم الآية وهو وعيد مستانف والجملة حال من الضمير في مكروا او مكروا مكرهم وعند الله جزاؤه او ما هو اعظم
منه والمقصود بيان فساد رايهم حيث باشروا فعلا مع تحقق ما يوجب تركه وان كان في العظم
والشدة وان كان مكرهم لتزول منه الجبال اي وان كان مكرهم في غاية المتانة والشدة وعبر عن ذلك بكونه
مسوى ومعدا لازالة الجبال عن مقارها لكونه مثلا في ذلك والجملة المصدرة بان الوصلية معطوفة
على جملة مقدرة والمعنى وعند الله جزاء مكرهم او المكر الذي يحيق بهم ان لم يكن مكرهم لتزول منه
الجبال وان كان الخ وقد حذفت الاولى حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة فان
الشيء اذا تحقق عند وجود المانع القوي فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما
في ان الوصلية من التاكيد المعنوي والجواب محذوف دل عليه ما سبق وهو قوله تعالى وعند الله
مكرهم وقيل ان نافية واللام لتاكيدها كما في قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وينصره قراءة ابن
مسعود رضي الله عنه وما كان مكرهم فالجملة حال من الضمير في مكروا لا من قوله تعالى وعند الله مكرهم اي مكروا
مكرهم والحال ان مكرهم لم يكن لتزول منه الجبال على انها عبارة عن آيات الله تعالى وشرائعه
ومعجزاته الظاهرة على ايدي الرسل السالفة عليهم السلام التي هي بمنزلة الجبال الراسيات في الرسوخ
واما كونها عبارة عن امر النبي صلى الله عليه وسلم او القرآن العظيم كما قيل فلا مجال له اذ الماكرون
هم المهلكون لا الساكنون في مساكنهم من المخاطبين وان نعض الخطاب بالمنذرين وقيل هي
مخففة من الثقيلة والمعنى انه كان مكرهم لتزول منه الجبال في الثبات مما ذكر من الآيات والشرائع
والمعجزات والجملة كما هي حال من ضمير مكروا اي مكروا مكرهم المعهود وان الشان كان مكرهم
لازالة الآيات والشرائع على معنى انه لم يكن يصلح ان يكون منهم مكر كذلك وان كان شان الآيات
والشرائع بمعزل من مباشرة المكر لازالته وقرأ الكسائي لتزول بفتح اللام على انها الفارقة
والمعنى تعظيم مكرهم فالجملة حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم اي عنده تعالى جزاء مكرهم او المكر
بهم والحال ان مكرهم بحيث تزول منه الجبال اي في غاية الشدة وقرئ بالفتح والنصب على لغة من
يفتح لام كي وان كان مكرهم هذا هو الذي يقتضيه النظم الكريم ويساق اليه الطبع
السليم وقيل ان الضمير في مكروا للمنذرين والمراد بمكرهم ما افاده قوله عز وجل واذ يمكر
بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك الآية وغيره من انواع مكرهم برسول الله صلى
الله عليه وسلم ولعل الوجه ح ان يكون قوله تعالى وقد مكروا الخ حالا من القول المقدر اي فيقال
لهم ما يقال والحال انهم مع ما فعلوا من الاقسام المذكور مع ما بينا فيه من السكونة في مساكن
المهلكين وتبين احوالهم وضرب الامثال قد مكروا مكرهم العظيم اي ان لم يكن الصادر عنهم مجرد
الاقسام الذي ... بل اجترءوا على مثل هذه العظيمة وقوله تعالى وعند الله مكرهم حال من ضمير
مكروا حسبما ذكرنا من قبل وقوله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال مسوق لبيان عدم
تفاوت الحال في تحقق الجزاء بين كون مكرهم قويا او ضعيفا كما مر هناك وعلى تقدير كون ان
النافية فهو حال من ضمير مكروا والجبال عبارة عن امر النبي صلى الله عليه وسلم اي وقد مكروا والحال

ان مكرهم ما كان لتزول منه ما تلك الشرائع والآيات التي هي في القوة كالجبال وعلى تقدير كونها
مخففة من الثقيلة واللام مكسورة يكون حالا منه ايضا على معنى ان ذلك المكر العظيم منهم كان
لهذا الغرض على معنى انه لم يكن يصلح ان يكون منهم مكر كذلك لما ان شان الشرائع اعظم من
ان يمكر بها ماكر وعلى تقدير فتح اللام هو حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم كما ذكرنا من
قبل فليتامل فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله لم يرد به والله سبحانه اعلم ان وعده بقوله تعالى
انا لننصر رسلنا الآية وقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي كما قيل فانه لا اختصاص له بالتعذيب لا سيما
الاخروي بل ما سلف آنفا من وعده بتعذيب الظالمين بقوله تعالى انما يؤخرهم الآية كما يفصح
عنه الفاء الداخلة على النهي الذي اريد به تثبيته على ما كان عليه من الثقة بالله تعالى والتيقن
بانجاز وعده المذكور المؤذن بالامر بانذارهم يوم اتيان العذاب المتضمن لتعذيب الامم
انما التعذيب كفرهم وعصيانهم رسلهم بعد ما وعدهم بذلك كما وصلت قصة كل منهم
في القرآن العظيم فكانه قيل واذ قد وعدناك بعذاب الظالمين يوم القيامة واخبرناك
بما يلقونه من الشدائد وبما يسالونه من الرد الى الدنيا وبما اجبناهم به وقرعناهم بعدم تاملهم
احوال من سبقهم من الامم الذين اهلكناهم بظلمهم بعد ما وعدنا رسلهم باهلاكهم فدم على ما
كنت عليه من اليقين بعدم اخلافنا رسلنا وعدنا ان الله عزيز غالب لا يماكر وقادر لا
يدافع ذو انتقام لاوليائه من اعدائه والجملة تعليل للنهي المذكور وتذييل له وحيث كان
الوعد عبارة عما ذكر من تعذيبهم خاصة لم يذيل بان يقال ان الله لا يخلف الميعاد دليلا من
لوصف العزة والانتقام مشعر بذلك والمراد بالانتقام ما اشير اليه بالفعل وعبر عنه بالمكر
يوم تبدل الارض غير الارض ظرف مفض لمضاف ينسحب عليه النهي المذكور اي فيخرج يوم او منصوب
على ... وارتعب يوم تبدل الارض غير الارض او الانتقام وهو يوم ياتيهم العذاب بعينه
ولكن لما اعيد الجميع بذكر كل مرة ليعنوان مخصوص والتقييد مع عموم انتقامه للاوقات
كلها للافصاح عما هو المقصود من تعذيب الكفرة المؤخر الى ذلك اليوم بموجب الحكمة
الداعية اليه وقيل بدل من يوم ياتيهم العذاب او نصب باذكر او باضمار لا يخلف وعده
يوم تبدل الخ وفيه ايضا ما في الوجه الثالث من الحاجة الى الاعتذار ولا يجوز ان ينتصب بقوله
مخلف وعده لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعدها وقيل هو جائز لان قوله تعالى ان الله
عزيز ذو انتقام جملة اعتراضية فلا يبالي بها فاصلا واعلم ان التبديل قد يكون في
الذات كما في بدلت الدراهم دنانير وعليه قوله عز وجل بدلناهم جلودا غيرها وقد يكون في
الصفات كما في بدلت الحلقة خاتما اذا غيرت شكلها وعليه قوله تعالى يبدل الله
سيئاتهم حسنات على بعض الاقوال والآية الكريمة ليست بنص في احد الوجهين فعن علي كرم الله
تعالى وجهه تبدل ارضا من فضة وسماوات من ذهب وعن ابن مسعود تبدل الارض بارض
كالفضة بيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم يعمل عليها خطيئة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي تلك
الارض وانما تغير صفاتها وانشد وما الناس بالناس الذين عهدتهم وما الدار بالدار
التي كنت تعلم وتبدل السموات بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها
وانشقاقها وكونها ابوابا ويدل عليه ما روى ابو هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال تبدل الارض

غير الأرض فتبسط وتمد مد الأديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا أمتا والسموات أي وتبدل السموات
غير السموات حسبما مر من التفصيل وتقديم تبديل الأرض لقربها منا ولكون تبديلها أعظم أثرا
بالنسبة إلينا وبرزوا أي الخلائق أو الظالمون المدلول عليهم بمعونة السياق والمراد بروزهم من
أجداثهم التي في بطون الأرض أو ظهورهم بأعمالهم التي كانوا يعملونها سرا ويزعمون أنها لا تظهر أو يعملون
عمل من يزعم ذلك ولعل إسناد البروز إليهم مع أنه لأعمالهم للإيذان بتشكلهم بأشكال تناسبها
وهو معطوف على تبدل والعدول إلى صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه أو حال من الأرض بتقدير
قد والرابط بينها وبين صاحبها الواو لله الواحد القهار للحساب والجزاء والتوصيف بالوصفين
لتهويل الخطب وتربية المهابة وإظهار بطلان الشرك وتحقيق الانتقام في ذلك اليوم على تقدير
كونه ظرفا له وتحقيق إتيان العذاب الموعود على تقدير كونه بدلا من يوم يأتيهم العذاب فإن
الأمر إذا كان لواحد غلاب لا يغالب وقهار لا يضاد لا يستغاث بأحد غيره كان في غاية ما يكون من الشدة
والصعوبة وترى المجرمين عطف على برزوا والعدول إلى صيغة المضارع لاستحضار الصورة أو
للدلالة على الاستمرار وأما البروز فهو دفعي أو على تقدير حالية برزوا هو معطوف على
تبدل ويجوز عطفه على عامل الظرف المقدر على تقدير كونه بدلا من يومئذ يوم إذ برزوا لله وحمل
أنه يوم تبدل الأرض ويوم إذ برزوا وعد مقرنين قرن بعضهم مع بعض حسب اقترانهم في الجرائم
والجرائر أو قرنوا مع الشياطين الذين أغووهم أو قرنوا مع ما اقترفوا من العقائد الزائغة والملكات
الردية والأعمال السيئة غب تصور كل منها وتشكلها بما يناسبها من الصور الموحشة والأشكال
الهائلة أو قرنت أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم وهو حال من المجرمين في الأصفاد في القيود أو
الأغلال وهو إما متعلق بقوله تعالى مقرنين أو حال من ضميره أي مصفدين سرابيلهم أي قمصانهم
من قطران جملة من مبتدأ وخبر محلها النصب على الحالية من المجرمين أو من ضميرهم في مقرنين
رابطها الضمير فقط كما في كلمته فوه إلى في أو مستأنفة والقطران ما يتحلب من الأبهل فيطبخ فتهنأ
به الإبل الجربى فيحرق الجرب بحدته وحرارته وقد يصل حرارته إلى الجوف وهو أسود
منتن يسرع فيه اشتعال النار يطلى به جلود أهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل ليجتمع عليهم الألوان
الأربعة من العذاب لذعه وحرقته وإسراع النار في جلودهم واللون الموحش والنتن على أن التفاوت
بينه وبين ما نشاهده وبين النارين لا يكاد يقادر قدره فكأن ما نشاهده منهما أسماء سميا بهما
في الآخرة بكمال التهيم لعوذة بكرمه الواسع ولطفه ويحتمل أن يكون ذلك تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من
الملكات الردية والهيئات الموحشة فيجلب إليها الألم والغموم بل أن يكون القطران المذكور عين ما لا
لبسوه في هذه النشأة وجعلوه شعارا لهم من العقائد الباطلة والأعمال السيئة المستجلبة لفنون
العذاب قد تجسدت في النشأة الآخرة بتلك الصورة المستتبعة لاشتداد العذاب عصمنا الله سبحانه
عن ذلك بمنه ولطفه وقرئ من قطران أي نحاس مذاب متناه حره وتغشى وجوههم النار
أي تعلوها وتحيط بها النار التي تسعر بجسدهم المسربل بالقطران وتخصيص الوجوه بالحكم المذكور مع عمومه
لسائر أعضائهم لكونها أعز الأعضاء الظاهرة وأشرفها كقوله تعالى أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب الآية ولكونها
مجمع المشاعر والحواس التي خلقت لإدراك الحق وقد أعرضوا عنه ولم يستعملوها في تدبره كما أن
الفؤاد أشرف الأعضاء الباطنة ومحل المعرفة وقد ملؤوها بالجهالات ولذلك قيل تطلع على الأفئدة

أو لخلوها عن القطران المغني عن ذلك غشيان النار لها ولعل تخليتها عنه ليتعارفوا عند انكشاف
اللهب أحيانا ويتضاعف عذابهم بالخزي على رؤوس الأشهاد وقرئ تغشى أي تتغشى بحذف إحدى التاءين
والجملة نصب على الحالية لا على أن الواو حالية لأن المضارع مثبت بل على أنها معطوفة على الحال كما قال
أبو البقاء ليجزي الله متعلق بمضمر أي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت من
أنواع الكفر والمعاصي جزاء موافقا لعملها وفيه إيذان بأن جزاءهم مناسب لأعمالهم أو بقوله برزوا
على تقدير كونه معطوفا على تبدل والضمير للخلق وقوله وترى المجرمين الخ اعتراض بين المتعلق والمتعلق
أي برزوا للحساب ليجزي الله كل نفس مطيعة أو عاصية ما كسبت من خير أو شر وقد اكتفى بذكر
عقاب العصاة تعويلا على شهادة الحال لا سيما مع ملاحظة سبق الرحمة الواسعة إن الله سريع الحساب
إذ لا يشغله شأن عن شأن فيتمه في أعجل ما يكون من الزمان فيوفي الجزاء بحسبه أو سريع المجيء يأتي
عن قريب أو سريع الانتقام كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وهو سريع الحساب هذا
أي ما ذكر من قوله سبحانه ولا تحسبن الله غافلا إلى قوله سريع الحساب بلاغ كفاية في العظة
والتذكير من غير حاجة إلى ما انطوى عليه السورة الكريمة أو كل القرآن المجيد من فنون
العظات والقوارع للناس للكفار خاصة على تقدير اختصاص الإنذار بهم في قوله تعالى
وأنذر الناس أو لهم وللمؤمنين كافة على تقدير شموله لهم أيضا وإن كان ما شرح مختصا بالظا لبين
وليُنذروا به عطف على مقدر واللام متعلقة بالبلاغ أي كفاية لهم في أن ينصحوا وينذروا
به أو هذا بلاغ لهم ليفهموه ولينذروا به على أن البلاغ بمعنى الإبلاغ كما في قوله تعالى ما على
الرسول إلا البلاغ أو متعلقة بمحذوف أي ولينذروا به أنزل أو تلي وقرئ لينذروا من نذر
بالشيء إذا علمه وحذره واستعد له وليعلموا بالتأمل فيما فيه من الدلائل الواضحة التي هي إهلاك
الأمم وإسكانهم مساكنهم وغير هذا مما سبق ومما لحق أنما هو إله واحد لا شريك له
وتقديم الإنذار لأنه الداعي إلى التأمل المؤدي إلى ما هو غاية له من العلم المذكور والتذكر في قوله
تعالى وليذكر أولو الألباب أي ليتذكروا ما كانوا يعلمونه من قبل من التوحيد وغيره من شؤون
الله عز وجل ومعاملته مع عباده فيرتدعوا عما يرديهم من الصفات التي يتصف بها الكفار ويتدرعوا
بما يحظيهم من العقائد الحقة والأعمال الصالحة وفي تخصيص التذكر بأولي الألباب تلويح باختصاص
العلم بالكفار ودلالة على أن المشار إليه بهذا ما ذكرنا من القوارع المسوقة لشأنهم لا كل
السورة المشتملة عليها وعلى ما سبق للمؤمنين أيضا فإن فيما يخصهم فائدة جديدة وحيث كان ما
يفيده البلاغ من التوحيد وما يترتب عليه من الأحكام بالنسبة إلى الكفرة أمرا حادثا وبالنسبة
إلى أولي الألباب الثابت على ذلك حسبما أشير إليه عبر عن الأول بالعلم وعن الثاني بالتذكر وروعي
ترتيب الوجود مع ما فيه من الختم بالحسنى والله سبحانه أعلم ختم الله بالسعادة والحسنى
ورزقنا الفوز بهما في الأولى والعقبى آمين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة إبراهيم أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من عبد الأصنام ومن لم يعبد والحمد لله وحده

بسم الله الرحمن الرحيم الر الكلام فيه
وفي محله في مطلع سورة الرعد واخواتها تلك اشارة اليه اي تلك السورة العظيمة الشان ايات
الكتاب الكامل المعهود الغني عن الوصف به المشهور بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص
اسم الكتاب به على الاطلاق اي بعض منه مترجم مستقل باسم خاص فهو عبارة عن جميع القران او عن
الجميع المنزل اذ ذاك اذ هو المتسارع الى الفهم عند الاطلاق وعليه يترتب فائدة وصف الايات
بنعت ما اضيفت اليه من نعوت الكمال لا على جعله عبارة عن السورة اذ هي في الاتصاف بذلك
ليست بتلك المثابة من الشهرة حتى يستغني عن التصريح بالوصف على انها عبارة عن جميع اياتها فلا بد
من جعل تلك اشارة الى كل واحدة منها وفيه من التكلف ما لا يخفى كما ذكر في سورة الرعد
وقران اي وقران عظيم الشان مبين مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والاحكام او لسبيل الرشد
والغي او فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام ولقد فخم شانه العظيم بما جمع فيه من صفتي
الكتابية والقرانية على طريقتين احديهما اشتماله على صفات كمال الجنس الكتب الالهية فكانه
كلها والثانية على انه ممتاز عن غيره نسيج وحده بديع في بابه خارج عن دائرة البيان
واخرت الطريقة الثانية لما ان الاشارة الى امتيازه عن سائر الكتب بعد التنبيه على انطوائه
على كمالات غيره من الكتب ادخل في المدح كيلا يتوهم من اول الامر ان امتيازه عن غيره لاستقلاله
باوصاف خاصة به من غير اشتماله على نعوت كمال سائر الكتب الكريمة وهكذا الكلام في
فاتحة سورة النمل خلا انه قدم فيها القران على الكتاب لما ذكر هناك ولما بين كون السورة
الكريمة بعضا من الكتاب والقران لتوجيه المخاطبين الى حسن تلقي ما فيها من الاحكام والقصص
والمواعظ شرع في بيان ما تضمنته فقيل ربما بضم الراء وتخفيف الباء المفتوحة وقرئ بالتشديد
وبفتح الراء مخففا وبزيادة التاء مشددا فيهما اي في لغات فتح الراء وضمها مشددا او مخففا
وبزيادة التاء ايضا مشددة او مخففة ورب حرف جر لا تدخل الا على الاسم وما كافة مصححة لدخوله
على الفعل وحقه ان يدخل على الماضي ودخوله على قوله تعالى يود الذين كفروا لما ان المترقب
في اخباره تعالى كالماضي المقطوع في تحقق الوقوع فكانه قيل ربما ود الذين كفروا والمراد كفرهم
بالكتاب والقران وبكونه من عند الله تعالى لو كانوا مسلمين منقادين لحكمه مذعنين لامره
وفيه ايذان بان كفرهم انما كان بالجحود بعد ما علموا كونه من عند الله تعالى وتلك الودادة يوم
القيمة او عند موتهم او عندما يرون حالهم وحال المسلمين او عند رؤيتهم خروج عصاة المسلمين
من النار وعن ابي موسى الاشعري انه قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة واجتمع
اهل النار في النار ومعهم من شاء الله تعالى من اهل القبلة قال لهم الكفار الستم مسلمين قالوا بلى
قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا الى النار قالوا كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيغضب الله
سبحانه لهم بفضل رحمته فيامر بكل من كان من اهل القبلة في النار فيخرجون منها فحينئذ يود الذين
كفروا لو كانوا مسلمين وروى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لا يزال الرب يرحم ويشفع
اليه حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فعند ذلك يتمنون الاسلام والحق ان ذلك
محمول على شدة ودادتهم واما نفس الودادة فليست مختصة بوقت دون وقت بل هي
مستمرة في كل آن يمر عليهم وان المراد بيان ذلك على ما هو عليه من الكثرة وانما جيء بصيغة التقليل

جريا على سنن العرب فيما يقصدون به الافراط فيما يعكسون عنه يقول لبعض قواد العساكر
كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي او لا يعدم عندي فارس وعنده مقانب
جمة من الكتائب وقصده في ذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه يريد اظهار براءته من التزيد
وانه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا عن تكثير القليل وهذه الطريقة انما تسلك
اذا كان الامر من الوضوح بحيث لا يحوم حوله شائبة ريب فيصار الى هضما للحق تدلا لخطر الكريم
على ودادة الكافرين للاسلام في كل آن من آنات اليوم الاخر وان ذلك من الظهور بحيث
لا يشتبه على احد ولو جيء بكلام يدل على ضده وعلى ان تلك الودادة مع كثرتها في نفسها مما
يستقل بالنسبة الى جناب الكبرياء وهذا هو الاوفق لمقام بيان حقارة شان الكفار
وعدم الاعتداد بما هم فيه من الكفر والتكذيب كما ينطق به قوله تعالى ذرهم ياكلوا الاية
او ذهابا الى الاشعار بان من شان العاقل اذا عن له امر يكون مظنون الحمد او قليلا ما
يكون كذلك ان لا يفارقه ولا يفارق ضده فكيف اذا كان مستيقن الحمد كما في حقهم
لعلك ستندم على ما فعلت وربما ندم الانسان على ما فعل فان المقصود ليس بيان كون
الندم مستيقن الوجود بلا متيقن به او قليل الوقوع بل التنبيه على ان العاقل لا يباشر ما يرجى فيه
الندم او يقل وقوعه فيه فكيف بما يقطع بوقوعه وانه يكفي قليل الندم في كونه حاجزا عن ذلك الفعل
فكيف كثيره والمقصود من سلوك هذه الطريقة اظهار الترفع والاستغناء عن التصريح بالغرض
بادعاء ظهوره فالمعنى لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة لوجب عليهم ان لا يفارقوه
فكيف وهم يودونه كل آن وهذا اوفق بمقام استمرارهم على ما هم عليه من الكفر وهذان طريقان
متباينان ذاتا ومقاما فخذ منهما واحدا فقد نأى عن توفية المقام حقه ذرهم دعهم عن
النهي عما هم عليه بالتذكرة والنصيحة اذ لا سبيل الى ارعوائهم عن ذلك وبالغ في تخليتهم وشانهم
بل مرهم بتعاطي ما يتعاطونه ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم وفي تقديم الاكل ايذان بان تمتعهم
انما هو من قبيل تمتع البهائم بالماكل والمشارب والمراد دوامهم على ذلك لا احداثه فانهم كانوا
كذلك او تمتعهم بلا استمتاع بما ينغص عيشهم من القوارع والزواجر فان التمتع على تلك
الوجوه امر حادث يصلح ان يكون مترتبا على تخليتهم وشانهم ويلههم ويشغلهم عن اتباعك او عن
التفكر فيما هم يصيرون اليه او عن الايمان والطاعة فان الاكل والتمتع يفضيان الى ذلك
والتوقع لطول الاعمار وبلوغ الاوطار واستقامة الاحوال وان لا يلقوا في العاقبة والمال
الا خيرا فالافعال الثلاثة مجزومة على الجوابية للامر حسبما عرفت من تضمن الامر بالترك للامر بها
على طريقة الخذلان او على ان يكون المراد بالافعال المذكورة مباشرتهم لها غافلين عن وخامة
عاقبتها غير سالمين لسوء مغبتها اصلا ولا ريب في ترتب ذلك على الامر بالترك فان النهي عما
هم عليه من ارتكاب القبائح مما ينغص عليهم تمتعهم وينقص عليهم عيشهم فامر عليه السلام بتركه
ليرتعوا فيما هم فيه من حظوظهم فيذهلهم ما يلهيهم وهم عنه غافلون فسوف يعلمون سوء
صنيعهم او وخامة عاقبته او حقيقة الحال التي الجأتهم الى التمني المذكور حين لم يعلموا ذلك من جهتك
وموعظتك وعيد اثر وعيد وتهديد عقيب تهديد تعليل للامر بالترك فان علمهم ذلك
علة لترك النهي والنصيحة لهم وفيه الزام للحجة ومبالغة في الانذار اذ لا يتحقق الامر بالضد الا بعد

تكرير الاستثارة نحو الحق والانكار كذلك ما رتب عليه من الاكل والتمتع والالهاء وما اهلكنا
شروع في بيان سر تاخير عذابهم الى يوم القيمة وعدم نظمهم في سلك الامم الدارجة في تعجيل العذاب
اي ما اهلكنا قرية من القرى بالخسف بها وباهلها كما فعل ببعضها او باخلائها عن اهلها غب
اهلاكهم كما فعل باخرين الا ولها في ذلك الشان كتاب اي اجل مقدر مكتوب في اللوح واجب المراعاة
بحيث لا يمكن تبديله لوقوعه حسب الحكمة المقتضية له معلوم لا ينسى ولا يغفل عنه حتى يتصور التخلف عنه
بالتقدم والتاخر فكتاب مبتدا خبره الظرف والجملة حال من قرية فانها لعمومها لا سيما بعد تاكده
بكلمة من في حكم الموصوفة كما اشير اليه والمعنى ما اهلكنا قرية من القرى في حال من الاحوال الا حال
ان يكون لها كتاب اي اجل موقت لمهلكها قد كتبناه لا نهلكها قبل بلوغه معلوم لا يغفل عنه حتى
يمكن مخالفته بالتقدم والتاخر او مرتفع بالظرف والجملة كما هي حال اي ما اهلكنا قرية من القرى
حالا من الاحوال الا وقد كان لها في حق هلاكها كتاب اي اجل مقدر مكتوب في اللوح
معلوم لا يغفل عنه او صفة لكن لا للقرية المذكورة بل للمقدرة التي هي بدل من المذكورة على المختار
فيكون بمنزلة كونه صفة للمذكورة اي ما اهلكنا قرية من القرى الا قرية لها كتاب معلوم كما في قوله
تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن فان قوله تعالى لا يسمن صفة لكن لا للطعام المذكور لامتناع ان
يتصف به طعامهم الذي هو الضريع وليس المراد ذلك بل الطعام المقدر بعد الا
اي ليس لهم طعام من شيء من الاشياء الا طعام لا يسمن فليس فيه فصل بين الموصوف والصفة
بكلمة الا كما توهم واما توسيط الواو بينهما وان كان القياس عدمه فللايذان بكمال الالتصاق
بينهما من حيث ان الواو شانها الجمع والربط فاذا تخللت بينهما صيرته اقوى لصوقا بالموصوف ومثله ما
في قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون فان امتناع انفكاك الاهلاك عن الاجل
المقدر عقلا وعن الانذار عادة جار على السنة الالهية ولما بين ان الامم المهلكة كان
لكل منهم وقت معين لهلاكهم وان هلاكهم لم يكن الا حسبما كان مكتوبا في اللوح بين ان كلا
من الامم منهم ومن غيرهم لها كتاب لا يمكن التقدم عليه ولا التاخر عنه فقيل ما تسبق من امة
من الامم المهلكة وغيرهم اجلها المكتوب في كتابها اي لا يجيء هلاكها قبل مجيء كتابها او لا تمضي
امة قبل مجيء اجلها فان السبق اذا كان واقعا على زماني فمعناه التجاوز والتخليف فاذا
قلت سبق زيد عمرا فمعناه انه جاوزه وخلفه وراءه واذا كان واقعا على زماني كان الامر بالعكس
والسر في ذلك ان الزماني يعتبر فيه الحركة والتوجه الى المتكلم فما سبقه يتحقق قبل تحققه واما الزماني
فانما يعتبر فيه الحركة والتوجه الى ما سياتي من الزمان فالسابق ما تقدم الى المقصد وايراده
بعنوان الاجل باعتبار ما يتضمنه من السبق كما ان ايراده بعنوان الكتاب المعلوم باعتبار ما
يوجبه من الاهلاك وما يستاخرون اي وما يتاخرون وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم
عن ذلك مع طلبهم له وايثار صيغة المضارع في الفعلين بعد ما ذكر نفي الاهلاك بصيغة الماضي
لان المقصود بيان دوامهما واستمرارهما فيما بين الامم الماضية والباقية واسنادهما الى الامة
بعد اسناد الاهلاك الى القرية لما ان السبق والاستيخار حال الامة دون القرية مع ما في
الامة من العموم لاهل تلك القرى وغيرهم ممن اخرت عقوبتهم الى الاخرة وتاخير ذكر عدم
تاخرهم عن ذكر عدم سبقهم مع كون المقام مقام المبالغة في بيان تحقق عذابهم اما باعتبار

تقدم السبق في الوجود اما باعتبار ان المراد بيان سر تاخير عذابهم مع استحقاقهم لذلك وايراد الفعل
على صيغة جمع المذكر للحمل على المعنى مع التغليب ولرعاية الفواصل ولذلك حذف الجار والمجرور والجملة
مبينة لما سبق والمعنى ان تاخير عذابهم الى يوم القيمة حسبما اشير اليه ليس لرجاء اسلامهم اذ
ذلك بالاخرة بل تركهم وشانهم الى ان يتعلق حقيقة الحال انما هو لما اخر اجلهم المقدر لما يقتضيه
من الحكم البالغة من جملتها ما علم الله تعالى من ايمان بعض من يخرج منهم الى يوم القيمة وقالوا
شروع في بيان كفرهم بمن انزل عليه الكتاب بعد بيان كفرهم بالكتاب وما يؤول اليه حالهم
والقائلون مشركو مكة بغاية تماديهم في العتو والغي يا ايها الذي نزل عليه الذكر
خاطبوا به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تسليما لذلك واعتقادا بل استهزاء به عليه السلام
واشعارا بعلة حكمهم الباطل في قولهم انك لمجنون كقول فرعون اذ قال ان رسولكم
الذي ارسل اليكم لمجنون يعنون يا من يدعي مثل هذا الامر البديع الخارق للعادات
انك بسبب تلك الدعوى والشهادة ما يعتريك حسبما تدعي من نزول عليك لمجنون و
تقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل لان انكارهم متوجه الى كون النازل ذكرا
من الله لا الى كون المنزل عليه رسول الله بعد تسليم كون النازل منه تعالى كما في قوله تعالى لولا نزل
هذا القران على رجل من القريتين عظيم فان الانكار هناك متوجه الى كون المنزل عليه
رسول الله تعالى وايراد الفعل على صيغة المجهول لايهام ان ذلك ليس بفعل له فاعل
او لتوجيه الانكار الى كون التنزيل عليه لا الى اسناده الى الفاعل لو ما تاتينا كلمة لو
ركبت مع ما لتغيير معناه كتركيبها مع لا من امتناع الشيء لوجود غيره الى معنى التحضيض
ان عند ارادة لا يليها الا الفعل ظاهرا او مضمرا وعند ارادة المعنى الاول لا يليها الا اسم ظاهر ا
و مقدر عند البصريين والمراد ههنا هو الثاني اي هلا تاتينا بالملائكة ليشهدوا لك بصحة
نبوتك ويعضدوك في الانذار كقوله تعالى لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او يعاقبونا
على التكذيب كما اتى الامم المكذبة لرسلهم ان كنت من الصادقين في دعواك فان قدرة الله
على ذلك مما لا ريب فيه وكذا احتياجك اليه في تمشية امرك فانا لا نصدقك بدون ذلك
او ان كنت من جملة تلك الرسل الصادقين الذين عذبت اممهم المكذبة لهم ما ننزل الملائكة
بالنون على بناء الفعل للمتكلم من التنزيل وقرئ من الانزال وقرئ تنزل مضارعا من
التنزيل على صيغة البناء للمفعول ومن التنزل بحذف احدى التائين وتنزل ماضيا ومن التنزيل
ومن التنزل وهو كلام مسوق الى النبي عليه السلام جوابا لهم عن مقالتهم المحكية ورد لاقتراحهم الباطل
ولشدة استدعاء ذلك للجواب قدم رده على ما هو جواب عن اولها اعني قوله انا نحن نزلنا
الذكر الاية كما فعل في قوله تعالى قال انما ياتيكم به الله فانه مع كونه جوابا عن قولهم فاتنا بما
تعدنا قدم على قوله ولا ينفعكم نصحي الاية مع كونه جوابا عن اول كلامهم الذي هو قولهم يا نوح
قد جادلتنا لما ذكر من شدة اقتضائه للجواب وليكون احد الجوابين متصلا بالسؤال وفي
العكس يلزم انفصال كل من الجوابين عن سؤاله والعدول عن تطبيقه لظاهر كلامهم
بصدد الاقتراح من هوانه بحال ما ياتيهم به للايذان بانهم قد اخطاوا في التعبير كما
اخطاوا في الاقتراح وان الملائكة لعلو رتبتهم اعلى من ان ينسب اليهم مطلق الاتيان

التأييد للانتقال المناصب الامكنة المتساوية الى الاعراض بل من الاسفل الى الاعلى وان يكون
متصفا كما نهم اولئك الكفرة وان يدخلوا تحت ملكوت احد من البشر وانما الذي يليق بهم
النزول من مقامهم العالي وكون ذلك بطريق التنزيل من الرب الجليل الا بالحق اي ملتبسا
بالوجه الذي يحق ملابسة التنزيل به مما تقتضيه الحكمة وتجري به السنة الالهية كقوله سبحانه
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق والذي اقترحوه من التنزيل لاجل الشهادة
لديهم وهم هم ومنزلتهم في الحقارة والهوان منزلتهم مما لا يكاد يدخل تحت الصحة والحكمة
اصلا فان ذلك من باب التنزيل بالوحي الذي لا يكاد يفتح على غير الانبياء الكرام من افراد
كمل المؤمنين فكيف على امثال اولئك الكفرة اللئام وانما الذي يدخل في حقهم تحت الحكمة
في الجملة هو التنزيل للتعذيب والاستيصال كما فعل باضرابهم من الامم السالفة ولو فعل ذلك
لاستؤصلوا بالمرة وما كانوا اذا منظرين جزاء الشرط مقدر وفيه ايذان بانتاج مقدماتهم
لنقيض مطلوبهم كما في قوله تعالى واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا قال صاحب النظم لفظ اذن
مركبة من اذ وهو اسم بمعنى الحين تقول اتيتك اذ جئتني اي حين جئتني ثم ضم اليه ان فصار
اذ ان ثم استثقلوا الهمزة فحذفوها فمجيء لفظ ان دليل على اضمار فعل بعدها والتقدير ما كانوا
اذ كان ما طلبوه منظرين والمعنى لو نزلناهم ما كانوا مؤخرين كدأب سائر الامم المكذبة
المستهزئة ومع استحقاقهم لذلك قد جرى قلم القضاء بتأخير عذابهم الى يوم القيمة حسبما اجمل
في قوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل الآية وحال ما بين الحكمة بينهم وبين استئصالهم
لتعلق العلم والارادة بازديادهم عذابا وبايمان بعض ذراريهم واما نظم ايمان بعضهم في سمط
الحكمة فيأباه مقام بيان تماديهم في الكفر والعناد وتجاجهم في المكابرة والعناد
هذا هو الذي يستدعيه اعجاز التنزيل الجليل واما ما قيل في تعليل عدم موافقة التنزيل للحكمة من
انهم حينئذ يكونوا مصدقين عن اضطرار وان الملائكة يأتيكم بصور تشاهدونها فانه لا يزيدكم
الا لبسا وان انزال الملائكة لا يكون الا بالحق وحصول الفائدة بانزالهم وقد علم الله تعالى
من حال هؤلاء الكفار انه لو انزل اليهم الملائكة لبقوا مصرين على كفرهم فيصير انزالهم عبثا باطلا
ولا يكون حقا فمع اخلال كل من ذلك بفخامة التنزيل لا يلائم ما في معرض الجواب من ذلك كي يجعل
العذاب الذي يفيده قوله تعالى وما كانوا اذا منظرين هذا على تقدير كون اقتراحهم لاتيان
الملائكة لاجل الشهادة واما على تقدير كون ذلك لتعذيبهم فالمعنى انما تنزل الملائكة للتعذيب
الا تنزيلا ملتبسا بالحق الذي تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة البتة لا بمجرد عنادكم ولو
نزلناهم حسبما اقترحوا كان ذلك التنزيل ملتبسا بمقتضى الحكمة الموجبة لتأخير عذابهم الى
يوم القيمة لان فيهم بل تشديدا عليهم كان من قبيل وجيه كان في نسبة تنزيلهم للتعذيب الى
عدم موافقة الحكمة نوع ايهام لعدم استحقاقهم التعذيب عدم ما يقتضيه الظاهر الى ما عليه
النظم الكريم فكأنه قيل لو نزلناهم ما كانوا منظرين وذلك غير موافق للحكمة الموجبة لتأخير
عذابهم لتشنيعهم وقيل المراد بالحق الوحي وقيل العذاب قوله انا نحن نزلنا الذكر
رد لانكارهم التنزيل واستهزائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وتسلية له اي نحن بعظم
شأننا وعلو جنابنا نزلنا ذلك الذكر الذي انكروه وانكروا نزوله عليك ونسبوك بذلك الى الجنون

وعموا منزله حيث بنوا الفعل للمفعول ايماء الى انه امر لا مصدر له وفعل لا فاعل له وانا له لحافظون
من كل ما لا يليق به فيدخل فيه تكذيبهم له واستهزاؤهم به دخولا اوليا فيكون وعيدا للمستهزئين
به واما الحفظ عن مجرد التحريف والزيادة والنقص وامثالها فليس بمقتضى المقام فالوجه
الحمل على الحفظ من جميع ما يقدح فيه من الطعن فيه والمجادلة في حقيته ويجوز ان يراد حفظه
بالاعجاز دليلا على التنزيل من عنده تعالى اذ لو كان من عند غير الله لتطرق عليه الزيادة والنقص
والاختلاف وفي سبك الجملتين من الدلالة على كمال الكبرياء والجلالة وعلى فخامة شأن التنزيل
ما لا يخفى وفي ايراد الثانية بالجملة الاسمية دلالة على دوام الحفظ والله سبحانه اعلم وقيل الضمير
المجرور لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى والله يعصمك من الناس وتأخير هذا الكلام وان
كان جوابا عن اول كلامهم الباطل لما مر من ذكر انفاء ولارتباطه بما يعقبه من قوله تعالى
ولقد ارسلنا اي رسلا وانما لم يذكر لدلالة ما بعده عليه من قبلك متعلق بارسلنا او بمحذوف
هو نعت للمفعول المحذوف اي رسلا كائنة من قبلك في شيع الاولين اي فرقهم واحزابهم
جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريقة ومذهب من شاعه اذا تبعه واضافته الى الاولين من
اضافة الموصوف الى صفته عند الفراء ومن حذف الموصوف عند البصريين اي شيع الامم الاولين
ومعنى ارسالهم فيهم جعل كل منهم رسولا فيما بين طائفة منهم ليتابعوه في كل ما يأتي ويذر من
امور الدين وما يأتيهم من رسول المراد نفي اتيان كل رسول لشيعته الخاصة به لا نفي اتيان
كل رسول لكل واحدة من تلك الشيع جميعا او على سبيل البدل وصيغة الاستقبال
لاستحضار الصورة على طريقة حكاية الحال الماضية فان ما لا تدخل في الاغلب على مضارع
الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال اي ما اتى شيعة من تلك الشيع
رسول خاص بها الا كانوا به يستهزئون كما يفعل هؤلاء الكفرة والجملة
في محل النصب على انها حال مقدرة من ضمير المفعول في يأتيهم اذا كان المراد بالاتيان حدوثه
او في محل الرفع على انها صفة رسول فان محله الرفع على الفاعلية اي لا رسول كانوا به يستهزئون
واما الجر على انها صفة باعتبار لفظه فيفضي الى زيادة من الاستغراقية في الاثبات ويجوز
ان يكون منصوبا على الوصفية بان يقدر الموصوف منصوبا على الاستثناء وان كان المختار
الرفع على البدلية وهذا كما ترى تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان هذه عادة الجهال مع
الانبياء عليهم الصلوة والسلام وحيث كان الرسول مصحوبا بكتاب من عند الله تعالى
تضمن ذكر استهزائهم بالرسول استهزاءهم بالكتاب ولذلك قيل كذلك اشارة الى
ما دل عليه الكلام السابق من القاء الوحي مقرونا بالاستهزاء اي مثل ذلك السلك الذي
سلكناه في قلوب اولئك المستهزئين برسلهم فيما جاؤا به من الكتب نسلكه اي
الذكر في قلوب المجرمين اي اهل مكة او جنس المجرمين فيدخلون فيه دخولا اوليا ومحله
النصب على انه نعت لمصدر محذوف او حال منه اي نسلكه سلكا مثل ذلك السلك او السلك
السلك حال كونه مثلا اي مقرونا بالاستهزاء غير مقبول لما تقتضيه الحكمة فانهم من اهل الخذلان
ليس لهم استحقاق لقبول الحق والصيغة للمضارع لكون المشية بمقدماته الوجود وهي
السلك الواقع في الامم السالفة او للدلالة على استحضار الصورة او السلك ادخال الشيء

قاف يقال سلكت الخيط في الابرة والرمح في المطعون لا يؤمنون به اى بالذكر حال من ضمير
نسلكه اى غير مؤمن به او بيان للجملة السابقة فلا محل لها وان جعل الضمير للاستهزاء فيتعين
البيانية الا ان يجعل الضمير المجرور ايضا له على ان الباء للملابسة اى يسلك الاستهزاء في قلوبهم
حال كونهم غير مؤمنين بملابسته والحال اما مقدرة او مقارنة للايذان بان كفرهم مقارن
للالقاء كما في قوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقد خلت سنة الاولين اى مضت
طريقتهم التي سنها الله تعالى في اهلاكهم حين فعلوا ما فعلوا من التكذيب والاستهزاء وهو
استيناف جيء به تكملة للتسلية وتصريحا بالوعيد والتهديد ولو فتحنا عليهم اى على هؤلاء
المقترحين المعاندين بابا من السماء اى بابا ما لا بابا من ابوابها المعهودة كما قيل ويسرنا لهم الرقي
والصعود اليه فظلوا فيه في ذلك الباب يعرجون بآلة او بدونها ويرون ما فيها من العجائب
عيانا كما يفيده الظلول او فظل الملائكة الذين اقترحوا اتيانهم يعرجون في ذلك الباب وهم
يرونهم عيانا مستوضحين طول نهارهم لقالوا لفرط عنادهم وغلوهم في المكابرة وتماديهم
في الجحود انما سكرت ابصارنا اى سدت من الاحساس من السكر كما يدل عليه القراءة بالتخفيف
او حيرت كما يعضده قراءة من قرأ سكرت اى حارت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا
محمد صلى الله عليه وسلم كما قالوه عند ظهور سائر الآيات الباهرة وفي كلمتي الحصر والاضراب
دلالة على انهم يبتون القول بذلك وانما يرونه لا حقيقة له وانما هو امر خيل اليهم بنوع من السحر وفي
اسمية الجملة الثانية دلالة على دوام مضمونها وايرادها بعد تسكير الابصار لبيان انكارهم
لغير ما يرونه فان عروج كل منهم الى السماء وان كان مرئيا لغيره فهو معلوم بطريق الوجدان
مع قطع النظر عن الابصار فهم يدعون ان ذلك نوع آخر من السحر غير تسكير الابصار ولقد
جعلنا في السماء بروجا قصورا ينزلها السيارات وهي البروج الاثنا عشر المشهورة المختلفة
الهيئات والخواص حسبما يدل عليه الرصد والتجربة مع ما اتفق عليه الجمهور من بساطة السماء
والجعل ان جعل بمعنى الخلق والابداع وهو الظاهر فالجار متعلق به وان جعل بمعنى التصيير
فهو مفعوله الثاني او متعلق بمحذوف اى جعلنا بروجا كائنة في السماء وزيناها اى السماء بتلك
البروج المختلفة الاشكال والكواكب سيارات كانت او ثوابت للناظرين اليها بمعنى
التزيين ظاهرا او للمتفكرين المعتبرين المستدلين بذلك على قدرة مقدرها وحكمة مدبرها فتزيينها
ترتيبها على نظام بديع مستتبع للآثار الحسنة وحفظناها من كل شيطان رجيم مرمي
بالنجوم فلا يقدرون ان يصعد اليها ويوسوس في اهلها ويتصرف فيها ويقف على احوالها الا من استرق
السمع محله النصب على الاستثناء المتصل ان فسر الحفظ بمنع الشياطين عن التعرض لها على الاطلاق
والوقوف على ما فيها في الجملة او المنقطع ان فسر ذلك بالمنع عن دخولها والتصرف فيها عن ابن
عباس رض انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلث سموات ولما
ولد النبي صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به
خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة في الجوهر او بالاستدلال من الاوضاع فاتبعه
اى تبعه ولحقه شهاب لهب محرق وهي شعلة نار ساطعة وقد يطلق على الكوكب والسنان لما
فيهما من البريق مبين ظاهر امره للمبصرين قال معمر قلت لابن شهاب الزهري اكان يرمى

بالنجم

بالنجوم في الجاهلية قال نعم وان النجم ينقض ويرمي الشيطان فيقتله او يخبله لئلا يعود الى استراق
السمع ثم يعود الى مكانه قال افرأيت قوله تعالى وانا كنا نقعد منها مقاعد الآية قال غلظت وشدد
امرها حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم
ولكن لم يكن في شدة الحراسة كما بعد مبعثه عليه السلام قال ابن عباس رض ان الشياطين يركب بعضهم
بعضا الى السماء الدنيا يسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا يخطئ ابدا فمنهم من يقتله
ومنهم من يحرق وجهه وجنبه ويده حيث يشاء الله ومنهم من يخبله فيصير غولا فيضل الناس في البوادي
قال القرطبي اختلفوا في ان الشهاب هل يقتل ام لا قال ابن عباس يجرح ويحرق ويخبل
ولا يقتل وقال الحسن وطائفة يقتل قال والاول اصح والارض مددناها
بسطناها وهو بالنصب على الحذف على شريطة التفسير لم يقرأ بالرفع لرجحان النصب للعطف على الجملة الفعلية اعني
قوله تعالى ولقد جعلنا الخ وليوافق ما بعده اعني قوله تعالى والقينا فيها رواسي اى جبالا ثوابت
وقد بين في اول الرعد وانبتنا فيها اى في الارض او فيها وفي رواسيها من كل شيء موزون
بميزان الحكمة ذاتا وصفة ومقدارا وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة وغيرهما او من كل شيء
مستحسن متناسب او ما يوزن ويقدر من ابواب النعمة وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون بها من
المطاعم والملابس وغيرهما مما يتعلق به البقاء وهي بياء صريحة وقرئ بالهمزة تشبيها له بالشمائل
ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم كانه قيل جعلنا لكم معايش وجعلنا
لكم من لستم برازقيه من العيال والمماليك والخدم والدواب وما اشبهها على طريقة التغليب
وذكرهم بهذا العنوان لرد حسبانهم انهم يكفون مؤناتهم ولتحقيق ان الله تعالى هو الذي
يرزقهم واياهم او وجعلنا لكم فيها معايش ولمن لستم له برازقين وان من شيء
ان للنفي ومن مزيدة للتاكيد وشيء في محل الرفع على الابتداء اى ما من شيء من الاشياء الممكنة
فيندرج فيه ما ذكر دخولا اوليا الا عندنا خزائنه الظرف خبر للمبتدا وخزائنه مرتفع به على
انه فاعله لاعتماده او خبر له والجملة خبر للمبتدا الاول والخزائن جمع الخزانة وهي ما يحفظ فيه
نفائس الاموال لا غير غلب في العرف على ما للملوك والسلاطين من خزائن ارزاق الناس
شبهت مقدوراته تعالى الغائبة للحصر المندرجة تحت قدرته الشاملة في كونها مستورة عن علوم
العالمين ومصونة عن وصول ايديهم مع كمال افتقارهم اليها ورغبتهم فيها وكونها متهيئة
متأتية لايجاده وتكوينه بحيث متى تعلقت الارادة بوجودها وجدت بلا تأخر بنفائس الاموال
المخزونة في الخزائن السلطانية فذكر الخزائن على طريقة الاستعارة التخييلية وما ننزله اى ما نوجد
وما نكون شيئا من تلك الاشياء ملتبسا بشيء من الاشياء الا بقدر معلوم اى الا ملتبسا بمقدار
معين يقتضيه الحكمة وتستدعيه المشيئة التابعة لها لا بما يقتضيه القدرة فان ذلك
غير متناه فان تخصيص كل شيء بصفة معينة ومقدار معين ووقت محدود دون ما عدا ذلك
مع استواء الكل في الامكان واستحقاق تعلق القدرة به لا بد له من حكمة تقتضي اختصاص
كل من ذلك بما اختص به وهذا لبيان عدم تكوين الاشياء على وجه الكثرة حسبما هو
في خزائن القدرة وهو معطوف على مقدر اى ننزله وما ننزله الخ او حال مما سبق اى عندنا
خزائن كل شيء والحال انا ما ننزله الا بقدر معلوم فالاول لبيان سعة القدرة والثاني لبيان

بالغ الحكمة وحيث كان انشاء ذلك بطريق المفصل من العالم العلوي الى العالم السفلي كما في قوله تعالى
وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وكان ذلك بطريق التدريج عبر عنه بالتنزيل وصيغة
المضارع للدلالة على الاستمرار وارسلنا الرياح عطف على جعلنا لكم فيها معايش وما بينهما
اعتراض لتحقيق ما سبق وترشيح ما لحق اى ارسلناها لواقح اى حوامل شبهت الريح التي
تجيء بالخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبهت بالعقيم ما لا يكون كذلك او ملقحات للشجر
والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قوله ومختبط مما تطيح الطوائح اى المهلكات وقرئ
وارسلنا الريح على ارادة الجنس فانزلنا من السماء ماء بعدما انشأنا بتلك الرياح سحابا ماطرا ماء
فاسقيناكموه اى جعلناه لكم سقيا وهو ابلغ من سقيناكموه لما فيه من الدلالة على جعل
الماء معدا لهم ينتفعون به متى شاءوا وما انتم له بخازنين نفى عنهم ما اثبته لجنابه بقوله وان من شيء
الا عندنا خزائنه كأنه قيل نحن القادرون على ايجاده وخزنه في السحاب وانزاله وما انتم على
ذلك بقادرين وقيل ما انتم بخازنين له بعدما انزلناه في الغدران والآبار والعيون
بل نحن نخزنه فيها لنجعلها سقيا لكم مع ان طبيعة الماء تقتضي الغور وانا لنحن نحيي بايجاد الحيوة
في بعض الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها عنها وقد يعم الاحياء والاماتة لما يشمل الحيوان
والنبات وتقديم الضمير للحصر وهو اما تأكيد للاول او مبتدأ خبره الفعل والجملة خبر لانا
ولا يجوز كونه ضمير الفصل لا لان اللام لا تدخل عليه كما قيل فان النحاة جوزوا دخول
لام التأكيد على ضمير الفصل كما في قوله تعالى ان هذا لهو القصص الحق بل لانه لم يقع بين
اسمين ونحن الوارثون اى الباقون بعد فناء الخلق قاطبة المالكون للملك عند انقضاء
زمان الملك المجازي الحاكمون في الكل اولا وآخرا وليس لهم الا التصرف الصوري والملك
المجازي وفيه تنبيه على ان المتأخر ليس بوارث للمتقدم كما يتراءى من ظاهر الحال ولقد
علمنا المستقدمين منكم من تقدم منكم ولادة وموتا ولقد علمنا المستأخرين من
تأخر ولادة وموتا او من خرج من اصلاب الآباء ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام
والجهاد وسبق الى الطاعة ومن تأخر في ذلك لا يخفى علينا شيء من احوالكم وهو بيان
لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل عليها دليل عليه وفي تكرير قوله تعالى ولقد
علمنا ما لا يخفى من الدلالة على كمال التأكيد وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف
الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتقدم بعض الناس لئلا يراها وتأخر آخرون ليروها فنزلت والاول هو المناسب لما
سبق وما لحق من قوله تعالى وان ربك هو يحشرهم للجزاء وتوسيط ضمير العظمة للدلالة
على انه هو القادر على حشرهم والمتولي لامره لانهم كانوا يستبعدون ذلك ويستنكرونه
ويقولون من يحيي العظام وهي رميم اى هو يحشرهم لا غير وفي الالتفات مع التعرض
لعنوان الربوبية اشعار بعلة الحكم وفي الاضافة الى ضميره عليه السلام دلالة على اللطف به
انه حكيم بالغ الحكمة متقن في افعاله فانها عبارة عن العلم بحقائق الاشياء على ما هي عليه
والاتيان بالافعال على ما ينبغي عليم وسع علمه كل شيء ولعل تقديم صفة الحكمة للايذان
باقتضائها للحشر والجزاء ولقد خلقنا الانسان اى هذا النوع بان خلقنا اصله واول فرد من

اراده

افراده خلقا بديعا منطويا على خلق سائر افراده انطواء اجماليا كما مر تحقيقه في سورة الانعام من
صلصال من طين يابس غير مطبوخ يصلصل اى يصوت عند نقره قيل اذا توهمت في صوته مدا
فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن من حمإ من طين
تغير واسود بطول مجاورة الماء وهو صفة لصلصال اى من صلصال كائن من حمإ مسنون اى
مصور من سنة الوجه وهي صورته او مصبوب من سن الماء صبه اى مفرغ على هيئة الانسان كما
يفرغ الصور من الجواهر المذابة في القوالب وقيل منتن فهو صفة لحمإ وعلى الاولين حقه ان
يكون صفة لصلصال وانما اخر عنه تنبيها على ان ابتداء مسنونيته ليس في حال كونه صلصالا بل
في حال كونه حمأ كأنه سبحانه افرغ الحمأ فصور من ذلك تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صوت
ثم غيره الى جوهر فتبارك الله احسن الخالقين والجان ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به
الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من فرد واحد مخلوق من مادة
واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وقرئ بالهمزة وانتصابه بفعل يفسره خلقناه وهو اقوى من
الرفع للعطف على الجملة الفعلية من قبل من قبل خلق الانسان ومن هنا يظهر جواز كون المراد
بالمستقدمين احد الثقلين وبالمستأخرين الآخر والخطاب بقوله منكم للكل من نار السموم
من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا امتناع في خلق الحيوة في الاجرام البسيطة كما لا امتناع في
خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي الغالب
فيها الجزء الارضي وقوله تعالى من نار باعتبار الغالب كقوله تعالى خلقكم من تراب ومساق الآية
الكريمة كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة التي
يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء واذ قال ربك نصب باضمار
اذكر وتذكير الوقت لما مر مرارا من انه ادخل في تذكير ما وقع فيه من الحوادث وفي التعرض
لوصف الربوبية المنبئة عن تبليغ الشيء الى كماله اللائق به شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
اشعار بعلة الحكم وتشريف له صلى الله عليه وسلم اى اذكر وقت قوله تعالى للملائكة اني خالق
بشرا اتى به فيما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه تعالى فاعله البتة من غير صارف
يثنيه ولا عاطف يلويه بشرا اى انسانا قيل ليس هذا عين العبارة الجارية وقت الخطاب بل
الظاهر ان يكون قد قيل لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكن اقتصر عند الحكاية
على الاسم وقيل جسما كثيفا يلاقى ويباشر وقيل خلقا بادي البشرة بلا صوف ولا شعر من
صلصال متعلق بخالق او بمحذوف وقع صفة لمفعوله اى بشرا كائنا من صلصال كائن من
حمإ مسنون تقدم تفسيره ولا ينافي هذا ما في قوله تعالى في سورة ص من قوله بشرا من طين
فان عدم التعرض عند الحكاية لوصف الطين من التغير والاسوداد وما ورد عليه من آثار
التكوين لا يستلزم عدم التعرض لذلك عند وقوع المحكي غايته انه لم يتعرض له هناك اكتفاء
بما شرح ههنا فاذا سويته اى صورته بالصورة الانسانية والخلقة البشرية او سويت اجزاء بدنه
بتعديل طبائعه ونفخت فيه من روحي النفخ اجراء الريح الى تجويف جسم صالح لامساكها والامتلاء
بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحيوة بالفعل على المادة القابلة
لها اى فاذا كملت استعداده وافضت عليه بالتجلي من الروح التي هي من امري فقعوا له امر

سادة فيه يقع وفيه دليل على ان ليس المامور به مجرد الانحنا كما قيل اى اسقطوا له ساجدين تحية له
وتعظيما او اسجدوا لله تعالى على انه عليه السلام بمنزلة القبلة حيث ظهر فيه تعاجيب اثار قدرته تعالى
وحكمته كقول حسان رضي الله عنه اليس اول من صلى لقبلتكم
واعلم الناس بالقران والسنن فسجد الملائكة اى فخلقه فسواه فنفخ فيه الروح
فسجد له الملائكة كلهم بحيث لم يشذ منهم احد اجمعون بحيث لم يتاخر في ذلك احد منهم
عن احد ولا اختصاص لافادة هذا المعنى بالحالية بل يفيده التاكيد ايضا فان الاشتقاق
الواضح يرشد الى ان فيه معنى الجمع والمعية بحسب الوضع والاصل في الحمل على المنزل على
اكمل احوال الشي ولا ريب في ان السجود دفعة اكمل اصناف السجود لكن شاع استعماله تاكيدا وانمحى
معنى كلي في افادة معنى الاحاطة من غير نظر الى الكمال فاذا فهمت الاحاطة من لفظ اخر
لم يكن بد من مراعاة الاصل صونا للكلام عن الالغاء وقيل اكد بتاكيدين مبالغة في التعميم
هنا ان اما ان سجودهم هذا هل ترتب على ما حكي من الامر التعليقي كما يقتضيه هذه الاية
الكريمة والتي في سورة ص او على الامر التنجيزي كما يستدعيه ما في غيرهما فقد حررناه بفضل
الله تعالى وجلينا عن حقيقته في تفسير سورة البقرة الا ابليس استثناء متصل اما لانه كان
جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة فعد منهم تغليبا واما لان من الملائكة جنسا يتوالدون
وهو منهم وقوله تعالى ابى ان يكون مع الساجدين استئناف مبين لكيفية عدم السجود
المفهوم من الاستثناء فان مطلق عدم السجود قد يكون مع التردد وبه علم انه مع الاباء
والاستكبار او منقطع فيتصل به ما بعده اى لكن ابليس ابى ان يكون معهم وفيه دلالة
على كمال ركاكة رايه حيث ادمج في معصية واحدة ثلث معاص مخالفة الامر والاستكبار مع
تحقير ادم عليه السلام ومفارقة الجماعة والاباء عن الانتظام في سلك اولئك المقربين الكرام
قال استئناف مبني على سؤال من قال فماذا قال تعالى عند ذلك فقيل قال يا ابليس ما لك اى
اى سبب لك او اى غرض لك كما قيل لقوله تعالى ما منعك الا تكون في ان لا تكون مع
الساجدين لادم مع انهم هم ومنزلتهم في الشرف منزلتهم وما كان التوبيخ عند وقوعه لمجرد
تخلفه عنهم بل لكل من المعاصي الثلث المذكورة قال تعالى في سورة الاعراف قال ما منعك الا
تسجد اذ امرتك وفي سورة ص قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ولكن
اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه اكتفاء بما ذكر في موطن اخر اشعارا بان كل
واحدة من تلك المعاصي الثلث كافية في التوبيخ واظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت
حكاية التوبيخ راسا في سورة البقرة وسورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه قال
اى ابليس وهو ايضا استئناف مبني على السؤال الذي ينساق اليه الكلام لم اكن
لاسجد اللام لتاكيد النفي اى ينافي حالي ولا يستقيم مني لاني مخلوق من اشرف العناصر
واعلاها ان اسجد لبشر اى جسم كثيف خلقته من صلصال من حما مسنون اقتصر
من ماء الاشارة الاجمالية الى ادعاء الخيرية وشرف المادة اكتفاء بما صرح به حيث قال
انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ولم يتفوه اللعين بمثله ذكر كونه عليه السلام
من التراب الذي هو اخس العناصر واسفلها بل اقتصر لكونه مخلوقا منه في احسن احواله

من كونه طينا متغيرا وقد اكتفي في سورة الاعراف وسورة ص بما حكي عنه هاهنا فاقتصر على حكاية
نوع منه حيث قال خلقته من طين وكذا في سورة بني اسرائيل حيث قال ااسجد لمن خلقت طينا وفي
جوابه دليل على ان قوله تعالى ما لك ان لا تكون استفسار عن الغرض بل هو استفسار عن السبب وفي
عدوله عن تطبيق جوابه على السؤال روم للتفصي عن المناقشة وانى له ذلك كانه قال لم امتنع
عن امتثال الامر ولا عن الانتظام في سلك الملائكة بل عما لا يليق بشاني من الخضوع للمفضول
ولقد جرى خذله الله تعالى على سنن قياس عقيم وزل عنه ان ما يدور عليه فلك الفضل والكمال
هو التحلي بالمعارف الربانية والتخلي عن الملكات الردية التي اقبحها الكبر والاستعصاء على
رب العالمين جل جلاله قال فاخرج منها اى من زمرة الملائكة المعززين لا من السماء فان
وسوسته لادم عليه السلام في الجنة انما كانت بعد هذا الطرد وقوله تعالى اهبطوا ليس نصا
في ذلك فان الخروج من بين الملا الاعلى هبوط اى هبوط او من الجنة على ان وسوسته كانت
بطريق النداء من بابها كما روي عن الحسن البصري او بطريق المشافهة بعد ان احتال في دخولها
وتوسل اليها بالحية كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ولا ينافي هذا طرده عن روس الاشهاد لما يقتضيه
من الحكم البالغة فانك رجيم مطرود من كل خير وكرامة فان من يطرد يرجم بالحجارة او شيطان
يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته فان من عارض النص بالقياس فهو رجيم
ملعون وان عليك اللعنة الابعاد عن الرحمة وحيث كان ذلك من جهة الله سبحانه وان
كان جاريا على السنة العباد قيل في سورة ص وان عليك لعنتي الى يوم الدين الى يوم الجزاء
والعقوبة وفيه اشعار بتاخير عقابه وجزائه اليه وان اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء
لفعله وانما يتحقق ذلك يومئذ وفيه من التهويل ما لا يوصف وجعل ذلك اقصى امد اللعنة
ليس لانها تنقطع هنالك بل لانه عند ذلك يعذب بما ينسى به اللعنة من افانين العذاب
فتصير كالزايل وقيل انما حد به لانه ابعد غاية يضربها الناس كقوله تعالى خالدين فيها
ما دامت السموات والارض وحيث امكن كون تاخير العقوبة الى الموت كما برد اخرت
عقوبتهم الى الاخرة من الكفرة طلب اللعين تاخير موته كما حكي عنه بقوله تعالى قال رب فانظرني
اى امهلني واخرني ولا تمتني والفاء متعلق بمحذوف ينسحب عليه الكلام اى اذا جعلتني رجيما
فامهلني الى يوم يبعثون اى ادم وذريته للجزاء بعد فنائهم واراد بذلك ان يجد فسحة
لاغوائهم وياخذ منهم ثاره وينجو من الموت لاستحالته بعد يوم البعث قال فانك من
المنظرين ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما ساله الاخرين على وجه يؤذن
بكون السائل تبعا لهم في ذلك دليل على انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار
خاص به وقع اجابة لدعائه اى انك من جملة الذين اخرت اجالهم ازلا حسبما تقتضيه حكمة التكوين
فالفاء ليست لربط نفس الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور به كما في قوله
فان ترحم فانت لذاك اهل فانه لا امكان لجعل الفاء فيه لربط ما فيه تعالى من الاهلية
القديمة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هي لربط الاخبار بتلك الاهلية للرحمة بوقوعها
وان استنظاره كان طلبا لتاخير الموت اذ به يتحقق كونه من جملتهم لا لتاخير العقوبة كما قيل
ونظمه في ذلك في سلك من اخرت عقوبتهم الى الاخرة في علم الله تعالى ممن سبق من الجن

وكون التعليق لا يلايم مقام الاستنظار مع الحيوة ولان ذلك المآل معلوم من اضافة اليوم
الى الدين مع اضافته في السؤال الى البعث كما عرفته وفي سورة الاعراف قال انظرني الى يوم
يبعثون قال انك من المنظرين بترك التوقيت والذار الناشئ في الاستنظار والانظار
تعويلا على ما ذكرهاهنا وفي سورة ص فان ايراد كلام واحد على اساليب متعددة غير
عزيز في الكتاب العزيز واما ان كل اسلوب من اساليب النظم الكريم لا بد وان يكون له مقام
يقتضيه مغاير لمقام غيره واما ما صدر عن اللعين انما صدر عنه مرة وكذا جوابه لم يقع الا دفعة
فمقام المحاورة ان اقتضى احد الاساليب المذكورة فهو المطابق لمقتضى الحال والبالغ
الى طبقة الاعجاز وما عداه قاصر عن رتبة البلاغة فضلا عن الارتقاء الى معالم الاعجاز
ومبنى تحقيقه سوقه الله تعالى في سورة الاعراف الى يوم الوقت المعلوم وهو وقت
النفخة الاولى التي عندها يصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله تعالى ويجوز
ان يكون المراد بالايام واحد وان الاختلاف في العبارات لاختلاف الاعتبارات فالتعبير
البعث لان غرض اللعين يتحقق وبيوم الدين لما ذكر من الجزاء وبيوم الوقت المعلوم
لما ذكر او لاستيثاره تعالى بعلمه فلعل كلا من هلاك الخلق جميعا وبعثهم وجزائهم في
يوم واحد يموت اللعين في اوله ويبعث في اواسطه ويعاقب في بقيته يروى ان بين موته
وبعثه اربعين سنة من سني الدنيا مقدار ما بين النفختين وقد نقل عن الاحنف ابن قيس رحمه
الله تعالى انه قال قدمت المدينة اريد امير المؤمنين عمر فاذا انا بحلقة عظيمة وكعب الاحبار
فيها يحدث الناس وهو يقول لما حضر ادم عليه السلام الوفاة قال يا رب سيشمت بي عدوي
ابليس اذا راني ميتا وهو منظر الى يوم القيمة فاجيب ان يا ادم انك سترد الجنة ويؤخر
اللعين الى النظرة ليذوق الم الموت بعدد الاولين والاخرين ثم قال لملك الموت صف
كيف تذيقه الموت فلما وصفه قال يا رب حسبي فضج الناس وقالوا يا ابا اسحق كيف ذلك
فابى فالحوا فقال يقول الله سبحانه لملك الموت عقيب النفخة الاولى قد جعلت فيك قوة اهل
السموات السبع واهل الارضين السبع واني البستك اليوم اثواب السخط والغضب كلها
فانزل بغضبي وسطوتي على رجيمي ابليس فاذقه الموت واحمل عليه فيه مرارة الاولين والاخرين
من الثقلين اضعافا مضاعفة وليكن معك من الزبانية سبعون الفا قد امتلأوا غيظا
وغضبا وليكن مع كل منهم سلسلة من سلاسل جهنم وغل من اغلالها وانزع روحه
المنتن بسبعين الف كلاب من كلاليبها وناد مالكا ليفتح ابواب النيران فينزل ملك الموت
بصورة لو نظر اليها اهل السموات والارضين لماتوا بغتة من هولها فينتهي الى ابليس فيقول
قف لي يا خبيث لاذيقنك الموت كم من عمر ادركت وقرون اضللت وهذا هو الوقت المعلوم
قال فيهرب اللعين الى المشرق فاذا هو بملك الموت بين عينيه فيهرب الى المغرب فاذا هو بين
عينيه فيغوص البحار فترمى به البحار فلا تقبله فلا يزال يهرب في الارض ولا محيص له ولا
ملاذ ثم يقوم في وسط الدنيا عند قبر ادم عليه السلام ويتمرغ في التراب من المشرق الى المغرب ومن
المغرب الى المشرق حتى اذا كان في الموضع الذي اهبط فيه ادم عليه السلام وقد نصبت له الزبانية
الكلاليب وصارت الارض كالجمرة احتوشته الزبانية وطعنوه بالكلاليب ويبقى في

النزع والعذاب الى حيث يشاء الله تعالى ويقال لادم وحواء اطلعا اليوم الى عدوكما كيف يذوق
الموت فيطلعان فينظران الى ما هو فيه من شدة العذاب فيقولان ربنا اتممت علينا نعمتك قال رب
بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية والجواب لازينن لهم اي اقسم باغوائك اياي لازينن
لهم المعاصي في الارض اي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى اخلد الى الارض واقسامه
بعزة الله المفسرة بسلطانه وقهره لا ينافي اقسامه بهذا فانه فرع من فروعها واثر من اثارها
فلعله اقسم بهما جميعا فحكى تارة قسمه بهذا واخرى بذاك او للسببية وقوله لازينن جواب
قسم محذوف والمعنى بسبب تسبيبك لاغوائي اقسم لافعلن بهم مثل ما فعلت بي من التسبيب لاغوائهم
بتزيين المعاصي وتسويلها لا بالاباطيل والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي او التسبيب له
بامره اياه بالسجود لادم عليه السلام او اعتذروا عن امهاله تعالى له وتسليطه على اغواء بني ادم
بانه تعالى قد علم منه وممن تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل ام لم يمهل وان في
امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب ولاغوينهم اجمعين لاحملنهم على الغواية الا
عبادك منهم المخلصين الذين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي
وقرئ بكسر اللام اي الذين اخلصوا نفوسهم لك عز وجل قال هذا صراط علي اي حق علي ان اراعيه
مستقيم لا عوج فيه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه او
الاخلاص على معنى انه طريق يؤدي الى الوصول الي من غير اعوجاج وضلال والاظهر ان ذلك
لما وقع في عبارة ابليس حيث قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن
خلفهم الاية وقرئ علي من علو الشرف ان عبادي وهم المشار اليهم بالمخلصين ليس لك عليهم
سلطان بتسلط وتصرف بالاغواء الا من اتبعك من الغاوين وفيه مع كونه تحقيقا لما قاله
اللعين تفخيم لشان المخلصين وبيان لمنزلتهم ولانقطاع مخالب الاغواء عنهم وان اغواءه
للغاوين ليس بطريق السلطان بل بطريق اتباعهم له بسوء اختيارهم وان جهنم لموعدهم
اي موعد المتبعين او الغاوين والاول ابلغ وادخل في الزجر عن اتباعه وفيه دلالة على ان جهنم مكان
الوعد وان الموعود ما لا يوصف في الفظاعة اجمعين تاكيد للضمير او حال والعامل فيها الوعد
ان جعل مصدرا على تقدير المضاف او معنى الاضافة ان جعل اسم مكان لها سبعة ابواب
يدخلونها لكثرتهم او سبع طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في الغواية والمتابعة وهي جهنم
ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية لكل باب منهم من الاتباع او الغواة
جزء مقسوم حزب معين مفرز من غيره حسبما يقتضيه استعداده فاعلاها للموحدين والثانية
لليهود والثالثة للنصارى والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين
والسابعة للمنافقين وعن ابن عباس ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة
لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين ولعل
حصرها في السبع لانحصار المهلكات في المحسوسات بالحواس الخمس ومقتضيات القوة
الشهوية والغضبية وقرئ بضم الزاي وبحذف الهمزة والقاء حركتها الى ما قبلها مع
تشديدها في الوقف والوصل ومنهم حال من جزء او مستقر في الظرف لانه مقسوم لان الصفة
لا تعمل فيما تقدم موصوفها ان المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة

في جنات وعيون أي مستقرون فيها خالدين ولكل واحد منهم جنة وعين أو لكل منهم عدة منها كقوله
تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئ بكسر العين حيث وقع في القرآن العظيم ادخلوها
على إرادة القول أي قيل لهم ادخلوها أمر تعالى لهم بالدخول وقرئ ادخلوها أمرا منه تعالى للملائكة بإدخالهم
وقرأ الحسن ادخلوها مبنيا للمفعول على صيغة الماضي من الإدخال بسلام ملتبسين بسلام أي
سالمين أو مسلما عليكم آمنين من الآفات والزوال ونزعنا ما في صدورهم من غل أي حقد كان
في الدنيا وعن علي رضي الله عنه أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم رضوان الله
تعالى عليهم أجمعين إخوانا حال من الضمير في قوله تعالى في جنات أو من فاعل ادخلوها أو من الضمير
في آمنين أو الضمير المضاف إليه والعامل فيها معنى الإضافة وكذلك قوله تعالى على سرر متقابلين
ويجوز كونهما صفتين لإخوانا أو حالين من ضميره لأنه في معنى متصافين وأن يكون الثاني حالا من
المستكن في الأول وعن مجاهد تدور بهم الأسرة حيثما داروا فهم متقابلون في جميع أحوالهم
لا يمسهم فيها نصب أي تعب بأن لا يكون لهم فيها ما يوجبه من الكد في تحصيل ما لا بد لهم منه لحصول
كل ما يريدونه من غير مزاولة عمل أصلا أو بأن لا يعتريهم ذلك وإن باشروا الحركات العنيفة
لكمال قوتهم وهو استئناف أو حال بعد حال أو حال من الضمير في متقابلين وما هم منها بمخرجين
أبد الآباد لأن تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي وهم الذين عبر عنهم بالمتقين أني أنا الغفور الرحيم
وأن عذابي هو العذاب الأليم فذلكة لما سلف من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة
إشعار بأن ليس المراد بالمتقين من يتقي جميع الذنوب كبيرها وصغيرها وفي وصف ذاته تعالى بها
وبالرحمة دون التعذيب إيذان بأنهما مما يقتضيهما الذات وأن العذاب إنما
يتحقق بما يوجبه من خارج ونبئهم عطف على نبئ عبادي والمقصود اعتبارهم بما جرى على إبراهيم عليه السلام
من البشرى في تضاعيف الخوف وبما حل بقوم لوط من العذاب ونجاته عليه السلام مع أهله التابعين له
في ضمن الخوف وتنبيههم طول انتقامه تعالى من المجرمين وعلمهم بأن عذابه هو العذاب الأليم
عن ضيف إبراهيم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم جبريل عليه السلام وملكان معه وقال محمد بن كعب وسبعة
معه وقيل جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام وقال الضحاك كانوا تسعة وعن السدي كانوا
أحد عشر على صورة الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل أنهم كانوا اثني عشر ملكا عليهم السلام وإنما
لم يتعرض لعنوان رسالتهم لأنهم لم يكونوا مرسلين إلى إبراهيم عليه السلام بل إلى قوم لوط حسبما يأتي ذكره
إذ دخلوا عليه نصب بفعل مضمر معطوف على نبئ أي واذكر وقت دخولهم عليه أو بمقدر هو حال من
الضيف أي كائنين حين دخولهم عليه أو بنفس ضيف على أنه مصدر في الأصل فقالوا
عند ذلك سلاما أي نسلم سلاما أو سلمت سلاما قال إنا منكم وجلون أي خائفون فإن
الوجل اضطراب النفس لتوقع مكروه قاله عليه السلام حين امتنعوا من أكل ما قربه إليهم من العجل الحنيذ
لأن المعتاد عندهم أنه إذا نزل بهم ضيف فلم يأكل من طعامهم ظنوا أنه لم يجئ بخير لا عند ابتداء
دخولهم لقوله تعالى فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة فلا مجال لكون خوفه
عليه السلام بسبب دخولهم بغير إذن ولا بغير وقت إذ لو كان كذلك لأجابوا حينئذ بما يزيله ولم
يقصد عليه السلام تقريب الطعام إليهم وإنما لم يذكر ههنا اكتفاء بما بين في غير هذا الموضع ألا يرى إلى
أنه لم يذكر ههنا رده عليه السلام لسلامهم قالوا لا توجل لا تخف وقرئ لا تأجل ولا توجل من أوجله

أي أخافه

أي أخافه ولا توجل أوجلن وأجل عن وجل إنا نبشرك استئناف لتعليل النهي عن الوجل فإن المبشر به
لا يكاد يحوم حول ساحته خوف ولا حزن كيف لا وهي بشارة ببقائه وبقاء أهله في عافية وسلامة زمانا
طويلا بغلام هو إسحق عليه السلام لقوله تعالى فبشرناها بإسحق ولم يتعرض ههنا لبشارة يعقوب عليه السلام اكتفاء
بما ذكر في سورة هود عليم إذا بلغ أوان العلم وقيل حليم قال أبشرتموني بذلك على أن مسني الكبر وأثر
في تعجب عليه السلام من بشارتهم بالولد في حالة منافية للولادة وزاد في ذلك فقال فبم تبشرون أي بأي
أعجوبة تبشرون أو بأي شيء تبشرون فإن البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء أو بأي طريق
تبشرونني وقرئ بتشديد النون المكسورة على إدغام نون الجمع في نون الوقاية قالوا بشرناك بالحق
أي بما يكون لا محالة أو باليقين الذي لا لبس فيه أو بطريق هي حق وهو أمر الله تعالى وقوله فلا تكن
من القانطين من الآيسين من ذلك فإن الله تعالى قادر على أن يخلق بشرا من غير أبوين فكيف من شيخ
فان وعجوز عاقر وقرئ من القنطين وكان مقصده عليه السلام استعظام نعمة الله تعالى عليه في
ضمن التعجب العادي المبني على سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين عباده لا استبعاد ذلك بالنسبة إلى
قدرته سبحانه كما ينبئ عنه قول الملائكة فلا تكن من القانطين دون أن يقولوا من الممترين أو نحوه قال
ومن يقنط استفهام إنكاري أي لا يقنط من رحمة ربه إلا الضالون المخطئون طريق المعرفة والصواب
فلا يعرفون سعة رحمته وكمال علمه وقدرته كما قال يعقوب عليه السلام إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم
الكافرون ومراده نفي القنوط عن نفسه على أبلغ وجه أي ليس بي قنوط من رحمته تعالى وإنما الذي
أقول لبيان منافاة حالي لفيضان تلك النعمة الجليلة علي وفي التعرض لوصف الربوبية والرحمة ما لا
يخفى من الجزالة وقرئ بضم النون وكسرها من قنط بالفتح ولم يكن هذه المفاوضة من الملائكة مع
إبراهيم عليهم السلام خاصة بل مع سارة أيضا حسبما شرح في سورة هود ولم يذكر ذلك ههنا اكتفاء بما
ذكر هنالك كما أنه لم يذكر هنالك ما ذكر ههنا قال أي إبراهيم عليه السلام وتوسيطه بين قوله السابق
وبين قوله فما خطبكم أي أمركم وشأنكم الخطير الذي لأجله أرسلتم سوى البشارة أيها المرسلون مع
أن بينهما مقالات مطوية لهم أشير به إلى مكانها كما في قوله تعالى قال أأسجد لمن خلقت طينا قال أرأيتك
هذا الذي كرمت علي الآية فإن قوله الأخير ليس موصولا بقوله الأول بل هو مبني على قوله تعالى فاخرج
منها فإنك رجيم فإن توسيط قال بين قوليه للإيذان بعدم اتصال الثاني بالأول وعدم ابتنائه عليه بل
على غيره ثم خطابه لهم عليهم السلام بعنوان الرسالة بعد ما كان خطابه السابق مجردا عن ذلك مع تصديره
بالفاء دليل على أن مقالتهم المطوية كانت متضمنة لبيان أن مجيئهم ليس لمجرد البشارة بل لهم شأن
آخر لأجله أرسلوا فكأنه قال عليه السلام إن لم يكن شأنكم مجرد البشارة فماذا هو فلا حاجة إلى الالتجاء
إلى أن علمه عليه السلام بأن كل المقصود ليس البشارة بسبب أنهم كانوا ذوي عدد والبشارة لا تحتاج
إلى العدد ولذلك اكتفى بالواحد في زكريا عليه السلام ومريم ولا إلى أنهم بشروه في تضاعيف الحال لإزالة
الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدءوا بها فتأمل قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين هم قوم لوط لكن وصفوا
بالإجرام وجيء بهم بطريق التنكير ذما لهم واستهانة بهم إلا آل لوط استثناء متصل من الضمير في مجرمين أي إلى
قوم أجرموا جميعا إلا آل لوط فالقوم والإرسال شاملان للمجرمين وغيرهم والمعنى إنا أرسلنا إلى قوم
أجرم كلهم إلا آل لوط لنهلك الأولين وننجي الآخرين ويدل عليه قوله تعالى إنا لمنجوهم أي لوطا وآله
أجمعين أي مما يصيب القوم فإنه استئناف للإخبار بنجاتهم لعدم إجرامهم أو لبيان ما فهم من

الاستثناء من مطلق عدم شمول العذاب لهم فان ذلك قد يكون خاليا عن بيان التعليل فان من تعلق
بهم التنجية بمعزل من شمول العذاب او منقطع من قوم وقوله تعالى انا لمنجوهم متصل بآل لوط جار مجرى
خبر لكن وعلى هذا قوله تعالى الا امرأته استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول لا يجوز
لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرئ بالتخفيف قدرنا انها لمن الغابرين
الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرئ قدرنا بالتخفيف وانما علق فعل التقدير مع اختصاص ذلك
بافعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز حمله على معنى قلنا لانه بمعنى القضاء قولا واصله جعل الشيء على
مقدار غيره واسنادهم له الى انفسهم وهو فعل الله سبحانه لما لهم من القرب والاختصاص فلما جاء آل
لوط المرسلون شروع في بيان كيفية اهلاك المجرمين وتنجية آل لوط حسبما اجمل في الاستثناء
ثم فصل في التعليل نوع تفصيل ووضع المظهر موضع المضمر للايذان بان مجيئهم لتحقيق ما ارسلوا به من
الاهلاك والتنجية وليس المراد به ابتداء مجيئهم بل مطلق كينونتهم عند آل لوط فان ما حكي عنه عليه السلام
بقوله تعالى قال انكم قوم منكرون انما قاله عليه السلام بعد اللتيا والتي حين ضاقت عليه الحيل
وعيت به العلل لما لم يشاهد من المرسلين عند مقاساة الشدائد ومعاناة المكايد من قومه الذين
يريدون بهم ما يريدون ما هو المعهود والمعتاد من الاعانة والامداد فيما ياتي ويذر عند تجشمه في
تخليصهم انكار الخذلان لهم وترك نصرته في مثل تلك المضايقة المعترية له بسببهم حيث لم يكونوا مباشرين
معه لاسباب المدافعة والممانعة حتى الجاته الى ان قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد حسبما فصل
في سورة هود لا انه قاله عند ابتداء ورودهم له خوفا ان يطرقوه بشر كما قيل كيف لا وهم بجوابهم المحكي
بقوله قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي بالعذاب الذي كنت تتوعدهم به فيمترون
فيه ويكذبونك قد قشروا العصا وبينوا له عليه السلام جلية الامر فانى يمكن ان يعتريه بعد ذلك المساءة
وضيق الذرع وليست كلمة بل اضرابا عن موجب الخوف المذكور على معنى ما جئناك بما تنكرنا لاجله
بل جئناك بما يسرك وتقر به عينك بل هي اضراب عما فهمه عليه السلام من ترك النصرة له والمعنى ما خذلناك وما
خلينا بينك وبينهم بل جئناك بما يدمرهم من العذاب الذي كانوا يكذبونك حين كنت تتوعدهم به
ولعل تقديم هذه المقاولة على ما جرى بينه وبين اهل المدينة من المجادلة للمسارعة الى ذكر بشارة
لوط عليه السلام باهلاك قومه وتنجية آله عقيب ذكر بشارة ابرهيم عليه السلام بهما وحيث كان ذلك مستدعيا
لبيان كيفية النجاة وترتيب مباديها اشير الى ذلك اجمالا ثم ذكر فعل القوم وما فعل بهم ولم يبال
بتغيير الترتيب الوقوعي ثقة بمراعاته في مواقع اخر ونسبة المجيء بالعذاب اليه عليه السلام مع انه نازل
بالقوم بطريق تفويض امره اليه لا بطريق نزوله عليه كانهم جاؤوه به وفوضوا امره اليه ليرسله عليهم
حسبما كان يتوعدهم به واتيناك بالحق اي باليقين الذي لا مجال فيه للامتراء والشك
وهو عذابهم عبر عنه بذلك تنصيصا على نفي الامتراء عنه او المراد بالحق الاخبار بمجيء العذاب المذكور
وقوله تعالى وانا لصادقون تاكيد له اي اتيناك فيما قلنا بالخبر الحق اي المطابق للواقع وانا
لصادقون في ذلك الخبر او في كل كلام فيكون كالدليل على صدقهم فيه وعلى الاول تاكيدا اثر تاكيد
وقوله تعالى فاسر باهلك شروع في ترتيب مبادي النجاة اي اذهب بهم في الليل وقرئ بالوصل
وكلاهما من السرى وهو السير في الليل وقرئ فسر من السير بقطع من الليل بطائفة منه او من آخره
قال: افتحي الباب وانظري في النجوم ... كم علينا من قطع ليل بهيم

وقيل

وقيل هو بعد ما مضى منه شيء صالح واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على
احوالهم ولعل ايثار الاتباع على السوق مع انه المقصود بالامر للمبالغة في ذلك اذ السوق ربما يكون بالتقدم
على بعض مع التاخر عن بعض ويلزمه عادة الغفلة عن حال المتاخر والالتفات المنهي عنه بقوله تعالى
ولا يلتفت منكم احد لئلا يرى ما وراءه من الهول فلا يطيقه او يصيبه ما اصابهم
او ولا ينصرف منكم احد ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن ذلك ليوطنوا انفسهم على
المهاجرة او هو نهي عن ربط القلب بما خلفوه او هو للاسراع في السير فان الملتفت قلما يخلو عن ادنى
وقفة وعدم ذكر استثناء المرأة عن الاسراء والالتفات لا يستدعي عدم وقوعه فان ذلك كما
عرفت مرارا للاكتفاء بما ذكر في مواضع اخر وامضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله تعالى
بالمضي اليه وهو الشام او مصر وحذف الصلتين على الاتساع المشهور وايثار المضي الى ما ذكر على
الوصول اليه واللحوق به للايذان باهمية النجاة ولمراعاة المناسبة بينه وبين ما سلف من الغابرين
وقضينا اليه اي اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدي بالى ذلك الامر مبهم تفسيره ان دابر هؤلاء
مقطوع على انه بدل منه وايثار اسم الاشارة على الضمير للدلالة على اتصافهم بصفاتهم القبيحة التي هي
مدار ثبوت الحكم اي آخر هؤلاء المجرمين وايراد صيغة المفعول بدل صيغة المضارع لكونها ادخل
في الدلالة على الوقوع وفي لفظ القضاء والتعبير عن العذاب بالامر والاشارة اليه بذلك وتاخيره عن
الجار والمجرور وابهامه اولا ثم تفسيره ثانيا من الدلالة على فخامة الامر وفظاعته ما لا يخفى وقرئ
بالكسر على الاستئناف والمعنى انهم يستاصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين داخلين
في الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء بمعنى مدبري
هؤلاء وجاء اهل المدينة شروع في حكاية ما صدر عن القوم عند وقوفهم على مكان الاضياف
من الفعل والقول وما ترتب عليه بعدما اشير الى ذلك اجمالا حسبما نبه عليه اي جاء اهل
سدوم منزل لوط عليه السلام يستبشرون اي مستبشرين باضيافه عليه السلام طمعا فيهم قال ان هؤلاء
ضيفي الضيف حيث كان مصدرا في الاصل اطلق على الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث واطلاقه
على الملائكة بحسب اعتقاده عليه السلام لكونهم في زي الضيف والتاكيد ليس لانكارهم لذلك بل
لتحقيق اتصالهم به واظهار اعتنائه بشانهم وتشمير ذيل المراعاة في حقهم وحمايتهم عن السوء ولذلك
قال فلا تفضحون اي عندهم بان تتعرضوا لهم بسوء فيعلموا انه ليس لي عندكم قدر وحرمة او لا
تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسيء الى ضيفه فقد اسيء اليه يقال فضحه فضحا وفضيحة اذا
اظهر من امره ما يلزمه العار واتقوا الله في مباشرتكم لما يسوءني ولا تخزون اي لا تذلوني ولا
تهينوني بالتعرض لمن اجرتهم بمثل تلك الفعلة الخبيثة وحيث كان التعرض لهم بعد ان نهاهم عليه السلام
عن ذلك بقوله فلا تفضحون اكثر تاثيرا في جانبه عليه السلام واجلب للعار اليه اذ التعرض للجار
قبل شعور المجير بذلك ربما يتسامح فيه واما بعد الشعور به والمناصبة لحمايته والذب عنه
فذلك اعظم العار عبر عليه السلام عما يعتريه من جهتهم بعد النهي المذكور بسبب لجاجهم ومجاهرتهم
بمخالفته بالخزي وامرهم بتقوى الله في ذلك وانما لم يصرح بالنهي عن نفس تلك الفاحشة
لانه كان يعرف انه لا يفيدهم ذلك وقيل المراد تقوى الله تعالى في ركوب الفاحشة ولا
يساعده توسيط الامر بين النهيين عن امرين متعلقين بنفسه عليه السلام وكذلك قوله تعالى

قالوا أولم ننهك عن العالمين أي عن التعرض لهم بمنعهم عنا وضيافتهم والهمزة للإنكار والواو للعطف على
مقدر أي ألم نتقدم إليك ولم ننهك عن ذلك فإنهم كانوا يتعرضون لكل أحد من الغرباء بالسوء وكان
عليه السلام ينهاهم عن ذلك بقدر وسعه وكانوا قد نهوه عليه السلام عن أن يجير أحداً فكأنهم قالوا ما ذكرت
من الفضيحة والخزي إنما جاءك من قبلك لا من قبلنا إذ لولا تعرضك لما تصدينا لك لما اعتراك تلك
الحالة لما أنهم لا يرعوون عما هم عليه قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فإن نبي كل قوم بمنزلة
أبيهم أو بناته حقيقة أي فتزوجوهن وقد كانوا من قبل يطلبونهن ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم
لا لعدم مشروعية المناكحة بين المسلمات والكفار وقد فصل ذلك في سورة هود إن كنتم فاعلين
أي قضاء الوطر أو ما أقول لكم لعمرك قسم من الله تعالى بحياة النبي صلى الله عليه وسلم أو من الملائكة بحياة لوط
عليه السلام والتقدير لعمرك قسمي وهي لغة في العمر يختص به القسم إيثاراً للأخف لكثرة دورانه على الألسنة إنهم لفي
سكرتهم غوايتهم أو شدة غلمتهم التي أزالت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ والصواب يعمهون يتحيرون ويتمادون
فكيف يسمعون النصح وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فأخذتهم الصيحة أي الصيحة العظيمة الهائلة وقيل
صيحة جبريل عليه السلام مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها أي عالي المدينة أو عالي قراهم وهو
المفعول الأول لجعلنا وقوله تعالى سافلها مفعول ثان له وهو أدخل في الهول والفظاعة من العكس كما
مر وأمطرنا عليهم في تضاعيف ذلك قبل تمام الانقلاب حجارة كائنة من سجيل من طين متحجر أو
طين عليه كتاب وقد فصل ذلك في سورة هود إن في ذلك أي فيما ذكر من القصة لآيات لعلامات
تستدل بها على حقيقة الحق للمتوسمين أي المتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة
الشيء بسمته وإنها أي المدينة أو القرى لبسبيل مقيم أي طريق ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها إن في
ذلك فيما ذكر من المدينة أو القرى أو في كونها بمرأى من الناس يشاهدونها في ذهابهم وإيابهم لآية عظيمة للمؤمنين
بالله ورسوله فإنهم الذين يعرفون أن ما حاق بهم من العذاب الذي ترك ديارهم بلاقع إنما حاق بهم لسوء
صنيعهم وأما غيرهم فيحملون ذلك على الاتفاق أو الأوضاع الفلكية وإفراد الآية بعد جمعها فيما سبق
لما أن المشاهد ههنا بقية الآثار لا كل القصة كما فيما سلف وإن كان وإن مخففة من إن وضمير الشأن
الذي هو اسمها محذوف واللام هي الفارقة أي وإن الشأن كان أصحاب الأيكة وهم قوم
شعيب عليه السلام والأيكة الشجرة الملتفة المتكاثفة وكانت عامة شجرهم المقل وكانوا يسكنونها
فبعثه الله تعالى إليهم لظالمين متجاوزين عن الحد فانتقمنا منهم بالعذاب روي أن الله تعالى سلط عليهم
الحر سبعة أيام ثم بعث سحابة فالتجأوا إليها يلتمسون الروح فبعث الله تعالى عليهم منها ناراً فأحرقتهم
فهو عذاب يوم الظلة وإنهما يعني سدوم والأيكة وقيل الأيكة ومدين فإنه عليه السلام كان
مبعوثاً إليهما فذكر أحدهما منبه على الآخر لبإمام مبين لبطريق واضح والإمام اسم ما يؤتم به
سمي به الطريق ومطمر البناء واللوح الذي يكتب فيه لأنها مما يؤتم به ولقد كذب أصحاب الحجر يعني
ثمود المرسلين صالحاً فإن من كذب واحداً من الأنبياء فقد كذب الجميع لاتفاقهم على التوحيد والأصول
التي لا تختلف باختلاف الأمم والأعصار وقيل المراد صالح ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون
لخبيب بن عبد الله بن الزبير وأصحابه والحجر واد بين المدينة والشام كانوا يسكنونه وآتيناهم آياتنا
وهي الآيات المنزلة على نبيهم أو المعجزات من الناقة وسقبها وشربها ودرها أو الأدلة المنصوبة
لهم فكانوا عنها معرضين إعراضاً كلياً بل كانوا معارضين لها حيث فعلوا بالناقة ما فعلوا

وكانوا

وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الأعداء لوثاقتها
أو من العذاب بحسبانهم أن ذلك يحميهم منه عن جابر رضي الله عنه قال مررنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم على الحجر فقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين حذراً أن يصيبكم
مثل ما أصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته فأسرع حتى خلفها فأخذتهم الصيحة مصبحين
وقد مكث أربعة أيام كما في سورة هود وقيل صاح بهم جبريل عليه السلام وقيل أتتهم من السماء صيحة فيها صوت
كل صاعقة وصوت كل شيء في الأرض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وفي سورة الأعراف فأخذتهم
الرجفة أي الزلزلة ولعلها من روادف الصيحة المستتبعة لتموج الهواء تموجاً شديداً يفضي إليها كما
مر في سورة هود فما أغنى عنهم ولم يدفع عنهم ما نزل بهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت
الوثيقة والأموال الوافرة والعدد المتكاثرة وغيرها والفاء لترتيب عدم الإغناء الخاص
بوقت نزول العذاب حسبما كانوا يرجونه لا عدم الإغناء المطلق فإنه أمر مستمر وما خلقنا
السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق أي إلا خلقاً ملتبساً بالحق والحكمة والمصلحة بحيث لا يلائم
استمرار الفساد واستقرار الشرور ولذلك اقتضت الحكمة إهلاك أمثال هؤلاء دفعاً
لفسادهم وإرشاداً لمن بقي إلى الصلاح أو إلا بسبب العدل والإنصاف يوم الجزاء على الأعمال كما
ينبئ عنه قوله تعالى وإن الساعة لآتية فينتقم الله تعالى لك فيها ممن كذبك فاصفح أي أعرض عنهم
الصفح الجميل إعراضاً جميلاً وتحمل أذيتهم ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم
وقيل هي منسوخة بآية السيف إن ربك الذي يبلغك إلى غاية الكمال هو الخلاق
لك ولهم ولسائر الموجودات على الإطلاق العليم بأحوالك وأحوالهم بتفاصيلها فلا يخفى عليه
شيء مما جرى بينك وبينهم فهو حقيق بأن تكل جميع الأمور إليه ليحكم بينكم أو هو الذي خلقكم وعلم
تفاصيل أحوالكم وقد علم أن الصفح اليوم أصلح إلى أن يكون السيف أصلح فهو تعليل للأمر بالصفح
على التقديرين وفي مصحف عثمان وأبي رضي الله عنهما هو الخالق وهو صالح للقليل والكثير والخلاق
مختص بالكثير ولقد آتيناك سبعاً سبع آيات وهي الفاتحة وعليه عمر وعلي وابن مسعود وأبو هريرة
رضي الله عنهم والحسن وأبو العالية ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة رحمهم الله تعالى
وقيل سبع سور وهي الطوال التي سابعتها الأنفال والتوبة فإنهما في حكم سورة واحدة
ولذلك لم يفصل بالتسمية وقيل يونس أو الحواميم السبع وقيل الصحائف السبع وهي الأسباع
من المثاني بيان للسبع من التثنية وهي التكرير فإن كان المراد الفاتحة وهو الظاهر فتسميتها مثاني
لتكرر قراءتها في الصلاة وأما تكرر نزولها كما قيل فليس بحيث يكون مداراً للتسمية
لأنها كانت مسماة بهذا الاسم قبل نزولها الثاني إذ السورة مكية بالاتفاق وإن كان المراد غيرها
فوجه كونها من المثاني أن كلاً من ذلك تكرر قراءته وألفاظه وقصصه ومواعظه أو من الثناء
لاشتمالها على ما هو ثناء على الله تعالى واحدتها مثناة أو مثنية صفة للآية وأما السور أو الأسباع
فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء على الله سبحانه
وتعالى كأنها تثني عليه سبحانه بأفعاله وصفاته الحسنى ويجوز أن يراد بالمثاني القرآن لما ذكر أو لأنه
مثني عليه بالإعجاز أو كتب الله كلها فمن للتبعيض وعلى الأول للبيان والقرآن العظيم إن أريد
بالسبع الآيات أو السور فمن عطف الكل على البعض أو العام على الخاص وإن أريد به الأسباع

اوكل القرآن فهو عطف احد الوصفين على الآخر كما في قوله ٭ الى الملك القرم وابن الهمام ٭
وليث الكتيبة في المزدحم ٭ اي ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم لا تمدن
عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب ولا تدم نظرك الى ما متعنا به من زخارف الدنيا وزينتها ومحاسنها
وزهرتها ازواجا منهم اصنافا من الكفرة فان ما في الدنيا من اصناف الاموال والذخائر بالنسبة الى ما
اوتيته مستحقر لا يعبأ به اصلا وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي افضل مما
اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه وافت من بصرى واذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير
فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها
وانفقناها في سبيل الله فقيل لهم قد اعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع ولا
تحزن عليهم حيث لم يؤمنوا ولم ينتظموا في سلك اتباعك ليتقوى بهم ضعفاء المسلمين وقيل
انهم المتمتعون به واياه كلا على فوات تمتعهم به لا يكون مدار الحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين
اي تواضع لهم وارفق بهم والمجانبة لهم وطب نفسا عن ايمان الاغنياء وقل اني انا النذير
المبين اي المنذر المظهر لعذاب سوء حلوله كما انزلنا على المقتسمين قيل انه متعلق بقوله تعالى
ولقد آتيناك الخ اي انزلنا عليك كما انزلنا على اهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين
اي قسموه الى حق وباطل حيث قالوا عنادا وعدوانا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه
باطل مخالف لهما او قسموه لاقتسامهم استهزاء حيث كان يقول بعضهم سورة البقرة لي وبعضهم سورة
آل عمران لي وهكذا او سموا ما قرؤوا من كتبهم من حرفوه فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه وحمل على بسط قوله
تعالى لا تمدن عينيك الخ اعتداد ما هو المراد بالكلام من التسلية وعقب ذلك بان تجعل المقام عن
التشبيه ولقد اتى على الكلم حكم ما لم يوت احد قبله ولا بعده مثله وقيل انه متعلق بقوله وقل اني
انا النذير المبين فانه في قوة الامر بالانذار كانه قيل انذر قريشا مثل ما انزلنا على المقتسمين يعني
اليهود ما جرى على بني قريظة والنضير بان تجعل المتوقع كالواقع وقد وقع كذلك وانت خبير
بان ما يشبه به العذاب المنذر لا بد ان يكون محقق الوقوع معلوم الحال عند المنذرين اذ به يتحقق
فائدة التشبيه من تاكيد الانذار وتشديد الوعيد وعذاب بني قريظة والنضير مع عدم وقوعه اذ ذاك
لم يسبق به وعد ووعيد ينتشئ في عقد محصور وشك مريب وتنزيل المتوقع منزلة الواقع امر جليل
من الاعجاز لكنه اذا صادف مقاما يقتضيه كما في قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ونظائره
على ان تخصيص الاقتسام باليهود يجيزه اختصاص العذاب المذكور بهم مع شركة النصارى في
الاقتسام المتفرع على الموافقة والمخالفة وفي الاقتسام بمعنى التحريف الشامل للكتابين بل تخصيص العذاب
المذكور بهم مع كونه من نتائج الاقتسام تخصيص من غير مخصص وقد يجعل الموصول مفعولا اولا لانذر اي
انذر المعضين الذين يجزئون القرآن الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا
عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم فقعد كل منهم في مدخل لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى
الله عليه وسلم بما وصفوا من الحي يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر شاعر والآخر
كذاب فاهلكهم الله تعالى يوم بدر وقيل بآفات وفيه ما فيه من الاشتراك لما سبق في عدم كون العذاب
الذي شبه به العذاب المنذر به واقعا ولا معلوما للمنذرين ولا موعود الوقوع انه لا داعي الى تخصيص
وصف الاقتسام بهم واخراج المقتسمين من بينهم مع كونهم اسوة لهم في ذلك فان منهم برسول الله صلى

بما وصفوا من السحر والشعر والكذب متفرع على وصفهم للقرآن بذلك وهلاكهم لا يقتضي التعضية ولا الى
اخراجهم من حكم الانذار على ان ما نزل بهم من العذاب لم يكن من الشدة بحيث يشبه به عذاب غيرهم
ولا مخصوصا بهم بل عاما لكلا الفريقين وعينهم في ان بعض المنذرين كالوليد بن المغيرة والعاص بن
وائل والاسود بن المطلب قد هلكوا قبل هلاك المقتسمين يوم بدر وهذا لا الى تقديم المفعول
الثاني على الاول كما ترى وقيل انه وصف لمفعول النذير اي مثل ما انزلنا والمقتسمون هم القاعدون
في مداخل مكة كما مر ويمتنع ما مر ان قوله تعالى كما انزلنا صريح في انه من قول الله تعالى لا من قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم والاعتذار بان ذلك من باب ما يقول بعض خواص الملك امرنا
بكذا اي ان كان الامر هو الملك حسبما سلف في قوله تعالى قدرنا انها لمن الغابرين تعسف لا
يخفى وان اعمال الوصف الموصوف مما لم يجوزه البصريون فلا بد من الهرب الى تلك الكوفيين
او المصير الى جعله مفعولا لاحد صريح اي انا النذير المبين بعذاب مثل عذاب المقتسمين وقيل
المراد بالمقتسمين الرهط الذين تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام فاهلكهم الله تعالى وانت
تدري ان عذابهم حيث كان محققا معلوما للمنذرين حسبما نطق به القرآن العظيم صالح لان
يقع مشبها به العذاب المنذر لكن الموصول المذكور عقيبه حيث لم يكن كونه صفة للمقتسمين
فسواء جعلناه مفعولا اول للنذير او لما دل هو عليه من انذار لا يكون التعرض لعنوان التعضية
جزء الصلة ولا لعنوان الاقتسام بالمعنى المذكور في حيز المفعول الثاني فائدة لما ان ذلك انما يكون
للاشعار بعلية الصلة والصفة للحكم الثابت للموصول والموصوف ولا يكون هناك وجه
شبه يدور عليه تشبيه حالهم بعذابهم خاصة لعدم اشتراكهم في السبب فان التعضية
بمعزل من التقاسم على التبييت الذي هو السبب لهلاك اولئك كما ان اولئك بمعزل من التعضية التي
هي السبب لهلاك هؤلاء ولا علاقة بين السببين مفهوما ولا وجودا لصحح وقوع احدهما في
جانب والآخر في جانب واتفاق الفريقين على مطلق الاتفاق على الشر المفهوم من الاقتسام
على الشر المخصوص الذي هو التبييت المدلول عليه بالتقاسم غير مفيد اذ لا دلالة لعنوان التعضية
على ذلك وانما يدل عليه اقتسام المداخل وجعل الموصول مبتدأ على ان خبره الجملة القسمية
لا يليق بجزالة التنزيل وجلالة شأن التنزيل الجليل اذا عرفت هذا فاعلم ان الاقرب من
الاقوال المذكورة انه متعلق بالاول وان المراد بالمقتسمين اهل الكتابين وان الموصول مع
صلته صفة مبينة لكيفية اقتسامهم ومحل الكاف النصب على المصدرية وحيث جلا لم
المقام عن التشبيه من ثنايا النظم الجليل والمعنى لقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن
العظيم ايتاء مماثلا لانزال الكتابين على اهلهما وعدم التعرض لذكر ما انزل عليهم من الكتابين
لان الغرض بيان المماثلة بين الايتاءين لا بين متعلقيهما والعدول عن تطبيق ما في جانب
المشبه به على ما في جانب المشبه بان يقال كما آتينا المقتسمين حسبما وقع في قوله تعالى الذين
آتيناهم الكتاب الخ للتنبيه على ما بين الايتاءين من التنافي فان الاول على وجه التكريم
والامتنان شتان ما بينه وبين الثاني ولا يقدح ذلك في وقوعه مشبها به فان ذلك انما هو
لمسلميته عندهم وتقدم وجوده على المشبه لا لمزيد يعود الى ذاته كما في الصلوات الخليلية فان
التشبيه فيها ليس لكون رحمة الله تعالى الفائضة على ابراهيم عليه السلام اتم واكمل مما افاض على النبي
صلى الله عليه وسلم

وإما ذلك للتقدم في الوجود والتنصيص عليه في القرآن العظيم وليس في التشبيه فيما نحن فيه
إشعار بأفضلية المشبه به من المشبه فضلاً عن إيهام أفضلية ما تعلق به الأول مما تعلق به الثاني
وإنما ذكروا بعنوان الاقتسام لا بإنكار الاتصاف به مع تحقق ما يعنيه من الإنزال المذكور إيذاناً
بأنه كان منهم أن يؤمنوا به كما حسب إيمانهم بما أنزل عليهم بحكم الاشتراك في العلية والاتحاد
في الحقيقة التي هي مطلق الوحي وتوسيط قوله تعالى لا تمدن الخ لكمال اتصاله بما هو المقصود
بيان حال ما أتى النبي صلى الله عليه وسلم ولتعديه أولاً علو شأنه ورفعة مكانه بحيث يستوجب
اغتباطه عليه السلام بمكانه واستغناءه به عما سواه ثم نهى عن الالتفات إلى زهرة الدنيا وعن
إثباتها لأهلها بالتمتع المنبئ عن فوت ما عداهم ثم عن الحزن بعدم إيمان المنهمكين فيها وبعد
بمراعاة المؤمنين والاكتفاء بهم عن غيرهم وبإظهار قيامه بمواجب الرسالة ومراسم النذارة حسبما فصل
في تضاعيف ما أتى من القرآن العظيم ثم رجع إلى كيفية إتيانه على وجه أدرج فيه ما يرجح اشتباه المنكرين وفيهم
في العناد من بيان مشاركته للأوائل لهم في ذكره وحياً صادقاً فتأمل والله عنده علم الكتاب هذا
وقد قيل المعنى وقل إني أنا النذير المبين كما أنزلنا الكتب أي لتك سنأتي بعذاب على المقتسمين أهل
الكتاب الذين يريدون أن يأتي كما موصوله والمراد بالمشابهة المستفادة من الكاف الموافقة مع
ما في حيزها محل النصب على الحال من مفعول قل أي قل هذا القول حال كونه كما أنزلنا على أهل
الكتاب أي موافقاً لذلك لما لا نسخ حمل الاقتسام على التحريف ليكون وصفهم بذلك لتوبيخهم
بما فعلوا من تحريفهم وكذا جعلهم لعنة النبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى عضين جمع عضة وهي الفرقة
أصلها عضوة فعلة من عضى الشاة تعضية إذا جعلها أعضاء وإنما جمعت جمع السلامة جبراً
لما حذف منها والتعبير عن تجزئة القرآن بالتعضية التي هي تفريق الأعضاء من ذي
الروح المستلزم لانتفاء الحياة وإبطال الاسم دون مطلق التجزئة والتفريق اللذين ربما يوجدان فيما
لا يضره التبعيض من المثليات للتنبيه على كمال قبح ما فعلوه بالقرآن العظيم وقيل هي فعلة من
عضهته إذا بهته وعن عكرمة العضه السحر بلسان قريش ولذلك منقوصها على الأول واو وعلى الثاني
هاء فوربك لنسألنهم أجمعين أي لنسألن يوم القيامة أصناف الكفرة من المقتسمين
وغيرهم سؤال توبيخ وتقريع عما كانوا يعملون في الدنيا من قول وفعل وترك فيدخل
فيه ما ذكر من الاقتسام والتعضية دخولاً أولياً ولنجزينهم بذلك جزاءً موفوراً وفيه من
التشديد وتأكيد الوعيد ما لا يخفى والفاء لترتيب الوعيد على أعمالهم التي ذكر بعضها وفي
التعرض لوصف الربوبية مضافاً إلى ضميره عليه السلام إظهار اللطف به عليه السلام فاصدع بما تؤمر فاجهر
به من صدع بالحجة إذا تكلم بها جهاراً أو افرق بين الحق والباطل وأصله الإبانة والتمييز وما مصدرية
أو موصولة والعائد محذوف أي بما تؤمر به من الشرائع المودعة في تضاعيف ما أوتيته من الوحي
المتلو في القرآن العظيم وأعرض عن المشركين أي لا تلتفت إلى ما يقولون ولا تبال بهم ولا
تقصد الانتقام منهم إنا كفيناك المستهزئين بقمعهم وتدميرهم قيل كانوا خمسة من أشراف قريش
الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والحارث بن قيس بن الطلاطلة والأسود بن عبد يغوث والأسود
بن المطلب يبالغون في إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فنزل جبريل عليه السلام فقال أمرت أن
أكفيكهم فأومى إلى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظماً لأخذه فأصاب عرقاً

في عقبه فقطعه فمات وأومى إلى أخمص العاص فدخلت فيه شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله
حتى صارت كالرحى فمات وأشار إلى عيني الأسود بن المطلب فعمي وأشار إلى أنف الحارث فامتخط قيحاً فمات وإلى
الأسود بن عبد يغوث وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى
مات الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر وصفهم بذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتهويناً للخطب
عليه بإعلام أنهم لم يقتصروا على الاستهزاء به عليه السلام بل اجترؤوا على العظيمة التي هي الإشراك بالله سبحانه
فسوف يعلمون عاقبة ما يأتون ويذرون ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون
من كلمات الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء به وبك وتحلية الجملة بالتأكيد لإفادة تحقيق
ما تتضمنه من التسلية وصيغة الاستقبال لإفادة استمرار العلم حسب استمرار متعلقه باستمرار ما
يوجبه من أقوال الكفرة فسبح بحمد ربك فافزع إلى الله تعالى فيما نابك من ضيق الصدر والحرج
بالتسبيح والتقديس ملتبساً بحمده وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام
ما لا يخفى من إظهار اللطف به عليه السلام والإشعار بعلة الحكم أعني الأمر بالتسبيح والحمد وكن
من الساجدين أي المصلين يكفك ويكشف الغم عنك فيما يقولون ملتبساً بحمده
على أن هداك للحق المبين وعنه عليه السلام أنه كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة واعبد
ربك دم على ما أنت عليه من عبادته تعالى وإيثار الإظهار بالعنوان السالف آنفاً لتأكيد ما
سبق من إظهار اللطف به عليه السلام والإشعار بعلة الأمر بالعبادة حتى يأتيك اليقين
أي الموت فإنه متيقن اللحوق بكل حي مخلوق وإسناد الإتيان إليه للإيذان بأنه متوجه إلى الحي
طالب للوصول إليه والمعنى دم على العبادة ما دمت حياً من غير إخلال بها لحظة عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والأنصار
والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم أتى أمر الله أي الساعة
أو ما يعمها وغيرها من العذاب الموعود للكفرة عبر عن ذلك بأمر الله للتفخيم والتهويل وللإيذان بأن
تحققه في نفسه وإتيانه منوط بحكمه النافذ وقضائه الغالب وإتيانه عبارة عن دنوه واقترابه
على طريقة نظم المتوقع في سلك الواقع أو عن إتيان مباديه القريبة على نهج إسناد حال الأسباب
إلى المسببات وأياً ما كان ففيه تنبيه على كمال قربه من الوقوع وفي الالتفات تكميل لحسن موقع
التفريع في قوله عز وجل فلا تستعجلوه فإن النهي عن استعجال الشيء وإن صح تفريعه على قرب وقوعه
أو على وقوع أسبابه القريبة لكنه ليس بمثابة تفريعه على وقوعه إذ بالوقوع يستحيل الاستعجال
رأساً بما ذكر من قرب وقوعه ووقوع مباديه والخطاب للكفرة خاصة كما يدل عليه القراءة
على صيغة نهي الغائب واستعجالهم وإن كان بطريق الاستهزاء لكنه حمل على الحقيقة ونهوا عنه
بضرب من التهكم أو مع المؤمنين سواء أريد بأمر الله ما ذكر أو العذاب الموعود للكفرة خاصة
أما الأول فلأنه لا يتصور من المؤمنين استعجال الساعة وما يعمها من العذاب حتى يعمهم النهي عنه
وأما الثاني فلأن استعجالهم له بطريق الحقيقة واستعجال الكفرة بطريق الاستهزاء كما

حقيقة فلا تنتظمهما صيغة واحدة والالتجاء الى الارادة معنى مجازي يعمهما تعسف ضرورة على ان يكون هناك
رعاية نكتة سرية تعسف لا يليق بشأن التنزيل الجليل وما روي من انه لما نزلت اقتربت الساعة
قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو
كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها
فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ورفع الناس رؤسهم فلما نزل فلا تستعجلوه اطمأنوا فليس فيه دلالة على عموم الخطاب كما قيل
لا لما توهم من الصدور اذ ليس اياه فانهم لعمرى ابرياء حسبما حققته بل لان مناط اطمئنانهم انما
هو وقوفهم على ان المراد بالاتيان هو الاتيان الادعائي لا الحقيقي الموجب لاستحالة الاستعجال
المستلزم لامتناع النهي عنه لما ان النهي عن الشيء يقتضي امكانه في الجملة ومدار ذلك الوقوف
انما هو النهي عن الاستعجال المستلزم لامكانه المقتضي لعدم وقوع المستعجل بعد ولا يختلف ذلك
باختلاف المستعجل كائنا من كان بل فيه دلالة واضحة على عدم العموم لان المراد بامر الله
انما هو الساعة وقد عرفت استحالة صدور استعجالها عن المؤمنين فلم يجز تخصيص الخطاب بهم على
تقدير كون امر الله عبارة عن العذاب الموعود للكفرة خاصة لكن الذي يقتضيه الاعجاز
التنزيلي اختصاص الخطاب بالكفرة كما ستقف عليه لما ان استعجالهم ذلك من نتائج اشراكهم المستتبع
لنسبة الله تعالى عز وجل الى ما لا يليق به من العجز والاحتياج الى الغير واعتقادهم ان احدا يحجزه
عن انجاز وعده اقاصا وعيده وقد قالوا في تضاعيف استعجالهم ان صح مجي العذاب فالاصنام
تخلصنا عنه بشفاعتهم رد ذلك فقيل بطريق الاستئناف سبحانه وتعالى عما يشركون اي تنزه
وتقدس بذاته وجل عن اشراكهم المؤدي الى صدور امثال هذه الاباطيل عنهم او عن ان يكون
له شريك فيدفع ما اراد بهم بوجه من الوجوه وصيغة الاستقبال للدلالة على تجدد اشراكهم
واستمراره والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء ذكر قبائحهم الاعراض عنهم وطرحهم عن
رتبة الخطاب وحكاية شنائعهم لغيرهم وعلى تقدير تخصيص الخطاب بالمؤمنين تفوت هذه
النكتة كما يفوت ارتباط النهي عنه بالمنزه عنه وقرئ على صيغة الخطاب ينزل الملائكة
بيان لتحتم التوحيد حسبما نبه عليه بتنزهه اجمالا بالبيان تقدس جناب الكبرياء وتعاليه عن ان
يحوم حوله شائبة ان يشاركه شيء في شيء وايذان بانه دين اجمع عليه جمهور الانبياء عليهم السلام
وامروا ببعث الناس اليه مع الاشارة الى سر البعثة والتشريع وكيفية القاء الوحي والتنبيه
على طريق علم الرسول صلى الله عليه وسلم باتيان ما اوعدهم به وباقترابه ازاحة لاستبعادهم
اختصاصه عليه السلام بذلك واظهارا لبطلان رأيهم في الاستعجال والتكذيب وايثار صيغة
الاستقبال للاشعار بان ذلك عادة مستمرة له سبحانه والمراد بالملائكة اما جبريل عليه السلام
قال [illegible] الواحدي يسمى الواحد بالجمع اذا كان رئيسا او هو ومن معه من حفظة الوحي بامر الله تعالى
وقرئ تنزل من الانزال ويتنزل بحذف احدى التاءين وعلى صيغة المبني للمفعول من التنزيل بالروح
اي بالوحي الذي من جملته القرآن على نهج الاستعارة فانه يحيي القلوب الميتة بالجهل او
يقوم في الدين مقام الروح في الجسد والباء متعلقة بالفعل او بما هو حال من مفعوله اي
ملتبسين بالروح من امره بيان للروح الذي اريد به الوحي فانه امر بالخير او حال منه

اي حال كونه ناشئا ومبتدأ منه او صفة له على رأي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي
بالروح الكائن من امره او متعلق بينزل ومن للسببية كالباء مثلها في قوله
تعالى مما خطيئاتهم اي ينزلهم بامره على من يشاء من عباده ان ينزلهم به عليهم لاختصاصهم
بصفات تؤهلهم لذلك ان انذروا بدل من الروح اي ينزلهم ملتبسين بان انذروا
اي بهذا القول والمخاطبون به الانبياء الذين نزلت الملائكة عليهم السلام الا ان الامر هو الله
سبحانه والملائكة نقلة للامر كما يشعر به الباء في المبدل منه وان اما مخففة من ان وضمير
الشان الذي هو اسمها محذوف اي ينزلهم ملتبسين بان الشان اقول لكم انذروا او مفسرة
على ان تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول كانه قيل يقول بواسطة الملائكة لمن يشاء
من عباده انذروا فلا محل لها من الاعراب او مصدرية لجواز كون صلتها انشائية كما في
قوله ان اقم وجهك حسبما مر في اوائل سورة يونس فمحلها الجر على البدلية ايضا والانذار الاعلام خلا انه
مختص باعلام المحذور من نذر بالشيء اذا علمه فحذره وانذره انذارا اي اعلمه وحذره وخوفه في
ابلاغه كذا في القاموس اي اعلموا الناس انه لا اله الا انا لما بين الالتفات وسائر وجوه
ادعائه شهادة الغيبة عن الشرح به وفائدة تصديرا لجملة الايذان من اول الامر بفخامة مضمونها
مع ما فيه من زيادة تقرير له في الذهن فان الضمير لا يفهم منه ابتداء الا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن
مترقبا لما يعقبه فيتمكن لديه عند وروده فضل تمكن كانه قيل انذروا ان الشان الخطير هذا وانما عبر
عن المحذور ليس لذاته بل من حيث اتصاف المنذرين بما يضاده من الاشراك وذلك كاف في كون
اعلامه انذارا وقوله سبحانه فاتقون خطاب للمستعجلين على طريقة الالتفات والفاء
فصيحة اي اذا كان الامر كما ذكر من جريان عادته تعالى بتنزيل الملائكة عليهم السلام على من يشاء من عباده
فخافوا الناس انه لا شريك له في الالوهية فاتقون في الاخلال بمضمونه ومباشرة ما ينافيه من
الاشراك وفروعها التي من جملتها الاستعجال والاستهزاء ثم بعد تمهيد الدليل السمعي للتوحيد
شرع في تحقيقه بالادلة العقلية فقيل خلق السموات والارض بالحق اي اوجدهما على ما هما عليه
من الوجه الفائق والنمط اللائق تعالى وتقدس بذاته لاسيما بافعاله التي من جملتها ابداع هذين
المخلوقين عما يشركون عن اشراكهم المعهود او عن شركة ما يشركونه به من الباطل الذي لا يبدئ ولا
يعيد وبعد ما نبه على صيغة الكلي المنطوي على تفاصيل مخلوقاته شرع في تعداد ما فيه من خلائقه
بدءا بفعل المتعلق بالانفس فقال خلق الانسان اي هذا النوع غير الرد الاولية من
نطفة جماد لا حس له ولا حراك سيال لا يحفظ شكلا ولا وضعا فاذا هو بعد الخلق خصيم
منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين لحجته لقن بها وهذا انسب بمقام الامتنان باعطاء
القدرة على الاستدلال بذلك على قدرته تعالى ووحدته او مخاصم لخالقه منكر له قائل من يحيي العظام وهي
رميم وهذا انسب بمقام تعداد هنات الكفرة روي ان ابي بن خلف الجمحي اتى النبي صلى الله عليه وسلم
بعظم رميم فقال يا محمد اترى الله تعالى يحيي هذا بعد ما رم فنزلت والانعام وهي الازواج الثمانية من
الابل والبقر والضأن والمعز وانتصابها بمضمر يفسره قوله تعالى خلقها او بالعطف على الانسان
وما بعده بيان لما خلق لاجله والذي بعده تفصيل لذلك وقوله لكم اما متعلق بخلقها
وقوله فيها دفء خبر مقدم وقوله دفء مبتدأ وهو ما يدفأ به فيقي من البرد والجملة حال من المفعول

أتى
على الانبياء

او الظرف الاول خبر للمبتدا المذكور وفيها حال من دفء اذ لو تاخر لكان صفة ومنافع هي درها وركوبها
وحملها والحراثة بها وغير ذلك وانما عبر عنها بها ليتناول الكل مع انه لا يناسب مقام الامتنان بالنعم
وتقديم الدفء على المنافع لرعاية اسلوب الترقي الى الاعلى ومنها تاكلون اى
تاكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم وغير ذلك وتغيير النظم للايماء الى انها لا يبقى عند الاكل
كما في السابق واللاحق فان الدفء والمنافع والجمال يحصل منها وهي باقية على حالها ولذلك ٢٩٢
جعلت محالا لها بخلاف الاكل وتقديم الظرف للايذان بان الاكل منها هو المعتاد المعتمد في
المعاش وان الاكل مما عداها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر من قبيل التفكه مع ان
فيه رعاية للفواصل ويحتمل ان يكون معنى الاكل منها اكل ما يحصل بسببها فان الحبوب والثمار
المأكولة تكتسب باكراء الابل وباثمان نتاجها والبانها وجلودها ولكم فيها مع ما فصل
من انواع المنافع الضرورية جمال اى زينة في اعين الناس ووجاهة عندهم حين تريحون
تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي وحين تسرحون تخرجونها بالغداة من حظائرها
الى مسارحها فالمفعول محذوف من كلا الفعلين لرعاية الفواصل وتعيين الوقتين لان ما يدور
عليه امر الجمال من تزيين الافنية والاكناف وتجاوب ثغائها ورغائها انما هو عند ورودها وصدورها
في ذينك الوقتين واما عند كونها في المراعي فينقطع اضافتها الحسية الى اربابها وعند كونها في الحظائر
لا يراها راء ولا ينظر اليها ناظر وتقديم الاراحة على السرح لتقدم الورود على الصدور ولكونها اظهر منه
في استتباع ما ذكر من الجمال واتم في استجلاب الانس والبهجة اذ فيها حضور بعد غيبة واقبال
بعد ادبار على احسن ما يكون ملأى البطون مرتفعة الضروع حافلة الضروع فرحى حينا تريحون وحينا
تسرحون على ان كلا الفعلين وصف لحينا بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم
جمع ثقل وهو متاع المسافر وقيل انفسكم واجرامكم الى بلد قال ابن عباس رضي الله عنهما اريد به
اليمن ومصر والشام ولعله نظر الى انها متاجر اهل مكة وقال عكرمة اريد مكة ولعله نظر الى ان
اثقالهم واحمالهم عند القفول من متاجرهم اكثر وحاجاتهم الى الحمولة اشد والظاهر انه عام
لكل بلد لم تكونوا بالغيه واصلين اليه بانفسكم مجردين عن الاثقال لولا الابل
الا بشق الانفس فضلا عن استصحابها معكم وقرئ بفتح الشين وهما لغتان بمعنى الكلفة
والمشقة وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي
هو الصدع والمكسور النصف كانه يذهب نصف القوة لما ينال من الجهد فالاضافة الى الانفس
مجازية او على تقدير مضاف اى الا بشق قوى الانفس وهو استثناء مفرغ من اعم الاشياء
اى لم تكونوا بالغيه بشيء من الاشياء الا بشق الانفس ولعل تغيير النظم الكريم السابق الدال على
كون الانعام مدارا للنعم السابقة الى الجملة الفعلية المفيدة لمجرد الحدوث للاشعار بان هذه النعمة ليست
في العموم بحسب المنشأ وبحسب المتعلق وفي الشمول للاوقات والاطراد في الاحيان المعهودة
بمثابة النعم السالفة فانها بحسب المنشأ خاصة بالابل وبحسب المتعلق بالضاربين في الارض المتقلبين
فيها للتجارة وغيرها في احايين غير مطردة واما سائر النعم المعدودة فموجودة في جميع اصناف الانعام
وعامة لكافة المخاطبين دائما او في عامة الاوقات ان ربكم لرءوف رحيم ولذلك اسبغ
عليكم هذه النعم الجليلة ويسر لكم الامور الشاقة والخيل هو اسم جنس للفرس لا واحد له

من لفظه كالابل وهو عطف على الانعام اى خلق الخيل والبغال والحمير لتركبوها تعليل
بمعظم منافعها والا فالانتفاع بها بالحمل عليها مما لا ريب في تحققه وزينة عطف على محل لتركبوها وتجريده
من اللام لكونه فعلا لفاعل الفعل المعلل دون الاول وتاخيره لان الركوب اهم منه او مصدر لفعل
محذوف اى وتتزينوا بها زينة وقرئ بغير واو اى خلقها زينة لتركبوها ويجوز ان يكون مصدرا
واقعا موقع الحال من فاعل تركبوها او مفعوله اى متزينين بها او متزينا بها ويخلق ما لا تعلمون
اى يخلق لكم في الدنيا غير ما عدد من اصناف النعم فيكم ولكم ما لا تعلمون كنهه وكيفية خلقه فالعدول
الى صيغة الاستقبال للدلالة على انه مستمر ومتجدد او لاستحضار الصورة او يخلق في الجنة غير ما
ذكر من النعم الدنيوية ما لا تعلمون اى ما ليس من شانكم ان تعلموه وهو ما اشير اليه بقوله عليه السلام
حكاية عن الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر ويجوز ان يكون هذا اخبارا بانه سبحانه يخلق من الخلائق ما لا علم لنا به ولا دلالة على قدرته
الباهرة الموجبة للتوحيد كنعمة الباطنة والظاهرة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عن يمين العرش نهرا من نور
مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبعة يدخل فيه جبريل عليه السلام كل سحر فيغتسل فيزداد
نورا الى نوره وجمالا الى جماله وعظما الى عظمه ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل قطرة تقع من ريشه كذا
وكذا الف ملك يدخل منهم كل يوم سبعون الف ملك البيت المعمور وسبعون الف ملك الكعبة
لا يعودون اليه الى يوم القيامة وعلى الله قصد السبيل القصد مصدر بمعنى الفاعل يقال سبيل
قصد وقاصد اى مستقيم على طريقة الاستعارة او على نهج اسناد حال سالكه اليه كانه يقصد الوجه
الذي يؤمه السالك لا يميل عنه اى حق عليه سبحانه وتعالى بموجب رحمته ووعده المحتوم بيان
الطريق المستقيم الموصل لمن يسلكه الى الحق الذي هو التوحيد بنصب الادلة وارسال الرسل وانزال
الكتب لدعوة الناس اليه او مصدر بمعنى الاقامة والتعديل قاله ابو البقاء اى عليه عز وجل تقويمها
وتعديلها اى جعلها بحيث يصل سالكها الى الحق لكن لا بعدما كان في نفسها منحرفة عنه بل ابدعها
ابتداء كذلك على نهج قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وحقيقته راجعة الى ما ذكر من نصب
الادلة وقد فعل ذلك حيث ابدع هذه البدائع التي كل واحد منها لاحب يهتدى بمناره
وعلم يستضاء بناره وارسل رسلا مبشرين ومنذرين وانزل عليهم كتبا جملتها هذا الوحي الناطق
بحقيقة الحق الناكص عن كل ما حاد عنه الى ارباب ... الهادي الى سبيل الاستدلال بتلك الادلة
المفضية الى معالم الهدى المنجية عن فيافي الضلالة ومهاوي الردى الا يرى كيف بين اولا تنزه جناب
الكبرياء وتعالى جناب الذات عن ان يحوم حوله شائبة توهم الاشراك ثم افتتح بتنزيل الملائكة بالوحي على
الانبياء عليهم السلام وكيفية امرهم بانذار الناس ودعوتهم الى التوحيد ونهيهم عن الاشراك
ثم ذكر ما يبين تعاليه عن ذلك بحسب الانتقال من الادنى الى الاعلى بطريقة الاستدلال مبتدئا بفعله المتعلق
بمحيط العالم الجسماني ومركزه بقوله تعالى خلق السموات والارض تعالى عما يشركون ثم فصل افعاله
المتعلقة بما بينهما مبتدئا بفعله المتعلق بانفس المخاطبين ثم ذكر ما يتعلق بما لا بد لهم منه في معاشهم
ثم بين قدرته على خلق ما لا يحيط به علم البشر بقوله ويخلق ما لا تعلمون وكل ذلك كما ترى بيان
لسبيل التوحيد اى بيان وتعديل ايما تعديل والمراد بالسبيل الاول الجنس بدليل اضافة القصد اليه
وقوله تعالى ومنها في محل الرفع على الابتداء اما باعتبار مضمونه واما بتقدير الموصوف كما في قوله

ومنها دون ذلك ومنه في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر اي بعض
السبيل او بعض من السبيل فانها تفترق وتتشعب جائر اي مائل عن الحق منحرف عنه لا يوصل سالكه
اليه وهو طرق الضلال التي لا يكاد يحصى عددها المندرج كلها تحت الجائر وهو الثاني نفس السبيل
المستقيم والقصد فيه بهذا المعنى اليه يتعدى بالمضاف اي منحرف عما عرفت من ان هداية السبيل
وتقويمه ابتداعا ابتداء على حسب الاستقامة والعدالة لا تقويمه بعد انحرافه وايا ما كان فليس
في النظم الكريم تغيير الاسلوب رعاية لامر مطلوب كما قيل فان ذلك انما يكون فيما اقتضى الظاهر
سبكا معينا ولكن يعدل عن ذلك لنكتة مهمة كما في قوله سبحانه الذي يطعمني ويسقين
واذا مرضت فهو يشفين فان مقتضى الظاهر ان يقال والذي يمرضني ويشفين ولكن
غير الاسلوب للنظم الكريم تأدبا من اسناد ما تكرهه النفس اليه سبحانه وليس الادبيان قصد السبيل
مجرد اعلام انه مستقيم حتى يصح اسناده وجائر اليه تعالى فيحتاج الى الاعتذار عن عدم ذلك مع ان الوارد في
ذلك لو وجد لتغيير الاسلوب نكتة وقد يبين ذلك في مواضع معدودة بل المراد بما مر من نصب
الادلة لهداية الناس اليه ولا امكان لاسناد مثله اليه تعالى بالنسبة الى الطريق الجائر بان يقال
وجائر ها حق يعرف ذلك الاسناد منه تعالى الى ... لنكتة تستدعيه ولا يتوهم من حتى يقتضي
الحال دفع ذلك بان يقال الجائر هاتم بسبب النظم عن ذلك لداعية اقوى سنريك الجملة الظاهرة
اعني اصيته حتى بهما ليبان الحاجة الى البيان والتعديل وانما وحده لبيان لغرة ولذلك المعنى
على الله تعالى بيان الطريق المستقيم الموصل الى الحق وتعديله بما ذكر من نصب الادلة لسلكه
الناس باختيارهم ويصلوا الى المقصد وهذا هو الهداية المفسرة بالدلالة على ما يوصل الى
المطلوب لا الهداية المستلزمة للاهتداء البتة فان ذلك مما ليس بحق على الله تعالى لا بحسب ذاته
ولا بحسب رحمته بل هو مخل بالحكمة حيث يستدعي تسوية المحسن والمسيء والمطيع والعاصي بحسب
الاستعداد والى ذلك اشير بقوله تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين اي لو شاء ان يهديكم الى ما ذكر من
التوحيد هداية موصلة اليه البتة مستلزمة لاهتدائكم اجمعين لفعل ذلك ولكن لم يشأه لان مشيئته
تابعة للحكمة الداعية اليها ولا حكمة في تلك المشيئة لما ان الذي عليه يدور فلك التكليف واليه
ينتهي الثواب والعقاب انما هو الاختيار الجزئي الذي عليه يترتب الاعمال التي بها ينوط الجزاء
هذا هو الذي يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام فما قد ذكروا ان قصد السبيل عليه
تعالى بانه يبين اليه على نهج الاستقامة وايثار حرف الاستعلاء على اداة الانتهاء لتأكيد الاستقامة
على وجه التمثيل من غير ان يكون هناك استعلاء لشيء عليه سبحانه وتعالى عنه علوا كبيرا كما في قوله
تعالى هذا صراط علي مستقيم فالقصد مصدر بمعنى الفاعل والمراد بالسبيل الجنس كما مر وقوله
تعالى ومنها جائر معطوف على الجملة الاولى والمعنى ان قصد السبيل واصل اليه تعالى بالاستقامة
وبعضها منحرف عنه ولو شاء لهداكم جميعا الى الاول وانت خبير بان هذا حقيق بتفسيره لكن
بمعزل عن نكتة موجبة لتوسيطه بين ما سيق لبيان التوحيد وبين ما يلحق ولما بين الطرق
المبين للتوحيد على وجه اجمالي وفصل بعض الادلة المتعلقة باحوال الحيوانات وعقب ذلك
ببيان السر الداعي اليه بعثا للمخاطبين على التامل فيما سبق وحثا على حسن التلقي لما يلحق شرع
في ذلك ذكر ما يدل عليه من احوال النبات فقيل هو الذي انزل بقدرته الباهرة من السماء

اي من السحاب او من جانب السماء ماء اي نوعا منه وهو المطر وتأخيره عن المجرور لما مر مرارا من ان
المقصود هو الاخبار بانه انزل من السماء شيئا هو الماء لا الاخبار بانه انزل الماء من السماء والمرتبة ما ستعرف من
ان ما حقه التأخير اذا قدم يبقى الذهن مترقبا له مشتاقا اليه فيتمكن لديه عند وروده عليه
فضل تمكن لكم منه شراب اي ما تشربونه وهو اما مرتفع بالظرف الاول او مبتدأ وهو خبره والجملة
صفة لماء والظرف الثاني نصب على الحالية من شراب ومن تبعيضية وليس في تقديمه ايهام حصر
المشروب فيه حتى يفتقر الى الاعتذار بانه لا بأس به لان مياه العيون والآبار منه لقوله تعالى فسلكه
ينابيع في الارض وقوله تعالى فاسكناه في الارض وقيل الظرف الاول متعلق بانزل والثاني خبر
لشراب والجملة صفة لماء وانت خبير بان ما فيه من توسيط المنصوب بين المجرورين وتوسيط الثاني
منهما بين الماء وصفته ما لا يليق بجلالة نظم التنزيل الجليل ومنه شجر من ابتدائية اي ومنه يحصل شجر
ترعاه المواشي والمراد به ما ينبت من الارض سواء كان له ساق او لا وابتدائية مجازا لانها كانت
بسقيها الماء حصل كان منه كقوله اسنمة الآبال في ربابه يعني به المطر الذي ينبت به
الكلا الذي تأكله الابل فتسمن اسنمتها وفي حديث عكرمة لا تأكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعني الكلا
فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهي العلامة لانها
تؤثر بالرعي علامات في الارض ينبت لكم به اي بما انزل من السماء وقرئ بالنون الزرع
والزيتون والنخيل والاعناب بيان للنوع الفائض عليهم من الارض بطريق الاستنبات
وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار وانه سنته الجارية على الدهور
او لاستحضار صورة الانبات وتقديم الظرف على المفعول الصريح لما تقدم مرارا من تقديم اولها
منا للاهتمام به لادخال المسرة ابتداء وتقديم الزرع على ما عداه لانه اصل الاغذية وعمود
المعاش وتقديم الزيتون لما فيه من الشرف من حيث انه ادام من وجه وفاكهة من وجه وتقديم النخيل
على الاعناب لظهور اصالتها وبقائها وجمع الاعناب للاشارة الى ما فيها من الاشتمال على الاصناف
المختلفة وتخصيص الانواع المعدودة بالذكر مع اندراجها تحت قوله تعالى ومن كل الثمرات
للاشعار بفضلها وتقديم الشجر عليها مع كونه غذاء للانعام لحصوله بغير صنع من البشر وللارشاد
لمكارم الاخلاق فان مقتضاها ان يكون اهتمام الانسان بامر ما تحت يده اكمل من اهتمامه
بامر نفسه او لان اكثر المخاطبين من اصحاب المواشي ليس لهم زرع ولان المراد تقديم ما يسام لا تقدم
غذائه فانه غذاء حيواني للانسان وهو اشرف الاغذية وقرئ ينبت من الانبات مسندا الى الزرع
وما عطف عليه ان في ذلك اي في انزال الماء وانبات ما فصل لآية عظيمة دالة على تفرده
تعالى بالالوهية لاشتماله على كمال العلم والقدرة والحكمة لقوم يتفكرون فان من
تفكر في ان الحبة او النواة تقع في الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اسفلها فيخرج منها
عروق تنبسط في اعماق الارض وينشق اعلاها وان كانت منتكسة في الوقوع ويخرج منه ساق
فينمو ويخرج منه الاوراق والازهار والحبوب والثمار المشتملة على اجسام مختلفة الاشكال
والالوان والخواص والطبائع وعلى نواة قابلة لتوليد الامثال على النمط المحرر لا الى نهاية مع اتحاد
المواد واستواء نسبة الطبائع السفلية والتأثيرات العلوية بالنسبة الى الكل علم ان من
هذه افعاله وآثاره لا يمكن ان يشبهه شيء من صفات الكمال فضلا عن ان يشاركه اخس

وقيل لم

الاشيا في اخص صفاته التي هي الالوهية واستحقاق العبادة تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحيث
ان فيه سلوك هذه الطريقة الى ترتيب المقدمات الفكرية قطع الاية الكريمة بالتفكر وسخر لكم
الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار وانضاجها والشمس والقمر يدأبان
في سيرهما وانارتهما اصالة وخلافة واصلاح ما نيط بهما صلاحه من المكونات التي من جملتها ما فصل
واجمل كل ذلك لمصالحكم ومنافعكم وليس المراد بتسخيرها لهم تمكينهم من تصرفها كيف شاؤوا كما في
قوله تعالى سبحان الذي سخر لنا هذا ونظايره بل هو تصريفه تعالى لها حسبما يترتب عليه منافعهم ومصالحهم
كان ذلك تسخيرا لهم وتصرفا من قبلهم حسب ارادتهم وفي التعبير عن ذلك التصريف بالتسخير ايما الى ما في
المسخرات من صعوبة المأخذ بالنسبة الى المخاطبين وايثار صيغة الماضي للدلالة على ان ذلك
امر واحد مستمر وان تجددت اثاره والنجوم مسخرات بامره مبتدا وخبر اي وسائر النجوم في حركاتها
واوضاعها من التثليث والتربيع ونحوهما مسخرات لله تعالى او لما خلق له بارادته ومشيئته وحيث
لم يكن عود منافع النجوم اليهم في الظهور بمثابة ما قبلها من الملوين والقمرين لم ينسب تسخيرها اليهم
باداة الاختصاص بل ذكر على وجه يفيد كونها تحت ملكوته تعالى من غير دلالة على شيء اخر ولذلك
عدل عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث الى الاسمية المفيدة للدوام والاستمرار وقرئ برفع
الشمس والقمر ايضا وقرئ بنصب النجوم على انه مفعول اول لفعل مقدر ينبئ عنه الفعل المذكور ومسخرات
مفعول ثان له اي وجعل النجوم مسخرات بامره او على انه معطوف على المنصوبات المتقدمة ومسخرات
حال من الكل والعامل ما في سخر من معنى نفع اي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله تعالى الذي
خلقها ودبرها كيف شاء او لما خلقن له بايجاده وتقديره او لحكمه او مصدر ميمي جمع لاختلاف
الانواع اي انواعا من التسخير وما قيل من ان فيه ايذانا بالجواب عما عسى يقال ان المؤثر في تكوين
النبات حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ايضا امور ممكنة الذات
والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود
دفعا للدور والتسلسل فمبناه على حسبان ان ما ذكر دليل على وجود الصانع تعالى وقدرته واختياره
وانت تدري ان ليس الامر كذلك فانه ليس مما يتنازع فيه الخصم ولا يتلعثم في قبوله قال تعالى
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون وقال
ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله الاية وانما ذلك
ادلة التوحيد من حيث ان من هذا شأنه لا يتوهم ان يشاركه شيء في شيء فضلا عن ان يشاركه الجماد
في الالوهية ان في ذلك اي فيما ذكر من التسخير المتعلق بما ذكر مجملا ومفصلا لايات باهرة
متكاثرة لقوم يعقلون وحيث كانت هذه الاثار العلوية متعددة ودلالة ما فيها من
عظيم القدرة والعلم والحكمة على الوحدانية اظهر جمع الايات وعلقت بمجرد العقل من غير
حاجة الى التأمل والتفكر ويجوز ان يكون المراد لقوم يعقلون ذلك فالمشار اليه عجائب
الدقائق المودعة في العلويات المدلول عليها بالتسخير التي لا يتصدى لمعرفتها الا المهرة من اساطين
الحكمة ولا ريب في احتياجها الى التفكر اكثر وما ذرأ عطف على قوله تعالى والنجوم
رفعا ونصبا على انه مفعول لجعل اي وما خلق لكم في الارض من حيوان ونبات حال كونه
مختلفا الوانه اي اصنافه فان اختلافها غالبا يكون باختلاف اللون مسخرة لله تعالى

لما خلق له من الخواص والاحوال والكيفيات او جعل ذلك مختلف الالوان اي الاصناف لتتمتعوا من
ذلك باي صنف شئتم وقد عطف على ما قبله من المنصوبات وعقب بذكر الخلق لهم مغنيا
عن ذكر التسخير واعتذر بان الاول لا يستلزم الثاني لزوما عقليا لجواز كون ما خلق لهم عزيز
المرام صعب المنال وقيل هو منصوب بفعل مقدر اي خلق او انبت على ان قوله مختلفا الوانه حال من مفعوله
ان في ذلك الذي ذكر من التسخيرات ونحوها لاية بينة الدلالة على ان من هذا شأنه واحد لا
ضد له ولا ند لقوم يذكرون فان ذلك غير محتاج الا الى التذكر لما عسى يغفل عنه من العلوم الضرورية
واما ما قيل من ان اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم فما فيه من الجناية
من حسبان ما ذكر دليلا على اثبات الصانع تعالى وقد عرفت حقيقة الحال فان اريد ما يدل على اتصافه
سبحانه بما ذكر من صفات الكمال ليس بطريق الاستدلال عليه من حيث ان ذلك من المقدمات
المسلمة حتى لا يستدل الا بعد ما تفصي الدهور على وحدانيته تعالى واستحالة ان يشاركه شيء في الالوهية
وهو الذي سخر البحر شروع في تعداد النعم المتعلقة بالبحار تفصيلا للنعم المتعلقة بالحيوان اثر بيانها
اجمالا بحيث تمكنوا من الانتفاع به بالركوب والغوص والاصطياد لتأكلوا منه لحما طريا هو
السمك والتعبير عنه باللحم مع كونه حيوانا للتلويح بانحصار الانتفاع به في الاكل ووصفه بالطراوة
للاشعار بلطافته والتنبيه على وجوب المسارعة الى اكله كيلا يتسارع اليه الفساد كما ينبئ عنه
جعل البحر مبتدأ اكله وللايذان بكمال قدرته تعالى في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق ومن اطلاق
اللحم عليه ذهب مالك والثوري الى ان من حلف لا ياكل اللحم حنث باكله والجواب ان مبنى الايمان
العرف ولا ريب في انه لا يفهم من اللحم عند الاطلاق ولذلك لو امر خادمه بشراء اللحم فجاء بالسمك
لم يكن ممتثلا للامر الا يرى الى ان الله تعالى سمى الكافر دابة حيث قال ان شر الدواب عند الله
الذين كفروا ولا يحنث بركوبه من حلف لا يركب دابة وتستخرجوا منه حلية كاللؤلؤ والمرجان
تلبسونها وفي مقام الامتنان عن لبس نسائهم بلبسهم لكونهم منهم او لكونه لبسهن لاجلهم
وترى الفلك السفن مواخر فيه جواري فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة تشقه من مخر
من المخر وهو شق الماء وقيل هو صوت جري الفلك ولتبتغوا عطف على تستخرجوا وما عطف عليه
وما بينهما اعتراض لتمهيد مبادي الابتغاء ودفع توهم كونه باستخراج الحلية او على علة محذوفة
اي لتنتفعوا بذلك ولتبتغوا ذكره ابن الانباري او متعلق بفعل محذوف اي وفعل ذلك لتبتغوا
من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اي تعرفون نعمه الجليلة
فتقومون باداء حقها بالطاعة والتوحيد ولعل تخصيص النعمة بالتعقيب بالشكر من حيث انه
قطع لمسافة طويلة مع احمال ثقيلة في مدة قليلة من غير مزاولة اسباب السفر بل من غير حركة اصلا مع
انها في تضاعيف المهالك وعدم توسيط الفوز بالمطلوب بين الابتغاء والشكر للايذان باستغنائه
عن التصريح به وبحصولهما معا والقى في الارض رواسي اي جبالا ثوابت وقد مر تحقيقه في اول
سورة الرعد ان تميد بكم كراهة ان تميد بكم وتضطرب او لئلا تميد بكم فان الارض قبل ان يخلق فيها
الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك او تتحرك
بادنى سبب فلما خلقت الجبال تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد
وقيل لما خلق الله تعالى الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد

ارسيت بالجبال وانهارا اي وجعل فيها انهارا لان في القى معنى الجعل وسبلا لعلكم تهتدون بها الى
مقاصدكم وعلامات معالم يستدل بها السابلة بالنهار من جبل ومنهل وريح وقد نقل ان جماعة يشمون
التراب ويتعرفون به الطرقات وبالنجم هم يهتدون بالليل في البراري والبحار حيث لا علامة غيره
والمراد بالنجم الجنس وقيل هو الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدي وقرئ بضمتين وبضمة وسكون
وهو جمع كرهن ورهن وقيل الاول بطريق حذف الواو من النجوم للتخفيف ولعل الضمير لقريش لانهم
كانوا كثيري التردد للتجارة مشهورين بالاهتداء بالنجوم في اسفارهم وصرف النظم عن سنن الخطاب
وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر
عليه الزم لهم واوجب عليهم افمن يخلق هذه المصنوعات العظيمة ويفعل هاتيك الافاعيل البديعة
كمن لا يخلق شيا اصلا وهو تبكيت للكفرة وابطال لاشراكهم وعبادتهم
للاصنام بانكار ما يستلزم ذلك من المشابهة بينها وبينه سبحانه وتعالى بعد تعداد ما
يقتضي ذلك اقتضاء ظاهرا وتعقيب الهمزة بالفاء لتوجيه الانكار الى ترتب توهم المشابهة
المذكورة على ما فصل من الامور العظيمة الظاهرة الاختصاص به تعالى المعلومة كذلك فيما بينهم
حسبما يؤذن به ما تلوناه من قوله تعالى ولئن سالتهم الايتين والاقتصار على ذكر الخلق
من بينها لكونه اعظمها واظهرها واستتباعه اياها او لكون كل منها خلقا مخصوصا اي ابعد
ظهور اختصاصه تعالى ببدائع هذه المخلوقات الواضحة الدلالة على وحدانيته تعالى وتفرده
بالالوهية واستبداده باستحقاق العبادة يتصور المشابهة بينه وبين ما هو بمعزل من
ذلك بالمرة كما هو قضية اشراككم ومدارها وان كان على تشبيه المخلوق بالخالق لكن التشبيه
حيث كان تشبيه تقوم بالمتشبهين اخرجنا على النظم الكريم مراعاة لحق سبق الملكة على العدم وتناديا
عن توسط عدمها بينهم وبين جنايتهم المفصل قبله وتنبيها على كمال قبح ما فعلوه من حيث ان ذلك ليس
مجرد رفع الاصنام عن محلها بل هو حط لمنزلة الربوبية الى مرتبة الجمادات ولا ريب في انه اقبح من
الاول والمراد بمن لا يخلق كل ما هذا شانه كائنا ما كان والتعبير عنه بما يختص بالعقلاء للمشاكلة
او العقلاء خاصة ويعرف منه حال غيرهم بدلالة النص فان من يخلق حيث لم يكن كمن لا يخلق وهو من
جملة العقلاء فما ظنك بالجماد واياما كان فدخول الاصنام في حكم عدم المماثلة والمشابهة اما بطريق
الاندراج تحت الموصول العام واما بطريق الانفهام بدلالة النص على الطريقة البرهانية لانها هي
المرادة بالموصول خاصة افلا تذكرون اي الا تلاحظون فلا تتذكرون ذلك فانه لوضوحه
بحيث لا يفتقر الى شي سوى التذكر وان تعدوا نعمة الله تذكير اجمالي لنعمه تعالى بعد تعداد
طائفة منها وكان الظاهر ايراده عقيبها تكملة لها على طريقة قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون
ولعل فصل ما بينهما بقوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق للمبادرة الى الزام الحجة والقام الحجر اثر
تفصيل ما فصل من الافاعيل التي هي ادلة الوحدانية مع ما فيه من سر ستقف عليه ودلالتها عليها
وان لم تكن مقصورة على حيثية الخلق ضرورة ظهور دلالتها عليها من حيثية الانعام ايضا لكنها
حيث كانت مستتبعة للحيثية الاولى استغنى عن التصريح بها ثم بين حالها بطريق الاجمال
اي ان تعدوا نعمه الفائضة عليكم مما ذكر وما لم يذكر حسبما يعرب عنه قوله تعالى هو الذي خلق لكم

ما في الارض جميعا لا تحصوها لا تطيقوا حصرها وضبط عددها ولو اجمالا فضلا عن القيام بشكرها
وقد خرجنا عن عهدة تحقيقه في سورة ابرهيم بفضل الله سبحانه ان الله لغفور رحيم حيث يستر ما فرط
منكم من كفرانها والاخلال بالقيام بحقوقها ولا يعاجلكم بالعقوبة على ذلك رحيم حيث يفيضها عليكم
مع استحقاقكم للقطع والحرمان بما تاتون وتذرون من اصناف الكفر التي من جملتها الفرق بين الخالق
وغيره وكل ذلك لتعمد وايرادها بالجملة تعليل الحكم بعدم الاحصاء وتقديم وصف المغفرة على نعت
الرحمة لتقدم التخلية على التحلية والله يعلم ما تسرون تضمرونه من العقائد والاعمال وما تعلنون
اي تظهرونه وحذف العائد لمراعاة الفواصل اي يستوي بالنسبة الى علمه المحيط سركم وعلنكم
وفيه من الوعيد والدلالة على اختصاصه سبحانه بنعوت الالهية ما لا يخفى وتقديم السر على العلن لما
ذكرناه في سورة البقرة وسورة هود من تحقيق المساواة بين علميه المتعلقين بهما على ابلغ وجه
كان علمه تعالى بالسر اقدم منه بالعلن او لان كل شي يعلن فهو قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق
علمه تعالى بحالته الاولى اقدم من تعلقه بحالته الثانية والذين يدعون شروع في تحقيق كون
الاصنام بمعزل من استحقاق العبادة وتوضيحه بحيث لا يبقى فيه شائبة ريب بتعداد اوصافها
واحوالها المنافية لذلك منافاة ظاهرة وتلك الاحوال وان كانت غنية عن البيان لكنها
شرحت للتنبيه على كمال حماقة عبدتها وانهم لا يعرفون ذلك الا بالتصريح اي والالهة الذين يعبدهم
الكفار من دون الله سبحانه وقرئ على صيغة المبني للمفعول وعلى الخطاب لا يخلقون شيئا
من الاشياء اصلا ذلك ولما لم يكن بين الخالقية وبين المخلوقية تلازم بحسب المفهوم وان
تلازما في الصدق اثبت لهم ذلك صريحا فقيل وهم يخلقون اي شانهم ومقتضى ذاتهم المخلوقية
لانها ذوات ممكنة مفتقرة في ماهياتها ووجوداتها الى الموجد وبناء الفعل للمفعول لتحقيق التضاد
والمقابلة بين ما اثبت لهم وبين ما نفي عنهم من وصفي المخلوقية والخالقية وللايذان بعدم
الافتقار الى بيان الفاعل لظهور اختصاص الفعل بفاعله جل جلاله ويجوز ان يجعل الخلق الثاني
عبارة عن النحت والتصوير رعاية للمشاكلة بينه وبين الاول ومبالغة في كونهم مصنوعين
لعبدتهم واعجز عنهم وايذانا بكمال ركاكة عقولهم حيث اشركوا بخالقهم مخلوقهم واما جعل الاول ايضا
عبارة عن ذلك كما فعل فلا وجه له اذ لا مدح في مثل ذلك الخلق ليست مما يدور عليه استحقاق
العبادة اصلا ولما ان اثبات المخلوقية لهم غير مستتبع لنفي الحيوة عنهم لما ان بعض المخلوقين احيا
صرح بذلك فقيل اموات وهو خبر ثان للموصول لا للضمير كما قيل او خبر مبتدا محذوف وحيث
كان بعض الاموات مما يعتريه الحيوة سابقا او لاحقا كاجساد الحيوان والنطف التي ينشئها
الله تعالى حيوانا احترز عن ذلك فقيل غير احياء اي لا يعتريها الحياة اصلا فهي اموات على
الاطلاق واما قوله تعالى وما يشعرون ايان يبعثون اي ما يشعرون وقت بعث الالهة او ايان يبعث
عبدتهم فعلى طريقة التهكم بهم لان شعور الجماد بالامور الظاهرة بديهي الاستحالة عند كل احد
فكيف بما لا يعلمه الا العليم الخبير وفيه ايذان بان البعث من لوازم التكليف وان معرفة وقته
مما لا بد منه في الالوهية الهكم اله واحد لا يشاركه شي في شي وهو تصريح بالمدعى وتلخيص للنتيجة عقيب
اقامة الحجة فالذين لا يؤمنون بالاخرة واحوالها التي من جملتها ما ذكر من البعث وما يعقبه من
الجزاء المستلزم لعقوبتهم وذلهم قلوبهم منكرة للوحدانية جاحدة لها او للايات الدالة عليها

نفي ح

اي ليس من شانهم ح

وهم مستكبرون عن الاعتراف بها او عن الايات الدالة عليها فان الايمان بها باصرارهم على الانكار واستمرارهم
على الاستكبار وقع موقع النتيجة للدلائل الظاهرة والبراهين الباهرة من المعجزات وقد ثبت بما قدمنا من الحجج
في الايات اختصاص الالهية به سبحانه فكان من نتيجة ذلك اصرارهم على ما ذكر من الانكار والاستكبار
وبناء الحكم المذكور على الموصول للاشعار بكونه معللا بما في حيز الصلة فان الكفر بالاخرة وبما فيها من
البعث والجزاء المتفرع على الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية يؤدي الى عدم النظر في الواجب
والاعراض عن الدلائل السمعية والعقلية الموجب لانكارها وانكار مؤداها والاستكبار عن
اتباع الرسول عليه السلام وتصديقه واما الايمان بها فانه يدعو لا محالة الى التأمل في الايات
والدلائل رغبة ورهبة فيورث ذلك يقينا بالوحدانية وخضوعا لامر الله تعالى لا جرم اي حقا
وقد مر تحقيقه في سورة هود ان الله يعلم ما يسرون من انكار قلوبهم وما يعلنون من استكبارهم
وقولهم للقرآن اساطير الاولين وغير ذلك من قبائحهم فيجازيهم بذلك انه لا يحب المستكبرين
تعليل لما تضمنه الكلام من الوعيد اي لا يحب المستكبرين عن التوحيد او عن الايات الدالة عليه او لا يحب
جنس المستكبرين عما ذكر واذا قيل لهم اي لهؤلاء المنكرين المستكبرين وهو بيان لاضلالهم
غيرهم اثر بيان ضلالهم ماذا انزل ربكم القائل الوافدون عليهم او المسلمون او بعضهم على طريق التهكم
وماذا منصوب بانزل او مرفوع اي اي شيء او ما الذي انزله قالوا اساطير الاولين
اي ما تدعون نزوله او المنزل اساطير الاولين اي احاديثهم واباطيلهم وليس من الانزال في
شيء قيل هؤلاء القائلون هم المقتسمون الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم عند سؤال وفود الحاج عما انزل عليه عليه السلام ليحملوا متعلق بقالوا اي قالوا ما قالوا ليحملوا
اوزارهم الخاصة بهم وهي اوزار ضلالهم كاملة لم يكفر منها شيء بنكبة اصابتهم في الدنيا
كما يكفر بها اوزار المؤمنين يوم القيامة ظرف ليحملوا ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار
من ضل باضلالهم وهو وزر الاضلال لانهما شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه فيتحاملان
واللام للتعليل في نفس الامر من غير ان يكون غرضا وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار
الاضلال او باعتبار حال قولهم لا حال الحمل بغير علم حال من الفاعل اي يضلونهم غير عالمين
بان ما يدعونهم اليه طريق الضلال واما حمله على معنى غير عالمين بانهم يحملون يوم القيامة اوزار
الضلال والاضلال على ان يكون العامل في الحال قالوا وتأييده بما سيأتي من قوله تعالى
وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فيرده ان الحمل المذكور انما هو يوم القيامة والعذاب المذكور
انما هو العذاب الدنيوي كما ستقف عليه او حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال
وفائدة التقييد بها الاشعار بان مكرهم لا يروج عند ذي لب وانما يتبعهم الاغبياء والجهلة والتنبيه
على ان جهلهم ذلك لا يكون عذرا اذ كان يجب عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق الحقيق بالاتباع
وبين المبطل الا ساء ما يزرون اي بئس شيئا يزرونه ما ذكر قد مكر الذين من قبلهم وعيد
لهم برجوع غائلة مكرهم اليهم كدأب من قبلهم من الامم الخالية الذين اصابهم ما اصابهم من العذاب
العاجل اي قد سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله تعالى فأتى الله امره وحكمه
بنيانهم وقرئ بيتهم وبيوتهم من القواعد من جهة القواعد وهي الاساطين التي تعمده
او اساسه فضعضعت اركانه فخر عليهم السقف من فوقهم اي سقط عليهم سقف بنيانهم

تكنيف عن استكبروا

حيث ان حمل ما ذكر من اوزار الضلال والاضلال قبيل اتيان العذاب من حيث لا يشعرون

اذ لا يتصور له القيام بعد تهدم القواعد شبهت حال اولئك الماكرين في تسويتهم المكايد والمنصوبات
التي ارادوا بها الايقاع برسل الله سبحانه وفي ابطاله تعالى تلك المكايد وجعله اياها اسبابا
لهلاكهم بحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فأتى ذلك من قبل اساطينه بان ضعضعت فسقط
عليهم السقف وهلكوا وقيل فخر عليهم السقف حقيقة وأتاهم العذاب اي الهلاك والدمار
من حيث لا يشعرون باتيانه منه بل يتوقعون اتيان مقابله مما يريدون ويشتهون والمعنى ان
هؤلاء الماكرين القائلين للقرآن العظيم اساطير الاولين سيأتيهم العذاب مثل ما اتاهم وهم لا يحتسبون
وما ذكر العذاب العاجل لقوله سبحانه ثم يوم القيامة يخزيهم فانه عطف على مقدر ينبئ عنه الكلام
اي هذا الذي فعل بهم من العذاب المعجل من عذاب هؤلاء او ما هو اعم منه ومما ذكر من عذاب اولئك جزاؤهم
في الدنيا ويوم القيامة يخزيهم اي يذلهم بعذاب الخزي على رؤوس الاشهاد واصل الخزي ذل يستحيى منه
وثم للايذان بما بين الجزاءين من التفاوت مع ما دل عليه من التراخي الزماني وتغيير السبك بتقديم
الظرف ليس لقصر الخزي على يوم القيامة كما هو المتبادر من تقديم الظرف على الفعل بل لان الاخبار بجزائهم
في الدنيا مؤذن بان لهم جزاء اخرويا فتبقى النفس مترقبة الى وروده سائلة عنه بانه ماذا [illegible]
بانه في الاخرة فسيق الكلام على وجه يؤذن بان المقصود بالتذكار جزاؤهم الكائن يوم القيامة
في حق القرآن الكريم ولهم ولمن سلك سبيلهم من الماكرين وتخصيصه بهم يأباه السباق والسياق وكما شيعه
عليه ويقول لهم تفضيحا وتوبيخا تتمة لما بين للاخزاء اين شركائي اضافهم اليه سبحانه حكاية لاضافتهم
الكاذبة تفيد توبيخ اثر توبيخ مع استهزائهم الذين كنتم تشاقون فيهم اي تخاصمون الانبياء والمؤمنين
في شأنهم بانهم شركاء حقا حين بينوا لكم بطلانها والمراد بالاستفهام استحضارها للشفاعة او
المدافعة على طريقة الاستهزاء والتبكيت او الاستفسار عن مكانهم لا يوجب غيبتهم حقيقة حتى يعتذر
بانه يجوز ان يحال بينهم وبين عبدتهم ليتفقدوها في ساعة علقوا بها الرجاء فيها او بانهم لما لم ينفعوهم
فكأنهم غيب بل الكلمة في ذلك عدم حضورهم بالعنوان الذي كانوا يزعمون انهم متصفون به
من عنوان الالهية فليس هناك شركاء ولا مكانهم اما كونها على ان قوله ليتفقدوا ليس ببعيد فانه
قد يبقى عندهم الامر ويقعوا عن ذلك السؤال الباطل فكيف تصورهم التفقد وقرئ بكسر النون
اي تشاقونني على ان مشاقة الانبياء والمؤمنين لا سيما في شأن يتعلق به سبحانه مشاقة له عز وجل
قال الذين اوتوا العلم من اهل الموقف وهم الانبياء والمؤمنون الذين اوتوا علما بدلائل
التوحيد وكانوا يدعونهم في الدنيا الى التوحيد فيجادلونهم ويتكبرون عليهم اي يقولون توبيخا
لهم واظهارا للشماتة وتقريرا لما كانوا يعظونهم وتحقيقا لما اوعدوهم به وايثار صيغة الماضي
للدلالة على تحققه وتحتم وقوعه حسبما هو المعتاد في اخباره سبحانه وتعالى كقوله ونادى اصحاب الجنة
ونادى اصحاب الاعراف ان الخزي الفضيحة والذل والهوان اليوم منصوب على رأي من
يرى اعمال المصدر المحلى باللام او بالاستقرار في الظرف وفيه فصل بين العامل والمعمول بالمعطوف
الا انه مغتفر في الظروف وايراده للاشعار بانهم كانوا قبل ذلك في عزة وشقاق والسوء
العذاب على الكافرين بالله تعالى وبآياته ورسله الذين تتوفاهم الملائكة بتأنيث الفعل
وقرئ بتذكيره وبادغام التاء في التاء والعدول الى صيغة المضارع لاستحضار صورة توفيهم
اياهم لما فيها من الهول والموصول في محل الجر على انه نعت للكافرين او بدل منه او في محل الرفع

تلك الجملة

بالخزي

او الرفع على الذم وفايدة تخصيص الخزى والسوء بهم استمر كونه الى حين الموت دون من امن منهم
ولو في اخر عمره اى على الكافرين المصرين على الكفر الى ان تتوفاهم الملائكة ظالمي
انفسهم اى حال كونهم مستمرين على الكفر فانه ظلم منهم لانفسهم واى ظلم حيث عرضوها للعذاب
المخلد وبدلوا فطرة الله تبديلا فالقوا السلم اى ينقادون ويستسلمون وانما عدل الى صيغة الماضي
للدلالة على تحقق الوقوع وهو عطف على قوله تعالى فيقول اين شركاى وما بينهما جملة اعتراضية
جئ بها تحقيقا لما حاق بهم من الخزى على رؤس الاشهاد اى فيلقون ويتركون المشاقة وينزلون
عما كانوا عليه في الدنيا من الكبر وشدة الشكيمة قايلين ما كنا نعمل في الدنيا من سوء اى من شرك
قالوه منكرين لصدوره عنهم كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين وانما عبروا عنه بالسوء اعترافا بكونه
سيئا لا انكارا لكونه كذلك مع الاعتراف بصدوره عنهم ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان يكون
المراد به الكلام الدال عليه وعلى القدر بينا فهو جواب عن قوله سبحانه اين شركاى كما في سورة
الانعام لا عن قول اولى العلم ادعاء لعدم استحقاقهم لما دهمهم من الخزى والسوء بلى رد عليهم من
قبل اولى العلم واثبات لما نفوه اى بلى كنتم تعملون ما تعملون ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو
يجازيكم عليه وهذا اوان فادخلوا ابواب جهنم اى كل صنف بابها المعد له وقيل ابوابها
اصناف عذابها فالدخول عبارة عن الملابسة والمقاساة خالدين فيها ان اريد بالدخول
حدوثه فالحال مقدرة وان اريد مطلق الكون فيها فهي مقارنة فلبئس مثوى المتكبرين اى عن
التوحيد كما قال تعالى قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وذكرهم بعنوان التكبر للاشعار بعليته
لثوائهم فيها والمخصوص بالذم محذوف اى جهنم وتاويل قولهم ما كنا نعمل من سوء بانا ما كنا عاملين
ذلك في اعتقادنا ردا لهم قطعا على ان لا كذب [illegible] يرده الرد المذكور وما في سورة الانعام
من قوله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم وقيل للذين اتقوا اى المؤمنين وصفوا بالتقوى
اشعارا بان ما صدر عنهم من الجواب ناشئ عن التقوى ماذا انزل ربكم قالوا خيرا سلكوا في الجواب
مسلك السؤال من غير تلعثم ولا تغيير في الصورة والمعنى اى انزل خيرا فانه جواب مطابق
للسؤال سيكان للواقع في نفس الامر مضمونا واما الكفرة فانهم حيث خذلهم الله تعالى كما غيروا الجواب
عن الحق الواضح الذي ليس له دافع واصروا وعدلوا بها عن سنن المطابقة للسؤال حيث
قالوا اساطير [illegible] روى ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من
ياتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وامروه بالانصراف وقالوا ان لم
تلقه كان خيرا لك فيقول انا شر وافد ان رجعت الى قومي دون ان استطلع امر محمد واراه
فيلقى اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم فيخبرونه بحقيقة الحال فهم الذين قالوا خيرا للذين
احسنوا اى اعمالهم او فعلوا الاحسان في هذه الدار الدنيا حسنة اى مثوبة حسنة
مكافاة فيها ولدار الاخرة اى مثوبتهم فيها خير مما اوتوا في الدنيا من المثوبة او خير على الاطلاق
فيجوز اسناد الخيرية الى نفس دار الاخرة ولنعم دار المتقين اى دار الاخرة حذفت لدلالة ما
سبق عليه وهذا كلام مبتدأ مدح الله تعالى به المتقين وعد جوابهم المحكي من جملة احسانهم
ووعدهم بذلك ثوابى الدنيا والاخرة فلا محل له من الاعراب او بدل من خيرا ان تبينه ليكون اى
انزل خيرا هو هذا الكلام الجامع [illegible] جنات عدن خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ

جزاء محذوف اى لهم جنات ويجوز ان يكون هو المخصوص بالمدح يدخلونها صفة لجنات على تقدير تنكير عدن
وكذلك تجرى من تحتها الانهار او كلاهما حال على تقدير علميته لهم فيها اى في تلك الجنات ما
يشاؤن الظرف الاول خبر لما والثاني حال [illegible] العائد الاول او متعلق به اى حاصل فيها
ما يشاؤن من انواع المشتهيات وفي تقديمه للاحتراز من توهم تعلقه بالمشية او لما مر مرارا من
ان تاخير ما حقه التقديم يوجب ترقب النفس اليه فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن كذلك
مثل ذلك الجزاء الاوفى يجزى الله المتقين اللام للجنس اى كل من يتقى من الشرك والمعاصي ويدخل
فيه المتقون المذكورون دخولا اوليا ويكون فيه بعث لغيرهم على التقوى او للعهد فيكون فيه
تحسير للكفرة الذين تتوفاهم الملائكة نعت للمتقين وقوله تعالى طيبين طاهرين عن
دنس الظلم لانفسهم حال من الضمير وفايدة الاية الايذان بان ملاك الامر هو التقوى هو الطهارة
عما ذكر الى وقت توفيهم ففيه حث للمؤمنين على الاستمرار على ذلك ولغيرهم على تحصيله وقيل
فرحين طيبي النفوس ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم
بالكلية الى جناب القدس يقولون حال من الملائكة اى قايلين لهم سلام عليكم قال
القرطبي رحمه الله اذا استدعت نفس المؤمن جاءه ملك الموت عليه السلام يقول السلام عليك يا ولي
الله الله تعالى يقرأ عليك السلام ويبشره بالجنة ادخلوا الجنة اللام للعهد اى جنات عدن
الخ ولذلك جردت عن النعت والمراد دخولهم لها وقت ما ذلك بشارة عظيمة وان تراخى
المبشر به لا دخول القبر الذي هو روضة من رياضها اذ ليس في البشارة به مثل ما في البشارة بدخول
نفس الجنة بما كنتم تعملون بسبب ثباتكم على التقوى والطاعة او بالذي كنتم تعملونه من ذلك
وقيل المراد بالتوفي التوفي للحشر لان الامر بالدخول حينئذ يتحقق هل ينظرون اى ما ينتظر كفار مكة
المار ذكرهم الا ان تاتيهم الملائكة لقبض ارواحهم بالعذاب جعلوا منتظرين [illegible] بينهم وبين
انتظاره لا لانه يلحقهم البتة لحوق الامر المنتظر [illegible] بالاسباب الموجبة له المؤدية اليه فكانهم
يقصدون اتيانه ويترصدون لوروده او ياتي امر ربك المعرض لوصف
الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام استعار بان اتيانه لطف به صلى الله عليه وسلم وان كان عذابا
عليهم والمراد بالامر العذاب الدنيوي لا القيامة لكن لا لان انتظارها يجامع انتظار اتيان
الملائكة فلا يلائم العطف باو لانها ليست نصا في العناد اذ يجوز ان يعتبر منع الخلو ويراد
بايرادها كفاية كل واحد من الامرين في عقابهم بل لان قوله تعالى فاصابهم [illegible] ولكن كانوا
انفسهم يظلمون فاصابهم الاية صريح في ان المراد بما اصابهم من العذاب الدنيوي كذلك
اى مثل فعل هؤلاء من الشرك والظلم والتكذيب والاستهزاء فعل الذين خلوا من قبلهم
من الامم وما ظلمهم الله بما سيحل من عذابهم ولكن كانوا بما كانوا [illegible] عليه من
القبائح الموجبة لذلك انفسهم يظلمون كان الظاهر ان يقال ولكن كانوا هم
الظالمين كما في سورة الزخرف لكنه اوثر ما عليه النظم الكريم لافادة ان غائلة ظلمهم آيلة
اليهم وعاقبته مقصورة عليهم مع استلزامه اقتصار ظلم كل احد على نفسه من حيث الوقوع
اقتصاره عليه من حيث الصدور وقد مر تحقيقه في سورة يونس فاصابهم عطف على قوله
فعل الذين من قبلهم وما بينهما اعتراض لبيان ان فعلهم ذلك ظلم لانفسهم سيئات ما .... عملوا

اى اجزية اعمالهم السيئة على طريقة تسمية المسبب باسم سببه ايذانا بفظاعته لا على حذف المضاف فانه يوهم
ان لهم اعمالا غير سيئاتهم وحاق بهم اى احاط بهم من الحيق الذى هو احاطة الشر وهو ابلغ من الاصابة
وافظع ما كانوا به يستهزءون من العذاب وقال الذين اشركوا اى اهل مكة وهو بيان لفن آخر
من كفرهم والعدول عن الاضمار الى الموصول لتقريعهم بما فى حيز الصلة وذمهم بذلك من اول الامر
لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شىء اى لو شاء عدم عبادتنا لشىء غيره كما تقول لما عبدنا ذلك
نحن ولا آباؤنا الذين نقتدى بهم فى ديننا ولا حرمنا من دونه من شىء من السوائب والبحائر
وغيرهما وانما قالوا ذلك تكذيبا للرسول عليه السلام وطعنا فى الرسالة رأسا متمسكين بان ما شاء الله
تعالى يجب وما لم يشأ يمتنع فلو انه شاء ان نوحده ولا نشرك به شيئا ولا نحرم مما حرمنا شيئا كما تقول
الرسل وينقلونه من جهته تعالى لحصل الامر كما شاء من التوحيد ونفى الاشراك وما يتبعهما
وحيث لم يكن كذلك ثبت انه لم يشأ شيئا من ذلك وانما يقوله الرسل من تلقاء انفسهم فاجيب عنه
بقوله عز وجل كذلك اى مثل ذلك الفعل الشنيع فعل الذين من قبلهم من الامم اى اشركوا
بالله وحرموا حله وردوا رسله وجادلوهم بالباطل حين نبهوهم على الخطاء وهدوهم الى الحق فهل
على الرسل الذين يبلغون رسالات الله وعزائم امره ونهيه الا البلاغ المبين اى ليس
وظيفتهم الا تبليغ الرسالة تبليغا واضحا او موضحا وابانة طريق الحق واظهار احكام الوحى
التى من جملتها تحتم تعلق مشيئته تعالى باهتداء من صرف قدرته واختياره الى تحصيل الحق لقوله
تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا واما الجاؤهم الى ذلك وتنفيذ قولهم عليهم شاءوا او ابوا
كما هو مقتضى استدلالهم فليس ذلك من وظيفتهم ولا من الحكمة التى عليها يدور امر
التكليف حتى يستدل بعدم ظهور اثاره على عدم حقية الرسل او على عدم تعلق مشيئته تعالى
بذلك فان ما يترتب عليه الثواب والعقاب من الافعال العبادية لابد فى تعلق مشيئته تعالى
بوقوعه من مباشرتهم الاختيارية وصرف اختيارهم الجزئى الى تحصيله والا لكان الثواب
والعقاب اضطراريين فالفاء للتعليل كانه قيل كذلك فعل اسلافهم وذلك باطل فان
الرسل ليس شأنهم الا التبليغ اوامر الله تعالى ونواهيه لا تحقيق مضمونها او اجراء موجبها على الناس
قسرا والجاء وايراد كلمة على للايذان بانهم فى ذلك مأمورون او بانه يلقونه بحق الناس
عليهم ايفاؤه وبهذا ظهر ان حمل قولهم لو شاء الله الخ على الاستهزاء لا يلائم الجواب والله
اعلم بالصواب ولقد بعثنا فى كل امة رسولا تحقيق لكيفية تعلق مشيئته الله تعالى
بافعال العباد بعد بيان ان الالجاء ليس من وظائف الرسالة ولا من باب المشيئة المتعلقة
بما يدور عليه الثواب والعقاب من الافعال الاختيارية اى بعثنا فى كل امة من الامم
الخالية رسولا خاصا بهم ان اعبدوا الله يجوز ان تكون مفسرة لما فى البعث من معنى القول
وان تكون مصدرية اى بعثنا بان اعبدوا الله وحده واجتنبوا الطاغوت هو الشيطان
وكل ما يدعو الى الضلالة فمنهم اى من تلك الامم والفاء فصيحة اى فبلغوا ما بعثوا به من الامر
بعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت فتفرقوا فمنهم من هدى الله الى الحق الذى هو عبادة
واجتناب الطاغوت بعد صرف قدرتهم واختيارهم الجزئى الى تحصيله ومنهم من حقت عليه
الضلالة اى وجبت وثبتت الى حين الموت لعناده واصراره عليها وعدم صرف قدرته الى

تحصيل الحق وتغيير الاسلوب للاشعار بان ذلك لسوء اختيارهم كقوله تعالى واذا مرضت فهو
يشفين فانه يمكن كل من سبيل الهداية وعدمها الا حسب ما حصل منهم من التوجه الى الحق وعدمه
لا بطريق القسر والالجاء حتى يستدل بعدمهما على عدم تعلق مشيئته تعالى بعبادتهم له تعالى
وحده فسيروا يا معشر قريش فى الارض فانظروا فى اكنافها كيف كان عاقبة المكذبين
من عاد وثمود ومن سار سيرتهم ممن حقت عليه الضلالة لعلكم تعتبرون حين تشاهدون فى منازلهم
وديارهم اثار العذاب والهلاك وترتيب الامر بالسير على الاخبار بثبوت الضلالة عليهم من غير
اخبار بحلول العذاب للايذان بانه غنى عن البيان وان ليس الخبر كالعيان وترتيب النظر على السير
لما انه بعده وان ملاك الامر فى تلك الغاية هو التكذيب والتعلل بانه لو شاء الله ما عبدنا من
دونه من شىء ان تحرص خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وقرئ بفتح الراء وهى لغية على هداهم
اى ان تطلب هدايتهم بجد فان الله لا يهدى من يضل اى فاعلم انه تعالى لا يخلق الهداية
جبرا وقسرا فيمن يخلق فيه الضلالة بسوء اختياره والمراد بهم قريش وانما وضع الموصول موضع الضمير
للتنصيص على انهم ممن حقت عليه الضلالة وللاشعار بعلة الحكم ولا يجوز ان يكون المذكور علة
للجزاء المحذوف اى ان تحرص على هداهم فلست بقادر على ذلك لان الله لا يهدى من يضل
وهؤلاء من جملتهم وقرئ لا يهدى على البناء للمفعول اى لا يقدر احد على هداية من يضله الله
تعالى وقرئ لا يهدى بفتح الهاء وادغام تاء يهتدى فى الدال ويجوز ان يكون يهدى بمعنى
يهتدى وقرئ يضل بفتح الياء وقرئ لا هادى لمن يضل ولمن اضل وما لهم من ناصرين
ينصرونهم فى الهداية او يدفعون العذاب عنهم وصيغة الجمع فى الناصرين باعتبار الجمعية فى المنصورين فان
مقابلة الجمع بالجمع تقتضى انقسام الاحاد الى الاحاد لا لان المراد نفى طائفة من الناصرين من كل منهم
واقسموا بالله شروع فى بيان فن آخر من اباطيلهم وهو انكارهم البعث جهد ايمانهم مصدر
فى موقع الحال اى جاهدين فى ايمانهم لا يبعث الله من يموت ولقد رد الله تعالى عليهم ذلك بقوله الحق ابلغ
بلى اى بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى فان ذلك موعد من الله سبحانه او لمحذوف
اى وعد بذلك وعدا عليه صفة لوعدا اى وعدا ثابتا عليه انجازه لامتناع الخلف فى وعده
او لان البعث من مقتضيات الحكمة حقا صفة اخرى له او نصب على المصدرية اى حق حقا ولكن
اكثر الناس لجهلهم بشئون الله عز شأنه من العلم والقدرة والحكمة ونحوها من صفات الكمال
وبما يجوز عليه وما لا يجوز وعدم وقوفهم على سر التكوين والغاية القصوى منه وعلى ان البعث مما
تقتضيه الحكمة التى جرت عادته سبحانه بمراعاتها لا يعلمون انه يبعثهم فيبتون القول بعدمه
او انه وعد عليه حق فيكذبونه قائلين لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير
الاولين ليبين لهم غاية لما دل عليه بلى من البعث والضمير لمن يموت اذ المبعوثون المؤمنون ايضا فانهم
وان كانوا عالمين بذلك لكنه عند معاينة حقيقة الحال يتضح الامر فيصل علمهم الى مرتبة
عين اليقين اى يبعثهم ليبين لهم بذلك وبما يحصل لهم من مشاهدة الاحوال كما هى ومباديها
بصورها الحقيقية الشأن الذى يختلفون فيه من الحق الشامل لجميع ما خالفوه مما جاء به
الشرع المبين ويدخل فيه البعث دخولا اوليا وليعلم الذين كفروا بالله سبحانه بالاشراك
وانكار البعث وتكذيب وعد الحق انهم كانوا كاذبين فى كل ما يقولون لا سيما فى قولهم

لا يبعث الله من يموت الجبر على الجواب الموصول للدلالة على فخامته وللإشعار بعليته لما ذكر في حيز الصلة
للتبيين وما عطف عليه وجعلهما غاية للبعث المنبأ عنه بالوعد وروده في موقع الرد على الحالفين
وإبطال مقالتهم المعاندة المستدعية للتوقف على منعهم عن الحالة التي هم عليها وإلجائهم إلى الإذعان للحق فإن
الكفرة إذا علموا أن تحقيق البعث إنما كان لتبيين الحق ليعلموا أنهم كاذبون في إنكاره كان
ذلك زاجرا لهم عن إنكاره وداعيا إلى الاعتراف به ضرورة أنه يدل على صدق العزيمة على تحقيقه كما تقول لمن
ينكر أنك تصلي لأصلين رغما لأنفك وإظهارا لكذبك ولأن تكرير الغايات أدل على وقوع الفعل
المغيا بها وإلا فالغاية الأصلية للبعث باعتبار ذاته إنما هو الجزاء الذي هو الغاية القصوى للخلق المغيا
بمعرفته عز وجل وعبادته وإنما لم يذكر ذلك لتكرر ذكره في مواضع أخر وشهرته وإنما لم يدرج علم الكفار
بكذبهم تحت التبيين بأن يقال وأن الذين كفروا كانوا كاذبين بل جيء بصيغة العلم لأن ذلك
ليس مما يتعلق به التبيين الذي هو عبارة عن إظهار ما كان مبهما عن ذلك بأن يخبر به فيختلف فيه كالبعث
الذي نطق به القرآن فاختلف فيه المختلفون وأما كذب الكافرين فليس من هذا القبيل مما يتعلق به
علم وربما حصل لهم من قبل أنفسهم وقد مر تحقيقه في سورة التوبة عند قوله تعالى حتى يتبين لك
الذين صدقوا وإنما خص الإسناد بهم حيث لم يقل ولم يعلموا أن الكافرين الآية لأن علم المؤمنين بذلك
حاصل قبل ذلك أيضا إنما قولنا استئناف لبيان كيفية التكوين على الإطلاق ابتداء أو إعادة
بعد التنبيه على إمكان البعث ومن يظهر كيفيته كما قدر قولنا مبتدأ وقوله لشيء أي شيء كان مما
عز وهان متعلق به على أن اللام للتبليغ كهي في قولك قلت له قم فقام وجعلها الزجاج سببية أي
لأجل شيء وليس بواضح والتعبير عنه بذلك باعتبار وجوده عند تعلق مشيئته تعالى به لا أنه كان شيئا
قبل ذلك إذا أردناه ظرف لقولنا أي وقت إرادتنا لوجوده أن نقول له كن خبر للمبتدأ فيكون
إما عطف على مقدر ينبئ عنه الفاء ويستدعيه الكلام أي فنقول ذلك فيكون كقوله تعالى وإذا قضى
أمرا فإنما يقول له كن فيكون وإما جواب لشرط محذوف أي فإذا قلنا ذلك فهو يكون وليس
هناك قول ولا مقول له ولا آمر ولا مأمور حتى يقال إنه يلزم منه أحد المحالين إما خطاب المعدوم
أو تحصيل الحاصل أو يقال إنه مما يستدعي انحصار قوله تعالى كن ليس يلزم منه انحصار أسباب
التكوين فيه كما يفيده قوله تعالى إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فإن المراد بالأمر هو
الشأن الشامل للقول والفعل ومن ضرورة انحصاره في كلمة كن انحصار أسبابه على الإطلاق وتصويره
فيه بل إنما هو تمثيل لسهولة تأتي المقدورات حسب تعلق مشيئته تعالى بها وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم في
ذلك من طاعة المأمور المطيع لأمر الآمر المطاع فالمعنى إنما إيجاد شيء عند تعلق مشيئتنا به
أن نوجده في أسرع ما يكون ولما عبر عنه بالأمر الذي هو قول مخصوص وجب أن يعبر عن مطلق الإيجاد
بالقول المطلق فتأمل وفي الآية الكريمة من الفخامة والجلالة ما يحار فيه العقول والألباب
وقرئ بنصب يكون عطفا على نقول أو تشبيها بجواب الأمر والذين هاجروا في الله
أي في شأن الله تعالى ورضوانه وفي حقه ولوجهه من بعد ما ظلموا أي لعلهم الذين ظلمهم أهل
مكة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخرجوهم من ديارهم فهاجروا إلى الحبشة ثم
بوأهم الله تعالى المدينة حسبما وعد بقوله سبحانه لنبوئنهم في الدنيا حسنة أي مباءة حسنة
أو تبوئة حسنة كما قال قتادة وهو الأنسب لما هو المشهور من كون السورة غير ثلاث آيات من آخرها

مكية وأما ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما من أنها نزلت في صهيب وبلال وعمار وخباب وعابس وجبير
وأبي جندل بن سهيل أخذهم المشركون فجعلوا يعذبونهم ليردوهم عن الإسلام فأما صهيب فقال
لهم أنا رجل كبير إن كنت معكم لم أنفعكم وإن كنت عليكم لم أضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما
رآه أبو بكر رضي الله عنه قال ربح البيع يا صهيب وقال عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم
يعصه فإنما يناسب ما حكي عن الأصم من كون كل السورة مدنية وأما ما نقل عن قتادة من كون
هذه الآية إلى آخر السورة مدنية فيحمل ما نقلنا عنه من نزول الآية في أصحاب الهجرتين على أن
يكون نزولها بالمدينة بين الهجرتين إنما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم منجاتهم ثلاثا عدة
نظم التنزيل ولأنه الخليل وقرئ لنثوينهم ومعناه أثواه حسنة أو لننزلنهم في الدنيا منزلة
حسنة وهي الغلبة على من ظلمهم من أهل مكة وعلى العرب قاطبة وأهل المشرق والمغرب
كافة ولأجر الآخرة أي أجر أعمالهم المذكورة في الآخرة أكبر مما يعجل لهم في الدنيا وعن عمر رضي الله عنه أنه
كان إذا أعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله تعالى لك فيه هذا ما وعدك الله
تعالى في الدنيا وما ادخر في الآخرة أفضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفرة أي لو علموا أن الله تعالى
يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم في الدين وقيل للمهاجرين أي لو علموا ذلك لزادوا في
اجتهادهم أو لما تألموا لما أصابهم من المهاجرة وشدائدها الذين صبروا على الشدائد من أذية تألموا
الكفار ومفارقة الأهل والوطن وغير ذلك ومحله النصب أو الرفع على المدح وعلى ربهم
خاصة يتوكلون منقطعين إليه تعالى مفوضين إليه الأمر كله والجملة إما
معطوفة على الصلة وتقديم الجار والمجرور للدلالة على قصر التوكل على الله تعالى وصيغة
الاستقبال للدلالة على دوام التوكل أو حال من ضمير صبروا وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا
نوحي إليهم وقرئ بالياء مبنيا للمفعول رد لقول قريش حيث قالوا الله أجل من أن يكون له رسول
من البشر كما هو مبنى قولهم لو شاء الله ما عبدنا الآية أي جرت السنة الإلهية حسبما اقتضته الحكمة
بأن لا يبعث للدعوة العامة إلا بشرا يوحي إليهم بواسطة الملك أوامره ونواهيه ليبلغوها الناس
ولما كان المقصود من الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم تنبيه الكفار على مضمونه صرف الخطاب
إليهم فقيل فاسألوا أهل الذكر أي أهل الكتاب أو علماء الأخبار أو كل من يذكر بعلم وتحقيق
ليعلموكم ذلك إن كنتم لا تعلمون حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه وفيه دلالة على أنه لم يرسل للدعوة
العامة ملكا وقوله تعالى جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا إلى الملائكة وإلى الرسل ولا امرأة ولا
صبيا ولا ينافيه نبوة عيسى عليه السلام وهو في المهد لأنها أعم من الرسالة وفيه إشارة إلى وجوب المراجعة
إلى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر بالمعجزات والكتب والباء متعلقة بمقدر وقع جوابا
عن سؤال من قال بم أرسلوا فقيل أرسلوا بالبينات والزبر أو بأرسلنا داخلا تحت الاستثناء
مع رجالا عند من يجوزه أي وما أرسلنا إلا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت إلا زيدا بالسوط
أو على نية التقديم قبل أداة الاستثناء أي وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر إلا رجالا ولا
عند من يجوز تأخر صلة ما قبل إلا إلى ما بعده أو بما وقع صفة للمستثنى أي رجالا ملتبسين
بالبينات أو بنوحي على المفعولية أو الحالية من القائم مقام فاعله على وجه وهو إليهم على أن قوله
تعالى فاسألوا اعتراض أو بقوله لا تعلمون على أن الشرط للتبكيت كقول الأجير إن كنت عملت لك

فاعطفه حتى وانزلنا اليك الذكر اى القرآن وانما سمى به لانه تذكير وتنبيه للغافلين لتبين للناس
كافة ويدخل فيهم اهل مكة دخولا اوليا ما نزل اليهم في ذلك الذكر من الاحكام والشرايع وغير
ذلك من احوال القرون المهلكة بافانين العذاب حسب اعمالهم الموجبة لذلك على وجه التفصيل
بيانا شافيا كما ينبئ عنه صيغة التفعيل في الفعلين لاسيما بعد ورود الثاني اولا على صيغة
الافعال ولعل ان التبيين اعم من التصريح ومن الاشارة الى ما يدل عليه دخل تحت القياس على الاطلاق
سواء كان في الاحكام الشرعية او غيرها ولعل تو لعلهم يتفكرون اشارة الى ذلك
اى ارادة ان يتاملوا فيتنبهوا للحقايق وما فيها من العبر ويحترزوا عما يؤدى الى مثل ما اصاب
الاولين من العذاب افامن الذين مكروا السيئات هم اهل مكة الذين مكروا برسول الله صلى الله
عليه وسلم وراموا صد اصحابه عن الايمان عليهم الصلوة لا الذين احتالوا لهلاك الانبياء كما
قيل ولا من هو اعم منهم فان المراد تحذيرهم عن اصابة مثل ما اصاب اوليك من فنون
العذاب المعدودة والسيئات نعت لمصدر محذوف اى مكروا المكرات السيئات التي قصت عنهم
او مفعول به للفعل المذكور على تضمينه معنى العمل اى عملوا السيئات فقوله تعالى ان يخسف الله
بهم الارض مفعول لامن او السيئات صفة لما هو المفعول اى امنوا العقوبات السيئة
وقوله ان يخسف الخ بدل من ذلك والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم
اى انزلنا اليك الذكر لتبين لهم مضمون الذى من جملته انباء الامم المهلكة بفنون العذاب ويتفكروا
في ذلك اتم تفكر فامن الذين مكروا السيئات ان يخسف بهم الارض كما فعل بقارون على توجيه
الانكار الى المعطوفين معا او اتفكروا فامنوا على توجيهه الى المعطوف على ان الامن بعد التفكر مما لا
يكاد يصدر عن احد وقيل هو عطف على مقدر ينبئ عنه الصلة اى امكروا فامن الذين مكروا الخ او ياتيهم العذا
ب من حيث لا يشعرون باتيانه اى في حال غفلتهم او من مامنهم ومن حيث يرجوا اتيان ما يشتهون
كما فعل بمن سلف من الامم المهلكة او ياخذهم في تقلبهم اى في حال تقلبهم في مسايرهم ومتاجرهم
فما هم بمعجزين بممتنعين او فايتين بالهرب والفرار على ما يوهمه حال التقلب والسير والفا
لتعليل الاخذ او لترتيب عدم الاعجاز عليه لا لما اشتهرت ونطاهت حسبما قال صلى الله عليه وسلم
ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته وايراد الجملة الاسمية للدلالة على دوام النفي لا لنفي الدوام
او ياخذهم على تخوف اى مخافة وحذر عن الهلاك والعذاب بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا
فياخذهم العذاب وهم متخوفون وحيث كانت حالتا التقلب والتخوف مظنة للهرب عن
اماكن العذاب فيه بالاخذ وعن اصابته حال الغفلة المنبئة عن السكون بالاتيان وقيل التخوف
التنقص قال قايلهم تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن اى ياخذهم على ان
ينتقصهم شيئا في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا والمراد بذكر الاحوال الثلاث بيان قدرة الله تعالى على
اهلاكهم باى وجه كان لا الحصر فيها فان ربكم لرؤف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة ويحلم عنكم
مع استحقاقكم لها اولم يروا استفهام انكارى وقرئ على صيغة الخطاب والواو للعطف على مقدر
يقتضيه المقام اى الم ينظروا ولم يروا متوجهين الى ما خلق الله من شيء اى من كل شيء يتفيؤ ظلاله
اى ترجع شيئا فشيئا حسبما تقتضيه ارادة الخالق تعالى فان التفيؤ مطاوع الافاءة وقرئ بالتاء
الفعل عن اليمين والشمائل اى الم يروا الى الاشياء التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمايلها اى

ما

بعد شيء

جانبى كل واحد منها استعير لهما ذلك من يمين الانسان وشماله سجدا لله حال من الظلال كقوله تعالى
وظلالهم بالغدو والاصال والمراد بسجودها تصرفها على مشية الله سبحانه وتاتيها لارادته
تعالى في الامتداد والتقلص وغيرهما غير ممتنعة عليه فيما سخرها له وقوله تعالى وهم داخرون اى صاغرون
منقادون حال من الضمير في ظلاله والجمع باعتبار المعنى وايراد الصيغة الخاصة بالعقلاء لما ان
الدخور من خصائصهم والمعنى ترجع الظلال من جانب الى جانب بارتفاع الشمس وانحدارها او
باختلاف مشارقها ومغاربها فان لكل يوم من ايام السنة مشرقا ومغربا على حدة من المدارات اليومية
بتقديره العليم منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد
والجمادات اصحابها من الاجرام داخرة منقادة لحكمه تعالى ووصفها بالدخور مغن عن وصف
ظلالها به او كلاهما حال من الضمير المشار اليه والمعنى ترجع ظلال تلك الاجرام حال كونها منقادة
لله تعالى داخرة فوصفها به مغن عن وصف ظلالها به ولعل المراد بالموصول الجمادات
من الجبال والاشجار والاحجار التي لا يظهر لظلالها اثر سوى التفيؤ بما ذكر من ارتفاع الشمس
وانحدارها او اختلاف مشارقها ومغاربها واما الحيوان فظلاله تتحرك وقيل المراد باليمين
والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب منه تظهر اخذة في الارتفاع والسطوع
وشماله وهو جانبه الغربي المقابل له فان الظلال في اول النهار تبتدى من الشرق واقعة على الربع الغربي
من الارض وعند الزوال تبتدى من الغرب واقعة على الربع الشرقي منها وبعدما بين سجود الظلال
واصحابها من الاجرام السفلية الثابتة في احيانها ودخورها له سبحانه وتعالى شرع في بيان
سجود المخلوقات المتحركة بالارادة سواء كانت لها ظلال او لا فقيل ولله يسجد اى له تعالى وحده يخضع
وينقاد لا لشيء غيره استقلالا او اشتراكا فالقصر ينتظم القلب والافراد الا ان الانسب بحال المخاطبين
قصر الافراد كما يؤذن به قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ما في السموات وما في الارض
كاينا ما كان من دابة بيان لما في الارض وتقديم لقلته وبلا يقع بين المبين والمبين فصل والافراد
مع ان المراد الجمع لافادة وضوح شمول السجود لكل فرد من الدواب قال الاخفش هو كقولك ما اتانى
من رجل مثله وما اتانى من الرجال مثله والملايكة عطف على ما في السموات عطف جبريل على الملايكة
تعظيما واجلالا او على ان يراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح او يراد به ملايكة السموات
وبقوله والملايكة ملايكة الارض من الحفظة وغيرهم وهم اى الملايكة مع علو شانهم لا يستكبرون
عن عبادته عز وجل والسجود له وتقديم الضمير ليس للقصر والجملة اما حال من ضمير الفاعل في يسجد
مسند الى الملايكة او استيناف اخبر عنهم بذلك يخافون ربهم اى مالك امرهم وفيه تربية المهابة
واشعار بعلة الحكم من فوقهم اى يخافونه عز وجل خوف هيبة واجلال وهو فوقهم بالقهر
كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده او يخافون ان يرسل عذابا من فوقهم والجملة حال
من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من خاف الله سبحانه لا يستكبر عن عبادته
ويفعلون ما يؤمرون اى ما يؤمرون به من الطاعات والتدبيرات وايراد الفعل مبنيا للمفعول
جرى على سنن الجلالة وايذان بعدم الحاجة الى التصريح بالفاعل لاستحالة استناده الى غيره
سبحانه وفيه ان الملايكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وبعدما بين ان جميع الموجودات
يخضعون الخضوع والانقياد الطبيعي وما يجرى مجراه من عبادة الملايكة حيث لا يعصون عدم

الاثنينية اصلا تعالى الله عن ذلك وجل اردف ذلك حكاية نهيه سبحانه وتعالى للمكلفين عن الاشراك فقيل
وقال الله عطفا على قوله ولله يسجد واظهار الفاعل وتخصيص لفظ الجلالة بالذكر للايذان
بانه متعين للالوهية وانما المنهي عنه هو الاشراك به لا ان المنهي عنه مطلق اتخاذ الهين بحيث يتحقق
الانتهاء عنه برفضهما كان اي قال تعالى لجميع المكلفين لا تتخذوا الهين اثنين وانما ذكر
العدد مع ان صيغة التثنية مغنية عن ذلك دلالة على ان مساق النهي هي الاثنينية وانها منافية
للالوهية كما انه وصف الاله بالوحدة في قوله تعالى انما هو اله واحد للدلالة على ان المقصود اثبات
الوحدانية وانها من لوازم الالهية واما الالهية فامر مسلم الثبوت له سبحانه واليه اشير
اسناد القول وهذا التفات من التكلم الى الغيبة على ما رأى من اكتفى في تحقق الالتفات بكون اليه
الاسلوب الملتفت عنه حق الكلام ولم يشترط سبق الذكر على ذلك الوجه فاياي فارهبون
التفات من الغيبة الى التكلم لتربية المهابة والقاء الرهبة في القلوب ولذلك قدم المفعول
وكرر الفعل اي ان كنتم راهبين شيئا فاياي ارهبوا فارهبون لا غير فاني ذلك الواحد الذي
يسجد له ما في السموات والارض وله ما في السموات والارض خلقا وملكا تقرير لعلة انقياد
ما فيهما له سبحانه خاصة وتحقيق لتخصيص الرهبة به وتقديم الظرف لتقوية ما في اللام من معنى
الاختصاص وكذلك قوله وله الدين اي الطاعة والانقياد واصبا اي واجبا ثابتا
لا زوال له لما تقرر انه الاله وحده الحقيق بان يرهب وقيل واصبا من الوصب اي وله الدين ذا كلفة
وقيل الدين الجزاء اي وله الجزاء الدائم بحيث لا ينقطع ثوابه لمن امن وعقابه لمن كفر افغير الله
تتقون الهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه السياق اي اعقيب تقرر ما
الشؤون المذكورة من تخصيص جميع الموجودات السجود به تعالى وكون ذلك كله له ونهيه عن
اتخاذ الالهة وكون الدين له واصبا المستدعي ذلك لتخصيص التقوى به سبحانه غير الله
الذي هو ما ذكر تتقون فتطيعون وما بكم من نعمة اي اي شيء يلابسكم ويصاحبكم من نعمة اية نعمة
كانت فمن الله فما شرطية او موصولة متضمنة لمعنى الشرط باعتبار الاخبار دون
الحصول فان ملابسة النعم بهم سبب للاخبار بانها منه تعالى لا لكونها منه تعالى ثم اذا مسكم
الضر مساسا يسيرا فاليه تجأرون تتضرعون في كشفه لا الى غيره والجؤار رفع الصوت بالدعاء
والاستغاثة قال الاعشى يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا وفي
تجأرون بطرح المفعول والقاعدة الى ما فيها ما في ذكر المساس المنبي عن ادنى اصابة وايراده
بالجملة الفعلية المعربة عن الحدوث مع ثم الدالة على وقوعه بعد برهة من الدهر وتحلية الضر
بلام الجنس المفيدة لمساس ادنى ما ينطلق عليه اسم الجنس مع ايراد النعم بالجملة الاسمية الدالة
على الدوام والتعبير عن ملابستها للمخاطبين بالمصاحبة وايراد ما المعربة عن العموم ما لا يخفى من
الجزالة والفخامة ولعل ايراد اذا دون ان للتوسل به الى تحقق وقوع الجواب ثم اذا كشف
الضر عنكم وقرئ كاشف الضر كلمة ثم ليست للدلالة على تمادي زمان مساس الضر ووقوع الكشف
بعد برهة مديدة بل للدلالة على تراخي رتبة ما ترتب عليه من مفاجأة الاشراك المدلول عليها بقوله
سبحانه اذا فريق منكم بربهم يشركون فان ترتبها على ذلك في ابعد غاية من الضلال ثم ان
وجه الخطاب الى الناس جميعا فمن للتبعيض والفريق فريق الكفرة وان وجه الى الكفرة فمن

للبيان كانه قيل اذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر وانزجر كقوله تعالى فلما
نجاهم الى البر فمنهم مقتصد من بعضهم ايضا والتعرض لوصف الربوبية للايذان بكمال قبح
ما ارتكبوه من الاشراك والكفران ليكفروا بما اتيناهم من نعمة الكشف عنهم جعلوا غرضهم
في الشرك كفران النعمة وانكار كونها من الله عز وجل فتمتعوا امر تهديد والالتفات الى
الخطاب للايذان بتناهي السخط وقرئ بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا على ان يكون كفران
النعمة والتمتع غرضا لهم من الاشراك ويجوز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد فسوف تعلمون
عاقبة امركم وما ينزل بكم من العذاب وفيه وعيد اكيد منبئ عن اخذ شديد حيث لم يذكر المفعول
اشعارا بانه مما لا يوصف ويجعلون لعله عطف على ما سبق بحسب المعنى تعدادا لجناياتهم
اي يفعلون ما يفعلون من الجؤار الى الله تعالى عند مساس الضر ومن الاشراك به عند
كشفه لما لا يعلمون حقيقته وقدره الخسيس من الجمادات التي يتخذونها شركاء له سبحانه اي لما لا يعلمون ع
جهالة وسفاهة ويزعمون انها تنفعهم وتشفع لهم على ان ما موصولة والعائد اليها محذوف او لما
لا علم له اصلا وليس من شانه ذلك فما موصولة ايضا والعائد اليها ما في الفعل من الضمير المستكن
وصيغة جمع العقلاء لكونها عبارة عن الهتهم التي وصفوها بصفات العقلاء او مصدرية
واللام للتعليل اي لعدم علمهم والمجعول له محذوف للعلم بمكانه نصيبا مما رزقناهم من الزرع
والانعام وغيرهما تقربا اليها تالله لتسألن سؤال توبيخ وتقريع عما كنتم تفترون في الدنيا
بانها الهة حقيقة بان يتقرب اليها وفي تصدير الجملة بالقسم وصرف الكلام من الغيبة الى
الخطاب المنبئ عن كمال الغضب من شدة الوعيد ما لا يخفى ويجعلون لله البنات هم خزاعة
وكنانة الذين يقولون الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه وتقديس له عز وجل عن مضمون
قولهم ذلك او تعجب من جراءتهم على التفوه بمثل تلك العظيمة ولهم ما يشتهون من البنين ما مرفوع
المحل على انه مبتدا والظرف المقدم خبره والجملة حالية وسبحانه اعتراض في حاق موقعه وجعله منصوبا
بالعطف على البنات اي يجعلون لانفسهم ما يشتهون من البنين يؤدي الى جعل الجعل بمعنى يعم الزعم
والاختيار واذا بشر احدهم بالانثى اي اخبر بولادتها ظل وجهه اي صار ودام النهار كله
مسودا من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير وهو
كظيم ممتلئ حنقا وغيظا يتوارى يستخفي من القوم من سوء ما بشر به من اجل سوءه والتعبير
عنها بما لاسقاطها عن درجة العقلاء ايمسكه اي مترددا في امره محدثا نفسه في شانها ايمسكه
على هون ذل وقرئ هوان ام يدسه يخفيه في التراب بالوأد والتذكير باعتبار لفظها وقرئ
بالتانيث الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون ما هذا شانه عندهم من الهون والحقارة لله المتعالي
عن الصاحبة والولد والحال انهم يتحاشون عنه ويختارون لانفسهم البنين فمدار الخطا
جعلهم ذلك لله سبحانه مع اباءهم اياه لا جعلهم البنين لانفسهم ولا عدم جعلهم له سبحانه
ويجوز ان يكون مداره التعكيس كقوله تعالى تلك اذا قسمة ضيزى للذين لا يؤمنون بالاخرة
ممن ذكرت قبائحهم مثل السوء صفة السوء الذي هو كالمثل في القبح وهي الحاجة الى الولد
ليقوم مقامهم عند موتهم وايثار الذكور للاستظهار بهم ووأد البنات لدفع العار وخشية
الاملاق المنادي كل ذلك بالعجز والقصور والشح البالغ ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار

يا ان مدار اتصافهم بتلك القبائح هو الكفر بالآخرة ولله سبحانه وتعالى المثل الاعلى اى الصفة
العجيبة الشان التى هى مثل فى العلو مطلقا وهو الوجوب الذاتى والغنى المطلق والجود
الواسع والنزاهة عن صفات المخلوقين ويدخل فيه علوه تعالى عما قالوه علوا كبيرا وهو
العزيز المتفرد بكمال القدرة لا سيما على مواخذتهم بذنوبهم الحكيم الذى يفعل كل ما يفعل بمقتضى
الحكمة البالغة وهذا ايضا من جملة صفاته العجيبة تعالى ولو يواخذ الله الناس الكفار
بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم التى من جملتها ما عدد من قبائحهم وهذا تصريح بما افاده قوله تعالى وهو
العزيز الحكيم وايذان بان ما اتوه من القبائح قد تناهى الى امد لا غاية وراءه ما ترك عليها اى
الارض المدلول عليها بالناس وبقوله تعالى من دابة اى ما ترك عليها شيئا من دابة قط بل اهلكها
بالمرة بشوم ظلم الظالمين كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وعن
ابى هريرة رضه انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله ان الحبارى لتموت
فى وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضه كاد الجعل يهلك فى جحره بذنب ابن ادم
او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الآباء لم يكن الابناء فيلزم ان لا يكون فى الارض دابة
لانها مخلوقة لمنافع البشر لقوله سبحانه هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ولكن لا
يواخذهم بذلك بل يوخرهم الى اجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم كى يتوالدوا ويكثر عذابهم فاذا
جاء اجلهم المسمى لا يستاخرون عن ذلك الاجل اى لا يتاخرون وصيغة الاستفعال
للاشعار بعجزهم عنه مع طلبهم له ساعة فذة وهى مثل فى قلة المدة ولا يستقدمون اى لا
يتقدمون وانما تعرض لذكره مع انه لا يتصور الاستقدام عند مجىء الاجل مبالغة فى بيان عدم الاستئخار
بنظمه فى سلك ما يمتنع كما فى قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت
قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافرا مع ظهور ان لا توبة له
قد نظم فى سمط من لم يقبل توبته للايذان بانهما سيان فى ذلك وقد مر فى تفسير سورة يونس ويجعلون
لله اى يثبتون له سبحانه وينسبون اليه فى زعمهم ما يكرهون لانفسهم مما ذكر وهو تكرير لما
سبق تثنية للتقريع وتوطئة لقوله تعالى وتصف السنتهم الكذب اى يجعلون له تعالى
ما يجعلون ومع ذلك تصف السنتهم الكذب وهو ان لهم الحسنى اى العاقبة الحسنى عند الله
تعالى كقوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقرئ الكذب وهو جمع كذوب على انه
صفة الالسنة لا جرم رد لكلامهم واثبات لنقيضه اى حقا ان لهم مكان ما املوا من
الحسنى النار التى ليس وراء عذابها عذاب وهى علم فى السوأى وانهم مفرطون اى مقدمون
اليها من افرطته اى قدمته فى طلب الماء وقيل منسيون من افرطت فلانا خلفى اذا خلفته ونسيته
وقرئ بالتشديد وفتح الراء من فرطته فى طلب الماء وبكسر الراء المشددة من التفريط فى الطاعات
وبكسر المخففة من الافراط فى المعاصى فلا يكون حينئذ من احوالهم الاخروية كما عطف عليه تالله
لقد ارسلنا الى امم من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يناله من جهالات الكفرة
ووعيد لهم على ذلك اى ارسلنا اليهم رسلا فدعوهم الى الحق فلم يجيبوا الى ذلك فزين لهم
الشيطان اعمالهم القبيحة فعكفوا عليها مصرين فهو وليهم اى قرينهم وبئس القرين اليوم
اى يوم زين لهم الشيطان اعمالهم فيه على طريقة حكاية الحال الماضية او فى الدنيا او يوم القيمة

على طريقة حكاية الحال الآتية وهى حالة كونهم معذبين فى النار والولى بمعنى الناصر اى فهو ناصرهم اليوم
لا ناصر لهم غيره مبالغة فى نفى الناصر عنهم ويجوز ان يكون الضمير عائدا الى مشركى قريش والمعنى زين
للامم السالفة اعمالهم فهو ولى هولاء لانهم منهم وان يكون على حذف المضاف اى ولى امثالهم
ولهم فى الآخرة عذاب اليم هو عذاب النار وما انزلنا عليك الكتاب اى القرآن الا
لتبين استثناء مفرغ من اعم العلل اى ما انزلناه عليك لعلة من العلل الا لتبين لهم اى للناس
الذى اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحكام الافعال واحوال المعاد وهدى ورحمة
معطوفان على محل لتبين اى وللهداية والرحمة لقوم يومنون وانما انتصبا لكونهما اثرى فاعل
الفعل المعلل بخلاف التبيين حيث لم ينتصب لفقدان شرطه ولعل تقديمه عليهما لتقدمه فى
الوجود وتخصيص كونهما هدى ورحمة بالمومنين لانهم المغتنمون آثاره والله انزل من السماء
من السحاب او من جانب السماء حسبما مر وهذا تكرير لما سبق تاكيدا لمضمونه وتوطئة لما يعقبه
من ادلة التوحيد ماء نوعا خاصا من الماء هو المطر وتقديم المجرور على المنصوب لما مر مرارا من
التشويق الى المؤخر فاحيا به الارض بما انبت به فيها من انواع النباتات بعد موتها اى بعد
يبسها وما يفيده الفاء من التعقيب العادى لا ينافيه ما بينهما من المهلة ان فى
ذلك اى فى انزال الماء من السماء واحياء الارض الميتة به لآية واية آية دالة على وحدته سبحانه
وعلمه وقدرته وحكمته لقوم يسمعون هذا التذكير ونظائره سماع تفكر وتدبر فكان من
ليس كذلك اصم وان لكم فى الانعام لعبرة عظيمة واى عبرة يحار فى دركها العقول ويهيم فى
مهامها الباب الفحول نسقيكم استئناف لبيان ما ابهم اولا من العبرة مما فى بطونه اى بطون الانعام
والتذكير هنا لمراعاة جانب اللفظ فانه اسم جمع ولذلك عده سيبويه فى المفردات المبنية على افعال
كاكياش واخلاق كما ان تانيثه فى سورة المومنين لرعاية جانب المعنى ومن جعله جمع نعم
جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها لا لجميعها او له على المعنى فان المراد به الجنس وقرئ بفتح النون
ههنا وفى سورة المومنين من بين فرث ودم لبنا الفرث فضالة ما يبقى من العلف فى الكرش
المنهضمة بعضا لا انهضام وكيفيه ما يروى انها وعن ابن عباس رضه ان البهيمة اذا اعتلفت
وانطبخ العلف فى كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعل المراد به ان
اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذى يغذو البدن لان عدم تكونهما فى الكرش
مما لا ريب فيه بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم فى الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث
ثم يمسكها ريثما يهضمها فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما
زاد على قدر الحاجة من المرتين الصفراء والسوداء وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال
ثم توزع الباقى على الاعضاء بحسبها فتجرى على كل حقه على ما يليق به بتقدير العزيز الحكيم ثم ان
كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع
الزائد اولا لاجل الجنين الى الرحم فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيض
لمجاورة لحومها الغددية البيض فيطيب طعمه فيصير لبنا ومن تدبر فى بدائع صنع الله تعالى فيما ذكر من
الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها وتسخير القوى المتصرفة فيها
كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاعتراف بكمال علمه وقدرته وحكمته وتناهى رافته ورحمته

الا لبيت بعضه لما ان اللبن بعضه مما في بطونه لانه مخلوق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة
التي في الفرث حسبما فصل والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم
مبدا الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم وتقديمها على المفعول لما مر مرارا من ان تقديم ما حقه
التاخير يبعث للنفس شوقا الى المؤخر موجبا لفضل تمكنه عند وروده عليها لاسيما اذا كان
المقدم متضمنا لوصف مناف لوصف المؤخر كالذي نحن فيه فان بين وصفي المقدم والمؤخر
تنافيا وتباينا بحيث لا يتراءى نارا هما فان ذلك مما يزيد الشوق والاستشراف الى المؤخر كما في
قوله تعالى هو الذي اخرج لكم من الشجر الاخضر نارا او حال من لبنا قدم عليه لتنكيره وللتنبيه على
انه موضع العبرة خالصا عن شائبة ما في الدم والفرث من الاوصاف ببرزخ من القدرة القاهرة
الحاجزة عن بغي احدهما عليه كونهما مكتنفين له سائغا للشاربين سهل المرور في حلقهم قيل
لم يغص احد باللبن وقرئ سيغا بالتشديد وبالتخفيف كهين وهين ومن ثمرات النخيل
والاعناب متعلق بما يدل عليه الاسقاء من مطلق الاطعام المنتظم لاعطاء المطعوم والمشروب
فان اللبن مطعوم كما انه مشروب اي ونطعمكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرهما وقوله
تعالى تتخذون منه سكرا استيناف لبيان كنه الاطعام وكشفه او بقوله تتخذون منه وتكرير
الظرف للتاكيد او خبر لمبتدا محذوف صفته تتخذون اي ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون
منه وحذف الموصوف اذا كان في الكلام كلمة من شائع نحو قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم
وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف اعني العصير او لان المراد هو الجنس والسكر
مصدر سمي به الخمر وقيل هو النبيذ وقيل هو الطعم ورزقا حسنا كالتمر والدبس والزبيب
والخل والاية ان كانت سابقة النزول على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب
والمنة ان في ذلك لاية باهرة لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في الايات بالنظر والتامل
واوحى ربك الى النحل اي الهمها وقذف في قلوبها وعلمها بوجه لا يعلمه الا العليم الخبير وقرئ مفسرة و
بفتحتين ان اتخذي اي بان اتخذي على ان ان مصدرية ويجوز ان يكون ان مفسرة لان في الايحاء معنى
القول وتانيث الضمير مع ان النحل مذكر للحمل على المعنى او لانه جمع نحلة والتانيث لغة اهل
الحجاز من الجبال بيوتا اوكارا تاوي اليها مع ما فيها من الخلايا وقرئ بيوتا بكسر الباء ومن الشجر
ومما يعرشون اي يرفعه الناس اي يرفعه من كرم او سقف وقيل المراد به ما يرفعه
الناس ويبنونه للنحل والمعنى اتخذي لنفسك بيوتا من الجبال والشجر اذا لم يكن لك ارباب
والا فاتخذي ما يعرشونه لك وايراد حرف التبعيض لما انها لا تبنى في كل جبل وكل
شجر وكل عرش ولا في كل مكان منها ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهينها حلوها
ومرها فاسلكي ما اكلت منها سبل ربك اي مسالكه التي يحيل فيها بقدرته
القاهرة النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي
راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول وهو حال من السبل
اي مذللة غير متوعرة ذللها الله سبحانه وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي اسلكي منقادة
لما امرت يخرج من بطونها استيناف عدل به عن خطاب النحل لبيان ما يظهر منها من تعاجيب
صنع الله تعالى التي هي موضع العبرة بعدما امرت بما امرت شراب اي عسل لانه مشروب واحتج

سيرتهم كانه مجازية بحال اهل تلك القرية حذو القذة بالقذة من غير تفاوت بينهما ولو
في خصلة منه كيف لا وقد كانوا في حرم امن ويتخطف الناس من حولهم وما يمر ببالهم طيف من
الخوف وكانت يجبى اليه ثمرات كل شيء ولقد جاءهم رسول منهم واي رسول يحار في ادراك سمو رتبته
العقول صلى الله عليه وسلم ما اختلف الدبور والقبول فكفروا بانعم الله وكذبوا رسوله صلى
الله عليه وسلم فاذاقهم الله لباس الجوع والخوف حيث اصابهم بدعائه عليه السلام بقوله اللهم اعني
عليهم بسبع كسبع يوسف ما اصابهم من جدب شديد وان قحطت كل شيء حتى اضطرتهم
الى اكل الجيف والكلاب الميتة والعظام المحرقة والعلهز وهو الوبر المعالج بالدم وقد
ضاقت عليهم الارض بما رحبت من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كانوا يغزون على مواشيهم
وعيرهم وقوافلهم ثم اخذهم يوم بدر ما اخذهم من العذاب هذا هو الذي يقتضيه المقام ويستدعيه
حسن النظام واما ما اجمع عليه اكثر اهل التفسير الصرف قوله تعالى ولقد جاءهم الى اهل مكة
قد ذكر حالهم صريحا بعد ما ذكر مثلهم وان المراد بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وبالعذاب ما
اصابهم من الجدب ووقعة بدر فيتراءى من التحقيق كيف لا وقوله سبحانه فكلوا مما رزقكم
الله متفرع على نتيجة التمثيل وصد لهم عما يؤدي الى مثل ما فيه والمعنى واذ قد استبان لكم
مال من كفر بانعم الله وكذب رسوله وما حل بهم بسبب ذلك من اللتيا والتي اولا واخرا
فانتهوا عما انتم عليه من كفران النعم وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم كيلا يحل بكم مثل ما حل بهم
واعرفوا حق نعم الله تعالى واطيعوا رسوله صلى الله عليه وسلم في امره ونهيه وكلوا من رزق
الله حال كونه حلالا طيبا وذروا ما تفترون من تحريم البحاير ونحوها واشكروا نعمة
الله واعرفوا حقها ولا تقابلوها بالكفران والفاء في المعنى داخلة على الامر بالشكر وانما
ادخلت على الامر بالاكل لكون الاكل ذريعة الى الشكر فكانه قيل فاشكروا نعمة الله غب
اكلها حلالا طيبا وقد ادمج فيه النهي عن زعم الحرمة ولا ريب في ان هذا انما يتصور
حين كان العذاب المستاصل متوقعا بعد وقد تمهدت مباديه وبعدما وقع ما وقع حتى
نعى الذي يحذر ويتقى الذي يؤمر بالاكل والشكر وحمل قوله تعالى فاخذهم العذاب
وهم ظالمون على الاخبار بذلك قبل الوقوع يأباه التصدي لاستصلاحهم بالامر والنهي وتوجيه
خطاب الامر بالاكل الى المؤمنين مع ان ما يتلوه من خطاب النهي متوجه الى الكفار كما
فعله الواحدي حيث قال فكلوا انتم يا معشر المؤمنين مما رزقكم الله من الغنائم مما لا يليق بشان
التنزيل الجليل ان كنتم اياه تعبدون اي تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة
الالهة عبادته تعالى انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به تفصيل الحل
ما امرهم باكله ما لتهم اي انما حرم هذه الاشياء دون ما تزعمون حرمته من البحاير والسوايب
ونحوها فمن اضطر بما اعتراه من الضرورة فتناول شيئا من ذلك غير باغ اي على مضطر اخر
ولا عاد اي متجاوز قدر الضرورة فان الله غفور رحيم اي لا يؤاخذه بذلك فاقيم سببه
مقامه وفي التعرض لوصف الربوبية ايماء الى علة الحكم وفي الاضافة الى ضميره عليه السلام اظهار
لكمال اللطف به عليه السلام تصديه لحله بما يحصر المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما ضم اليه كالسباع
والحمر الاهلية ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال ولا تقولوا لما

تصف ألسنتكم الكذب اللام صلة مثلها في قوله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات اي لا تقولوا
في شأن ما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا
ومحرم على ازواجنا من غير ترتب ذلك الوصف على ملاحظة وفكر فضلا عن استناده الى وحي او قياس
مبني عليه الكذب منتصب بلا تقولوا وقوله تعالى هذا حلال وهذا حرام بدل منه او
متعلق بتصف على ارادة القول اي لا تقولوا لما تصف ألسنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام
وان يكون القول المقدر حالا من الألسنة اي قائلة هذا حلال الخ ويجوز ان ينتصب بتصف ويتعلق هذا
حلال الخ بلا تقولوا واللام للتعليل وما مصدرية اي لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام
لوصف ألسنتكم الكذب اي لا تحللوا ولا تحرموا لمجرد وصف ألسنتكم الكذب وتصويرها له بصورة
مستحسنة وتزيينها له في المسامع كأن ألسنتهم لكونها منشأ للكذب ومنبعا للزور شخص عالم
بكنهه ومحيط بحقيقته يصفه للناس ويعرفه اوضح وصف وابين تعريف على طريقة الاستعارة
بالكناية كما يقال وجهه يصف الجمال وعينه تصف السحر وقرئ بالجر صفة لما مع مدخولها كأنه قيل لوصفها
الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة
وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للألسنة وبالنصب على الشتم او بمعنى الكلم الكواذب
او هو جمع الكذاب من قولهم كذب كذابا ذكره ابن جني لتفتروا على الله الكذب فان مدار
الحل والحرمة ليس الا امر الله تعالى فالحكم بالحل والحرمة اسناد للتحليل والتحريم الى الله سبحانه
من غير ان يكون ذلك منه واللام لام العاقبة ان الذين يفترون على الله الكذب
في امر من الامور لا يفلحون لا يفوزون بمطالبهم التي ارتكبوا الافتراء للفوز بها متاع قليل
خبر مبتدأ محذوف اي منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة ولهم في الآخرة
عذاب اليم لا يكتنه كنهه وعلى الذين هادوا خاصة دون غيرهم من الاولين والآخرين
حرمنا ما قصصنا عليك اي بقوله تعالى حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم
شحومهما الآية من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا وهو تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل
بابطال ما يخالفه من فرية اليهود وتكذيب لهم في ذلك فانهم كانوا يقولون لسنا اول من حرمت
عليه وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا وما ظلمناهم بذلك
التحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه حسبما نعى عليهم قوله تعالى
فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الآية ولقد ألقمهم الحجر قوله تعالى كل
الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فأتوا بالتورية
فاتلوها ان كنتم صادقين روي انه عليه السلام لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا
التورية كيف لا وقد بين فيها ان تحريم ما حرم عليهم من الطيبات لظلمهم وبغيهم عقوبة
وتشديدا اوضح بيان وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم ثم ان ربك للذين
عملوا السوء بجهالة اي بسبب جهالة او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر
في العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله تعالى وغيره ثم تابوا من بعد ذلك
اي من بعد ما عملوا والتصريح به مع دلالة ثم عليه للتأكيد والمبالغة واصلحوا اي اصلحوا اعمالهم
او دخلوا في الصلاح ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم

والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب وقوله تعالى ملكا يحتمل ان يكون حالا من
رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا في قوله تعالى ابعث الله بشرا رسولا والاول اولى
قل لهم ثانيا من جهتك بعد ما قلت لهم من قبلنا ما قلت وبينت لهم ما يقتضيه الحكمة في البعثة
ولم يرفعوا اليه رأسا كفى بالله وحده شهيدا على اني اديت ما علي من مواجب الرسالة اكمل اداء
وانكم فعلتم ما فعلتم من التكذيب والعناد وتوجيه الشهادة الى الكون على اكمل رسولا باظهار المعجزة
على وفق دعواه كما اخبر الله عنه قوله تعالى بيني وبينكم وما بعده من التعليل فانه لم يقل
بيننا تحقيقا للمفارقة وابانة للمباينة وتبيينا اما حال انه كان بعباده من المرسل
والمرسل اليهم خبيرا بصيرا محيطا بظواهر احوالهم وبواطنها فيجازيهم على ذلك وهو تعليل للكفاية
وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار ومن يهد الله كلام مبتدأ يفصل ما
اشار اليه الكلام السابق من مجازاة العباد اشارة اجمالية اي من يهده الله الى الحق بما جاء من
قبله من الهدى فهو المهتد اليه والى ما يؤدي اليه من الثواب او المهتدي الى كل مطلوب ومن
يضلل اي يخلق فيه الضلال لسوء اختياره كهؤلاء المعاندين فلن تجد لهم اوثر فيه ضمير الجماعة
اعتبار المعنى من غير ما اوثر في مقابله الافراد نظرا الى لفظها تلويحا بوحدة طريق الحق
وقلة سالكيه وتعدد سبل الضلال وكثرة الضلال اولياء من دونه من دون الله تعالى اي انصارا
يهدونهم الى طريق الحق او الى طريق يوصلهم الى مطالبهم الدنيوية او الاخروية او الى طريق النجاة
من العذاب الذي يستدعيه ضلالهم على معنى لن تجد لاحد منهم وليا على ما يقتضيه قضية مقابلة
الجمع بالجمع من انقسام الآحاد الى الآحاد ونحشرهم التفات من الغيبة الى التكلم ايذانا بكمال
الاعتناء بامر الحشر يوم القيمة على وجوههم حال من الضمير المنصوب اي كائنين عليها مسحوبين كقوله
تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم او مشيا فقد روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا
حال من الضمير المستكن في الحال السابقة وبكما وصما لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا ينطقون بما
يقبل منهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم لما قد كانوا في الدنيا لا يستبصرون بالآيات والعبر
ولا ينطقون بالحق ولا يستمعونه ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار مؤفي القوى
والحواس وان يحشروا كذلك ثم يعاد اليهم قواهم وحواسهم فان ادراكاتهم بهذه المشاعر في
بعض المواطن مما لا ريب فيه مأواهم جهنم اما حال او استئناف وكذا قوله تعالى كلما
خبت زدناهم سعيرا اي كلما سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم ولم يبق فيها ما يتعلق
به النار وتحرقه زدناهم توقدا بان بدلناهم جلودا غيرها فعادت ملتهبة ومستعرة ولعل
ذلك عقوبة لهم على انكارهم الاعادة بعد الفناء بتكريرها مرة بعد اخرى ليروها عيانا حيث لم
يعلموها برهانا كما يفصح عنه قوله تعالى ذلك اي ذلك العذاب جزاؤهم بانهم اي بسبب انهم كفروا
بآياتنا العقلية والنقلية الدالة على صحة الاعادة دلالة واضحة فذلك مبتدأ وجزاؤهم خبره
ويجوز ان يكون مبتدأ ثانيا وبانهم خبره والجملة خبر ذلك وان يكون جزاؤهم بدلا من
ذلك او بيانا له والخبر هو الظرف وقالوا منكرين اشد الانكار أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا
لمبعوثون خلقا جديدا اما مصدر مؤكد من غير لفظه اي لمبعوثون بعثا جديدا او

وانا خلقا اى مخلوقين مستانفين اولم يروا اى الم يتفكروا ولم يعلموا ان الله الذى خلق السموات
والارض من غير مادة مع عظمها قادر على ان يخلق مثلهم فى الصغر على ان المثل مقحم والمراد
بالخلق الاعادة كما عبر عنها بذلك حيث قيل خلقا جديدا وجعل لهم اجلا لا ريب فيه
عطف على اولم يروا فانه فى قوة قد رأوا اذ المعنى قد علموا ان من قدر على خلق السموات
والارض فهو قادر على خلق امثالهم من الانس وجعل لهم وليبعثهم اجلا محققا لا ريب فيه
هو القيامة فابى الظالمون وضع موضع الضمير تسجيلا عليهم بالظلم وتجاوز الحد بالمرة الا
كفورا الا جحودا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى خزائن رزقه التى افاضها على كافة
الموجودات وانتم مرتفع بفعل يفسره المذكور كقول حاتم لو ذات سوار لطمتنى
وفائدة ذلك المبالغة والدلالة على الاختصاص اذا لامسكتم لبخلتم خشية الانفاق
مخافة النفاد بالانفاق اذ ليس فى الدنيا احد الا وهو يختار النفع لنفسه ولو اثر غيره بشى
فانما يؤثره لغرض يفوقه فاذن هو بخيل بالاضافة الى وجود الله سبحانه وكان الانسان قتورا
مبالغا فى البخل لان مبنى امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذله
ولقد اتينا موسى تسع آيات بينات واضحات الدلالة على نبوته وصحة ما جاء به من عند الله
وهى العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والطوفان والسنون ونقص
الثمرات وقيل انفجار الماء من الحجر ونتق الطور على بنى اسرائيل وانفلاق البحر بدل الثلاث الاخيرة
ويأباه ان هذه الثلاث لم تكن مرسلة اذ ذاك وان الاوليين لا تعلق لهما بفرعون وانما
اوتيهما بنو اسرائيل وعن صفوان بن عسال ان يهوديا سأل النبى صلى الله عليه وسلم عنها فقال
ان لا تشركوا به شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تسحروا
ولا تاكلوا الربوا ولا تمشوا ببرئ الى ذى سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا
من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا فى السبت فقبل اليهودى يده ورجله
عليه السلام ولا يساعده ايضا ما ذكر لعل جوابه عليه السلام بذلك لما انه المهم للسائل ويقوله
لما انه كان فى التوراة مسطورا وقد علم انه ما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من جهة الوحى
فاسأل بنى اسرائيل وقد قلنا له سلهم من فرعون وقل له ارسل معى بنى اسرائيل
او سلهم عن ايمانهم او عن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله
عليه وسلم على صيغة الماضى وقيل الخطاب للرسول عليه السلام اى فاسألهم عن تلك الآيات لتزداد
يقينا وطمأنينة او ليظهر صدقك اذ جاءهم متعلق بقلنا او بسأل على القراءة المذكورة وبآتينا
او بمضمر هو يخبروك اما ذكر على تقدير كون الخطاب للرسول عليه السلام فقال له فرعون
الفاء فصيحة اى فأظهر عند فرعون ما آتيناه من الآيات البينات وبلغه ما ارسل به
فقال له فرعون انى لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فخبط عقلك قال لقد علمت
ما انزل هؤلاء يعنى الآيات التى اظهرها الا رب السموات والارض خالقهما ومدبرهما
والمتصرف لربوبيته تعالى لهما للايمان بانه لا يقدر على ايجاد مثلها بتلك الآيات
العظام الا خالقهما ومدبرهما بصائر حال من الآيات اى بينات مكشوفات تبصرك
صدقى ولكنك تعاند وتكابر نحو وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ومن ضرورة

ذلك العلم العلم بانه عليه السلام على كمال رصانة العقل فضلا عن توهم المسحورية وقرئ علمت
على صيغة التكلم اى لقد علمت بيقين ان هذه الآيات الباهرة انزلها الله عز سلطانه فكيف
يتوهم ان يحوم حولى سحر وانى لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر
من قولهم ما ثبرك عن هذا اى ما صرفك او هالكا لقد قارع عليه السلام ظنه بظنه وشتان
بينهما كيف لا وظن فرعون افك مبين وظنه عليه السلام يحوم حول اليقين فاراد اى فرعون ان
يستفزهم اى يستخفهم وينفيهم من الارض ارض مصر او من الارض مطلقا بالقتل كقوله سنقتل
ابناءهم ونستحيى نساءهم فاغرقناه ومن معه فعكسنا عليه مكره واستفززناه وقومه بالاغراق — جميعاهم
وقلنا من بعده من بعد اغراقه لبنى اسرائيل اسكنوا الارض التى اراد ان يستفزكم منها فاذا
جاء وعد الآخرة الكرة الآخرة او الحياة او الساعة او الدار الآخرة اى قيام القيامة جئنا
بكم لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات
من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل اى وما انزلنا القرآن الا ملتبسا بالحق
المقتضى لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق الذى اشتمل عليه او ما انزلناه من السماء الا محفوظا
وما نزل على الرسول عليه السلام الا محفوظا من تخليط الشياطين ولعل المراد بيان عدم اعتراء البطلان
لاول الامر وآخره وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصى من العقاب وهو
تحقيق لحقية بعثته عليه السلام اثر تحقيق حقية انزال القرآن وقرآنا منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى
فرقناه وقرئ بالتشديد دلالة على كثرة نجومه لتقرأه على الناس على مكث على مهل وتثبت فانه
ايسر للحفظ واعون على الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا حسبما تقتضيه الحكمة
والمصلحة ويقع من الحوادث والواقعات قل للذين كفروا آمنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم
به لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصا ان الذين اوتوا العلم من قبله اى العلماء الذين
قرأوا الكتب السالفة من قبل تنزيله وعرفوا حقيقة الوحى وامارات النبوة وتمكنوا من التمييز بين الحق
والباطل والمحق والمبطل او رأوا فيها نعتك ونعت ما انزل اليك اذا يتلى اى القرآن عليهم
يخرون للاذقان اى يسقطون على وجوههم سجدا تعظيما لامر الله تعالى او شكرا لانجاز ما
وعد به فى تلك الكتب من بعثتك وتخصيص الاذقان بالذكر للدلالة على كمال التذلل اذ هى تحقق
الخرور عليها واتيان اللام للدلالة على اختصاص الخرور بها كما فى قوله فخر صريعا لليدين وللفم
وهو تعليل لما يفهم من قوله تعالى آمنوا به او لا تؤمنوا من عدم المبالاة بذلك اى ان لم تؤمنوا به
فقد آمن به احسن ايمان من هو خير منكم ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم
ويقولون فى سجودهم سبحان ربنا عما يفعل الكفرة من التكذيب او عن خلف وعده
ان كان وعد ربنا لمفعولا ان مخففة من المثقلة واللام فارقة اى ان الشان هذا ويخرون
للاذقان يبكون كرره لاختلاف السبب فان الاول لتعظيم امر الله تعالى او
الشكر لانجاز الوعد والثانى لما اثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله
ويزيدهم اى القرآن سماعهم خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله تعالى قل ادعوا الله
او ادعوا الرحمن نزلت حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا

انه نهانا عن عبادة الهين وهو يدعو الهاً آخر وقالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد
كثره الله تعالى في التوراة على الاول التسوية بين اللفظين بانهما عبارتان عن ذات واحدة
وان اختلف الاعتبار والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما سيان
في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو موافق لقوله تعالى اياما تدعوا فله الاسماء
الحسنى والدعاء بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه
وأو للتخيير والتنوين في ايا عوض عن المضاف اليه وما مزيدة لتأكيد ما في اي من الابهام والضمير
في له للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام اياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه
فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه وحسن جميع اسمائه يستدعي
حسن ذينك الاسمين وكونها حسنى لدلالتها على صفات الكمال من الجلال والجمال والاكرام
ولا تجهر بصلاتك اي بقراءة صلاتك بحيث تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو
فيها ولا تخافت بها اي بقراءتها بحيث لا تسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك
اي بين الجهر والمخافتة على الوجه المذكور سبيلا امرا وسطا وقصدا فان خير الامور
اوسطها والتعبير عن ذلك بالسبيل باعتبار انه امر يتوجه اليه المتوجهون ويؤمه المقتدون
ويوصلهم الى المطلوب روي ان ابا بكر كان يخفت ويقول اناجي ربي
وقد علم حاجتي وعمر كان يجهر بها ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل المعنى لا تجهر
بصلاتك كلها ولا تخافت بها بأسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالمخافتة نهارا والجهر
ليلا وقيل بصلاتك بدعائك وذهب قوم الى انها منسوخة بقوله تعالى ادعوا ربكم
تضرعا وخفية وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا كما زعم اليهود والنصارى وبنو مليح
حيث قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا
ولم يكن له شريك في الملك اي الالوهية كما يقوله الثنوية القائلون بتعدد الآلهة
ولم يكن له ولي من الذل ناصر ومانع منه لاعتزازه به او لم يوال احدا من اجل مذلة
ليدفعها بموالاته وفي التعرض في اثناء الحمد لهذه الصفات الجليلة ايذان بان المستحق للحمد من هذه
نعوته دون غيره اذ بذلك يتم الكمال والقدرة التامة على الايجاد وما يتفرع عليه من افاضة
انواع النعم وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله تعالى
وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد
في الطاعة والتحميد ينبغي ان يعترف بالقصور في ذلك روي انه عليه السلام كان اذا افصح الغلام
من بني عبد المطلب علمه هذه الآية وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة بني
اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية
ومائتا اوقية

والمراد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم الكتاب اي الكتاب الكامل

الغني عن الوصف بالكمال المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به وهو عبارة
عن جميع القرآن او عن الجميع المنزل حينئذ وما ذكر في وصفه تعالى بالموصول اشعار بعلية ما في
حيز الصلة لاستحقاق الحمد وايذان بعظم شأن التنزيل الجليل كيف لا وعليه يدور فلك سعادة
الدارين وفي التعبير عن الرسول صلى الله عليه وسلم بالعبد مضافا الى ضمير الجلالة تنبيه على بلوغه
عليه السلام الى اعلى معارج العبادة وتشريف له اي تشريف واشعار بان شأن الرسول ان يكون
عبدا للمرسل كما نعت النصارى في حق عيسى عليه السلام وتأخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور
مع ان حقه التقديم عليه ليتصل به قوله تعالى ولم يجعل له عوجا اي شيئا من العوج بنوع اختلال في
النظم وتناف في المعنى او انحراف عن الدعوة الى الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان واما قوله
تعالى لا ترى فيها عوجا ولا امتا مع كون الجبال من الاعيان فللدلالة على انتفاء ما لا يدرك من العوج
بحاسة البصر بل انما يوقف عليه بالبصيرة بواسطة استعمال المقاييس الهندسية ولما كان ذلك مما
لا يتعرض بالمشاعر الظاهرة عد من قبيل ما في المعاني وقيل الفتح في الاعوجاج المنتصب كالعود
والحائط والكسر في الاعوجاج غيره عينا كان او معنى قيما بالمصالح الدينية والدنيوية للعباد
على ما ينبغي حسبما يعده من الانذار والتبشير فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال
او على ما قبله من الكتب السماوية شاهدا بصحتها ومهيمنا عليها او متناهيا في الاستقامة فيكون
تأكيدا لما دل عليه نفي العوج مع افادة كون ذلك من صفاته الذاتية اللازمة له حسبما ينبئ
عنه الصيغة لا انه نفي عنه العوج مع كونه من شأنه وانتصابه على تقدير كون الجملة المتقدمة
معطوفة على الصلة بمضمر ينبئ عنه نفي العوج تقديره جعله قيما واما على تقدير كونها حالية فهو على
الحالية من الكتاب اذ لا فصل بين ابعاض المعطوف عليه بالمعطوف وقرئ قيما لينذر متعلق
بانزل وفي الفاصلة الجلالة كما في الفعلين المعطوفين عليه والاطلاق عن ذكر المفعول الاول
للايذان بان ما سيق له الكلام هو المفعول الثاني وان الاول ظاهر لا حاجة الى ذكره اي
انزل الكتاب لينذر به الذين كفروا بأسا اي عذابا شديدا من لدنه اي صادرا
من عنده نازلا من قبله بمقابلة كفرهم وتكذيبهم وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة
وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ويبشر بالتشديد وقرئ بالتخفيف المؤمنين
المصدقين به الذين يعملون الصالحات الاعمال الصالحة التي بينت في تضاعيفه وايثار
صيغة الاستقبال في الصلة للاشعار بتجدد الاعمال واستمرارها واجراء الموصول على
موصوفه المذكور لما ان مدار قبول الاعمال هو الايمان ان لهم اي بان لهم بمقابلة ايمانهم
واعمالهم المذكورة اجرا حسنا هو الجنة وما فيها من المثوبات الحسنى ماكثين فيه حال من
المجرور في لهم وفي ذلك الاجر ابدا من غير انتهاء اي خالدين فيه وهو نصب على الظرفية
وتقديم الانذار على التبشير لاظهار كمال العناية بزجر الكفار عما هم عليه مع مراعاة
تقديم التخلية على التحلية وتكرير الانذار بقوله تعالى وينذر الذين قالوا اتخذ الله
ولدا متعلقا بفرقة خاصة ممن عمه الانذار السابق من مستحقي البأس الشديد للايذان
بكمال فظاعة حالهم لغاية شناعة كفرهم وضلالهم اي وينذر من بين سائر الكفرة هؤلاء
المتفوهين بمثل هاتيك العظيمة خاصة وهم كفار العرب الذين يقولون الملائكة بنات الله

واليهود القائلون عزير ابن الله تعالى والنصارى القائلون المسيح ابن الله وترك اجراء الموصول
على الموصوف كما فعل في قوله تعالى ويبشر المؤمنين للايذان بكفاية ما في حيز الصلة في الكفر على افحش
الوجوه وما في صيغة الماضي من الدلالة على تحقق صدور تلك الكلمة القبيحة عنهم فيما
سبق وجعل المفعول المحذوف بما سلف عبارة عن هذه الطائفة يؤدي الى خروج سائر اصناف
الكفرة عن الانذار والوعيد وتعميم الانذار هنالك للمؤمنين ايضا بحمله على معنى مجرد الاخبار بالخبر
الضار من غير اعتبار حلول المنذر به على المنذر كما في قوله تعالى ان انذر الناس وبشر الذين آمنوا
يقضي بخلو النظم الكريم عن الدلالة على حلول البأس الشديد على من عدا هذه الفرقة ويجوز
ان يكون الفاعل في الافعال الثلاثة ضمير الكتاب او ضمير الرسول عليه السلام ما لهم به اي باتخاذه
سبحانه وتعالى ولدا من علم مرفوع على الابتداء او الفاعلية لاعتماده على الظرف ومن مزيدة لتأكيد
النفي والجملة حالية او مستأنفة لبيان حالهم في مقالهم بذلك اي ما لهم بذلك شيء من علم اصلا لا لاخلالهم
بطريقة من تحقيق المعلوم او امكانه بل لاستحالته في نفسه ولا لآبائهم الذين قلدوهم فتاهوا
جميعا في تيه الجهالة والضلالة او ما لهم علم بما قالوه او هو صواب ام خطأ بل انما قالوه رميا
بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية كما في قوله تعالى وخرقوا له بنين وبنات بغير علم او بحقيقة ما
قالوه وبعظم رتبته في الشناعة كما في قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا
ادا تكاد السموات يتفطرن منه الآيات وهو الانسب بقوله تعالى كبرت كلمة اي
عظمت مقالتهم هذه في الكفر والافتراء لما فيها من نسبته سبحانه الى ما لا يكاد يليق بجناب
كبريائه والفاعل في كبرت اما مضمر مبهم يفسره ما دل عليه بقالوا وكلمة نصب على التمييز او ضمير مقالتهم
مفسرا بما بعده من النكرة المنصوبة تمييزا كبئس رجلا والمخصوص بالذم محذوف تقديره كبرت هي
كلمة خارجة من افواههم وقرئ كبرت باسكان الباء باشمام الضم وقرئ كلمة بالرفع تخرج من
افواههم صفة للكلمة مفيدة لاستعظام اجترائهم على التفوه بها والاسناد الخروج اليها
مع ان الخارج هو الهواء المتكيف بكيفية الصوت لملابسته بها ان يقولون ما يقولون
في ذلك الشأن الا كذبا الا قولا كذبا لا يكاد يدخل تحت امكان الصدق اصلا والضمير
ان لهم ولآبائهم مثل حاله عليه السلام في شدة الوجد على اعراض القوم وتوليهم عن الايمان بالقرآن
وكمال التحزن عليهم بحال من يتوقع منه اهلاك نفسه اثر فوت ما يحبه عند مفارقة احبته
تأسفا على مفارقتهم وتلهفا على مهاجرتهم فقيل على طريقة التمثيل حملا له عليه السلام على الحذر
والاشفاق من ذلك فلعلك باخع اي مهلك نفسك على آثارهم غما ووجدا على فراقهم
وقرئ بالاضافة ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اي القرآن الذي عبر عنه في صدر السورة
بالكتاب وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه وقرئ بأن المفتوحة اي لان
لم يؤمنوا فلا عمال باخع بحمله على حكاية حال ماضية لاستحضار الصورة كما في قوله عز وجل
باسط ذراعيه اسفا مفعول له لباخع اي لفرط الحزن والغضب او حال مما فيه من الضمير اي
متأسفا عليهم ويجوز حمل النظم الكريم على الاستعارة التبعية بجعل التشبيه بين احد
الطرفين لا بين الهيئتين المنتزعتين منهما كما في التمثيل وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى
ختم الله على قلوبهم انا جعلنا ما على الارض استئناف وتعليل لما في لعل من معنى الاشفاق

اي انا جعلنا ما عليها مما عدا من وجه اليه التكليف من الزخارف حيوانا كان او نباتا او معدنا كقوله
تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا زينة مفعول ثان لجعلنا ان حمل على معنى التصيير او حال
ان حمل على معنى الابداع واللام في لها اما متعلقة بزينة او بمحذوف هو صفة لها اي كائنة لها
اي ليتمتع بها الناظرون من المكلفين وينتفعوا بها نظرا واستدلالا فان الحيات والعقارب من حيث
تذكيرها لعذاب الآخرة من قبيل المنافع بل كل حادث داخل تحت الزينة من حيث دلالته على وجود
الصانع ووحدته فان الازواج والاولاد ايضا من زينة الحيوة الدنيا بل اعظمها ولا يمنع ذلك كونهم
من جملة المكلفين فانهم من جهة انتسابهم الى اصحابهم داخلون تحت الزينة ومن جهة كونهم مكلفين
داخلون تحت الابتلاء لنبلوهم متعلق بجعلنا اي جعلنا ما جعلنا لنعاملهم معاملة من يختبرهم ايهم
احسن عملا فنجازيهم بالثواب والعقاب حسبما يتبين المحسن من المسيء وامتازت طبقات افراد
كل من الفريقين حسب امتياز مراتب علومهم المترتبة على انظارهم وتفاوت درجات اعمالهم
المتفرعة على ذلك كما قررناه في مطلع سورة هود واي اما استفهامية مرفوعة بالابتداء واحسن
خبرها والجملة في محل النصب معلقة لفعل البلوى لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالسؤال
والنظر ولذلك اجري مجراه بطريق التمثيل او الاستعارة التبعية واما موصولة بمعنى الذي
واحسن خبر مبتدأ مضمر والجملة صلة لها وهي في حيز النصب بدلا من مفعول لنبلوهم والتقدير لنبلو الذي
هو احسن عملا فحينئذ يحتمل ان تكون الضمة في ايهم للبناء كما في قوله عز وجل ثم لننزعن من كل شيعة
ايهم اشد على الرحمن عتيا على احد الاقوال لتحقق شرط البناء الذي هو الاضافة لفظا وحذف
صدر الصلة وان تكون للاعراب لان ما ذكر شرط لجواز البناء لا لوجوبه ومعنى احسن العمل الزهد
فيها وعدم الاغترار بها والقناعة باليسير منها وصرفها على ما ينبغي والتأمل في شأنها وجعلها
ذريعة الى معرفة خالقها والتمتع بها حسبما اذن له الشرع واداء حقوقها والشكر لها لا اتخاذها
وسيلة الى الشهوات والاغراض الفاسدة كما يفعله الكفرة واصحاب الاهواء وايراد صيغة
التفضيل مع ان الابتلاء شامل للفريقين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى
الحسن والاحسن فقط للاشعار بان الغاية الاصلية للجعل المذكور انما هو ظهور كمال احسان
المحسنين على ما حققه في تفسير قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا وانا لجاعلون فيما سيأتي
عند تناهي عمر الدنيا ما عليها من المخلوقات قاطبة بافنائها بالكلية وانما اظهر في مقام
الاضمار لزيادة التقرير او لادراج المكلفين فيه صعيدا مفعول ثان للجعل والصعيد
التراب او وجه الارض قال ابو عبيدة هو المستوي من الارض وقال الزجاج هو الطريق
الذي لا نبات فيه جرزا ترابا لا نبات فيه بعدما كان يتعجب من بهجته النظار وتتشرف
بمشاهدته الابصار يقال ارض جرز لا نبات فيها وسنة جرز لا مطر فيها قال الفراء
جرزت الارض فهي مجروزة اي ذهب نباتها بقحط او جراد ويقال جرزها الجراد والشاة والابل
اذا اكلت ما عليها وهذه الجملة لتكميل ما في السابقة من التعليل والمعنى لا تحزن بما عاينت من
القوم من تكذيب ما انزلنا عليك من الكتاب فانا قد جعلنا ما على الارض من فنون الاشياء
زينة لها لنختبر اعمالهم فنجازيهم بحسبها وانا لمفنون جميع ذلك عن قريب ومجازون لهم بحسب
اعمالهم ام حسبت الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد انكار حسبانه اشد قام

منقطعة مقدرة ببل التي هي للانتقال من حديث الى حديث لا للابطال وبهمزة الاستفهام
عند الجمهور وببل وحدها عند غيرهم اي بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم
كانوا في بقائهم على الحياة مدة طويلة من الدهر من آياتنا من بين آياتنا التي من جملتها ما
ذكرناه من جعل ما على الارض زينة لها للحكمة المشار اليها ثم جعل ذلك كله صعيدا جرزا
كأن لم تغن بالامس عجبا اي آية ذات عجب وصفا بالمصدر او وصفا لها بذلك مبالغة
مبالغة وهو خبر لكانوا ومن آياتنا حال منه والمعنى ان قصتهم وان كانت خارقة للعادات
ليست بعجيبة بالنسبة الى سائر الآيات التي من جملتها ما ذكر من تعاجيب خلق الله تعالى بل
هي عندها كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم كلبهم قال امية بن ابي
الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد وقيل هو لوح
رصاصي او حجري رقمت فيه اسماؤهم وجعل على باب الكهف وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف
فهو من رقمة الوادي اي جانبه وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وايلة
دون فلسطين وقيل اصحاب الرقيم آخرون كانوا ثلاثة انطبق عليهم الغار فنجا
بذكر كل منهم احسن عمله على ما فصل في الصحيحين اذ اوى ظرف لعجبا او مفعول
لاذكر اي حين التجأ الفتية اي اصحاب الكهف اوثر الاظهار على الاضمار لتحقيق ما
كانوا عليه في انفسهم من حال الفتوة فانهم كانوا فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس
على الشرك فهربوا بدينهم ولان صاحبية الكهف من فروع التجائهم الى الكهف فلا يناسب
اعتبارها معهم قبل بيانه الى الكهف جعلوه مجلسهم واتخذوه ماوى فقالوا ربنا آتنا
من لدنك رحمة اي رحمتك الخاصة المكنونة عن عيون اهل العادات فمن ابتدائية
متعلقة بآتنا او بمحذوف وقع حالا من مفعوله الثاني قدمت عليه لكونه نكرة ولو تاخرت
لكانت صفة له اي آتنا كائنة من لدنك رحمة خاصة تستوجب المغفرة والرزق
والامن من الاعداء وهيئ لنا من امرنا الذي نحن عليه من مهاجرة الكفار والمثابرة
على طاعتك واصل التهيئة احداث هيئة الشيء اي اصلح ورتب واتمم لنا امرنا رشدا
اصابة للطريق الموصل الى المطلوب واهتداء اليه وكلا الجارين متعلق بهيئ لاختلافهما
في المعنى وتقديم المجرورين على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بهما وابراز الرغبة في
الموخر بتقديم احواله فان تاخير ما حقه التقديم عما هو من احواله المرغبة فيه كما يورث
شوق السامع الى وروده ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة وكذا
الكلام في تقديم قوله تعالى من لدنك على تقدير تعلقه بآتنا وتقديم لنا على من لدنا
للايذان من اول الامر بكون المسؤول مرغوبا فيه لديهم [illegible]
من تجريد مثلها في قولك رأيت منك اسدا فضربنا على آذانهم اي انمناهم على طريقة
التمثيل المبني على تشبيه الانامة الثقيلة المانعة عن وصول الاصوات الى الآذان بضرب
الحجاب عليها وتخصيص الآذان بالذكر مع اشتراك سائر المشاعر لها في الحجب عند
النوم لما انها المحتاج الى الحجب عادة اذ هي الطريقة للتيقظ غالبا لا سيما
عند انفراد النائم واعتزاله عن الخلق وقيل الضرب على الآذان كناية عن الانامة الثقيلة

وحمله على تعطيلها كما في قولهم ضرب الامير على يد الرعية اي منعهم من التصرف مع عدم ملاءمته لما يأتي
من البعث لا يدل على النوم مع انه المراد قطعا والفاء في فضربنا كما في قوله عز وجل فاستجبنا له
بعد قوله تعالى اذ نادى فان الضرب المذكور وما ترتب عليه من التقليب ذات اليمين وذات
الشمال والبعث وغير ذلك ايتاء رحمة لدنية خافية عن ابصار المتمسكين بالاسباب العادية
استجابة لدعوتهم في الكهف ظرف مكان لضربنا سنين ظرف زمان له باعتبار بقائه
لا ابتدائه عددا اي ذوات عدد او تعد عددا على انه مصدر او معدودة على انه بمعنى المفعول
وصفت السنين بذلك اما للتكثير وهو الانسب باظهار كمال القدرة او للتقليل وهو
الاليق بمقام انكار كون القصة عجبا من بين سائر الآيات العجيبة فان مدة لبثهم كبعض يوم
عنده عز وجل ثم بعثناهم اي ايقظناهم من تلك النومة الثقيلة الشبيهة بالموت لنعلم بنون
العظمة وقرئ بالياء مبنيا للفاعل على طريق الالتفات واياما كان فهو غاية للبعث لكن لا
بجعل العلم مجازا عن الاظهار والتمييز او حمله على ما يعم وقوعه غاية للبعث الحادث من العلم
الحالي الذي يتعلق به الجزاء كما في قوله تعالى لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه
وقوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا ونظائرهما التي يتحقق فيها العلم بتحقق متعلقه قطعا
فان تحويل القبلة قد ترتب عليه تحزب الناس الى متبع ومنقلب وكذا مداولة الايام
بين الناس ترتب عليه تحزبهم الى الثابت على الايمان والمتزلزل فيه وتعلق بكل
من الفريقين العلم الحالي والاظهار والتمييز واما بعث هؤلاء فلم يترتب عليه تحزبهم الى المحصي
وغيره حتى يتعلق بهما العلم او الاظهار والتمييز ويستفاد من ذلك حكمة البعث
وانما الذي ترتب عليه تحزبهم الى مقدر تقديرا غير مصيب ومفوض الى العلم الرباني وليس
شيء منهما من الاحصاء في شيء بل يحمل النظم الكريم على التمثيل المبني على جعل العلم عبارة عن
الاختبار مجازا بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب وليس من ضرورة الاختبار صدور
الفعل المختبر عن المختبر قطعا بل قد يكون لاظهار عجزه على سنن التكاليف التعجيزية
كقوله تعالى فأت بها من المغرب وهو المراد هاهنا فالمعنى بعثناهم لنعاملهم معاملة من
يختبرهم اي الحزبين اي الفريقين في مدة لبثهم بالتقدير والتفويض احصى
اي اضبط لما لبثوا اي للبثهم امدا اي غاية فيظهر لهم عجزهم ويفوضوا ذلك الى العليم
الخبير ويتعرفوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم من حفظ ابدانهم فيزدادوا يقينا بكمال
قدرته وعلمه ويستبصروا به امر البعث ويكون ذلك لطفا لمؤمني زمانهم وآية بينة
لكفارهم وقد اقتصر هاهنا من تلك الغايات الجليلة على ذكر مبدئها الصادر عنه عز وجل
وفيما سيأتي على ما صدر عنهم من التساؤل المؤدي اليها وهذا اولى من تصوير التمثيل بان
يقال بعثناهم بعث من يريد ان يعلم الخ حسبما وقع في تفسير قوله تعالى وليعلم الله الذين
آمنوا الخ حيث حمل على معنى فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم الثابت
على الايمان من غير الثابت اذ ربما يتوهم منه استلزام الارادة لتحقق المراد فيعود المحذور
فيصار الى جعل ارادة العلم عبارة عن الاختبار فاختير ما عليه هذا وقد قرئ ليعلم

سيفا المفعول وتبيينا للغة عن الاعلام على ان المفعول الاول محذوف وان الجملة المصدرة باى في
موقع المفعول الثاني فقط اذ جعل العلم عرفانيا وفي موقع المفعولين ان جعل يقينيا اى ليعلم الله
الناس اى الحزبين احصى الخ وروى عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما ان احد الحزبين الفتية
والاخر الملوك الذين تداولوا المدينة ملكا بعد ملك وقيل كلاهما من غيرهم والاول هو
الاظهر فان اللام للعهد ولا عهد لغيرهم والامد بمعنى المدة كالغاية في قولهم ابتداء الغاية
وانتهاء الغاية وهو مفعول لاحصى والجار والمجرور حال منه قدمت عليه لكونه نكرة وليس
معنى احصاء تلك المدة ضبطها من حيث كميتها المتصلة الذاتية فانه لا يسمى احصاء بل ضبطها
من حيث كميتها المنفصلة العارضة لها باعتبار قسمتها الى السنين وبلوغها من تلك الحيثية الى
مراتب الاعداد على ما يرشدك اليه كون تلك المدة عبارة عما لبثوا من السنين ونحوه امدا ما
بالامد معناه الوصفي بتقدير المضاف اى لزمان لبثهم وبدونه ايضا فان اللبث عبارة عن الكون
المستمر المنطبق على الكون الحسى باعتبار كميته المنفصلة العارضة له بسبب انطباقه على الزمان
الممتد بالذات وهو ان ايقاظهم من نومهم كان موقتة من تلك الحيثية الاخيرة على ضربه لا تسمى احصاء
كان بلا اعتبار كميته المنفصلة العارضة له بسبب عروضها للزمان المنطبق هو عليه باعتبار
انقسامه وقطعه الى مرتبة معينة من مراتب العدد كما حقق في الصورة الاولى والفرق بين
الاعتبارين ان ما تعلق به الاحصاء في الصورة الثانية نفس المدة المنقسمة الى السنين فهو مجموع
ثلثمائة وتسع سنين وفي الصورة الاخرى منتهى تلك المدة المنقسمة اليها اعنى السنة التاسعة
بعد الثلثمائة وتعلق الاحصاء بالامد بالمعنى الاول ظاهر واما تعلقه به بالمعنى الثاني فباعتبار
انتظامه لما تحته من مراتب العدد واشتماله عليها هذا على تقدير كون ما في قوله تعالى لما لبثوا مصدرية
ويجوز ان تكون موصولة حذف عائدها من الصلة اى للذى لبثوا فيه من الزمان الذى عبر عنه
فيما قبل بسنين عددا فالامد بمعنى الوصفي على ما حققته وقيل اللام مزيدة وما الموصول
مفعول والامد نصب على التمييز واما ما قيل من ان احصى اسم تفضيل لانه الموافق لما وقع في سائر
الآيات الكريمة نحو ايهم احسن عملا ايهم اقرب لكم نفعا الى غير ذلك مما لا يحصى ولان
كونه فعلا ماضيا يشعر بان غاية البعث هو العلم بالاحصاء المتقدم على البعث لا بالاحصاء
المتاخر عنه وليس كذلك وادعاء ان بناء افعل التفضيل من المزيد عليه غير قياس بل هو
عند سيبويه قياس مطلقا وعند ابن عصفور فيما ليست همزته للنقل ولا ريب في ان ما نحن
فيه من ذلك القبيل وامتناع عمله انما هو في غير التمييز من المعمولات واما ان التمييز يجب كونه
فاعلا في المعنى فلا نعم انه يمتنع فيجب ان يقال انهم احفظ لهذا المتوزنا او نقطيعا او يقال
ان العامل في امدا فعل محذوف يدل عليه المذكور اى يحصى لما لبثوا امدا كما في قوله
واضرب منا بالسيوف القوانسا وحديث الوقوع في المحذور بلا فائدة مدفوع بما
اشير اليه من فائدة الموافقة للنظائر مع ما فيه من الاعتساف والخلل من السداد
لان مداره ان يكون المقصود بالاختبار اظهار افضل الحزبين وتمييزه عن الادنى مع تحقق
اصل الاحصاء فيهما وبين البين اذ لا تحقق له اصلا وان المقصود بالاختبار اظهار عجز

الكل

الكل عنه راسا فهو بمعزل من نظامه لوهم ابتدائه بان غاية البعث هو العلم بالاحصاء
المقدم عليه مدفوع بان صيغة الماضى باعتبار حال الحكاية والله تعالى اعلم نحن نقص
عليك شروع في تفصيل ما اجمل فيما سلف من قوله تعالى اذ اوى الفتية الخ اى نحن نخبرك
بتفاصيل احوالهم وقد مر بيان اشتقاقه في مطلع سورة يوسف عليه السلام نباهم اى خبرهم الجليل
الذى له شان وخطر بالحق اما صفة لمصدر محذوف او حال من ضمير نقص او من نباهم او صفة
له اى بحسب حذف الموصول مع بعض صلته اى نقص قصصا ملتبسا بالحق او نقصه ملتبسين
به او نقص نباهم ملتبسا به انهم فتية حسبما ذكره محمد بن اسحق بن يسار انه
مرج اهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم فعبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت
وكان ممن بالغ في ذلك وعتا عتوا كبيرا دقيانوس فانه غلا فيه غلوا شديدا فجاس
خلال الديار والبلاد بالعيث والفساد وقتل من خالفه من المتمسكين بدين المسيح عليه السلام
وكان يتتبع الناس فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان فمن رغب في الحيوة الدنيا
الدنية يصنع ما يصنع ومن آثر عليها الحيوة الابدية قتله وقطع آرابه وعلقها في سور
المدينة وابوابها فلما راى الفتية ذلك وكانوا عظماء مدينتهم وقيل كانوا من خواص
الملك قاموا فتضرعوا الى الله عز وجل واشتغلوا بالصلوة والدعاء فبينما هم كذلك
اذ دخل عليهم اعوان الجبار فاحضروهم بين يديه فقال لهما ما قال وخيرهم بين القتل
وبين عبادة الاوثان فقالوا ان لنا الها ملا السموات والارض عظمته وجبروته لن
ندعو من دونه احدا ولن نقر بما تدعونا اليه ابدا فاقض ما انت قاض فامر فنزع ما عليهم
من الثياب الفاخرة واخرجهم من عنده وخرج هو الى مدينة نينوى لبعض شانه وامهلهم
الى رجوعه ليتاملوا في امرهم فان تبعوه والا فعل بهم ما فعل بسائر المسلمين فاعزمت
الفتية على الفرار بالدين والالتجاء الى الكهف الحصين فاخذ كل منهم من بيت ابيه شيئا فتصدقوا
ببعضه وتزودوا بالباقي فاووا الى الكهف فجعلوا يصلون فيه آناء الليل واطراف النهار
ويبتهلون الى الله سبحانه بالانين والجوار وفوضوا امر نفقتهم الى تمليخا فكان اذا اصبح
عنهم ثيابه الحسان ويلبس لباس المساكين ويدخل المدينة ويشترى ما يهمهم ويتجسس
ما فيها من الاخبار ويعود الى اصحابه فلبثوا على ذلك الى ان قدم الجبار المدينة فطلبهم
واحضر آباءهم فاعتذروا بانهم عصوهم ونهبوا اموالهم وبددوها في الاسواق وفروا الى
الجبل فلما راى تمليخا ما راى من الشر رجع الى اصحابه وهو يبكى ومعه قليل من الزاد فاخبرهم
بما شاهده من الهول ففزعوا الى الله عز وجل وخروا له سجدا ثم رفعوا رؤسهم وجلسوا في
امرهم فبينما هم كذلك اذ ضرب الله تعالى على آذانهم فناموا ونفقتهم عند رؤسهم فخرج
دقيانوس في طلبهم بخيله ورجله فوجدوهم قد دخلوا الكهف فامر باخراجهم فلم يطق احد
ان يدخله فلما ضاق بهم ذرعا قال قائل منهم اليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم قال بلى
قال فابن عليهم باب الكهف ودعهم يموتوا جوعا وعطشا وليكن كهفهم قبرا لهم ففعل ثم
كان من شانهم ما قص الله عز وجل انهم فتية استيناف تحقيقى مبنى على تقدير
السؤال من قبل المخاطب والفتية جمع قلة للفتى كالصبية للصبى آمنوا بربهم اوثر الالتفات

للاستهانة بعلية وصف الربوبية لاسيما لهم والرعاية لما صدر عنهم من المقالة حسبما سيحكى عنهم
وزدناهم هدى بأن ثبتناهم على ما كانوا عليه من الدين وأظهرنا لهم مكنونات محاسنه وفيه
التفات من الغيبة الى ما عليه سبك النظم سابقا ولاحقا من التكلم وربطنا على قلوبهم
اى قويناها حتى اقتحموا مضايق الصبر على هجر الاهل والاوطان والنعيم والاخوان واجترؤا على
الصدع بالحق من غير خوف وحذار والرد على دقيانوس الجبار اذ قاموا منصوب بربطنا والمراد
بقيامهم انتصابهم لاظهار شعار الدين قال مجاهد خرجوا من المدينة فاجتمعوا على غير ميعاد فقال
اكبرهم انى لاجد فى نفسى شيئا ان ربى رب السموات والارض فقالوا نحن ايضا كذلك نجد فقاموا
جميعا فقالوا ربنا رب السموات والارض ضمنوا دعواهم ما يحقق فحواها ويقضى بمقتضاها
فان ربوبيته عز وجل لهما تقتضى ربوبيته لما فيهما اى اولا وقيل المراد قيامهم بين
يدى الجبار من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الاصنام ويأباه ما سيأتى من قوله
تعالى هولاء الخ منقطعا عما قبله صادرا عنهم بعد خروجهم من عنده لن ندعوا ابدا.
من دونه الها معبودا آخر لا استقلالا ولا اشتراكا والعدول عن ان يقال ربا للتنصيص على
رد المخالفين حيث كانوا يسمون اصنامهم آلهة وللاشعار بان مدار العبادة وصف الالوهية
وللايذان بان ربوبيته تعالى بطريق الالوهية لا بطريق المالكية المجازية لقد قلنا اذا
شططا اى قولا ذا شطط اى تجاوز عن الحد او قولا هو عين الشطط على انه وصف بالمصدر
مبالغة ثم اقحم على الوصف بالغة على المبالغة حيث كانت العبادة مستلزمة للقول لما انها
لا تعرى عن الاعتراف بالوهيته تعالى وفى التصريح الى قيل لقد قلنا واذا جواب وجزاء
اى لو دعونا من دونه الها والله لقد قلنا قولا خارجا عن حد العقول مفرطا فى الظلم هولاء
هو مبتدأ وفى اسم الاشارة تحقير لهم قومنا عطف بيان له اتخذوا من دونه آلهة خبره وفيه
معنى الانكار لولا يأتون تحضيض فيه معنى الانكار والتعجيز اى هلا يأتون عليهم على الوهيتهم
او على صحة اتخاذهم لها آلهة بسلطان بين بحجة ظاهرة الدلالة على مدعاهم وهو تبكيت لهم
والقام حجر فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه تعالى عن ذلك علوا
كبيرا او المعنى انه اظلم من كل ظالم وان كان سبك النظم على انكار الاظلمية من غير تعرض
لانكار المساواة ... واذ اعتزلتموهم اى فارقتموهم فى الاعتقاد
او اردتم الاعتزال الجسمانى وما يعبدون الا الله عطف على الضمير المنصوب وما موصولة او
مصدرية اى اذا اعتزلتموهم ومعبودهم الا الله او وعبادتهم الا عبادة الله وعلى التقديرين
فالاستثناء متصل على تقدير كونهم مشركين كاهل مكة ومنقطع على تقدير تمحضهم فى عبادة
الاوثان ويجوز كون ما نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ
وجوابه فأووا الى الكهف قال الفراء هو جواب اذا كما تقول اذ فعلت فافعل كذا
وقيل هو دليل على جوابه اى اذا اعتزلتموهم اعتزالا اعتقاديا فاعتزلوهم اعتزالا جسمانيا
او اذا اردتم اعتزالهم فافعلوا ذلك بالالتجاء الى الكهف ينشر لكم يبسط لكم ويوسع
عليكم ربكم مالك امركم من رحمته فى الدارين ويهيئ لكم يسهل لكم من امركم الذى انتم
بصدده من الفرار بالدين مرفقا ما ترتفقون به وتنتفعون وقرئ بفتح الميم وكسر الفاء

مصدرا

مصدرا كالمرجع وتقديم لكم فى الموضعين لما مر مرارا من الايذان من اول الامر بكون المؤخر
من منافعهم والتشويق الى وروده وترى الشمس بيان لحالهم بعدما اووا الى الكهف ولم
يصرح به ايذانا بعدم الحاجة اليه لظهور جريانهم على موجب الامر به لكونه صادرا عن نبى
صائب وتعويلا على ما سلف من قوله سبحانه اذ اوى الفتية الى الكهف وما لحق من انا ضربنا
الكهف اليهم وكونهم فى فجوة منه والخطاب للرسول عليه السلام او لكل احد ممن يصلح للخطاب وليس
المراد به الاخبار بوقوع الرؤية تحقيقا بل الانباء بكون الكهف بحيث لو رأيته ترى الشمس اذا
طلعت تزاور اى تتزاور وتتنحى بحذف احدى التاءين وقرئ بادغام التاء فى الزاى وتزور
كتحمر وتزاور كتحمار وتزوير كلها من الزور وهو الميل عن كهفهم الذى اووا اليه فالاضافة
لادنى ملابسة ذات اليمين اى جهة ذات يمين الكهف عند توجه الداخل الى قعره
اى جانبه الذى يلى المغرب فلا يقع عليهم شعاعها فيؤذيهم واذا غربت اى تراها
عند غروبها تقرضهم اى تقطعهم من القطيعة والصرم ولا تقربهم ذات الشمال اى جهة
ذات شمال الكهف اى جانبه الذى يلى المشرق وكان ذلك بتصريف الله سبحانه على منهاج
خرق العادة كرامة لهم وقوله تعالى وهم فى فجوة منه حال مبينة لكون ذلك امرا
بديعا اى تراها تميل عنهم يمينا وشمالا ولا تحوم حولهم مع انهم فى متسع من الكهف معرض لاصابتها بهما
لولا ان صرفتها عنهم يد التدبير ذلك اى ما صنع بهم من تزاور الشمس وقرضها حالتى الطلوع
والغروب مع كونهم فى موقع شعاعها من آيات الله العجيبة الدالة على كمال علمه وقدرته
وحقية التوحيد وكرامة اهله عنده سبحانه وتعالى وهذا قبل ان سد دقيانوس
باب الكهف وقيل كان باب الكهف شماليا مستقبلا لبنات النعش واقرب المشارق
والمغارب الى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع
مائلة عنه مقابلة للجانب الايمن وهو الذى يلى المغرب وتغرب محاذية للجانب الايسر فيقع
شعاعها على جنبيه وتحلل عفونته وتعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذى اجسادهم ويبلى
ثيابهم ولعل ميل الباب الى جانب الغرب كان اكثر ولذلك اوقع التزاور على كهفهم والقرض
على انفسهم فذلك ح اشارة الى ايوائهم الى الكهف هذا شأنه واما جعله اشارة الى ض
حفظ الله سبحانه اياهم فى ذلك الكهف تلك المدة الطويلة او الى اطلاعه سبحانه لرسول الله صلى الله
عليه وسلم على اخبارهم فلا يساعده ايراده فى تضاعيف القصة من يهد الله الى الحق
بالتوفيق له فهو المهتدى الذى اصاب الفلاح والمراد اما الثناء عليهم والشهادة لهم
باصابة المطلوب والاخبار بتحقيق ما املوه من نشر الرحمة وتهيئة المرفق والتنبيه
على ان امثال هذه الآية كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله تعالى للاستبصار بها ومن
يضلل اى يخلق فيه الضلال لصرف اختياره اليه فلن تجد له ابدا وان بالغت فى التتبع
والاستقصاء وليا مرشدا يهديه الى ما ذكر من الفلاح لاستحالة وجوده فى
نفسه لانك لا تجده مع وجوده او امكانه وتحسبهم بفتح السين وقرئ بكسرها ايضا والخطاب
كما فيما سبق ايقاظا جمع يقظ بكسر القاف وفتحها هو اليقظان وهذا الحسبان لانفتاح
عيونهم على هيئة الناظر وقيل لكثرة تقلبهم ولا يلائمه قوله تعالى ونقلبهم وهم رقود

أي نيام وهو تقرير لما لم يذكر فيما سلف اعتماداً على ذكره في السابق من الضرب على آذانهم ونقلبهم
في رقدتهم ذات اليمين نصب على الظرفية أي جهة تلي أيمانهم وذات الشمال أي جهة تلي شمائلهم
كيلا تأكل الأرض ما يليها من أبدانهم عن ابن عباس رضي الله عنهما لو لم يقلبوا لأكلتهم
الأرض قيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة واحدة يوم عاشوراء وقيل في كل تسع سنين
وقرئ يقلبهم على الإسناد إلى ضمير الجلالة وتقلبهم على المصدر منصوباً بفعل ينبئ عنه وتحسبهم
أي وترى تقلبهم وكلبهم قيل هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه مراراً فلم يرجع فأنطقه الله تعالى
فقال لا تخشوا جانبي فإني أحب أحباء الله فناموا حتى أحرسكم وقيل هو كلب راع قد تبعهم
على دينهم ويؤيده قراءة كالبهم إذ الظاهر لحوقه بهم وقيل هو كلب صيد أحدهم أو زرعه
أو غنمه واختلف في لونه فقيل كان أنمر وقيل أصفر وقيل أصهب وقيل غير ذلك وقيل
كان اسمه قطمير وقيل ريان وقيل تتوه وقيل قطمورا وقيل ثور قال خالد بن معدان
ليس في الجنة من الدواب إلا كلب أصحاب الكهف وحمار بلعم وقيل لم يكن ذلك من
جنس الكلاب بل كان أسداً باسط ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك أعمل اسم
الفاعل وعند الكسائي وهشام وأبي جعفر من البصريين يجوز إعماله مطلقاً والذراع
من المرفق إلى رأس الأصبع الوسطى بالوصيد أي بموضع الباب من الكهف لو اطلعت عليهم
أي لو عاينتهم وشاهدتهم وأصل الاطلاع الإشراف على الشيء بالمعاينة والمشاهدة
وقرئ بضم الواو لوليت منهم فراراً أي لهربت منهم وهو إما نصب على المصدرية من
معنى ما قبله إذ التولية والفرار من واد واحد وإما على الحالية بجعل المصدر بمعنى الفاعل
أي فاراً أو بجعل الفاعل مصدراً مبالغة كما في قولها فإنما هي إقبال وإدبار
وإما على أنه مفعول له ولملئت منهم رعباً وقرئ بضم العين أي خوفاً يملأ الصدر ويرعبه
وهو إما مفعول ثان أو تمييز وذلك لما ألبسهم الله تعالى من الهيبة والهيئة كانت
أعينهم مفتحة كالمستيقظ الذي يريد أن يتكلم وقيل لطول أظفارهم وشعورهم ولا
يساعده قولهم لبثنا يوماً أو بعض يوم وقوله ولا يشعرن بكم أحداً فإن الظاهر من ذلك عدم
اختلاف أحوالهم في أنفسهم وقيل لعظم أجرامهم ولعل تأخير هذا عن ذكر التولية للإيذان
باستقلال كل منهما في الترتب على الاطلاع إذ لو روعي ترتيب الوجود لتبادر إلى الفهم ترتب
المجموع من حيث هو هو عليه وللإشعار بعدم زوال الرعب بالفرار كما هو المعتاد وعن
معاوية أنه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنهما
ليس لك ذلك قد منع الله تعالى منه من هو خير منك حيث قال لو اطلعت عليهم الآية فقال معاوية
لا أنتهي حتى أعلم علمهم فبعث أناساً فقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف
بعث الله ريحاً فأحرقتهم وقرئ بتشديد اللام على التكثير وبإبدال الهمزة ياء مع التخفيف
والتشديد وكذلك بعثناهم أي كما أنمناهم وحفظنا أجسادهم من البلى والتحلل آية
دالة على كمال قدرتنا بعثناهم من النوم ليتساءلوا بينهم أي ليسأل بعضهم بعضاً فيترتب عليه ما
فصل من الحكم البالغة وجعله غاية للبعث المعلل بما سبق بالاختصاص من حيث إنه من أحكامه
المترتبة عليه والاقتصار على ذكره لاستتباعه لسائر آثاره قال استئناف لبيان تساؤلهم قال قائل

منهم هو رئيسهم واسمه مكسلمينا كم لبثتم في منامكم لعله قال لما رأى من مخالفة حالهم لما هو المعتاد
في الجملة قالوا أي بعضهم لبثنا يوماً أو بعض يوم قيل إنما قالوه لأنهم دخلوا الكهف غدوة
وكان انتباههم آخر النهار فقالوا لبثنا يوماً فلما رأوا أن الشمس لم تغرب بعد قالوا أو بعض
يوم وكان ذلك بناء على الظن الغالب فلم يعزوا إلى الكذب قالوا أي بعض آخر منهم بما سنح
لهم من الأدلة أو بإلهام من الله سبحانه ربكم أعلم بما لبثتم أي أنتم لا تعلمون مدة لبثكم وإنما
يعلمها الله سبحانه وهذا رد منهم على الأولين بأجمل ما يكون من مراعاة حسن الأدب وبه يتحقق
التحزب إلى الحزبين المعهودين فيما سبق وقد قيل القائلون جميعهم ولكن في حالتين ولا
يساعده النظم الكريم فإن الاستئناف في الحكاية والخطاب في المحكي يقتضيان أن الكلام
جار على منهاج المحاورة والمقاولة ثم قالوا ربنا أعلم بما لبثنا فابعثوا أحدكم بورقكم
هذه إلى المدينة قالوه إعراضاً عن التعمق في البحث وإقبالاً على ما يهمهم بحسب الحال كما
ينبئ عنه الفاء والورق الفضة مضروبة أو غير مضروبة ووصفها باسم الإشارة يشعر بأن القائل
ناولها بعض أصحابه ليشتري بها قوت يومهم ذلك وقرئ بسكون الراء وبإدغام القاف في
الكاف وبكسر الواو وبسكون الراء مع الإدغام وحملهم لها دليل على أن التزود لا ينافي
التوكل على الله فلينظر أيها أي أهلها أزكى طعاماً أحل وأطيب أو أكثر وأرخص فليأتكم
برزق منه أي من ذلك الأزكى طعاماً وليتلطف وليتكلف اللطف في المعاملة كيلا يغبن
أو في الاستخفاء لئلا يعرف ولا يشعرن بكم أحداً من أهل المدينة فإنه يستدعي شيوع أخباركم
أي لا يفعلن ما يؤدي إلى ذلك فالنهي على الأول تأسيس وعلى الثاني تأكيد للأمر بالتلطف
إنهم تعليل لما سبق من الأمر والنهي أي ليبالغ في التلطف وعدم الإشعار لأنهم إن يظهروا
عليكم أي يطلعوا عليكم أو يظفروا بكم والضمير لأهل المدينة إنهم يرجموكم أي إن يثقفوكم
وأنتم عليه أو يعيدوكم في ملتهم أي يصيروكم إليها ويدخلوكم فيها كرهاً من العود بمعنى الصيرورة
كقوله تعالى أو لتعودن في ملتنا وقيل كانوا أولاً على دينهم وإيثار كلمة في على كلمة إلى للدلالة
على الاستقرار الذي هو أشد شيء عندكم كراهة وتقديم احتمال الرجم على احتمال الإعادة
لأن الظاهر من حالهم هو الثبات على الدين المؤدي إليه وضمير الخطاب في المواضع الأربعة
للمبالغة في حمل المبعوث على الاستخفاء وحث الباقين على الاهتمام بالتوصية فإن
إمحاض النصح أدخل في القبول واهتمام الإنسان بشأن نفسه أكثر وأوفر ولن
تفلحوا إذاً أبداً أي إن دخلتم فيها ولو بالكره والإلجاء لن تفوزوا بخير لا في الدنيا
ولا في الآخرة وفيه من التشديد في التحذير ما لا يخفى وكذلك أي وكما أنمناهم
وبعثناهم لازديادهم في مراتب اليقين أعثرنا أي أطلعنا الناس عليهم ليعلموا أي
الذين أعثرناهم عليهم بما عاينوا من أحوالهم العجيبة أن وعد الله أي وعده بالبعث أو
موعوده الذي هو البعث أو أن كل وعده صادق وكل موعوده يدخل فيه وعده بالبعث
الموعود دخولاً أولياً حق صادق لا خلف فيه أو ثابت لا مرد له لأن نومهم وانتباههم
كحال من يموت ثم يبعث وأن الساعة أي القيامة التي هي عبارة عن وقت بعث الخلائق
جميعاً للحساب والجزاء لا ريب فيها لا شك في قيامها فإن من شاهد أنه جل وعلا

توفي نفقتهم واستكملوا ثلثمائة سنة او اكثر حافظا ابدانهم من التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها
ليعلموا بانبعاثهم ان وعد الله تعالى حق وان البعث مثبت فيه القيود في اليهم ارواحهم
فيحاسبهم ويجزيهم بحسب اعمالهم اذ يتنازعون ظرف لقوله اعثرنا قدم عليه الغاية اظهارا
لكمال العناية بذكرها لا لقوله ليعلموا كما قيل لدلالته على ان التنازع يحدث بعد الاعثار
وليس كذلك اي اعثرنا عليهم حين يتنازعون بينهم ليرتفع الخلاف ويتبين الحق قيل امر
دينهم حيث كانوا مختلفين في البعث فمن مقر له وجاحد به وقائل يقول يبعث الارواح دون
امرهم
الاجساد وآخر يقول يبعثهما معا قيل كان ملك المدينة رجلا صالحا مؤمنا وقد
اختلف اهل مملكته في البعث حينئذ فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس
على رماد وسأل ربه ان يظهر الحق فالقى الله عز وجل في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به
دقيانوس باب الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه فعند ذلك بعثهم الله تعالى فجرى بينهم من
التقاول ما جرى روي ان المبعوث لما دخل المدينة اخرج الدراهم ليشتري به
الطعام وكان عليها ضرب دقيانوس فاتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه
القصة فقال بعضهم ان اباءنا اخبرونا بان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء
فانطلق الملك واهل المدينة من مسلم وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك
نستودعك الله ونعيذك به من شر الانس والجن ثم رجعوا الى مضاجعهم فتوفى الله
عليهم ثيابه وجعل لكل منهم تابوتا من ذهب فرآهم في المنام كارهين الذهب فجعلها
من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى
مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثم مسجدا وقيل التنازع
في امر الفتية قيل بعضهم اي اعثرنا عليهم حين يتذاكرون بينهم امرهم وما جرى بينهم
وبين دقيانوس من الاحوال والاهوال ويتلقون ذلك من الاساطير وافواه
الرجال وعلى التقديرين فالفاء في قوله عز وجل فقالوا فصيحة اي اعثرناهم عليهم
فرأوا ما رأوا فقالوا اي قال بعضهم ابنوا عليهم اي على باب كهفهم بنيانا لئلا يتطرق اليهم
الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها وقوله تعالى ربهم اعلم بهم من كلام المتنازعين
كانهم لما رأوا عدم اهتدائهم الى حقيقة حالهم من حيث النسب ومن حيث العدد ومن
حيث اللبث في الكهف قالوا ذلك تفويضا للامر الى علام الغيوب او من كلام الله سبحانه
رد لقول الخائضين في حديثهم من اولئك المتنازعين وقيل هو امر من يدبر
عند دفنهم او شأنهم في الموت والنوم حيث اختلفوا في انهم ماتوا او ناموا كما في اول
مرة فاذ حينئذ متعلق بقوله تعالى قال الذين غلبوا على امرهم وهم الملك والمسلمون
لنتخذن عليهم مسجدا وقوله تعالى فقالوا معطوف على يتنازعون وايثار صيغة
الماضي للدلالة على ان هذا القول ليس مما يستمر ويتجدد كالتنازع وقيل متعلق باذكر
مضمرا واما تعلقه باعثرنا فيأباه ان اعثارهم ليس في زمان تنازعهم فيما ذكر بل قبله
وجعل وقت التنازع ممتدا يقع في بعضه الاعثار وفي بعضه التنازع تعسف لا
يخفى مع انه لا مخصص لاضافته الى التنازع وهو مؤخر في الوقوع سيقولون الضمير في الافعال

الثلاثة للخائضين في قصتهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب والمسلمين لكن لا
على وجه اسناد كل منها الى كلهم بل الى بعضهم ثلاثة رابعهم كلبهم اي هم ثلاثة اشخاص رابعهم اي جاعلهم اربعة
بانضمامه اليهم كلبهم قيل قاله اليهود وقيل قاله السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا وقرئ
ثلاث بادغام التاء في التاء ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قيل قالته النصارى او العاقب
منهم وكان نسطوريا رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي الذي لا اطلاع عليه اخذا بالغيب من قولهم رجم
بالظن اذا ظن وانتصابه على الحالية من الضمير في الفعلين جميعا اي راجمين او على المصدرية منهما فان
الرجم والقول واحد او من محذوف مستأنف او واقع موقع الحال من ضمير الفعلين معا اي يرجمون
رجما وعدم ايراد السين للاكتفاء بعطفه على ما فيه ذلك ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم
هو ما يقوله المسلمون بطريق التلقي من هذا الوحي وما فيه ما يهديهم الى ذلك من عدم نظمه
في سلك الرجم بالغيب وتغيير سبكه بزيادة الواو المفيدة لزيادة وكادة النسبة فيما بين طرفيها
لا بوحي جهار كما قيل قل تحقيقا للحق وردا على الاولين ربي اعلم اي اقوى علما بعدتهم
ما يعلمهم اي ما يعلم عدتهم او ما يعلمهم فضلا عن العلم بعدتهم الا قليل من الناس قد
وفقهم الله تعالى للاستشهاد بتلك الشواهد قال ابن عباس رضي الله عنهما حين وقعت الواو انقطعت
العدة وعليه مبنى قوله رضي الله تعالى عنه انا من ذلك القليل ولو كان ذلك وحيا لما
خفي عليه ولما احتاج الى الاستشهاد بالواو ولكان المسلمون اسوة له في العلم بذلك وعن علي
كرم الله وجهه انهم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك
وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في امره والسابع
الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسمه كفشيططيوش فلا تمار الفاء لتفريع
النهي على ما قبله اي اذ قد عرفت جهل اصحاب القولين الاولين فلا تجادلهم فيهم في شأن الفتية
الا مراء ظاهرا وقدر ما تعرض له الوحي من وصفهم بالرجم بالغيب وعدم العلم على الوجه الاجمالي
وتفويض العلم الى الله تعالى من غير تصريح بجهلهم وتفضيح لهم فانه مما يخل بمكارم الاخلاق
ولا تستفت فيهم في شأنهم منهم من الخائضين احدا فان فيما قص عليك لمندوحة عن ذلك
مع انه لا علم لهم بذلك وما قاله الا قليل من اهل الكتاب فانهم لا يكادون يتفطنون الى
الكثرة وما ذكرت من الشواهد لارشاد المؤمنين الى صحة القول الثالث وفيه محيص عن الاول
من الكلمات في جعل احد الاقوال المحكية المنظومة في سلك واحد اصدق شاعن الحكاية مع كون الاولين
مخالفة في سبب حذف المفعول لاتيانه المصرح به اذ قد وقفت على ان كلهم
ليسوا على خطأ في ذلك فلا تجادل لهم الا جدالا ظاهرا ما نطق به الوحي المبين من غير تجهيل
لجميعهم فان فيهم مصيبا او ان قوله النهي عن الاستفتاء لدفع ما عسى يتوهم من احتمال جوازه
اذا احتمال وقوعه بناء على اصابة بعضهم فالمعنى لا تراجع اليهم في شأن الفتية ولا تصدق
القول الثالث من حيث صدوره عنهم بل من حيث التلقي من الوحي ولا تقولن لشيء اي لاجل
شيء تعزم عليه اني فاعل ذلك الشيء غدا اي فيما يستقبل من الزمان مطلقا فيدخل فيه الغد
دخولا اوليا فانه نزل حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف

وذي القرنين فسألوه عليه السلام فقال ائتوني غدا أخبركم ولم يستثن فأبطأ عليه الوحي حتى شق عليه
وكذبته قريش وما قيل من أن المراد بالعبارة هو الفعل وما بعد ذلك منهم بطريق دلالة
النصوص وأن ما بعده ليس بمعنى في مناط النهي فإن وجه المجادلة لا التفرقة فليتأمل إلا
أن يشاء الله استثناء مفرغ من النهي أي لا تقولن ذلك في حال من الأحوال إلا حال ملابسته
بمشيئته تعالى على الوجه المعتاد وهو أن يقال إن شاء الله أو في وقت من الأوقات إلا أن يشاء الله
أن تقوله لا مطلقا بل مشيئة إذن فإن النسيان لا ينافي بمشيئته تعالى ولا مساغ لتعليقه
بنفس الفعل لعدم سداد استثناء اقتران المشيئة بالفعل ومنافاة استثناء اعتراضها النهي وقيل
الاستثناء جار مجرى التأبيد كأنه قيل لا تقولنه أبدا كقوله تعالى وما كان لنا أن نعود فيها
إلا أن يشاء الله واذكر ربك بمشيئته قل إن شاء الله إذا نسيت إذا فرطت لسيان
ثم ذكرته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تأخير الاستثناء وعامة
الفقهاء على خلافه إذ لو صح ذلك لما تقرر إقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب
قال القرطبي هذا في تدارك التبرك والتخلص عن الإثم وأما الاستثناء المغير للحكم فلا
يكون إلا متصلا ويجوز أن يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت
الاستثناء مبالغة في الحث عليه أو اذكر ربك وعقابه إذا تركت بعض ما أمرك به ليبعثك
ذلك على التدارك أو اذكره إذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على أداء الصلاة
المنسية عند ذكرها وقل عسى أن يهدين ربي أي يوفقني لأقرب من هذا أي لشيء أقرب وأظهر
من نبأ أصحاب الكهف من الآيات والدلائل الدالة على نبوتي رشدا أي إرشادا للناس ودلالة
على ذلك وقد فعل عز وعلا ذلك حيث آتاه من البينات ما هو أعظم من ذلك وأبين كقصص
الأنبياء المتباعد أيامهم والحوادث النازلة في الأعصار المستقبلة إلى قيام الساعة أو لأقرب
رشدا وأدنى خيرا من المنسي ولبثوا في كهفهم أحياء مضروبا على آذانهم ثلاث مائة سنين وازدادوا
تسعا وهي جملة مستأنفة مبينة لما أجمل فيما سلف وأشير إلى عزة مناله وقيل إنه حكاية كلام أهل
الكتاب فإنهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم هكذا وبعضهم ثلاثمائة ورد
عن علي رضي الله عنه أنه قال عند أهل الكتاب أنهم لبثوا ثلاثمائة شمسية والله تعالى
ذكر السنة القمرية والتفاوت بينهما في كل مائة سنة ثلاث سنين فيكون ثلاثمائة وتسع سنين
وسنين عطف بيان لثلاثمائة وقيل بدل وقرئ على الإضافة وضعا للجمع موضع المفرد ومما يحسنه
ههنا أن علامة الجمع فيها جبر لما حذف من الواحد وأن الأصل في العدد إضافته إلى الجمع
قل الله أعلم بما لبثوا أي بالزمان الذي لبثوا فيه له غيب السماوات والأرض أي ما غاب فيهما
وخفي من أحوال أهلها واللام للاختصاص العلمي دون التكويني فإن غير مختص بالغيب أبصر به
وأسمع دل بصيغة التعجب على أن شأن علمه سبحانه بالمبصرات والمسموعات خارج عما عليه إدراك
المدركين لا يحجبه شيء ولا يحول دونه حائل ولا يتفاوت بالنسبة إليه اللطيف والكثيف
والصغير والكبير والخفي والجلي والهاء ضمير الجلالة ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة

وكان أصله أبصر أي صار ذا بصر ثم نقل إلى صيغة الأمر للإنشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة
له أو لزيادة الباء كما في كفى به والنصب على المفعولية عند الأخفش والفاعل ضمير المأمور وهو كل
أحد والباء مزيدة إن كانت الهمزة للتعدية ومعدية إن كانت للصيرورة ولعل تقديم أمر الإبصار
لما أن الذي نحن بصدده من قبيل المبصرات ما لهم أي لأهل السماوات والأرض من دونه تعالى من ولي
يتولى أمورهم وينصرهم استقلالا ولا يشرك في حكمه في قضائه أو في علم الغيب أحدا منهم ولا يجعل
فيه مدخلا وهو كما ترى أبلغ في نفي الشريك من أن يقال من ولي ولا شريك وقرئ على صيغة
نهي الحاضر على أن الخطاب لكل أحد ولما دل انتظام القرآن الكريم لقصة أصحاب الكهف من حيث
إنها بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم من المغيبات على أنه وحي معجز أمره عليه السلام بالمداومة على درسه
فقال واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا أو بدله لا مبدل
لكلماته لا قادر على تبديلها وتغييرها ولن تجد أبد الدهر وإن بالغت في الطلب من دونه
ملتحدا ملجأ تعدل إليه عند إلمام ملمة واصبر نفسك احبسها وثبتها مصاحبة مع الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشي أي دائبين على الدعاء في جميع الأوقات وقيل في
طرفي النهار وقرئ بالغدوة على أن إدخال اللام عليها وهي علم في الأغلب على تأويل التنكير والمراد
بهم فقراء المؤمنين مثل صهيب وعمار وخباب ونحوهم وقيل أصحاب الصفة وكانوا نحو سبعمائة
رجل قيل إنه قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هؤلاء الموالي الذين
كأن ريحهم ريح الضأن حتى نجالسك كما قال قوم نوح عليه السلام أنؤمن لك واتبعك الأرذلون
فنزلت والتعبير عنهم بالموصول لتعليل الأمر بما في حيز الصلة من الخصلة الداعية إلى إدامة الصحبة
يريدون بدعائهم ذلك وجهه حال من المستكن في يدعون أي مريدين لرضاه تعالى وطاعته
ولا تعد عيناك عنهم أي لا تجاوزهم نظرك إلى غيرهم من عداه أي جاوزه واستعماله بعن لتضمينه
معنى النبوة أو لا تصرف عيناك النظر عنهم إلى غيرهم من عدوته عن الأمر أي صرفته عنه على أن
المفعول محذوف لظهوره وقرئ ولا تعد عينيك من الإعداء والتعدية والمراد نهيه عليه السلام
عن الازدراء بهم لرثاثة زيهم طموحا إلى زي الأغنياء تريد زينة الحياة الدنيا أي تطلب مجالسة
الأشراف والأغنياء وأصحاب الدنيا وهي حال من الكاف على الوجه الأول من القراءة المشهورة
ومن الفاعل على الوجه الثاني منها وفي القراءتين الأخيرتين وإسناد الإرادة إلى العينين وتوحيده
للتلازم كما في قوله لمن حدق زلت بها النعلان ومن المستكن في الفعل على
الثالث الأخيرتين ولا تطع في تنحية الفقراء عن مجلسك من أغفلنا قلبه أي جعلنا قلبه
غافلا كطالب استعداده للذكر بالمرة عن ذكرنا عما فلا كقولك أجبنته وأبخلته إذا
وجدته كذلك أو هو من أغفل إبله أي تركها بلا سمة من ذكرنا كأولئك الذين يدعون إلى
الطرد الفقراء عن مجلسك فإنهم غافلون عن ذكرنا على خلاف ما عليه المؤمنون من الدعاء
في مجامع الأوقات وفيه تنبيه على أن الباعث له إلى ذلك الدعاء غفلة قلبه عن جناب الله
وجهته وأنها كانت الحسبان حتى خفي عليه أن الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وقرئ أغفلنا
قلبه على إسناد الفعل إلى القلب أي حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا إياه بالمؤاخذة من أغفلته إذا
وجدته غافلا واتبع هواه وكان أمره فرطا ضياعا وهلاكا أو متقدما للحق والصواب

ما بنذا الوراء ظهره من قولهم فرس فرط اى متقدم للخيل او هو بمعنى الافراط والتفريط عن ذكره سبحانه
تودى الى اتباع الهوى المودى الى التجاوز والتباعد عن الحق والصواب وفى التعبير عنهم
بالموصول للايذان بعلية ما فى حيز الصلة للنهى عن الاطاعة وقل لاولئك الغافلين المتبعين
هواهم الحق من ربكم اى ما اوحى الى الحق لا غيره كائنا من ربكم او الحق المعهود من جهته تعالى
لا من جهتى حتى يتصور فيه التبديل او يمكن التردد فى اتباعه وقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن
شاء فليكفر اما من تمام القول المامور به والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها بطريق التهديد
لا لتفريع عليه كما فى قوله تعالى هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب وقوله تعالى الحق من
ربك فلا تكونن من الممترين اى عقيب تحقق ان ما اوحى الى حق لا ريب فيه وان ذلك الحق
من جهة ربكم من شاء ان يؤمن به فليؤمن كسائر المؤمنين ولا يتعلل بالاباطيل ومن شاء
ان يكفر به فليفعل وفيه من التهديد واظهار الاستغناء عن متابعتهم وعدم المبالاة بهم وبايمانهم
وجودا وعدما ما لا يخفى واما تهديد من جهة الله تعالى والفاء لترتيب ما بعدها من التهديد
على الامر لا على مضمون المامور والمعنى قل لهم ذلك وبعد ذلك من شاء ان يؤمن به اما ان
يصدقك فيه فليؤمن ومن شاء ان يكفر به او ان يكذبك فيه فليفعل وقوله تعالى انا اعتدنا
وعيد شديد وتاكيد للتهديد وتعليل لما يفيده من الزجر عن الكفر لما فيهم من ظاهر التخيير
من عدم المبالاة بكفرهم وقلة الاهتمام بزجرهم عنه فان اعداد جزائه من دواعى الاملاء والاهتمام
وعلى الوجه الاول هو تعليل للامر بما ذكر من التخيير التهديدى اى قل لهم ذلك انا اعتدنا للظالمين
اى هيأنا للكافرين بالحق بعدما جاء من الله سبحانه والتعبير عنهم بالظالمين للتنبيه على ان مشيئة
الكفر واختياره تجاوز عن الحد ووضع للشىء فى غير موضعه نارا عظيمة عجيبة احاط بهم اى
يحيط بهم والاتيان بصيغة الماضى للدلالة على التحقق سرادقها اى فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من
النار وقيل السرادق الحجرة التى تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من
نار وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالحديد المذاب وقيل كدردى الزيت
وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم يشوى الوجوه اذا قدم ليشرب انشوى الوجه لحرارته
عن النبى صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه بئس الشراب
ذلك وساءت النار مرتفقا متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وانى ذلك فى النار
وانما هو لمقابلة قوله تعالى وحسنت مرتفقا ان الذين امنوا فى محل التعليل للحث على الايمان
المنفهم من التخيير كانه قيل وللذين امنوا ولعل تغيير سبكه للايذان بكمال تنافى مالى الفريقين
اى ان الذين امنوا بالحق الذى اوحى اليك وعملوا الصالحات حسبما بين فى تضاعيفه انا لا
نضيع اجر من احسن عملا خبر ان الاولى هى الثانية مع ما فى حيزها والراجع محذوف اى من احسن
منهم عملا او مستغنى عنه كما فى قولك نعم الرجل زيد او واقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا
فى الحقيقة هو الذى امن وعمل الصالحات اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة لهم جنات عدن
تجرى من تحتهم الانهار استيناف لبيان الاجر او هو الخبر وما بينهما اعتراض او هو خبر بعد خبر
يحلون فيها من اساور من الاولى ابتدائية والثانية بيانية صفة لاساور والتنكير
للتفخيم وهو جمع اسورة او اسوار جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا احقت الخضرة بثيابهم لانها

احسن

احسن الالوان واكثرها طراوة من سندس واستبرق اى مما رق من الديباج وما غلظ
وجمع بينهما للدلالة على ان فيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك
على السرر على ما هو شان المتنعمين نعم الثواب ذلك وحسنت اى الارائك مرتفقا اى متكأ
واضرب لهم اى للفريقين الكافر والمؤمن مثلا رجلين مفعولان لاضرب اولهما ثانيهما لانه المحتاج الى
التفصيل والبيان اى اضرب للكافرين والمؤمنين لا من حيث احوالهما المستفادة مما ذكر آنفا
من ان للاولين فى الاخرة كذا وللاخرين كذا بل من حيث عصيان الاولين مع تقلبهم فى نعم الله تعالى
وطاعة الاخرين مع مكابدتهم مشاق الفقر مثلا حال رجلين مقدرين او محققين هما اخوان من بنى
اسرائيل او شريكان كافر واسمه قطروس ومؤمن اسمه يهوذا اقتسما ثمانية الاف دينار
فاشترى الكافر بنصيبه ضياعا وعقارا وصرف المؤمن نصيبه الى وجوه المبار وآل امرهما الى ما
حكاه الله تعالى وقيل هما اخوان من بنى مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاشد ومسلم هو ابو سلمة عبد الله
ابن عبد الاشد زوج ام سلمة رضى الله عنها اولا جعلنا لاحدهما وهو الكافر جنتين بستانين من اعناب
من كروم متنوعة والجملة بتمامها بيان للتمثيل او صفة لرجلين وحففناهما بنخل اى جعلنا النخل محيطة
بهما مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا اطافوا به وحففته بهم جعلتهم حافين حوله فتزيده الباء مفعولا
آخر كقولك غشيته به وجعلنا بينهما وسطهما زرعا ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه
متواصل العمارة على الهيئة الرائقة والوضع الانيق كلتا الجنتين آتت اكلها ثمرها وبلغ مبلغها
فيما للاكل وقرى بسكون الكاف وقرى كل الجنتين آتى اكله ولم تظلم منه لم تنقص من اكلها
شيئا يعهد ذلك فى سائر البساتين فان الثمار غالبا تكثر عاما وتقل فى آخر وكذا بعض الاشجار
تاتى بالثمر فى بعض الاعوام دون بعض وفجرنا خلالهما نهرا فيما بين كل من الجنتين نهرا على حدة
ليدوم شربهما ويزيد بهاؤهما وقرئ بالتخفيف ولعل تاخير ذكر تفجير النهر عن ذكر ايتاء الاكل
مع ان الترتيب الخارجى على العكس للايذان باستقلال كل من ايتاء الاكل وتفجير النهر فى تكميل
محاسن الجنتين كما فى قصة البقرة ونحوها ولو عكس لانفهم ان المجموع خصلة واحدة بعضها
مترتب على بعض فان ايتاء الاكل مترتب على السقى عادة وفيه ايماء الى ان ايتاء الاكل لا
يتوقف على السقى كقوله تعالى يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار وكان له لصاحب
الجنتين ثمر انواع من المال غير الجنتين من ثمر ماله اذا كثره ابن عباس رضم هو
جميع المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك وقال مجاهد هو الذهب والفضة
خاصة فقال لصاحبه المؤمن وهو اى القائل يحاوره اى صاحبه المؤمن وان جاز
العكس اى يراجعه فى الكلام من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا حشما واعوانا
او اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته التى فرغت احوالها وعددها وصفاتها
وافرادها بتوحيدها اما لعدم تعلق الغرض بتعددها واما لاتصال احدهما بالاخرى واما
لان الدخول يكون فى واحدة فواحدة وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال استيناف
مبنى على سؤال نشأ من ذكر دخول جنته حال ظلمه لنفسه كانه قيل ماذا قال اذ ذاك فقيل
قال ما اظن ان تبيد هذه الجنة اى تفنى ابدا لطول امله وتمادى غفلته واغتراره
بمهلته ولعل هذا انما قال ما قال بمقابلة موعظة صاحبه وتذكيره بفناء جنتيه ونهيه عن

الآخرة بها وإما بتحصيل الباقيات الصالحات (وما أظن الساعة قائمة) كائنة فيما سيأتي (ولئن
رددت) بالبعث عند قيامها (إلى ربي) كما تزعم (لأجدن خيرا منها) أي من هذه الجنة وقرئ منهما أي
من الجنتين (منقلبا) مرجعا وعاقبة ومدار هذا الطمع واليمين الفاجرة اعتقاده أنه تعالى
إنما أولاه ما أولاه في الدنيا لاستحقاقه الذاتي وكرامته عليه سبحانه ولم يدر أن ذلك
استدراج (قال له صاحبه) استئناف كما سبق (وهو يحاوره) جملة حالية كالتي مرت فائدتها التنبيه من
أول الأمر على أن ما يتلوه كلام معتنى بشأنه مسوق للمحاورة (أكفرت) حيث قلت ما أظن الساعة
قائمة (بالذي خلقك) أي في ضمن خلق أصلك (من تراب) فإن خلق آدم عليه السلام متضمنا لخلقه
منه لما أن كل فرد من أفراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام إذ لم تكن فطرته البشرية مقصورة
على نفسه بل كانت أنموذجا منطويا على فطرة سائر آحاد الجنس انطواء إجماليا مستتبعا لجريان
آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من التراب خلقا للكل منه وقيل خلقك منه لأنه أصل
مادتك إذ به يحصل الغذاء الذي منه تحصل النطفة فتدبر (ثم من نطفة) هي مادتك القريبة
فالمخلوق واحد والمبدأ متعدد (ثم سواك رجلا) أي عدلك وكملك إنسانا ذكرا أو صيرك
رجلا والتعبير عنه تعالى بالموصول للإشعار بعلية ما في حيز الصلة لإنكار الكفر والتلويح
بدليل البعث الذي نطق به قوله عز وجل من قائل يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث
فإنا خلقناكم من تراب الآية (لكنا هو الله ربي) أصله لكن أنا وقد قرئ كذلك فحذفت الهمزة
فالتقت النونان فكان الإدغام وهو ضمير الشأن وهو مبتدأ خبره الله ربي والجملة خبر أنا
والعائد منها إليه الضمير وقرئ بإثبات الألف أنا في الوصل والوقف جميعا وفي الوقف خاصة
وقرئ لكنه بالهاء ولكن [illegible] أنا لكن أنا لا إله إلا هو ربي ومدار الاستدراك قوله
تعالى أكفرت كأنه قال أنت كافر لكني مؤمن موحد (ولا أشرك بربي أحدا) فيه إيذان
بأن كفره كان بطريق الإشراك (ولولا إذ دخلت جنتك قلت) أي هلا قلت عند ما
دخلتها وتقديم الظرف مع الحض عليه للإيذان بتحتم القول في آن الدخول من غير ريث لا
للقصر (ما شاء الله) أي الأمر ما شاء الله أو ما شاء الله كائن على أن ما موصولة مرفوعة المحل
أو أي شيء شاء الله كان على أنها شرطية منصوبة والجواب محذوف والمراد تحضيضه على الاعتراف
بأنها وما فيها بمشيئة الله تعالى إن شاء أبقاها وإن شاء أفناها (لا قوة إلا بالله) أي هلا
قلت ذلك اعترافا بعجزك وبأن ما تيسر لك من عمارتها وتدبير أمرها إنما هو بمعونة الله
تعالى وإقداره عن النبي صلى الله عليه وسلم من رأى شيئا فأعجبه فقال ما شاء الله لا قوة
إلا بالله لم يضره (إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا) أي إنا ما يؤكد لياء المتكلم أو ضمير فصل
بين مفعولي الرؤية إن جعلت علمية وأقل ثانيهما وحال إن جعلت بصرية فيكون أنا
في تأكيد لا غير لأن شرط كونه ضمير فصل توسطه بين المبتدأ والخبر أو ما أصله المبتدأ والخبر
وقرئ أقل بالرفع على أنه خبر أنا والجملة مفعول ثان للرؤية أو حال وفي قوله تعالى وولدا
نصرة لمن فسر النفر بالأولاد (فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك) هو جواب الشرط والمعنى
إن ترن أفقر منك فأنا أتوقع من صنع الله سبحانه أن يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى
فيرزقني لإيماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب جنتك (ويرسل عليها

(حسبانا) هو مصدر بمعنى الحساب كالبطلان والغفران أي مقدارا قدره الله تعالى وحسبه وهو
الحكم بتخريبها وقيل عذاب حسبان وهو حساب ما كسبت يداه وقيل مرامي جمع حسبانة وهي
الصواعق ومساعدة النظم الكريم مما سيأتي للأولى أكثر (من السماء فتصبح صعيدا زلقا) مصدر
أريد به المفعول مبالغة أي أرضا ملساء يزلق عليها لاستئصال ما عليها من البناء والشجر والنبات
(أو يصبح) عطف على قوله تعالى فتصبح وعلى الوجه الثالث على يرسل (ماؤها غورا) أي غائرا في الأرض
أطلق عليه المصدر مبالغة (فلن تستطيع له طلبا) أي للماء الغائر طلبا فضلا عن وجدانه ورده
(وأحيط بثمره) أهلك أمواله المعهودة من جنتيه وما فيهما وأصله من إحاطة العدو وهو عطف
على مقدر كأنه قيل فوقع بعض ما توقع من المحذور وأهلك أمواله وإنما حذف لدلالة السباق
والسياق عليه كما في المعطوف عليه بالفاء الفصيحة (فأصبح يقلب كفيه) ظهرا لبطن وهو كناية عن
الندم كأنه قيل فأصبح يندم (على ما أنفق فيها) أي في عمارتها من المال ولعل تخصيص الندم
به دون ما هلك الآن من الجنة لما أنه إنما يكون على الأفعال الاختيارية ولأن ما أنفق في
عمارتها كان مما يمكن صيانته عن طوارق الحدثان وقد صرفه إلى مصالحها رجاء أن يتمتع
بها أكثر مما يتمتع به وكان يرى أنه لا تنالها أيدي الردى ولذلك قال ما أظن أن تبيد
هذه أبدا فلما ظهر له أنها مما يعتريه الهلاك ندم على ما صنع بناء على الزعم الفاسد من إنفاق
ما يمكن ادخاره في مثل هذا الشيء السريع الزوال (وهي) أي الجنة من الأعناب المحفوفة
بنخل (خاوية) ساقطة (على عروشها) أي دعائمها المصنوعة للكروم لسقوطها قبل سقوطها وتخصيص حالها بالذكر
دون النخل والزرع إما لأنها العمدة وهما من متمماتها وإما لأن ذكر هلاكها مغن عن ذكر هلاك الباقي لأنها
حيث هلكت وهي مشيدة بعروشها فهلاك ما عداها بالطريق الأولى وإما لأن الإنفاق في عمارتها
أكثر وقيل أرسل الله تعالى عليها نارا فأحرقتها وغار ماؤها (ويقول) عطف على يقلب أو حال من
ضميره أي وهو يقول (يا ليتني لم أشرك بربي أحدا) كأنه تذكر موعظة أخيه وعلم أنه إنما أتي من قبل شركه
فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يصبه ما أصابه قيل ويحتمل أن يكون ذلك توبة من الشرك وندما على ما
فرط منه (ولم تكن له) وقرئ بالياء التحتانية (فئة ينصرونه) يقدرون على نصره بدفع الإهلاك أو على
رد المهلك أو الإتيان بمثله وجمع الضمير باعتبار المعنى كما في قوله عز وعلا [illegible] (من دون
الله) فإنه القادر على ذلك وحده (وما كان) في نفسه (منتصرا) ممتنعا بقوته عن انتقامه سبحانه
(هنالك) في ذلك المقام وفي تلك الحال (الولاية لله الحق) أي النصرة له وحده لا يقدر عليها أحد
فهو تقرير لما قبله أو ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر بما فعل بالكافر أخاه المؤمن ويعضده
قوله تعالى (هو خير ثوابا وخير عقبا) أي لأوليائه وقرئ الولاية بكسر الواو ومعناها الملك والسلطان
أي هنالك السلطان له عز وجل لا يغلب ولا يمتنع منه أو لا يعبد غيره كقوله تعالى فإذا
ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على أن قوله يا ليتني لم أشرك الخ كان
كلاما عن اضطرار وجزع مما دهاه على أسلوب قوله تعالى آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين
وقيل هنالك إشارة إلى الآخرة كقوله تعالى لمن الملك اليوم [illegible] وقرئ برفع الحق
على أنه صفة للولاية وبنصبه على أنه مصدر مؤكد وقرئ عقبى بضم القاف وعقبى كبشرى والكل
بمعنى العاقبة (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا) أي واذكر لهم ما يشبهها في زهرتها ونضارتها وسرعة

وسرعة زوالها لئلا يطمئنوا بها ولا يعكفوا عليها ولا يضربوا عن الآخرة صفحا بالمرة أو بين لهم صفتها
العجيبة التي هي في الغرابة كالمثل كماء استئناف لبيان المثل أي هي كماء أنزلناه من السماء ويجوز
كونه مفعولا ثانيا لاضرب على أنه بمعنى صير فاختلط به فاشتبك بسببه نبات الأرض فالتف وخالط
بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه أو نجع الماء في النبات حتى روي ورف فمقتضى الظاهر حينئذ فاختلط
بنبات الأرض وإيثار ما عليه النظم الكريم عليه للمبالغة في الكثرة فإن كلا من المختلطين موصوف
بصفة صاحبه فأصبح ذلك النبات الملتف إثر بهجته ونضارته هشيما مهشوما مكسورا تذروه
الرياح تفرقه وقرئ تذريه من أذراه وتذروه الريح وليس المشبه به نفس الماء بل هو الهيئة
المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون أخضر وارفا ثم هشيما تطيره الرياح كأن لم
يغن بالأمس وكان الله على كل شيء من الأشياء التي من جملتها الإنشاء والإفناء مقتدرا
كامل القدرة المال والبنون زينة الحياة الدنيا بيان لشأن ما كانوا يفتخرون به من محاسن
الحياة الدنيا كما قال الأخ الكافر أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا إثر بيان شأن نفسها بما مر من
المثل وتقديم المال على البنين مع كونهم أعز منه كما في الآية المحكية آنفا وقوله تعالى وأمددناكم
بأموال وبنين وغير ذلك من الآيات الكريمة لعراقته فيما نيط به من الزينة والإمداد وغير
ذلك وعمومه بالنسبة إلى الأفراد والأوقات فإنه زينة وممد لكل أحد من الآباء والبنين في كل
وقت وحين وأما البنون فزينتهم وإمدادهم إنما يكون بالنسبة إلى من بلغ مبلغ الأبوة ولأن
المال مناط لبقاء النفوس والبنون لبقاء النوع ولأن الحاجة إليه أمس من الحاجة إليهم ولأنه
أقدم منهم في الوجود ولأنه زينة بدونهم من غير عكس فإن من له بنون بلا مال فهو في ضيق حال
ونكال وإفراد الزينة مع أنها مسندة إلى الاثنين لأنها مصدر في الأصل أطلق على المفعول
مبالغة كأنهما نفس الزينة والمعنى أن ما يفتخرون به من المال والبنين شيء يتزين به في الحياة
الدنيا وقد علم شأنها في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال فكيف بما هو من أوصافها التي شأنها
أن تزول قبل زوالها والباقيات الصالحات هي أعمال الخير وقيل هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله
والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وقيل كل ما أريد به وجه الله تعالى وعلى كل تقدير يدخل فيها
أعمال فقراء المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه دخولا أوليا فإن
صلاحها ظاهر وبقاءها وبقاء عوائدها عند فناء ما تطمح إليه النفس من حظوظ الدنيا خير
أي مما نفس من المال والبنين وإخراج بقاء تلك الأعمال وصلاحها مخرج الصفات المفروغ
عنها مع أن حقهما أن يكونا مقصودي الإفادة لا سيما في مقابلة إثبات الفناء لما يقابلها من المال
والبنين على طريقة قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق للإيذان بأن بقاءها أمر
محقق لا حاجة إلى بيانه بل لفظ الباقيات اسم لها لا وصف ولذلك لم يذكر الموصوف وإنما
الذي يحتاج إلى التعرض له خيريتها عند ربك أي في الآخرة وهو بيان لما يظهر فيه آثار خيريتها
بمنزلة إضافة الزينة إلى الحياة الدنيا لا لأفضليتها من المال والبنين مع مشاركة الكل في
الأصل إذ لا مشاركة لهما في الخيرية في الآخرة ثوابا عائدة تعود إلى صاحبها وخير أملا حيث ينال
بها صاحبها في الآخرة كل ما كان يؤمله في الدنيا وأما ما مر من المال والبنين فليس
لصاحبه أمل يناله وتكرير خير للإشعار باختلاف حيثيتي الخيرية والمبالغة فيها ويوم نسير

الجبال

الجبال منصوب بمضمر أي اذكر حين نقلعها من أماكنها ونسيرها في الجو على هيئاتها كما ينبئ عنه قوله تعالى وترى
الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب أو نسير أجزاءها بعد أن نجعلها هباء منبثا والمراد بتذكيره
تحذير المشركين مما فيه من الدواهي وقيل هو معطوف على ما قبله من قوله تعالى عند ربك أي
الباقيات الصالحات خير عند الله يوم القيامة وقرئ تسير على صيغة البناء للمفعول على المنفصل جريا
على سنن الكبرياء وإيذانا بالاستغناء عن الإسناد إلى الفاعل لتعينه وقرئ تسير وترى الأرض
أي جميع جوانبها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن يتأتى منه الرؤية وقرئ ترى على
صيغة البناء للمفعول بارزة أما بروز ما تحت الجبال فظاهر وأما ما عداه فكانت الجبال تحول بينه وبين
الناظر قبل ذلك فالآن أضحى قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وحشرناهم جمعناهم إلى الموقف
من كل أوب وإيثار صيغة الماضي بعد نسير وترى للدلالة على تحقق الحشر المتفرع على البعث الذي
ينكره المنكرون وعليه يدور أمر الجزاء وكذا الكلام فيما عطف عليه منفيا وموجبا وقيل هو للدلالة
على أن حشرهم قبل التسيير والبروز ليعاينوا تلك الأهوال كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك فلم نغادر
أي لم نترك منهم أحدا يقال غادره وأغدره إذا تركه ومنه الغدر الذي هو ترك الوفاء والغدير
الذي هو ما تركه السيل في الأرض الغائرة وقرئ بالياء وبالفوقانية على إسناد الفعل إلى ضمير
الأرض كما في قوله تعالى وألقت ما فيها وتخلت وعرضوا على ربك شبهت حالهم بحال جند عرضوا
على السلطان ليأمر فيهم بما يأمر وفي الالتفات إلى الغيبة وبناء الفعل للمفعول مع التعرض لعنوان
الربوبية والإضافة إلى ضميره عليه السلام من تربية المهابة والجري على سنن الكبرياء وإظهار اللطف به عليه السلام
ما لا يخفى صفا أي غير متفرقين ولا مختلطين فلا تعرض فيه لوحدة الصف وتعدده وقد ورد
في الحديث الصحيح يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد صفوفا لقد جئتمونا على إضمار القول
على وجه يكون حالا من ضمير عرضوا أي مقولا لهم أو وقلنا لهم وأما كونه عاملا في يوم نسير كما قيل
فبمعزل من جزالة التنزيل الجليل كيف لا وأن مبتدأ هذا القول هو المقصود بالأصالة دون
سائر القوارع مع اختصاص التعلق بما قبل العرض والحشر دون تسيير الجبال وبروز الأرض
كما خلقناكم نعت لمصدر مقدر أي مجيئا كائنا كمجيئكم عند خلقنا لكم أول مرة أو حال من ضمير جئتمونا
أي كائنين كما خلقناكم أول مرة حفاة عراة غرلا أو ما معكم شيء مما تفتخرون به من الأموال والأنصار
كقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم بل زعمتم
أن لن نجعل لكم موعدا إضراب وانتقال من كلام إلى كلام كلاهما للتوبيخ والتقريع أي زعمتم
في الدنيا أنه لن نجعل لكم أبدا وقتا ننجز فيه ما وعدناه من البعث وما يتبعه وأن مخففة من المثقلة
فصل بحرف النفي بينها وبين خبرها لكونه جملة فعلية متصرفة غير دعاء والظرف إما مفعول ثان للجعل
وهو بمعنى التصيير والأول هو موعدا أو حال من موعدا وهو بمعنى الخلق والإبداع ووضع
الكتاب عطف على عرضوا داخل تحت الأمور الهائلة التي أريد بتذكيرها تذكير وقتها وأورد
فيما ورد في أمثاله من صيغة الماضي دلالة على التقرر أيضا أي وضع صحائف الأعمال وإيثار
الإفراد للاكتفاء بالجنس والمراد بوضعها إما وضعها في أيدي أصحابها يمينا وشمالا وإما في الميزان
فترى المجرمين قاطبة فيدخل فيهم الكفرة المنكرون للبعث دخولا أوليا مشفقين خائفين
مما فيه من الجرائم والذنوب ويقولون عند وقوفهم على ما في تضاعيفه نقيرا وقطميرا يا ويلتنا

منادين هلكتهم التي هلكوها من بين الهلكات مستدعين لها ايها المهلكوا لا يريدوا هولها لا تره
اتهيا في ملينا الحضرى فهذا اوان حضورك ما لهذا الكتاب اى اى شي له وقوله تعالى لا
يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها اى عدها واحاط بها جملة حالية محققة لما في الجملة
الاستفهامية من التعجب او استئنافية مبنية على سؤال نشأ من التعجب كانه قيل ما شأنه حتى
يتعجب منه فقيل لا يغادر سيئة صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا في الدنيا من
السيئات او جزاء ما عملوا حاضرا مسطورا عتيدا ولا يظلم ربك احدا فيكتب ما لم يفعل من السيئات
او يزيد في عقابه المستحق فيكون اظهارا لمعدلة القلم الاد في واذ قلنا للملائكة اى اذكر وقت
قولنا لهم اسجدوا لآدم سجود تحية ومر تفصيله فسجدوا جميعا امتثالا بالامر الا ابليس فانه لم
يسجد كلا اي واستكبر وقوله تعالى كان من الجن كلام مستأنف مسوق مساق التعليل لما يفيده
استثناء اللعين من الساجدين كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان اصله جنيا ففسق عن امر ربه
اى خرج من طاعته كما ينبئ عنه الفاء او صار فاسقا كافرا بسبب امر الله تعالى اذ لولا ذلك لما
ابى والتعرض لوصف الربوبية المنبئة للفسق لبيان كمال قبح ما فعله والمراد بتذكير قصته
تشديد النكير على المتكبرين المفتخرين بانسابهم واموالهم المستنكفين عن الانتظام في سلك
فقراء المؤمنين ببيان ان ذلك من صنيع ابليس وانهم في ذلك تابعون لتسويله كما ينبئ عنه
قوله افتتخذونه الخ فان الهمزة للانكار والتعجب والفاء للتعقيب اى عقيب علمكم
بصدور تلك القبائح عنه تتخذونه وذريته اى اولاده واتباعه جعلوا ذريته مجازا
قال قتادة يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتنفلق البيضة
عن جماعة من الشياطين اولياء من دوني فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي وهم
اى والحال ان ابليس وذريته لكم عدو اى اعداء كما في قوله تعالى فانهم عدو لي الا رب
العالمين وقوله تعالى هم العدو وانما فعل به ذلك تشبيها له بالمصادر نحو القبول والولوع
وتقييد الاتخاذ بالجملة الحالية لتأكيد الانكار وتشديده فان مضمونها مانع من وقوع
الاتخاذ ومناف له قطعا بئس للظالمين اى الواضعين للشيء في غير موضعه بدلا من الله
سبحانه ابليس وذريته وفي الالتفات الى الغيبة مع وضع الظالمين موضع الضمير من الايذان
بكمال السخط والاشارة الى ان ما فعلوه ظلم قبيح ما لا يخفى ما اشهدتهم استئناف مسوق
لبيان عدم استحقاقهم للاتخاذ المذكور في انفسهم بعد بيان الصوارف عن ذلك من جناية
الجحود والفسق والعداوة اى ما احضرت ابليس وذريته خلق السموات والارض حيث
خلقتها قبل خلقهم ولا خلق انفسهم اى ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله تعالى ولا
تقتلوا انفسكم هذا انما اجمع عليه الجمهور حذارا من تفكيك الضميرين ومحافظة على ظاهر لفظ
الانفس ولك ان ترجع الضمير الثاني الى الظالمين وتلتزم التفكيك بناء على عود المعنى الى ان
في اشهاد الشياطين خلق الذين يتولونهم هو الذي يدور عليه انكار اتخاذهم اولياء بناء
على ان ادنى ما يصحح التولي حضور الولي خلق المتولي وحيث لا حضور لا يصح التولي قطعا واما
نفي اشهاد بعض الشياطين خلق بعض منهم فليس من مبادئ الانكار المذكور في شيء على
ان اشهاد بعضهم خلق بعض ان كان مصحح التولي لشاهد ... على دلالته على كماله باعتبار انه

مدخلا

مدخلا في خلق المشهود في الجملة فهو مخل بتولي المشهود بناء على قصوره عمن شهد خلقه فلا يكون نفي
الاشهاد المذكور محققا في نفي الكمال المصحح للتولي عن الكل وهو المناط للانكار المذكور
وما كنت متخذ المضلين اى متخذهم وانما وضع موضعه المظهر ذما لهم وتسجيلا عليهم بالاضلال
وتاكيدا لما سبق من انكار اتخاذهم اولياء عضدا اعوانا في شأن الخلق او في شأن من شئون
حتى يتوهم شركتهم في التولي بناء على الشركة في بعض احكام الربوبية وفيه تهكم بهم وايذان
بكمال ركاكة عقولهم وسخافة آرائهم حيث لا يفهمون هذا الامر الجلي الذي لا يكاد يشتبه على البله
والصبيان فيحتاجون الى التصريح به وايثار نفي الاشهاد على نفي شهودهم ونفي اتخاذهم
اعوانا على نفي كونهم كذلك للاشعار بانهم مقهورون تحت قدرته تعالى تابعون لمشيئته وارادته
بهم وانهم بمعزل من استحقاق الشهود والمعونة من تلقاء انفسهم من غير احضار واتخاذ
وانما قصارى ما يتوهم في شأنهم ان يلحقوا بذلك المبلغ بامر الله عز وجل ولم يكن ذلك يكون وفيه
الهجر للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما اطلعتهم على اسرار التكوين وما خصصتهم
بفضائل لا يحويها غيرهم حتى يكونوا قدوة للناس فيؤخذ بآرائهم كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم
طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين ويعضده القراءة بفتح التاء خطابا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ما صح لك الاعتضاد بهم وتوصيفهم بالاضلال لتعليل
نفي الاتخاذ وقرئ متخذا للمضلين على الاصل وقرئ عضدا بضم العين وسكون الضاد وبفتح
وسكون بالتخفيف وبضمتين بالاتباع وبفتحتين على انه جمع عاضد كخدم وخادم
ويوم يقول اى الله عز وجل للكافرين توبيخا وتعجيزا وقرئ بنون العظمة نادوا شركائي
الذين زعمتم انهم شفعاؤكم ليشفعوا لكم والمراد بهم كل ما عبد من دونه تعالى وقيل ابليس
وذريته فدعوهم اى نادوهم للاغاثة وفيه بيان لكمال اعتنائهم باغاثتهم على طريقة الشفاعة
اذ معلوم ان الطريق الى الموافقة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم اذ لا امكان لذلك وفي
ايراده مع ظهوره تهكم بهم وايذان بانهم في الحماقة بحيث لا يفهمون الا بالتصريح به
وجعلنا بينهم بين الداعين والمدعوين موبقا اسم مكان او مصدر من وبق وبوقا
كوثب وثوبا او وبق وبقا كفرح فرحا اذا اهلك اى مهلكا يشتركون فيه وهو النار او
عداوة هي في الشدة نفس الهلاك كقول عمر لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا
وقيل البين الوصل اى وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا في الآخرة ويجوز ان يكون المراد
بالشركاء الملائكة وعزيرا وعيسى عليهم السلام وبالموبق البرزخ البعيد اى جعلنا بينهم
امدا بعيدا يهلك فيه الاشواط لفرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان ورأى
المجرمون النار وضع المظهر مقام المضمر تصريحا باجرامهم وذما لهم بذلك فظنوا اى
ما يقنوا انهم مواقعوها داخلوها واقعون فيها وظنوا اذا رأوها من مكان بعيد انهم
مواقعوها الساعة ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او مكانا ينصرفون اليه ولقد صرفنا
اى كررنا واوردنا على وجوه كثيرة من النظم في هذا القرآن للناس لمصلحتهم ومنفعتهم من
كل مثل من جملته ما مر من مثل الرجلين ومثل الحياة الدنيا او من كل نوع من انواع المعاني
البديعة الداعية الى الايمان التي هي في الغرابة والحسن واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه

بالتفصيل فلم يفعلوا وكان الانسان بحسب جبلته اكثر شيء جدلا اى اكثر الاشياء التي يتاتى منه الجدل
ومعناه ها هنا شدة الخصومة بالباطل والمماراة من الجدل الذي هو الفتل والمجادلة الملاواة
لان كلا من المجادلين يلتوى على صاحبه وانتصابه على التمييز اى ان جدله اكثر من جدل كل مجادل
وما منع الناس اى اهل مكة الذين حكيت اباطيلهم ان يؤمنوا اى من ان يؤمنوا بالله تعالى ويتركوا
ما هم فيه من الاشراك اذ جاءهم الهدى اى القران العظيم الهادى الى الايمان بما فيه من فنون
المعاني الموجبة له ويستغفروا ربهم عما فرط منهم من انواع الذنوب التي من جملتها مجادلتهم للحق
بالباطل الا ان تاتيهم سنة الاولين اى الا طلب اتيان سنتهم او انتظار اتيانها او الا
تقديره فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وسنتهم الاستئصال او ياتيهم العذاب اى
عذاب الاخرة قبلا اى انواعا جمع قبيل او عيانا كما في قراءة قبلا بكسر القاف وفتح الباء وقرئ
بفتحتين اى مستقبلا يقال لقيته قبلا وقبلا وانتصابه على الحالية من الضمير او العذاب
والمعنى انه ما تضمنه القران الكريم من الامور المستوجبة للايمان بحيث لو لم يكن مثل هذه
الحكمة القوية لما امتنع الناس من الايمان وانما كانوا يجيئون على الجدال المفرط وما نرسل
المرسلين الا ملتبسين بحال من الاحوال الا حال كونهم مبشرين للمؤمنين بالثواب ومنذرين
للكفرة والعصاة بالعقاب ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الايات بعد ظهور
المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به اى بالجدال الحق
اى ليزيلوه عن مركزه ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك قولهم للرسل عليهم السلام
ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحوهما واتخذوا اياتي التي يجب بها
الجدال وما انذروا اى ما انذروه من القوارع الناعية عليهم العقاب والعذاب او انذارهم
استهزاء وقد يسكنون الزاي وهو ما يستهزأ به ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه وهي
القران العظيم فاعرض عنها ولم يتدبرها ولم يتذكر بها وهذا السبك وان كان مدلوله
الوضعي نفي الاظلمية من غير تعرض لنفي المساواة في الظلم الا انه يفهمه العرف انه اظلم
كل ظالم وبناء الاظلمية على ما في حيز الصلة من الاعراض عن القران للاشعار بان ظلم من
يجادل فيه ويتخذه هزوا خارج عن الحد ونسي ما قدمت يداه اى عمله من الكفر والمعاصي
التي من جملتها ما ذكر من المجادلة بالباطل والاستهزاء بالحق ولم يتفكر في عاقبتها انا جعلنا
على قلوبهم اكنة اغطية كثيرة جمع كنان وهو تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع
على قلوبهم ان يفقهوه مفعول لما دل عليه الكلام اى منعناهم ان يفقهوا كله ومفعولا
له اى كراهة ان يفقهوه وفي اذانهم اى جعلنا فيها وقرا ثقلا يمنعهم من استماعه وان
تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا اى فلن يكون منهم اهتداء البتة مدة
التكليف واذن جزاء للشرط وجواب عن سؤال النبي عليه الصلاة والسلام المدلول عليه بكمال
عنايته باسلامهم كانه قال عليه السلام ما لي لا ادعوهم فقيل ان تدعهم الخ وجمع الضمير الراجع
الى الموصول في هذه المواضع الخمسة باعتبار معناه كما ان افراده في المواطن الخمسة المتقدمة
باعتبار لفظه وربك مبتدا وقوله تعالى الغفور خبره وقوله تعالى ذو الرحمة اى الموصوف
بها خبر بعد خبر وايراد المغفرة على صيغة المبالغة دون الرحمة للتنبيه على كثرة الذنوب ولان

المغفرة

المغفرة ترك المضار وهو سبحانه قادر على ترك ما لا يتناهى من العذاب واما الرحمة فهي فعل ايجاد
ولا يدخل تحت الوجود الا ما يتناهى وتقديم الوصف الاول لان التخلية قبل التحلية او لانه
بحسب الحال اذ المقام مقام بيان تاخير العقوبة عنهم بعد استيجابهم لها كما يعرب عنه قوله
عز وجل لو يؤاخذهم اى لو يريد مؤاخذتهم بما كسبوا من المعاصي التي من جملتها ما حكى
عنهم من مجادلتهم بالباطل واعراضهم عن ايات ربهم وعدم المبالاة بما اجترحوا من
الموبقات لعجل لهم العذاب لاستيجاب اعمالهم لذلك وايثار المؤاخذة المنبئة عن
شدة الاخذ بسرعة على التعذيب والعقوبة ونحوها للايذان بان النفي المستفاد
من مقدم الشرطية متعلق بوصف السرعة كما ينبئ عنه تاليها وايثار صيغة الاستقبال
وان كان المعنى على المضي لافادة ان انتفاء تعجيل العذاب لهم بسبب استمرار عدم ارادة
المؤاخذة فان المضارع الواقع موقع الماضي يفيد استمرار انتفاء الفعل فيما مضى كما حقق في
موضعه بل لهم موعد هو يوم بدر او يوم القيامة والجملة معطوفة على مقدر كانه
قيل لكنهم ليسوا مؤاخذين بغتة لن يجدوا من دونه موئلا ملجا ولا منجا يقال
وال اذا نجا وال اليه اى لجا اليه وتلك القرى اى قرى عاد وثمود واضرابهم
وهي مبتدا على تقدير المضاف اى واهل تلك القرى خبره قوله تعالى اهلكناهم
او مفعول مضمر مفسر به لما ظلموا اى وقت ظلمهم كما فعلت قريش بما حكى عنهم من القبائح وترك
المفعول اما لتعميم الظلم او لتنزيله منزلة اللازم اى لما فعلوا الظلم ولما اما حرف كما قال ابن
عصفور وانما ظرف استعمل للتعليل وليس المراد به الوقت المعين الذي عملوا فيه الظلم
بل زمان ممتد من ابتداء الظلم الخ وجعلنا لمهلكهم اى لهلاكهم موعدا اى وقتا
معينا لا يحيدون عنه ذلك وهذا استشهاد على ما فعل بقريش من تعيين الموعد ليتنبهوا
لذلك ولا يغتروا بتاخير العذاب وقرئ بضم الميم وفتح اللام اى اهلاكهم وبفتحهما واذ
قال موسى نصب باضمار فعل اى اذكر وقت قوله عليه السلام لفتاه وهو يوشع بن نون بن افرائيم
بن يوسف عليه السلام سمي فتاه اذ كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يتعلم منه ولذا يسمى التلميذ
فتى وان كان شيخا ولعل المراد بتذكيره عقيب بيان ان لكل امة موعدا تذكير ما في
القصة من مواعدة الملاقاة مع ما فيها من سائر المنافع الجليلة لا ابرح من برح الناقص
كزال يزال اى لا ازال اسير فحذف الخبر اعتمادا على دلالة الحال اذ كان ذلك عند
التوجه الى السفر والكلام على ما يعقبه من قوله حتى ابلغ فان ذلك غاية تستدعي ذا غاية
يؤدي اليها ويجوز ان يكون اصل الكلام لا يبرح مسيري حتى ابلغ فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه فينقلب الضمير الى المحل مرفوعا مستكنا والفعل من
صيغة الغيبة الى التكلم ويجوز ان يكون من برح التام كزال يزول اى لا افارق ما انا بصدده
حتى ابلغ مجمع البحرين هو ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل بحرا الكر والرس
بارمينية وقيل افريقية وقرئ بكسر الميم كالمشرق او امضي حقبا اسير زمانا طويلا اى
اتيقن معه فوات المطلب والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وكان منشا هذه العزيمة ان موسى
عليه السلام لما ظهر على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله عز وجل ان يذكر

قومه المنبر فقام فيهم خطيباً بخطبة بليغة رقت بها القلوب وذرفت العيون فقالوا اينا اعلم
الناس قال انا فعتب الله تعالى عليه اذ لم يرد العلم اليه تعالى وجل فاوحى اليه بل اعلم منك عبد لي
عند مجمع البحرين وهو الخضر عليه السلام وكان في ايام افريدون قبل موسى عليه السلام وكان على مقدمة ذي
القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى عليه السلام سأل ربه اي عبادك احب اليك
قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى
قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده
عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين
اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث
فقدته فهو هناك فاخذ حوتا فجعله في مكتل فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا
يمشيان فلما بلغا الفاء فصيحة كما اشير اليه مجمع بينهما اي مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه
اتساعا او بمعنى الوصل نسيا حوتهما الذي جعل فقدانه امارة وجدان المطلوب اي نسيا
تفقد امره وما يكون منه وقيل نسي يوشع ان يقدمه وموسى عليهما السلام ان يامره فيه بشيء روي
انهما لما بلغا مجمع البحرين وفيه الصخرة وعين الحياة التي لا يصيب ماؤها ميتا الا حيي وضعا
رؤوسهما على الصخرة فناما فلما اصاب الحوت برد الماء وروحه عاش وقد كانا اكلا منه وكان ذلك
بعدما استيقظ يوشع عليه السلام وقيل توضأ يوشع عليه السلام من تلك العين فانتضح الماء على الحوت
فعاش ووقع في الماء فاتخذ سبيله في البحر سربا مسلكا كالسرب وهو النفق وقيل امسك
الله عز وجل جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه لموسى او للخضر عليهما السلام وانتصاب سربا
على انه مفعول ثان لاتخذ وفي البحر حال منه او من السبيل ويجوز ان يتعلق باتخذ فلما جاوزا
اي مجمع البحرين الذي جعل موعدا للملاقاة قيل انطلقا بقية الليلة والغد الى الظهر القي على موسى
عليه السلام الجوع بعد ذلك قال لفتاه آتنا غداءنا اي ما نتغدى به وهو الحوت كما ينبئ عنه
الجواب لقد لقينا من سفرنا هذا اشارة الى السفر بعد مجاوزة الموعد نصبا تعبا
واعياء قيل لم ينصب ولم يجع قبل ذلك والجملة في محل التعليل للامر باتيان الغداء اما باعتبار
ان النصب انما يعتري بسبب الضعف الناشئ عن الجوع واما باعتبار ما في اثناء التغدي من
استراحة ما قال اي فتاه عليهما السلام ارأيت اذ اوينا الى الصخرة اي التجأنا اليها واقمنا عندها
وذكر الاواء اليها مع ان المذكور فيما سبق مرتين بلوغ مجمع البحرين لزيادة تعيين محل الحادثة
فان المجمع محل متسع لا يمكن تحقيق المراد المذكور بنسبة الحادثة اليه ولتمهيد العذر فان
الاواء اليها والنوم عندها مما يودي الى النسيان عادة والرؤية مستعارة للمعرفة التامة
والمشاهدة الكاملة ومراده بالاستفهام تعجيب موسى عليه السلام مما اعتراه هناك من النسيان
مع كون مشاهدته مما لا يكاد ينسى ومتحيل فقدانه علامة لوجدان المطلوب وهذا
اسلوب معتاد فيما بين الناس يقول احدهم لصاحبه اذا نابه خطب ارأيت ما نابني يريد بذلك
تهويله وتعجيب صاحبه منه وانه مما لا يعهد ووقوعه لا استخباره عن ذلك كما قيل والمفعول
محذوف اعتمادا على ما يدل عليه من قوله عز وجل فاني نسيت الحوت وفيه تاكيد للتعجيب وتربية
لاستعظام المنسي وايقاع النسيان على اسم الحوت دون ضمير الغداء مع انه المامور باتيانه

للتنبيه من اول الامر على انه ليس من قبيل نسيان المسافر زاده في المنزل فان مشاهده ليس من
قبيل الاحوال المتعلقة بالغداء من حيث هو غداء وطعام بل من حيث هو حوت كسائر
الحيتان مع زيادة اي نسيت ان اذكر لك امره وما شاهدت منه من الامور العجيبة وما
انسانيه الا الشيطان بوسوسته الشاغلة عن ذلك وقوله تعالى ان اذكره بدل
اشتمال من الهاء اي ما انساني ان اذكره لك وفي تعليق الانساء بضمير الحوت اولا ثم بذكره
له ثانيا على طريق الابدال المنبئ عن تنحية المبدل منه اشارة الى ان متعلق النسيان ايضا
ليس نفس الحوت بل ذكر امره وفيه ان اذكره وايثار ان اذكره على المصدر للايذان بان
مدلوله نفس الحدوث عند وقوعه والحال وان كانت عجيبة لا يعهد نسيانها لكنه لما تعود
بمشاهدة امثالها عند موسى عليه السلام والفها قل اهتمامه بالمحافظة عليها واتخذ سبيله
في البحر عجبا بيان لطرف من امر الحوت منبئ عن طرف آخر منه وما بينهما اعتراض قدم
عليه للاعتناء بالاعتذار كانه قيل حيي واضطرب ووقع في البحر واتخذ سبيله فيه سبيلا
عجبا فعجبا ثاني مفعولي اتخذ والظرف حال من اولهما او ثانيهما او هو المفعول الثاني وعجبا
صفة مصدر محذوف اي اتخاذا عجبا وهو كون مسلكه كالطاق والسرب او مصدر
فعل محذوف اي اتعجب منه عجبا وقد قيل انه من كلام موسى عليه السلام وليس بذلك قال اي
موسى عليه السلام ذلك الذي ذكرت من امر الحوت ما كنا نبغ وهي باثبات الياء والضمير العائد
الى الموصول محذوف اصله نبغيه اي نطلبه لكونه امارة للفوز بالمرام فارتدا اي رجعا
على آثارهما طريقهما الذي جاءا منه قصصا يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعا
ويقصان حتى اتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا التنكير للتفخيم والاضافة للتشريف
والجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس عليهما السلام آتيناه رحمة
من عندنا هي الوحي والنبوة كما يشعر به تنكير الرحمة واختصاصها بجناب الكبرياء وعلمناه
من لدنا علما خاصا لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره وهو علم الغيوب قال له موسى استئناف
مبني على سؤال نشأ من السياق كانه قيل فماذا جرى بينهما من الكلام فقيل قال له موسى
هل اتبعك على ان تعلمني استيذان منه في اتباعه له على وجه التعلم مما علمت رشدا اي
علما ذا رشد ارشد به في ديني وقرئ رشدا وهو مفعول تعلمني ومفعول
علمت محذوف وكلاهما منقول من علم المتعدي الى مفعول واحد ويجوز كونه علة لاتبعك او
مصدرا باضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من نبي آخر ما لا يتعلق له
باحكام شريعته من اسرار العلوم الخفية ولقد راعى في سوق الكلام غاية التواضع معه
عليهما السلام قال اي الخضر انك لن تستطيع معي صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على
وجه التاكيد كانه مما لا يصح ولا يستقيم وعلله بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا
ايذانا بانه يتولى امورا خفية المدار منكرة الظواهر والرجل الصالح لا سيما الرجل الصالح
صاحب الشريعة لا يتمالك ان يشمئز عند مشاهدتها وفي صحيح البخاري قال الخضر يا موسى
اني على علم من علم الله تعالى علمنيه لا تعلمه وانت على علم من علم الله علمكه الله لا اعلمه وخبرا
تمييز اي لم يحط به خبرك قال موسى عليه السلام ستجدني ان شاء الله صابرا معك غير معترض

عليك وتوسيط الاستثناء بين مفعولي الوجدان لكمال الاعتناء بالتيمن ولئلا يتوهم تعلقه
بالصبر ولا اعصى لك امرا عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص وفي وعد هذا
الوجدان من المبالغة ما ليس في الوعد بنفس الصبر وترك العصيان او على ستجدني فلا محل له من
الاعراب والاول هو الاولى لما عرفته ولظهور تعلقه بالاستثناء حينئذ وفيه دليل على ان
افعال العباد بمشية الله تعالى قال فان اتبعتني اذن له في الاتباع بعد اللتيا والتي فلا تسألني
عن شيء من افعالي اي لا تفاتحني بالسؤال عن حكمته فضلا عن المناقشة والاعتراض حتى احدث
لك منه ذكرا اي حتى ابتدئ ببيانه وفيه ايذان بان كل ما صدر عنه فله حكمة وغاية حميدة
البتة وهذا من اداب المتعلم مع العالم والتابع مع المتبوع وقرئ فلا تسألني بالنون المثقلة فانطلقا
اي موسى والخضر عليهما السلام على الساحل يطلبان السفينة واما يوشع فقد صرفه موسى عليه السلام الى
بني اسرائيل فمرت بهما سفينة فكلما اهلها فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول حتى اذا ركبا في السفينة
استعمال الركوب في امثال هذه المواقع بكلمة في مع تجريده عنها في مثل قوله عز وجل لتركبوها
وزينة على ما يقتضيه تعديته بنفسه لما اشرنا اليه في قوله تعالى وقال اركبوا فيها من ان
في ركوبها معنى الدخول خرقها قيل قلع فيها بعد ما لججوا حيث اخذ فاسا فقلع من الواحها لوحين
مما يلي الماء فعند ذلك قال موسى اخرقتها لتغرق اهلها من الاغراق وقرئ بالتشديد من
التغريق وليغرق اهلها من الثلاثي لقد جئت اي اتيت وفعلت شيئا امرا اي عظيما هائلا من
امر الامر اذا عظم قيل الاصل امرا مخففا قال اي الخضر الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا
تذكير لما قاله من قبل وتحقيق لمضمونه متضمن للانكار على عدم الوفاء بوعده قال لا تؤاخذني بما
نسيت اي بالذي نسيته او بشيء نسيته وهو وصيته بان لا يسأله عن حكمة ما صدر عنه من الافعال
الخفية الاسباب قبل بيانه اراد انه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي كما ورد في صحيح البخاري
من ان الاول كان من موسى نسيانا او اخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان
يوهم انه قد نسي ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب مع
التوسل الى الغرض او اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة ولا
ترهقني اي لا تغشني ولا تحملني من امري وهو اتباعه اياه عسرا اي لا تعسر علي متابعتك ويسرها
علي بالاغضاء وترك المناقشة وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا الفاء فصيحة اي فقبل عذره
فخرجا من السفينة فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل كان الغلام يلعب بالغلمان ففتل
عنقه وقيل ضرب رأسه بالحائط وقيل اضجعه فذبحه بالسكين قال اي موسى عليه السلام اقتلت نفسا
زاكية طاهرة عن الذنوب وقرئ زكية بغير نفس اي بغير قتل نفس محرمة وتخصيص نفي هذا
المبيح بالذكر من بين سائر المبيحات من الكفر بعد الايمان والزنا بعد الاحصان لانه الاقرب
الى الوقوع نظرا الى حال الغلام ولعل تغيير النظم الكريم بجعل ما صدر عن الخضر عليه السلام ههنا من
جملة الشرط وابراز ما صدر عن موسى عليه السلام في معرض الجزاء المقصود افادته مع ان الحقيق بذلك
انما هو ما صدر عن الخضر عليه السلام من الخوارق البديعة لاستشراف النفس الى ورود خبرها لقلة وقوعها
في نفس الامر وندرة وصول خبرها الى الاذهان ولذلك روعيت تلك النكتة في الشرطية الاولى
لان صدور الخوارق منه عليه السلام خرج ثم مخرج العادة فانصرفت النفس عن ترقبه الى ترقب

احوال موسى عليه السلام هل يحافظ على مراعاة شرطه بموجب وعده ام لا كيف عند مشاهدته خارق
آخر او يسارع الى المناقشة كما في المرة الاولى فكان المقصود افادته ما صدر عنه عليه السلام
فتعلق بها فعلت صدور شأن الشرطية واما ما قيل من ان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل
فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام فليس من رفع الشبهة في شيء بل هو مؤيد لها فان
كون القتل اقبح من مبادي قلة صدوره عن المؤمن العاقل وندرة وصول خبره الى الاسماع
وذلك مما يستدعي جعله مقصودا بالذات وكون الاعتراض عليه ادخل من موجبات كثرة
صدوره عن كل عاقل وذلك مما لا يقتضي جعله كذلك لقد جئت شيئا نكرا قيل معناه
انكر من الاول اذ لا يمكن تداركه كما يمكن تدارك الاول بالسد ونحوه وقيل الامر اعظم من النكر
لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة قال الم اقل لك انك لن
تستطيع معي صبرا زيد لك لزيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية وقلة التثبت
والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير حتى زاد في النكير في المرة
الثانية قال اي موسى عليه السلام ان سألتك عن شيء بعدها اي بعد هذه المرة فلا تصاحبني
وقرئ من الافعال اي لا تجعلني صاحبك قد بلغت من لدني عذرا اي وجدت عذرا من قبلي
عذرا حيث خالفتك ثلاث مرات عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى
استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب العجائب وقرئ لدني بتخفيف النون
وقرئ بسكون الدال كعضد في عضد فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية هي انطاكية وقيل
ابلة وهي ابعد ارض الله من السماء وقيل هي برقة وقيل بلدة بالاندلس عن النبي
صلى الله عليه وسلم كانوا اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي لا يضاف فيها الضيف ولا يعرف
لابن السبيل حقه وقوله تعالى استطعما اهلها في محل الجر على انه صفة لقرية ولعل
العدول عن استطعامهم على ان يكون صفة للاهل لزيادة تشنيعهم على سوء صنيعهم فان
الاباء من الضيافة وهم اهلها قاطنون بها اقبح واشنع روي انهما طافا في
القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم فابوا ان يضيفوهما بالتشديد وقرئ
بالتخفيف من الاضافة يقال ضافه اذا كان له ضيفا واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفا
له وحقيقته ضاف مال اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار فوجدا
فيها جدارا يريد ان ينقض اي يداني ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة للدلالة على المبالغة
في ذلك والانقضاض الاسراع في السقوط وهو انفعال من القض يقال قضضته فانقض
ومنه انقضاض الطير والكواكب لسقوطه بسرعة وقيل هو افعلال من النقض كاحمر من الحمرة
وقرئ ان ينقض من النقض وان ينقاص من الانقياص ينقاص من انقاصت السن اذا
انشقت طولا فاقامه قيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه وقيل اقامه بعمود
عمده به قيل كان سمكه مائة ذراع قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا تحريضا له على اخذ الجعل
لينتعشا به اي لو شئت لاخذت بمقابلته اجرا فكأنه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة
واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك الصبر لتخذت افتعل من تخذ بمعنى اخذ كاتبع من تبع
وليس من الاخذ عند البصريين وقرئ لتخذت اي لاخذت وقرئ بادغام الذال في التاء

قال اى الخضر عليه السلم هذا فراق بيني وبينك على اضافة المصدر اى الظرف اتساعا وقرى
على الاصل والمشار اليه اما نفس الفراق كانه في هذا القول الوقت الحاجة اى هذا الوقت وقت
فراق بيني وبينك او السؤال الثالث اى هذا سبب ذلك الفراق وحينيذ هو الموعود سانبيك السين
للتاكيد لعدم تراخي التنبيه بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا التاويل رجع الشي الى ماله والمراد به
ههنا المال والعاقبة اذ هو المنبا به دون التاويل وهو خلاص السفينة من اليد العادية وخلاص
ابويه للغلام من شره مع الفوز بالبدل الاحسن واستخراج اليتيمين للكنز وفي جعل صلة الموصول
عدم استطاعة موسى عليه السلم للصبر دون ان يقال بتاويل ما فعلت او بتاويل ما رايت ونحوهما
نوع تعريض به عليه السلم وعتاب **أما السفينة** التي خرقتها فكانت
لمساكين لضعفاء لا يقدرون على مدافعة الظلمة وقيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم
زمنى وخمسة يعملون في البحر واسناد العمل الى الكل انما هو بطريق التغليب او لان
عمل الوكلاء بمنزلة عمل الموكلين فاردت ان اعيبها اى اجعلها ذات عيب وكان
وراءهم ملك اى امامهم وقد قرى به او خلفهم وكان رجوعهم عليه لا محالة واسمه جلندي
بن كركر وقيل منولة بن جلندي الازدي ياخذ كل سفينة اى صالحة وقد قرى كذلك
غصبا من اصحابها وانتصابه على انه مصدر مبين لنوع الاخذ ولعل تفريع ارادة تعييب
السفينة على مسكنة اصحابها قبل بيان خوف الغصب مع ان مدارها كلا الامرين للاعتناء
بشانها اذ هي المحتاجة الى التاويل وللايذان بان الاقوى في المدار هو الامر الاول ولذلك
لا يبالي بتخليص سفن ساير الناس مع تحقق خوف الغصب في حقهم ايضا ولان في التاخير فصلا بين
السفينة وضميرها مع توهم رجوعه الى الاقرب واما الغلام الذي قتلته فكان ابواه مؤمنين
لم يصرح بكفره او بكفرانه اشعارا بعدم الحاجة الى الذكر لظهوره فخشينا ان يرهقهما
فخفنا ان يغشي الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه
ويلحق بهما شرا وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ
كافر او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه وانما خشي الخضر عليه السلم منه ذلك لان الله
سبحانه اعلمه بحاله واطلعه على سر امره وقرى فخاف ربك اى كره سبحانه كراهة من خاف
سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز ان تكون القراءة المشهورة على الحكاية بمعنى فكرهنا كقوله
تعالى لاهب لك فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه بان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه وفي
التعرض بعنوان الربوبية والاضافة اليهما ما لا يخفى من الدلالة على ارادة وصول الخير اليهما
زكوة طهارة من الذنوب والاخلاق الرديئة واقرب رحما اى رحمة وعطفا قيل ولدت لهما
جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله تعالى على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا
وقيل ابدلهما ابنا مؤمنا مثلهما وقرى يبدلهما بالتشديد وقرى رحما بضم الحاء واتصابه
على التمييز مثل زكوة واما الجدار المعهود فكان لغلامين يتيمين في المدينة هي القرية
المذكورة فيما سبق ولعل التعبير عنها بالمدينة لاظهار نوع اعتداد بها باعتداد ما
فيها من اليتيمين واهلهما الصالح قيل اسماهما اصرم وصريم واسم المقتول جيسون وكان تحته
كنز لهما من فضة وذهب كما روى مرفوعا والذم على كنزهما في قوله عز وجل والذين يكنزون
الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكوتهما وساير حقوقهما وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب فيه
عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن
بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا
وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم وكان
ابوهما صالحا تنبيه على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذي
حفظا فيه سبعة اباء فاراد ربك اى مالكك ومدبر امورك وفي اضافة الرب الى ضميره عليه السلم
دون ضميرهما تنبيه له عليه السلم على تحتم كمال الانقياد والاستسلام لارادته سبحانه ووجوب
الاحتراز عن المناقشة فيما وقع بحسبها من الامور المذكورة ان يبلغا اشدهما اى حلمهما
وكمال رايهما ويستخرجا كنزهما من تحت الجدار ولولا انى اقمته لانقض وخرج
الكنز من تحته قبل اقتدارهما على حفظ المال وتنميته وضاع بالكلية رحمة من ربك
مصدر في موقع الحال اى مرحومين منه عز وجل او مفعول له او مصدر مؤكد لاراد فان ارادة
الخير رحمة وقيل متعلق بمضمر اى فعلت ما فعلت من الامور التي شاهدتها رحمة من ربك وفي
اضافة الرب الى ضمير المخاطب دون ضميرهما فيكون قوله عز وعلا وما فعلته عن امرى
اى عن رايي واجتهادي تاكيدا لذلك ذلك اشارة الى العواقب المنظومة في سلك البيان
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتها في الفخامة تاويل ما لم تسطع اى لم تستطع
فحذف التاء للتخفيف عليه صبرا من الامور التي رايته اى ماله وعاقبته فيكون انجاز التنبية
الموعودة او الى البيان نفسه فيكون التاويل بمعناه على كل حال فهو فذلكة لما تقدم
وفي جعل الصلة غير ما مر تكرير للتذكير وتشديد للعتاب تنبيه اختلفوا في حياة الخضر
فقيل انه حي وسببه انه كان على مقدمة ذي القرنين فلما دخل الظلمات اصاب الخضر عين الحياة
فنزل واغتسل منها وشرب من مائها واخطأ ذو القرنين الطريق فعاد قالوا والياس ايضا
في الحياة يلتقيان كل سنة بالموسم وقيل انه ميت لما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى
العشاء ذات ليلة ثم قال ارايتكم ليلتكم هذه فان راس ماية سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم
على ظهر الارض احد ولو كان الخضر حيا لما عاش بعد ماية عام روي ان موسى
عليه السلم لما اراد ان يفارقه قال له اوصني قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به
ويسالونك عن ذي القرنين هم اليهود سالوه على وجه الامتحان او سالوا قريش بتلقينهم وصيغة
الاستقبال للدلالة على استمرارهم على ذلك الى ورود الجواب وهو ذو القرنين الاكبر
واسمه الاسكندر بن فيلقوس اليوناني وقال ابن اسحق اسمه مرزبان بن مرزبة من ولد
يافث بن نوح عليه السلم كان اسود وقيل اسمه عبد الله بن الضحاك وقيل مصعب
عبد الله بن قنان بن منصور بن عبد الله الازد بن عون بن زيد بن كهلان بن سبا
بن يعرب بن قحطان وقال السهيلي قيل ان اسمه مرزبان بن مدركة ذكره ابن هشام وهو
اول التبابعة وقيل انه افريدون بن اثفيان الذي قتل الضحاك وذكر ابو الريحان البيروني
في كتابه المسمى بالاثار الباقية عن القرون الخالية ان ذا القرنين هو ابو كرب سمي بن عبر بن
افريقيس الحميري وان ملكه بلغ مشارق الارض ومغاربها وهو الذي افتخر به التبع اليماني

حيث قال ... قد كان ذو القرنين جدي مسلماً ... ملكاً علا في الارض غير مفند
بلغ المشارق والمغارب يبتغي ... اسباب امر من حكيم مرشد

وجعل هذا القول اقرب لان الاذواء كانوا من اليمن كذي المنار وذي نواس وذي النون وذي رعين وذي يزن وذي جدن قال الامام الرازي والاول هو الظاهر لان من بلغ ملكه من السعة والقوة الى الغاية التي نطق بها التنزيل الجليل انما هو الاسكندر اليوناني كما تشهد به كتب التواريخ يروى انه لما مات ابوه جمع ملك الروم بعد ان كان طوايف ثم قصد ملوك العرب وقهرهم ثم امعن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها باسمه ثم دخل الشام وقصد بني اسرائيل وورد بيت المقدس وذبح في مذبحه ثم انعطف الى ارمينيه وباب الابواب ودانت له العراقيون والقبط والبربر ثم توجه نحو دارا بن دارا وهزمه مرارا الى ان قتله صاحب حرسه واستولى على ممالك الفرس وقصد الهند وفتحه وبنى مدينة سرنديب وغيرها من المدن العظام ثم قصد الصين وغزا الامم البعيده ورجع الى خراسان وبنى بها مداين كثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات انتهى كلام الامام وروى ان اهل النجوم قالوا له انك لا تموت الا على ارض من حديد وتحت سماء من خشب وكان يدفن كنز كل بلدة فيها ويكتب ذلك بصفته وموضعه فبلغ بابل ورعف وسقط عن دابته فبسطت له دروع فنام عليها فآذته الشمس فاظلوه بترس فنظر فقال هذه ارض من حديد وسماء من خشب فايقن بالموت وهو ابن الف وستماية سنة وقيل ثلاثة الاف سنة قال ابن كثير وهذا غريب واغرب منه ما قال ابن عساكر من انه بلغني انه عاش ستا وثلثين سنة او ثنتين وثلثين سنة وانه كان بعد داود وسليمان عليهما السلام فان ذلك لا ينطبق الا على ذي القرنين الثاني كما سنذكره قلت وكذا ما ذكره الامام من قصد بني اسرائيل وورود بيت المقدس والذبح في مذبحه فانه مما لا يكاد يتاتى نسبته الى الاول واختلف في نبوته بعد الاتفاق على اسلامه وولايته فقيل كان نبيا لقوله تعالى انا مكنا له في الارض وظاهره متناول للتمكين في الدين وكماله بالنبوة ولقوله تعالى واتيناه من كل شيء سببا ومن جملة الاشيا النبوة ولقوله تعالى قلنا يا ذا القرنين ونحو ذلك وقيل كان ملكا لما روي ان عمر سمع رجلا يقول لآخر يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تتسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة قال ابن كثير والصحيح انه ما كان نبيا ولا ملكا وانما كان ملكا صالحا عادلا ملك الاقاليم وقهر اهلها من الملوك وغيرهم ودانت له البلاد وانه كان داعيا الى الله تعالى سائرا في الخلق بالمعدلة التامة والسلطان المؤيد المنصور وكان الخضر على مقدمة جيشه بمنزلة المستشار الذي هو من الملك بمنزلة الوزير وقد ذكر الازرقي وغيره انه اسلم على يدي ابرهيم الخليل عليه السلام فطاف معه بالكعبة هو واسمعيل وروي انه حج ماشيا فلما سمع ابرهيم عليه السلام بقدومه تلقاه ودعا له واوصاه بوصايا ويقال انه اتي بفرس ليركب فقال لا اركب في بلد فيه الخليل فسخر له السحاب وطوى له الاسباب وبشره ابرهيم عليه السلام بذلك فكانت السحاب تحمله وعساكره وجميع الاتهم اذا ارادوا غزوة قوم وقال ابو الطفيل سئل عنه علي كرم الله وجهه اكان نبيا ام ملكا فقال لم يكن نبيا ولا ملكا لكن كان عبدا احب الله فاحبه وناصح الله فناصحه فسخر له السحاب

ومد له الاسباب واختلف في وجه تسميته بذي القرنين فقيل لانه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها وقيل لانه ملك الروم وفارس وقيل الروم والترك وقيل لانه كان في راسه او تاجه ما يشبه القرنين وقيل لانه كان له ذؤابتان وقيل لانه كانت صفحتا راسه من النحاس وقيل لانه دعا الناس الى الله عز وجل فضرب بقرنه الايمن فمات ثم بعثه الله تعالى فضرب بقرنه الايسر فمات ثم بعثه الله تعالى وقيل لانه راى في منامه انه صعد الفلك فاخذ بقرني الشمس وقيل انقرض في عهده قرنان وقيل لانه سخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورايه وقيل لقب به لشجاعته هذا واما ذو القرنين الثاني فقد قال ابن كثير انه الاسكندر بن فيلبس بن مصريم بن هرمس بن ميطون بن رومي بن لنطي بن يونان بن يافث بن نونة بن شرخون بن رومة بن ثوبط بن توفيل بن رومي بن الاصفر بن العيص بن اسحق بن ابرهيم الخليل عليهما السلام كذا نسبه ابن عساكر المقدوني اليوناني المصري باني الاسكندرية الذي يؤرخ بايامه الروم وكان متاخرا عن الاول بدهر طويل اكثر من الفي سنة كان هذا قبل المسيح عليه السلام بنحو من ثلثماية سنة وكان وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف وهو الذي قتل دارا بن دارا واذل ملوك الفرس ووطئ ارضهم ثم قال وانما بينا هذا لان كثيرا من الناس يعتقد انهما واحد وان المذكور في القرآن العظيم هو هذا المتاخر فيقع بذلك خطأ كبير وفساد كثير كيف لا والاول كان عبدا صالحا مؤمنا وملكا عادلا ووزيره الخضر عليه السلام وقد قيل انه كان نبيا واما الثاني فقد كان كافرا ووزيره ارسطاطاليس الفيلسوف وقد كان بينهما من الزمان اكثر من الفي سنة فاين هذا من ذلك انتهى قلت المقدوني نسبة الى بلدة من بلاد الروم غربي دار السلطنة السنية قسطنطينية المحمية لا زالت مشحونة بالشعاير الدينية بينهما من المسافة مسيرة خمسة عشر يوما او نحو ذلك عند مدينة سيروز واسمها بلغة اليونانيين مقدونيا كانت سرير ملك هذا الاسكندر وهي اليوم بلقع لا يقيم بها احد ولكن فيها علايم تحكي كمال عظمها في عهد عمرانها وفي نهاية شوكة اهلها وسلطانها وقد مررت بها عند القفول عن بعض المغازي السلطانية فرايت فيها من عجايب الآثار ما فيه عبرة لاولي الابصار قل لهم في الجواب سأتلو عليكم اي ساذكر لكم منه اي من ذي القرنين ذكرا اي نبأ مذكورا وحيث كان ذلك بطريق الوحي المتلو حكاية عن جهته الله عز وجل قيل سأتلو في شانه او سأتلو من جهته تعالى ذكرا اي قرآنا والسين للتأكيد والدلالة على التحقق المناسب لمقام تاييده عليه السلام وتصديقه بانجاز وعده اي لا اترك التلاوة البتة كما في قول من قال

ساشكر عمرا ان تراخت منيتي ... ايادي لم تمنن وان هي جلت

لا للدلالة على ان التلاوة ستقع فيما يستقبل كما قيل لان هذه الآية ما نزلت بانفرادها قبل الوحي بتمام القصة بل موصولة بما بعدها ريثما سالوه عليه السلام عنه وعن الروح وعن اصحاب الكهف فقال لهم عليه السلام ائتوني غدا اخبركم فابطأ عليه الوحي خمسة عشر يوما او اربعين كما ذكر فيما سلف وقوله عز وجل انا مكنا له في الارض شروع في تلاوة الذكر المعهود حيث ما هو الموعود والتمكين ههنا الاقدار وتمهيد الاسباب يقال مكنه ومكن له ومعنى الاول جعله قادرا وقويا ومعنى الثاني جعل له قدرة وقوة ولتلازمهما في الوجود وتقاربهما في المعنى يستعمل كل منهما في محل

الاق كما في قوله عز وعلا مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم اى جعلنا لهم فيها من القوى
والاسباب والالات على انواع التصرفات فيها ما لم نجعله لكم من القوة والسعة في
المال والاستظهار بالعدد والاسباب فكانه قيل ما لم نمكن لكم فيها اى ما لم نجعلكم قادرين
على ذلك فيها او مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم وهكذا اذا كان التمكين ماخوذا من
المكان بناء على توهم ميمه اصلية كما اشير اليه في سورة يوسف عليه السلام والمعنى انا
جعلنا له مكنة وقدرة على التصرف في الارض من حيث التدبير والرأى والاسباب حيث
سخر له السحاب ومد له في الاسباب وبسط له النور وكان الليل والنهار عليه سواء وسهل
عليه السير في الارض وذللت له طرقها واتيناه من كل شىء اراده من مهمات
ملكه ومقاصده المتعلقة بسلطانه سببا اى طريقا يوصله اليه وهو كل ما يتوصل به
الى المقصود من علم او قدرة او آلة فاتبع بالقطع اى فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا
يوصله اليه ولعل قصد بلوغ المغرب ابتداء لمراعاة الحركة الشمسية وقرئ فاتّبع
من الافتعال والفرق ان الاول فيه معنى الادراك والاسراع والثانى حتى اذا بلغ مغرب
الشمس اى منتهى الارض من جهة المغرب بحيث لا يتمكن احد من مجاوزته ووقف على حافة
البحر المحيط الغربى الذى يقال له اوقيانوس الذى فيه الجزائر المسماة بالخالدات التى هى
مبدأ الاطوال على احد القولين وجدها اى الشمس تغرب في عين حمئة اى ذات حمأة
وهى الطين الاسود من حمئت البئر اذا كثرت حمأتها وقرئ حامية اى حارة روى
ان معوية رضه قرأ حامية وعنده ابن عباس رضه فقال حمئة فقال معوية لعبد الله بن عمرو بن
العاص كيف تقرأ قال كما يقرأ امير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب
قال في ماء وطين وروى في ثأط فوافق قول ابن عباس رضه وليس بينهما منافاة قطعية لجواز
كون العين جامعة بين الوصفين وكون الياء في الثانية منقلبة من الهمزة لانكسار ما
قبلها واما رجوع معوية الى قول ابن عباس رضه بما سمعه من كعب مع ان قراءته ايضا مسموعة
قطعا فلكون قراءة ابن عباس قطعية في مدلولها وقراءته محتملة ولعله لما بلغ ساحل
المحيط رآها كذلك اذ ليس في مطمح بصره غير الماء كما يلوح به قوله تعالى وجدها تغرب
ووجد عندها عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم جلود الوحوش وطعامهم ما
لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله تعالى بين ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى الايمان
وذلك قوله تعالى قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب بالقتل من اول الامر واما
ان تتخذ فيهم حسنا اى امرا ذا حسن على حذف المضاف او على طريقة اطلاق المصدر
على موصوفه مبالغة وذلك بالدعوة الى الاسلام والارشاد الى الشرائع ومحل ان
مع صلته اما الرفع على الابتداء او الخبرية واما النصب على المفعولية اى اما تعذيبك
واقع او اما امرك تعذيبك او اما تفعل تعذيبك وهكذا الحال في الاتخاذ ومن لم
يقل بنبوته قال كان الخطاب بواسطة نبى في ذلك العصر وكان ذلك الهاما لا وحيا
بعد ان كان ذلك التخيير موافقا للشريعة ذلك النبى قال اى ذو القرنين لذلك النبى
او لمن عنده من خواصه بعدما تلقى امره تعالى مختارا للشق الاخير اما من ظلم اى نفسه

ولم يقبل دعوتى واصر على ما كان عليه من الظلم العظيم الذى هو الشرك فسوف نعذبه
بالقتل وعن قتادة انه كان يطبخ من كفر في القدور ومن آمن اعطاه وكساه ثم يرد
الى ربه في الآخرة فيعذبه فيها عذابا نكرا اى منكرا فظيعا وهو عذاب النار وفيه
دلالة ظاهرة على ان الخطاب لم يكن بطريق الوحى اليه وان مقاولته كانت مع النبى
او مع من عنده من اهل مشورته واما من آمن بموجب دعوتى وعمل عملا صالحا حسبما
يقتضيه الايمان فله في الدارين جزاء الحسنى اى فله المثوبة الحسنى او الفعلة
الحسنى او الجنة جزاء على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة قدم على المبتدأ اعتناء به او منصوب
بمضمر اى يجزى بها جزاء والجملة حالية او معترضة بين المبتدأ والخبر المقدم عليه او حال اى
مجزيا بها او تمييز وقرئ منصوبا غير منون على انه سقط تنوينه لالتقاء الساكنين وقرئ مرفوعا
منونا على انه المبتدأ والحسنى بدله والخبر الجار والمجرور وقيل خيره بين القتل والاسر
والجواب من باب الاسلوب الحكيم لان الظاهر التخيير بينهما وهم كفار فقال اما
الكافر فيراعى في حقه قوة الاسلام واما المؤمن فلا يتعرض له الا بما يجب ويجوز ان يكون اما للتوزيع
دون التخيير اى ليكن شانك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن بقى على حاله والثانى
لمن تاب وسنقول له من امرنا اى مما نامر به يسرا اى سهلا متيسرا غير شاق وتقديره ذا يسر او اطلق
عليه المصدر مبالغة وقرئ بضمتين ثم اتبع سببا اى طريقا راجعا من مغرب الشمس موصلا الى
مشرقها حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعنى الموضع الذى يطلع عليه الشمس اولا من معمورة الارض وقرئ
بفتح اللام على تقدير مضاف اى مكان طلوع الشمس فانه مصدر قيل بلغه في اثنتى عشرة سنة وقيل
في اقل من ذلك بناء على ما ذكر من انه سخر له السحاب وطوى له الاسباب وجدها تطلع على
قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس والبناء قيل هم الزنج وعن كعب ان ارضهم لا تمسك
الابنية وبها اسراب فاذا طلعت الشمس دخلوا الاسراب او البحر فاذا ارتفع النهار خرجوا الى
معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسالت عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم مسيرة
يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومعى صاحب يعرف لسانهم فقالوا له
جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينما نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشى على ثم افقت
وهم يمسحوننى بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هو فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا
سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وعن
مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض كذلك اى امر
ذى القرنين كما وصفناه لك في رفعة المحل وبسطة الملك او امره فيهم كامره في اهل المغرب
من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة قوم اى على
قوم مثل ذلك القبيل الذى تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم او صفة سترا اى سترا مثل ستركم من اللباس
والاكنان والجبال وغير ذلك وقد احطنا بما لديه من الاسباب والعَدد والعُدد
خبرا يعنى ان ذلك من الكثرة بحيث لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير هذا على الوجه الاول واما على
الوجوه الباقية فالمراد بما لديه ما يتناول ما جرى عليه وما صدر عنه وما لاقاه فتامل ثم اتبع
سببا اى طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ

بين السدين بين الجبلين اللذين سد ما بينهما وهو منقطع ارض الترك مما يلي المشرق لا
جبلا ارمينية واذربيجان كما توهم وقرئ بالضم قيل ما كان من خلق الله تعالى فهو مضموم
وما كان من عمل الخلق فهو مفتوح وانتصاب بين على المفعولية لانه مبلوغ وهو من
الظروف التي تستعمل اسما ايضا كما ارتفع في قوله تعالى لقد تقطع بينكم وانجر في قوله تعالى
هذا فراق بيني وبينك وجد من دونهما اي من ورائهما مجاوزا عنهما قوما اي امة من الناس
لا يكادون يفقهون قولا لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرئ من باب الافعال اي لا يفهمون
السامع كلامهم واختلفوا في انهم من اي الاقوام فقال الضحاك هم جيل من الترك وقال
السدي الترك سرية من ياجوج وماجوج خرجت فضرب ذو القرنين السد فبقيت خارجه
فجميع الترك منهم وعن قتادة انهم اثنان وعشرون قبيلة سد ذو القرنين على احدى
وعشرين قبيلة منهم وبقيت واحدة فسموا الترك لانهم تركوا خارجين قال اهل التاريخ
اولاد نوح عليه السلام ثلاثة سام وحام ويافث فسام ابو العرب والعجم والروم وحام
ابو الحبشة والزنج والنوبة ويافث ابو الترك والخزر والصقالبة وياجوج وماجوج
قالوا اي بواسطة مترجمهم او بالذات على ان يكون فهم ذي القرنين كلامهم وافهام كلامه اياهم
من جملة ما آتاه الله من الاسباب يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج قد ذكرنا انهما
من اولاد يافث بن نوح عليه السلام وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل واختلف
في صفاتهم فقيل في غاية صغر الجثة وقصر القامة لا يزيد قدهم على شبر واحد وقيل في نهاية
عظم الجسم وطول القامة يبلغ قدودهم نحو مائة وعشرين ذراعا ومنهم من عرضه كذلك وقيل
لهم مخالب واضراس كالسباع وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من اج
الظليم اذا اسرع واصلهما الهمزة كما قرأ عاصم ويقرأ بهمزة ومنع صرفهما للتعريف والتانيث
مفسدون في الارض اي في ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزروع قيل كانوا يخرجون ايام
الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا ياكلون الناس ايضا فهل
نجعل لك خرجا اي جعلا من اموالنا والفاء لتفريع العرض على افسادهم في الارض وقرئ
خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج ما على الارض والذمة والخرج المصدر
وقيل الخرج ما كان على كل راس والخراج ما كان على البلد وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج
ما لزمك اداؤه على ان تجعل بيننا وبينهم سدا وقرئ بالضم قال ما مكني بالادغام وقرئ
بالفك اي ما مكنني فيه ربي وجعلني فيه مكينا قادرا من الملك والمال وسائر الاسباب
خير اي مما تريدون ان تبذلوه الي من الخرج فلا حاجة لي اليه فاعينوني بقوة اي بفعلة وصناع
يحسنون البناء والعمل وبالآلات التي لابد منها في البناء والفاء لتفريع الامر بالاعانة
على خيرية ما مكنه الله تعالى فيه من ماله او على عدم قبول خرجهم اجعل جواب للامر بينكم وبينهم
تقديم اضافة الظرف الى ضمير المخاطبين على اضافته الى ضمير ياجوج وماجوج لاظهار كمال
العناية بمصالحهم كما راعوه في قولهم بيننا وبينهم ردما اي حاجزا حصينا وبرزخا متينا
وهو اكبر من السد واوثق يقال ثوب مردم اي فيه رقاع فوق رقاع وهذا اسعاف
بمرامهم فوق ما يرجونه آتوني زبر الحديد جمع زبرة كغرفة في غرف وهي القطعة الكبيرة وهذا

لا ينافي

لا ينافي رد خراجهم لان المامور به الايتاء بالثمن او المناولة كما ينبئ عنه القراءة بوصل الهمزة اي جيئوني
بزبر الحديد على حذف الباء كما في امرتك الخير ولان ايتاء الآلة من قبيل الاعانة بالقوة دون
الخراج على العمل ولعل تخصيص الامر بالايتاء بها دون سائر الآلات من الصخور والحطب ونحوهما
لما ان الحاجة اليها امس اذ هي الركن في السد ووجودها اعز قيل حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل
الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين
الجبلين الى اعلاهما وكان مائة فرسخ وذلك قوله عز وجل حتى اذا ساوى بين الصدفين اي
آتوه اياها فاخذ يبني شيئا فشيئا حتى اذا جعل ما بين ناحيتي الجبلين من البنيان مساويا لهما في
السمك على النهج المحكي قيل كان ارتفاعه مائتي ذراع وعرضه خمسين ذراعا وقرئ سوى من
التسوية وسووي على البناء للمجهول قال للعملة انفخوا اي بالكيران في الحديد المبني ففعلوا حتى
اذا جعله اي المنفوخ فيه نارا اي كالنار في الحرارة والهيئة واسناد الجعل المذكور الى ذي
القرنين مع انه فعل العملة للتنبيه على انه العمدة في ذلك وهم بمنزلة الآلة قال للذين يتولون امر
النحاس من الاذابة ونحوها آتوني افرغ عليه قطرا اي آتوني قطرا اي نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا
فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وقرئ بالوصل اي جيئوني كانه يستدعيهم للاعانة باليد عند الافراغ
واسناد الافراغ الى نفسه للسر الذي وقفت عليه آنفا وكذا الكلام في قوله تعالى ساوى
وقوله تعالى اجعل فما اسطاعوا بحذف تاء الافتعال تخفيفا وحذرا عن تلاقي المتقاربين
وقرئ بالادغام وفيه جمع بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا والفاء فصيحة
اي ففعلوا ما امروا به من ايتاء القطر او الاتيان فافرغ عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض فصار
جبلا صلدا فجاء ياجوج وماجوج فقصدوا ان يعلوه وينقبوه فما استطاعوا ان يظهروه اي يعلوه
ويرقوا فيه لارتفاعه وملاسته وما استطاعوا له نقبا لصلابته وثخانته وهذه
معجزة عظيمة لان تلك الزبر الكثيرة اذا اثرت فيها حرارة النار لا يقدر الحيوان على ان يحوم حولها
فضلا عن النفخ فيها الى ان تكون كالنار او عن افراغ القطر عليها فكانه سبحانه وتعالى صرف تاثير
تلك الحرارة العظيمة عن ابدان اولئك المباشرين للاعمال فكان ما كان والله على كل شيء قدير
وقيل بناه من الصخور مربوطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها
بحيث لم يبق هناك فجوة اصلا قال اي ذو القرنين لمن عنده من اهل تلك الديار وغيرهم
هذا اشارة الى السد وقيل الى تمكنه من بنائه والفضل للمتقدم اي هذا الذي ظهر على
يدي وحصل بمباشرتي من السد الذي شانه ما ذكر من المتانة وصعوبة المنال رحمة اي اثر رحمة
عظيمة عبر عنها بها للمبالغة من ربي على كافة العباد لا سيما على مجاوريه وفيه ايذان بانه ليس من قبيل
الآثار الحاصلة بمباشرة الخلق عادة بل هو احسان الهي محض وان ظهر بمباشرتي وفي التعرض
لوصف الربوبية لتربية معنى الرحمة فاذا جاء وعد ربي مصدر بمعنى المفعول وهو يوم القيمة
لا خروج ياجوج وماجوج كما قيل اذ لا يساعده النظم الكريم والمراد بمجيئه ما ينتظم مجيئه ومجيء
مباديه من خروجهم وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام ونحو ذلك لا دنو وقوعه فقط
كما قيل فان بعض الامور التي ستحكى يقع بعد مجيئه حتما جعله اي السد المشار اليه مع متانته
ورصانته وفيه من الجزالة ما ليس في توجيه الاشارة السابقة الى التمكين المذكور دكا

اى ارضا مستوية وقرئ دكاء اى مدكوكا مساويا بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك
ومنه الجمل الادك اى المنبسط السنام وهذا الجعل وقت مجى الوعد بمجى بعض مباديه وفيه بيان
لعظم قدرته عز وجل بعد بيان سعة رحمته وكان وعد ربى اى وعده المعهود او كل ما وعد به
فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا حقا ثابتا لا محالة واقعا البتة وهذه الجملة تذييل من ذى
القرنين لما ذكره من الجملة الشرطية ومقرر لمضمونها وهو آخر ما حكى من قصته وقوله عز وجل وتركنا
بعضهم كلام مسوق من جنابه تعالى معطوف على قوله تعالى جعله دكا وتحقيقا لمضمونه اى جعلنا
بعض الخلائق يومئذ اى يوم اذ جاء الوعد بمجى بعض مباديه يموج فى بعض آخر منهم يضطربون
اضطراب امواج البحر ويختلط انسهم وجنهم حيارى من شدة الهول ولعل ذلك قبل النفخة
الاولى او تركنا بعض ياجوج وماجوج يموج فى بعض آخر منهم حين يخرجون من السد مزدحمين
فى البلاد روى انهم ياتون البحر فيشربون ماءه وياكلون دوابه ثم ياكلون الشجر ومن ظفروا
به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون ان ياتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله
عز وجل نغفا فى اقفائهم فيدخل فى آذانهم فيموتون موت نفس واحدة ويرسل الله تعالى طيورا
فتلقيهم فى البحر ثم يرسل مطرا فيغسل الارض ويطهرها من نتنهم حتى يتركها كالزلفة ثم يوضع
فيها البركة وذلك بعد نزول المسيح عليه السلام وقتل الدجال ونفخ فى الصور هى النفخة الثانية
بقرينة الفاء فى قوله تعالى فجمعناهم ولعل عدم التعرض لذكر النفخة الاولى لانها داهية عامة
ليس فيها حالة مختصة بالكفرة ولئلا يقع الفصل بين ما يقع فى النشاة الاولى من الاهوال
من الاهوال وبين ما يقع منها فى النشاة الآخرة اى جمعنا الخلائق بعد ما تفرقت اوصالهم
وتمزقت اجسادهم فى صعيد واحد للحساب والجزاء جمعا اى جمعا عجيبا لا يكتنه كنهه
وعرضنا جهنم اظهرناها وابرزناها يومئذ اى يوم اذ جمعنا الخلائق كافة للكافرين
منهم حيث جعلناها بحيث يرونها ويسمعون لها تغيظا وزفيرا عرضا اى عرضا فظيعا هائلا
لا يقادر قدره وتخصيص العرض بهم مع انها بمرأى من اهل الجمع قاطبة لان ذلك لاجلهم
خاصة الذين كانت اعينهم وهم فى الدنيا فى غطاء كثيف وغشاوة غليظة محاطة بذلك
من جميع الجوانب عن ذكرى عن الآيات المؤدية لاولى الابصار المتدبرين فيها الى ذكرى
بالتوحيد والتمجيد او كانت اعين بصائرهم فى غطاء عن ذكرى على وجه يليق بشانى او عن
القرآن الكريم وكانوا مع ذلك لا يستطيعون لفرط تصامهم عن الحق وكمال عداوتهم
للرسول صلى الله عليه وسلم سمعا استماعا لذكرى وكلامى الحق الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه وهذا تمثيل لاعراضهم عن الادلة السمعية كما ان الاول تصوير لتعاميهم عن
الآيات المشاهدة بالابصار والموصول نعت للكافرين او بدل منه او بيان جئ به لذمهم
بما فى حيز الصلة وللاشعار بعلية ما فى حيزها لاصابة ما اصابهم من عرض جهنم لهم فان ذلك انما هو
لعدم استعمال مشاعرهم فيما عرض لهم فى الدنيا من الآيات واعراضهم عنها مع كونها
اسبابا منجية عما ابتلوا به فى الآخرة افحسب الذين كفروا اى كفروا بى كما يعرب عنه قوله
تعالى عبادى والحسبان بمعنى الظن وقد قرئ افظن والهمزة للانكار والتوبيخ على معنى
انكار الواقع واستقباحه كما فى قولك اضربت اباك لا انكار الوقوع كما فى قوله اضرب ابى

والفاء للعطف

والفاء للعطف على مقدر يفصح عنه الصلة على توجيه الانكار والتوبيخ الى المعطوفين جميعا كما
اذا قدر المعطوف عليه فى قوله تعالى افلا تعقلون منفيا اى الا تسمعون فلا تعقلون لا الى
المعطوف فقط كما اذا قدر مثبتا اى اتسمعون فلا تعقلون والمعنى اكفروا بى مع جلالة شانى فحسبوا
ان يتخذوا عبادى من دونى من الملائكة وعيسى وعزير عليهم السلام وهم تحت سلطانى وملكوتى
اولياء معبودين ينصرونهم من باسى وما قيل انه للعطف على ما قبله من قوله تعالى الذين كانوا الخ
دلالة على ان الحسبان ناشئ من التعامى والتصام وادخل عليه همزة الانكار ذما على ذم وقطعا
لعطفه على المعطوف عليهما لفظا لا معنى للايذان بالاستقلال المؤكد للذم ياباه ترك الاضمار والتعرض
لوصف آخر غير التعامى والتصام على انهما اخرجا مخرج الاحوال الجبلية لهم ولم يذكر من حيث
انها من افعالهم الاختيارية الحادثة بحسبانهم ليحسن تفريعه عليها واضافة الذين تعمهم
لا يمكن جعله ناشئا عن تصامهم عن كلام الله عز وجل وتخصيص الانكار بحسبانهم المتاخر
عن ذلك تعسف لا يخفى وما فى حيز الصلة ساد مسد مفعولى حسب كما فى قوله تعالى وحسبوا
ان لا تكون فتنة اى افحسبوا انهم يتخذونهم اولياء على معنى ان ذلك ليس من الاتخاذ فى شئ
لما انه انما يكون من الجانبين وهم عليهم السلام منزهون عن ولايتهم بالمرة لقولهم سبحانك انت
ولينا من دونهم وقيل مفعوله الثانى محذوف اى افحسبوا اتخاذهم نافعهم والوجه هو الاول
لان فى هذا تسليما لنفس الاتخاذ واعتدادا به فى الجملة وقرئ افحسب الذين كفروا اى افحسبهم
وكافيهم ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر او الفعل والفاعل فان النعت اذا اعتمد
الهمزة ساوى الفعل فى العمل فالهمزة حينئذ بمعنى انكار الوقوع انا اعتدنا جهنم اى هيأناها
للكافرين المعهودين عدل عن الاضمار ذما لهم واشعارا بان ذلك الاعتاد بسبب كفرهم
المتضمن لحسبانهم الباطل نزلا اى شيئا يتمتعون به عند ورودهم وهو ما يقام للنزيل اى
الضيف مما حضر من الطعام وفيه تخطئة لهم فى حسبانهم وتهكم بهم حيث كان اتخاذهم اياهم
اولياء من قبيل اعتاد العتاد واعداد الزاد ليوم المعاد فكانه قيل انا اعتدنا لهم مكان ما
اعدوا لانفسهم من العدة والذخر جهنم عدة وفى ايراد النزل ايماء الى ان لهم وراء جهنم من
العذاب ما هى انموذج له وقيل النزل موضع النزول ولذلك فسره ابن عباس رضى الله عنهما بالمثوى قل
هل ننبئكم الخطاب للكفرة على وجه التوبيخ والجمع فى صيغة المتكلم لتعيين ان المخبر هو الله عز وجل
وللايذان بمعلومية النبأ للمؤمنين ايضا بالاخسرين اعمالا نصب على التمييز والجمع للايذان
بتنوعها وهذا بيان لحال الكفرة باعتبار ما صدر عنهم من الاعمال الحسنة فى انفسها وفى
حسبانهم ايضا حيث كانوا معجبين بها واثقين بنيل ثوابها ومشاهدة آثارها غب بيان
حالهم باعتبار اعمالهم السيئة فى انفسها مع كونها حسنة فى حسبانهم الذين ضل سعيهم
فى اقامة تلك الاعمال اى ضاع وبطل بالكلية فى الحياة الدنيا متعلق بالسعى لا بالضلال
لان بطلان سعيهم غير مختص بالدنيا قيل المراد بهم اهل الكتابين قاله ابن عباس وسعد بن
ابى وقاص ومجاهد ويدخل فى الاعمال ما عملوه من الاحكام المنسوخة المتعلقة بالعبادات
وقيل الرهابنة الذين يحبسون انفسهم فى الصوامع ويحملونها على الرياضات الشاقة ولعله
ما يعمهم وغيرهم من الكفرة ومحل الموصول الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف لانه جواب للسؤال

كأنه قيل من هم فقيل الذين الخ وجعله مجروراً على أنه نعت للأخسرين أو بدلاً منه أو منصوباً على الذم على أن الجواب ما سيأتي من قوله تعالى أولئك الآية يأباه أن صدره ليس منبئاً عن خسران الأعمال وضلال السعي كما يستدعيه مقام الجواب والتفريع الأول وإن دل على حبوطها لكنه ساكت عن إنباء ما هو العمدة في تحقيق معنى الخسران من الوثوق بترتب الربح واعتقاد النفع فيما صنعوا على أن التفريع الثاني مما يقطع ذلك الاحتمال رأساً إذ لا مجال لإدراجه تحت الأمر بقضية نون العظمة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً الإحسان الإتيان بالأعمال على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي أي يحسبون أنهم يعملون ذلك على الوجه اللائق وذلك لإعجابهم بأعمالهم التي سعوا في إقامتها وكابدوا في تحصيلها والجملة حال من فاعل ضل أي بطل سعيهم المذكور والحال أنهم يحسبون أنهم محسنون في ذلك ومنتفعون بآثاره أو من المضاف إليه لكونه في محل الرفع نحو قوله تعالى إليه مرجعكم جميعاً أي بطل سعيهم والحال أنهم الخ والفرق بينهما أن المقارن لحال حسبانهم المذكور في الأول ضلال سعيهم وفي الثاني نفس سعيهم والأول أدخل في بيان خطئهم أولئك كلام مستأنف من جنابه تعالى مسوق لتكميل تعريف الأخسرين وتبيين سبب خسرانهم وضلال سعيهم وتعيينهم بحيث ينطبق التعريف على المخاطبين غير داخل تحت الأمر أي أولئك المنعوتون بما ذكر من ضلال السعي والحسبان المذكور الذين كفروا بآيات ربهم بدلائله الداعية إلى التوحيد عقلاً ونقلاً والتعرض لعنوان الربوبية لزيادة تقبيح حالهم في الكفر المذكور ولقائه بالبعث وما يتبعه من أمور الآخرة على ما هي عليه فحبطت لذلك أعمالهم المعهودة حبوطاً كلياً فلا نقيم لهم أي لأولئك الموصوفين بما مر من حبوط الأعمال وقرئ بالياء يوم القيامة وزناً أي فنزدريهم ولا نجعل لهم مقداراً واعتباراً لأن مدار الاعتبار الأعمال الصالحة وقد حبطت بالمرة وحيث كان هذا الازدراء من عواقب حبوط الأعمال عطف عليه بطريق التفريع وأما ما هو من أجزية الكفر فسيجيء بعد ذلك أو لا نضع لأجل وزن أعمالهم ميزاناً لأنه إنما يوضع لأهل الحسنات والسيئات من الموحدين ليتميز به مقادير الطاعات والمعاصي ليترتب عليه التكفير أو عدمه لأن ذلك في الموحدين بطريق الكمية وأما الكفر فإحباطه للحسنات بحسب الكيفية دون الكمية فلا يوضع لهم الميزان قطعاً ذلك بيان لمآل كفرهم وسائر معاصيهم إثر بيان مآل أعمالهم المحبطة بذلك أي الأمر ذلك وقوله عز وجل جزاؤهم جهنم جملة مبينة له أو ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف أي جزاؤهم به أو جزاؤهم بدل أو جهنم خبره أو جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا تصريح بأن ما ذكر جزاء لكفرهم المتضمن لسائر القبائح التي أنبأ عنها قوله تعالى واتخذوا آياتي ورسلي هزواً أي مهزواً بهما فإنهم لم يقتنعوا بمجرد الكفر بالآيات والرسل بل ارتكبوا مثل ذلك العظيمة أيضاً إن الذين آمنوا بيان بطريق الوعد لمآل الذين اتصفوا بأضداد ما اتصفت به الكفرة إثر بيان مآلهم بطريق الوعيد أي آمنوا بآيات ربهم ولقائه وعملوا الصالحات من الأعمال كانت لهم فيما سبق من حكم الله تعالى ووعده وفيه إيماء إلى أن أثر الرحمة يصل إليهم بمقتضى الرأفة الأزلية بخلاف ما مر من جعل جهنم للكافرين نزلاً فإنه بموجب

حدث من سوء اختيارهم جنات الفردوس عن مجاهد أن الفردوس هو البستان بالرومية وقال عكرمة هو الجنة بالحبشية وقال الضحاك هي الجنة الملتفة الأشجار وقيل هي الجنة التي تنبت ضروباً من النبات وقيل هي الجنة من الكرم خاصة وقيل ما كان غالبه كرماً وقال المبرد هو فيما سمعت من العرب الشجر الملتف والأغلب عليه أن يكون من العنب وعن كعب أنه ليس في الجنان أعلى من جنة الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس أعلاها وفيها الأنهار الأربعة فإذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس فإن فوقها عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة نزلاً خبر كانت والجار والمجرور متعلق بمحذوف على أنه حال من نزلاً أو على البيان أو حال من جنات الفردوس والخبر هو الجار والمجرور فإن جعل النزل بمعنى ما يهيأ للنازل فالمعنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس نزلاً أو جعلت نفس الجنات نزلاً مبالغة في الإكرام وفيه إيذان بأنها عندما أعد الله لهم على ما جرى على لسان النبوة من قوله أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بمنزلة النزل بالنسبة إلى الضيافة وإن جعل بمعنى المنزل فالمعنى ظاهر خالدين فيها نصب على الحالية لا يبغون عنها حولاً مصدر كالعوج والصغر أي لا يطلبون تحولاً عنها إذ لا يتصور أن يكون شيء أعز عندهم وأرفع منها حتى تنازعهم إليه أنفسهم وتطمح نحوه أبصارهم ويجوز أن يراد نفي التحول تأكيد الخلود والجملة حال من صاحب خالدين أو من ضميره المستكن فيه فيكون حالاً متداخلة قل لو كان البحر أي جنس البحر مداداً وهو ما تمد به الدواة من الحبر لكلمات ربي لتحرير كلمات علمه وحكمته التي من جملتها ما ذكر من الآيات الداعية إلى التوحيد المحذرة من الإشراك لنفد البحر بجملته ولم يبق منه شيء لتناهيه قبل أن تنفد وقرئ بالياء والمعنى من غير أن تنفد كلمات ربي لعدم تناهيها فلا دلالة للكلام على نفادها بعد نفاد البحر وفي إضافة الكلمات إلى اسم الرب المضاف إلى ضميره صلى الله عليه وسلم في الموضعين من تفخيم المضاف وتشريف المضاف إليه ما لا يخفى وإظهار البحر والكلمات في موضع الإضمار لزيادة التقرير ولو جئنا كلام من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن جيء به لتحقيق مضمونه وتصديق مدلوله مع زيادة مبالغة وتأكيد والواو لعطف الجملة على نظيرتها المستأنفة المقابلة لها المحذوفة لدلالة المذكورة عليها دلالة واضحة أي لنفد البحر من غير نفاد كلماته تعالى لو لم نجئ بمثله مدداً ولو جئنا بقدرتنا الباهرة بمثله مدداً عوناً وزيادة لأن مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل تحت الوجود من الأجسام لا يكون إلا متناهياً لقيام الأدلة القاطعة على تناهي الأبعاد وقرئ مداداً جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب وقرئ مداداً قل لهم بعد ما بينت لهم شأن كلماته تعالى إنما أنا بشر مثلكم لا أدعي الإحاطة بكلماته التامة يوحى إلي من تلك الكلمات أنما إلهكم إله واحد لا شريك له في الخلق ولا في سائر أحكام الألوهية وإنما تميزت عنكم بذلك فمن كان يرجو لقاء ربه الرجاء توقع وصول الخير في المستقبل والمراد بلقائه تعالى كرامته وإدخال الماضي على المستقبل للدلالة على أن اللائق بحال المؤمن الاستمرار والاستدامة على رجاء اللقاء أي فمن استمر على رجاء كرامته تعالى فليعمل لتحصيل تلك الطلبة العزيزة عملاً صالحاً في نفسه لائقاً بذلك المرجو كما فعله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا يشرك

بعبادة ربه أحدا إشراكا جليا كما فعله الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه ولا إشراكا
خفيا كما يفعله أهل الرياء ومن يطلب به أجرا وإيثار وضع المظهر موضع المضمر في الموضعين
مع التعرض لعنوان الربوبية لزيادة التقرير وللإشعار بعلية العنوان للأمر والنهي ووجوب
الامتثال فعلا وتركا روي ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اني لأعمل العمل لله فإذا اطلع عليه سرني فقال عليه السلام ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له
وروي انه عليه السلام قال له لك أجران أجر السر وأجر العلانية وذلك إذا قصد أن يقتدى به وعنه
عليه السلام اتقوا الشرك الأصغر قيل وما الشرك الأصغر قال الرياء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه إلى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من
الأرض إلى السماء وعنه عليه السلام من قرأ عند مضجعه قل إنما أنا بشر مثلكم الخ كان له في مضجعه
نورا يتلألأ إلى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وإن كان مضجعه بمكة كان له نورا
يتلألأ من مضجعه إلى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ والحمد لله
سبحانه على نعمه العظام

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص بإمالة الهاء والياء وإظهار الدال وقرئ بفتح الهاء وإمالة الياء وبفتحهما
وبإخفاء النون قبل الصاد لتقاربهما وقد سلف أن ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة ولا موازنة
لمفرد فطريق التكلم بها الحكاية فقط ساكنة الأعجاز على الوقف سواء جعلت أسماء للسور أو مسرودة
على نمط التعديد وإن لزمها التقاء الساكنين لكونه مغتفرا في باب الوقف قطعا فحق هذه الفاتحة
الكريمة أن يوقف عليها جريا على الأصل وقرئ بإدغام الدال فيما بعدها لتقاربهما في المخرج فإن
جعلت اسما للسورة على ما عليه إطباق الأكثر فمحلها الرفع إما على أنه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هذا
كهيعص أي مسمى به وإنما صحت الإشارة إليه مع عدم جريان ذكره لأنه باعتبار كونه على جناح الذكر
صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان أو على أنه مبتدأ خبره ذكر رحمت ربك
أي المسمى به ذكر رحمت الخ فإنما ذكرها لما كان مطلع السورة الكريمة ومعظم ما انطوت هي عليه جعلت
كأنها نفس ذكرها والأول هو الأولى لأن ما يجعل عنوانا للموضوع حقه أن يكون معلوم الانتساب إليه
عند المخاطب وإذ لا علم بالتسمية من قبل فحقها الإخبار بها كما في الوجه الأول وإن جعلت مسرودة
على نمط التعديد حسبما جنح إليه أهل التحقيق فذكر الخ خبر لمبتدأ محذوف هو ما ينبئ عنه تعديد
الحروف كأنه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف المبسوطة مرادا به السورة ذكر رحمت الخ أو اسم
إشارة أشير به إليه تنزيلا لحضور المادة منزلة حضور المؤلف منها أي هذا ذكر رحمت الخ وقيل هو مبتدأ
قد حذف خبره أي فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمت ربك على صيغة الماضي من التذكير
أي هذا المتلو ذكرها وقرئ ذكر على صيغة الأمر والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ
إلى الكمال مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام للإيذان بأن تنزيل السورة عليه عليه السلام تكميل له عليه السلام
وقوله تعالى عبده مفعول لرحمت ربك على أنها مفعول لما أضيف إليها وقيل للذكر على أنه

مصدر أضيف إلى فاعله على الاتساع ومعنى ذكر الرحمة بلوغها وإصابتها كما يقال ذكرني معروف
فلان أي بلغني وقوله عز وعلا زكريا بدل منه أو عطف بيان له إذ نادى ربه نداء
خفيا ظرف لرحمت ربك وقيل لذكر على أنه مضاف إلى فاعله اتساعا لا على الوجه الأول
لفساد المعنى وقيل هو بدل اشتمال من زكريا كما في قوله واذكر في الكتاب مريم
إذ انتبذت ولقد راعى عليه السلام حسن الأدب في إخفاء دعائه فإنه مع كونه بالنسبة
إليه عز وجل كالجهر أدخل في الإخلاص أبعد من الرياء وأقرب إلى الخلاص عن لائمة
الناس على طلب الولد لتوقفه على مباد لا يليق به تعاطيها في أوان الكبرة والشيخوخة وعن
غائلة مواليه الذين كان يخافهم وقيل كان ذلك منه عليه السلام لضعف الهرم قالوا كان سنه حينئذ
ستين وقيل خمسا وستين وقيل سبعين وقيل خمسا وسبعين وقيل ثمانين وقيل أكثر
منها كما مر في تفسير سورة آل عمران قال جملة مفسرة لنادى لا محل لها من الإعراب رب إني
وهن العظم مني إسناد الوهن إلى العظم لأنه عماد البدن ودعام الجسد فإذا أصابه
الضعف والرخاوة أصاب كله أو لأنه أشد أجزائه صلابة وقواما وأقلها تأثرا من
العلل فإذا وهن كان ما وراءه أوهن وإفراده للقصد إلى الجنس المنبئ عن شمول الوهن
لكل فرد من أفراده ومني متعلق بمحذوف هو حال من العظم وقرئ وهن بكسر الهاء وبضمها
أيضا وتأكيد الجملة لإبراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمونها واشتعل الرأس شيبا
شبه عليه السلام الشيب في البياض والإنارة بشواظ النار وانتشاره في الشعر وفشوه
فيه وأخذه منه كل مأخذ باشتعالها ثم أخرجه مخرج الاستعارة ثم أسند الاشتعال إلى
محل الشعر ومنبته وأخرجه مخرج التمييز وأطلق الرأس اكتفاء بما قيد به العظم وفيه من
فنون البلاغة وكمال الجزالة ما لا يخفى حيث كان الأصل اشتعل شيب رأسي فأسند
الاشتعال إلى الرأس كما ذكر لإفادة شموله لكلها فإن وزانه بالنسبة إلى الأصل
وزان اشتعل بيته نارا بالنسبة إلى اشتعل النار في بيته ولزيادة تقريره بالإجمال
أولا والتفصيل ثانيا ولمزيد تفخيمه بالتنكير وقرئ بإدغام السين في الشين ولم أكن
بدعائك رب شقيا أي لم أكن بدعائي إياك خائبا في وقت من أوقات هذا
العمر الطويل بل كلما دعوتك استجبت لي والجملة معطوفة على ما قبلها أو حال من ضمير المتكلم
إذ المعنى واشتعل رأسي شيبا وهذا توسل منه عليه السلام بما سلف منه من الاستجابة
عند كل دعوة إثر تمهيد ما يستدعي الرحمة ويستجلب الرأفة من كبر السن وضعف الحال
فإنه تعالى بعدما عود عبده بالإجابة دهرا طويلا لا يكاد يخيبه أبدا لا سيما عند اضطراره
وشدة افتقاره وفي التعرض في الموضعين لوصف الربوبية المنبئة عن إفاضة ما فيه صلاح
المربوب مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام لا سيما توسيطه بين كان وخبرها لتحريك سلسلة الإجابة
بالمبالغة في التضرع ولذلك قيل إذا أراد العبد أن يستجاب له دعاؤه فليدع الله تعالى
بما يناسبه من أسمائه وصفاته وإني خفت الموالي عطف على قوله تعالى إني وهن مترتب
مضمونه على مضمونه فإن ضعف القوى وكبر السن من مبادي خوفه عليه السلام من يلي أمره بعد موته ومواليه

يتوا عمه كانوا شرار بني اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته في امته ويبدلوا عليهم دينهم وقوله
من ورائي اي بعد موتي متعلق بمحذوف ينساق اليه الذهن اي فعل الموالي من بعدي
او جور الموالي وقرئ كذلك او بما في الموالي من معنى الولاية اي خفت الذين يلون الامر من
ورائي لا بخفت لفساد المعنى وقرئ وراي بالقصر وفتح الياء وقرئ خفت الموالي من ورائي
اي قلوا وعجزوا عن القيام بامور الدين بعدي او خفت الموالي القادرون على اقامة مراسم الملة
ومصالح الامة من خف القوم اي ارتحلوا مسرعين اي درجوا قدامي ولم يبق منهم من به
تقوّ واعتضاد فالظرف متعلق بخفت وكانت امرأتي عاقرا اي لا تلد من حين شبابها
فهب لي من لدنك كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنييهما فاللام صلة ومن لابتداء الغاية
مجازا وتقديم الاول لكون مدلوله اهم عنده ويجوز تعلق الثاني بمحذوف وقع حالا من المفعول
ولدن في الاصل ظرف بمعنى اول غاية زمان او مكان او غيرهما من الذوات وقد مر تفصيله
في اوائل سورة آل عمران اي اعطني من محض فضلك الواسع وقدرتك الباهرة بطريق الاختراع
لا بواسطة الاسباب العادية وليا اي ولدا من صلبي وتأخيره عن الجارين لاظهار كمال
الاعتناء بكونه من عنده تعالى على الوجه البديع مع ما فيه من التشويق الى المؤخر فان ما حقه
التقديم اذا اخر تبقى النفس مستشرفة له فعند وروده لها يتمكن عندها فضل تمكن ولان
فيه نوع طول بما بعده من الوصف فتأخيرهما عن الكل او توسيطهما بين الموصوف والصفة
مما لا يليق بجزالة النظم الكريم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ما ذكره عليه السلام من كبر
السن وضعف القوى وعقر المرأة موجب لانقطاع رجائه عليه السلام عن حصول الولد بتوسط
الاسباب العادية واستيهابه على الوجه الخارق للعادة ولا يقدح في ذلك ان يكون
هناك داع آخر الى الاقبال على الدعاء المذكور من مشاهدته عليه السلام للخوارق الظاهرة
في حق مريم كما يعرب عنه قوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه الآية وعدم ذكره ههنا للتعويل
على ذكره هناك كما ان عدم ذكر مقدمة الدعاء هناك للاكتفاء بذكرها ههنا فان الاكتفاء
بما ذكر في موطن عما ترك في موطن آخر من النكت التنزيلية وقوله تعالى يرثني صفة لوليا وقرئ
هو وما عطف عليه بالجزم جوابا للدعاء اي يرثني من حيث العلم والدين والنبوة
فان الانبياء عليهم السلام لا يورثون المال قال عليه السلام نحن معاشر الانبياء لا نورث
ما تركنا صدقة وقيل يرثني الحبورة وكان حبرا ويرث من آل يعقوب يقال
ورثه وورث منه لغتان وآل الرجل خاصته الذين يؤول اليه امرهم للقرابة او الصحبة او الموافقة
في الدين وكانت زوجة زكريا اخت ام مريم اي ويرث منهم الملك قيل هو يعقوب بن اسحق
بن ابراهيم عليهم السلام وقال الكلبي ومقاتل هو يعقوب بن ماثان اخو عمران بن ماثان
من نسل سليمان عليه السلام وكان آل يعقوب اخوال يحيى بن زكريا قال الكلبي كان بنو ماثان
رؤوس بني اسرائيل وملوكهم وكان زكريا رئيس الاحبار يومئذ فاراد ان يرثه ولده حبورته
ويرث من بني ماثان ملكهم وقرئ يرثني وارث آل يعقوب على انه حال من المستكن في
يرثني وقرئ او يرث آل يعقوب بالتصغير فصغره ايا الى وراثته عليه السلام في حال صغره وقرئ

وارث

وارث من آل يعقوب على انه فاعل يرثني على طريقة التجريد اي يرثني به وارث وقيل من للتبعيض
اذ لم يكن كل آل يعقوب عليه السلام انبياء ولا علماء واجعله رب رضيا مرضيا عندك
قولا وفعلا وتوسيط رب بين مفعولي الجعل كما بين لمزيد الاعتناء بشأن ما يستدعيه
يا زكريا على ارادة القول اي قال تعالى يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لكن
لا بان يخاطبه عليه السلام بذلك بالذات بل بواسطة الملك على ان يحكى له عليه السلام هذه
العبارة عنه عز وجل على نهج قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا الآية وقد مر تحقيقه
في سورة آل عمران وهذا جواب لندائه عليه السلام ووعد باجابة دعائه لكن لا كلا
كما هو المتبادر من قوله تعالى فاستجبنا له ووهبنا له يحيى الآية بل بعضها حسبما تقتضيه
المشيئة الالهية المبنية على الحكم البالغة فان الانبياء عليهم السلام وان كانوا مستجابي
الدعوة لكنهم ليسوا كذلك في جميع الدعوات الا ترى الى دعوة ابراهيم عليه السلام في حق
ابيه والى دعوة النبي عليه السلام حيث قال وسألته ان لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها وقد
كان من قضائه عز وعلا ان يهبه يحيى نبيا مرضيا ولا يرثه فاستجيب دعاؤه في الاول
دون الثاني حيث قتل قبل موت ابيه عليهما السلام على ما هو المشهور وقيل بقي بعده برهة
فلا اشكال وفي تعيين اسمه عليه السلام تأكيد للوعد وتشريف له عليه السلام وفي
تخصيصه به حسبما يعرب عنه قوله تعالى لم نجعل له من قبل سميا اي شريكا له في الاسم
حيث لم يسم احد قبله بيحيى مزيد تشريف وتفخيم له عليه السلام فان التسمية بالاسماء البديعة
الممتازة عن اسماء سائر الناس تنويه بالمسمى لا محالة وقيل سميا شبيها في الفضل والكمال
كما في قوله تعالى هل تعلم له سميا فان المتشابهين في الوصف بمنزلة المتشاركين في الاسم
قالوا لم يكن له عليه السلام مثل في انه لم يعص الله تعالى ولم يهم بمعصية قط وانه ولد من شيخ فان
وعجوز عاقر وانه كان حصورا فيكون هذا اجمالا لما نزل بعده من قوله تعالى مصدقا
بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين والاظهر انه اسم اعجمي وان كان عربيا
فهو منقول عن الفعل كيعمر ويعيش قيل سمي به لانه يحيى به رحم امه او يحيى دين الله تعالى بدعوته
قال استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال عليه السلام حينئذ فقيل قال رب
ناداه تعالى بالذات مع وصول خطابه تعالى اليه بتوسط الملك للمبالغة في التضرع والمناجاة
والجد في التبتل اليه تعالى والاحتراز عما عسى يوهم خطابه للملك من توهم ان علمه تعالى
بما يصدر عنه متوقف على توسطه كما ان علم البشر بما يصدر عنه سبحانه متوقف على ذلك
في عامة الاوقات انى يكون لي غلام كلمة انى بمعنى كيف او من اين وكان اما تامة وانى
واللام متعلقتان بها وتقديم الجار على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق
الى ما اخر اي كيف او من اين يحدث لي غلام ويجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا
من غلام اذ لو تأخر لكان صفة له اي انى يحدث كائنا لي غلام او ناقصة اسمها ظاهر
وخبرها اما انى ولي متعلق بمحذوف كما مر او هو الخبر وانى نصب على الظرفية وقوله
تعالى وكانت امرأتي عاقرا حال من ضمير المتكلم بتقدير قد وكذا قوله تعالى وقد بلغت
من الكبر عتيا حال منه مؤكد للاستبعاد اثر تأكيد اي كانت امرأتي عاقرا لم تلد في

شيئًا وهو شيئًا فكيف مني لان عجيبة وقد بلغت انا من اجل الكبر السن جساوة ونحولا في المفاصل
والعظام او بلغت من مدارج الكبر غاية ما ليس شيئًا منها عتيا يعتو واصله عتوّ كقعود
فاستثقلوا الى الضمتين والواوين فكسرت التاء فانقلبت الاولى ياء لسكونها وانكسار ما
قبلها ثم قلبت الثانية ايضا لاجتماع الواو والياء وسبق احديهما بالسكون وكسرت العين اتباعا
لما بعدها وقرئ بضمها ولعل البداية ههنا بذكر حال امرأته على عكس ما في سورة آل عمران
لما انه قد ذكر حاله في تضاعيف دعائه واما المذكور ههنا بلوغه اقصى مراتب الكبر تتمة لما ذكر
واما هنالك فلم يسبق في الدعاء ذكر حاله فلذلك قدم على ذكر حال امرأته لما ان المسارعة
الى بيان قصور شأنه انسب وانما قاله عليه السلام مع سبق دعائه بذلك وقوة يقينه بقدرة الله
عز وجل لاسيما بعد مشاهدة الشواهد المذكورة في سورة آل عمران استعظاما لقدرة الله
تعالى وتعجيبا منها واعتدادا بنعمته تعالى عليه في ذلك باظهاره انه من محض لطف الله
عز وجل وفضله مع كونه في نفسه من الامور المستحيلة عادة لا استبعادا له وقيل انما قاله
ليجاب بما اجيب به فيزداد المؤمنون ايقانا ويرتدع المبطلون وقيل كان ذلك منه عليه السلام
استفهاما عن كيفية حدوثه وقيل كان ذلك بطريق الاستبعاد حيث كان بين الدعاء
والبشارة ستون سنة وكان قد نسي دعاءه وهو بعيد قال استئناف كما مر مبني على سؤال
نشأ مما سلف والكاف في قوله تعالى كذلك قال ربك مقحمة كما في مثلك لا يبخل
محلها اما النصب على انه مصدر تشبيهي لقال الثاني وذلك اشارة الى مصدره الذي هو عبارة
عن الوعد السابق لا الى قول آخر شبه هذا به وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وكذلك
جعلناكم امة وسطا وقوله تعالى هو علي هين جملة مقررة للوعد المذكور دالة على انجازه داخلة
في حيز قال الاول كانه قيل قال الله عز وجل مثل ذلك القول البديع قلت اي مثل ذلك
الوعد الخارق للعادة وعدت هو علي خاصة وان كان في العادة مستحيلا وهين
على هين فالجملة حال من ربك والياء عبارة عن ضميره كما ستعرفه او اعتراض وعلى كل حال
فهي مؤكدة ومقررة لما قبلها ثم اخرج القول الثاني مخرج الالتفات جريا على سنن الكبرياء لتربية
المهابة وادخال الروع كقول الخلفاء امير المؤمنين يرسم لك مكان انا يرسم ثم اسند
الى اسم الرب المضاف الى ضميره عليه السلام تشريفا له واشعارا بعلة الحكم فان تذكير جريان احكام
ربوبيته تعالى عليه عليه السلام من ايجاده من العدم وتصريفه في اطوار الخلق من حال شيئًا فشيئا
الى ان يبلغ كماله اللائق به مما يقلع اساس استبعاده عليه السلام حصول الموعود ويورثه عليه السلام
الاطمئنان بانجازه لا محالة ثم التفت من صيغة الغائب الى الرب الى ياء العظمة ايذانا
بان مدار كونه هينا عليه سبحانه هو القدرة الذاتية لا ربوبيته تعالى له عليه السلام خاصة
وتمهيدا لما يعقبه وقيل ذلك اشارة الى مبهم يفسره قوله تعالى هو علي هين على طريقة قوله تعالى
وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ولا يخرج هذا الوجه على القراءة بالواو
لانه لا يتخلل بين المفسر والمفسر اما الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وذلك اشارة الى ما
تقدم من وعده تعالى اي قال عز وعلا الامر كما وعدت وهو واقع لا محالة وقوله تعالى قال
ربك الخ استئناف مقرر لمضمونه والجملة المحلية على القراءة الثانية معطوفة على المحكية

الاولى وحال من المستكن في الجار والمجرور واياما كان فتوسيط قال بينهما مشعر بمزيد الاعتناء
بكل منهما والكلام في اسناد القول الى الرب ثم الالتفات الى التكلم كالذي مر انفا وقيل ذلك
اشارة الى ما قال زكريا عليه السلام اي قال تعالى الامر كما قلت تصديقا له فيما حكاه من الحالة المباينة
للولادة في نفسه وفي امرأته وقوله تعالى قال ربك الخ استئناف سوف لازالة استبعاده
بعد تقريره اي قال تعالى هو مع بعده في نفسه علي هين والقراءة الثانية ادخل في افادة هذا
المعنى على ان الواو للعطف واما جعلها للحال فيخل بسداد المعنى لان مآله تقرير صعوبته حال
سهولته عليه السلام مع ان المقصود بيان سهولته عليه سبحانه مع صعوبته في نفسه وقوله تعالى وقد
خلقتك من قبل ولم تك شيئا جملة مستأنفة مقررة لما قبلها والمراد به ابتداء خلق البشر
اذ هو الواقع اثر العدم المحض لا ما كان بعد ذلك بطريق التوالد المعتاد وانما لم يقل ذلك
الى آدم عليه السلام مع انه المخلوق من العدم حقيقة بان يقال وقد خلقت اباك آدم من قبل ولم
يك شيئا مع كفايته في ازالة الاستبعاد بقياس حال ما بشر به على حاله عليه السلام لتأكيد الاحتجاج
وتوضيح منهاج القياس حيث نبه على ان كل فرد من افراد البشر له حظ من انشائه عليه السلام من العدم
اذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر آحاد الجنس
انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان ابداعه عليه السلام على ذلك الوجه ابداعا
لكل احد من فروعه كذلك فلما كان خلقه عليه السلام على هذا النمط الساري الى جميع افراد
ذريته ابدع من ان يكون ذلك مقصورا على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور اليه
وادل على عظم قدرته تعالى وكمال علمه وحكمته وكان عدم زكريا حينئذ اظهر عنده واجلى فكان
حاله اولى بان يكون معيارا لحال ما بشر به نسب الخلق المذكور اليه كما نسب الخلق والتصوير الى
المخاطبين في قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم توفية لمقام الامتنان حقه فكأنه قيل
وقد خلقتك من قبل في تضاعيف خلق آدم ولم تك اذ ذاك شيئا اصلا بل عدما بحتا
ونفيا صرفا هذا واما حمل الشيء على المعتد به اي ولم تك شيئا معتدا به فيأباه المقام
ويرده نظم الكلام وقرئ خلقناك قال رب اجعل لي آية اي علامة تدلني على تحقق المسؤول
ووقوع الحبل ولم يكن هذا السؤال منه عليه السلام لتأكيد البشارة وتحقيقها كما قيل فان ذلك مما
لا يليق بمنصب الرسالة وانما كان ذلك لتعريف وقت العلوق حيث كانت البشارة مطلقة
عن تعيينه وهو امر خفي لا يوقف عليه فاراد ان يطلعه الله عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة
بالشكر من حين حدوثها ولا يؤخره الى ان تظهر ظهورا معتادا ولعل هذه الاشارة في تفسير سورة
آل عمران الى ان هذا السؤال ينبغي ان يكون بعد ما مضى بعد البشارة برهة من الزمان
لما روي ان يحيى كان اكبر من عيسى عليهما السلام بستة اشهر او بثلاث سنين ولا ريب في ان دعاء
زكريا عليه السلام كان في صغر مريم لقوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه وهي انما ولدت
عيسى عليه السلام وهي بنت عشر سنين او بنت ثلاث عشرة سنة والجعل ابداعي واللام متعلقة
به وتقديمها على المفعول به لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف
وقع حالا من آية اذ لو تأخر لكان صفة لها وقيل بمعنى التصيير المستدعي لمفعولين اولهما

ايه ثم تاخيرها عن الظرف وتقديمه لانه لا مسوغ لكونه اية مبتدأ اعتدادا بالجمل الى حينه اى حين سوى
تقديم الظرف فلا يسوغ تأخيرهما بعد ورود الناسخ قال آيتك ألا تكلم الناس اى ان لا تقدر على
ان تكلمهم بكلام الناس مع القدرة على الذكر والتسبيح ثلاث ليال مع ايامهن للتصريح بها فى سورة
آل عمران سويا حال من فاعل تكلم مفيد لكون انتفاء الكلام بطريق الاضطرار دون الاختيار
اى تمنع الكلام فلا تطيق به حال كونك سوى الخلق سليم الجوارح ما بك شائبة بكم ولا خرس
فخرج على قومه من المحراب اى من المصلى او من الغرفة وكانوا من وراء المحراب ينتظرون ان يفتح لهم
الباب فيدخلوه ويصلوا اذ خرج عليهم متغيرا فانكروه وقالوا ما لك فاوحى اليهم اى اومى اليهم
لقوله تعالى الا رمزا وقيل كتب على الارض وان فى قوله تعالى ان سبحوا اما مفسرة لاوحى او مصدرية
والمعنى اى صلوا او بان صلوا بكرة وعشيا ظرفا زمان للتسبيح عن ابى العالية ان
المراد بهما صلاة الفجر وصلاة العصر او نزهوا ربكم طرفى النهار ولعله كان مامورا بان يسبح شكرا ويامر
قومه بذلك يا يحيى استئناف طوى قبله جمل كثيرة مسارعة الى الانباء بانجاز الوعد الكريم
اى قلنا يا يحيى خذ الكتاب اى التوراة بقوة اى بجد واستظهار بالتوفيق
وآتيناه الحكم صبيا قال ابن عباس رضى الله عنهما الحكم النبوة استنبأه
وهو ابن ثلاث سنين وقيل الحكم الحكمة وفهم التوراة والفقه فى الدين روى انه دعاه الصبيان
الى اللعب فقال ما للعب خلقنا وحنانا من لدنا عطف على الحكم وتنوينه للتفخيم وهو التحنن
والاشتياق ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية
بالفخامة الاضافية اى وآتيناه رحمة عظيمة عليه كائنة من جنابنا او رحمة فى قلبه وشفقة على ابويه
وغيرهما وزكاة اى طهارة من الذنوب او صدقة تصدق به على ابويه او وفقناه للتصدق على
الناس وكان تقيا مطيعا مجتنبا عن المعاصى وبرا بوالديه عطف على تقيا اى بارا بهما
لطيفا بهما محسنا اليهما ولم يكن جبارا عصيا متكبرا عاقا لهما او عاصيا لربه وسلام
عليه من الله عز وجل يوم ولد من ان يناله الشيطان بما ينال به بنى آدم ويوم يموت من
عذاب القبر ويوم يبعث حيا من هول القيامة وعذاب النار واذكر فى الكتاب
كلام مستأنف خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم وامر بذكر قصة مريم اثر قصة زكريا لما بينهما
من كمال الاشتباك والمراد بالكتاب السورة الكريمة لا القرآن اذ هى التى صدرت بقصة
زكريا المستتبعة لذكر قصتها وقصص الانبياء المذكورين فيها اى واذكر للناس مريم اى
نبأها فان الذكر لا يتعلق بالاعيان وقوله تعالى اذ انتبذت ظرف لذلك المضاف لكن لا على
ان يكون المامور به ذكر نبأها عند انتباذها فقط بل كل ما عطف عليه وحكى بعده بطريق
الاستئناف داخل فى حيز الظرف متمم للنبأ وقيل بدل اشتمال من مريم على ان المراد بها
نبأها فان الظروف مشتملة على ما فيها وقيل بدل الكل على ان المراد بالظرف ما وقع فيه وقيل
اذ بمعنى ان المصدرية كما فى قولك اكرمتك اذ لم تكرمنى اى لانك لم تكرمنى فهو بدل اشتمال
لا محالة وقوله تعالى من اهلها متعلق بانتبذت وقوله مكانا شرقيا مفعول له باعتبار ما فى
ضمنه من معنى الاتيان المترتب وجودا واعتبارا على اصل معناه العامل فى الجار والمجرور وهو التنحى

تنحيه

تنحيه عنه اى اعتزلت وانفردت منهم واتت مكانا شرقيا من بيت المقدس او من دارها
لتتخلى هنالك للعبادة وقيل قعدت فى مشرفة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط او
بشىء يسترها وذلك قوله تعالى فاتخذت من دونهم حجابا
وكان موضعها المسجد فاذا
حاضت تحولت الى بيت خالتها واذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هى فى مغتسلها اتاها
الملك عليه السلام فى صورة آدمى شاب امرد وضىء الوجه جعد الشعر وذلك قوله تعالى فارسلنا
اليها روحنا اى جبريل عليه السلام عبر عنه بذلك توفية للمقام حقه وقرئ بفتح الراء لكونه سببا
لما فيه روح العباد الذى هو عدة المقربين فى قوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح
وريحان فتمثل لها بشرا سويا سوى الخلق كامل البنية لم يفقد من حسان نعوت الآدمية
شيئا وقيل تمثل فى صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وذلك لتستأنس
بكلامه وتتلقى منه ما يلقى اليها من كلماته تعالى اذ لو بدا لها على الصورة الملكية لنفرت منه ولم
تستطع مفاوضته واما ما قيل من ان ذلك لتهييج شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها فمخالف
لمقام بيان آثار القدرة الخارقة للعادة تكذيبه قوله تعالى قالت انى اعوذ بالرحمن منك
فانه شاهد عدل بانه لم يخطر ببالها شائبة ميل ما اليه فضلا عما ذكر من الحالة المترتبة على
اقصى مراتب الميل والشهوة نعم كان تمثيله على ذلك الحسن الفائق والجمال الرائق لابتلائها
وسبر عفتها ولقد ظهر منها من الورع والعفاف ما لا غاية وراءه وذكره تعالى بعنوان
الرحمانية للمبالغة فى العياذ به واستجلاب آثار الرحمة الخاصة التى هى العصمة مما دهمها وقوله
تعالى ان كنت تقيا اى تتقى الله تعالى وتبالى بالاستعاذة به وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة
السياق عليه اى فانى عائذة به او فتتعظ بتعوذى او فلا تتعرض لى قال انما انا رسول ربك
يريد عليه السلام انى لست ممن يتوقع منه ما توهمت من الشر وانما انا رسول ربك الذى استعذت
به لاهب لك غلاما اى لاكون سببا فى هبته بالنفخ فى الدرع ويجوز ان يكون ذلك حكاية
لقوله تعالى ويؤيده قراءة الياء والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرها لتشريفها
وتسليتها والاشعار بعلة الحكم فان هبة الغلام لها من احكام تربيتها وفى بعض المصاحف امرنى
ان اهب لك غلاما زكيا طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير اى مترقيا من سن الى سن
على الخير والصلاح قالت انى يكون لى غلام كما وصفت ولم يمسسنى بشر اى والحال انه
لم يباشرنى بالنكاح رجل وانما قيل بشر مبالغة فى بيان تنزهها من مبادى الولادة ولم اك
بغيا عطف على لم يمسسنى داخل معه فى حكم الحالية مفصح عن كون المساس عبارة عن
المباشرة بالنكاح اى ولم اكن زانية تبغى الرجال وهى فعول بمعنى الفاعل اصلها بغوى
فادغمت الواو بعد قلبها ياء فى الياء وكسرت الغين للياء وقيل هى فعيل بمعنى الفاعل ولو كان
لقيل بغية كما يقال [illegible] وانما لم يلحقه التاء لانها من باب النسب كطالق او بمعنى المفعول
اى بغتها الرجال للفجور بها قال الملك تقريرا لمقالته وتحقيقا لها كذلك اى الامر كما قلت
لك فى قوله تعالى قال ربك الخ استئناف مقرر له اى قال ربك الذى ارسلنى اليك
هو اى ما ذكرت لك من هبة الغلام من غير ان يمسك بشر اصلا على خاصة هين وان

كان مستحيلا عادة لما أني لا أحتاج إلى الأسباب والوسائط وقوله تعالى ولنجعله آية للناس إما علة لمعلل محذوف أي ولنجعل وهب الغلام آية لهم وبرهانا يستدلون به على كمال قدرتنا نفعل ذلك أو معطوف على علة أخرى مضمرة أي لنبين به عظم قدرتنا ولنجعله آية الخ والواو على الأول اعتراضية والالتفات إلى نون العظمة لإظهار كمال الجلالة ورحمة منا عظيمة كائنة منا عليهم يهتدون بهدايته ويسترشدون بإرشاده وكان ذلك أمرا مقضيا محكما قد تعلق به قضاؤنا الأزلي أو قدر وسطر في اللوح لا بد من جريانه عليك البتة أو كان أمرا حقيقا بأن يقضى ويفعل لتضمنه حكما بالغة فحملته بأن نفخ جبريل عليه السلام في درعها فدخلت النفخة في جوفها قيل إنه عليه السلام رفع درعها فنفخ في جيبه فحملت وقيل نفخ عن بعد فوصل الريح إليها فحملت في الحال وقيل إن النفخة كانت في فيها وكانت مدة حملها سبعة أشهر وقيل ثمانية فلم يعش مولود وضع لثمانية أشهر غيره وقيل تسعة أشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة كما حملته وضعته وسنها ثلاث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين فانتبذت به أي فاعتزلت وهو في بطنها كما في قوله تدوس بنا الجماجم والتريبا فالجار والمجرور في حيز النصب على الحالية أي فانتبذت ملتبسة به مكانا قصيا بعيدا من أهلها وراء الجبل وقيل أقصى الدار وهو الأنسب بقصر مدة الحمل فأجاءها المخاض أي فألجأها وهو في الأصل منقول من جاء لكنه لم يستعمل في غيره كآتى في أعطى وقرئ المخاض بكسر الميم وكلاهما مصدر مخضت المرأة إذا تحرك الولد في بطنها للخروج إلى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف إما للجنس أو للعهد إذ لم يكن ثمة غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى ألهمها ذلك ليريها من آياتها ما يسكن روعتها ويطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها قالت يا ليتني مت بكسر الميم من مات يمات كخفت وقرئ بضمها من مات يموت قبل هذا أي هذا الوقت الذي لقيت فيه ما لقيت وإنما قالته مع أنها كانت تعلم ما جرى بينها وبين جبريل عليه السلام من الوعد الكريم استحياء من الناس وخوفا من لائمتهم أو حذرا من وقوع الناس في المعصية بما تكلموا فيها أو جريا على سنن الصالحين عند اشتداد الأمر عليهم كما روي عن عمر رضي الله عنه أنه أخذ تبنة من الأرض فقال يا ليتني هذه التبنة ولم أك شيئا وعن بلال أنه قال ليت بلالا لم تلده أمه وكنت نسيا أي شيئا تافها شأنه أن ينسى ولا يعتد به أصلا وقرئ بالكسر قيل هما لغتان في ذلك كالوتر والوتر وقيل هو بالكسر اسم لما ينسى كالنقض اسم لما ينقض وبالفتح مصدر يسمى به المفعول مبالغة وقرئ بهما مهموزا من نسأت اللبن إذا صببت عليه الماء فصار مستهلكا فيه وقرئ نسا كعصا منسيا لا يخطر ببال أحد من الناس وهو نعت للمبالغة وقرئ بكسر الميم إتباعا للسين فناداها أي جبريل عليه السلام من تحتها قيل إنه كان يقبل الولد وقيل من تحتها أي من مكان أسفل منها تحت الأكمة وقيل من تحت النخلة وقيل ناداها عيسى عليه السلام وقرئ فخاطبها من تحتها بفتح الميم ألا تحزني أي لا تحزني على أن أن مفسرة أو بأن لا تحزني على أنها مصدرية فحذف عنها الجار قد جعل ربك تحتك أي بمكان

اسفل

أسفل منك وقيل تحت أمرك إن أمرته بالجري جرى وإن أمرته بالإمساك أمسك سريا أي نهرا صغيرا حسبما روي مرفوعا قال ابن عباس رضي الله عنهما إن جبريل عليه السلام ضرب برجله الأرض فظهرت عين ماء عذب فجرى جدولا وقيل فعله عيسى عليه السلام وقيل كان هناك نهر يابس أجرى الله عز وجل فيه الماء حسبما فعل مثله بالنخلة فإنها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ورق فضلا عن الثمر وكان الوقت شتاء فجعل الله لها إذ ذاك رأسا وخوصا وثمرا وقيل كان هناك ماء جار والأول هو الموافق لمقام بيان ظهور الخوارق والمتبادر من النظم الكريم وقيل سريا أي سيدا نبيلا رفيع الشأن جليلا وهو عيسى عليه السلام والتنوين للتفخيم والجملة تعليل لانتفاء الحزن المفهوم من النهي عنه والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرها لتشريفها وتأكيد التعليل وتكميل التسلية وهزي الهز تحريك الشيء إلى الجهات المتقابلة تحريكا عنيفا متداركا والمراد ههنا ما كان منه بطريق الجذب والدفع لقوله تعالى إليك أي إلى جهتك والباء في قوله عز وعلا بجذع النخلة صلة للتأكيد كما في قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة الخ قال الفراء تقول العرب هزه وهز به وأخذ الخطام وأخذ بالخطام أو لإلصاق الفعل بمدخولها أي افعلي الهز بجذعها أو هزي الثمرة بهزه وقيل هي متعلقة بمحذوف وقع حالا من مفعول هزي أي هزي إليك الرطب كائنا بجذعها تساقط أي تسقط النخلة عليك إسقاطا متواترا حسب تواتر الهز وقرئ تسقط ويسقط من الإسقاط بالتاء والياء وتتساقط بإظهار التاءين وتساقط بطرح الثانية ويساقط بإدغامها في السين ويساقط بالياء كذلك وتسقط ويسقط من السقوط على أن التاء في الكل للنخلة والياء للجذع وقوله تعالى رطبا على القراءات الثلاث الأول مفعول به وعلى الست الباقية تمييز وقوله تعالى جنيا صفة له وهو ما قطع قبل يبسه فعيل بمعنى مفعول أي رطبا مجنيا أي صالحا للاجتناء وقيل بمعنى فاعل أي طريا طيبا وقرئ جنيا بكسر الجيم للإتباع فكلي واشربي أي من ذلك الرطب وماء السري أو من الرطب وعصيره وقري عينا وطيبي نفسا وارفضي عنها ما أحزنك وأهمك فإنه تعالى قد نزه ساحتك عما اختلج في صدور المتقيدين بالأحكام العادية بأن أظهر لهم من البسائط العنصرية والمركبات النباتية ما يخرق العادات التكوينية ويرشدهم إلى الوقوف على سريرة أمرك وقرئ وقري بكسر القاف وهي لغة نجد واشتقاقه من القرار فإن العين إذا رأت ما يسر النفس سكنت إليه عن النظر إلى غيره أو من القر فإن دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين للمحبوب و[illegible] للمكروه فإما ترين من البشر أحدا أي آدميا كائنا من كان وقرئ ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج لما بين الهمزة والياء من التآخي فقولي له إن استنطقك إني نذرت للرحمن صوما صمتا وقد قرئ كذلك أو صياما بالسكوت فلن أكلم اليوم إنسيا أي بعد أن أخبرتكم بنذري وإنما أكلم الملائكة وأناجي ربي وقيل أمرت بأن تخبر بنذرها بالإشارة

ع

ومن الاظهر قال الفرا والفري يستعمل في كل ما وصل الى الانسان كله ما باى طريق
وصل ما لم يوكنا بالمصدر فاذا كذلك لم يكن الا حقيقة الكلام وانما ارتب بذلك لكراهة
مجادلة السفهاء ومناقلتهم والاكتفاء بكلام عيسى عليه السلام فانه نص قاطع في قطع
الطعن فاتت به قومها اى جاءتهم مع ولدها راجعة اليهم عندما طهرت من نفاسها تحمله
اى حاملة له قالوا موبخين لها يا مريم لقد جئت اى فعلت شيئا فريا اى عظيما بديعا
منكرا من فرى الجلد اى قطعه او جئت مجيئا عجيبا عبر عنه بالشئ تحقيقا للاستغراب يا اخت
هرون استئناف لتجديد التعيير وتأكيد التوبيخ وليس المراد به هرون النبي عليه السلام بل كانت من
اعقاب من كان معه في طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة
وقيل هو رجل صالح او طالح كان في زمانهم شبهوها به اى كنت عندنا مثله في الصلاح
او شتموها به ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا تقرير لكون ما
جاءت به فريا منكرا وتنبيه على ان ارتكاب الفواحش من اولاد الصالحين افحش فاشارت
اليه اى الى عيسى عليه السلام ان كلموه والظاهر انها بينت حينئذ نذرها وانها بمعزل من
محاورة الانس حسبما امرت ففيه دلالة على ان المأمور به بيان نذرها بالاشارة
لا بالعبارة والجمع بينهما مما لا عهد به قالوا منكرين لجوابها كيف نكلم من كان
في المهد صبيا ولم نعهد فيما سلف صبيا يكلمه عاقل وقيل كان لايقاع مضمون الجملة
في زمان ماض مبهم لقريبه وبعيده وهو ههنا لقريبه خاصة بدليل انه مسوق للتعجب وقيل
هي زائدة والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن فيه او هي تامة او دائمة كما في
قوله تعالى وكان الله عليما حكيما قال استئناف مبني على سؤال نشأ من سياق النظم الكريم
كانه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل قال عيسى عليه السلام انى عبد الله انطقه الله تعالى
وجل بذلك اولا اثر تحقيقا للحق وردا على من يزعم ربوبيته قيل كان المستنطق لعيسى
زكريا عليهما السلام وعن السدى رحمه الله لما اشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا اشد علينا
مما فعلت وروى انه عليه السلام كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه
واتكأ على يساره واشار بسبابته فقال ما قال وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى
بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان آتاني الكتاب اى الانجيل وجعلني نبيا وجعلني
مع ذلك مباركا نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ الماضي في الافعال الثلاثة اما باعتبار
ما سبق في القضاء المحتوم او بجعل ما في شرف الوقوع لا محالة واقعا قيل اكمل الله عقله
واستنبأه طفلا اينما كنت اى حيثما كنت واوصاني بالصلاة اى امرني بها امرا مؤكدا
والزكاة زكاة المال ان ملكته او بتطهير النفس عن الرذائل ما دمت حيا في الدنيا
وبرا بوالدتي عطف على مباركا اى جعلني بارا بها وقرئ بالكسر على انه مصدر وصف به
مبالغة او منصوب بمضمر دل عليه اوصاني اى وكلفني برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر
عطفا على الصلاة والزكاة والتنكير للتفخيم ولم يجعلني جبارا شقيا عند الله تعالى لفرط
تكبره والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا كما هو على يحيى عليه السلام والتعريف

للعهد

للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدائه فان اثبات جنس السلام لنفسه تعريض
باثبات ضده لاضداده كما في قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض بالعذاب
على من كذب وتولى ذلك اشارة الى من فصلت نعوته الجليلة وما فيه من معنى البعد للدلالة
على علو رتبته وبعد منزلته وامتيازه بتلك المناقب الحميدة عن غيره ونزوله منزلة المشاهد
المحسوس عيسى بن مريم لا ما يصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يزعمونه على الوجه الابلغ
والمنهاج البرهاني حيث جعله موصوفا باضداد ما يصفونه قول الحق بالنصب على انه مصدر مؤكد لقال
انى عبد الله وقوله تعالى ذلك عيسى بن مريم اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ
محذوف اى هو قول الحق الذى لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام
القصة وقيل صفة عيسى او بدل او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرئ قال الحق وقول الحق فان
القول والقول والقال في معنى واحد الذى فيه يمترون اى يشكون او يتنازعون
فيقول اليهود ساحر والنصارى ابن الله سبحانه وقرئ بتاء الخطاب ما كان لله اى ما صح وما
استقام له تعالى ان يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى وتنزيه له تعالى عما بهتوه وقوله تعالى
اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون تبكيت لهم ببيان ان شأنه تعالى اذا قضى امرا من الامور
ان يتعلق به ارادته كن فيكون بلا تأخير فمن هذا شأنه كيف يتوهم ان يكون له ولد وقرئ
فيكون بالنصب على الجواب وقوله تعالى وان الله ربى وربكم فاعبدوه من تمام كلام عيسى قيل
هو عطف على قوله انى عبد الله داخل تحت القول وقرئ بغير واو وقرئ بفتح الهمزة على
حذف اللام اى ولانه تعالى ربى وربكم فاعبدوه كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا
مع الله احدا وقيل معطوف على الصلاة هذا اى ما الذى ذكرته من التوحيد صراط مستقيم لا
يضل سالكه والفاء في قوله تعالى فاختلف الاحزاب من بينهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها تنبيها
على سوء صنيعهم بجعلهم ما يوجب الاتفاق منشأ الاختلاف فان ما حكى من مقالات عيسى عليه السلام
مع كونها نصوصا قاطعة في كونه عبده تعالى ورسوله قد اختلف اليهود والنصارى بالتفريط
والافراط او فرق النصارى فقالت النسطورية هو ابن الله وقالت اليعقوبية هو الله هبط
الى الارض ثم صعد الى السماء تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقالت الملكانية هو عبد الله ونبيه فويل
للذين كفروا وهم المختلفون عبر عنهم بالموصول ايذانا بكفرهم جميعا واشعارا بعلة الحكم من مشهد
يوم عظيم اى من شهود يوم عظيم الهول والحساب والجزاء وهو يوم القيامة او من وقت شهوده
او من مكان الشهود فيه او من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان تشهد عليهم الملائكة والانبياء
عليهم السلام والسنتهم واذانهم وايديهم وارجلهم وسائر اراءبهم بالكفر والفسوق او من وقت
الشهادة او من مكانها وقيل هو ما شهدوا به في حق عيسى وامه اسمع بهم وابصر تعجب من حدة
سمعهم وابصارهم يومئذ ومعناه ان اسماعهم وابصارهم يوم يأتوننا للحساب والجزاء اى
يوم القيامة جدير بان يتعجب منهما بعدما كانوا في الدنيا صما عميا او تهديد بما سيسمعون ويبصرون
يومئذ وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على
الاول في موضع الرفع وعلى الثاني في موضع النصب لكن الظالمون اليوم اى في الدنيا في ضلال
مبين لا يدرك غايته حيث اغفلوا الاستماع والنظر بالكلية ووضع الظالمين موضع الضمير

للايذان بانهم في ذلك ظالمون لانفسهم وانذرهم يوم الحسرة اي يوم يتحسر الناس قاطبة اما
المسيء فعلى اساءته واما المحسن فعلى قلة احسانه اذ قضي الامر فرغ من الحساب وتصادر
الفريقان الى الجنة والنار وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال
حين يجاء بالموت على صورة كبش املح فيذبح والفريقان ينظرون فينادي المنادي يا
اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت فيزداد اهل الجنة فرحا الى
فرح واهل النار غما الى غم واذ بدل من يوم الحسرة او ظرف للحسرة فان المصدر المعرف باللام
يعمل في المفعول الصريح عند بعضهم فكيف بالظرف وهم في غفلة اي عما يفعل بهم في الاخرة
وهم لا يؤمنون وهما جملتان حاليتان من الضمير المستتر في قوله تعالى في ضلال مبين
اي مستقرون في ذلك وهم في تينك الحالتين وما بينهما اعتراض او متعلق بانذرهم اي
انذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة معنى التعليل انا نحن نرث الارض ومن
عليها لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك او نتوفى الارض ومن عليها بالافناء
والاهلاك توفي الوارث لارثه والينا يرجعون اي يردون للجزاء لا الى غيرنا استقلالا
او اشتراكا واذكر عطف على انذرهم في الكتاب اي في السورة او في القرآن ابراهيم
اي اتل على الناس قصته وبلغها اياهم كقوله تعالى واتل عليهم نبأ ابراهيم فانهم ينتمون اليه
عليه السلام فعساهم باستماع قصته يقلعون عما هم فيه من القبائح انه كان صديقا ملازما
للصدق في كل ما يأتي ويذر او كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله تعالى
وآياته وكتبه ورسله والجملة استئناف مسوق لتعليل موجب الامر فان وصفه عليه السلام بذلك من
دواعي ذكره نبيا خبر آخر لكان مقيد للاول مخصص له كما ينبئ عنه قوله تعالى من النبيين
والصديقين الآية اي كان جامعا بين الصديقية والنبوة ولعل هذا الترتيب لما ان
في الاول … عن توهم تخصيص الصديقية بالنبوة فان كل نبي صديق اذ قال بدل اشتمال من
ابراهيم وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله او متعلق بكان او بنبيا وتعليق الذكر بالاوقات
مع ان المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث قد مر سره مرارا اي كان جامعا بين الامرين
حين قال لابيه ازر متلطفا في الدعوة مستميلا له يا ابت اي يا ابي فان التاء عوض من
ياء الاضافة ولذلك لا يجتمعان وقد قيل يا ابتا لكون الالف بدلا من الياء لم تعبد ما لا
يسمع فاثنى عليه عند عبادتك له وجؤارك اليه ولا يبصر خضوعك وخشوعك بين يديه
او لا يسمع ولا يبصر شيئا من المسموعات والمبصرات فيدخل في ذلك ما ذكر دخولا اوليا ولا
يغني اي لا يقدر على ان يغني عنك شيئا في جلب نفع او دفع ضر لقد سلك عليه السلام في دعوته
احسن منهاج واقوم سبيل واحتج عليه ابدع احتجاج بحسن ادب وخلق جميل لئلا
يركب متن المكابرة والعناد ولا ينكب بالكلية عن محجة الرشاد حيث طلب منه علة عبادة
ما يستخف به عقل كل عاقل من عالم وجاهل ويأبى الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي
الغاية القاصية من التعظيم مع انها لا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام الخالق
الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب ونبه على ان العاقل يجب ان يفعل كل ما يفعل
لداعية صحيحة وغرض صحيح والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا قادرا على النفع والضر مطيقا

بايصالهما الى الغير لكن كان ممكنا لاستنكف العقل السليم عن عبادته وان كان اشرف الخلائق لما
يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة القاهرة الواجبة فما ظنك بجماد مصنوع من حجر او شجر ليس له
من اوصاف الاحياء عين ولا اثر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الى الحق المبين لما انه لم يكن محظوظا
من العلم الالهي مستقلا بالنظر السوي فصدر الدعوة بما مر من الاستمالة والاستعطاف قال يا ابت
اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك ولم يسم اباه بالجهل المفرط وان كان في اقصاه ولا نفسه بالعلم
الفائق وان كان كذلك بل ابرز نفسه في صورة رفيق له اعرف باحوال ما سلكاه من الطريق
فاستماله برفق حيث قال فاتبعني اهدك صراطا سويا اي مستقيما موصلا الى اسنى المطالب
منجيا عن الضلال المؤدي الى مهاوي الردى والمعاطب ثم ثبطه عما كان عليه بتصويره بصورة
يستنكرها كل عاقل ببيان انه مع عرائه عن النفع بالمرة مستجلب لضرر عظيم فانه في الحقيقة عبادة
الشيطان لما انه الآمر به فقال يا ابت لا تعبد الشيطان فان عبادتك للاصنام عبادة له اذ هو
الذي يسولها لك ويغريك عليها وقوله ان الشيطان كان للرحمن عصيا تعليل لموجب النهي وتأكيد
له ببيان انه مستعص على ربك الذي انعم عليك بفنون النعم ولا ريب في ان المطيع للعاصي عاص
وكل من هو عاص حقيق بان تسترد منه النعم وينتقم منه والاظهار في موضع الاضمار لزيادة
التقرير والاقتصار على ذكر عصيانه من بين سائر جناياته لانه ملاكها او لانه نتيجة معاداته لآدم عليه السلام
وذريته فتذكيره داع لابيه الى الاحتراز عن موالاته وطاعته والتعرض لعنوان الرحمانية لاظهار كمال
شناعة عصيانه وقوله يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن تحذير من سوء عاقبة ما
كان عليه من عبادة الشيطان وهو ابتلاؤه بما ابتلي به معبوده من العذاب الفظيع وكلمة من
متعلقة بمضمر وقع صفة للعذاب مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية
واظهار الرحمن للاشعار بان وصف الرحمانية لا يدفع حلول العذاب كما في قوله عز وجل ما غرك
بربك الكريم فتكون للشيطان وليا اي قرينا له في اللعن المخلد وذكر الخوف للمجاملة وابراز
الاعتناء بامره قال استئناف مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل فماذا قال ابوه
عندما سمع منه عليه السلام هذه النصائح الواجبة القبول فقيل قال مصرا على عناده اراغب انت عن
آلهتي يا ابراهيم اي امعرض ومنصرف انت عنها بتوجيه الانكار الى نفس الرغبة مع ضرب من
التعجب كأن الرغبة عنها مما لا يصدر عن العاقل فضلا عن ترغيب الغير عنها ثم قوله تعالى لئن لم
تنته لارجمنك تهديد وتحذير عما كان عليه من العظة والتذكير اي والله لئن لم تنته عما كنت عليه
من النهي عن عبادتها لارجمنك بالحجارة وقيل باللسان واهجرني اي فاحذرني واتركني
مليا اي زمانا طويلا او مليا بالذهاب مطيقا به قال استئناف كما سلف سلام عليك توديع ومتاركة
على طريقة مقابلة السيئة بالحسنة اي لا اصيبك بمكروه بعد ولا اشافهك بما يؤذيك ولكن
سأستغفر لك ربي اي استدعيه ان يغفر لك بان يوفقك للتوبة ويهديك الى الايمان
كما يلوح به تعليل قوله تعالى واغفر لابي بقوله تعالى انه كان من الضالين والاستغفار
بهذا المعنى للكافر قبل تبين انه يموت على الكفر مما لا ريب في جوازه وانما المحظور استدعاء
المغفرة له مع بقائه على الكفر فانه مما لا مساغ له عقلا ولا نقلا واما الاستغفار له بعد موته
على الكفر فلا يأباه قضية العقل وانما الذي يمنعه السمع الا يرى الى انه عليه السلام قال لعمه ابي طالب

لان الاستغفار لك ما لم انه عنه فنزل قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا
للمشركين الآية ولا اشتباه في ان هذا الوعد من ابرهيم عليه السلام وكذا قوله لاستغفرن لك وما
ترتب عليهما من قوله تعالى واعتزلكم الآية انما كان قبل انقطاع رجائه من ايمانه لعدم تبين
امره لقوله تعالى فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه كما مر في تفسير سورة التوبة واستثناؤه
عما يؤتسى به في قوله تعالى الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك لا يقدح في جوازه لكن لا لان
ذلك كان قبل ورود النهي او لموعدة وعدها اياه كما قيل لما ان النهي انما ورد في شأن
الاستغفار بعد تبين الامر وقد كان استغفاره عليه السلام قبل التبين ولم يكن قبله نهي وله
النهي اصلا وان الوعد بالمحظور لا يصح فكيف به لان المراد بما يؤتسى به ما يجب الايتساء به حتما
لورود الوعيد على الاعراض عنه بقوله تعالى لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجوا
الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فاستثناؤه عن ذلك انما يفيد
عدم وجوب استدعاء الايمان للكافر المرجو ايمانه لاستيائه وقد انقطع ذلك عند ورود
الاستثناء وذلك مما لا يرتاب فيه احد من العقلاء واما عدم جوازه قبل تبين الامر فلا
دلالة للاستثناء عليه قطعا وتوجيه الاستثناء الى العدة بالاستغفار لا الى نفس الاستغفار
بقوله واعتزلكم الآية لانها كانت من المحامل له عليه السلام وتخصيص تلك العدة بالذكر دون
ما وقع هاهنا لورودها على نهج التأكيد القسمي واما جعل الاستغفار دائرا عليها وترتيب
البراءة على تبين الامر فقد مر تحقيقه في سورة التوبة وقوله تعالى انه كان بي حفيا
اي بليغا في البر والالطاف تعليل لمضمون ما قبله واعتزلكم اي اتباعد عنك وعن قومك
وما تدعون من دون الله بالمهاجرة بديني حيث لم تؤثر فيكم نصائحي وادعوا ربي اعبده
وحده وقد جوز ان يراد به دعاؤه المذكور في سورة الشعراء ولا يبعد ان يراد به استدعاء الولد
ايضا بقوله رب هب لي من الصالحين حسبما يساعده السباق والسياق عسى ان لا اكون
بدعاء ربي شقيا اي خائبا ضائع السعي وفيه تعريض بشقائهم في عبادة آلهتهم وفي
تصدير الكلام بعسى من اظهار التواضع ومراعاة حسن الادب والتنبيه على حقيقة الحق
من ان الاجابة والاثابة بطريق التفضل منه عز وجل لا بطريق الوجوب وان العبرة بالخاتمة
وذلك من الغيوب المختصة بالعليم الخبير ما لا يخفى فلما اعتزلهم وما يعبدون من
دون الله بالمهاجرة الى الشام وهبنا له اسحق ويعقوب بدل من فارقهم من اقربائه الكفرة
لكن لا عقيب المهاجرة فان المشهور ان الموهوب حينئذ اسمعيل عليه السلام لقوله تعالى فبشرناه
بغلام حليم اثر دعائه بقوله رب هب لي من الصالحين ولعل ترتيب هبتهما على اعتزاله هاهنا
لبيان كمال عظم النعم التي اعطاها الله تعالى اياه بمقابلة من اعتزلهم من الاهل والاقرباء فانهما
شجرتا الانبياء لهما اولاد واحفاد اولو شأن خطير وذوو عدد كثير هذا وقد روي انه
عليه السلام لما قصد الشام اتى اولا حران وتزوج بسارة وولدت له اسحق وولد لاسحق يعقوب
والاول هو الاقرب الاظهر وكلا اي كل واحد منهما او منهم وهو مفعول اول لقوله تعالى
جعلنا نبيا قدم عليه للتخصيص لكن لا بالنسبة الى من عداهم بل بالنسبة الى بعضهم اي كل
واحد منهم جعلنا نبيا لا بعضهم دون بعض ووهبنا لهم من رحمتنا هي النبوة وذكرها

بعد

بعد ذكر جعلهم انبياء للايذان بانها من باب الرحمة وقيل هي المال والاولاد وما بسط لهم من سعة
الرزق وقيل هو الكتاب والاظهر انها عامة لكل خير ديني ودنيوي اوتوه مما لم يؤت احدا من
العالمين وجعلنا لهم لسان صدق عليا يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته
بقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان ما يوجد به من الكلام ولسان العرب
لغتهم واضافته الى الصدق ووصفه بالعلو للدلالة على انهم احقاء بما يثنون عليهم وان محامدهم
لا تخفى على تباعد الاعصار وتبدل الدول وتحول الملل والنحل واذكر في الكتاب موسى قدم
ذكره على ذكر اسمعيل عليه السلام لئلا ينفصل عن ذكر يعقوب عليهم السلام انه كان مخلصا موحدا اخلص
عبادته عن الشرك والرياء او اسلم وجهه لله تعالى واخلص نفسه عما سواه وقرئ مخلصا على ان الله
تعالى اخلصه وكان رسولا نبيا ارسله الله تعالى الى الخلق فانبأهم عنه ولذلك قدم رسولا
مع كونه اخص واعلى وناديناه من جانب الطور الايمن الطور جبل بين مصر ومدين والايمن صفة
للجانب اي ناديناه من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى عليه السلام او من جانبه الميمون
من اليمن ومعنى ندائه منه انه تمثل له الكلام من تلك الجهة وقربناه نجيا تشريف مثل حاله
عليه السلام بحال من قربه الملك لمناجاته واصطفاه لمصاحبته ونجيا اي مناجيا حال من احد الضميرين في
ناديناه او قربناه وقيل رفعه لما روي انه رفع فوق السموات حتى سمع صريف القلم
ووهبنا له من رحمتنا اي من اجل رحمتنا ورأفتنا له او بعض رحمتنا اخاه اي معاضدة اخيه
ومؤازرته اجابة لدعوته بقوله واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي لا نفسه لانه كان اكبر
منه عليه السلام وهو على الاول مفعول لوهبنا وعلى الثاني بدل وقوله تعالى هرون
عطف بيان له وقوله تعالى نبيا حال منه واذكر في الكتاب اسمعيل فصل ذكره عن ذكر
ابيه واخيه لابراز كمال الاعتناء بامره بايراده مستقلا وقوله تعالى انه كان صادق الوعد
تعليل لموجب الامر وايراده عليه السلام بهذا الوصف لكمال شهرته بذلك ناهيك انه وعد الصبر
على الذبح بقوله ستجدني ان شاء الله من الصابرين فوفى وكان رسولا نبيا فيه دلالة على ان الرسول
لا يجب ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابرهيم عليه السلام كانوا على شريعته وكان يأمر اهله
بالصلوة والزكوة اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل بالتكميل على نفسه ومن هو اقرب
الناس اليه قال تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وأمر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا
وقصدا الى تكميل الكل بتكميلهم لانهم قدوة يؤتسى بهم وقيل اهله امته فان الانبياء
عليهم السلام آباء الامم وكان عند ربه مرضيا لاتصافه بالنعوت الجليلة التي من جملتها ما ذكر من
خصاله الحميدة واذكر في الكتاب ادريس وهو سبط شيث وجد ابي نوح فانه نوح بن لملك
بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليهم السلام واشتقاقه من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد ان
يكون معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة دراسته روي انه تعالى انزل عليه
ثلثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب انه كان صديقا ملازما
للصدق في جميع احواله نبيا خبر آخر لكان مخصص للاول اذ ليس كل صديق نبيا ورفعناه
مكانا عليا هو شرف النبوة والزلفى عند الله عز وجل وقيل علو الرتبة بالذكر الجميل في الدنيا

كانه قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك وقيل الجنة وقيل السماء السادسة او الرابعة روى عن كعب وغيره
في سبب رفع ادريس عليه السلام انه سار ذات يوم في حاجته فاصابه وهج الشمس فقال يا رب
قد مشيت فيها يوما وقد اصابني منها ما اصابني فكيف بمن يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم
واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا
يعرف فقال يا رب ما الذي قضيت فيه قال ان عبدي ادريس سألني ان اخفف عنك حملها وحرها
فاجبته قال رب اجعل بيني وبينه خلة فاذن الله تعالى له فرفعه الى السماء اولئك اشارة
الى المذكورين في السورة الكريمة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في
الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى الذين انعم الله عليهم صفته اى انعم عليهم بفنون النعم الدينية
والدنيوية حسبما اشير اليه مجملا وقوله تعالى من النبيين بيان للموصول وقوله تعالى من ذرية آدم
بدل منه باعادة الجار ويجوز ان تكون كلمة من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبياء
واخص من الذرية ومن حملنا مع نوح اى ومن ذرية من حملنا معه خصوصا وهم ما عدا
ادريس عليه السلام فان ابراهيم كان من ذرية سام بن نوح ومن ذرية ابراهيم وهم الباقون واسرائيل
عطف على ابراهيم اى ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه
دليل على ان اولاد البنات من الذرية وممن هدينا واجتبينا اى ومن جملة من هديناهم الى
الحق واجتبيناهم للنبوة والكرامة وقوله تعالى اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا
وبكيا خبر لاولئك ويجوز ان يكون الخبر هو الموصول وهذا استئناف مسوق لبيان خشيتهم
الله تعالى واخباتهم له مع ما لهم من علو الرتبة وسمو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى
من الله عز سلطانه وسجدا وبكيا حالان من ضمير خروا اى ساجدين باكين عن النبي
صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود جمع ساجد
واصله بكوي فاجتمعت الواو والياء وسبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت
الياء في الياء وحركت الكاف بالكسر لمجانسة الياء وقرئ بكيا بالياء التحتانية وقرئ
بكيا بكسر الباء للاتباع قالوا ينبغي ان يدعو الساجد في سجدته بما يليق بآيتها فههنا يقول اللهم اجعلني
من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك وفي آية الاسراء
يقول اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وفي آية تنزيل السجدة يقول اللهم اجعلني
من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك من ان اكون من المستكبرين عن
امرك فخلف من بعدهم خلف يقال لعقب الخير خلف بفتح اللام ولعقب الشر خلف بالسكون
اى فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء اضاعوا الصلوة وقرئ الصلوات اى تركوها او اخروها
عن وقتها واتبعوا الشهوات من شرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك في
فنون المعاصي وعن علي رضي الله عنه هم من بنى الشديد وركب المنظور ولبس
المشهور فسوف يلقون غيا اى شرا فان كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد كقوله
فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ... ومن يغو لا يعدم على الغي لائما
وعن الضحاك جزاء غي كقوله تعالى يلق اثاما اى جزاء اثام او غيا عن طريق

الجنة

الجنة وقيل غي واد في جهنم يستعيذ منه اوديتها وقوله تعالى الا من تاب وآمن وعمل صالحا يدل على
ان الآية في حق الكفرة فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه
من معنى البعد للاشعار بعلو رتبتهم اى فاولئك الموصوفون بالتوبة والايمان والعمل الصالح يدخلون الجنة
بموجب الوعد المحتوم وقرئ يدخلون على البناء للمفعول ولا يظلمون شيئا اى لا ينقصون من
جزاء اعمالهم شيئا او لا ينقصون شيئا من النقص وفيه تنبيه على ان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص
اجورهم جنات عدن بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها وما بينهما اعتراض او نصب على المدح
وقرئ بالرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اى هي او تلك جنات الخ او مبتدأ خبره التي وعد الخ وقرئ
جنة عدن بالافراد وعدن علم لمعنى العدن وهو الاقامة كما ان فينة وسحر وامس فيمن لم
يصرفها اعلام لمعاني الفينة والسحر والساعة التي انت فيها والسحر والامس فجرى ذلك مجرى العدن
او هو علم لارض الجنة خاصة ولولا ذلك لما ساغ ابدال ما اضيف اليه من الجنة بلا وصف عند غير
المصنفين ولا وصفه بقوله تعالى التي وعد الرحمن عباده وجعله بدلا لانه خلاف الظاهر فان
الموصول في حكم المشتق وقد نصوا على ان البدل بالمشتق ضعيف والتعرض لعنوان الرحمة للايذان
بان وعدها وانجازه لكمال سعة رحمته تعالى والباء في قوله تعالى بالغيب متعلقة بمضمر هو حال
من المضمر العائد الى الجنات او من عباده اى وعدها اياهم ملتبسة او ملتبسين بالغيب اى غائبة
عنهم غير حاضرة او غائبين عنها لا يرونها وانما آمنوا بها بمجرد الاخبار او بمضمر هو سبب للوعد اى وعدها
اياهم بسبب ايمانهم انه كان وعده اى موعوده كائنا ما كان يدخل فيه الجنات الموعودة دخولا
اوليا وانما كانت هي سبب نيل الجميل مأتيا اى يأتيه من وعد له لا محالة بغير خلف وقيل هو مفعول
بمعنى فاعل وقيل مأتيا اى مفعولا منجزا من اتى اليه احسانا اى فعله لا يسمعون فيها لغوا اى فضول
كلام لا طائل تحته وهو كناية عن عدم صدور اللغو عن اهلها وفيه تنبيه على ان اللغو مما ينبغي ان
يجتنب عنه في هذه الدار ما امكن الا سلاما استثناء منقطع اى لكن يسمعون تسليم الملائكة
عليهم او تسليم بعضهم على بعض او متصل بطريق التعليق بالمحال اى لا يسمعون لغوا ما الا سلاما فحيث
استحال كون السلام لغوا استحال سماعهم له بالكلية كما في قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب او على ان معناه الدعاء بالسلامة وهم اغنياء عنه فهو من
باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام وقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وارد
على عادة المتنعمين في هذه الدار وقيل المراد دوام رزقهم ودروره والا فليس فيها بكرة وعشي
تلك الجنة مبتدأ وخبر جيء به لتعظيم شأن الجنة وتعيين اهلها فان ما في اسم الاشارة من معنى
البعد للايذان ببعد منزلتها وعلو رتبتها التي نورث اى نورثها من عبادنا من كان تقيا
اى نبقيها عليهم بتقواهم ونمتعهم بها كما نبقي على الوارث مال مورثه ونمتعه به والوراثة اقوى ما يستعمل
في التملك والاستحقاق من الالفاظ من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا ابطال وقيل
يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو آمنوا واطاعوا زيادة في كرامتهم
وقرئ نورث بالتشديد وما نتنزل الا بامر ربك حكاية لقول جبريل حين استبطأه رسول الله
عليهما السلام لما سئل عن اصحاب الكهف وذي القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا ان
يوحى اليه فيه فابطأ خمسة عشر يوما او اربعين يوما حتى شق ذلك عليه مشقة شديدة وقال

المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك وان الله عز وجل هذه الآية وسورة والضحى والتنزل
النزول على مهل لانه مطاوع للتنزيل وقد يطلق على مطلق النزول كما يطلق نزل بمعنى انزل والمعنى وما نتنزل
وقتا غب وقت الا بامر الله تعالى على ما تقتضيه حكمته وقيل وما نتنزل بالملائكة والمراد بالروح الوحي له ما
بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وهو ما نحن فيه من الاماكن والازمنة ولا ننتقل من مكان
الى مكان ولا ننزل في زمان دون زمان الا بامره ومشيئته وما كان ربك نسيا اي تاركا
لك يعني ان عدم النزول لم يكن الا لعدم الامر به لحكمة بالغة فيه ولم يكن لترك الله تعالى لك وتوديعه
اياك كما زعمت الكفرة وفي اعادة اسم الرب المعرب عن التبليغ الى الكمال اللائق مضافا
الى ضميره عليه السلام من تشريفه والاشعار بعلة الحكم ما لا يخفى وقيل اول الآية حكاية قول المتقين
حين يدخلون الجنة مخاطبا بعضهم بعضا بطريق التبجح والابتهاج والمعنى وما ننزل الجنة
الا بامر الله تعالى ولطفه وهو مالك الامور كلها سالفها ومترقبها وحاضرها فما وجدناه وما
نجده من لطفه وفضله وقوله تعالى وما كان ربك نسيا تقرير لقولهم من جهة الله تعالى اي وما
كان ناسيا لاعمال العاملين وما وعدهم من الثواب عليها وقوله تعالى رب السموات والارض
وما بينهما بيان لاستحالة النسيان عليه تعالى فان من بيده ملكوت السموات والارض وما
بينهما كيف يتصور ان يحوم حول ساحته الغفلة والنسيان وهو خبر مبتدأ محذوف
او بدل من ربك والفاء في قوله تعالى فاعبده واصطبر لعبادته لترتيب ما بعدها
من موجب الامرين على ما قبلها من كونه تعالى رب السموات والارض وما بينهما وقيل من كونه
تعالى غير تارك له عليه السلام او غير ناس لاعمال العاملين والمعنى فحين عرفته تعالى بما ذكر من
الربوبية الكاملة فاعبده الخ فان ايجاب معرفته تعالى كذلك لعبادته مما لا ريب فيه او
حين عرفت انه تعالى لا ينساك او لا ينسى اعمال العاملين كائنا من كان فاقبل على عبادته واصطبر
على مشاقها ولا تحزن بابطاء الوحي وهزء الكفرة فانه يراقبك ويراعيك ويلطف بك في
الدنيا والآخرة وتعدية الاصطبار باللام لا بعلى التي يتعدى بها كما في قوله تعالى واصطبر عليها
لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما تورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمبارز اصطبر لقرنك
اي اثبت له فيما يورد عليك من حملاته هل تعلم له سميا السمي هو الشريك في الاسم والظاهر
ان يراد به هنا الشريك في اسم خاص قد عبر عنه تعالى بذلك وهو رب السموات والارض
وما بينهما والمراد بانكار العلم ونفيه انكار المعلوم ونفيه على ابلغ وجه وآكده فالجملة
تقرير لما افاده الفاء من علية ربوبيته العامة لوجوب عبادته بل لوجوب تخصيصها به تعالى
لبيان استقلاله تعالى بذلك الاسم وانتفاء اطلاقه على الغير بالكلية حقا او باطلا
وقيل المراد هو الشريك في الاسم الجليل فان المشركين مع غلوهم في المكابرة
لم يسموا الصنم بالجلالة اصلا وقيل هو الشريك في اسم الاله والمراد بالتسمية التسمية على الحق
فالمعنى هل تعلم شيئا يسمى بالاستحقاق الها واما التسمية على الباطل فهي كلا تسمية فتقرير
الجملة لوجوب العبادة ح باعتبار ما في الاسمين الكريمين من الاشعار باستحقاق
العبادة فتدبر ويقول الانسان المراد به اما الجنس باسره واسناد القول الى الكل لوجود
القول فيما بينهم وان لم يقله الجميع كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل احد منهم

واما البعض المعهود منهم وهم الكفرة او ابي بن خلف فانه اخذ عظاما بالية ففتها فقال يزعم
محمد انا نبعث بعد ما نموت ونصير الى هذه الحال اي يقول بطريق الانكار والاستبعاد ائذا
ما مت لسوف اخرج حيا اي ابعث من الارض او من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه
حرف الانكار لما ان المنكر كون ما بعد الموت وقت الحياة وانتصابه بفعل يدل عليه اخرج لا به فان
ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي ههنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة
واللام للتعويض في يا الله فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وقرئ اذا ما مت بهمزة واحدة مكسورة
على الخبر اولا يذكر الانسان من الذكر الذي يراد به التفكر والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير
والاشعار بان الانسانية من دواعي التفكر فيما جرى عليه من شؤون التكوين المنجية بالقلع عن
القول المذكور وهو السر في اسناده الى الجنس او الى الفرد بذلك العنوان والهمزة للانكار التوبيخي والواو
لعطف الجملة المنفية على مقدر يدل عليه يقول اي ايقول ذلك ولا يذكر انا خلقناه من قبل
اي من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه ولم يك شيئا اي والحال انه لم يكن حينئذ شيئا
اصلا فحيث خلقناه وهو في تلك الحالة المنافية للخلق بالكلية مع كونه ابعد من الوقوع فلأن
نبعثه بجمع المواد المتفرقة وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض اولى واظهر فما له لا يذكره فيقع فيما يقع
فيه من النكير وقرئ يذكر ويتذكر على الاصل فوربك اقسام باسمه عز وجل مضافا الى
ضميره عليه السلام لتحقيق الامر بالاشعار بعليته وتفخيم شانه عليه السلام ورفع منزلته لنحشرنهم لنجمعن
القائلين بالسوق الى المحشر بعدما اخرجناهم من الارض احياء وفيه اثبات للبعث بالطريق
البرهاني على ابلغ وجه وآكده كانه امر واضح غني عن التصريح به وانما المحتاج الى البيان ما بعد
ذلك من الاهوال والشياطين معطوف على الضمير المنصوب او مفعول معه روي ان
الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين التي كانت تغويهم كل منهم مع شيطانه في سلسلة وهذا
وان كان مختصا بهم لكن ساغ نسبته الى الجنس باعتبار انهم لما حشروا وفيهم الكفرة مقرونين
بالشياطين فقد حشروا معهم جميعا كما ساغ نسبة القول المحكي الى الجنس مع كون القائل بعض افراده
ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ليرى السعداء ما نجاهم الله تعالى منه فيزدادوا غبطة وسرورا
وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار
الثواب وشماتتهم بهم والجثي جمع جاث من جثا اذا قعد على ركبتيه واصله جثوو بواوين فاستثقل
اجتماعهما بعد ضمتين فكسرت الثاء للتخفيف فانقلبت الواو الاولى ياء لسكونها وانكسار ما
قبلها فاجتمعت واو وياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت فيها الياء الاولى
وكسرت الجيم اتباعا لما بعدها وقرئ بضمها ونصبه على الحالية من الضمير البارز اي لنحضرنهم
حول جهنم جاثين على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع او لانه من توابع التواقف للحساب
قبل التواصل الى الثواب والعقاب فان اهل الموقف جاثون كما ينطق به قوله تعالى وترى
كل امة جاثية على ما هو المعتاد في مواقف التقاول وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم
يساقون من الموقف الى شاطئ جهنم جثاة اهانة بهم او لعجزهم عن القيام لما اعتراهم من
الشدة ثم لننزعن من كل شيعة اي من كل امة شاعت دينا من الاديان ايهم اشد على الرحمن عتيا

اى من كان منهم اعصى واعتى فنطرحهم فيها وفى ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو عن بعض من
اهل العصيان وعلى تقدير تفسير الانسان بالكفرة فالمعنى انا نميز من كل طائفة منهم اعصاهم
فاعصاهم واعتاهم فاعتاهم فنطرحهم فى النار على الترتيب او ندخل كلا منهم طبقتها اللائقة به
وايهم مبنى على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب حملا على كل
وبعض للزوم الاضافة واذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه ومنصوب
المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره بالابتداء على انه استفهامى وخبره
اشد والجملة محكية والتقدير لننزعن من كل شيعة الذين يقال لهم ايهم اشد او معلق
عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم او مستانفة والفعل واقع على كل شيعة على زيادة
من او على معنى لننزعن بعض كل شيعة كقوله تعالى ووهبنا لهم من رحمتنا وعلى للبيان
فيتعلق بمحذوف كانه سئل فقيل على من عتوا فقيل على الرحمن او متعلق بافعل وكذا
الباء فى قوله تعالى ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا اى هم اولى بصليها او صليهم
اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدهم عتيا رؤساء الشيع فان عذابهم
مضاعف لضلالهم واضلالهم والصلى كالعتى صيغة واعلالا وقرئ بضم الصاد وان
منكم التفات لاظهار مزيد الاعتناء بمضمون الكلام وقيل هو خطاب للناس من
غير التفات الى المذكور ويؤيده انه قرئ وان منهم اى ما منكم ايها الناس الا واردها
اى واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهى خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه عليه السلام
سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان
نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهى خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون
فالمراد به الابعاد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط الممدود عليها كان اى
ورودهم اياها على ربك حتما مقضيا اى امرا محتوما اوجبه الله عز وجل على ذاته وقضى
انه لابد من وقوعه البتة وقيل اقسم عليه ثم ننجى الذين اتقوا الكفر والمعاصى مما كانوا
عليه من حال الجثو على الركب على الوجه الذى سلف فيساقون الى الجنة وقرئ ننجى بالتخفيف
وينجى وينجى على البناء للمفعول وقرئ ثم بفتح الثاء اى هنالك ننجيهم ونذر الظالمين
بالكفر والمعاصى فيها جثيا منهارا بهم كما كانوا قيل فيه دليل على ان المراد بالورود
الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الفجرة بعد تجاثيهم حولها ويلقى الفجرة فيها على هيئاتهم
وقوله تعالى واذا تتلى عليهم الاية حكاية لما قالوا عند سماع الايات الناعية عليهم
فظاعة حالهم وشناعة مآلهم اى واذا تتلى على المشركين اياتنا التى من جملتها هاتيك الايات
الناطقة بحسن حال المؤمنين وسوء حال الكفرة وقوله تعالى بينات اى مرتلات الالفاظ
مبينات المعانى بنفسها او ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم او بينات حال مؤكدة من اياتنا قال
الذين كفروا اى قالوا ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على انهم قالوا ما قالوا كافرين
بما يتلى عليهم رادين له او قال الذين مردوا منهم على الكفر ومرنوا على العتو والعناد
وهم النضر بن الحارث واتباعه الفجرة واللام فى قوله تعالى للذين امنوا للتبليغ كما فى مثل

قوله تعالى وقال لهم نبيهم وقيل لام الاجل كما فى قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين امنوا لو
كان خيرا ما سبقونا اليه اى قالوا لاجلهم وفى حقهم والاول هو الاولى لان قولهم ليس فى
حق المؤمنين فقط كما ينطق به قوله تعالى اى الفريقين اى المؤمنين والكافرين كانهم قالوا
اينا نحن او انتم خير مقاما اى مكانا وقرئ بضم الميم اى موضع اقامة ومنزل واحسن نديا
اى مجلسا ومجتمعا يروى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنونها ويتطيبون
ويتزينون بالزين الفاخرة ثم يقولون ذلك لفقراء المؤمنين يريدون بذلك ان خيريتهم حالا
واحسنيتهم منالا مما لا يقبل الانكار وان ذلك لكرامتهم على الله سبحانه وزلفاهم عنده
اذ هو المعيار عندهم الفضل والنقصان والرفعة والضعة وان من ضرورة هوان المؤمنين
عليه تعالى لقصور حظهم العاجل وما هذا القياس العقيم والرأى السقيم الا لكونهم جهلة
لا يعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم فرد عليهم ذلك من جهته تعالى
بقوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا اى كثيرا من القرون التى كانوا
افضل منهم فيما يفتخرون به من الحظوظ الدنيوية كعاد وثمود واضرابهم من الامم العاتية
قبل هؤلاء اهلكناهم بفنون العذاب ولو كان ما اتيناهم لكرامتهم علينا لما فعلنا بهم ما فعلنا
وفيه من التهديد والوعيد ما لا يخفى كانه قيل فلينتظر هؤلاء ايضا مثل ذلك فكم مفعول اهلكنا
ومن قرن بيان لابهامها واهل كل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم ماخوذ من قرن الدابة
وهو مقدمها وقوله تعالى هم احسن اثاثا فى حيز الجر على انه صفة لكم واثاثا تمييز النسبة
وهو متاع البيت والرئى ما لبس منه ورث والذى المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن لما
يطحن وقرئ ريا على قلب الهمزة ياء وادغامها او على انه من الرى وهو النعمة والترفه وقرئ
ريئا على القلب وريا بحذف الهمزة وزيا بالزاى المعجمة من الزى وهو الجمع فانه عبارة عن
المحاسن المجموعة قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا لما بين عاقبة الامم المهلكة
مع ما كان لهم من التمتع بفنون الحظوظ العاجلة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب هؤلاء
المفتخرين بما لهم من الحظوظ ببيان مآل الفريقين اما على وجه كلى متناول لهم ولغيرهم من المنهمكين
فى اللذات الفانية المبتهجين بها على ان من عامة واما على وجه خاص بهم على انها عبارة عنهم
ووصفهم بالتمكن فى الضلالة لذمهم والاشعار بعلة الحكم اى من كان مستقرا فى الضلالة مغمورا
بالجهل والغفلة عن عواقب الامور فليمدد له الرحمن مدا اى يمده ويمهله بطول العمر واعطاء
المال والتمكين من التصرفات واخراجه على صيغة الامر للايذان بان ذلك مما ينبغى ان
يفعل بموجب الحكمة لقطع المعاذير كما ينبى عنه قوله عز وجل اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر
او للاستدراج كما ينطق به قوله تعالى انما نملى لهم ليزدادوا اثما وقيل المراد به الدعاء بالمد
والتنفيس واعتبار الاستقرار فى الضلالة لما ان المد لا يكون الا للمصرين عليها اذ رب ضال
يهديه الله عز وجل والتعرض لعنوان الرحمانية لما ان المد من احكام الرحمة الدنيوية وقوله تعالى
حتى اذا راوا ما يوعدون غاية للمد الممتد لا لقول المفتخرين كما قيل اذ
ليس فيه امتداد بحسب الذات وهو الظاهر والاستمرار بحسب التكرار لوقوعه فى حيز الجواب اذا

وجمع الضمير في الفعلين باعتبار معنى من كما أن الإفراد في الضميرين الأولين باعتبار لفظها وقوله تعالى إما العذاب وإما الساعة تفصيل للموعود بدل منه على سبيل البدل فإنه إما العذاب الدنيوي بغلبة المسلمين واستيلائهم عليهم وتعذيبهم إياهم قتلا وأسرا وإما يوم القيامة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال على طريقة منع الخلو دون الجمع فإن العذاب الأخروي لا ينفك عنهم بحال وقوله تعالى فسيعلمون جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى أي حتى إذا عاينوا ما يوعدون من العذاب الدنيوي أو الأخروي فقط فسيعلمون حينئذ من هو شر مكانا من الفريقين بأن يشاهدوا الأمر على عكس ما كانوا يقدرونه فيعلمون أنهم شر مكانا لا خير مقاما وأضعف جندا أي فئة وأنصارا لا أحسن نديا كما كانوا يدعونه وليس المراد أن له ثمة جندا ضعفاء كلا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا وإنما ذكر ذلك ردا لما كانوا يزعمون أن لهم أعوانا من الأعيان وأنصارا من الأخيار ويفتخرون بذلك في الأندية والمحافل ويزيد الله الذين اهتدوا هدى كلام مستأنف سيق لبيان حال المهتدين إثر بيان حال الضالين وقيل عطف على فليمدد لأنه في معنى الخبر حسبما عرفته كأنه قيل من كان في الضلالة يمد له الله ويزيد المهتدين هداية كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وقيل عطف على الشرطية المحكية بعد القول كأنه لما بين أن إمهال الكافر وتمتيعه بالحياة ليس لفضله عقب ذلك ببيان أن قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لأن الله تعالى أراد به ما هو خير من ذلك وقوله تعالى والباقيات الصالحات خير على تقديري الاستئناف والعطف كلام مستأنف وارد من جهته تعالى لبيان فضل أعمال المهتدين غير داخل في حيز الكلام الملقن لقوله تعالى عند ربك أي الطاعات التي تبقى فوائدها وتدوم عوائدها ومن جملتها ما قيل من الصلوات الخمس وما قيل من قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خير عند ربك والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره لتشريفه صلى الله عليه وسلم ثوابا أي عائدة مما يتمتع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التي يفتخرون بها لا سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة السرمدية والعذاب الأليم كما أشير إليه بقوله تعالى وخير مردا أي مرجعا وعاقبة وتكرير الخير لمزيد الاعتناء ببيان الخيرية وتأكيدها وفي التفضيل مع أن ما للكفرة بمعزل من أن يكون له خيرية في العاقبة تهكم بهم أفرأيت الذي كفر بآياتنا أي بآياتنا التي من جملتها آيات البعث نزلت في العاص بن وائل كان لخباب بن الأرت عليه مال فتقاضاه فقال لا حتى تكفر بمحمد قال لا والله لا أكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فإذا بعثت جئتني فيكون لي ثمة مال وولد فأعطيك وفي رواية قال لا أكفر حتى يميتك ثم يبعثك قال فإني لميت ثم مبعوث قال نعم قال دعني حتى أموت ثم أبعث فسأوتى مالا وولدا فأقضيك فنزلت والهمزة للتعجيب من حاله والإيذان بأنها من الغرابة والشناعة بحيث يجب أن ترى ويقضى منها العجب ومن رؤيتها ألم تر وأرأيت وفيه بيان اشتراكهما في الاستعمال لقصد التعجيب بأن الأول يتعلق بنفس المتعجب منه فيقال ألم تر إلى الذي صنع كذا بمعنى انظر إليه فتعجب من حاله والثاني يتعلق بمثل المتعجب منه فيقال أرأيت مثل الذي صنع كذا بمعنى أنه من الغرابة بحيث لا يرى له مثل فقد حفظ شيئا وغابت عنه أشياء

وكان

وكان ذهب عليه قوله عز وجل أرأيت الذي يكذب بالدين وإنما استعمل اللفظ على ما يقتضيه المقام أي أنظرت ورأيت الذي كفر بآياتنا الباهرة التي حقها أن يؤمن بها كل من يشاهدها وقال مستهزئا بها مصدرا كلامه باليمين الفاجرة والله لأوتين في الآخرة مالا وولدا أي انظر إليه فتعجب من حالته البديعة وجراءته الشنيعة هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم وقد قيل إن أرأيت بمعنى أخبر والفاء على أصلها والمعنى أخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث أولئك الذين قالوا أي الفريقين خير مقاما الآية وأنت خبير بأن المشهور استعمال أرأيت في معنى أخبرني بطريق الاستفهام جاريا على أصله أو مخرجا إلى ما يناسبه من المعاني لا بطريق الأمر بالإخبار لغيره وقرئ ولدا على أنه جمع ولد كأسد جمع أسد أو على أنه لغة فيه كالعرب والعرب وقوله تعالى أطلع الغيب رد لكلمته الشنعاء وإظهار لبطلانها إثر ما أشير إليه بالتعجيب منها أي أقد بلغ من عظمة الشأن إلى أن ارتقى إلى علم الغيب الذي استأثر به العليم الخبير حتى ادعى أن يؤتى في الآخرة مالا وولدا وأقسم عليه أم اتخذ عند الرحمن عهدا أو عهد إليه بذلك فإنه لا يتوصل إلى العلم به إلا بأحد هذين الطريقين وقيل التعرض لعنوان الرحمانية للإشعار بعلية الرحمة لإيتاء ما يدعيه وقيل العهد كلمة الشهادة وقيل العمل الصالح فإن وعده تعالى بالثواب عليهما كالعهد وهذا مجاراة مع اللعين بحسب منطوق مقاله كما أن كلامه مع خباب كان كذلك وقوله تعالى كلا ردع له عن التفوه بتلك العظيمة وتنبيه على خطئه سنكتب ما يقول أي سنظهر أنا كتبنا كقوله إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة أي يتبين أني لم تلدني لئيمة أو سننتقم منه انتقام من كتب جريمة الجاني وحفظها عليه فإن نفس الكتابة لا تكاد تتأخر عن القول لقوله عز وعلا ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد فمبنى الأول تنزيل إظهار الشيء الخفي منزلة إحداث الأمر المعدوم بجامع أن كلا منهما إخراج من الكمون إلى البروز فيكون استعارة تبعية مبنية على تشبيه إظهار الكتابة على رؤوس الأشهاد بإحداثها ومدار الثاني تسمية الشيء باسم سببه فإن كتابة جريمة المجرم سبب لعقوبته قطعا ونمد له من العذاب مدا مكان ما يدعيه لنفسه من الإمداد بالمال والولد أي نطول له من العذاب ما يستحقه أو نزيد عذابه ونضاعفه له لكفره وافترائه على الله سبحانه واستهزائه بآياته العظام ولذلك أكد بالمصدر دلالة على فرط الغضب ونرثه ما يقول أي مسمى ما يقول ومصداقه وهو ما أوتيه في الدنيا من المال والولد وفيه إيذان بأنه ليس لما يقوله مصداق موجود سوى ما ذكر أي ننزع عنه ما آتيناه ويأتينا يوم القيامة فردا لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا أن يؤتى ثمة زائدا وقيل نزوي عنه ما زعم أنه يناله في الآخرة ونعطيه من يستحقه والإرث بمعنى الإرث وقيل المراد بما يقول نفس القول المذكور لا مسماه والمعنى إنما يقول هذا القول ما دام حيا فإذا قبضناه حلنا بينه وبين أن يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه وأنت خبير بأن ذلك مبني على أن صدور القول المذكور عنه بطريق الاعتقاد وأنه مستمر على التفوه به راج لوقوع مضمونه ولا ريب في أن ذلك مستحيل ممن كفر بالبعث وإنما قال ما قال بطريق الاستهزاء أو تعليقا لأداء دينه بالمحال واتخذوا من دون الله آلهة حكاية

لجناية عامة للكل مستتبعة لضد ما يرجون ترتبه عليها اثر حكاية مقالة الكافر المعهود واستتباعها
لنقيض مضمونها اي اتخذوا الاصنام آلهة متجاوزين الله تعالى ليكونوا لهم عزا اي ليتعززوا
بهم بان يكونوا لهم وصلة اليه عز وجل وشفعاء عنده كلا ردع لهم عن ذلك الاعتقاد الباطل وانكار
لوقوع ما علقوا به اطماعهم الفارغة سيكفرون بعبادتهم اي ستجحد الالهة عبادتهم
بان ينطقها الله تعالى وتقول ما عبدتمونا او سينكر الكفرة حين شاهدوا سوء عاقبة كفرهم عبادتهم
لها كما في قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين ومعنى قوله تعالى ويكونون عليهم ضدا على الاول
تكون الالهة التي كانوا يرجون ان تكون لهم عزا ضدا للعز اي ذلا وهوانا او تكون عونا عليهم وآلة
لعذابهم حيث تجعل وقود النار وحصب جهنم او حيث كانت عبادتهم لها سببا لعذابهم وفي اطلاق
الضد على العون لما ان عون الرجل يضاد عدوه وينافيه باعانته عليه وعلى الثاني يكون الكفرة
ضدا واعداء للالهة كافرين بها بعد ان كانوا يحبونها كحب الله ويعبدونها وتوحيد الضد لوحدة
المعنى الذي عليه تدور مضادتهم فانهم بذلك كشيء واحد كما في قوله صلى الله عليه وسلم وهم يد على من
سواهم وقرئ كلا بفتح الكاف والتنوين على قلب الالف نونا في الوقف قلب الف الاطلاق
في قوله اقلي اللوم عاذل والعتابا وقولي ان اصبت لقد اصابن او على معنى كل هذا الرأي
كلا وقرئ كلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اي سيجحدون كلا سيكفرون الخ الم تر
انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما نطقت به الايات
الكريمة السالفة وحكت عن هؤلاء الكفرة الغواة والمردة العتاة من فنون القبائح من
الاقاويل والافاعيل والتمادي في الغي والانهماك في الضلال والافراط في العناد والتصميم على
الكفر من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم والاجماع على مدافعة الحق بعد اتضاحه وانتفاء
الشك عنه بالكلية وتنبيه على ان جميع ذلك منهم باضلال الشياطين واغوائهم لا لان له
مسوغا ما في الجملة ومعنى ارسال الشياطين عليهم اما تسليطهم عليهم وتمكينهم من اضلالهم واما
تقييضهم لهم وليس المراد تعجيبه عليه السلام من ارسالهم عليهم كما يوهمه تعليق الرؤية به بل مما ذكر من احوال
الكفرة من حيث كونها من آثار اغواء الشياطين كما ينبئ عنه قوله تعالى تؤزهم ازا فانه اما
حال مقدرة من الشياطين او استئناف وقع جوابا عما نشأ من صدر الكلام كأنه قيل ماذا
تفعل الشياطين بهم حينئذ فقيل تؤزهم اي تغريهم وتهيجهم على المعاصي تهييجا شديدا بانواع الوساوس
والتسويلات فان الاز والهز والاستفزاز اخوات معناها شدة الازعاج فلا تعجل عليهم
اي بان يهلكوا حسبما تقتضيه جناياتهم ويبيدوا عن آخرهم وتطهر الارض من فسادهم
والفاء للاشعار بكون ما قبلها مظنة لوقوع المنهي عنه محوجة الى النهي كما في قوله تعالى
انما نعد لهم عدا تعليل لموجب النهي ببيان اقتراب هلاكهم اي لا تستعجل بهلاكهم فانه لم
يبق لهم الا ايام وانفاس نعدها عدا يوم نحشر المتقين منصوب على الظرفية بفعل مؤخر
قد حذف للاشعار بضيق العبارة عن حصره وشرحه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة
التامة والدواهي العامة كأنه قيل يوم نحشر المتقين اي نجمعهم الى الرحمن الى ربهم الذي
يغمرهم برحمته الواسعة وفدا وافدين عليه كما يفد الوفود على الملوك منتظرين
لكرامتهم وانعامهم ونسوق المجرمين كما تساق البهائم الى جهنم وردا عطاشا

فان من يرد الماء لا يرده الا لعطش او كالدواب التي ترد الماء تفعل بالفريقين من الافعال ما لا يبقى
بين منطوق المقال وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم اي اذكر
لهم بطريق الترغيب والترهيب يوم نحشر الخ وقيل على الظرفية لقوله تعالى لا يملكون الشفاعة
والذي يقتضيه مقام التهويل ويستدعيه جزالة التنزيل ان ينتصب باحد الوجهين الاولين ويكون
هذا استئنافا مبينا لبعض ما فيه من الامور الدالة على هوله وضميره عائد الى العباد المدلول
عليهم بذكر الفريقين لانحصارهم فيهما وقيل الى المتقين خاصة وقيل الى المجرمين من الكفرة
واهل الاسلام والشفاعة على الاولين مصدر من المبني للفاعل وعلى الثالث ينبغي ان يكون مصدرا
من المبني للمفعول وقوله تعالى الا من اتخذ عند الرحمن عهدا على الاول استثناء متصل من لا
يملكون ومحل المستثنى اما الرفع على البدل او النصب على اصل الاستثناء والمعنى لا يملك العباد
ان يشفعوا لغيرهم الا من استعد له بالتحلي بالايمان والتقوى او من امر بذلك من قولهم عهد
الامير الى فلان بكذا اذا امره به فيكون ترغيبا للناس في تحصيل الايمان والتقوى المؤدي
الى نيل هذه المرتبة وعلى الثاني استثناء من الشفاعة على حذف المضاف والمستثنى منصوب
على البدل او على اصل الاستثناء اي لا يملك المتقون الشفاعة الا شفاعة من اتخذ العهد بالاسلام
فيكون ترغيبا في الاسلام وعلى الثالث استثناء من لا يملكون ايضا والمستثنى مرفوع على
البدل او منصوب على الاصل والمعنى لا يملك المجرمون ان يشفع لهم الا من كان منهم مسلما وقالوا
اتخذ الرحمن ولدا حكاية لجناية اليهود والنصارى ومن يزعم من العرب ان الملائكة بنات
الله سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا اثر حكاية عبدة الاصنام بطريق عطف القصة على
القصة وقوله تعالى لقد جئتم شيئا ادا رد لمقالتهم الباطلة وتهويل لامرها بطريق
الالتفات المنبئ عن كمال السخط وشدة الغضب المفصح عن غاية التشنيع والتقبيح وتسجيل
عليهم بنهاية الوقاحة والجهل والجراءة والاد بالكسر والفتح العظيم المنكر والادة الشدة واد في
الامر واده اي ثقل عليه وعظم اي فعلتم امرا منكرا شديدا لا يقادر قدره فان جاء واتى
يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته وقوله تعالى تكاد السموات الخ صفة لادا
او استئناف لبيان عظم شأنه في الشدة والهول وقرئ يكاد بالتذكير يتفطرن منه
يتشققن مرة بعد اخرى من عظم ذلك الامر وقرئ ينفطرن والاول ابلغ لان التفعل مطاوع
فعل والانفعال مطاوع فعل ولان اصل التفعل للتكلف وتنشق الارض اي وتكاد
تنشق الارض وتخر الجبال اي تسقط وتتهدم وقوله تعالى هدا مصدر مؤكد لمحذوف
هو حال من الجبال اي تهد هدا او مصدر من المبني للمفعول مؤكد لتخر على غير الصدر
لانه بمعنى التهدم والخرور كأنه قيل وتخر الجبال خرورا او مصدر بمعنى المفعول
منصوب على الحالية اي مهدودة او مفعول له اي لانها تهد وهذا تقرير لكونه ادا
والمعنى ان هول تلك الكلمة الشنعاء وعظمها بحيث لو تصورت بصورة محسوسة لم تتحمل
بها هاتيك الاجرام العظام وتفتتت من شدتها او ان فظاعتها في استجلاب الغضب
واستيجاب السخط لولا حلمه تعالى لخرب العالم وبدد قوائمه غضبا على من تفوه بها
ان دعوا للرحمن ولدا منصوب على حذف اللام المتعلقة بتكاد او مجرور باضمارها

اى تكاد السموات يتفطرن وتنشق الارض وتخر الجبال لان دعوا للرحمن ولدا وقيل
اللام متعلقة بهدا وقيل الجملة بدل من الضمير المجرور في منه كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم
وقيل خبر مبتدا محذوف اى الموجب لذلك ان دعوا الخ وقيل فاعل هدا اى هدها دعاء
الولد للرحمن والاول هو الاولى ودعوا من دعا بمعنى سمى المتعدى الى مفعولين وقد اقتصر على ثانيهما
ليتناول كل ما دعي له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذى مطاوعه ادعى الى فلان اى انتسب
اليه وقوله تعالى وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا حال من فاعل قالوا او دعوا مقررة
لبطلان مقالتهم واستحالة تحقيق مضمونها اى قالوا اتخذ الرحمن ولدا او ان دعوا
للرحمن ولدا انه ما يليق به تعالى اتخاذ الولد ولا يتطلب له لو طلب مثلا لاستحالته في
نفسه ووضع الرحمن موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم بالتنبيه على ان كل ما سواه تعالى اما
نعمة او منعم عليه فكيف يتسنى ان يجانس من هو مبدا النعم ومولى اصولها وفروعها حتى
يتوهم ان يتخذه ولدا وقد صرح به قوله عز وجل قائلا ان كل من في السموات
والارض اى ما منهم احد من الملائكة والثقلين الا آتي الرحمن عبدا الا وهو مملوك
له يأوي اليه بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن على الاصل لقد احصاهم
اى حصرهم واحاط بهم بحيث لا يكاد يخرج منهم احد من حيطة علمه وقبضة
قدرته وملكوته وعدهم عدا اى عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم وكل شيء عنده
بمقدار وكلهم آتيه يوم القيمة فردا اى كل واحد منهم آت اياه تعالى منفردا من الاتباع
والانصار وفي صيغة الفاعل من الدلالة على اتيانهم كذلك البتة ما ليس في صيغة
المضارع لو قيل يأتيه فاذا كان شأنه تعالى وشأنهم كما ذكر فانى يتوهم احتمال ان يتخذ
شيئا منهم ولدا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لما فصلت قبائح احوال الكفرة
عقب ذلك بذكر محاسن احوال المؤمنين سيجعل لهم الرحمن ودا اى سيحدث لهم في القلوب
مودة من غير تعرض منهم لاسبابها سوى ما لهم من الايمان والعمل الصالح والتعرض لعنوان
الرحمانية لما ان الموعود من آثارها وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا احب الله
عبدا يقول لجبريل عليه السلام احب فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله احب فلانا
فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له المحبة في الارض والسين لان السورة مكية وكانوا اذ
ذاك ممقوتين بين الكفرة فوعدهم ذلك ثم انجزه حين دجا الاسلام او لان الموعود في
القيمة حين تعرض حسناتهم على رؤوس الاشهاد فينزع ما في صدورهم من الغل الذي كان في
الدنيا ولعل افراد هذا بالوعد من بين ما سيؤتون يوم القيمة من الكرامات السنية
لان الكفرة سيقع بينهم يومئذ تباغض وتضاد وتقاطع وتلاعن فانما يسرناه اى
القرآن بلسانك بان انزلناه على لغتك والباء بمعنى على وقيل ضمن التيسير معنى الانزال
اى يسرنا القرآن منزلا له بلغتك والفاء لتعليل امر ينساق اليه النظم الكريم كأنه
قيل بعد ايحاء السورة الكريمة بلغ هذا المنزل او بشر به وانذر فانما يسرناه بلسانك
العربي المبين لتبشر به المتقين اى الصائرين الى التقوى بامتثال ما فيه من
الامر والنهي وتنذر به قوما لدا لا يؤمنون به لجاجا وعنادا اى اشداء الخصومة الالد وهو

الشديد الخصومة اللجوج المعاند وقوله تعالى وكم اهلكنا قبلهم من قرن وعد لرسول الله
صلى الله عليه وسلم في ضمن وعيد الكفرة بالاهلاك وحث له عليه السلام على الانذار اى قرنا
كثيرا اهلكنا قبل هؤلاء المعاندين وقوله تعالى هل تحس منهم من احد استئناف
مقرر لمضمون ما قبله اى هل تشعر باحد منهم وترى او تسمع لهم ركزا اى صوتا
خفيا واصل الركز هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المدفون
المخفي والمعنى اهلكناهم بالكلية واستأصلناهم بحيث لا يرى منهم احد ولا يسمع منهم
صوت خفي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم اعطي عشر حسنات
بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الانبياء المذكورين فيها
وبعدد من دعا الله تعالى في الدنيا ومن لم يدع الله

بسم الله الرحمن الرحيم

طه فخمهما قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل والطاء وحده
ابو عمرو وورش لاستعلائه وامالهما الباقون وهو من الفواتح التي تصدر بها السور الكريمة وعلى
جمهور المتقين وقيل معناه يا رجل وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد وسعيد
ابن جبير وقتادة وعكرمة والكلبي الا انه عند سعيد على اللغة النبطية وعند قتادة
على السريانية وعند عكرمة على الحبشية وعند الكلبي على لغة عك وقيل عكل وهي لغة
يمانية قالوا ان صح فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بقلب الياء طاء وحذف ذا من هذا
واستشهدوا بقول الشاعر ان السفاهة طه في خلائقكم لا قدس الله اخلاق .... الملاعين
ليس يبقى في ذلك للجواز كونه قسما كما في حم لا ينصرون وقد جوز ان يكون الاصل
طأ بصيغة الامر من الوطء فقلبت الهمزة في يطأ الفا لانفتاح ما قبلها كما في قول من قال
لا هناك المرتع وها ضمير الارض على انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يطأ الارض
بقدميه لما كان يقوم في تهجده على احدى رجليه مبالغة في المجاهدة ولكن يأباه
كتابتهما على صورة الحرف كما يأبى التفسير بيا رجل فان الكتابة على صورة الحرف مع كون
الملفوظ مخالفا لها مختصا بحروف المعجم وقد روي طه امرا على ان اصله طأ فقلبت همزته
هاء كما في امثال هرقت او قلبت الهمزة في يطأ الفا كما مر ثم بني منه الامر والحق به
ها السكت واما على انه اكتفي في اللفظ بشطري الاسمين واقيم مقامهما في الدلالة على المسميين
فكأنهما اسمان دالان عليهما وعلى هذا ينبغي ان يحمل قول من قال اكتفي بشطري الكلمتين
وعبر عنهما باسميهما فان اللفظ لما لم يذكر بحيث انهما مسميان لاسميهما ليعبر عنهما
بل من حيث انهما جزآن لهما وقد اكتفى بذكرهما عن ذكرهما لذلك وقع التلفظ باسميهما
لا باسميهما بان يراد بضمير التثنية في الموضعين الشطران من حيث هما مسميان لا من حيث هما

جعلا للاسمين فيراد باسمهما المؤلف من حيث هما قائمان مقام الاسمين فالمعنى اكتفي في اللفظ
بشطري الكلمتين اي الاسمين عن تمامهما اي عن الشطرين من حيث هما اسميان بهما من حيث
هما قائمان مقام الاسمين وكذا ما حمل على معنى انه اكتفي في الكتابة بشطري الكلمتين يعني
طا على تقدير كونه امرا او كونه حرف نداء وها على تقدير كونه كناية عن الارض
وكونها حرف تنبيه فبمعزل من ذلك الشطرين في التلفظ باسمهما فيتناولان كيف وطاوها
على ما ذكر من التقادير ليسا باسمين للحرفين المذكورين بل الاول اما امر او حرف نداء والثاني ضمير الارض
او حرف تنبيه على ان كلا منهما صورة الحرف والتلفظ به من خواص حروف المعجم كما ان فالحق
ما سلف من انهما من الفواتح اما مسرودة على نمط التعديد ايضا او لوجهين المذكورين في مطلع سورة
البقرة فلا محل لهما من الاعراب وكذا ما بعدها من قوله تعالى ما انزلنا عليك
القرآن لتشقى فانه استئناف مسوق لتسليته صلى الله عليه وسلم عما كان يعتريه من جهة
المشركين من التعب فان الشقاء شائع في ذلك المعنى ومنه اشقى من رائض مهر اي ما
انزلناه عليك لتتعب بالمبالغة في مكابدة الشدائد في مقاولة العتاة ومحاورة الطغاة ه
وفرط التاسف على كفرهم والتحسر على ان يؤمنوا كقوله عز وجل فلعلك باخع نفسك على
آثارهم الاية بل للتبليغ والتذكير وقد فعلت فلا عليك ان لم يؤمنوا بعد ذلك او
لترفه عليه السلام عما كان عليه من المبالغة في المجاهدة كما يروى انه عليه السلام كان يقوم بالليل
حتى تورمت قدماه فقال له جبريل عليه السلام ابق على نفسك فان لها عليك حقا اي ما انزلنا ه
عليك لتنهك نفسك وتحملها على الرياضات الشاقة والشدائد الفادحة وما
بعثت الا بالحنيفية السمحة وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحارث قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
انك شقي حيث تركت دين آبائك وان القرآن نزل عليك لتشقى به فرد ذلك بانا ما انزلناه
عليك لما قالوا والاول هو الانسب لما سيأتي من الاستئناف الآتي هذا وان اسم القرآن
محله الرفع على انه مبتدأ ما بعده خبره والقرآن ظاهر في موقع العائد الى المبتدأ كانه قيل
القرآن ما انزلناه عليك لتشقى او النصب على اضمار فعل القسم او الجر باضمار حرفه وما
بعده جوابه وعلى هذين الوجهين يجوز ان يكون اسما للسورة ايضا بخلاف الوجه الاول
فانه لا يتسنى على ذلك التقدير لكن لا لان المبتدأ يبقى حينئذ بلا عائد ولا قائم مقامه
فان القرآن صادق على السورة لا محالة اما بطريق الاتحاد ان اريد به القدر المشترك
بين الكل والبعض او باعتبار الاندراج ان اريد به الكل بل لان نفي كون انزاله للشقاء
يستدعي سبق وقوع الشقاء مترتبا على انزاله اما بحسب الحقيقة كما اذا اريد به
معنى التعب او بحسب زعم الكفرة كما لو اريد به ضد السعادة ولا ريب في ان ذلك انما
يتصور في انزال ما انزل من قبل واما انزال السورة الكريمة فليس مما يمكن ترتب الشقاء
السابق عليه حتى يتصدى لنفيه اما باعتبار الاتحاد فظاهر واما باعتبار الاندراج
فلان مآله ان يقال هذه السورة ما انزلنا القرآن المشتمل عليها لتشقى ولا يخفى ان
جعلها مخبرا عنها مع انه لا دخل لانزالها في الشقاء السابق اصلا مما لا يليق بشأن التنزيل

الجليل

التنزيل الجليل وقوله تعالى الا تذكرة نصب على انه مفعول له لانزلنا لكن لا من حيث انه
معلل بالشقاء على معنى ما انزلنا عليك القرآن لتتعب بتبليغه الا تذكرة الاية كقولك
ما ضربتك للتاديب الا اشفاقا لما انه يجب في امثاله ان يكون بين العلتين ملابسة بالسببية
والمسببية حتما كما في المثال المذكور وفي قولك ما شافهتك بالسوء لتتأذى الا لينزجر
غيرك فان التاديب في الاول مسبب عن الاشفاق والتأذي في الثاني سبب لانزجار الغير
ولا تعلق فيما بين الشقاء والتذكرة من السببية ولا صحة ان يراد به التعب في الجملة المجامع
للتذكرة لظهور ان لا ملابسة بينهما بما ذكر من السببية والمسببية وانما يتصور ذلك ان لو
قيل ما انزلناه للتذكرة الا لتعب ولو لانه الآتي بقدر المتعب ولا من حيث انه بدل من
محل لتشقى كما في قوله تعالى ما فعلوه الا قليل لوجوب المجانسة بين البدل والمبدل وقد
عرفت حالها بل من حيث انه معطوف عليه بحسب المعنى بعد نفيه بطريق الاستدراك
المستفاد من الاستثناء المنقطع كانه قيل ما انزلنا عليك القرآن لتتعب في تبليغه
ولكن تذكرة لمن يخشى وتجريدها للتذكرة من اللام لكونها فعلا لفاعل الفعل المعلل
اي لمن من شانه ان يخشى الله عز وجل ويتأثر بالانذار لرقة قلبه ولين
عريكته او لمن علم الله تعالى انه يخشى بالتخويف وتخصيصها بهم مع عموم التذكرة والتبليغ
لانهم المنتفعون بها وقوله تعالى تنزيلا مصدر مؤكد لمضمر مستأنف مؤكد لما قبله اي
نزل تنزيلا او لما تقدير الجملة الاستثنائية فانها متضمنة لان يقال انزلناه للتذكرة والاول
هو الانسب بما بعده من الالتفات او منصوب على المدح والاختصاص وقيل هو منصوب
بيخشى على المفعولية اي يخشى تنزيلا من الله تعالى وانت خبير بان تعليق الخشية والخوف
ونظائرهما بمطلق التنزيل غير معهود لم يتعلق ذلك ببعض اجزائه المشتملة على ما
ونظائره كما في قوله تعالى يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم وقيل هو بدل
من تذكرة لكن لا على انه مفعول له لانزلنا اذ لا تعليل للشيء بنفسه ولا بنوعه بل على انه مصدر
بمعنى الفاعل واقع موقع الحال من الكاف في عليك او من القرآن ولا مساغ له الا ان يكون
بدلا لانزلنا بعد تقييده بالبدل الاول وقد عرفت حاله فيما سلف وقرئ تنزيل على انه خبر
مبتدأ محذوف ومن في قوله تعالى ممن خلق الارض والسموات العلى متعلقة بتنزيلا او
بمضمر هو صفة مؤكدة لما في تنكيره من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية ونسبة التنزيل
الى الموصول بطريق الالتفات الى الغيبة بعد نسبته الى نون العظمة لبيان فخامته تعالى
بحسب الافعال والصفات اثر بيانها بحسب الذات بطريق الابهام ثم التفسير لزيادة تحقيق
وتقريب وتخصيص خلقهما بالذكر مع ان المراد خلقهما بجميع ما يتعلق بهما كما يفصح عنه
قوله تعالى ما في السموات وما في الارض الاية لاصالتهما واستتباعهما لما عداهما
وتقديم الارض لكونه اقرب الى الحس واظهر عنده ووصف السموات بالعلى وهو
جمع العليا تانيث الاعلى لتاكيد الفخامة مع ما فيه من الفواصل وكل ذلك الى قوله تعالى
له الاسماء الحسنى مسوق لتعظيم شان المنزل عز وجل المستتبع لتعظيم المنزل الداعي الى

الهاية وادخال الروعة المؤدية الى الخشية المتجردين عن ربقة الهوى والطغيان واشتمالهم بحق
الخشية المفضية الى التذكر والايمان الرحمن رفع على المدح اى هو الرحمن وقد عرفت في صدر
سورة البقرة ان المرفوع مدحا في حكم الصفة الجارية على ما قبله وان لم يكن تابعا له في الاعراب
ولذلك التزم حذف المبتدأ ليكون في صورة متعلق من متعلقاته وقرئ بالجر على انه
صفة صريحة للموصول وما قيل من ان الاسماء الناقصة لا يوصف بها الا الذي وحده مذهب
الكوفيين وايا ما كان فوصفه بالرحمانية اثر وصفه بخلق السموات والارض للاشعار
بان خلقهما من آثار رحمته تعالى كما ان قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما الرحمن للايذان
بان ربوبيته تعالى بطريق الرحمة وفيه اشارة الى ان تنزيل القرآن ايضا من احكام رحمته كما
ينبئ عنه قوله عز وجل الرحمن علم القرآن وقيل رفع على الابتداء واللام للعهد والاشارة الى الموصول
والخبر قوله تعالى على العرش استوى وجعل الجملة عنوانا للموضوع الذي شأنه ان يكون
معلوم الثبوت للموضوع عند المخاطب للايذان بان ذلك امر بين لا سترة به غني عن الاخبار
صريحا وعلى متعلقة باستوى وقدمت عليه لمراعاة الفواصل والجار والمجرور على الاول خبر مبتدأ
محذوف كما في قراءة الجر وقد جوز ان يكون خبرا بعد خبر والاستواء على العرش مجاز عن
الملك والسلطان متفرع على الكناية فيمن يجوز عليه القعود على السرير يقال استوى فلان
على سرير الملك يراد به ملك وان لم يقعد على السرير اصلا والمراد بيان تعلق ارادته
الشريفة بايجاد الكائنات وتدبير امرها وقوله تعالى له ما في السموات وما في الارض
سواء كان ذلك بالجزئية منهما او بالحلول فيهما وما بينهما من الموجودات الكائنة في
الجو دائما كالهواء والسحاب واكثريا كالطير اى له وحده دون غيره لا شركة ولا استقلالا
كل ما ذكر ملكا وتصرفا احياء واماتة وايجادا واعداما وما تحت الثرى اى ما
وراء التراب وذكره مع دخوله تحت ما في الارض لزيادة التقرير روى عن محمد بن كعب انه
ما تحت الارضين السبع وعن السدي ان الثرى هو الصخرة التي عليها الارض السابعة وان
تجهر بالقول بيان لاحاطة علمه تعالى بجميع الاشياء اثر بيان سعة سلطنته وشمول قدرته
لجميع الكائنات اى وان تجهر بذكره تعالى ودعائه فاعلم انه تعالى غني عن جهرك فانه
يعلم السر واخفى اى ما اسررته الى غيرك وشيئا اخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك
من غير ان تتفوه به اصلا او ما اسررته لنفسك واخفى منه وهو ما ستسره فيما سيأتي وتنكيره
للمبالغة في الخفاء وهذا اما نهي عن الجهر كقوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا
وخيفة ودون الجهر من القول واما ارشاد للعباد الى ان الجهر ليس لاسماعه سبحانه بل لغرض
آخر من تصوير النفس بالذكر وتثبيته فيها ومنعها من الاشتغال بغيره وقطع الوسوسة
عنها وهضمها بالتضرع والجؤار وقوله تعالى الله خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف مسوق
لبيان ان ما ذكر من صفات الكمال موصوفها ذلك المعبود بالحق اى ذلك المنعوت بما
ذكر من النعوت الجليلة الله عز وجل وقوله تعالى لا اله الا هو تحقيق للحق وتصريح بما تضمنه
ما قبله من اختصاص الالوهية به سبحانه فان ما اسند اليه تعالى من خلق جميع الموجودات والرحمانية

والمالكية

والمالكية للكل والعلم الشامل مما يقتضيه اقتضاء بينا وقوله تعالى له الاسماء الحسنى
بيان لكون ما ذكر من الخالقية والرحمانية والمالكية والعالمية اسماءه وصفاته من غير
تعدد في ذاته تعالى فانه روي ان المشركين حين سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقول يا الله
يا رحمن قالوا ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر والحسنى تأنيث الاحسن يوصف
به الواحدة المؤنثة والجمع من المذكر والمؤنث كمآرب اخرى وآياتنا الكبرى وهل أتاك حديث
موسى استئناف مسوق لتقرير امر التوحيد الذي اليه انتهى مساق الحديث وبيان انه امر مستمر فيما بين الانبياء
كابرا عن كابر وقد خوطب به موسى عليه السلام حيث قيل له انني انا الله لا اله الا انا وبه ختم عليه السلام مقاله
حيث قال انما الهكم الله الذي لا اله الا هو واما ما قيل من ان ذلك لترغيب النبي صلى الله عليه وسلم في الائتساء
بموسى عليه السلام في تحمل اعباء النبوة والصبر على مقاساة الخطوب في تبليغ احكام الرسالة فيأباه ان
مساق النظم الكريم لصرفه عليه السلام عن اقتحام المشاق وقوله تعالى اذ رأى نارا ظرف للحديث
وقيل لمضمر مؤخر اى حين رأى نارا كان كيت وكيت وقيل مفعول لمضمر مقدم اى اذكر وقت
رؤيته نارا روي انه عليه السلام استأذن شعيبا عليهما السلام في الخروج الى امه واخيه فخرج باهله
واخذ على غير الطريق مخافة من ملوك الشام فلما وافى وادي طوى وهو بالجانب الغربي
من الطور ولد له ولد في ليلة مظلمة شاتية مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت
ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فبينما هو في ذلك اذ رأى نارا على يسار الطريق
من جانب الطور فقال لاهله امكثوا اى اقيموا مكانكم امرهم عليه السلام بذلك لئلا يتبعوه فيما
عزم عليه من الذهاب الى النار كما هو المعتاد لا لئلا ينتقلوا الى موضع آخر فانه مما لا يخطر
بالبال والخطاب للمرأة والولد والخادم وقيل لها والجمع اما لظاهر لفظ الاهل او
للتفخيم كما في قول من قال وان شئت حرمت النساء سواكم اني آنست نارا اى ابصرتها ابصارا
بينا لا شبهة فيه وقيل الايناس خاص بابصار ما يؤنس به والجملة تعليل للامر والامر
لعلي آتيكم منها اى اجيئكم من النار وعبر بذلك للتنبيه على ان صيغة المضارع لا صيغة الفاعل
بقبس اى بشعلة مقتبسة من معظم النار وهو المراد بالجذوة في سورة القصص وبالشهاب
القبس او اجد على النار هدى هاديا يدلني على الطريق على انه مصدر سمي به الفاعل مبالغة او حذف
منه المضاف واقيم المضاف اليه مقامه على انه اذا وجد الهادي فقد وجد الهدى وقيل هاديا يهديني الى
ابواب الدين فان افكار الابرار مغمورة بالهمم الدينية في عامة احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والاول
هو الاظهر لان مساق النظم الكريم لتسلية اهله وقد نص عليه في سورة القصص حيث قال لعلي
آتيكم منها بخبر اى عن حال الطريق وكلمة او في الموضعين لمنع الخلو دون الجمع ومعنى الاستعلاء في
قوله تعالى على النار ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها او لانهم عند الاصطلاء يكتنفونها
قياما وقعودا فيشرفون عليها ولما كان الاتيان بها مترقبا غير محقق الوقوع صدر الجملة بكلمة الترجي
وبنى اما على الفعل وقد صرف بما يدل عليه من الامر بالمكث والايذان بانه سالم دونهم وتفادى
عن الترجي بايجابهم فاذهب اليها لآتيكم او سلم اماما ان آتيكم منها بقبس لا بد وقد حقق
ذلك مفصلا في تفسير قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم
تتقون فلما اتاها اى النار التي آنسها قال ابن عباس رضي الله عنهما رأى شجرة خضراء اطافت

بها من اسفلها الى اعلاها نارا بيضا تتقد كاضوا ما يكون فوقف متعجبا من شدة ضوئها وشدة خضرة
الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة تطفئ ضوءها قالوا النار اربعة اصناف صنف ياكل
ولا يشرب وهي نار الدنيا وصنف يشرب ولا ياكل وهي نار الشجر الاخضر وصنف ياكل ويشرب
وهي نار جهنم وصنف لا ياكل ولا يشرب وهي نار موسى عليه السلام وقالوا ايضا هي اربعة
انواع نوع له نور واحراق وهي نار الدنيا ونوع لا نور له ولا احراق وهي نار الاشجار ونوع
له نور بلا احراق وهي نار موسى عليه السلام ونوع له احراق بلا نور وهي نار الجحيم روي ان
الشجرة كانت عوسجة وقيل كانت سمرة نودي يا موسى اي نودي فقيل له يا موسى اني انا ربك
اذ عوجل انا مقابلة النزول لكونه مرئيا عنده وقرئ بالفتح اي باني وتكرير الضمير لتاكيد
الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روي انه لما نودي يا موسى قال عليه السلام من المتكلم فقال
انه عز وجل اني انا ربك فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام
الله تعالى باني اسمعه من جميع الجهات بجميع الاعضاء قلت وذلك لانه ساعتئذ فالبس من شانه
ذلك من الاعضاء ليس الا من آثار قدرة الخلاق العليم تعالى وتقدس وقيل تلقى عليه السلام
كلام رب العزة تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى الحس المشترك فانتقش
به من غير اختصاص بعضو وجهة فاخلع نعليك امر عليه السلام بذلك لان الحفوة ادخل في التواضع
وحسن الادب ولذلك كان السلف الصالحون يطوفون بالكعبة حافين وقيل ليباشر الوادي
بقدميه تبركا به وقيل لان نعليه كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل
والمال والفاء لترتيب الامر بما قبلها فان ربوبيته تعالى له عليه السلام من موجبات الامر ودواعيه
وقوله تعالى انك بالواد المقدس تعليل لوجوب الخلع المامور به وبيان لسبب ورود الامر بذلك
من شرف البقعة وقدسها روي انه عليه السلام خلعهما والقاهما وراء الوادي طوى بضم الطاء
غير منون وقرئ منونا وقرئ بالكسر منونا وغير منون بتاويل المكان دون البقعة وقيل
هو كثني من الطي مصدر لنودي او المقدس اي نودي نداءين او قدس مرة بعد اخرى وانا
اخترتك اي اصطفيتك للنبوة والرسالة وقرئ وانا اخترناك بالفتح والكسر والفاء في
قوله تعالى فاستمع لترتيب الامر المامور به على ما قبلها فان اختياره عليه السلام من موجبات الاستماع
والامر به واللام في قوله تعالى لما يوحى متعلقة باستمع وما موصولة او مصدرية اي فاستمع للذي
يوحى اليك او للوحي لا باخترتك كما قيل لكونه مما يقبل من باب التنازع واعمال الاول فلابد
من اعادة الضمير في الثاني لان قوله تعالى انني انا الله لا اله الا انا بدل من ما يوحى ولا ريب في ان
اختياره عليه السلام ليس لهذا الوحي فقط والفاء في قوله تعالى فاعبدني لترتيب المامور به على ما قبلها
فان اختصاص الالوهية به سبحانه وتعالى من موجبات تخصيص العبادة به عز وجل واقم
الصلوة خصت الصلوة بالذكر وافردت بالامر مع اندراجها في الامر بالعبادة لفضلها وانافتها
على سائر العبادات بما نيطت به من ذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وذلك
قوله تعالى لذكري لتذكرني فان ذكري كما ينبغي لا يتحقق الا في ضمن العبادة والصلوة او لذكري
فيها لاشتمالها على الاذكار او لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري او لاخلاص ذكري وابتغاء
وجهي لا ترائي بها ولا تقصد بها غرضا آخر او لتكون ذاكرا لي غير ناس وقيل لذكري اياها

وامري بها بالكتب او لان اذكرك بالمدح والثنا وقيل لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوات
او لذكر صلاتي لما روي انه عليه السلام قال من نام عن صلوة او نسيها فليصلها اذا ذكرها لان الله تعالى
يقول واقم الصلوة لذكري واللام بالقالة ابنت والذكرى معناه التذكر بالتوقيف والتذكير قوله تعالى
ان الساعة آتية تعليل لوجوب العبادة واقامة الصلوة اي كائنة لا محالة وانما عبر عن ذلك
بالاتيان تحقيقا لحصولها بابرازها في معرض امر محقق متوجه نحو المخاطبين اكاد اخفيها اي لا اظهرها
بان اقول انها آتية ولولا ان في الاخبار بذلك من اللطف وقطع الاعذار لما فعلت او كاد اظهرها بايقاعها
من اخفاه اذا اظهره بسلب خفائه ويؤيده القراءة بفتح الهمزة من خفاه بمعنى اظهره وقيل اخفى
من الاضداد جاء بمعنى الاظهار والستر قوله تعالى لتجزى كل نفس بما تسعى متعلقة بآتية وما بينهما
اعتراض او باخفيها على المعنى الاخير وما مصدرية اي لتجزى بسعيها في تحصيل ما ذكر من الامور المامور
بها وتخصيصه بموقف المثابة لانها الاصل في الاتيان اي لتجزى كل نفس بما صدر عنها سواء كان سعيا فيما ذكر
او تقاعدا عنه بالمرة او سعيا في تحصيل ما يضاده الا ان الاليق بان المبدأ لذلك في اتيانها هو الاثابة
بالعبادة واما العقاب بتركها فمن مقتضيات سوء اختيار العصاة وبان المامور به في قوة الوجوب
والساعة في شدة الهول والفظاعة بحيث يوجبان على كل نفس ان تسعى في الامتثال بالامر وتجد في
تحصيل ما ينجيها من الطاعات وتحترز عن اقتراف ما يرديها من المعاصي وعليه مدار الامر في
قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن
عملا فان الابتلاء متحول لكافة المكلفين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح لا الى
الحسن والاحسن فقط وتعليله بالاحسن لما ذكر من ان المقصود الاصلي من ابداع تلك البدائع
ذلك المطالب ان الاحسن هو ظهور كمال احسان المحسنين وان ذلك لكونه على اتم الوجوه الرائعة
واكمل الانحاء اللائقة يوجب العمل بموجبه بحيث لا يحيد احد عن سنته المستبين بل يهتدي كل فرد
لما يرشد اليه من مطلق الايمان والطاعة وانما التفاوت بينهما في مراتبهما بحسب القوة
والضعف واما الاعراض عن ذلك والوقوع في مهاوي الضلال فبمعزل من الوقوع فضلا عن
ان ينتظم في سلك الغاية كذلك الصنع البديع وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير
مصحح له ومسوغ هناك ويجوز ان يراد بالسعي مطلق العمل فلا يصدنك عنها اي عن ذكر الساعة
ومراقبتها وقيل عن تصديقها والاول هو الاليق بشان موسى عليه السلام وان كان النهي بطريق التهييج
والالهاب وتقديم الجار والمجرور على قوله تعالى من لا يؤمن بها لما مر مرارا من الاهتمام
بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان حقها التقديم اذا اخر شيئا تبقى النفس مترقبة لوروده فيتمكن عند وروده
لها فضل تمكن ولان في المؤخر نوع طول ربما يخل تقديمه بحسن النظم الكريم وهذا وان كان
بحسب الظاهر نهيا للكافر عن صد موسى عليه السلام عن الساعة لكنه في الحقيقة نهي له عليه السلام عن
الانصداد عنها على ابلغ وجه واكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه
بالطريق البرهاني وابطال للسببية عن اصلها كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم فان صد الكافر
حيث كان سببا للانصداد عليه السلام كان النهي عنه نهيا باصله وموجبه وابطالا له بالكلية ويجوز
ان يكون من باب النهي عن المسبب وارادة النهي عن السبب على ان يراد نهيه عليه السلام عن اظهار لين
الجانب للكفرة فان ذلك سبب لصدهم اياه عليه السلام كما في قوله لا ارينك هاهنا فان المراد نهي

الخاطر عن الحضور لديه الموجه لرؤيته واتبع هواه اي ما تهواه نفسه من اللذات الحسية الفانية
فتردى اي فتهلك فان الاغفال عنها وعن تحصيل ما ينجي عن اهوالها مستتبع للهلاك
لا محالة وهو في محل النصب على جواب النهي او في محل الرفع على انه خبر مبتدأ اي فانت تردى
وما تلك بيمينك يا موسى شروع في حكاية ما كلفه عليه السلام من الامور المتعلقة بالخلق اثر
حكاية ما امر به من الشؤون الخاصة بنفسه فما استفهامية في حيز الرفع بالابتداء وتلك
خبره او بالعكس وهو ادخل بحسب المعنى واوفق بالجواب وبيمينك متعلق بمضمر وقع حالا
اي وما تلك قارة او مأخوذة بيمينك والعامل معنى الاشارة كما في قوله عز وجل
وهذا بعلي شيخا وقيل تلك موصول اي ما التي هي بيمينك وايا ما كان فالاستفهام
ايقاظ وتنبيه له عليه السلام على ما سيبدو له من التعاجيب وتكرير النداء لزيادة التأنيس والتنبيه
قال هي عصاي نسبها الى نفسه تحقيقا لوجه كونها بيمينه وتمهيدا لما يعقبه من الافاعيل
المنسوبة اليه عليه السلام وقرئ عصي على لغة هذيل اتوكأ عليها اي اعتمد عليها عند الاعياء
او الوقوف على رأس القطيع واهش بها اي اخبط بها الورق واسقطه على غنمي وقرئ
اهش بكسر الهاء وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين من
الهس وهو زجر الغنم وتعديته بعلى لتضمين معنى الانحاء بالاقبال اي ازجرها مقبلا
عليها ولي فيها مآرب اخرى اي حاجات اخر من هذا الباب مثل ما روي انه عليه السلام
كان اذا سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته من القوس والكنانة والحلاب
ونحوها واذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء
واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا تعرضت السباع لغنمه قاتلها بها قيل ومن جملة المآرب
انها كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن واذا اراد كسره لواه
بالشعبتين وكأنه عليه السلام فهم ان المقصود من السؤال بيان حقيقتها وتفصيل منافعها
بطريق الاستقصاء حتى اذا رآها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خواص بديعة
علم انها آية باهرة ومعجزة قاهرة احدثها الله تعالى وليست من الخواص المترتبة عليها
فذكر حقيقتها ومنافعها على التفصيل والاجمال على انها من جنس العصا تستتبع منافع
بنات جنسها ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه من سؤال العليم الخبير قال استئناف مبني على
انه ينساق اليه الذهن كأنه قيل فماذا قال عز وجل فقيل قال القها يا موسى لترى من شأنها
ما لم يخطر ببالك من الامور وتكرير النداء لتأكيد التنبيه فالقاها على الارض فاذا
هي حية تسعى روي انه عليه السلام حين القاها انقلبت حية صفراء في غلظ العصا ثم
انتفخت وعظمت فلذلك شبهت بالجان تارة وسميت ثعبانا اخرى وعبر عنها ههنا بالاسم
العام للحالين وقيل قد انقلبت من اول الامر ثعبانا وهو الاليق بالمقام كما يفصح عنه قوله
عز وجل فاذا هي ثعبان مبين وانما شبهت بالجان في الجلادة وسرعة الحركة لا في صغر
الجثة وقوله تعالى تسعى اما صفة لحية او خبر ثان عند من يجوز كونه جملة قال استئناف
كما سبق خذها ولا تخف مشاهدة الاهوال والمخاوف من القرع والنقار
وفي عطف النهي على الامر اشعار بان عدم المنهي عنه مقصود لذاته لا لتحقيق المأمور به

تقط وقوله تعالى سنعيدها سيرتها الاولى من كلمة استئناف مسوق لتعليل الامتثال بالامر
والنهي فان اعادتها الى ما كانت عليه من موجبات اخذها وعدم الخوف منها عدة كريمة باظهار معجزة
اخرى على يده عليه السلام وايذان بكونها سخرة له عليه السلام ليكون على طمأنينة من امره ولا تعتريه شائبة
تزلزل عند محاجة فرعون اي سنعيدها بعد الاخذ الى حالتها الاولى التي هي الهيئة العصوية قيل بلغ
عليه السلام عند ذلك من الثقة وعدم الخوف الى حيث كان يدخل يده في فمها ويأخذ بلحييها والسيرة
فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الجار اي الى سيرتها او على ان اعاد
منقول من عاد بمعنى عاد اليه او على الظرف اي سنعيدها في طريقتها او على تقدير فعلها وايقاعها
حالا من المفعول اي سنعيدها عصا كما كانت من قبل سيرتها اي سائرة سيرتها الاولى تنتفع بها
كما كنت تنتفع بها من قبل واضمم يدك الى جناحك امر له عليه السلام بذلك بعد ما اخذ الحية وانقلبت عصا
كما كانت اي ادخلها تحت عضدك فان جناحي الانسان جنباه كما ان جناحي العسكر جنباه مستعار
من جناحي الطائر وقد سميا جناحين لانه يجنحهما اي يميلهما عند الطيران وقوله تعالى تخرج جواب الامر وقوله
تعالى بيضاء حال من الضمير فيه وقوله تعالى من غير سوء متعلق بمحذوف هو حال من الضمير في بيضاء
اي كائنة من غير عيب وقبح كني به عن البرص كما كني بالسوءة عن العورة لما ان الطباع تعافه وتنفر
روي انه عليه السلام كان آدم فاخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس تغشى البصر آية
اخرى اي معجزة اخرى غير العصا وانتصابها على الحالية اما من الضمير في تخرج على انه بدل من الحال الاولى
واما من الضمير في بيضاء وقيل من الضمير في الجار والمجرور وقيل هي منصوبة بفعل مضمر نحو خذ او دونك
وقوله تعالى لنريك من آياتنا الكبرى متعلق بمضمر ينساق اليه النظم الكريم كأنه قيل فعلنا ما فعلنا من
الاظهار لنريك بذلك بعض آياتنا الكبرى على ان الكبرى صفة لآياتنا او نريك بذلك من آياتنا
ما هي كبرى على ان الكبرى مفعول ثان لنريك ومن آياتنا متعلق بمحذوف هو حال من ذلك المفعول
وايا ما كان فالآية الكبرى عبارة عن العصا واليد جميعا واما متعلقة بما دل عليه آية اي دللنا بها
لنريك الخ او بقوله تعالى واضمم او بقوله تخرج او بما قدر من خذ ودونك كما قال الكل من ذلك ما يلي
فيؤدي الى عراء العصا عن وصف الكبر فتدبر اذهب الى فرعون تخلص الى ما هو المقصد من تمهيد
المقدمات السالفة فصل عما قبله من الاوامر ايذانا باصالته اي اذهب اليه بما رأيته من الآيات الكبرى
وادعه الى عبادتي وحذره نقمتي وقوله تعالى انه طغى تعليل للامر بوجوب المأمور به اي جاوز
الحد في التكبر والعتو والتجبر حتى تجاسر على العظيمة التي هي دعوى الربوبية قال استئناف مبني على سؤال
ينساق اليه الذهن كأنه قيل فماذا قال عليه السلام حين امر بهذا الامر الخطير والخطب العسير فقيل قال مستعينا
بربه عز وجل رب اشرح لي صدري ويسر لي امري لما امره بما امره به من الخطب الجليل تضرع الى
ربه عز وجل واظهر عجزه بقوله ويضيق صدري ولا ينطلق لساني وسأله تعالى ان يوسع صدره
ويفسح قلبه ويجعله عليما بشؤون الخلق واحوال الخلق حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من
الشدائد والمكاره بجميل الصبر وحسن الثبات ويتلقاها بصدر فسيح وجأش رابط وان
يسهل عليه مع ذلك امره الذي هو اجل الامور واعظمها واصعب الخطوب واهولها بتوفيق
الاسباب ودفع الموانع وفي زيادة كلمة لي مع انتظام الكلام بدونها تأكيد لطلب الشرح
والتيسير بابهام المشروح والميسر اولا وتفسيرهما ثانيا وفي تقديمها وتكريرها اظهار مزيد اعتناء

يشان كل من المطلوبين وفضل اهتمام باستدعاء حصولهما واختصاصهما به واحلل
عقدة من لساني روي انه كان في لسانه عليه السلام رتة من جمرة ادخلها فاه في صغره وذلك ان
فرعون حمله ذات يوم فاخذ لحيته ونتفها لما كانت مرصعة بالجواهر فغضب وامر بقتله فقالت
آسية انه صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة فوضعها في فيه واحترقت يده
فاجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ قال الى رب تدعوني قال الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنه
واختلف في زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله تعالى قد اوتيت سؤلك ومن لم يقل تمت
به احتج بقوله تعالى هو افصح مني وقوله تعالى ولا يكاد يبين واجاب عن الاول بانه لم يسأل
حل عقدة لسانه بالكلية بل حل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها ووصفها بقوله من
لساني اي عقدة كائنة من عقد لساني وجعل قوله تعالى يفقهوا قولي جواب الامر وغرضا
من الدعاء فبحلها في الجملة يتحقق ايتاء سؤله عليه السلام والحق ان ما ذكر لا يدل على بقائها في الجملة اما قوله
تعالى هو افصح مني فلانه عليه السلام قال قبل استدعاء الحل كما ستعرفه على ان افصحية هرون عليهما السلام لا
تستدعي بقاءها اصلا بل تستدعي عدم البقاء لان الافصحية تستوجب ثبوت اصل الفصاحة في المفضول
ايضا وذلك مناف للعقدة رأسا واما قوله تعالى ولا يكاد يبين فمن باب غلو اللعين في العتو
والطغيان والا لدل على عدم زوالها اصلا وتنكيرها انما يفيد قلتها في نفسها باعتبار كونها
بعضا من الكثيرة وتعلق كلمة من في قوله تعالى من لساني بمحذوف هو صفة لها ليس بمقطوع به
بل الظاهر تعلقها بنفس الفعل فان المحلول اذا كان متعلقا بشيء ومتصلا به فكما يتعلق الحل به يتعلق
بذلك الشيء ايضا باعتبار ازالته عنه او ابتداء حصوله منه واجعل لي وزيرا من اهلي هرون
اخي اي موازرا يعاونني في تحمل اعباء ما كلفته على ان اشتقاقه من الوزر الذي هو الثقل او ملجأ
اعتصم برايه على انه من الوزر وهو الملجأ وقيل اصله ازير من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى فاعل
كالعشير والجليس قلبت همزته واوا كقلبها في موازر ونصبه على انه مفعول ثان لاجعل قدم على الاول
الذي هو قوله تعالى هرون اعتناء بشأن الوزارة ولي صلة للجعل او متعلق بمحذوف هو حال
من وزيرا اذ هو صفة له في الاصل ومن اهلي اما صفة لوزيرا او صلة لاجعل وقيل مفعولاه
وزيرا وهرون عطف بيان لوزيرا ومن اهلي كما مر من الوجهين واخي في الوجهين بدل من
هرون او عطف بيان آخر وقيل مفعولاه وزيرا من اهلي ولي تبيين كما في قوله تعالى ولم يكن له كفوا
احد ورد بان شرط المفعولين في باب النواسخ صحة انعقاد الجملة الاسمية ولا مساغ لجعل وزيرا
مبتدأ وخبره ما بعده اشدد به ازري واشركه في امري كلاهما على صيغة الدعاء اي
احكم به قوتي واجعله شريكي في امر الرسالة حتى نتعاون على ادائها كما ينبغي وفصل الاول عن
الدعاء السابق لكمال الاتصال بينهما فان شد الازر عبارة عن جعله وزيرا واما الاشراك
في الامر فحيث كان من احكام الوزارة توسط بينهما العاطف كي نسبحك كثيرا ونذكرك
كثيرا غاية للادعية الثلاثة الاخيرة فان فعل كل واحد منهما من التسبيح والذكر مع كونه
مكثرا لفعل الآخر ومضاعفا له بسبب انضمامه اليه مكثر له في نفسه ايضا بسبب تقويته وتأييده
اذ ليس المراد بالتسبيح والذكر ما يكون منهما بالقلب او في الخلوات حتى لا يتفاوت حاله عند
التعدد والانفراد بل ما يكون منهما في تضاعيف اداء الرسالة ودعوة المردة العتاة الى الحق

وذلك مما لا ريب فيه لاختلاف حالي التعدد والانفراد فان كلا منهما يصدر عنه بتأييد
الآخر من اظهار الحق ما لا يكاد يصدر عنه مثله حال الانفراد وكثيرا في الموضعين نعت لمصدر
محذوف او زمان محذوف اي ننزهك عما لا يليق بك من الصفات والافعال التي من جملتها ما
يدعيه فرعون الطاغية ويقبله منه الباغية من ادعاء الشركة في الالوهية ونصفك بما يليق بك
من صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال تنزيها كثيرا او زمانا كثيرا من جملته زمان دعوة
فرعون واوان المحاجة معه واما ما قيل من ان المعنى نصلي لك كثيرا ونحمدك ونثني عليك فلا يساعده
المقام انك كنت بنا بصيرا اي عالما باحوالنا وبان ما دعوتك به مما يصلحنا ويفيدنا في تحقيق
ما كلفته من اقامة مراسم الرسالة وبان هرون نعم الردء فيما امرت به والباء متعلقة ببصيرا قدمت
عليه لمراعاة الفواصل قال قد اوتيت سؤلك اي اعطيت سؤلك فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل
بمعنى المخبوز والمأكول والايتاء عبارة عن تعلق ارادته تعالى بوقوع تلك المطالب وحصولها له عليه السلام
البتة وتقديرها اياها حتما فكلها حاصلة له عليه السلام وان كان وقوع بعضها بالفعل مترقبا
بعد كتشديد الازر باعتبار قيل سنشد عضدك باخيك وقوله تعالى يا موسى تشريف
له عليه السلام بشرف الخطاب اثر تشريفه بقبول الدعاء ولقد مننا عليك كلام
مستأنف مسوق لتقرير ما قبله وزيادة توطين لنفس موسى عليه السلام بالقبول ببيان انه تعالى حين انعم
عليه بتلك النعم التامة من غير سابقة دعاء منه وطلب فلان ينعم عليه بمثلها وهو طالب لها داع
اولى واحرى وتصديره بالقسم لكمال الاعتناء بذلك اي وبالله لقد انعمنا عليك مرة اخرى اي في
وقت غير هذا الوقت لا ان ذلك مؤخر عن هذا فان اخرى تأنيث آخر بمعنى غير والمرة في الاصل اسم
للمرور الواحد ثم اطلق على كل فعلة واحدة من الفعلات متعدية كانت او لازمة ثم شاع في كل
فرد واحد من افراد ماله افراد متجددة فصار علما في ذلك حتى جعل معيارا لما في معناه من سائر
الاشياء فقيل هذا بناء المرة ويقرب منها الكرة والتارة والدفعة والمراد بها ههنا الوقت
الممتد الذي وقع فيه ما سيأتي ذكره من المنن العظيمة الكثيرة وقوله تعالى اذ اوحينا الى امك
ما يوحى ظرف لمننا والمراد بالايحاء اما الايحاء على لسان نبي في وقتها كقوله تعالى واذ اوحيت
الى الحواريين الآية واما الايحاء بواسطة الملك لا على وجه النبوة كما اوحي الى مريم واما الالهام
كما في قوله تعالى واوحى ربك الى النحل واما الاراءة في المنام والمراد بما يوحى ما سيأتي من
الامر بقذفه في التابوت وقذفه في البحر ابهم اولا تهويلا له وتفخيما لشأنه ثم فسر ليكون اوقع في
النفس وقيل معناه ما ينبغي ان يوحى ولا يخل به لعظم شأنه وفرط الاهتمام به وقيل ما لا يعلم الا
بالوحي وفيه انه لا يلائم المعنيين الاخيرين للوحي اذ لا تفخيم لشأنه في ان يكون مما لا يعلم الا بالالهام
او بالاراءة في المنام وان في قوله تعالى ان اقذفيه في التابوت مفسرة لان الوحي من باب
القول او مصدرية حذف عنها الباء اي بان اقذفيه والمقصود بالقذف ههنا الوضع واما في
قوله تعالى فاقذفيه في اليم فالالقاء ولما كان القاء البحر اياه بالساحل امرا واجب الوقوع لتعلق
الارادة الربانية به جعل البحر كأنه ذو تمييز مطيع امر بذلك واخرج الجواب مخرج الامر والضمائر
كلها لموسى عليه السلام والمقذوف في البحر والملقى بالساحل وان كان هو التابوت اصالة لكن لما
كان المقصود بالذات ما فيه جعل التابوت تبعا له في ذلك يأخذه عدو لي وعدو له

جواب الامر بالالقاء وتكرير العدو للمبالغة والتصريح بالامر والاشعار بان عداوته لم يتحقق
ما لا يوثر فيه ولا تضره بل يؤدي الى المحبة فان الامر هو سبب الهلاك صورة من قذفه في البحر
ووقوعه في يد عدو الله تعالى وعدوه مشعر بان هناك لطفا خفيا مندرجا تحت قهر صوري
وقيل الاول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع وليس المراد بالساحل نفس الساحل بل ما
يقابل الوسط وهو ما يلي الساحل من البحر بحيث يجري ماؤه الى نهر فرعون لما روي ان امه
جعلت في التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته والقته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون
نهر فدفعه الماء اليه فاتى به الى بركة في البستان وكان فرعون جالسا ثمة مع آسية بنت مزاحم
فامر به فاخرج ففتح فاذا هو صبي اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا لا يكاد يتمالك الصبر
وذلك قوله تعالى والقيت عليك محبة مني كلمة من متعلقة بمحذوف هو صفة لمحبة مؤكدة لما في
تنكيرها من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي محبة عظيمة كائنة مني قد زرعتها في القلوب
بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك ولذلك احبك عدو الله وآله وقيل مني متعلقة بالقيت
اي احببتك ومن احبه الله تعالى احبته القلوب لا محالة وقوله تعالى ولتصنع على عيني
متعلق بالقيت معطوف على علة له مضمرة اي ليتعطف عليك ولتربى بالحنو والشفقة بمرأى مني وحفظي
او بمضمر موخر هو عبارة عما قبله من القاء المحبة او بجملة مستانفة مقدرة اي ولتصنع على عيني
فعلت ذلك وقرئ ولتصنع على صيغة الامر بسكون اللام وكسرها وقرئ بفتح التاء
والنصب اي وليكون عملك على عين مني لئلا يخالف به امري اذ تمشي اختك ظرف
لتصنع على ان المراد به وقت وقع فيه مشيها الى بيت فرعون وما ترتب عليه من القول والرجوع
الى امه وتربيتها بالحنو وهو المصداق لقوله تعالى ولتصنع على عيني اذ لا شفقة
اعظم من شفقة الام وصنعها على موجب مراعاته تعالى وقيل هو بدل من اذ اوحينا على ان
المراد بها زمان متسع متباعد الاطراف وهو الانسب بما سيأتي من قوله تعالى فنجيناك
من الغم الخ فان جميع ذلك من المنن الالهية متعلق كلها بالصنع المذكور اما كونه ظرفا
لالقيت كما جوز فيأباه ان القاء المحبة لم يحصل قبل ذلك ولا ريب في ان مظهر آثار
القائها ظهر عند فتح التابوت فتقول اي لفرعون حين تاتيهما يطلبان له من يرضعه
بعد تدبيرها وكان لا يقبل ثديا وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية
هل ادلكم على من يكفله اي يضمه الى نفسه ويربيه وانما تقول ذلك بعدما
قال الجمهور ان آل فرعون اخذوا ثمانية الليالي لا يرضع ثدي امرأة واضطروا الى تتبع النساء
فخرجت اخته مريم لتعرف خبره فجاءتهم منكرة فقالت ما قالت وقالوا لها ما قالوا فجاءت بامه
فقبل ثديها فالفاء في قوله تعالى فرجعناك الى امك فصيحة معربة عن محذوف قبلها يعطف
عليه ما بعدها اي فقالوا دلينا عليها فجاءت بامك فرجعناك اليها كي تقر عينها بلقائك
ولا تحزن اي لا يطرا عليها الحزن بفراقك بعد ذلك والا فزوال الحزن مقدم على السرور
المعبر عنه بقرة العين فان التخلية متقدمة على التحلية وقيل ولا تحزن انت بفقد اشفاقها
وقتلت نفسا هي نفس القبطي الذي استغاثه الاسرائيلي عليه فنجيناك من الغم اي غم قتله
خوفا من عقاب الله تعالى بالمغفرة ومن اقتصاص فرعون بالانجاء عنه بالمهاجرة الى مدين

وفتناك

وفتناك فتونا اي ابتليناك ابتلاء او فتونا من الابتلاء على انه جمع فتن او فتنة على ترك
الاعتداد بالتاء كحجوز في حجزة وبدور في بدرة اي خلصناك مرة بعد اخرى وهو اجمال لما ناله
في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الالاف والمشي راجلا وفقد الزاد وقد روي ان
سعيد بن جبير سأل عنه ابن عباس رضي الله عنهما فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه
الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير والقته امه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا وآجر نفسه
عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه
فتنة يا ابن جبير ولكن الذي يقتضيه النظم الكريم ان لا تعد اجارة نفسه وما بعدها من
تلك الفتون ضرورة ان المراد بها ما وقع قبل وصوله عليه السلام الى مدين بقضية الفاء في قوله تعالى
فلبثت سنين في اهل مدين اذ لا ريب في ان الاجارة المذكورة وما بعدها مما وقع
بعد الوصول اليهم وقد اشير بذكر لبثه عليه السلام فيهم دون وصوله اليهم الى جميع ما قاساه عليه السلام
في تضاعيف تلك السنين العشر من فنون الشدائد والمكاره التي كل واحدة منها فتنة واي فتنة
ومدين بلدة شعيب عليه السلام على ثماني مراحل من مصر ثم جئت اي الى المكان الذي اونس فيه النار ووقع فيه
النداء والجؤار وفي كلمة التراخي ايذان بانه عليه السلام كان بعد اللتيا والتي من ضلال
الطريق وتفرق الغنم في الليلة المظلمة الشاتية وغير ذلك على قدر اي تقدير قدرته لان
اكلمك واستنبئك في وقت قد عينته لذلك فما جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا
مستأخر وقيل على مقدار من السن يوحى فيه الى الانبياء عليهم السلام وهو رأس اربعين سنة
وقوله تعالى يا موسى تشريف له عليه السلام وتنبيه على انتهاء الحكاية التي هي تفصيل المرة
الاخرى التي وقعت قبل المرة المحكية اولا وقوله تعالى واصطنعتك لنفسي تذكير لقوله
تعالى وانا اخترتك لنفسي وتمهيد لارساله عليه السلام الى فرعون مؤيدا باخيه حسبما استدعاه
بعد تذكير المنن السابقة تاكيدا لوثوقه عليه السلام بحصول نظائرها اللاحقة وهذا تمثيل لما
خوله عز وجل من الكرامة العظمى بتقريب الملك بعض خواصه واصطناعه لنفسه وترشيحه لبعض
اموره الجليلة والعدول عن نون العظمة الواقعة في قوله تعالى وفتناك ونظائره السابقة
تمهيد لافراد لفظ النفس اللائق بالمقام فانه ادخل في تحقيق معنى اي اصطفيتك برسالاتي
وبكلامي وقوله تعالى اذهب انت واخوك اي وليذهب اخوك حسبما استدعيت
استئناف مسوق لبيان ما هو المقصود بالاصطناع بآياتي اي بمعجزاتي التي اريتكها من اليد
والعصا فانهما وان كانتا اثنتين لكن في كل منهما آيات شتى كما في قوله تعالى فيه آيات
بينات مقام ابراهيم فان انقلاب العصا حيوانا آية وكونها ثعبانا عظيما لا يقادر قدره آية
اخرى وسرعة حركته مع عظم جرمه آية اخرى وكونه مع ذلك مسخرا له عليه السلام بحيث كان يدخل يده
في فمه آية اخرى ثم انقلابها عصا آية اخرى وكذلك اليد البيضاء فان بياضها في نفسه آية اخرى
وشعاعها آية ثم رجوعها الى حالها آية اخرى والباء للمصاحبة لا للتعدية اذ المراد ذهابهما
الى فرعون ملتبسين بالآيات متمسكين بها في اجراء احكام الرسالة واكمال امر الدعوة
لا مجرد اذهابها وايصالها اليه ولا تنيا لا تفترا ولا تقصرا وقرئ لا تنيا بكسر التاء للاتباع

في ذكري أي بما يليق بي من الصفات الجليلة والأفعال الجميلة عند تبليغ رسالتي والدعاء إلي وقيل
المعنى لا تنيا في تبليغ رسالتي فإن الذكر يقع على جميع العبادات وهو أجلها وأعظمها وقيل
لا تنيا في ذكري حيثما تقلبتما واستمدا به العون والتأييد واعلما أن أمرا من الأمور لا يتأتى ولا يتسنى
إلا بذكري اذهبا إلى فرعون جمعهما في صيغة أمر الحاضر مع غيبة هرون إذ ذاك للتغليب وكذا
الحال في صيغة النهي روي أنه أوحي إلى هرون وهو بمصر أن يتلقى موسى عليه السلام وقيل سمع بإقباله
فتلقاه إنه طغى تعليل لموجب الأمر والفاء في قوله تعالى فقولا له قولا لينا لترتيب ما بعدها
على طغيانه فإن تليين القول مما يكسر سورة عناد العتاة ويلين عريكة الطغاة قال ابن عباس رضي الله عنهما
لا تعنفا في قولكما مثل قوله هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى فإنها
دعوة في صورة عرض ومشورة ونحوه ما حكي من قوله تعالى فقولا إنا رسولا ربك الآيتين
وقيل كنياه وكان له ثلث كنى أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم ويبقى
له لذة المطعم والمشرب والمنكح وملكا لا يزول إلا بالموت لعله يتذكر بما تبلغانه
من ذكري ويرغب فيما رغبتاه فيه أو يخشى عقابي ومحل الجملة النصب على الحال من ضمير التثنية
أي فقولا له قولا لينا راجيين أن يتذكر أو يخشى وكلمة أو لمنع الخلو أي باشرا الأمر مباشرة
من يرجو ويطمع أن يثمر عمله ولا يخيب وهو يجتهد بطوقه ويحتشد بأقصى وسعه وجدوى
إرسالهما إليه مع العلم بحاله إلزام الحجة وقطع المعذرة قالا ربنا أسند القول إليهما مع أن القائل
حقيقة هو موسى عليه السلام بطريق التغليب إيذانا بأصالته في كل قول وفعل وتبعية هرون عليه السلام
له في كل ما يأتي ويذر ويجوز أن يكون هرون قد قال ذلك بعد تلاقيهما فحكي ذلك مع قول
موسى عليه السلام عند نزول الآية كما في قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات فإن هذا الخطاب
قد حكي بصيغة الجمع مع أن كلا من المخاطبين لم يخاطب إلا بطريق الانفراد ضرورة استحالة اجتماعهم
في الوجود فكيف باجتماعهم في الخطاب إننا نخاف أن يفرط علينا أي يعجل علينا بالعقوبة
ولا يصبر إلى إتمام الدعوة وإظهار المعجزة من فرط إذا تقدم ومنه الفارط وفرس فارط
يسبق الخيل وقرئ يفرط من أفرطه إذا حمله على العجلة أي نخاف أن يحمله حامل من الاستكبار أو الخوف
على الملك أو غيرهما على المعاجلة بالعقاب أو أن يطغى أي يزداد طغيانا إلى أن يقول في
شأنك ما لا ينبغي لكمال جراءته وقساوته وإطلاقه من حسن الأدب وإظهار كلمة أن مع
سداد المعنى بدونه لإظهار كمال الاعتناء بالأمر والإشعار بتحقق الخوف من كل منهما قال
استئناف مبني على السؤال الناشئ من النظم الكريم ولعل إسناد الفعل إلى ضمير الغيبة للإشعار
بانتقال الكلام من مساق إلى مساق آخر فإن ما قبله من الأفعال الواردة على صيغة التكلم
حكاية لموسى عليه السلام بخلاف ما سيأتي من قوله تعالى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى فإن ما قبله
أيضا وارد بطريق الحكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قيل فماذا قال لهما ربهما عند تضرعهما إليه
فقيل قال لا تخافا ما توهمتما من الأمرين وقوله تعالى إنني معكما تعليل لموجب النهي ومزيد
تسلية لهما والمراد بالمعية كمال الحفظ والنصرة كما ينبئ عنه قوله تعالى أسمع وأرى أي ما يجري
بينكما وبينه من قول وفعل فأفعل في كل حال ما يليق بها من دفع ضر وشر وجلب نفع وخير

المطعم

ويجوز أن لا يقدر شيء على معنى إنني حافظكما سميعا بصيرا وإذا كان كذلك فقد تم وبلغت
النصرة غايتها فأتياه أي فأتيا بناءه الذي هو عبارة عن الوصول إليه بعدما أمر بالذهاب
إليه فلا تكرار وهو عطف على لا تخافا باعتبار تعليله بما بعده فقولا إنا رسولا ربك
أمرا بذلك تحقيقا للحق من أول الأمر ليعرف الطاغية شأنهما ويبني جوابه عليه وكذا
التعرض لربوبيته تعالى له والفاء في قوله تعالى فأرسل معنا بني إسرائيل لترتيب ما بعدها
على ما قبلها فإن كونهما رسولي ربه مما يوجب إرسالهم معهما والمراد بالإرسال إطلاقهم من الأسر
والتعب وإخراجهم من تحت يده العادية لا تكليفهم أن يذهبوا معهما إلى الشام كما ينبئ عنه قوله تعالى
ولا تعذبهم أي بإبقائهم على ما كانوا عليه من العذاب فإنهم كانوا تحت ملكة القبط
يستخدمونهم في الأعمال الصعبة الفادحة من الحفر ونقل الأحجار وغيرهما من الأمور الشاقة
ويقتلون ذكور أولادهم عاما دون عام ويستخدمون نساءهم وتوسيط حكم الإرسال بين بيان
رسالتهما وبين ذكر المجيء بآية دالة على صحتها لإظهار الاعتناء به مع ما فيه من تهوين الوعيد على
أن إرسالهم معهما من غير تعرض لنفسه وقومه بفنون التكاليف الشاقة كما هو حكم الرسالة عادة
ليس مما يشق عليه كل المشقة ولأن في بيان مجيء الآية نوع طول كما ترى فتأخير ذلك عنه مخل
بتجاوب أطراف النظم الكريم وأما ما قيل من أن ذلك دليل على أن تخليص المؤمنين من الكفرة أهم من
دعوتهم إلى الإيمان فكلام قد جئناك بآية من ربك تقرير لما تضمنه الكلام
السابق من دعوى الرسالة وتعليل لوجوب الإرسال فإن مجيئهما بالآية من جهته مما يحقق رسالتهما
ويقرر ما يوجب الامتثال بأمرهما وإظهار اسم الرب في موضع الإضمار مع الإضافة إلى ضمير المخاطب
لتأكيد ما ذكر من التقرير والتعليل وتوحيد الآية مع تعددها لأن المراد إثبات الدعوى ببرهانها
لا بيان تعدد الحجة وكذلك قوله تعالى قد جئتكم ببينة وقوله تعالى أولو جئتك بشيء مبين
وأما قوله تعالى فأت بآية إن كنت من الصادقين فالظاهر أن المراد بها آية من الآيات
والسلام المستتبع لسلامة الدارين من الله تعالى والملائكة وغيرهم من المسلمين على من اتبع الهدى
بتصديق آيات الله تعالى الهادية إلى الحق وفيه من ترغيبه في اتباعهما على ألطف وجه
ما لا يخفى إنا قد أوحي إلينا من جهة ربنا أن العذاب الدنيوي والأخروي على من كذب
أي بآياته تعالى وتولى أي أعرض عن قبولها وفيه من التلطيف في الوعيد حيث لم يصرح
بحلول العذاب به ما لا مزيد عليه قال أي فرعون بعدما أتياه وبلغاه ما أمرا به
وإنما طوي ذكره للإيجاز والإشعار بأنهما كما أمرا بذلك سارعا إلى الامتثال به من غير
تلعثم وبأن ذلك من الظهور بحيث لا حاجة إلى التصريح به فمن ربكما يا موسى لم يضف الرب
إلى نفسه ولو بطريق حكاية ما في قوله تعالى إنا رسولا ربك وقوله تعالى قد جئناك
بآية من ربك لغاية عتوه ونهاية طغيانه بل أضافه إليهما لما أن المرسل لا بد أن يكون
ربا للرسول أو لأنهما قد صرحا بربوبيته تعالى للكل بأن قالا إنا رسول رب العالمين كما وقع
في سورة الشعراء والاقتصار ههنا على ذكر ربوبيته تعالى لفرعون لكفايته فيما هو المقصود
والفاء لترتيب السؤال على ما سبق من كونهما رسولي ربهما أي إذا كنتما رسولي ربكما
فأخبرا من ربكما الذي أرسلكما وتخصيص النداء بموسى عليه السلام مع توجيه الخطاب إليهما لما

ليس بشيء

انه الاصل في الرسالة وهرون وزيره واما ما قيل من ان ذلك لانه قد عرف ان له عليه السلام رتة
فاراد ان يفحمه فيأباه ما شاهده منه عليه السلام من حسن البيان القاطع لذلك الطمع الفارغ واما
قوله تعالى ولا يكاد يبين فمن غلوه في الخبث والدعارة كما سيأتي قال اي موسى عليه السلام مجيبا له ربنا
ا مبتدا وقوله تعالى الذي اعطى كل شيء خلقه خبره او هو خبر مبتدا محذوف والموصول صفته
وايا ما كان فلم يريدا بضمير المتكلم انفسهما فقط حسبما اراده اللعين بل جميع المخلوقات تحقيقا
للحق وردا عليه كما يفصح عنه ما في الصلة اي هو ربنا الذي اعطى كل شيء من الاشياء خلقه اي
صورته وشكله اللائق بما نيط به من الخواص والمنافع او اعطى مخلوقاته كل شيء تحتاج هي اليه وترتفق
به وتقديم المفعول الثاني للاهتمام به او اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث زوج
الحصان بالحجر والبعير بالناقة والرجل بالمراة ولم يزوج شيئا من ذلك بخلاف جنسه وقرئ
خلقه على صيغة الماضي على ان الجملة صفة للمضاف او للمضاف اليه وحذف المفعول الثاني
اما للاقتصار على الاول اي كل شيء خلقه الله تعالى لم يحرمه من عطائه وانعامه او للاختصار
من كونه منويا مدلولا عليه بقرينة الحال اي اعطى كل شيء خلقه تعالى ما يحتاج اليه ثم هدى اي الى
طريق الانتفاع والارتفاق بما اعطاه وعرفه كيف يتوصل الى بقائه وكماله اما اختيارا
كما في الحيوانات او طبعا كما في الجمادات والقوى الطبيعية النباتية والحيوانية ولما كان الخلق
الذي هو عبارة عن تركيب الاجزاء وتسوية الاجسام متقدما على الهداية التي هي عبارة عن ابداع
القوى المحركة والمدركة في تلك الاجسام وسط بينهما كلمة التراخي ولقد ساق عليه السلام
جوابه على نمط رائق واسلوب لائق حيث بين انه تعالى عالم قادر بالذات خالق لجميع الاشياء
منعم عليها بجميع ما يليق بها بطريق التفضل وضمنه ان ارساله تعالى اياه الى الطاغية من جملة هدايته
اياه بعد ان هداه الى الحق بالهدايات التكوينية حيث ركب فيه العقل وسائر المشاعر
والآلات الظاهرة والباطنة قال فما بال القرون الاولى لما شاهد اللعين ما نظمه عليه السلام
في سلك الاستدلال من البرهان النير على الطراز الرائع خاف ان يظهر للناس حقية مقالاته
عليه السلام وبطلان خرافات نفسه ظهورا بينا اراد ان يصرفه عليه السلام عن سننه الى ما لا يعنيه من
الامور التي لا تعلق لها بالرسالة من الحكايات ويشغله عما هو بصدده عسى يظهر فيه نوع غفلة
فيتسلق بذلك الى ان يدعي بين يدي قومه نوع معرفة فقال فما حال القرون الماضية والامم الخالية
وماذا جرى عليهم من الحوادث المفصلة فاجاب عليه السلام بان العلم باحوالهم مفصلة مما
لا ملابسة له بمنصب الرسالة وانما علمها عند الله تعالى واما ما قيل من انه سأله عن حال من خلا من
القرون وعن شقاء من شقي وسعادة من سعد فيأباه قوله تعالى قال علمها عند ربي
فان معناه انه من الغيوب التي لا يعلمها الا الله تعالى وانما انا عبد لا اعلم منها الا ما
علمنيه من الامور المتعلقة بما ارسلت به ولو كان المسؤول عنه ما ذكر من الشقاوة لاجيب ببيان
ان من اتبع الهدى منهم فقد سلم ومن تولى فقد عذب حسبما نطق به قوله تعالى والسلام الآية
في كتاب اي مثبت في اللوح المحفوظ بتفاصيله ويجوز ان يكون ذلك تمثيلا لتمكنه وتقرره
في علمه عز وجل بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة كما يلوح به قوله تعالى لا يضل ربي
ولا ينسى اي لا يخطئ ابتداء ولا يذهب عليه بقاء بل هو ثابت ابدا فانهما محالان عليه سبحانه

وهو على الاول لبيان ان اثباته في اللوح ليس لحاجته تعالى اليه في العلم به ابتداء وابقاء واظهار ربي
في موقع الاضمار للتلذذ بذكره ولزيادة التقرير والاشعار بعلية الحكم فان الربوبية مما
يقتضي عدم الضلال والنسيان حتما ولقد اجاب عليه السلام عن السؤال بجواب عبقري بديع
حيث كشف عن حقيقة الحق حجابها مع انه لم يخرج عما كان بصدده من بيان شئونه تعالى
ثم تخلص اليه حيث قال بطريق الحكاية عن الله عز وجل لما سيأتي من الالتفات الذي
جعل لكم الارض مهدا على ان الموصول اما مرفوع على المدح او منصوب عليه او خبر مبتدا
محذوف اي جعلها لكم كالمهد تتمهدونها او ذات مهد وهو مصدر سمي به المفعول وقرئ
مهادا وهو اسم لما يمهد كالفراش او جمع مهد اي جعل كل موضع منها مهدا لكل احد
منكم وسلك لكم فيها سبلا اي جعل لكم طرقا ووسطها بين الجبال والاودية والبراري
تسلكونها من قطر الى قطر لتقضوا منها مآربكم وتنتفعوا بمنافعها ومرافقها وانزل من السماء
ماء هو المطر فاخرجنا به اي بذلك الماء وهو عطف على انزل داخل تحت الحكاية وانما
التفت الى التكلم للتنبيه على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة والايذان
بانه لا يتأتى الا من قادر مطاع عظيم الشأن ينقاد لامره ويذعن لمشيئته الاشياء المختلفة
كما في قوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها وقوله
تعالى ام من خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة خلا
انهما قبل الالتفات هناك من كلامه تعالى واما ههنا فمحكي عنه تعالى وجعل قوله
تعالى فاخرجنا به هو المحكي مع كون ما قبله كلام موسى عليه السلام خلاف الظاهر مع انه يفوت
حينئذ الالتفات لعدم اتحاد المتكلم ازواجا اصنافا سميت بذلك لازدواجها
واقتران بعضها ببعض من نبات بيان او صفة لازواجا اي كائنة من نبات وكذا
قوله شتى اي متفرقة جمع شتيت ويجوز ان يكون صفة لنبات لما انه في الاصل مصدر يستوي
فيه الواحد والجمع يعني انها شتى مختلفة في الطعم والرائحة والشكل والنفع بعضها صالح
للناس على اختلاف وجوه الصلاح وبعضها للبهائم فان من تمام نعمته تعالى ان ارزاق
عباده تعالى لما كان تحصيلها بعمل الانعام جعل علفها مما يفضل عن حاجاتهم ولا يليق بكونه
طعاما لهم وقوله تعالى كلوا وارعوا انعامكم حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول
اي اخرجنا اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا انعامكم اي معديها لانتفاعكم بالذات
وبالواسطة آذنين في ذلك ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من شئونه تعالى وافعاله
وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته في الكمال والتنكير في قوله
تعالى لآيات للتفخيم كما وكيفا اي لآيات كثيرة جليلة واضحة الدلالة على شئون الله تعالى
في ذاته وصفاته وافعاله وعلى صحة نبوة موسى وهرون عليهما السلام لاولي النهى جمع نهية سمي
بها العقل لنهيه عن اتباع الباطل وارتكاب القبيح كما سمي بالعقل والحجر لعقله وحجره عن
ذلك اي لذوي العقول الناهية عن الاباطيل التي من جملتها ما يدعيه الطاغية وتقبله
منه الفئة الباغية وتخصيص كونها آيات بهم مع انها آيات للعالمين باعتبار انهم المنتفعون
بها منها خلقناكم اي في ضمن خلق ابيكم آدم عليه السلام منها فان كل فرد من افراد البشر له

حظ من خلقه عليه السلام اذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه عليه السلام بل كانت انموذجا منطويا
على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه
عليه السلام منها خلقا للكل منها وقيل المعنى خلقنا ابدانكم من نطفة المتولدة من الاغذية المتولدة
من الارض بوسائط وقيل ان الملك الموكل بالرحم ليأخذ من تربة المكان الذي يدفن فيه المولود
فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة وفيها نعيدكم بالاماتة وتفريق الاجزاء
وايثار كلمة في على كلمة الى للدلالة على الاستقرار والمديد ومنها نخرجكم تارة اخرى بتأليف
اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الهيئة السابقة ورد الارواح اليها وكون هذا الاخراج
تارة اخرى باعتبار ان خلقهم من الارض اخراج لهم منها وان لم يكن على نهج التارة الثانية والتارة
في الاصل اسم للتور الواحد وهو الجريان ثم اطلق على كل فعلة واحدة من الفعلات المتجددة
كما مر في المرة ولقد اريناه حكاية اجمالية لما جرى بين موسى عليه السلام وبين فرعون اثر
حكاية ما ذكره عليه السلام بطريق التحليل لغاية الداعية الى قبول الحق والانقياد له وتصديرها
بالقسم لابراز كمال العناية بمضمونها واسناد الاراءة الى نون العظمة نظرا الى الحقيقة لا
الى موسى نظرا الى الظاهر لتهويل امر الآيات وتفخيم شأنها واظهار كمال شناعة اللعين وتماديه
في المكابرة والعناد اي وبالله لقد بصرناه او عرفناه آياتنا حين قال لموسى عليه السلام
ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين
ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين وصيغة الجمع مع كونهما اثنتين باعتبار ما في تضاعيفهما
من بدائع الامور التي كل منها آية بينة لقوم يعقلون حسبما يبين في تفسير قوله تعالى
اذهب انت واخوك بآياتي وقد ظهر عند فرعون امور اخر كل واحدة منها داهية
دهياء فانه روي عليه السلام لما القاها انقلبت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون
ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر فتوجه نحو فرعون فهرب واحدث
وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا من قومه فصاح فرعون يا
موسى انشدك بالذي ارسلك الا اخذته فاخذه فعاد عصا وروي انها انقلبت حية
ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني
بما شئت ويقول فرعون انشدك الخ ونزع يده من جيبه فاذا هي بيضاء للناظرين
بياضا نورانيا خارجا عن حدود العادات قد غلب شعاعه شعاع الشمس يجتمع عليه
النظارة تعجبا من امره ففي تضاعيف كل من الآيتين آيات جمة لكنها لما كانت غير
مذكورة صراحة اكدت بقوله تعالى كلها كانه قيل اريناه آياتنا بجميع مستتبعاتها
وتفاصيلها قصدا الى بيان انه لم يبق له في ذلك عذر ما ولا مساغ لعد بقية الآيات
التسع منها لما ان ظهورها على يده عليه السلام انما كان بعدما غلب السحرة على مهل في نحو من عشرين سنة
كما مر في تفسير سورة الاعراف ولا ريب في ان امر السحرة مترتب لعدو ابعد من ذلك
الاخذ منها ما جعل لاهلاكهم لا لارشادهم الى الايمان من فلق البحر وما ظهر بعد مهلكه
من الآيات الظاهرة لبني اسرائيل من نتق الجبل والحجر وسواهما الحجر الذي فرسبق ببراو
الذي انفجرت منه العيون وكذا ما بعدها من الآيات الظاهرة على الانبياء عليهم السلام

بناء

بناء على انه حكاية عليه السلام اياها لفرعون في حكم اظهارها بين يديه واراءته اياها
لاستحالة الكذب عليه السلام فان حكايته اياها لفرعون مما لم يجر ذكره ههنا على ان ما سيأتي من حمله
اظهاره على السحر والتصدي للمعارضة يأباه اباء بينا وينطق بان المراد بها ما ذكرناه قطعا
ولولا ذلك لساغ جعل ما فصله عليه السلام من افعاله تعالى الدالة على اختصاصه بالربوبية واحكامها
من جملة الآيات فكذب موسى عليه السلام من غير تردد وتأخير مع ما شاهد في يده من الشواهد
الناطقة بصدقه جحودا او عنادا وابى الايمان والطاعة لعتوه واستكباره وقيل كذب
بالآيات جميعا وابى ان يقبل شيئا منها اي ابى قبول الحق وقوله تعالى قال اجئتنا لتخرجنا
من ارضنا بسحرك يا موسى استئناف مبين لكيفية تكذيبه وابائه والهمزة لانكار
الواقع واستقباحه وادعاء انه امر محال والمجيء اما على حقيقته او بمعنى الاقبال على الامر
والتصدي له اي اجئتنا من مكانك الذي كنت فيه بعدما غبت عنا او اقبلت علينا
لتخرجنا بما اظهرته من السحر فان ذلك مما لا يصدر عن العاقل لكونه من باب محاولة المحال
وانما قاله تحاملا وحرصا على غاية المقت لموسى عليه السلام بايهام ان مراده عليه السلام ليس اخراج بني
اسرائيل من ايديهم بل اخراج القبط من وطنهم وحيازة اموالهم واملاكهم بالكلية حتى لا يتوجه
الى اتباعه احد ويبالغوا في المخاصمة وسمى ما اظهره عليه السلام من المعجزة الباهرة
سحرا لتجسيرهم على المقابلة ثم ادعى انه يعارضه بمثله فقال فلنأتينك بسحر مثله
والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها واللام جواب قسم محذوف كأنه قيل اذا كان كذلك فوالله
لنأتينك بسحر مثل سحرك فاجعل بيننا وبينك موعدا اي وعدا كما ينبئ عنه وصفه بقوله
تعالى لا نخلفه فان المناسب له لا المكان والزمان اي لا نخلف ذلك الوعد نحن ولا
انت وانما فوض اللعين امر الوعد الى موسى عليه السلام للاحتراز عن نسبته الى ضعف القلب
وضيق المجال واظهار الجلادة واراءة انه متمكن من تهيئة اسباب المعارضة وترتيب
آلات المغالبة طال الامد ام قصر كما ان تقديم ضميره على ضمير موسى عليه السلام وتوسيط كلمة النفي
بينهما للايذان بمسارعته الى عدم الاخلاف وان عدم اخلافه لا يوجب عدم اخلافه عليه السلام
ولذلك اكد النفي بتكرير حرفه وانتصاب مكانا سوى بفعل يدل عليه المصدر لا به فانه موصوف
او بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه فحينئذ يكون مطابقة في قوله تعالى قال
موعدكم يوم الزينة من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه
يومئذ او باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاول او وعدكم وعد
يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر في ان المراد به المصدر ومعنى سوى منتصفا
يستوي مسافته الينا واليك وهو في النعت كقولهم قوم عدى في الشذوذ وقرئ
بكسر السين قيل يوم الزينة يوم عاشوراء او يوم النيروز او يوم عيد كان لهم في كل عام
وانما عينه عليه السلام لظهور ... بالتفصيل لكمال وثوقه بكونه على الحق من امره وعدم
مبالاته بهم كان ذلك اليوم وقت ظهور غاية شوكتهم وليكون ظهور الحق وزهوق الباطل
الباطل في يوم مشهود على رؤوس الاشهاد ويشيع ذلك فيما بين كل حاضر وباد

كذلك

انه

ضحى عطف على اليوم او الزينة وقرئ على البنا للفاعل بالتاء على خطاب فرعون وبالياء على ان
الضمير له على سنن الملوك او اليوم فتولى فرعون اى انصرف عن المجلس فجمع كيده اى ما يكاد به
من السحرة وادواتهم ثم اتى اى الموعد ومعه ما جمعه من كيده وفي كلمة التراخي ايماء الى انه
لم يسارع اليه بل اتاه بعد بطء وتلعثم وقوله تعالى قال لهم موسى بطريق الاستيناف المبني على
السؤال ليعلم بان المرتب من احواله عليه السلم وحده المحتاج الى السؤال والبيان ليس الا
ما صدر عنه عليه السلم من الكلام واما اتيانه فغني عن التصريح به كأنه قيل فما
ذا صنع موسى عليه السلم عند اتيان فرعون بمن جمعه من السحرة فقيل قال لهم موسى بطريق النصح
ويلكم لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا آياته التي ستظهر على يدي سحرا كما فعل فرعون
فيسحتكم اى يستأصلكم بسببه بعذاب هائل لا يقادر قدره وقرئ فيسحتكم من الثلاثي
على لغة اهل الحجاز والاسحات لغة بني تميم ونجد وقد خاب من افترى اى على الله كائنا
من كان باى وجه كان فيدخل فيه الافتراء المنهي عنه دخولا اوليا او قد خاب فرعون المفتري
فلا تكونوا امثاله في الخيبة والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها فتنازعوا السحرة حين سمعوا كلا
مه عليه السلم كأن ذلك غاظهم فتنازعوا امرهم الذي اريد بهم من مغالبته عليه السلم وتشاوروا
وتناظروا بينهم في كيفية المعارضة وتجاذبوا اهداب القول في ذلك واسروا النجوى
اى من موسى عليه السلم لئلا يقف عليه فيدافعه وكان نجواهم ما نطق به قوله تعالى قالوا اى بطريق
التناجي والاسرار ان هذان لساحران الى آخر الآيات فانه تفسير له ونتيجة لتنازعهم وخلاصة
لما استقرت عليه آراؤهم بعد التناظر والتشاور وان مخففة من ان وقد اهملت عن العمل
واللام فارقة وقرئ ان ذان بدون اللام وقيل هي نافية واللام بمعنى الا اى ما هذان
الا ساحران وقرئ ان بالتشديد وهذان اسمها على لغة بلحارث بن كعب فانهم يعربون التثنية تقديرا
وقيل اسمها ضمير الشأن المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها جملة
من مبتدأ وخبر وفيهما ان اللام لا تدخل خبر المبتدأ وقيل اصله انه هذان لهما ساحران
فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقرئ ان هذين لساحران وهي قراءة
واضحة يريدان ان يخرجاكم من ارضكم اى مصر بالاستيلاء عليها بسحرهما الذي
اظهراه من قبل ويذهبا بطريقتكم المثلى اى بمذهبكم الذي هو افضل المذاهب
وامثلها باظهار مذهبهما واعلاء دينهما يريدون به ما كان عليه قوم فرعون لا طريقة
السحر فانهم ما كانوا يعتقدونه دينا وقيل ارادوا اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل لقول
موسى عليه السلم ارسل معنا بني اسرائيل وكانوا ارباب علم فيما بينهم ويأباه ان اخراجهم
من ارضهم انما يكون بالاستيلاء عليها تمكنا وتصرفا فكيف يتصور حينئذ نقل بني اسرائيل
الى الشام وحمل الاخراج على اخراج بني اسرائيل منها مع بقاء قوم فرعون على حالهم مما لا سبيل
اليه اصلا على ان هذه المقالة منهم للاغراء بالمبالغة في المغالبة والاهتمام
بالمناصبة فلا بد ان يكون ما خوفوهم به اشد المكاره واشقها عليهم ولا ريب في ان اخراج بني
اسرائيل من بينهم والذهاب بهم الى الشام وهم اعداؤهم ليس فيه كثير محذور بل وقيل

الطريقة

الطريقة اسم لوجوه القوم واشرافهم لانهم قدوة لغيرهم ولا يخفى ان تخصيص الاذهاب بهم
لا يناسب قوله تعالى فاجمعوا كيدكم تصريح بالمطلوب اثر تمهيد المقدمات والفاء
فصيحة اى اذا كان الامر كما ذكر من كونهما ساحرين يريدان بكم ما ذكر من الاخراج والاذهاب فازمعوا
كيدكم واجعلوه مجمعا عليه بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم وارموا عن قوس واحدة وقرئ فاجمعوا
من الجمع ويعضده قوله تعالى فجمع كيده اى فاجمعوا ادوات سحركم ورتبوها كما ينبغي ثم ائتوا
صفا اى مصطفين امروا بذلك لانه اهيب في صدور الرائين وادخل في استجلاب الرهبة
من المشاهدين قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة
واحدة وقيل كانوا اثنين وسبعين ساحرا اثنان من القبط والباقي من بني اسرائيل وقيل
تسعمائة ثلثمائة من الفرس وثلثمائة من الروم وثلثمائة من الاسكندرية وقيل خمسة عشر الفا
وقيل بضعة وثلثين الفا والله اعلم ولعل الموعد كان مكانا متسعا خاطبهم موسى عليه السلم
بما ذكر في قطر من اقطاره وتنازعوا امرهم في قطر آخر منه ثم امروا بان يأتوا وسطه على الوجه المذكور
وقد فسر الصف بالمصلى لاجتماع الناس فيه للاعياد والصلوات ووجه صحته ان يكون علما لمصلى
معين من المكان الموعود واما ارادة مصلى من المصليات فبعد تعيين المكان الموعود فلا مساغ
لها قطعا وقوله تعالى وقد افلح اليوم من استعلى اعتراض تذييلي من قبلهم مؤكد لما قبله
اى قد فاز بالمطلوب من غلب يريدون بالمطلوب ما وعدهم فرعون من الاجر والتقريب حسبما
نطق به قوله تعالى نعم وانكم لمن المقربين وعلقت انفسهم جميعا على طريقة قولهم بعزة فرعون انا لنحن
الغالبون او من غلب منهم حثا لهم على بذل المجهود في المغالبة هذا هو اللائق بتجاوب
اطراف النظم الكريم وما قيل كان نجواهم ان قالوا حين سمعوا مقالة موسى عليه السلم ما هذا
بقول ساحر وقيل كان ذلك ان قالوا ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل كان ذلك قولهم
ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله امر فيكون اسرارهم حينئذ من فرعون وملائه
ويحمل قولهم ان هذان لساحران الخ على انهم اختلفوا فيما بينهم على الاقاويل المذكورة
ثم رجعوا عن ذلك بعد التنازع والتناظر واستقرت آراؤهم على ذلك وابوا الا المنا
للمعارضة واما حمل ضمير قالوا على فرعون وملائه على انهم قالوا ذلك للسحرة ردا لهم عن
الاختلاف وامرا لهم بالاجماع والازماع واظهار الجلادة بالاتيان على وجه الاصطفاف
فمخل بجزالة النظم الكريم كما يشهد به الذوق السليم قالوا استيناف وقع جواب سؤال ناشئ من حكاية
ما جرى بين السحرة من المقاولة كانه قيل فماذا فعلوا بعد ما قالوا فقيل قالوا يا موسى وانما لم
يتعرض لاجماعهم واتيانهم بطريق الاصطفاف اشعارا بظهور امرهما وغنائهما عن البيان
اما ان تلقي اى ما تلقيه اولا على ان المفعول محذوف لظهوره او تفعل الالقاء اولا على ان
الفعل منزل منزلة اللازم واما ان نكون اول من القى ما يلقيه او اول من يفعل الالقاء
خيروه عليه السلم بما ذكر مراعاة للادب لما راوا منه عليه السلم ما راوا من مخايل الخير ورزانة
الرأي واظهارا للجلادة بارادة انه لا يختلف حالهم بالتقديم والتأخير وان مع ما في حيزها
منصوب بفعل مضمر او مرفوع بخبرية مبتدأ محذوف اى اختر الالقاء اولا او القاءنا
اولا او الامر الالقاء او القاءنا قال استيناف كما سلف ناشئ من حكاية تخيير السحرة اياه

عليه السلم

فقيل قال بل القوا انتم اولا للادب باحسن من ادبهم حيث بت القول بالقائهم اولا او اظهارا لعدم المبالاة
بسحرهم ومساعدة لما اوهموا من الميل الى البدء ليبرزوا ما معهم ويستفرغوا اقصى جهدهم ويستنفدوا
قصارى وسعهم ثم يظهر الله سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه لما علم ان ما
بيده سيلقف ما يصنعون من مكايد السحر فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى
الفاء فصيحة معربة عن مسارعتهم الى الالقاء كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق
اى فالقوا فاذا حبالهم وهي للمفاجاة والتحقيق انها الظرفية تستدعي متعلقا ينصبها وجملة
تضاف اليها لكنها خصت بكون المتعلق فعل المفاجاة والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجأ موسى وقت
ان يخيل اليه سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك انهم كانوا لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها
الشمس اضطربت واهتزت فخيل اليه انها تتحرك وقرئ تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال
والعصي وابدال انها تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ يخيل باسناده اليه تعالى وقرئ تخيل بحذف
احدى التاءين من تتخيل فاوجس في نفسه خيفة موسى اى اضمر فيها بعض خوف من مفاجاته
بمقتضى البشرية المجبولة على النفرة من الحيات والاحتراز عن ضررها المعتاد من اللسع ونحوه
وقيل من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه وليس بذلك كما ستعرفه وتاخير الفاعل لمراعاة
الفواصل قلنا لا تخف اى ما توهمت انك انت الاعلى تعليل لما يوجبه النهي من الانتهاء عن
الخوف وتقرير لغلبته على ابلغ وجه وآكده كما يعرب عنه الاستئناف وحرف التحقيق وتكرير
الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو المنبئ عن الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل والق ما في
يمينك اى عصاك كما وقع في سورة الاعراف وانما اوثر الابهام تهويلا لامرها وتفخيما
لشانها وايذانا بانها ليست من جنس العصي المعهودة المستتبعة للآثار المعتادة بل خارجة
عن حدود سائر افراد الجنس مبهمة الكنه مستتبعة لآثار غريبة وعدم مراعاة هذه النكتة عند
حكاية الامر في موضع آخر لا يستدعي عدم مراعاتها عند وقوع المحكي هذا وحمل الابهام على
التحقير بان يراد لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الذي في يدك فانه بقدرة الله
تعالى يتلقفها مع وحدته وكثرتها وصغره وعظمها يأباه ظهور حالها فيما سبق على ان تلك المعاني
انما يليق بما لو فعلت العصا ما فعلت وهي على هيئتها الاصلية وقد كان منها ما كان وقوله تعالى
تلقف ما صنعوا بالجزم جواب للامر من لقفه اذا ابتلعه والتانيث لكون ما عبارة
عن العصا اى تبتلع ما صنعوه من الحبال والعصي التي خيل اليك سعيها وخفتها والتعبير عنها
بما صنعوا للتحقير والايذان بالتمويه والتزوير وقرئ تلقف بتشديد القاف واسقاط احدى
التاءين من تتلقف وقرئ بالرفع على الحال او الاستئناف والجملة الامرية معطوفة على النهي متممة
بما في حيزها لتعليله موجبة لبيان كيفية غلبته عليه السلام وعلوه فان ابتلاع عصاه لاباطيلهم التي
منها اوجس في نفسه ما اوجس مما يقلع مادته بالكلية وهذا كما ترى صريح في ان خوفه عليه السلام
لم يكن مما ذكر من مخالجة الشك للناس وعدم اتباعهم له عليه السلام والا لعلل بما يزيله من الوعد
بما يوجب ايمانهم واتباعهم له عليه السلام وقوله عليه السلام انما صنعوا الخ تعليل لقوله تعالى تلقف
ما صنعوا وما اما موصولة او موصوفة اى ان الذي صنعوه او ان شيئا صنعوه كيد ساحر
بالرفع على انه خبر لان اى كيد جنس الساحر وتنكيره للتوسل به الى تنكير ما اضيف اليه للتحقير

وقرئ

وقرئ بالنصب على انه مفعول صنعوا وما كافة وقرئ كيد سحر على ان الاضافة للبيان كما في علم فقه او بمعنى
ذي سحر او بتسمية الساحر سحرا مبالغة وقوله تعالى ولا يفلح الساحر اى هذا الجنس حيث اتى
اى حيث كان واين اقبل من تمام التعليل وعدم التعرض لشان العصا وكونها معجزة الهية مع ما في ذلك
من تقوية التعليل للايذان بظهور امرها والفاء في قوله تعالى فالقي السحرة سجدا كما سلف فصيحة
معربة عن جمل وفيه يساق اليها النظم الكريم غنية عن التصريح بها لعدم احتمال تردد موسى عليه السلام
في الامتثال بالامر واستحالة عدم وقوع اللقف الموعود اى فالقاه عليه السلام فوقع ما وقع من
اللقف الموعود اى فالقاها عليه السلام فالقي السحرة سجدا لما تيقنوا ان ذلك ليس من باب السحر وانما
هي آية من آيات الله عز وجل روي ان رئيسهم قال كنا نغلب الناس وكانت الآلات تبقى علينا
فلو كان هذا سحرا فاين ما القيناه من الآلات فاستدل بتغير احوال الاجسام على الصانع القادر
العالم وبظهور ذلك على يد موسى عليه السلام على صحة رسالته فالقاهم ما شاهدوه على وجوههم وتابوا
وآمنوا واتوا بما هو غاية الخضوع وقيل لم يرفعوا رؤوسهم حتى راوا الجنة والنار وراوا الثواب
والعقاب وعن عكرمة لما خروا سجدا اراهم الله تعالى في سجودهم منازلهم في الجنة ولا ينافيه
قولهم انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا لكون تلك المنازل منازلهم باعتبار صدور هذا القول
عنهم قالوا استئناف كما مر غير مرة آمنا برب هرون وموسى تاخير موسى عند حكاية كلامهم
لرعاية الفواصل وقد جوز ان يكون ترتيب كلامهم ايضا هكذا اما لكبر سن هرون واما لمبالغة في الاحتراز
عن التوهم الباطل من جهة فرعون وقومه حيث كان فرعون ربى موسى عليه السلام في صغره فلو قدموا موسى
لربما توهم اللعين وقومه من اول الامر ان مرادهم فرعون قال اى فرعون للسحرة آمنتم له
اى لموسى عليه السلام واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع وقرئ على الاستفهام التوبيخي قبل ان
آذن لكم اى من غير اذن مني لكم في الايمان له كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات
ربي لا ان الاذن لهم في ذلك واقع بعد او متوقع انه يعني موسى عليه السلام لكبيركم
اى في فنكم واعلمكم به واستاذكم الذي علمكم السحر فتواطاتم على ما فعلتم او [illegible]
تلك الحيل عليكم وهذه شبهة زورها اللعين والقاها على قومه واراهم ان ايمان السحرة منوط
باذنه فلما كان ايمانهم بغير اذنه لم يكن معتدا به وانهم من تلامذة موسى عليه السلام فلا تتبعوه بما اظهره وذلك
لما اعتراه من الخوف من اقتداء الناس بالسحرة في الايمان بالله تعالى ثم اقبل عليهم بالوعيد
المؤكد حيث قال فلاقطعن اى فوالله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اى اليد اليمنى
والرجل اليسرى ومن ابتدائية كان القطع ابتدا من مخالفة العضو فان المبتدئ من العضو
مبتدئ من المعارض لصيانته ومجرورها في حيز النصب على الحالية اى لاقطعنها مختلفات
وتعيين ذلك الحاد للايذان بتحقيق الامر وايقاعه لا محالة بتعيين كيفيته المعهودة في باب
السياسة لا لانه اوفق بمزعومها ولاصلبنكم في جذوع النخل اى عليها وايثار كلمة في
للدلالة على ابقائهم عليها زمانا مديدا تشبيها لاستمرارهم عليها باستقرار المظروف في الظرف المشتمل
عليه ولتعلمن ايما او كثر صلب وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير وقرئ بالتخفيف ولتعلمن
ايانا يريد نفسه وموسى عليه السلام لقوله تعالى آمنتم له قبل ان آذن لكم واللام مع الايمان في
كتاب الله تعالى لغير الله تعالى وهذا اما لقصد توضيع موسى عليه السلام والهزء به لانه لم يكن من التعذيب

في شيء وإنما الإرادة أن إيمانهم لم يكن عن مشاهدة المعجزة ومعاينة البرهان بل كان عن خوف ورهبة من قبل موسى
عليه السلام حيث رأوا ابتلاع عصاه لحبالهم وعصيهم فخافوا على أنفسهم أيضاً وقيل يريد به رب موسى
الذي آمنوا به بقولهم آمنا برب هارون وموسى أشد عذاباً وأبقى أي أدوم قالوا أي السحرة غير مكترثين
بوعيده لن نؤثرك لن نختارك بالإيمان والاتباع على ما جاءنا من الله تعالى على يد موسى عليه السلام
من البينات من المعجزات الظاهرة التي ما جرت على يده عليه السلام من العصا كانت مشتملة على معجزات جمة كما
تحقيقه فيما سلف فإنهم كانوا يحاولون تبين حالها وتأنيها والذي فطرنا أي خلقنا وسائر
المخلوقات وهو عطف على ما جاءنا وتأخيره لأن ما في ضمنه آية عقلية نظرية وما شاهدوه آية
حسية ظاهرة وإيراده تعالى بعنوان فاطريته تعالى لهم للإشعار بعلة الحكم فإن خالقيته تعالى
لهم وكون فرعون من جملة مخلوقاته تعالى مما يوجب عدم إيثارهم له عليه سبحانه وتعالى وهذا جواب
منهم لتوبيخ فرعون بقوله آمنتم له قبل أن آذن لكم وقيل هو قسم محذوف الجواب لدلالة المذكور
عليه أي وحق الذي فطرنا لا نؤثرك ولا مساغ لكون المذكور جواباً له عند من يجوز تقديم
الجواب أيضاً لما أن القسم لا يجاب بلن إلا على شذوذ وقوله تعالى فاقض ما أنت قاض جواب
عن تهديده بقوله لأقطعن الخ أي فاصنع ما أنت صانعه أو فاحكم ما أنت حاكم به وقوله
تعالى إنما تقضي هذه الحياة الدنيا مع ما بعده تعليل لعدم المبالاة المستفاد مما سبق
من الأمر بالقضاء أي إنما تصنع ما تهواه أو تحكم بما تراه في هذه الحياة الدنيا فحسب وما لنا
من رغبة في عذبها ولا رهبة من عذابها إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا التي اقترفناها من الكفر
والمعاصي ولا يؤاخذنا بها في الدار الآخرة لا ليمتعنا بتلك الحياة الفانية حتى نتأثر بما أوعدتنا
به من القطع والصلب وقوله تعالى وما أكرهتنا عليه من السحر عطف على خطايانا أي ويغفر لنا
السحر الذي عملناه في معارضة موسى عليه السلام بإكراهك وحشرك إيانا من المدائن القاصية وخصوه
بالذكر مع اندراجه في خطاياهم إظهاراً لغاية نفرتهم عنه ورغبتهم في مغفرته وذكر الإكراه للإيذان
بأنه مما يجب أن يفرد بالاستغفار مع صدوره عنهم بالإكراه وفيه إشعار بالاستجلاب
المغفرة وقيل أرادوا الإكراه على تعلم السحر حيث روي أن رؤساءهم كانوا اثنين وسبعين اثنان منهم
من القبط والباقي من بني إسرائيل وكان فرعون أكرههم على تعلم السحر وقيل إنه أكرههم على المعارضة
حيث روي أنهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائماً ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا
بسحر فإن الساحر إذا نام بطل سحره فأبى إلا أن يعارضوه وأيا ما كان فلا ينافيه ما صدر عنهم من الرغبة
والنشاط كما يوجبه قولهم أئن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين وقولهم بعزة فرعون إنا لنحن
الغالبون والله خير أي في ذاته وهو ناظر إلى قولهم والذي فطرنا وأبقى أي جزاء ثواباً
كان أو عذاباً أو خير ثواباً وأبقى عذاباً وقوله تعالى إنه الخ تعليل من جهتهم
لكونه تعالى خيراً وأبقى جزاء وتحقيق له وإبطال لما ادعاه فرعون وتصديقه بما بعده الشأن
للتنبيه على فخامة مضمونه لأن مناط وضع الضمير موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وإبطال لما ادعاه
فرعون وتصديرها بضمير الشأن للتنبيه على فخامة مضمونها لأن مناط وضع الضمير موضعه عن
ذكره مع ما فيه من زيادة التقرير فإن الضمير لا يفهم منه من أول الأمر إلا شأن مبهم له خطر فيبقى
الذهن مترقباً لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن كأنه قيل إن الشأن الخطير هذا

اي تركه

أي قوله تعالى من يأت ربه مجرماً بأن مات على الكفر والمعاصي فإن له جهنم لا يموت فيها فينتهي
عذابه وهذا تحقيق لكون عذابه أبقى ولا يحيى حياة ينتفع بها ومن يأته مؤمناً به تعالى
وبما جاء من عنده من المعجزات التي من جملتها ما شاهدناه قد عمل الصالحات الصالحة كالحسنة
جارية مجرى الاسم ولذلك لا يذكر معها الموصوف وهي كل ما استقام من الأعمال بدليل
العقل والنقل فأولئك إشارة إلى من والجمع باعتبار معناها كما أن الإفراد في الفعلين السابقين
باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم أي فأولئك المؤمنون
العاملون الصالحات لهم بسبب إيمانهم وأعمالهم الصالحة الدرجات العلى أي المنازل الرفيعة
وليس فيه ما يدل على عدم اعتبار الإيمان المجرد عن العمل الصالح في استتباع الثواب لأن ما
نيط بالإتيان المقرون بالأعمال الصالحة هو الفوز بالدرجات العلى لا الثواب مطلقاً ... التناح
الاثنين جنات عدن بدل من الدرجات العلى أو بيان وقد مر أن عدناً علم لمعنى الإقامة والإ رص
جنة بقوله تعالى تجري من تحتها الأنهار حال من الجنات وقوله خالدين فيها حال من الضمير في
لهم والعامل معنى الاستقرار أو الإشارة وذلك إشارة إلى ما أتيح لهم من الفوز بما ذكر من
الدرجات العلى ومعنى البعد لما مر جزاء من تزكى أي تطهر من دنس الكفر والمعاصي
بما ذكر من الإيمان والأعمال الصالحة وهذا تحقيق لكون ثوابه تعالى أبقى وتقديم ذكر حال
المجرم للمسارعة إلى بيان أشدية عذابه ودوامه رداً على ما ادعاه فرعون بقوله أينا أشد عذاباً
وأبقى هذا وقد قيل هذه الآيات الثلاث ابتداء كلام من الله عز وجل قالوا لم يثبت في القرآن
أن فرعون فعل بأولئك المؤمنين ما أوعدهم به ولم يثبت في الأخبار ولقد أوحينا إلى موسى
حكاية إجمالية لما انتهى إليه أمر فرعون وقومه وقد طوي في البين ذكر ما جرى عليهم من الآيات
المفصلات الظاهرة على يد موسى عليه السلام بعدما غلب السحرة في نحو من عشرين سنة حسبما فصل في
سورة الأعراف وتصديرها بالقسم لإبراز كمال العناية بمضمونها وأن في قوله تعالى أن أسر بعبادي
إما مفسرة لأن في الوحي معنى القول أو مصدرية حذف عنها الجار والتعبير عنهم بعنوان كونهم
عباده تعالى لإظهار الرحمة والاعتناء بأمرهم والتنبيه على غاية قبح صنيع فرعون بهم حيث استعبدهم
وهم عباده عز وجل وفعل بهم من فنون الظلم ما فعل أي وبالله لقد أوحينا إليه عليه السلام أن
أسر بعبادي الذين أرسلتك لإنقاذهم من ملكة فرعون أي اسر بهم من مصر ليلاً فاضرب لهم أي
فاجعل أو فاتخذ لهم طريقاً في البحر يبساً أي يابساً على أنه مصدر وصف به الفعل مبالغة وقرئ
يبساً وهو إما مخفف منه أو وصف كصعب أو جمع يابس كصحب وصف به الواحد مبالغة أو لتعدده
حسب تعدد الأسباط لا تخاف دركاً حال من الأمور أي آمناً من أن يدرككم العدو أو صفة
أخرى لطريقاً والعائد محذوف وقرئ لا تخف جواباً للأمر ولا تخشى عطف على لا تخاف داخل
في حكمه أي لا تخشى الغرق وعلى قراءة الجزم استئناف أي وأنت لا تخشى أو عطف عليه والألف للإطلاق
كما في قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا وتقديم نفي الخوف المذكور للمسارعة إلى إزاحة ما
كانوا عليه من الخوف العظيم حيث قالوا إنا لمدركون فأتبعهم فرعون بجنوده أي تبعهم ومعه جنوده
حتى لحقهم يقال أتبعهم أو تبعهم وذلك إذا كانوا سبقوك فلحقتهم ويؤيده أنه قرئ فاتبعهم
من الافتعال وقيل المعنى أتبعهم فرعون نفسه فحذف المفعول الثاني وقيل الباء زائدة والمعنى

فاتبعهم فرعون بجنوده اى سائقا جنوده خلفهم وايا ما كان فالفاء فصيحة معربة عن مضمر لا طى فى كونه
نفسه بغاية ظهوره وايذانا بكمال مسارعة موسى عليه السلام الى الامتثال بالامر اى ففعل ما امر به
من الاسراء بهم وضرب الطريق وسلوكه فاتبعهم فرعون بجنوده برا وبحرا روى ان
موسى عليه السلام خرج بهم اول الليل وكانوا ستمائة وسبعين الفا فاخبر فرعون بذلك فاتبعهم
بعساكره وكانت مقدمته سبعمائة الف فقصهم ثم تبعتهم حتى جاوزوا فعند ذلك ضرب عليه السلام
بعصاه البحر فانفلق على اثنى عشر فرقا كل فرق كالطود العظيم فعبر موسى عليه السلام ومن معه
من الاسباط سالمين واتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم اى علاهم منه
وغمرهم ما غمرهم من الامر الهائل الذى لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه وقيل غشيهم ما
سمعت قصته وليس بذاك فان مدار التهويل والتفخيم خروجه عن حدود الفهم والوصف
لا سماع قصته وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم اى غطاهم ما غطاهم والفاعل هو الله
تعالى او ما غشاهم او فرعون لانه الذى ورطهم للهلكة وايا ما كان فالاظهار فى موقع الاضمار
تعالى واضل فرعون قومه اى سلك بهم مسلكا اداهم الى الخسران فى الدين والدنيا
حيث ماتوا على الكفر بالعذاب الهائل الدنيوى المتصل بالعذاب الخالد الاخروى وقوله
تعالى وما هدى اى ما ارشدهم قط الى طريق موصل الى مطلب من المطالب الدينية والدنيوية
تقرير لاضلاله وتاكيد له اذ رب مضل قد يرشد من يضله الى بعض مطالبه وفيه نوع تهكم
به فى قوله تعالى وما اهديكم الا سبيل الرشاد فان نفى الهداية من شخص مشعر بكونه ممن يتصور منه
الهداية فى الجملة وذلك انما يتصور فى حقه بطريق التهكم وحمل الاضلال والهداية على ما
يختص بالدينى منهما يأباه مقام بيان سوقه بجنوده الى مساق الهلاك الدنيوى وجعله
عبارة عن الاضلال فى البحر والانجاء مما لا يقبله العقل السليم يا بنى اسرائيل حكاية لما
خاطبهم الله تعالى بعد اغراق فرعون وقومه وانجائهم منهم لكن لا عقيب ذلك بل بعد
ما افاض عليهم من فنون النعم الدينية والدنيوية ما افاض وقيل هو انشاء خطاب للذين
كانوا منهم فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم على معنى انه تعالى قد من عليهم بما فعل فى آبائهم اصالة
وبهم تبعا ويرده ما سيأتى من قوله تعالى وما اعجلك الآية ضرورة استحالة حمله على الانشاء
فالوجه هو الحكاية بتقدير قلنا عطفا على اوحينا اى وقلنا يا بنى اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم
فرعون وقومه حيث كانوا يبغونكم الغوائل ويسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون
نساءكم وقرئ انجيتكم وواعدناكم جانب الطور الايمن بالنصب على انه صفة للمضاف
وقرئ بالجر للجوار اى واعدناكم بواسطة نبيكم اتيان جانبه الايمن نظرا الى السالك من
مصر الى الشام اى اتيان موسى عليه السلام للمناجاة وانزال التوراة عليه ونسبة المواعدة اليهم
مع كونها لموسى نظرا الى ملابستها اياهم وسراية منفعتها اليهم وايفاء لمقام الامتنان حقه
كما فى قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم حيث نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين
مع ان المخلوق المصور بالذات هو آدم عليه السلام وقرئ واعدتكم ووعدتكم ووعدناكم ونزلنا
عليكم المن والسلوى اى الترنجبين والسمانى حيث كان ينزل عليهم المن وهم فى التيه
مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع ويبعث الجنوب عليهم السمانى فيذبح الرجل

منهم

منهم ما يكفيه كلوا جملة مستانفة مسوقة لبيان اباحة ما ذكر لهم واتماما للنعمة عليهم من طيبات
ما رزقناكم اى من لذائذه او حلالاته وقرئ رزقتكم وفى البدء بنعمة الانجاء ثم بالنعمة الدينية ثم بالنعمة
الدنيوية من حسن النظم ولطف الترتيب ما لا يخفى ولا تطغوا فيه اى فيما رزقناكم بالاخلال بشكره
والتعدى لما حد لكم فيه كالسرف والبطر والمنع من المستحق فيحل عليكم غضبى جواب للنهى اى
يلزمكم عقوبتى ويجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى اى
تردى وهلك وقيل وقع فى الهاوية وقرئ يحل بضم الحاء من حل يحل اى نزل وانى لغفار
لمن تاب من الشرك والمعاصى التى من جملتها الطغيان فيما ذكر وآمن بما يجب الايمان به وعمل
صالحا اى عملا صالحا مستقيما عند الشرع والعقلاء وفيه ترغيب لمن وقع منه الطغيان فيما
ذكر وحث على التوبة والايمان وقوله تعالى ثم اهتدى اى استقام على الهدى اشارة الى ان من
لم يستمر عليه بمعزل من الغفران وثم للتراخى الرتبى وما اعجلك عن قومك يا موسى حكاية لما
جرى بينه تعالى وبين موسى عليه السلام من الكلام عند ابتداء موافاته الميقات بموجب المواعدة
المذكورة اى وقلنا له اى شىء اعجلك منفردا عن قومك وهذا كما ترى سؤال عن سبب تقدمه على
النقباء مسوق لانكار انفراده عنهم لما فى ذلك بحسب الظاهر من مخايل اغفالهم وعدم الاعتداد
بهم مع كونه مأمورا باستصحابهم واحضارهم معه لا لانكار نفس العجلة الصادرة عنه عليه السلام لكونها
نقيصة منافية للحزم اللائق باولى العزم ولذلك اجاب عليه السلام بنفى الانفراد والمنافى للاستصحاب
والمعية حيث قال هم اولاء على اثرى يعنى انهم معى وانما سبقتهم بخطى يسيرة ظننت انها لا تخل
بالمعية ولا تقدح فى الاستصحاب فان ذلك مما لا يعتد به فيما بين الرفقة اصلا وبعد ما ذكر
عليه السلام ان تقدمه ذلك ليس لامر منكر ذكر انه لامر مرضى حيث قال وعجلت اليك رب لترضى
اى عجلت الى الامتثال بامرك والوفاء بعهدك وزيادة رضاك بالمبادرة والايفاء ل
رغبة فى قبول العذر قال استيناف مبنى على سؤال ناشئ من حكاية اعتذاره عليه السلام ومن السر فى
وروده على صيغة الغائب لانه التفات من التكلم الى الغيبة لا انه المعتبر فيما سبق من الحكاية
على صيغة التكلم كانه قيل من جهة السامعين فماذا قال له ربه حينئذ فقيل قال فانا قد فتنا قومك
من بعدك اى ابتليناهم بعبادة العجل من بعد ذهابك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون
عليه السلام وكانوا ستمائة الف ما نجا منهم من عبادة العجل الا اثنا عشر الفا والمراد بالاخبار
بما ذكر من الابتلاء على اخبار موسى عليه السلام بمجيئه لكن لا لان الاخبار به بسبب موجب للاخبار به
بل لما بينهما من المناسبة المصححة للانتقال من احدهما الى الآخر من حيث ان مدار الابتداء الذكر عجلة
القوم فانه روى انهم اقاموا على ما وصى به موسى عليه السلام عشرين ليلة بعد ذهابه فحسبوها مع ايامها
اربعين وقالوا قد اكملنا العدة ثم ليس من موسى عليه السلام عين ولا اثر واضلهم السامرى حيث كان
هو المدبر فى الفتنة فقال لهم انما اخلف موسى عليه السلام ميعادكم لما معكم من حلى القوم وهو حرام عليكم
فكان مدار الفتنة العجلة فان قلت ما كان فاخباره تعالى بوقوع هذه الفتنة عند قدومه عليه السلام اما باعتبار
تحققها فى علمه تعالى ومشيئته واما بطريق التعبير عن المتوقع بالواقع كما فى قوله تعالى ونادى
اصحاب الجنة ونظائرها او لان السامرى كان قد عزم على ايقاع الفتنة عند ذهاب موسى
عليه السلام وتصدى لترتيب مباديها وتمهيد مبانيها فكانت الفتنة واقعة عند الاخبار بها وقرئ

وانهم السامري عطف على صيغة التفضيل اي اشدهم ضلالا لانه ضال ومضل والسامري منسوب الى قبيلة
من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من اهل باجرما واسمه موسى بن
ظفر وكان منافقا قد اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فرجع موسى الى قومه عند
رجوعه المعهود اي بعدما استوفى الاربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة واخذ التوراة لا عقيب الاخبار بالفتنة
فسببية الفاء لما بعدها انما هي باعتبار قيد الرجوع المستفاد من قوله تعالى غضبان اسفا
لا باعتبار نفسه وان كانت داخلة عليه حقيقة فان كون الرجوع بعد تمام الاربعين
امر مقرر لا يذهب الوهم الى كونه عند الاخبار بالفتنة كما اذا قلت شايعت الحجاج
ودعوت لهم بالسلامة ورجعوا سالمين فان الفاء لا تدل على ان المراد رجوعهم المستعاد
المعتاد لا رجوعهم اثر الدعاء وان سببه الدعاء باعتبار وصف السلامة لا باعتبار
نفس الرجوع والاسف الشديد الغضب وقيل الحزين قال استئناف مبني على سؤال نشأ
من حكاية رجوعه كذلك كأنه قيل فماذا فعل بهم فقيل قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا
حسنا بان يعطيكم التوراة فيها ما فيها من النور والهدى والهمزة لانكار عدم الوعد
ونفيه وتقرير وجوده على ابلغ وجه واكده اي وعدكم بحيث لا سبيل لكم الى انكاره والفاء
في قوله تعالى افطال عليكم العهد اي الزمان للعطف على مقدر والهمزة لانكار المعطوف
ونفيه فقط اي وعدكم ذلك فطال زمان الانجاز فاخطأتم بسببه ام اردتم ان يحل
اي يجب عليكم غضب شديد لا يقادر قدره كائن من ربكم اي من مالك امركم على الاطلاق
فاخلفتم موعدي اي وعدكم اياي بالثبات على امتثال امري الى ان ارجع من الميقات على اضافة
المصدر الى مفعوله للقصد الى زيادة تقبيح حالهم فان اخلافهم الوعد الجاري فيما بينهم وبينه
عليه السلام من حيث اضافته اليه عليه السلام اشنع منه من حيث اضافته اليهم والفاء لترتيب ما بعدها
على كل واحد من شقي الترديد على سبيل البدل كأنه قيل اتمم الوعد بطول العهد فاخلفتموه
خطأ ام اردتم حلول الغضب عليكم فاخلفتموه عمدا واما جعل الموعد مصدرا مضافا الى فاعله وحمل
اخلافه على معنى وجدان الخلف فيه اي فوجدتم الخلف في موعدي لكم بالعود بعد الاربعين
فمما لا يساعده السياق ولا السباق اصلا قالوا ما اخلفنا موعدك اي وعدنا اياك
الثبات على ما امرتنا به وايثاره على ان يقال بوعدنا على اضافة المصدر الى فاعله لما انه
بملكنا اي بان ملكنا امورنا يعنون انا لو خلينا وامورنا ولم يسول السامري ما سوله مع
مساعدة بعض الاحوال لما اخلفناه وقرئ بملكنا بكسر الميم وضمها وكل ذلك في مصدر ملكت
الشيء ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم استدراك عما سبق واعتذار عما فعلوا ببيان
منشأ الخطأ وقرئ حملنا بالتخفيف اي حملنا احمالا من حلي القبط التي استعاروها منهم
حين هموا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل كانوا استعاروها لعيد كان لهم ثم لم يردوها
اليهم عند الخروج مخافة ان يقفوا على امرهم وقيل هي ما القاه البحر على الساحل بعد اغراقهم
فاخذوها ولعل تسميتهم لها اوزارا لانها تبعات وآثام حيث لم تكن الغنائم تحل حينئذ فقذفناها
اي في النار سعيا في الخلاص عن ذنبها فكذلك اي فمثل ذلك القذف القى السامري اي ما
كان معه منها وقد كان اراهم انه ايضا يلقي ما كان معه من الحلي فقالوا ما قالوا على زعمهم وانما

كان

كان الذي القاه التربة التي اخذها من اثر الرسول كما سيأتي روي انه قال لهم انما تأخر موسى
عنكم لما معكم من الاوزار فالرأي ان نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف فيه كل ما معنا ففعلوا
فاخرج لهم عجلا لهم اي للقائلين من تلك الحلي المذابة وتأخيره مع كونه مفعولا صريحا عن الجار
والمجرور لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه نوع طول يخل تقديمه
بتجاوب اطراف النظم الكريم فان قوله تعالى جسدا اي جثة ذا دم ولحم او جسدا من ذهب لا روح
له بدل منه وقوله تعالى له خوار اي صوت عجل نعت له فقالوا اي السامري ومن افتتن به اول ما
رآه هذا الهكم واله موسى فنسي اي غفل عنه موسى وذهب يطلبه في الطور هذا حكاية نتيجة فتنة
السامري فعلا وقولا من جهته تعالى قصدا الى زيادة تقريرها ثم ترتيب الانكار عليها لا من جهة
القائلين والا لقيل فاخرج لنا فالحمل على ان عدولهم الى ضمير الغيبة لبيان ان الاخراج
والقول المذكورين للكل لا للعبدة فقط خلاف الظاهر مع انه مخل باعتذارهم فان مخالفة
بعضهم للسامري وعدم افتتانهم بتسويله مع كون الاخراج والخطاب لهم مما يهون مخالفة المعتذرين
فافتتانهم بتسويله اعظم جناية واكثر شناعة واما ما قيل من ان المعتذرين هم الذين لم يعبدوا
العجل وان نسبة الاخلاف الى انفسهم وهم برآء منه مجاز لوقوعه فيما بينهم او لان قلوا
ان القائلين اعجبهم كأنهم قالوا انا وجدنا الاخلاف فيما بيننا باعتبار تمكن الشبهة
في قلوب العبدة حيث فعل السامري ما فعل فاخرج لهم ما اخرج وقال ما قال فلم يقدر على منعهم
عن ذلك ولم نفارقهم مخافة ازدياد الفتنة فيقضي بفساده سياق النظم الكريم وسياقه وقوله تعالى
افلا يرون الخ انكار وتقبيح من جهته تعالى لحال الضالين والمضلين جميعا وتسفيه لهم فيما اقدموا
عليه من المنكر الذي لا يشتبه بطلانه واستحالته على احد وهو اتخاذه والفاء للعطف على مقدر يقتضيه
المقام اي الا يتفكرون فلا يعلمون الا يرجع اليهم قولا اي انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا
فكيف يتوهمون انه اله وقرئ يرجع بالنصب قالوا فالرؤية حينئذ بصرية فان ان الناصبة لا تقع بعد
افعال اليقين اي الا ينظرون فلا يبصرون عدم رجعه اليهم قولا من الاقوال وتعليق الابصار
بما ذكر مع كونه امرا عدميا للتنبيه على كمال ظهوره المستدعي لمزيد تشنيعهم وتركيك عقولهم وقوله
تعالى ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا عطف على لا يرجع داخل معه في حيز الرؤية اي افلا يرون انه
لا يقدر على ان يدفع عنهم ضرا او يجلب لهم نفعا او لا يقدر على ان يضرهم ان لم يعبدوه او ينفعهم ان عبدوه
ولقد قال لهم هارون من قبل جملة قسمية مؤكدة لما قبلها من الانكار والتشنيع ببيان عتوهم
واستعصائهم على الرسول اثر بيان مكابرتهم لقضية العقول اي وبالله لقد نصح لهم هارون ونبههم
على كيفية الامر من قبل رجوع موسى اليهم وخطابه اياهم بما ذكر من المقالات وقيل من قبل قول
السامري كأنه اول ما وقع عليه بصره حين طلع من الحفرة توهم منهم الافتتان به فسارع الى تحذيرهم وقال
لهم يا قوم انما فتنتم به اي اوقعتم في الفتنة بالعجل او اضللتم به على توجيه القصر المستفاد
من كلمة انما الى نفس الفعل بالقياس الى مقابله الذي يدعيه القوم لا الى قيده المذكور بالقياس
الى قيد آخر على معنى انما فعل بكم الفتنة لا الارشاد الى الحق لا على معنى انما فتنتم بالعجل لا بغيره
وقوله تعالى وان ربكم الرحمن بكسر ان عطف على انما ارشاد لهم الى الحق اثر زجرهم عن
الباطل والتعرض لعنوان الربوبية والرحمة للاعتناء باستمالتهم الى الحق كما ان التعرض لوصف

العجل الاهتمام بالرجوع عن الباطل اما ان ربكم المستحق للعبادة هو الرحمن لا غير والفاء في قوله تعالى
فاتبعوني لترتيب ما بعدها على ما قبلها من مضمون الجملتين اما اذا كان الامر كذلك فاتبعوني
في الثبات على الدين واطيعوا امري هذا واتركوا عبادة ما عرفتم شأنه قالوا في جواب هرون
لن نبرح عليه على العجل وعبادته عاكفين مقيمين حتى يرجع الينا موسى جعلوا
رجوعه عليه السلام اليهم غاية لعكوفهم على عبادة العجل لكن لا على طريق الوعد بتركها عند رجوعه
بل بطريق التعلل والتسويف وقد دسوا تحت ذلك انه لا يرجع بشيء مبين تعويلا على مقالة السامري
روي انهم لما قالوه اعتزلهم هرون عليه السلام في اثني عشر الفا وهم الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى
وسمع الصياح وكانوا يرقصون حول العجل قال للسبعين الذين كانوا معه هذا صوت الفتنة
فقال لهم ما قال وسمع منهم ما قالوا وقوله تعالى قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية
جوابهم لهرون كأنه قيل فماذا قال موسى لهرون حين سمع جوابهم له وهل رضي بسكوته بعدما
شاهد منهم ما شاهد فقيل قال له وهو مغتاظ قد اخذ بلحيته ورأسه يا هرون ما منعك
اذ رأيتهم ضلوا بعبادة العجل وبلغوا من المكابرة الى ان شافهوك بتلك المقالة الشنعاء
الا تتبعني اي ان تتبعني على ان لا مزيدة وهو مفعول ثان لمنع وهو عامل في اذ اي اي شيء
منعك حين رؤيتك لضلالهم من ان تتبعني في الغضب لله تعالى والمقاتلة مع من كفر به وقيل
المعنى ما حملك على ان لا تتبعني فان المنع عن الشيء مستلزم للحمل على مقابله وقيل ما
منعك ان تلحقني وتخبرني بضلالهم فتكون مفارقتك مزجرة لهم وليس ان انصاح هرون
حيث لم يزجرهم عما كانوا عليه فلان لا يزجرهم مفارقته اياهم عنه اولى والاعتذار بانهم اذا
علموا انه يلحقه ويخبره عليهما السلام بالقصة يخافون رجوع موسى فيرجعون عن ذلك بمعزل
من حيز القبول كيف لا وهم قد صرحوا بانهم عاكفون عليه الى حين رجوعه افعصيت امري
اي بالصلابة في الدين والمحاماة عليه فان قوله عليه السلام اخلفني متضمن للامر بهما
حتما فان الخلافة لا تتحقق الا بحالة تقتضيه امري قال يا ابن ام خص الام بالاضافة
استعطافا وترقيقا لقلبه لا لما قيل من انه كان اخاه لامه فان الجمهور على انهما كانا
شقيقين لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اي بشعر رأسي فانه كان اخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته
بشماله من شدة غيظه وفرط غضبه لله تعالى وكان عليه السلام حديدا متصلبا في كل شيء فلم يتمالك
حين رآهم يعبدون العجل ففعل ما فعل وقوله تعالى اني خشيت الخ استئناف مسوق
لتعليل موجب النهي ببيان الداعي الى ترك المقاتلة وتحقيق انه غير عاص لامره بل ممتثل به
اي اني خشيت لو قاتلت بعضهم ببعض وتفانوا وتفرقوا ان تقول فرقت بين بني اسرائيل
برأيك مع كونهم ابناء واحد كما ينبئ عنه ذكرهم بذلك العنوان دون القوم ونحوه واراد
عليه السلام بالتفريق ما يستتبعه القتال من التفريق الذي لا يرجى بعده الاجتماع ولم ترقب قولي
يريد به قوله اخلفني في قومي واصلح الخ يعني اني رأيت ان الاصلاح في حفظ الدهماء
والمداراة معهم الى ان ترجع اليهم فلذلك استأنيتك لتكون انت المتدارك الامر حسبما
رأيت لا سيما وقد كانوا في غاية القوة ونحن على القلة والضعف كما يعرب عنه
قوله تعالى ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني قال استئناف وقع جوابا عما

نشأ من حكاية ما سلف من اعتذار القوم باسناد الفساد الى السامري واعتذار هرون كأنه
قيل فماذا صنع موسى بعد سماع ما حكي من الاعتذارين واستقرار اصل الفتنة على السامري
فقيل قال موبخا له هذا شأنهم فما خطبك يا سامري اي ما شأنك وما مطلوبك فيما
فعلت خاطبه بذلك ليظهر للناس بطلان كيده باعترافه ويفعل به وبما صنعه من العقاب
ما يكون نكالا للمفتونين به ولمن خلفهم من الامم قال اي السامري مجيبا له بصرت بما لم يبصروا به
بضم الصاد فيهما وقرئ بكسرها في الاولى وفتحها في الثانية وقرئ بالتاء على الخطاب
موسى وقومه اي علمت ما لم يعلمه القوم وفطنت لما لم يفطنوا له او رأيت ما لم يروه وهو الانسب
بما سيأتي من قوله وكذلك سولت لي نفسي لا سيما على القراءة بالخطاب فان ادعاء علم ما لم يعلمه
موسى جراءة عظيمة لا تليق بشأنه ولا بمقامه بخلاف ادعاء رؤية ما لم يره فانه مما يقع بحسب ما
يتفق وقد كان رأى ان جبريل جاء راكب فرس وكان كلما رفع الفرس يديه او رجليه على
الطريق اليابس يخرج من تحته النبات في الحال فعرف ان له شأنا فاخذ من موطئه حفنة
وذلك قوله تعالى فقبضت قبضة من اثر الرسول وقرئ من اثر فرس الرسول اي من تربة
موطئ فرس الملك الذي ارسل اليك ليذهب بك الى الطور ولعل ذكره بعنوان الرسالة
للاشعار بوقوفه على ما لم يقف عليه القوم من الاسرار الغيبية تأكيدا لما صدر به مقالته
والتنبيه على وقت اخذ ما اخذه والقبضة المرة من القبض اطلقت على المقبوض مرة وقرئ
بضم القاف وهو اسم للمقبوض كالغرفة والمضغة وقرئ فقبصت قبصة بالصاد المهملة
والاول للاخذ بجميع الكف والثاني باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم فنبذتها اي في
الحلي المذابة فكان ما كان وكذلك سولت لي نفسي اي ما فعلته من القبض والنبذ فقوله
تعالى ذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده ومحل الكاف في الاصل النصب على انه مصدر
تشبيهي اي نعت لمصدر محذوف والتقدير سولت لي نفسي تسويلا كائنا مثل ذلك التسويل
فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة لافادة تأكيد ما افاده اسم الاشارة
من الفخامة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي ذلك التسويل البديع زينته لي نفسي
ما فعلته لا تسويلا ادنى منه ولذلك فعلته وحاصل جوابه ان ما فعلته انما صدر عنه بمحض
اتباع هوى النفس الامارة بالسوء واغوائها لا لشيء آخر من البرهان العقلي والالهام الالهي
فعند ذلك قال عليه السلام فاذهب اي من بيننا الناس وقوله تعالى فان لك في الحيوة الخ
تعليل لموجب الامر وفي متعلقة بالاستقرار في لك اي ثابت لك في الحيوة او بمحذوف
وقع حالا من الكاف والعامل معنى الاستقرار في الظرف المذكور لاعتماده على ما هو مبتدأ
معنى لا بقوله تعالى ان تقول لا مساس لمكان ان اي ثابت لك كائنا في الحيوة اي مدة
حياتك ان تفارقهم مفارقة كلية لكن لا بحسب الاختيار بموجب التكليف بل بحسب الاضطرار
الملجئ اليها وذلك انه تعالى رماه بداء عقام لا يكاد يمس احدا او يمسه احد كائنا من
كان الا حم من ساعته حمى شديدة فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح باقصى طوقه
لا مساس وحرم عليهم ملاقاته ومواجهته ومكالمته ومبايعته وغيرها مما يعتاد

جزاية فيما بين الناس من المعاملات وما بين الناس او احسن من التقابل للاحيا الى الحكم لمن الحي
المنافق في البر ونسيانه ان قوته باقيهم تلك الحالة اليوم وقرئ لا مساس كفجار وهو علم
للمسة ولعل السر في مقابلة جنايته بتلك العقوبة خاصة ما بينهما من مناسبة التضاد فانه لما
انشاء الفتنة بما كانت ملابسته سببا لحيوة الموات عوقب بما يضاده حيث جعلت ملابسته سببا
للحمى التي هي من اسباب موت الاحياء وان لك موعدا اي في الاخرة لن تخلفه اي لن يخلفك الله
ذلك الموعد بل ينجزه البتة بعدما عاقبك في الدنيا وقرئ بكسر اللام والاظهر انه من اخلفت
الموعد اي وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله عز وجل وانظر الى الهك الذي ظلت
عليه عاكفا اي ظللت مقيما على عبادته فحذفت اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء بنقل
حركة اللام اليها لنحرقنه جواب قسم محذوف اي بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه من الاحراق
وقيل بالمبرد على انه مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه ثم لننسفنه اي لنذرينه
وقرئ بضم السين في اليم رمادا او مبرودا كانه هباء نسفا بحيث لا يبقى منه عين ولا اثر
ولقد فعل عليه السلام ذلك كله كما يشهد به الامر بالنظر وانما لم يصرح به تنبيها على كمال ظهوره واستحالة
الخلف في وعده المؤكد باليمين انما الهكم الله استئناف مسوق لتحقيق الحق اثر ابطال
الباطل بتلوين الخطاب وتوجيهه الى الكل اي انما معبودكم المستحق للعبادة الله الذي
لا اله في الوجود لشيء من الاشياء الا هو وحده من غير ان يشاركه شيء من الاشياء بوجه من الوجوه
التي من جملتها احكام الالوهية وقرئ الله لا اله الا هو الرحمن رب العرش وقوله تعالى وسع
كل شيء علما اي وسع علمه كل ما من شانه ان يعلم بدل من الصلة كانه قيل انما الهكم الذي
وسع كل شيء علما لا غيره كائنا ما كان فيدخل فيه العجل دخولا اوليا وقرئ وسع بالتشديد
فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه على القراءة الاولى فاعل حقيقة وبنقل الفعل الى التعدية
الى المفعولين صار مفعولا على معنى الاول كانه قيل وسع علمه كل شيء وبه تم حديث موسى عليه السلام
المذكور لتقرير التوحيد حسبما نطقت به خاتمته كذلك نقص عليك كلام مستانف خوطب به
النبي صلى الله عليه وسلم بطريق الوعد الجميل بتنزيل امثال ما مر من انباء الامم السالفة وذلك
اشارة الى اقتصاص حديث موسى عليه السلام وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته
في الفضل ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي نقص عليك من انباء ما قد سبق
من الحوادث الماضية الجارية على الامم الخالية قصصا مثل ذلك القص المار والتقديم للقصر
المفيد لزيادة التعيين ومن في قوله تعالى من انباء في حيز النصب اما على انه مفعول نقص باعتبار
مضمونه واما على انه متعلق بمحذوف هو صفة للمفعول كما في قوله تعالى ومنا دون ذلك اي
جمع دون ذلك والمعنى نقص عليك بعض انباء ما قد سبق او بعضا كائنا من انباء ما قد سبق
وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الخ وتاخيره عن عليك لما مر مرارا
من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر اي مثل ذلك القص البديع الذي سمعته نقص عليك
ما ذكر من الانباء لا قصا ناقصا عنه تبصرة لك وتوفيرا لعلمك وتكثيرا لمعجزاتك وتذكيرا للمستبصرين
من امتك وقد آتيناك من لدنا ذكرا اي كتابا منطويا على هذه الاقاصيص والاخبار

حقيقا

حقيقا بالتفكر والاعتبار وكلمة من متعلقة بآتيناك وتنكير ذكرا للتفخيم وتاخيره عن الجار
والمجرور لما ان مرجع الافادة في الجملة كون المؤتى من لدنه تعالى ذكرا عظيما وافيا كريما
جامعا لكل كمال لا كون ذلك الذكر مؤتى من لدنه عز وجل مع ما فيه من نوع طول بما
بعده من الصفة فتقديمه يذهب برونق النظم الكريم من اعرض عنه عن ذلك الذكر
العظيم الشان المستتبع لسعادة الدارين وقيل عن الله عز وجل ومن اما شرطية او موصولة
واياما كانت فالجملة صفة لذكرا فانه اي المعرض عنه يحمل يوم القيمة وزرا اي عقوبة ثقيلة
فادحة على كفره وسائر ذنوبه وتسميتها وزرا اما لتشبيهها في ثقلها على المعاقب وصعوبة
احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره او لانها جزاء الوزر وهو الاثم والاول
هو الانسب بما سياتي من تسميتها حملا وقوله تعالى خالدين فيه اي في الوزر او في احتماله المستمر
حال من المستكن في يحمل والجمع بالنظر الى معنى من لما ان الخلود في النار مما يتحقق حال اجتماع
اهلها كما ان الافراد فيما سبق من الضمائر الثلاثة بالنظر الى لفظها وساء لهم يوم القيمة حملا
اي بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف اي ساء حملا وزرهم واللام
للبيان كما في هيت لك كانه لما قيل ساء قيل لمن يقال هذا فاجيب لهم واعادة يوم القيمة لزيادة
التقرير وتهويل الامر يوم ينفخ في الصور بدل من يوم القيمة او منصوب باضمار اذكر او
ظرف لمحذوف قد حذف للايذان بضيق العبارة عن حصره وبيانه حسبما مر في تفسير قوله تعالى
يوم يجمع الله الرسل وقوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وقرئ ننفخ بالنون على اسناد النفخ
الى الآمر به تعظيما له وبالياء المفتوحة على ان ضميره لله عز وجل او لاسرافيل عليه السلام وان لم يجر ذكره
لشهرته ونحشر المجرمين يومئذ اي يوم اذ ينفخ في الصور وذكره مع تعين ان الحشر
لا يكون الا يومئذ للتهويل وقرئ ويحشر المجرمون زرقا اي حال كونهم زرق العيون وانما جعلوا
كذلك لان الزرقة اسوأ الوان العين وابغضها الى العرب فان الروم الذين كانوا اعدى عدوهم
زرق ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين او عميا
لان حدقة الاعمى تزرق وقوله تعالى يتخافتون بينهم اي يخفضون اصواتهم ويخفونها
لما يملأ صدورهم من الرعب والهول استئناف ببيان ما ياتون وما يذرون في ذلك الحال او حال اخرى
من المجرمين اي يقول بعضهم لبعض بطريق المخافتة ان لبثتم اي ما لبثتم في الدنيا الا عشرا
اي عشر ليال استقصارا لمدة لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم مدة الآخرة او لتاسفهم عليها
لما عاينوا الشدائد وايقنوا انهم استحقوها على اضاعتها في قضاء الاوطار واتباع الشهوات
وفي البرزخ مع الاكتساب بحالهم فانهم حين يشاهدون البعث الذي كانوا ينكرونه في الدنيا
ويعدونه من قبيل المحالات لا يتمالكون من ان يقولوا ذلك اعترافا به وتحقيقا لسرعة وقوعه
كانهم قالوا قد بعثتم وما لبثتم في القبر الا مدة يسيرة والا فحالهم اقطع من ان تمكنهم من
الاشتغال بتذكر ايام النعمة والسرور واستقصارها والتاسف عليها نحن اعلم بما يقولون وهو
مدة لبثهم اذ يقول امثلهم طريقة اي اعدلهم رايا وعملا ان لبثتم الا يوما ونسبة هذا
القول الى امثلهم استرجاح منه تعالى له لا لكونه اقرب الى الصدق بل لكونه ادل على شدة الهول

ويسألونك عن الجبال اى عن مآل امرها وقد سأل عنه رجل من ثقيف وقيل مشركو مكة على
طريق الاستهزاء فقل ينسفها ربي نسفا اى يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها والفاء
للمسارعة الى الزام السائلين فيذرها اى فيذر الجبال باعتبار اجزائها السافلة الباقية بعد
النسف وهي مقارها ومراكزها اى يذر ما انبسط منها وساوى سطحه سطوح سائر اجزاء
الارض بعد نسف ما نتأ منها ونشز او الارض المدلول عليها بقرينة الحال لانها الباقية بعد نسف الجبال
وعلى التقديرين يذر الكل قاعا صفصفا لان الجبال اذا سويت وجعل سطحها مساويا لسطوح
سائر اجزاء الارض فقد جعل الكل سطحا واحدا والقاع قيل المنكشف من الارض وقيل المستوي
الصلب منها وقيل ما لا نبات فيه ولا بناء والصفصف الارض المستوية الملساء كان اجزاءها صف
واحد من كل جهة وانتصاب قاعا على الحالية من الضمير المنصوب او هو مفعول ثان ليذر على تضمين
معنى التصيير وصفصفا اما حال ثانية او بدل من المفعول الثاني وقوله تعالى لا ترى فيها اى في
مقار الجبال او في الارض على ما مر من التفصيل عوجا بكسر العين اى اعوجاجا ما كانه لغاية خفائه
من قبيل ما في المعاني اى لا تدركه ان تأملت بالمقاييس الهندسية ولا امتا اى نتوا يسيرا استئناف
مبين لكيفية ما سبق من القاع الصفصف او حال اخرى او صفة لقاعا والخطاب لكل احد ممن
يتأتى منه الرؤية وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق
الى المؤخر مع ما فيه من طول ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم يومئذ اى يوم اذ نسفت
الجبال على اضافة اليوم الى وقت النسف وهو ظرف لقوله تعالى يتبعون الداعي وقيل بدل من
يوم القيامة وليس بذاك اى يتبع الناس داعي الله عز وجل الى المحشر وهو اسرافيل عليه السلام يدعو الناس
عند النفخة الثانية قائما على صخرة بيت المقدس ويقول ايتها العظام النخرة والاوصال المتفرقة واللحوم المتمزقة
قومي الى عرض الرحمن فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا عوج له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه
وخشعت الاصوات للرحمن اى خفضت لهيبته فلا تسمع الا همسا اى صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت
اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر يومئذ اى يوم يقع ما ذكر من الامور الهائلة
لا تنفع الشفاعة من الشفعاء احدا الا من اذن له الرحمن اى الا شفاعة من اذن له ورضي له قولا اى ورضي
لاجله قول الشافع في شأنه او رضي قوله لاجله وفي شأنه واما من عداه فلا تكاد تنفعه وان
فرض صدورها عن الشفعاء المتصدين للشفاعة للناس كقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين
فالاستثناء كما ترى من اعم المفاعيل واما كونه استثناء من الشفاعة على معنى لا تنفع الشفاعة
الا شفاعة من اذن له الرحمن ان يشفع لغيره كما جوزوه فلا سبيل اليه لان حكم الشفاعة ممن لم يؤذن له
ان لا يملكها ولا تصدر هي عنه اصلا كما في قوله تعالى لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند
الرحمن عهدا وقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى فالاخبار عنها بمجرد عدم نفعها للمشفوع له
ربما يوهم امكان صدورها ممن لم يؤذن له مع اخلاله بمقتضى مقام تهويل اليوم واما قوله تعالى ولا
يقبل منها شفاعة فمعناه عدم الاذن في الشفاعة لا عدم قبولها بعد وقوعها يعلم ما بين
ايديهم اى ما تقدمهم من الاحوال وقيل من امر الدنيا وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه
وقيل من امر الاخرة ولا يحيطون به علما اى لا تحيط علومهم بمعلوماته تعالى وقيل بذاته

اى من

اى من حيث اتصافه بصفات الكمال التي من جملتها العلم الشامل وقيل الضمير لاحد الموصولين
او لمجموعهما فانهم لا يعلمون جميع ذلك ولا تفصيل ما علم منه وعنت الوجوه للحي القيوم
اى ذلت وخضعت خضوع العناة اى الاسارى في يد الملك القهار ولعلها وجوه المجرمين
كقوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا ويؤيده قوله تعالى وقد خاب من حمل ظلما قال ابن عباس
رضي الله عنهما خسر من اشرك بالله ولم يتب وهو استئناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم او اعتراض كانه
قيل خابوا وخسروا وقيل حال من الوجوه ومن عبارة عنها مغنية عن ضميرها وقيل الوجوه على العموم
فالمعنى حينئذ وقد خاب من حمل منهم ظلما فقوله تعالى ومن يعمل من الصالحات الخ قسيم لقوله
تعالى وقد خاب من حمل ظلما لا لقوله تعالى وعنت الوجوه الخ كما انه كذلك على الوجه الاول اى ومن
يعمل بعض الصالحات او بعضا من الصالحات على احد الوجهين المذكورين في تفسير قوله تعالى
من انباء ما قد سبق وهو مؤمن فان الايمان شرط في صحة الطاعات وقبول الحسنات فلا
يخاف ظلما اى منع ثواب مستحق بموجب الوعد ولا هضما ولا كسرا منه بنقص او لا يخاف جزاء ظلم
وهضم اذ لم يصدر عنه ظلم ولا هضم حتى يخافهما وقرئ فلا يخف على النهي وكذلك عطف على
كذلك نقص وذلك اشارة الى انزال ما سبق من الايات المتضمنة للوعيد المنبئة عما سيقع من
احوال القيامة واهوالها اى مثل ذلك الانزال انزلناه اى القرآن كله واضماره من غير سبق ذكره
للايذان بنباهة شأنه وكونه مركوزا في العقول حاضرا في الاذهان قرآنا عربيا ليفهمه العرب
ويقفوا على ما فيه من النظم المعجز الدال على كونه خارجا عن طوق البشر نازلا من عند خلاق القوى
والقدر وصرفنا فيه من الوعيد اى كررنا فيه بعض الوعيد او بعضا من الوعيد حسبما
اشير اليه انفا لعلهم يتقون اى كي يتقوا الكفر والمعاصي بالفعل او يحدث لهم ذكرا اى اتعاظا
واعتبارا مؤديا بالاخرة الى الاتقاء فتعالى الله استعظام له تعالى ولشؤونه التي يصرف
عليها عباده من الاوامر والنواهي والوعد والوعيد وغير ذلك اى ارتفع بذاته وتنزه عن
مماثلة المخلوقين في ذاته وصفاته وافعاله واحواله الملك النافذ امره ونهيه الحقيق بان
يرجى وعده ويخشى وعيده الحق في ملكوته والوهيته لذاته او الثابت في ذاته وصفاته
ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه روي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا القى اليه جبريل عليه السلام الوحي يتبعه عند تلفظ كل حرف وكل كلمة لكمال
اعتنائه بالتلقي والحفظ فنهي عن ذلك اثر ذكر الانزال بطريق الاستطراد لما ان استقرار
الالفاظ في الاذهان تابع لاستقرار معانيها فيها وربما يشغل التلفظ بكلمة عن سماع ما
بعدها وامر باستفاضة العلم واستزادته منه تعالى فقيل وقل رب زدني علما
اى سل الله عز وجل زيادة العلم فانها الموصلة الى طلبتك دون الاستعجال وقيل انه نهي عن
تبليغ ما كان مجملا قبل ان يأتي بيانه وليس بذاك فان تبليغ المجمل وتلاوته قبل البيان
مما لا ريب في صحته ومشروعيته ولقد عهدنا الى ادم كلام مستأنف مسوق لتقرير ما
سبق من تصريف الوعيد في القرآن وبيان ان اساس بني ادم على العصيان وعرقه راسخ في النسيان
مع ما فيه من انجاز الموعود في قوله تعالى كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق يقال عهد اليه

الملك وعزم اليه او عزاليه وتقدم اليه اذا امره ووصاه والمعهود محذوف يدل عليه ما بعده واللام
جواب قسم محذوف اى واقسم او بالله او وتالله لقد امرناه ووصيناه من قبل اى من قبل هذا الزمان
فنسى اى العهد ولم يعتن به حتى غفل عنه او ترك ما وصى عنه وقرئ فنسى اى نساه
الشيطان ولم نجد له عزما تصميم راى وثبات قدم فى الامور اذ لو كان كذلك لما ازله الشيطان ولما
استطاع ان يغره وقد كان ذلك منه عليه السلام فى بدء امره من قبل ان يجرب الامور ويتولى حارها
وقارها ويذوق شريها واريها عن النبى صلى الله عليه وسلم لو وزنت احلام بنى آدم
بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب فانه اخطا ولم
يتعمد وقوله تعالى ولم نجد ان كان من الوجود العلمى فله عزما مفعولاه قدم الثانى على الاول لكونه
ظرفا وان كان من الوجود المقابل للعدم وهو الانسب لان مصب الفائدة هو المفعول
وليس فى الاخبار بكونه العزم المعدوم له مزية فله متعلق به قدم على مفعوله لما مر مرارا
من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف هو حال من مفعوله المنكر كانه قيل ولم
نصادف له عزما وقوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم شروع فى بيان المعهود
وكيفية ظهور نسيانه وفقدان عزمه واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبى عليه السلام
اى واذكر وقت قولنا لهم وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث لما
مر مرارا من المبالغة فى ايجاب ذكرها فان الوقت مشتمل على تفاصيل الامور الواقعة فيه فالامر بذكره
امر بذكر تفاصيل ما وقع فيه بالطريق البرهانى ولان الوقت مشتمل على اعيان الحوادث فاذا
ذكر صارت الحوادث كانها موجودة فى ذهن المخاطب بوجوداتها العينية اى اذكر ما وقع فى ذلك
الوقت منا ومنه حتى يتبين لك نسيانه وفقدان عزمه فسجدوا الا ابليس قد سبق الكلام فيه
مرارا ابى جملة مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الاخبار بعدم سجوده كانه قيل فما له لم يسجد
فقيل ابى واستكبر ومفعوله اما محذوف اى ابى السجود كما فى قوله تعالى ابى ان يكون مع الساجدين
او غير منوى راسا بتنزيله منزلة اللازم اى فعل الاباء واظهره فقلنا عقيب ذلك اعتناء بنصحه
يا آدم ان هذا الذى رايت ما فعل عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما اى لا يكونن سببا لاخراجكما
من الجنة والمراد نهيهما عن ان يكونا بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما منها بالطريق البرهانى
كما فى قولك لا ارينك ههنا والفاء لترتيب موجب النهى على عداوته لهما او على الاخبار بها
فتشقى جواب للنهى واسناد الشقاء اليه خاصة بعد تعليق الاخراج الموجب له بهما معا لاصالته
فى الامور واستلزام شقائه لشقائها مع ما فيه من مراعاة الفواصل وقيل المراد بالشقاء التعب
فى تحصيل مبادى المعاش وذلك من وظائف الرجال ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك
لا تظمأ فيها ولا تضحى تعليل لما يوجبه النهى فان اجتماع اسباب الراحة فيها مما يوجب المبالغة
فى الاهتمام بتحصيل مبادى البقاء فيها والجد فى الانتهاء عما يؤدى الى الخروج عنها والعدول
عن التصريح بان له عليه السلام فيها تنعما بفنون النعم من المآكل والمشارب وتمتعا باصناف الملابس
البهية والمساكن المرضية مع ان فيه من الترغيب فى البقاء فيها ما لا يخفى الى ما ذكر من نفى نقائضها
التى هى الجوع والعطش والعرى والضحو لتذكير تلك الامور المنكرة والتنبيه على ما فيها من انواع الشقوة

التى حذره عنها ليبالغ فى التحامى عن السبب المؤدى اليها على ان الترغيب قد حصل بما سوغ له
من التمتع بجميع ما فيها سوى ما استثنى من الشجرة حسبما نطق به قوله تعالى ويا آدم اسكن انت
وزوجك الجنة فكلا منها رغدا حيث شئتما وقد طوى ذكره ههنا اكتفاء بما ذكر فى موضع آخر
واقتصر على ما ذكر من الترغيب المتضمن للترهيب ومعنى ان لا تجوع فيها الخ ان لا يصيبه شئ
من الامور الاربعة اصلا فان الشبع والرى والكسوة والكن قد تحصل بعد عروض اضدادها
باعواز الطعام والشراب واللباس والمسكن وليس الامر فيها كذلك بل كلما وقع فيها شهوة
وميل الى شئ من الامور المذكورة تمتع به من غير ان يصل الى حد الضرورة ووجه افراده عليه السلام
بما ذكر ما مر آنفا وفصل الظمأ عن الجوع فى الذكر مع تجانسهما وتقارنهما فى الذكر عادة وكذا
حال العرى والضحو المتجانسين لتوفية مقام الامتنان حقه بالاشارة الى ان نفى كل واحد من تلك
الامور نعمة على حيالها ولو جمع بين الجوع والظمأ لربما توهم ان نفيهما نعمة واحدة وكذلك
الحال فى الجمع بين العرى والضحو على منهاج قصة البقرة ولزيادة التقرير بالتنبيه على ان نفى
كل واحد من الامور المذكورة مقصود بالذات مذكور بالاصالة لا ان نفى بعضها مذكور
بطريق الاستطراد والتبعية لنفى بعض آخر كما عسى يتوهم لو جمع بين كل من المتجانسين وقرئ
انك بالكسر والجمهور على الفتح بالعطف على ان لا تجوع وصحة وقوع الجملة المصدرة بان المفتوحة
اسما للمكسورة المشاركة لها فى افادة التحقيق مع امتناع وقوعها خبرا لها لما ان المحذور اجتماع
حرفى التحقيق فيما يتصادق فى مادة واحدة ولا اجتماع فيما نحن فيه لاختلاف مناط التحقيق فيما
فى حيزهما بخلاف ما لو وقعت خبرا لها فان اتحاد المناط حينئذ مما لا ريب فيه بيانه ان كل واحدة
من المكسورة والمفتوحة موضوعة لتحقيق مضمون الجملة الخبرية المنعقدة من اسمها وخبرها ولا
يخفى ان مرجع خبريتها ما فيها من الحكم الايجابى او السلبى وان مناط ذلك الحكم خبرها لا
اسمها فمدلول كل منهما تحقيق ثبوت خبرها لاسمها لا ثبوت اسمها فى نفسه فاللازم من
وقوع الجملة المصدرة بالمفتوحة اسما للمكسورة تحقيق ثبوت خبرها لتلك الجملة المؤولة
بالمصدر واما تحقيق ثبوتها فى نفسها فهو مدلول المفتوحة حتما فلم يلزم اجتماع حرفى التحقيق
فى مادة واحدة قطعا وانما لم يجوزوا ان يقال ان ان زيدا قائم حق مع اختلاف المناط
بل شرطوا الفصل بالخبر كقولنا ان عندى ان زيدا قائم للتجافى عن صورة الاجتماع والواو
العاطفة وان كانت نائبة عن المكسورة التى يمتنع دخولها على المفتوحة بلا فصل وقائمة
مقامها فى افضاء معناها واجراء احكامها على مدخولها لكنها حيث لم تكن حرفا موضوعا
للتحقيق لم يلزم من دخولها على المفتوحة اجتماع حرفى التحقيق اصلا فالمعنى ان لك عدم
الجوع وعدم العرى وعدم الظمأ خلا انه لم يقتصر على بيان ان الثابت له عليه السلام عدم الظمأ
والضحو مطلقا كما فعل مثله فى المعطوف عليه بل قصد بيان ان الثابت له عليه السلام تحقيق
عدمهما فوضع موضع الحرف المصدرى المحض ان المفيدة له كانه قيل ان لك فيها عدم ظماك
على التحقيق فوسوس اليه الشيطان اى انهى اليه وسوسته او اسرها اليه قال اما بدل من
وسوس او استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ منه كانه قيل فماذا قال فى وسوسته

فقيل قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد اى شجرة من اكل منها خلد ولم يمت اصلا سواء كان
على حاله او بان يكون ملكا لقوله تعالى الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وملك لا يبلى
اى لا يزول ولا يختل بوجه من الوجوه فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما قال ابن عباس رضي الله
عنهما عريا عن النور الذى كان الله تعالى البسهما حتى بدت فروجهما وطفقا يخصفان عليهما
من ورق الجنة مر تفسيره في سورة الاعراف وعصى آدم ربه بما ذكر من اكل الشجرة فغوى
ضل عن مطلوبه الذى هو الخلود او عن المأمور به او عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ
فغوى من غوى الفصيل اذا اتخم من اللبن ووصفه عليه السلام بالعصيان والغواية مع صغر زلته
تعظيم لها وزجر بليغ لاولاده عن امثالها ثم اجتباه ربه اى اصطفاه وقربه اليه بالحمل على التوبة
والتوفيق لها من اجتبى الشىء بمعنى جباه لنفسه اى جمعه كقولك اجتمعته او من جبى الى كذا فاجتبيته مثل
جليت على العروس فاجتليتها وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره
عليه السلام مزيد تشريف له عليه السلام فتاب عليه اى قبل توبته حين تاب هو وزوجته قائلين ربنا
ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وافراده عليه السلام بالاجتباء وقبول التوبة
قد مر وجهه وهدى اى الى الثبات على التوبة والتمسك باسباب العصمة قال استئناف مبني على
سؤال نشأ من الاخبار بانه تعالى قبل توبته وهداه كأنه قيل فماذا امره تعالى بعد ذلك فقيل
قال لهما اهبطا منها جميعا اى انزلا من الجنة الى الارض وقوله تعالى بعضكم لبعض
عدو حال من ضمير المخاطب في اهبطا والجمع لما انهما اصل الذرية ومنشأ الاولاد اى متعاديا
في امر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب فإما يأتينكم مني هدى وضع الظاهر موضع
المضمر مع الاضافة الى ضميره تعالى لتشريفه والمبالغة في ايجاب اتباعه فلا يضل في الدنيا ولا
يشقى في الآخرة ومن اعرض عن ذكري اى عن الهدى الذاكر لي والداعي الي فان له في الدنيا
معيشة ضنكا ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى
كسكرى وذلك لان مجامع همته ومطامح نظره مقصورة على اعراض الدنيا وهو متهالك على
ازديادها وخائف من انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع انه قد يضيق الله تعالى على
الكفرة بشؤم الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وقال ولو ان
اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولو ان اهل الكتاب آمنوا
الى قوله تعالى لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل هو الضريع والزقوم في النار وقيل
عذاب القبر ونحشره وقرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فان له معيشة
ضنكا لانه جواب الشرط يوم القيامة اعمى فاقد البصر كما في قوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم
عميا وبكما وصما لا اعمى عن الحجة كما قيل قال استئناف كما مر رب لم حشرتني اعمى وقد
كنت بصيرا اى في الدنيا وقرئ اعمى بالامالة في الموضعين وفي الاول فقط لكونه جديرا
بالتغيير لكونه رأس الآية ومحل الوقف قال كذلك ومثل ذلك النسيان الذى كنت
فعلته في الدنيا اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب جزاء وفاقا لكن لا ابدا كما قيل
بل الى ما شاء الله تعالى ثم يزيله عنه فيرى اهوال القيامة ويشاهد مقعده من النار ويكون ذلك

عذابا فوق العذاب وكذلك البكم والصمم يزيلهما الله تعالى عنهم اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا
وكذلك اى مثل ذلك الجزاء الموافق للجناية نجزي من اسرف بالانهماك في الشهوات
ولم يؤمن بآيات ربه بل كذبها واعرض عنها ولعذاب الآخرة على الاطلاق او عذاب النار
اشد وابقى اى من ضنك العيش او منه ومن الحشر على العمى افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم
من القرون كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من قوله تعالى وكذلك نجزي الآية والهمزة
للانكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام واستعمال الهداية باللام اما لتنزيلها
منزلة اللازم فلا حاجة الى المفعول او لانها بمعنى التبيين والمفعول محذوف واياما كان فالفاعل
هو الجملة بمضمونها ومعناها والضمير للمشركين المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى
اغفلوا فلم يفعل الهداية لهم او فلم يبين لهم مآل امرهم كثرة اهلاكنا للقرون الاولى وقد
مر في قوله عز وجل اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها الآية وقيل الفاعل الضمير
العائد الى الله عز وجل ويؤيده القراءة بنون العظمة وقوله تعالى اهلكنا الخ اما معلق
للفعل ساد مسد مفعوله او مفسر لمفعوله المحذوف هكذا قيل والاوجه ان لا يلاحظ له مفعول
كأنه قيل افلم يفعل الله تعالى لهم الهداية ثم قيل بطريق الالتفات كم اهلكنا الخ بيانا لتلك
الهداية ومن القرون في محل النصب على انه وصف لمميز كم اى كم قرنا كائنا من القرون وقوله تعالى
يمشون في مساكنهم حال من القرون او مفعول اهلكنا اى اهلكناهم وهم في حال امنهم وتقلبهم
في ديارهم او من الضمير في لهم مؤكد للانكار والعامل يهد والمعنى افلم يهد لهم اهلاكنا للقرون
السالفة من اصحاب الحجر وثمود وقريات قوم لوط حال كونهم ماشين في مساكنهم اذا سافروا
الى الشام مشاهدين لآثار هلاكهم مع ان ذلك مما يوجب ان يهتدوا الى الحق فيعتبروا لئلا يحل
بهم مثل ما حل باولئك وقرئ يمشون على البناء للمفعول اى يمكنون من المشي ان في ذلك تعليل
للانكار وتقرير للهداية مع عدم اهتدائهم وذلك اشارة الى مضمون قوله تعالى كم اهلكنا
الخ وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلته وعلو شأنه في بابه لآيات كثيرة عظيمة واضحات
الهداية ظاهرات الدلالة على الحق فاذن هو هاد وايما هاد ويجوز ان يكون كلمة في تجريدية
فانهم لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن القبائح التي من جملتها ما يتعاطاه كفار مكة
من الكفر بآيات الله تعالى والتعامي عنها وغير ذلك من فنون المعاصي وفيه دلالة على ان مضمون
الجملة هو الفاعل لا المفعول وقوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك كلام مستأنف مسوق
لبيان حكمة عدم وقوع ما يشعر به قوله تعالى افلم يهد لهم الآية من ان يصيبهم مثل ما اصاب القرون
المهلكة اى ولولا الكلمة السابقة وهي العدة بتأخير عذاب هذه الامة الى الآخرة لحكمة
تقتضيه ومصلحة تستدعيه لكان عقاب جناياتهم لزاما اى لازما لهؤلاء الكفرة بحيث لا
يتأخر عن جناياتهم ساعة لزوم ما نزل باولئك الغابرين وفي التعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميره عليه السلام تلويح بان ذلك التأخير لتشريفه عليه السلام كما ينبئ عنه قوله تعالى
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واللزام اما مصدر لازم وصف به مبالغة واما فعال بمعنى
مفعل جعل آلة اللزوم لفرط لزومه كما يقال لزاز خصم وقوله تعالى واجل مسمى عطف على كلمة اى ولولا اجل مسمى

لاعمارهم او لعذابهم وهو يوم القيمة او يوم بدر لما تاخر عذابهم اصلاً وفصله عما عطف عليه للمسارعة
الى بيان جواب لولا وللاشعار باستقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ومراعاة فواصل الآي الكريمة
ويجوز عطفه على المستكن في كان العائد الى الاخذ العاجل المفهوم من السياق تنزيلا للفصل بالخبر
منزلة التاكيد اى لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين لهم كدأب عاد وثمود واضرابهم ولم ينفرد الاجل
المسمى دون الاخذ العاجل فاصبر على ما يقولون اى اذا كان الامر على ما ذكر من ان تاخير عذابهم ليس
باهمال بل امهال وانه لازم لهم البتة فاصبر على ما يقولون من كلمات الكفر فان علمه صلى الله عليه وسلم
بانهم معذبون لا محالة مما يسليه ويحمله على الصبر وسبح ملتبسا بحمد ربك اى صل وانت حامد
لربك الذى يبلغك الى كمالك على هدايته وتوفيقه او نزهه تعالى عما ينسبونه اليه مما لا يليق بشأنه
الرفيع حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا بانه مولى النعم كلها والاول هو الاظهر المناسب لقوله
تعالى قبل طلوع الشمس الخ فان توقيت التنزيه غير معهود فالمراد صلوة الفجر وقبل غروبها
يعنى صلوة الظهر والعصر لانهما قبل غروبها بعد زوالها وجمعهما لمناسبة لقوله تعالى قبل
طلوع الشمس وقيل صلوة العصر ومن آناء الليل اى من ساعاته جمع انى بالكسر والقصر وانا بالفتح
والمد فسبح اى فصل والمراد به المغرب والعشاء وتقديم الوقت فيهما لاختصاصهما بمزيد الفضل
فان القلب فيهما اجمع والنفس الى الاستراحة اميل فتكون العبادة فيهما اشق ولذلك قال
تعالى ان ناشئة الليل هى اشد وطأ واقوم قيلا واطراف النهار تكرير لصلوتى الفجر والمغرب
ايذانا باختصاصهما بمزيد مزية ومجيئه بلفظ الجمع لامن الالباس كقول من قال ظهراهما مثل ظهور
الترسين او امر بصلوة الظهر فانه نهاية النصف الاول من النهار وبداية النصف الاخر وجمعه
باعتبار النصفين او لان النهار جنس او امر بالتطوع في اجزاء النهار لعلك ترضى متعلق
بسبح اى سبح في هذه الاوقات رجاء ان تنال عنده تعالى ما ترضى به نفسك وقرئ ترضى على صيغة
البناء للمفعول من ارضى اى يرضيك ربك ولا تمدن عينيك اى لا تطل نظرهما بطريق الرغبة
والميل الى ما متعنا به من زخارف الدنيا وقوله تعالى ازواجا منهم اى اصنافا من الكفرة
مفعول متعنا قدم عليه الجار والمجرور للاعتناء به او هو حال من الضمير والمفعول منهم اى الى الذى
متعنا به وهو اصناف وانواع بعضهم على ان من تبعيضية او بعضا منهم على حذف الموصوف
كما مر زهرة الحيوة الدنيا منصوب بمحذوف يدل عليه متعنا اى اعطينا او به على تضمين
معناه او بالبدلية من محل به او من ازواجا بتقدير مضاف او بدونه او بالذم وهى الزينة والبهجة
وقرئ زهرة بفتح الهاء وهى لغة كالجهرة في الجهرة او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهروا الدنيا
لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد لنفتنهم فيه متعلق بمتعنا جيء به للتنفير عنه ببيان
سوء عاقبته مآلا اثر اظهار بهجته حالا اى لنعاملهم معاملة من يبتليهم ويختبرهم فيه او لنعذبهم
في الآخرة بسببه ورزق ربك اى ما ادخر لك في الآخرة او ما رزقك في الدنيا من
النبوة والهدى خير مما متعهم في الدنيا لانه مع كونه في نفسه اجل ما يتنافس فيه المتنافسون
مأمون الغائلة بخلاف ما متعوه وابقى فانه لا يكاد ينقطع نفسه او اثره ابدا كما عليه زهرة
الدنيا وامر اهلك بالصلوة امر عليه السلام بان يأمر اهل بيته او التابعين له من امته

بعدما امر

بعد ما امر هو بها ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت
ارباب الثروة واصطبر عليها وداوم عليها غير مشتغل بامر المعاش لا نسألك رزقا اى لا نكلفك ان
ترزق نفسك ولا اهلك نحن نرزقك واياهم ففرغ بالك لامر الآخرة والعاقبة الحميدة
للتقوى اى لاهل التقوى على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تنبيها على ان ملاك
الامر هو التقوى روى انه عليه السلام كان اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلوة وتلا هذه الآية
وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه حكاية لبعض اقاويلهم الباطلة التى امر عليه السلام بالصبر عليها اى هلا يأتينا
بآية تدل على صدقه في دعوى النبوة او بآية مما اقترحوها بلغوا من المكابرة والعناد الى حيث لم
يعدوا ما شاهدوا من المعجزات التى تخر لها صم الجبال من قبيل الآيات حتى اجترؤا على التفوه
بهذه العظيمة الشنعاء وقوله تعالى اولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى اى التوراة والانجيل
وسائر الكتب السماوية رد من جهته عز وعلا لمقالتهم القبيحة وتكذيب لهم فيما دسوه تحت انكار
اتيان الآية باتيان القرآن الكريم الذى هو ام الآيات واس المعجزات واعظمها وابقاها
لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعى النبوة بنوع من الامور الخارقة للعادات اى امر كان ولا
ريب في ان العلم اجل الامور واعلاها اذ هو اصل الاعمال ومبدأ الافعال ولقد ظهر
مع حيازته لجميع علوم الاولين والآخرين على يد امى لم يمارس شيئا من العلوم ولم يدارس احدا
من اهلها اصلا فاى معجزة تراد بعد وروده واى آية ترام مع وجوده وفي ايراده بعنوان
كونه بينة لما في الصحف الاولى من التوراة والانجيل وسائر الكتب السماوية اى شاهدا
بحقية ما فيها من العقائد الحقة واصول الاحكام التى اجمعت عليها كافة الرسل وتبيينا
لما نطق به من انباء الامم من حيث انه غنى باعجازه عما يشهد بحقيته حقيق باثبات حقية غيره
ما لا يخفى من تنويه شانه وانارة برهانه ومزيد تقرير وتحقيق لاتيانه واسناد الاتيان
اليهم مع جعلهم اياه مأتيا به للتنبيه على اصالته فيما فيه من المناسبة للتنويه والهمزة لانكار
الوقوع والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل الم يأتهم سائر الآيات ولم يأتهم
خاصة بينة ما في الصحف الاولى تقريرا لاتيانه وايذانا بانه من الوضوح بحيث لا يتأتى
منهم انكاره اصلا وان اجترؤا على انكار سائر الآيات مكابرة وعنادا وقرئ اولم
يأتهم بالياء التحتانية وقرئ الصحف بالسكون تخفيفا وقوله تعالى ولو انا اهلكناهم
بعذاب الى آخر الآية جملة مستأنفة سيقت لتقرير ما قبلها من كون القرآن آية بينة
لا يمكن انكارها ببيان انهم يعترفون بها يوم القيمة والمعنى لو انا اهلكناهم في الدنيا
بعذاب مستأصل من قبله متعلق باهلكنا او بمحذوف هو صفة لعذاب اى بعذاب
كائن من قبل اتيان البينة او من قبل محمد صلى الله عليه وسلم لقالوا اى يوم القيمة ربنا
لولا ارسلت الينا رسولا في الدنيا فنتبع آياتك التى جاءنا بها من قبل ان نذل
بالعذاب في الدنيا ونخزى بدخول النار اليوم ولكنا لم نهلكهم قبل اتيانها فانقطعت
معذرتهم فعند ذلك قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء قل لاولئك
الكفرة المتمردين كل اى كل واحد منا ومنكم متربص منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم فتربصوا

وقرئ فتمتعوا فستعلمون اي عن قريب من اصحاب الصراط السوي اي المستقيم وقرئ السواء اي الوسط الجيد وقرئ السوى والسوء والسوي تصغير السوء ومن اهتدى من الضلالة ومن في الموضعين استفهامية محلها الرفع بالابتداء اخبرها ما بعدها والجملة سادة مسد مفعولي العلم او مفعوله لتعليقه ويجوز كون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العايد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة او على الصراط وقيل العايد في الاولى محذوف والتقدير من هم اصحاب الصراط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار وقال لا يقرا اهل الجنة من القران الا سورة طه ويس

بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم مناسبة هذه الفاتحة الكريمة لما قبلها من الخاتمة الشريفة غنية عن البيان قال ابن عباس رضي الله عنهما المراد بالناس المشركون وهو الذي يقتضيه ما بعده من الادلة واقتراب حسابهم اقترابه في ضمن اقتراب الساعة واسناد الاقتراب اليه لا الى الساعة مع استتباعها له ولساير ما فيها من الاحوال والاهوال الفظيعة لانسياق الكلام الى بيان غفلتهم عنه واعراضهم عما يذكرهم ذلك واللام متعلقة بالفعل وتقديمها على الفاعل للمسارعة الى ادخال الروعة فان نسبة الاقتراب اليهم من اول الامر مما يسوؤهم ويورثهم رهبة وانزعاجا من المقترب كما ان تقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح في قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض لتعجيل المسرة لما ان بيان كون المخلوق لاجل المخاطبين مما يسرهم ويزيدهم رغبة فيما خلق لهم وشوقا اليه وجعلها تاكيدا للاضافة على ان الاصل المعارف فيما بينها لا واسطة اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم مع انه تعسف تام بمعزل عما يقتضيه المقام وانما الذي يستدعيه حسن النظام ما قدمناه والمعنى دنا منهم حساب اعمالهم السيئة الموجبة للعقاب وفي اسناد الاقتراب المنبئ عن التوجه نحوهم الى الحساب مع امكان العكس بان يعتبر التوجه والاقبال من جهتهم نحوه من تفخيم شانه وتهويل امره ما لا يخفى لما فيه من تصويره بصورة شيء مقبل عليهم لا يزال يطلبهم ويصيبهم لا محالة ومعنى اقترابه لهم تقاربه ودنوه منهم بعد بعده عنهم فانه في كل ساعة من ساعات الزمان اقرب اليهم منه في الساعة السابقة هذا واما الاعتذار بان قربه بالاضافة الى ما مضى من الزمان او بالنسبة الى الله عز وجل او باعتبار ان كل آت قريب فلا تعلق له بما نحن فيه من الاقتراب المستفاد من صيغة الماضي ولا حاجة اليه في تحقيق اصل معناه نعم [illegible] وبيانه ايضا فيصار الى التوجيه بالوجه الاول دون الاخيرين اما الثاني فلا سبيل الى اعتباره ههنا لان قربه بالنسبة اليه تعالى مما لا يتصور فيه التجدد والتفاوت حتما واما اعتباره في قوله تعالى لعل الساعة قريب ونظايره مما لا دلالة فيه على الحدوث واما الثالث فلا دلالة فيه على القرب حقيقة

ولو بالنسبة الى شيء آخر وهم في غفلة اي في غفلة تامة منه ساهون عنه بالمرة لا انهم غير مبالين به مع اعترافهم باتيانه بل منكرون له كافرون به مع اقتضاء عقولهم انه لا بد من الجزاء معرضون اي عن الآيات والنذر المنبهة لهم عن سنة الغفلة وعما يفيد النجاة وحيث كانت الغفلة امرا جبليا لهم جعل الخبر الاول ظرفا منبئا عن الاستقرار بخلاف الاعراض والجملة حال من الناس وقد جوز كون الظرف حالا من المستكن في معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم من طائفة نازلة من القران تذكرهم ذلك اكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة اتم تنبيه كانها نفس الذكر ومن في قوله تعالى من ربهم لابتداء الغاية مجازا متعلقة بياتيهم او بمحذوف هو صفة لذكر واياما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه وكمال شناعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان الربوبية لتشديد التشنيع محدث بالجر صفة لذكر وقرئ بالرفع حملا على محله اي محدث تنزيله بحسب اقتضاء الحكمة وقوله تعالى الا استمعوه استثناء مفرغ محله النصب على انه حال من مفعول ياتيهم باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور وقوله تعالى وهم يلعبون حال من فاعل استمعوه وقوله تعالى لاهية قلوبهم اما حال اخرى منه او من واو يلعبون والمعنى ما ياتيهم ذكر من ربهم محدث في حال من الاحوال الا حال استماعهم اياه لاعبين مستهزئين به لاهين عنه او لاعبين به حال كون قلوبهم لاهية عنه لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في العواقب وقرئ لاهية بالرفع على انه خبر بعد خبر واسروا النجوى كلام مستانف مسوق لبيان جناية خاصة اثر حكاية جناياتهم المعتادة والنجوى اسم من التناجي ومعنى اسرارها مع انها لا تكون الا سرا انهم بالغوا في اخفائها او اسروا نفس التناجي بحيث لم يشعر احد بانهم متناجون وقوله تعالى الذين ظلموا بدل من واو واسروا منبئ عن كونهم موصوفين بالظلم الفاحش فيما اسروا به او هو مبتدا خبره اسروا النجوى قدم عليه اهتماما به والمعنى هم اسروا النجوى فوضع الموصول موضع الضمير تسجيلا على فعلهم بكونه ظلما او منصوب على الذم وقوله تعالى هل هذا الا بشر مثلكم الخ في حيز النصب على انه مفعول لقول مضمر هو جواب عن سؤال نشا مما قبله كانه قيل ماذا قالوا في نجواهم فقيل قالوا هل هذا الخ او بدل من اسروا او معطوف عليه وعلى انه بدل من النجوى اي اسروا هذا الحديث وهل بمعنى النفي والهمزة في قوله تعالى افتاتون السحر للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى وانتم تبصرون حال من فاعل تاتون مقررة للانكار مؤكدة للاستبعاد اي ما هذا الا بشر مثلكم اي من جنسكم وما اتى به سحر اتعلمون ذلك فتاتونه وتحضرونه على وجه الاذعان والقبول وانتم تعاينون انه سحر قالوه بناء على ما ارتكز في اعتقادهم الزايغ ان الرسول لا يكون الا ملكا وان كل ما يظهر على يد البشر من الخوارق من قبيل السحر وعنوا ان ارسال البشر الى عامة الناس ليس هو الذي يقتضيه الحكمة التشريعية قاتلهم الله انى يؤفكون وانما اسروا ذلك لانه كان على طريق توثيق العهد وترتيب مبادي الشر والفساد وتمهيد مقدمات المكر والكيد في هدم امر النبوة واطفاء نور الدين والله متم نوره ولو كره المشركون قال ربي يعلم القول في السماء والارض حكاية من جهته تعالى لما قاله عليه السلام بعدما اوحي اليه احوالهم واقوالهم بيانا لظهور امرهم وانكشاف سرهم وايثار القول المنتظم للسر والجهر على السر لبيان ان علمه تعالى بالسر النجي البالغ في مع ما فيه من الايذان بان علمه تعالى بالسر والجهر على وتيرة واحدة لا تفاوت

بينهما بالجهر والخفاء فضلا عما كان في علم الخلق وقوي قدر بلى الخ وقوله تعالى في السماء والارض
متعلق بمحذوف وقع حالا من القول اي كائنا في السماء والارض وقوله تعالى وهو السميع العليم
اي المبالغ في العلم بالمسموعات والمعلومات التي من جملتها ما اسروه من النجوى فيجازيهم باقوالهم
وافعالهم اعتراض تذييلي متضمن لمعنى ما قبله متضمن للوعيد بل قالوا اضغاث احلام اضراب من
جهته تعالى وانتقال من حكاية قولهم السابق الى حكاية قول آخر مضطرب في مطارب البطلان
اي لم يقتصروا على ان يقولوا في حقه عليه السلام هل هذا الا بشر مثلكم في حق ما ظهر على يديه من القرآن
الكريم انه سحر بل قالوا انه تخاليط الاحكام ثم اضربوا عنه فقالوا بل افتراه من تلقاء نفسه من غير
ان يكون له اصل او شبهة اصلا ثم قالوا بل هو شاعر وما اتى به شعر يخيل الى السامع معاني لا
حقيقة لها وهكذا شان المبطل المحجوج متحير لا يزال يتردد بين باطل وابطل ويتذبذب بين
فاسد وافسد فالاضراب الاول كما ترى من جهته تعالى والثاني والثالث من قبلهم وقد قيل الكل
من قبلهم حيث اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط احلام ثم الى انه كلام مفترى ثم الى انه قول
شاعر ولا ريب في انه كان ينبغي ان يقال قالوا بل اضغاث احلام واعتبار ان بل قالوا
مقول لقالوا المضمر قبل قوله تعالى هل هذا الا بشر كانه قيل واسروا النجوى قالوا هل هذا
الا قوله بل اضغاث احلام وانما صح ان يقال اعتدبل لبعد العهد بما يجتزيء ساحر التنزيل
عن امثاله فليأتنا بآية جواب شرط محذوف يفصح عنه السياق كانه قيل وان لم يكن كما
قلنا بل كان رسولا من الله فليأتنا بآية كما ارسل الاولون اي مثل الآية التي ارسل بها الاولون
كاليد والعصا ونظايرهما حتى نؤمن به فما موصولة ومحل الكاف الجر على انها صفة لآية ويجوز
ان تكون مصدرية فالكاف منصوبة على انها مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر محذوف اي
فليأتنا بآية اتيانا كائنا مثل ارسال الاولين بها وصح التشبيه من حيث ان الاتيان بالآية
من فروع الارسال بها اي مثل اتيان مترتب على الارسال ويجوز ان يحمل النظم الكريم على انه اريد
كل واحد من الاتيان والارسال في كل واحد من طرفي التشبيه لكنه ترك في جانب المشبه
ذكر الارسال وفي جانب المشبه به ذكر الاتيان اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في
الموطن الآخر حسبما ذكر في احد سورة يونس عليه السلام ما آمنت قبلهم من قرية كلام مستانف
مسوق لتكذيبهم فيما يدل عنه خاتمة مقالهم من الوعد الضمني بالايمان كما اشير اليه وبيان
انهم في اقتراح تلك الآيات كالباحث عن حتفه بظلفه وان في ترك الاجابة اليه ابقاء عليهم
كيف لا ولو اعطوا ما اقترحوه مع عدم ايمانهم قطعا لوجب استيصالهم لجريان سنة الله عز
وجل في الامم السالفة على ان المقترحين اذا اعطوا ما اقترحوه ثم لم يؤمنوا نزل بهم عذاب
الاستيصال لا محالة وقد سبقت كلمة الحق منه تعالى ان هذه الامة لا يعذبون بعذاب
الاستيصال وقوله من قرية اي من اهل قرية في محل الرفع على الفاعلية ومن مزيدة لتاكيد
العموم وقوله تعالى اهلكناها اي باهلاك اهلها لعدم ايمانهم بعد مجيء ما اقترحوه من
الآيات صفة لقرية والهمزة في قوله تعالى أفهم يؤمنون لانكار الوقوع والفاء للعطف اما
على مقدر دخلته الهمزة فافادت انكار وقوع ايمانهم ونفيه عقيب عدم ايمان الاولين
فالمعنى انه لم يؤمن امة من الامم المهلكة عند اعطاء ما اقترحوه من الآيات أهم لم يؤمنوا

فهؤلاء يؤمنون لو اجيبوا الى ما سألوا واعطوا ما اقترحوه مع كونهم اعتى منهم واطغى واما على ما
اشتمل عليه الفاء مقدمة على الهمزة في الاعتبار مفيدة لترتيب انكار وقوع ايمانهم على عدم ايمان
الاولين وانما قدمت عليها الهمزة لاقتضائها الصدارة كما هو راي الجمهور وقوله تعالى وما ارسلنا
قبلك الا رجالا نوحي اليهم جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم متضمن لرد ما دسوا تحت قولهم كما ارسل الاولون
من التعريض بعدم كونه صلى الله عليه وسلم مثل اولئك الرسل صلوات الله تعالى عليهم اجمعين
ولذلك قدم على جواب قولهم فليأتنا بآية ولانهم قالوا ذلك بطريق التعجيز فلا بد من المسارعة
الى رده وابطاله كما مر في تفسير قوله تعالى قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين وقوله تعالى
ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين ولان في هذا الجواب نوع بسط يخل تقديمه بتجاوب
اطراف النظم الكريم والحق انما احدثوا سببا للتكذيب موجبا للتصديق في الحقيقة لان مقتضى
الحكمة ان يرسل الى البشر البشر والى الملك الملك حسبما ينطق به قوله تعالى قل لو كان في
الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا فان عامة البشر بمعزل
من استحقاق المفاوضة الملكية لتوقفها على التناسب بين المفيض والمستفيض فبعث
الملك اليهم مزاحم للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع وانما الذي تقتضيه الحكمة
ان يبعث الملك منهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين
بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب وقوله تعالى نوحي اليهم
استيناف مبين لكيفية الارسال وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية المستمرة وحذف
المفعول لعدم القصد الى خصوصه والمعنى وما ارسلنا الى الامم قبل ارسالك الى امتك الا رجالا
مخصوصين من افراد الجنس مستاهلين للاصطفاء والارسال نوحي اليهم بواسطة الملك ما نوحي
من الشرايع والاحكام وغيرهما من القصص والاخبار كما نوحي اليك من غير فرق بينهما في حقيقة
الوحي وحقيقة مدلوله حسبما يحكيه قوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين
الى قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما كما لا فرق بينك وبينهم في البشرية فما لهم لا يفهمون انك
لست بدعا من الرسل وان ما اوحي اليك ليس مخالفا لما اوحي اليهم فيقولون ما يقولون وقرئ يوحى
اليهم بالياء على صيغة المبني للمفعول جريا على سنن الكبرياء وايذانا بتعين الفاعل وقوله
تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكفرة لتبكيتهم واستنزالهم
عن رتبة الاستبعاد والنكير اثر تحقيق الحق على طريقة الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه
الحقيق بالخطاب في امثال تلك الحقايق الانيقة واما الوقوف عليها بالاستخبار من الغير فهو
من وظايف العوام والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها والجواب لشرط محذوف لعدم يدل المذكور عليه
اي ان كنتم لا تعلمون ما ذكر فاسألوا ايها الجهلة اهل الكتاب الواقفين على احوال
الرسل السالفة عليهم الصلاة لتزول شبهتكم امروا بذلك لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم
لا سيما وهم كانوا يشايعون المشركين في عداوته صلى الله عليه وسلم ويشاورونهم في امره عليه السلام
ففيه من الدلالة على كمال وضوح الامر وقوة شان النبي عليه السلام ما لا يخفى وما جعلناهم جسدا
بيان لكون الرسل عليهم السلام اسوة لساير افراد الجنس في احكام الطبيعة البشرية اي بيان كونهم

اسوة لهم في نفس البشرية والجسد جسم الانسان والجن والملائكة ونصبه اما على انه مفعول
ثان للجعل لكن لا بمعنى جعله جسدا بعد ان لم يكن كذلك كما هو المشهور من معنى التصيير
بل بمعنى جعله كذلك ابتداء على طريقة قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل كما في قوله
تعالى وجعلنا آية النهار مبصرة واما حال من الضمير والجعل ابداعي وافراده لارادة الجنس
المنتظم للكثير ايضا وقيل بتقدير المضاف اي ذوي جسد وقوله تعالى لا يأكلون الطعام
صفة له اي وما جعلناهم جسدا مستغنيا عن الاكل والشرب بل محتاجا الى ذلك لتحصيل
بدل ما يتحلل منه وما كانوا خالدين لان مآل التحلل هو الفناء لا محالة ونفي اثبات ما كانوا عليه مما
جعلناهم تنبيها على ان عدم الخلود مقتضى جبلتهم التي اشير اليها بقوله تعالى وما جعلناهم الخ لا بالجعل
المستأنف والمراد بالخلود اما المكث المديد كما هو شأن الملائكة او الابدية وهم معتقدون انهم
لا يموتون والمعنى جعلناهم اجسادا متغذية صائرة الى الموت بالآخرة على حسب اجسامهم لا ملائكة
ولا اجسادا مستغنية عن الاغذية مصونة عن التحلل كالملائكة فلم يكن لها خلود كخلودهم فالجملة
مقررة لما قبلها من كون الرسل السالفة عليهم السلام بشرا لا ملائكة مع ما في ذلك من الرد على قولهم ما لهذا
الرسول يأكل الطعام وقوله تعالى ثم صدقناهم الوعد عطف على ما يفهم من حكاية وحيه
تعالى اليهم على الاستمرار التجددي كأنه قيل اوحينا اليهم ما اوحينا ثم صدقناهم في الوعد الذي
وعدناهم في تضاعيف الوحي باهلاك اعدائهم فانجيناهم ومن نشاء من المؤمنين وغيرهم
ممن تستدعي الحكمة ابقاءه كمن سيؤمن هو او بعض فروعه بالآخرة وهو السر في حماية العرب
من عذاب الاستئصال واهلكنا المسرفين اي المجاوزين للحدود في الكفر والمعاصي لقد
انزلنا اليكم كلام مستأنف مسوق لتحقيق حقية القرآن العظيم الذي ذكر في صدر السورة
الكريمة اعراض الناس عما يأتيهم من آياته واستهزاؤهم به وتسميتهم له تارة سحرا وتارة اضغاث
احلام واخرى مفترى وشعرا وبيان علو رتبته اثر تحقيق رسالته صلى الله عليه وسلم ببيان انه
كسائر الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام وتصديره بالتوكيد القسمي لاظهار مزيد الاعتناء
بمضمونه وايذانا بكون المخاطبين في اقصى مراتب النكير اي والله لقد انزلنا اليكم يا معشر قريش
كتابا عظيم الشأن نير البرهان وقوله تعالى فيه ذكركم صفة لكتابا مؤكدة لما افاده
التنكير التفخيمي من كونه جليل القدر بانه جميل الآثار مستجلب لهم منافع جليلة اي فيه شرفكم
وصيتكم كقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقيل ما تحتاجون اليه في امور دينكم
ودنياكم وقيل فيه ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق وقيل فيه موعظتكم وهو
الانسب لسياق النظم الكريم وسياقه فان قوله تعالى افلا تعقلون انكار توبيخي فيه
بعث لهم على التدبر في امر الكتاب والتأمل في تضاعيفه من فنون المواعظ والزواجر
التي من جملتها القوارع السابقة واللاحقة والفاء للعطف على مقدر ينبئ عليه الكلام اي ألا تتفكرون
فلا تعقلون ان الامر كذلك او لا تعقلون شيئا من الاشياء التي من جملتها ما ذكر وقوله تعالى
وكم قصمنا من قرية نوع تفصيل لاجمال قوله تعالى واهلكنا المسرفين وبيان لكيفية
اهلاكهم وتنبيه على كثرتهم وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها النصب على انها مفعول لقصمنا

من قرية تمييز وفي لفظ القصم الذي هو عبارة عن الكسر بابانة اجزاء المكسور وازالة تأليفها بالكلية
من الدلالة على قوة الغضب وشدة السخط ما لا يخفى وقوله تعالى كانت ظالمة في محل الجر على انها صفة
لقرية بتقدير مضاف ينبئ عنه الضمير الآتي اي وكثيرا قصمنا من اهل قرية كانوا ظالمين بآيات الله
تعالى كافرين بها كدأبكم وانشأنا بعدها اي بعد اهلاكها قوما آخرين اي ليسوا منهم نسبا
ولا دينا ففيه تنبيه على استئصال الاولين وقطع دابرهم بالكلية وهو السر في تقديم حكاية انشاء
هؤلاء على حكاية مبادي اهلاك اولئك بقوله تعالى فلما احسوا بأسنا اي ادركوا عذابنا الشديد
ادراكا تاما كأنه ادراك المشاهد المحسوس اذا هم منها يركضون يهربون مسرعين راكضين دوابهم ٣٤٣
او مشبهين بهم في فرط الاسراع لا تركضوا اي قيل لهم بلسان الحال او بلسان المقال من الملائكة
او ممن ثمة من المؤمنين بطريق الاستهزاء والتوبيخ لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه من التنعم
والتلذذ والاتراف ابطار النعمة ومساكنكم التي كنتم تفتخرون بها لعلكم تسألون تقصدون
للسؤال والتشاور والتدبير في المهمات والنوازل او تتفقدون اذا رأيت مساكنكم خالية وتسألون
اين اصحابها او يسألكم الوافدون نوالكم على انهم كانوا اسخياء ينفقون اموالهم رئاء او بخلاء فقيل
لهم ذلك تهكما الى تهكم قالوا لما يئسوا من الخلاص بالهرب وايقنوا بنزول العذاب يا ويلنا اي
هلاكنا انا كنا ظالمين اي مستوجبين للعذاب وهذا اعتراف منهم بالظلم وباستتباعه
للعذاب وندم عليه حين لم ينفعهم ذلك فما زالت تلك دعواهم اي فما زالوا يرددون تلك الكلمة
وتسميتها دعوى اي دعوة لان المولول كأنه يدعو الويل قائلا يا ويل تعال فهذا اوانك حتى
جعلناهم حصيدا اي مثل الحصيد وهو المحصود من الزرع والنبت ولذلك لم يجمع خامدين
اي ميتين من خمدت النار اذا طفئت وهو مع حصيدا في حيز المفعول الثاني للجعل كقولك جعلته
حلوا حامضا والمعنى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود او حال من الضمير المنصوب في
جعلناهم او من المستكن في حصيدا او صفة لحصيدا لتعدده معنى لانه في حكم جعلناهم امثال
حصيد وما خلقنا السماء والارض اشارة اجمالية الى ان تكوين العالم وابداع بني آدم
مؤسس على قواعد الحكم البالغة المستتبعة للغايات الجليلة وتنبيه على ان ما حكي من العذاب الهائل
والعقاب النازل باهل القرى من مقتضيات تلك الحكم ومتفرعاتها حسب اقتضاء اعمالهم
اياه وان للمخاطبين المقتدين بآثارهم ذنوبا مثل ذنوبهم اي ما خلقناهما وما بينهما من
المخلوقات التي لا تحصى اجناسها وافرادها ولا تحصر انواعها وآحادها على هذا النمط
البديع والاسلوب المنيع خالية عن الحكم والمصالح وانما عبر عن ذلك باللعب واللهو حيث قيل
لاعبين لبيان كمال تنزهه تعالى عن الخلق الخالي عن الحكمة بتصويره بصورة ما لا يرتاب احد في
استحالة صدوره عنه سبحانه بل انما خلقناهما وما بينهما لتكون مبدأ لوجود الانسان وسببا
لمعاشه ودليلا يقوده الى تحصيل معرفتنا التي هي الغاية القصوى بواسطة طاعتنا وعبادتنا
كما ينطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء
ليبلوكم ايكم احسن عملا وقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى
لو اردنا ان نتخذ لهوا استئناف مقرر لما قبله من انتفاء اللعب واللهو اي لو اردنا ان نتخذ

ما يلهى به ويلعب لاتخذناه من لدنا أي من جهة قدرتنا أو من عندنا مما يليق بشأننا من
المجردات لا من الأجسام المرفوعة والأجرام الموضوعة كديدن الجبابرة في رفع العروش وتحسينها
وتسوية الفروش وتزيينها لكن يستحيل إرادتنا له لمنافاته الحكمة فيستحيل اتخاذنا له قطعا
وقوله تعالى إن كنا فاعلين جوابه محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه أي إن كنا فاعلين لاتخذناه
من لدنا وقيل إن نافية أي ما كنا فاعلين أي لاتخاذ اللهو لعدم إرادتنا إياه فيكون بيانا لانتفاء
التالي لانتفاء المقدم أو لإرادة اتخاذه فيكون بيانا لانتفاء المقدم المستلزم لانتفاء التالي
وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة فالمراد الرد على النصارى ولا يخفى بعده بل
نقذف بالحق على الباطل إضراب عن اتخاذ اللهو بل عن إرادته كأنه قيل لكنا لا نريده بل
شأننا أن نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل الذي من قبيله اللهو وتخصيص شأنه هذا
من بين سائر شئونه تعالى بالذكر للتخلص إلى ما سيأتي من الوعيد فيدمغه أي يمحقه بالكلية كما
فعلنا بأهل القرى المحكية وقد استعير لإيراد الحق على الباطل القذف الذي هو الرمي
الشديد بالجرم الصلب كالصخرة ولمحقه للباطل الدمغ الذي هو كسر الشيء الرخو الأجوف
وهو الدماغ بحيث يشق غشاءه المؤدي إلى زهوق الروح تصويرا له بذلك وقرئ فيدمغه
بالنصب وهو ضعيف وقرئ فيدمغه بضم الميم فإذا هو زاهق أي ذاهب بالكلية وفي
إذا الفجائية والجملة الاسمية من الدلالة على كمال المسارعة في الذهاب والبطلان ما لا
يخفى فكأنه زاهق من الأصل ولكم الويل مما تصفون وعيد لقريش بأن لهم أيضا مثل
ما لأولئك من العذاب والعقاب ومن تعليلية متعلقة بالاستقرار الذي تعلق به الخبر أو
بمحذوف هو حال من الويل أو من ضميره في الخبر وما إما مصدرية أو موصولة أو موصوفة أي ومستقر
لكم الويل من أجل وصفكم له سبحانه بما لا يليق بشأنه الجليل أو بالذي تصفونه أو بشيء تصفونه
به من الولد كأنما تصفونه به تعالى وله من في السموات والأرض استئناف مقرر لما
قبله من خلقه تعالى لجميع مخلوقاته على حكمة بالغة ونظام كامل وأنه تعالى يحق الحق ويزهق
الباطل أي له تعالى خاصة جميع المخلوقات خلقا وملكا وتدبيرا وتصرفا وإحياء
وإماتة وتعذيبا وإثابة من غير أن يكون لأحد في ذلك دخل ما استقلالا أو استتباعا
ومن عنده وهم الملائكة عليهم السلام عبر عنهم بذلك إثر ما عبر عنهم بمن في السموات
تنزيلا لهم لكرامتهم عليه عز وعلا منزلة المقربين عند الملك بطريق التمثيل
وهو مبتدأ خبره لا يستكبرون عن عبادته أي لا يتعظمون عنها ولا يعدون أنفسهم
كبراء ولا يستحسرون ولا يكلون ولا يعيون وصيغة الاستفعال المنبئة عن المبالغة
في الحسور للتنبيه على أن عباداتهم بثقلها ودوامها حقيقة بأن يستحسر منها ومع ذلك لا
يستحسرون لا لإفادة نفي المبالغة في الحسور مع ثبوت أصله في الجملة كما أن نفي الظلامية في
قوله تعالى وما أنا بظلام للعبيد لإفادة كثرة الظلم المفروض تعلقه بالعبيد لا لإفادة
نفي المبالغة في الظلم مع ثبوت أصل الظلم في الجملة وقيل من عنده معطوف على من الأولى وإفرادهم
بالذكر مع دخولهم في من في السموات والأرض للتعظيم كما في قوله تعالى وجبريل وميكال فقوله

لا يستكبرون حال من الثانية يسبحون الليل والنهار أي ينزهونه في جميع الأوقات ويعظمونه
ويمجدونه دائما وهو استئناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله كأنه قيل ماذا يصنعون في عبادتهم
أو كيف يعبدون فقيل يسبحون الخ أو حال من فاعل يستحسرون وكذلك قوله تعالى لا يفترون
أي لا يتخلل تسبيحهم فترة أصلا بفراغ أو بشغل آخر أم اتخذوا آلهة حكاية لجناية أخرى
من جناياتهم بطريق الإضراب والانتقال من فن إلى فن آخر من التوبيخ إلى تحقيق الحق ببيان
أنه تعالى خلق جميع المخلوقات على منهاج الحكمة وأنهم قاطبة تحت ملكوته وقهره وأن عباده
مذعنون لطاعته ومثابرون على عبادته منزهون له عن كل ما لا يليق بشأنه من الأمور التي من جملتها
الأنداد ومعنى الهمزة في أم المنقطعة إنكار الوقوع لا إنكار الواقع وقوله تعالى من الأرض متعلق
باتخذوا أو بمحذوف هو صفة لآلهة وأيا ما كان فالمراد هو التحقير لا التخصيص وقوله تعالى
هم ينشرون أي يبعثون الموتى صفة لآلهة وهو الذي يدور عليه الإنكار والتجهيل والتشنيع
لا نفس الاتخاذ فإنه واقع لا محالة أي بل اتخذوا آلهة من الأرض هم خاصة مع حقارتهم وجماديتهم
ينشرون الموتى كلا فإن ما اتخذوها آلهة بمعزل من ذلك وهم وإن لم يقولوا بذلك صريحا
لكنهم حيث ادعوا لها الإلهية فكأنهم ادعوا لها الإنشار ضرورة أنه من الخصائص الإلهية حتما
ومعنى التخصيص في تقديم الضمير ما أشير إليه من التنبيه على كمال مباينة حالهم للإنشار الموجبة لمزيد
الإنكار كما في قوله تعالى أفي الله شك وقوله تعالى أبالله وآياته كنتم تستهزئون فإن تقديم الجار
والمجرور للتنبيه على كمال مباينة أمره تعالى لأن يشك فيه ويستهزأ به ويجوز أن يجعل ذلك من
مستتبعات ادعائهم الباطل فإن الألوهية مقتضية للاستقلال بالإبداء والإعادة فحيث ادعوا
للأصنام الإلهية فكأنهم ادعوا لها الاستقلال بالإنشار كما أنهم جعلوا مدعين لأصل الإنشار
لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا إبطال لتعدد الآلهة بإقامة البرهان على انتفائه بل على استحالته
وإيراد الجمع لوروده إثر إنكار اتخاذ الآلهة لا لأن للجمعية مدخلا في الاستدلال وكذا فرض كونها
فيهما وإلا بمعنى غير على أنها صفة لآلهة ولا مساغ للاستثناء لاستحالة شمول ما قبلها لما بعدها
وإفضائه إلى فساد المعنى لدلالته على أن الفساد لكونها فيهما بدونه تعالى ولا للرفع على البدل
لأنه متفرع على الاستثناء ومشروط بأن يكون في كلام غير موجب أي لو كان في السموات والأرض
آلهة غير الله كما هو اعتقادهم الباطل لفسدتا أي لبطلتا بما فيهما جميعا وحيث انتفى التالي علم
انتفاء المقدم قطعا بيان الملازمة أن الإلهية مستلزمة للقدرة على الاستبداد بالتصرف فيهما
على الإطلاق تغييرا وتبديلا وإيجادا وإعداما وإحياء وإماتة فبقاؤهما على ما هما عليه إما
بتأثير كل منها وهو محال لاستحالة وقوع المعلول المعين بعلل متعددة وإما بتأثير واحد
منها فالبواقي بمعزل من الإلهية قطعا واعلم أن جعل التالي فسادهما بعد وجودهما لما
أنه اعتبر في المقدم تعدد الآلهة فيهما وإلا فالبرهان يقتضي استحالة التعدد على الإطلاق فإنه
لو تعدد الإله فإن توافق الكل في المراد تطاردت عليه القدر وإن تخالف لزم التعاوق فلا يوجد له
موجود أصلا وحيث انتفى التالي تعين انتفاء المقدم والفاء في قوله تعالى فسبحان الله رب العرش
لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ثبوت الوحدانية بالبرهان أي فسبحوه سبحانه اللائق به ونزهوه
التسبيح

عما لا يليق به من الأمور التي من جملتها أن يكون له شريك في الألوهية وإيراد الجلالة في موضع الإضمار
للإشعار بعلة الحكم فإن الألوهية مناط لجميع صفات كماله التي من جملتها تنزهه تعالى عما لا
يليق به ولتربية المهابة وإدخال الروعة وقوله تعالى رب العرش صفة للاسم الجليل مؤكدة
لتنزهه عز وجل عما يصفون متعلق بالتسبيح أي فسبحوه عما يصفونه من أن يكون
من دونه آلهة لا يسأل عما يفعل استئناف ببيان أنه تعالى لقوة عظمته وعزة سلطانه القاهر
بحيث ليس لأحد من مخلوقاته أن يناقشه ويسأله عما يفعل من أفعاله إثر بيان أن ليس له شريك في
الألوهية وهم أي العباد يسألون عما يفعلون نقيرا وقطميرا لأنهم مملوكون له تعالى مستعبدون وفيه
وعيد للكفرة أم اتخذوا من دونه آلهة إضراب وانتقال من إظهار بطلان كون ما اتخذوه
آلهة حقيقة بإظهار خلوها عن خصائص الإلهية التي من جملتها الإنشاء وإقامة البرهان
القاطع على استحالة تعدد الإله على الإطلاق وتفرده سبحانه بالألوهية إلى إظهار بطلان
اتخاذهم تلك الآلهة مع عرائها عن تلك الخصائص بالمرة شركاء لله عز سلطانه وتبكيتهم
بإلجائهم إلى إقامة البرهان على دعواهم الباطلة وتحقيق أن جميع الكتب السماوية ناطقة بحقية
التوحيد وبطلان الإشراك والهمزة لإنكار الاتخاذ المذكور واستقباحه واستعظامه
ومن متعلقة باتخذوا والمعنى بل اتخذوا متجاوزين إياه تعالى مع ظهور شؤونه الجليلة الموجبة
لتفرده بالألوهية آلهة مع ظهور خلوهم عن خواص الألوهية بالكلية قل لهم بطريق
التبكيت وإلقام الحجر هاتوا برهانكم على ما تدعونه من جهة العقل أو النقل فإنه لا صحة لقول
لا دليل عليه في الأمور الدينية لا سيما في مثل هذا الشأن الخطير وما في إضافة البرهان
إليهم من الإشعار بأن لهم برهانا ضرب من التهكم بهم وقوله تعالى هذا ذكر من معي
وذكر من قبلي إنارة لبرهانه وإشارة إلى أنه مما نطقت به الكتب الإلهية قاطبة وشهدت به
ألسنة الرسل المتقدمة كافة وزيادة تهييج لهم على إقامة البرهان لإظهار كمال عجزهم أي
هذا الوحي الوارد في شأن التوحيد المتضمن للبرهان القاطع العقلي ذكر أمتي أي عظتهم وذكر
الأمم السالفة قد أقمته فأقيموا أنتم أيضا برهانكم وقيل المعنى هذا كتاب أنزل على أمتي
وهذا الكتاب أنزل على أمم الأنبياء عليهم السلام من الكتب الثلاثة والصحف وراجعوها وانظروا
هل في واحد منها غير الأمر بالتوحيد والنهي عن الإشراك ففيه تبكيت لهم متضمن لإثبات
نقيض مدعاهم وقرئ بالتنوين والإعمال كقوله تعالى أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما
وبمن الجارة على أن مع اسم هو ظرف كقبل وبعد وقوله تعالى بل أكثرهم لا يعلمون الحق
إضراب من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن وانتقال من الأمر بتبكيتهم بمطالبة البرهان
إلى بيان أنه لا ينجع فيهم المحاجة بإظهار حقية الحق وبطلان الباطل فإن أكثرهم لا يفقهون
الحق ولا يميزونه بينه وبين الباطل فهم لأجل ذلك معرضون أي مستمرون على الإعراض
عن التوحيد واتباع الرسول لا يرعوون عما هم عليه من الغي والضلال وإن كررت عليهم
البينات والحجج أو معرضون عما ألقي عليهم من البراهين العقلية والنقلية وقرئ الحق
بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وسط بين السبب والمسبب تأكيدا للسببية وقوله تعالى

وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون استئناف مقرر لما أجمل
فيما قبله من كون التوحيد مما نطقت به الكتب الإلهية وأجمعت عليه الرسل عليهم السلام وقرئ يوحى
على صيغة الغائب مبنيا للمفعول وأيا ما كان فصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا
لصورة الوحي وقالوا اتخذ الرحمن ولدا حكاية لجناية فريق من المشركين جيء بها لإظهار
بطلانها وبيان تنزهه تعالى عن ذلك إثر بيان تنزهه سبحانه عن الشركاء على الإطلاق
وهم حي من خزاعة يقولون الملائكة بنات الله تعالى ونقل الواحدي أن قريشا وبعض
أجناس العرب جهينة وبني سلمة وخزاعة وبني مليح يقولون ذلك والتعرض لعنوان الرحمانية
المنبئة عن كون جميع ما سواه تعالى مربوبا له تعالى نعمة أو منعما عليه لإبراز كمال شناعة مقالتهم
الباطلة سبحانه أي تنزه بالذات تنزهه اللائق به على أن السبحان مصدر من سبح أي بعد
أو أسبحه تسبيحه على أنه علم للتسبيح وهو مقول على ألسنة العباد أو سبحوه تسبيحه وقوله تعالى
بل عباد إضراب وإبطال لما قالوه كأنه قيل ليست الملائكة كما قالوا بل هم عباد له
تعالى مكرمون مقربون عنده وقرئ مكرمون بالتشديد وفيه تنبيه على منشأ غلط القوم
وقوله تعالى لا يسبقونه بالقول صفة أخرى لعباد منبئة عن كمال طاعتهم وانقيادهم
لأمره تعالى أي لا يقولون شيئا حتى يقوله تعالى أو يأمرهم به وأصله لا يسبق قولهم قوله تعالى
فأسند السبق إليهم منسوبا إليه تعالى تنزيلا لسبق قولهم قوله تعالى منزلة سبقهم إياه تعالى
لمزيد تنزيههم عن ذلك وللتنبيه على غاية استهجان السبق المعرض به للذين يقولون
ما لا يقوله الله تعالى وجعل القول محلا للسبق وأداة له ثم أنيب اللام عن الإضافة للاختصار
والتجافي عن التكرار وقرئ لا يسبقونه بضم الباء من سابقته فسبقته أسبقه وفيه من بيان استهجان
السبق والإشعار بأن من سبق قوله قوله تعالى فقد تصدى لمغالبته تعالى في السبق فسبقه
فغلبه وزيادة تنزيههم عما نفي عنهم ببيان أن ذلك عندهم بمنزلة
الغلبة بعد المغالبة فأنى يتوهم صدوره عنهم وهم بأمره يعملون بيان لتبعيتهم له
تعالى في الأعمال إثر بيان تبعيتهم له تعالى في الأقوال فإن نفي سبقهم له تعالى بالقول عبارة
عن تبعيتهم له تعالى كأنه قيل هم بأمره يقولون وبأمره يعملون لا بغير أمره أصلا فالقصر
المستفاد من تقديم الجار معتبر بالنسبة إلى غير أمره لا إلى أمر غيره يعلم ما بين أيديهم
وما خلفهم استئناف وقع تعليلا لما قبله وتمهيدا لما بعده فإنهم لعلمهم بإحاطة علمه
تعالى بما قدموا وأخروا من الأقوال والأعمال لا يزالون يراقبون أحوالهم فلا يقدمون على قول
أو عمل بغير أمره تعالى ولا يشفعون إلا لمن ارتضى أن يشفع له مهابة منه تعالى وهم
من خشيته عز وجل مشفقون مرتعدون وأصل الخشية الخوف مع
التعظيم ولذلك خص بها العلماء والإشفاق الخوف مع الاعتناء فعند تعديته بمن يكون
معنى الخوف فيه أظهر وعند تعديته بعلى بالعكس ومن يقل منهم أي من الملائكة إذ الكلام
فيهم وفي كونهم بمعزل مما قالوا في حقهم إني إله من دونه متجاوزا إياه تعالى فذلك الذي فرض
قوله فرضا محالا نجزيه جهنم كسائر المجرمين ولا يغني عنهم ما ذكر من صفاتهم السنية وأفعالهم

المضيئة وغيرها من الدلالة على قدرته تعالى وعزه وجبروته واستحالة كون الملائكة بحيث يتوهم في
حقهم ما توهمه الكفرة بما لا يخفى كذلك نجزي الظالمين مصدر تشبيهي مؤكد لمضمون ما
قبله أي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي الذين يضعون الأشياء في غير مواضعها ويتعدون
طورهم والقصر المستفاد من التقديم معتبر بالنسبة الى النقصان دون الزيادة أي لا جزاء أنقص
منه أولم ير الذين كفروا تجهيل لهم بتقصيرهم في التدبر في الآيات التكوينية الدالة على استقلاله
تعالى بالألوهية وكون جميع ما سواه مقهورا تحت ملكوته والهمزة للإنكار والواو للعطف على
مقدر وقرئ بغير واو والرؤية قلبية أي ألم يتفكروا ولم يعلموا أن السموات والأرض كانتا أي جماعتا
السموات والأرضين كما في قوله تعالى إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا رتقا الرتق
الضم والالتحام والمعنى إما على حذف المضاف أو هو بمعنى المفعول أي كانتا ذواتي رتق أو مرتوقتين
وقرئ رتقا أي شيئا رتقا أي مرتوقا ففتقناهما قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عكرمة والحسن
البصري وقتادة وسعيد بن جبير كانتا شيئا واحدا ملتزقتين ففصل الله بينهما ورفع السماء الى
حيث هي وأقر الأرض وقال كعب خلق الله تعالى السموات والأرض ملتصقتين ثم خلق ريحا فتوسطتهما
ففتقتهما وعن الحسن خلق الله تعالى الأرض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق
بها ثم أصعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر في موضعها وبسط منها الأرض وذلك
قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما وقال مجاهد والسدي كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة
ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الأرض كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع
أرضين وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء وعليه أكثر المفسرين إن السموات كانت رتقا مستوية
صلبة لا تمطر والأرض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات فيكون المراد بالسموات
السماء الدنيا والجمع باعتبار الآفاق أو السموات جميعا على أن لها مدخلا في الأمطار وعلم الكفرة
بالرتق والفتق بهذا المعنى مما لا سترة به وأما بالمعاني الأول فهم وإن لم يعلموها لكنهم متمكنون من
علمهما إما بطريق النظر والتفكر فإن الفتق عارض مفتقر الى مؤثر قديم وإما بالاستفسار من العلماء
ومطالعة الكتب وجعلنا من الماء كل شيء حي أي خلقنا من الماء كل حيوان كقوله تعالى والله خلق
كل دابة من ماء وذلك لأنه من أعظم مواده أو لفرط احتياجه إليه وانتفاعه به أو صيرنا كل شيء
حي من الماء أي بسببه لا بد له منه وتقديم المفعول الثاني للاهتمام به لا لمجرد أن المفعولين
في الأصل مبتدأ وخبر وحق الخبر عند كونه ظرفا أن يتقدم على المبتدأ فإن ذلك مصحح محض
لا مرجح وقرئ حيا على أنه صفة كل أو مفعول ثان والظرف كما في الوجه الأول قدم على المفعول للاهتمام
به والتشويق الى المؤخر أفلا يؤمنون إنكار لعدم إيمانهم بالله وحده مع ظهور ما يوجبه حتما
من الآيات الآفاقية والأنفسية الدالة على تفرده عز وجل بالألوهية وعلى كون ما سواه من مخلوقاته
مقهورة تحت ملكوته وقدرته والفاء للعطف على مقدر يستدعيه الإنكار السابق أي أيعلمون
ذلك فلا يؤمنون وجعلنا في الأرض رواسي أي جبالا ثوابت جمع راسية من رسا
الشيء إذا ثبت ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير العقلاء مما لا ريب في صحته كقوله تعالى أياما معلومات
وأياما معدودات أن تميد بهم أي كراهة أن تميل وتضطرب بهم أو لئلا تميد بهم بحذف اللام ولا

لعدم الإلباس وجعلنا فيها فجاجا سبلا أي في الأرض وتكرير الفعل لاختلاف المجعولين ولتوفية
مقام الامتنان حقه أو في الرواسي لأنها المحتاجة الى الطرق والفجاج مسالك واسعة وإنما
قدم على قوله تعالى سبلا وهو وصف له ليصير حالا فيفيد أنه تعالى حين خلقها خلقها
كذلك أو ليبدل منه سبلا فيدل ضمنا على أنه تعالى خلقها ووسعها للسابلة مع ما فيه من التوكيد
لعلهم يهتدون أي الى مصالحهم ومهماتهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا من الوقوع بقدرتنا
القاهرة أو من الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئتنا أو من استراق السمع بالشهب
وهم عن آياتها الدالة على وحدانيته تعالى وعلمه وحكمته وقدرته وإرادته التي بعضها محسوس
وبعضها معلوم بالبحث عنه في علمي الطبيعة والهيئة معرضون لا يتدبرون فيها
فيبقون على ما هم عليه من الكفر والضلال وقوله تعالى وهو الذي خلق الليل والنهار
والشمس والقمر اللذين هما آيتاهما بيان لبعض تلك الآيات التي هم عنها معرضون
بطريق الالتفات الموجب لتأكيد الاعتناء بفحوى الكلام أي هو الذي خلقهن وحده
كل أي كل واحد منهما على أن التنوين عوض عن المضاف إليه في فلك يسبحون أي يجرون
في سطح الفلك كالسبح في الماء والمراد بالفلك الجنس كقولهم كساهم الخليفة حلة والجملة حال
من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما والجمع باعتبار المطالع وجعل
الضمير واو العقلاء لأن السباحة حالهم وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أي في الدنيا
لكونه مخالفا للحكمة التكوينية والتشريعية أفإن مت بمقتضى حكمتنا فهم الخالدون
نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون والفاء لتعليق الشرطية بما قبلها والهمزة لإنكار
مضمونها بعد تقرر القاعدة الكلية النافية لذلك بالمرة والمراد بإنكار خلودهم نفيه
إنكار ما هو مدار له وجودا وعدما من شماتتهم بموته عليه السلام فإن الشماتة بما يعتري إنسانا ما
لا يليق إلا بمن يصير بمعزل عنه قطعا كأنه قيل أفإن مت فهم الخالدون حتى يشمتوا بموتك وقوله
تعالى كل نفس ذائقة الموت أي ذائقة مرارة مفارقتها جسدها برهان على إنكار
خلودهم ونبلوكم الخطاب إما للناس كافة بطريق التلوين أو للكفرة بطريق الالتفات أي
نعاملكم معاملة من يبلوكم بالشر والخير بالبلايا والنعم هل تصبرون وتشكرون أولا فتنة
مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه وإلينا ترجعون لا الى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا
فنجازيكم حسبما يظهر منكم من الأعمال فهو على الأول وعد ووعيد وعلى الثاني وعيد محض وفيه
إيماء الى أن المقصود من هذه الحياة الدنيا الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب وقرئ
يرجعون بالياء على الالتفات وإذا رآك الذين كفروا أي المشركون إن يتخذونك إلا
هزوا أي ما يتخذونك إلا مهزوا به على معنى قصر معاملتهم معك عليه السلام على اتخاذهم إياك هزوا
لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزوا كما هو المتبادر كأنه قيل ما يفعلون بك إلا اتخاذك
هزوا وقد مر تحقيقه في قوله تعالى إن نتبع إلا رجلا مسحورا أهذا الذي يذكر آلهتكم
على إرادة القول أي يقولون أو قائلين ذلك أي يذكرهم بسوء كما في قوله تعالى سمعنا فتى
يذكرهم الآية وقوله تعالى وهم بذكر الرحمن هم كافرون في حيز النصب على الحالية من ضمير

القول المقدر في الموضعين ثم يعيبون عليه عليه السلام ان يذكر الهتهم التي لا تضر ولا تنفع بالسوء من المقال
انهم بذكر الرحمن المنعم عليهم بما يليق به من التوحيد وبارشاد الخلق بارسال الرسل وانزال الكتب
او بالقرآن كافرون فهم احقا بالعيب والانكار فالضمير الاول مبتدا خبره كافرون وبذكر يتعلق
بالخبر والتقديم منهم كافرون بذكر الرحمن والضمير الثاني تاكيد لفظي للاول ووقع الفصل بين العامل
ومعموله بالمؤكد وبين المؤكد والمؤكد بالمعمول خلق الانسان من عجل جعل لفرط استعجاله
وقلة صبره كانه مخلوق منه تنزيلا لما طبع عليه من الاخلاق منزلة ما طبع منه من الاركان ايذانا
بغاية لزومه له وعدم انفكاكه عنه ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجاله بالوعيد وروي انها
نزلت في النضر بن الحارث حين استعجل العذاب بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر الاية وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد بالانسان آدم عليه السلام وانه حين بلغ الروح صدره
ولم يتبالغ فيه اراد ان يقوم وروي انه لما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه
اشتهى الطعام وقيل خلقه الله تعالى في اخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فاسرع في
خلقه قبل غيبتها فالمعنى خلق خلقا ناشئا من عجل فذكره لبيان انه من دواعي عجلته في
الامور والاظهر ان المراد به الجنس وان كان خلقه عليه السلام ساريا الى اولاده وقيل العجل الطين
بلغة حمير ولا تقريب له هاهنا وقوله تعالى سأريكم آياتي تلوين للخطاب وصرف له عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى المستعجلين بطريق التهديد والوعيد اي سأريكم نقماتي في الاخرة
كعذاب النار وغيره فلا تستعجلون بالاتيان بها والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها
عن مرادها ويقولون متى هذا الوعد اي وقت مجيء الساعة التي كانوا يوعدون
وانما كانوا يقولونه استعجالا لمجيئه بطريق الاستهزاء والانكار كما يرشد اليه الجواب لا طلبا
لتعيين وقته بطريق الالزام كما في سورة الملك ان كنتم صادقين اي في وعدكم بانه يأتينا
والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الذين يتلون الايات الكريمة المنبئة عن مجيء الساعة
وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه حسبما حذف في مثل قوله تعالى فأتنا بما
تعدنا ان كنت من الصادقين فان قولهم متى هذا الوعد استبطاء منهم للموعود وطلب لاتيانه
بطريق العجلة فان ذلك في قوة الامر بالاتيان عجلة كانه قيل فليأتنا بسرعة ان كنتم
صادقين لو يعلم الذين كفروا استئناف مسوق لبيان شدة هول ما يستعجلونه وفظاعة
ما فيه من العذاب وانهم انما يستعجلونه لجهلهم بشأنه وايثار صيغة المضارع في الشرط
وان كان المعنى على المضي لافادة استمرار عدم العلم فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي
ليس نصا في افادة انتفاء استمرار الفعل بل يفيد استمرار انتفائه ايضا بحسب المقام كما في
قولك لو تحسن الي لشكرتك فان المعنى ان انتفاء الشكر لاستمرار انتفاء الاحسان
لا لانتفاء استمرار الاحسان ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما في حيز الصلة على استحقاقهم
وقوله تعالى حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم مفعول يعلم وهو عبارة عن
الوقت الموعود الذي كانوا يستعجلونه واضافته الى الجملة الجارية مجرى الصفة التي حقها
ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند المخاطب مع انكار الكفرة لذلك للايذان

بانه

بانه من الظهور بحيث لا حاجة الى الاخبار به وانما حقه الانتظام في سلك المسلمات المفروغ
عنها وجواب لو محذوف اي لو لم يستمر عدم علمهم بالوقت الذي يستعجلونه بقولهم متى هذا
الوعد وهو الحين الذي يحيط بهم النار فيه من كل جانب وتخصيص الوجوه والظهور بالذكر
بمعنى القدام والخلف لكونهما اشهر الجوانب واستلزام الاحاطة بهما للاحاطة بالكل
بحيث لا يقدرون على دفعها بانفسهم من جانب من جوانبهم ولا هم ينصرون من جهة الغير
في دفعها الخ لما فعلوا ما فعلوا من الاستعجال وتجويز ان يكون يعلم متروك المفعول منزلة
اللازم اي لو كان لهم علم لما فعلوه وقوله تعالى الخ استئناف مقرر لجهلهم ومبين لاستمرار
الى ذلك الوقت كانه قيل حتى يرون ما يرون فيعلمون حقيقة الحال بل تأتيهم عطف على
يكفون اي لا يكفونها بل تأتيهم اي العدة او النار او الساعة بغتة فتبهتهم اي تغلبهم
او تحيرهم وفي بعض القراءات بالتذكير على ان الضمير للوعد او الحين وكذا الهاء في قوله
تعالى فلا يستطيعون ردها وقيلا للوعد بالتاويل بالعدة او الحين بالساعة ويجوز
عوده الى النار وقيل الى البغتة اي لا يستطيعون ردها عنهم بالكلية ولا هم ينظرون
اي يمهلون ليستريحوا طرفة عين وفيه تذكير لامهالهم في الدنيا ولقد استهزئ برسل من قبلك
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتصديرها بالقسم لزيادة تحقيق مضمونها وتنوين
الرسل للتفخيم والتكثير ومن متعلقة بمحذوف هو صفة له اي وبالله لقد استهزئ برسل
اولي شان خطير وذوي عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه فحاق اي احاط عقيب ذلك او نزل او حل او نحو ذلك
فان معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل الا في الشر والحيق ما يشتمل على
الانسان من مكروه فعله وقوله تعالى بالذين سخروا منهم اي من اولئك الرسل عليهم السلام
متعلق بحاق وتقديمه على فاعله الذي هو قوله تعالى ما كانوا به يستهزءون
للمسارعة الى بيان لحوق الشر بهم وما اما موصولة مفيدة للتهويل والضمير المجرور عائد اليها
والجار متعلق بالفعل وتقديمه عليه لرعاية الفواصل اي فاحاط بهم الذي كانوا يستهزءون
به حيث اهلكوا لاجله واما مصدرية فالضمير المجرور راجع الى جنس الرسول المدلول عليه
بالجمع كما قالوا في لعل ابيانه على الجمع للتنبيه على ان تحيق بهم جزاء استهزائهم بكل واحد
واحد منهم عليهم السلام لا بالاستهزاء بكلهم من حيث هو كل فقط اي فنزل بهم جزاء استهزائهم
على وضع السبب موضع المسبب ايذانا بكمال الملابسة بينهما او عين استهزائهم اذا اريد
بذلك العذاب الاخروي بناء على تجسم الاعمال فان الاعمال الظاهرة في هذه النشأة
بصور عرضية تبرز في النشأة الاخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح وعلى ذلك
بني الوزن وقد مر تفصيله في سورة الاعراف وفي قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم الاية والاية
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تسلية بما ذكر من مصير امرهم الى الهلاك وامر عليه السلام
بان يقول لاولئك المستهزئين بطريق التقريع والتبكيت قل من يكلؤكم اي يحفظكم بالليل والنهار
من الرحمن اي من باسه الذي يستحقون نزوله ليلا او نهارا وتقديم الليل لما ان الدواهي

الكريمة ونوع مخافة اشد وقعا وسر التعرض لعنوان الرحمانية ايذان بان كالئهم ليس الا رحمته
العامة وبعد ما امر عليه السلم بما ذكر من السؤال على الوجه المذكور حسبما يقتضيه حالهم لانهم بحيث
لو سئلوا ان الله تعالى يحفظهم في الملوين لحلوا بهم فنون الافات فهم احقاء بان يكلفوا الاعتراف
بذلك فيصرفوا عما هم عليه من الاشراك اضرب عن ذلك بقوله تعالى بل هم عن ذكر ربهم معرضون
لبيان ان لهم حالا اخرى مقتضية لصرف الخطاب عنهم هي انهم لا يخطرون ذكره
تعالى ببالهم فضلا ان يخافوا باسه ويعدوا ما كان عليهم من الامن والدعة حفظا وكلاءة حتى
يسألوا عن الكالي على طريقة قول من قال عوجوا فحيوا لنعمى دمنة الدار ماذا تحيون من نوى واحجار وفي
تعليق الاعراض بذكره تعالى وايراد اسم الرب المضاف الى ضميرهم المنبئ عن كونهم تحت ملكوته وتدبيره
وتربيته تعالى من الدلالة على كونهم في الغاية القاصية من الضلالة والغي ما لا يخفى وام في قوله
تعالى ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عما قبله
من بيان ان جهلهم بحفظه تعالى اياهم لعدم خوفهم الناشئ من اعراضهم عن ذكر ربهم بالكلية الى
توبيخهم باعتمادهم على آلهتهم واسنادهم الحفظ اليها والهمزة للانكار اي ألهم آلهة تقدر على ذلك
والمعنى بل لهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا او حفظنا او من عذاب كائن من عندنا فهم
معولون عليها واثقون بحفظها وفي توجيه الانكار والنفي الى وجود الآلهة الموصوفة بما ذكر من المنع
لا الى نفس الصفة بان يقال ام تمنعهم آلهتهم الخ من الدلالة على سقوطها عن مرتبة الوجود فضلا عن رتبة
المنع ما لا يخفى وقوله عز وعلا لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون استئناف مقرر
لما قبله من الانكار وموضح لبطلان اعتقادهم اي هم لا يستطيعون ان ينصروا انفسهم ولا يصحبون
بالنصر من جهتنا فكيف يتوهم ان ينصروا غيرهم وقوله تعالى بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم
العمر اضراب عما توهموا ببيان ان الداعي الى حفظهم تمتيعنا اياهم بما قدر عليهم من الاعمار او
الدلالة اي على بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم بالحيوة الدنيا وامهلهم
حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا كذلك وانه بسبب ما هم عليه ولذلك عقب بما
يدل على انه طمع فارغ وامل كاذب حيث قيل افلا يرون اي الا ينظرون فلا يرون انا نأتي
الارض اي ارض الكفرة ننقصها من اطرافها فكيف يتوهمون انهم ناجون من باسنا وهو تمثيل
وتصوير لما يخربه الله تعالى من ديارهم على ايدي المسلمين ويضيفها الى دار الاسلام افهم
الغالبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والفاء للانكار وترتيب الغالبية على ما
ذكر من نقص ارض الكفرة بتسليط المسلمين عليها كانه قيل ابعد ظهور ما ذكر ورؤيتهم له
يتوهم غلبتهم كما في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه وقوله تعالى افاتخذتم من دونه اولياء
وفي التعريف تعريض بان المسلمين هم المتعينون للغلبة المعروفون بها قل انما انذركم بعد ما
بين من جهته تعالى هول ما يستعجلونه ونهاية سوء حالهم عند اتيانه ونعى عليهم جهلهم
بذلك واعراضهم عن ذكر ربهم الذي يكلؤهم من طوارق الليل والنهار وغير ذلك من مساوي
احوالهم امر عليه السلم بان يقول لهم انما انذركم ما تستعجلونه من الساعة بالوحي الصادق الناطق
باتيانها وفظاعة ما فيها من الاهوال اي انما شاني ان انذركم بالاخبار بذلك لا بالاتيان

بها فانه مزاحم للحكمة التكوينية المبنية على الحكمة التشريعية اذ الايمان برهاني لا عياني وقوله تعالى ولا يسمع الصم
الدعاء اذا ما ينذرون اما من تتمة الكلام الملقن تذييلا بطريق الاعتراض وقد امر عليه السلم بان يقول لهم
توبيخا وتقريعا وتسجيلا عليهم بكمال الجهل والعناد واللام للجنس المنتظم للمخاطبين انتظاما
اوليا او للعهد فوضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليه بالتصام وتقييد نفي السماع بقوله
تعالى اذا ما ينذرون مع ان الصم لا يسمعون الكلام انذارا كان او تبشيرا لبيان كمال
شدة الصمم كما ان ايثار الدعاء الذي هو عبارة عن الصوت والنداء على الكلام لذلك فان
الانذار عادة يكون باصوات عالية مكررة مقارنة لهيئات دالة عليه فاذا لم يسمعوها يكون
صممهم في غاية لا غاية وراءها واما من جهته تعالى على طريقة قوله تعالى بل هم عن ذكر ربهم
معرضون ويؤيده القراءة على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم من الاسماع بنصب الصم والدعاء كانه
قيل قل لهم ذلك وانت بمعزل من اسماعهم وقرئ بالياء ايضا على ان الفاعل هو عليه السلم وقرئ
على البناء للمفعول اي لا يقدر احد على اسماع الصم وقوله تعالى ولئن مستهم نفحة من عذاب
ربك بيان لسرعة تأثرهم من مجيء نفس العذاب اثر بيان عدم تأثرهم من مجيء خبره على نهج التوكيد
القسمي اي وبالله لئن اصابهم ادنى اصابة ادنى شيء من عذابه تعالى كما ينبئ عنه المس والنفحة
بجوهرها وبنائها فان اصل النفح هبوب رائحة الشيء ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين
ليدعن على انفسهم بالويل والهلاك وليعترفن عليها بالظلم وقوله تعالى ونضع الموازين القسط
بيان لما سيقع عند اتيان ما انذروه اي نقيم الموازين العادلة التي توزن بها
صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب السوي والجزاء على حسب
الاعمال وقد مر تفصيل ما فيه من الكلام في سورة الاعراف وافراد القسط لانه مصدر
وصف به مبالغة ليوم القيمة التي كانوا يستعجلونها اي لجزائه او لاجل اهله او فيه كما في قولك
جئت لخمس خلون من الشهر فلا تظلم نفس من النفوس شيئا حقا من حقوقها او شيئا من
الظلم بل يوفى كل ذي حق حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر والفاء لترتيب انتفاء الظلم
على وضع الموازين وان كان العمل المدلول عليه بوضع الموازين مثقال حبة من خردل اي
مقدار حبة كائنة من خردل اي وان كان في غاية القلة والحقارة فان حبة الخردل مثل في
الصغر وقرئ مثقال حبة بالرفع على ان كان تامة اتينا بها اي احضرنا ذلك العمل المعبر عنه بمثقال
حبة الخردل للوزن والتأنيث لاضافته الى الحبة وقرئ آتينا بها اي جازينا بها من الايتاء
بمعنى المجازاة والمكافأة لانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء وقرئ اثبنا من الثواب وقرئ
بها وكفى بنا حاسبين اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان
وضياء وذكرا للمتقين نوع تفصيل لما اجمل في قوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا
نوحي اليهم الى قوله تعالى واهلكنا المسرفين واشارة الى كيفية انجائهم واهلاك اعدائهم
وتصديره بالتوكيد القسمي لاظهار كمال الاعتناء بمضمونه والمراد بالفرقان هو التورية وكذا بالضياء
والذكر اي وبالله لقد آتيناهما كتابا جامعا بين كونه فارقا بين الحق والباطل
وضياء يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية وذكرا يتعظ به الناس وتخصيص المتقين

بالذكر لانهم المستضيئون بانواره المغتنمون لمغانم آثاره او ذكرى ما يحتاجون اليه من الشرائع
والاحكام وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر والاول هو اللائق بمساق النظم الكريم فانه لتحقيق
ان القرآن المنزل مشارك لسائر الكتب الالهية لاسيما التوراة فيما ذكر من الصفات ولان فلق البحر
هو الذي اقترحه الكفرة حيث قالوا فليأتنا بآية كما ارسل الاولون وقرئ ضياء بغير واو
على انه حال من الفرقان وقوله تعالى الذين يخشون ربهم اي عذابه مجرور المحل على انه صفة مادحة
للمتقين او بدل او بيان او منصوب او مرفوع على المدح بالغيب حال من المفعول اي يخشون عذابه
تعالى وهو غائب عنهم غير مشاهد لهم ففيه تعريض بالكفرة حيث لا يتأثرون بالانذار ما لم
يشاهدوا ما انذروه وقيل حال من الفاعل وهم من الساعة مشفقون اي خائفون
بطريق الاعتناء وتقديم الجار لمراعاة الفواصل وتخصيص اشفاقهم منها بالذكر بعد
وصفهم بالخشية على الاطلاق للايذان بكونها معظم المخوفات وللتنصيص على اتصافهم
بضد ما اتصف به المستعجلون وايثار الجملة الاسمية للدلالة على ثبات الاشفاق ودوامه
وهذا اي القرآن الكريم اشير اليه بهذا ايذانا بغاية وضوح امره ذكر يتذكر به من يتذكر
وصف بالوصف الاخير للتوراة لمناسبة المقام وموافقته لما في صدر السورة الكريمة مبارك
كثير الخير غزير النفع يتبرك به انزلناه اما صفة ثانية لذكر او خبر آخر افانتم له منكرون انكار
لانكارهم بعد ظهور كون انزاله كايتاء التوراة كانه قيل ابعد ان علمتم ان شأنه كشأن التوراة في
الايتاء والايحاء انتم منكرون لكونه منزلا من عندنا فان ذلك بعد ملاحظة حال التوراة
مما لا مساغ له اصلا ولقد آتينا ابراهيم رشده اي الرشد اللائق به وبامثاله من الرسل الكبار
وهو الاهتداء الكامل المستند الى الهداية الخاصة الحاصلة بالوحي والاقتدار على صلاح
الامة باستعمال النواميس الالهية وقرئ رشده وهما لغتان كالحزن والحزن من قبل اي من قبل
ايتاء موسى وهرون التوراة وتقديم ذكر ايتائها لما بينه وبين انزال القرآن من الشبه التام
وقيل من قبل استنبائه او قبل بلوغه وياباه المقام وكنا به عالمين اي بانه اهل لما آتيناه
وفيه من الدليل على انه تعالى عالم بالجزئيات مختار في افعاله ما لا يخفى اذ قال لابيه وقومه
ظرف لايتاء على انه وقت متسع وقع فيه الايتاء وما ترتب عليه من افعاله واقواله وقيل منصوب
بمضمر مستأنف وقع تعليلا لما قبله اي اذكر وقت قوله لهم ما هذه التماثيل التي انتم لها
عاكفون تلقفا على كمال رشده وغاية فضله والتمثال اسم لشيء مصنوع مشبه بخلق من
خلائق الله تعالى وهذا تجاهل منه عليه السلام حيث سألهم عن اصنامهم بما التي يطلب بها
بيان الحقيقة او شرح الاسم كأنه لا يعرف انها ماذا مع احاطته بان حقيقتها حجر او شجر
اتخذوها معبودا وعبر عن عبادتهم لها بمطلق العكوف الذي هو عبارة عن اللزوم والاستمرار
على الشيء لغرض من الاغراض قصدا الى تحقيرها واذلالها وتوبيخا لهم على اجلالها واللام في
لها للاختصاص دون التعدية والا لجيء بكلمة على والمعنى انتم فاعلون العكوف لها وقد جوز
تضمين العكوف معنى العبادة كما ينبئ عنه قوله تعالى قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين اجابوا
بذلك لما آل ما له السؤال عليه السلام الاستفسار عن سبب عبادتهم لها كما ينبئ عنه وصفه عليه السلام

اياهم

اياهم بالعكوف لها كانه عليه السلام قال ما هي هل تستحق ما تصنعون من العكوف عليها فلما لم
يكن لهم ما يجاب به يعتد به التجأوا الى التقليد فابطله عليه السلام على طريقة التوكيد القسمي حيث قال
لقد كنتم انتم وآباؤكم الذين سنوا لكم هذه السنة الباطلة في ضلال عجيب لا يقادر قدره
مبين اي ظاهر بين بحيث لا يخفى على احد من العقلاء كونه كذلك ومعنى كنتم مطلق استقرارهم
على الضلال لا استقرارهم الماضي الحاصل قبل زمان الخطاب المتناول لهم ولآبائهم اي والله
لقد كنتم مستقرين على ضلال عظيم ظاهر لعدم استناده الى دليل ما والتقليد انما يجوز
فيما يحتمل الحقية في الجملة قالوا لما سمعوا مقالته عليه السلام استبعادا لكون ما هم عليه ضلالا وتعجبا
من تضليله عليه السلام اياهم بطريق التوكيد القسمي وترددا في كون ذلك منه عليه السلام على وجه الجد اجئتنا
بالحق اي بالجد ام انت من اللاعبين فتقول ما تقول على وجه المداعبة والمزاح وفي
ايراد الشق الاخير بالجملة الاسمية الدالة على الثبات ايذان برجحانه عندهم قال عليه السلام اضرابا
عما بنوا عليه مقالتهم من اعتقاد كونها اربابا لهم كما يفصح عنه قولهم نعبد اصناما فنظل لها عاكفين
كانه قيل ليس الامر كذلك بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وقيل هو اضراب
عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وضميرهن للسموات والارض ووصفه
تعالى بايجادهن اثر وصفه تعالى بربوبيته تعالى لهن تحقيقا للحق وتنبيها على ان ما لا
يكون كذلك بمعزل من الربوبية اي انشأهن بما فيهن من المخلوقات التي من جملتها انتم وآباؤكم
وما تعبدون من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه ورجع الضمير الى التماثيل ادخل في تضليلهم
واظهر في الزام الحجة عليهم لما فيه من التصريح المغني عن التأمل في كون ما يعبدونه من جملة المخلوقات
وانا على ذلكم الذي ذكرته من كون ربكم رب السموات والارض فقط دون ما عداه كائنا
ما كان من الشاهدين اي العالمين به على سبيل الحقيقة المبرهنين عليه فان
الشاهد على الشيء من تحققه وحققه وشهادة الشيء على ذلك ادلاؤه بالحجة عليه واثباته بها
كانه قال وانا ابين ذلك وابرهن عليه وتالله وقرئ بالباء وهو الاصل والتاء بدل من الواو
التي هي بدل من الاصل وفيها تعجب لاكيدن اصنامكم اي لاجتهدن في كسرها وفيه ايذان
بصعوبة الانتهاء وتوقفه على استعمال الحيل وانما قاله عليه السلام سرا وقيل سمعه رجل واحد
بعد ان تولوا مدبرين من عبادتهم الى عيدهم وقرئ تولوا من التولي بحذف احدى التاءين
ويعضدها قوله تعالى فتولوا عنه مدبرين والفاء في قوله تعالى فجعلهم فصيحة اي فولوا
فجعلهم جذاذا اي قطاعا فعالا بمعنى مفعول من الجذ الذي هو القطع كالحطام بمعنى المحطوم
الذي هو الكسر وقرئ بالكسر وهي لغة او جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا
جمع جذيذ وجذذا جمع جذة روي ان آزر خرج به في يوم عيد لهم فبدأوا ببيت الاصنام ودخلوه
فسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى ان نرجع بركت الآلهة على طعامنا فذهبوا
وبقي ابراهيم عليه السلام فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفا وثم صنم عظيم مستقبل الباب
وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسر الكل بفأس كان في يده ولم يبق

الكبير على الباقي في عقيدتهم وذلك قوله تعالى إلا كبيرا لهم أي للأصنام [illegible] لعلهم إليه
يرجعون أي إلى إبراهيم عليه السلام [illegible] فيحاجهم بما سيأتي فيحجهم ويبكتهم وقيل يرجعون إلى الكبير فيسألونه عن كاسرها
إذ من شأن المعبود أن يرجع إليه في الملمات وقيل يرجعون إلى الله تعالى وتوحيده عند تحققهم
عجز آلهتهم عن دفع ما يصيبهم وعن الإضرار بمن كسرهم قالوا أي حين رجعوا من عيدهم ورأوا ما رأوا
من فعل هذا بآلهتنا على طريقة الإنكار والتوبيخ والتشنيع وإنما عبروا عنها بما ذكر
والإشارة إليها بهؤلاء وهي بين أيديهم مبالغة في التشنيع وقوله تعالى إنه لمن الظالمين
استئناف مقرر لما قبله وقيل من موصولة وهذه الجملة في حيز الرفع على الابتداء والمعنى
الذي فعل هذا الكسر والحطم بآلهتنا إنه معدود من جملة الظلمة إما لجرأته على إهانتها وهي
حقيقة بالإعظام أو لإفراطه في الكسر والحطم وتماديه في الاستهانة أو بتعريض نفسه قالوا
أي بعض منهم مجيبين للسائلين سمعنا فتى يذكرهم أي يعيبهم فلعله فعل ذلك بها فقوله
تعالى يذكرهم إما مفعول ثان لسمع لتعلقه بالعين أو صفة لفتى مصححة لتعلقه به هذا
إذا كان القائلون سمعوه عليه السلام بالذات يذكرهم وأما إذا كانوا قد سمعوا من الناس أنه
عليه السلام يذكرهم بسوء فلا حاجة إلى المصحح يقال له إبراهيم صفة أخرى لفتى أي يطلق عليه
هذا الاسم قالوا أي السائلون فأتوا به على أعين الناس أي بمرأى منهم بحيث يكون
نصب أعينهم في مكان مرتفع لا يخفى على أحد لعلهم يشهدون أي يحضرون عقوبتنا له
وقيل لعلهم يشهدون بفعله أو بقوله ذلك فالمراد ليس الناس بل البعض منهم [illegible]
قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية قولهم كأنه قيل فماذا فعلوا به بعد ذلك
هل أتوا به أم لا فقيل قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم اقتصارا على حكاية مخاطبتهم
إياه عليه السلام للتنبيه على أن إتيانهم به ومسارعتهم إلى ذلك أمر محقق غني عن البيان قال بل
فعله كبيرهم هذا مشيرا إلى الذي [illegible] سلك عليه السلام مسلكا تعريضيا يؤدي به إلى مقصده
الذي هو إلزامهم الحجة على ألطف وجه وأحسنه بحملهم على التأمل في شأن آلهتهم مع ما فيه
من التوقي من الكذب حيث أبرز الكبير قولا في معرض المباشر للفعل بإسناده إليه كما أبرزه
في ذلك المعرض فعلا بجعل الفأس في عنقه وقد قصد إسناده إليه بطريق التسبيب حيث
كانت تلك الأصنام غاظته عليه السلام حين أبصرها مصطفة مرتبة للعبادة من دون الله سبحانه
وكان غيظ كبيرها أكبر وأشد حسب زيادة تعظيمهم له فأسند الفعل إليه باعتبار أنه الحامل
عليه وقيل هو حكاية لما يقود إلى تجويزه مذهبهم كأنه قال لهم ما تنكرون أن يفعله كبيرهم فإن
من حق من يعبد ويدعى إلها أن يقدر على هذا وأشد منه ويحكى أنه عليه السلام قال فعله
كبيرهم هذا غضب أن تعبد معه هذه الصغار وهو أكبر منها فيكون تمثيلا أراد به عليه السلام تنبيههم على
غضب الله تعالى عليهم لإشراكهم بعبادة الأصنام وأما ما قيل من أنه عليه السلام لم يقصد نسبة
الفعل الصادر عنه إلى الصنم بل إنما قصد تقريره لنفسه وإثباتها على أسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من
إلزامهم الحجة وتبكيتهم ومثل ذلك بما لو قال لك أمي فيما كتبته بخط رشيق وأنت شهير بحسن

الخط أأنت كتبت هذا فقلت له بل أنت كتبته كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء
بالسائل لا نفيه عنك وإثباته له فبمعزل من التحقيق لأن خلاصة المعنى في المثال المذكور مجرد تقرير
الكتابة لنفسك وادعاء ظهور الأمر مع الاستهزاء بالسائل وتجهيله في السؤال لابتنائه على صدورها
[illegible] مع استحالة ذلك عنده ولا ريب في أن مراده عليه السلام من إسناد الكسر إلى الكبير
ليس مجرد تقريره لنفسه ولا تجهيلهم في سؤالهم لابتنائه على احتمال صدوره عن الغير عندهم بل إنما
مراده عليه السلام توجيههم نحو التأمل في أحوال أصنامهم كما ينبئ عنه قوله تعالى فاسألوهم إن كانوا
ينطقون أي إن كانوا ممن يمكن أن ينطقوا وإنما لم يقل عليه السلام إن كانوا يسمعون أو يعقلون مع أن
السؤال موقوف على السمع والعقل أيضا لما أن نتيجة السؤال هو الجواب وأن عدم نطقهم
أدخل في تبكيتهم بذلك وقد حصل ذلك أولا حسبما نطق به قوله تعالى فرجعوا إلى أنفسهم
أي راجعوا عقولهم وتذكروا أن ما لا يقدر على دفع المضرة عن نفسه ولا على الإضرار بمن
كسره بوجه من الوجوه يستحيل أن يقدر على دفع مضرة عن غيره أو جلب منفعة له فكيف يستحق أن
يكون معبودا فقالوا أي قال بعضهم لبعض فيما بينهم إنكم أنتم الظالمون أي بهذا السؤال
لأنه كان على طريقة التوبيخ المستتبع للمؤاخذة أو بعبادة الأصنام لا من ظلمتموه بقولكم إنه
لمن الظالمين أو أنتم الظالمون بعبادتها لا من كسرها ثم نكسوا على رؤوسهم أي انقلبوا إلى المجادلة
بعدما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم إلى الباطل بصيرورة أسفل الشيء أعلاه وقرئ
نكسوا بالتشديد ونكسوا على البناء للفاعل أي نكسوا أنفسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون
أي على إرادة القول أي قائلين والله لقد علمت أن ليس من شأنهم النطق فكيف تأمرنا
بسؤالهم على أن المراد استمرار نفي النطق لا نفي استمراره كما يوهمه صيغة المضارع قال أفتعبدون
أي أتعلمون ذلك فتعبدون من دون الله أي متجاوزين عبادته تعالى ما لا ينفعكم
شيئا من النفع ولا يضركم فإن العلم بحاله المنافية للألوهية مما يوجب الاجتناب عن عبادته
قطعا أف لكم ولما تعبدون من دون الله تضجر منه عليه السلام من إصرارهم على الباطل البين وإظهار
الاسم الجليل في موضع الإضمار لمزيد استقباح ما فعلوا وأف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا
واللام لبيان المتأفف له أفلا تعقلون أي ألا تتفكرون فلا تعقلون قبح صنيعكم قالوا
أي قال بعضهم لبعض لما عجزوا عن المحاجة وضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وهكذا
ديدن المبطل المحجوج إذا قرعت شبهته بالحجج القاطعة وافتضح لا يبقى له مفزع إلا المناصبة
فإنها أشد العقوبات وانصروا آلهتكم بالانتقام لها إن كنتم فاعلين أي للنصر شيئا
يعتد به قيل القائل نمرود بن كنعان بن السنجاريب بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح
وقيل رجل من الأكراد فارسي اسمه هيون وقيل هدير خسفت به الأرض روي أنهم لما أجمعوا
على إحراقه عليه السلام بنوا له حظيرة بكوثى قرية من قرى الأنباط وذلك قوله تعالى قالوا ابنوا
له بنيانا فألقوه في الجحيم فجمعوا له صلاب الحطب من أصناف الخشب مدة أربعين يوما
فأوقدوا نارا عظيمة لا يكاد يحوم حولها أحد حتى إن كانت الطير لتمر بها وهي في أقصى الجو فتحترق
من شدة وهجها ولم يكد أحد يحوم حولها فلم يعلموا كيف يلقونه عليه السلام فأتى إبليس
وعلمهم المنجنيق فعملوه وقيل صنعه لهم رجل من الأكراد فخسف الله تعالى به الأرض

فهو يحلق في الجحيم التقمه ثم عمدوا الى ابرهيم عليه السلام فوضعوه فيه ورموا به فيها فقال له جبريل عليه السلام
هل لك حاجة قال اما اليك فلا قال فاسأل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فجعل الله
تعالى ببركة قوله الحظيرة روضة وذلك قوله تعالى قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم اي
كوني ذات برد وسلام اي ابردي بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته تعالى
مأمورة مطاوعة واقامة كوني ذات برد مقام ابردي ثم حذف المضاف واقامة المضاف
اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله اي وسلمنا سلاما عليه روي ان الملائكة اخذوا
بضبعيه فاقعدوه على الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ونرجس ولم تحرق النار
الا وثاقه وروي انه عليه السلام مكث فيها اربعين يوما او خمسين وقال ما كنت
اطيب عيشا مني اذ كنت فيها قال ابن يسار وبعث الله تعالى ملك الظل فقعد الى جنبه
يؤنسه فنظر نمرود من صرحه فاشرف عليه فرآه جالسا في روضة مونقة ومعه جليس على احسن
ما يكون من الهيئات والنار محيطة به فناداه يا ابرهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم
قال فقم فاخرج فقام يمشي فخرج منها فاستقبله نمرود وعظمه وقال من الرجل الذي رأيته
معك قال ذلك ملك الظل ارسله ربي ليؤنسني فقال اني مقرب الى الهك قربانا لما رأيت
من قدرته وعزته فيما صنع بك فقال عليه السلام لا يقبل الله منك ما دمت على دينك هذا
قال لا استطيع ترك ملكي ولكن سوف اذبح له اربعة آلاف بقرة فذبحها وكف عن ابرهيم
عليه السلام وكان اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وهذا كما ترى من ابدع المعجزات فان انقلاب النار
هواء طيبا وان لم يكن بدعا من قدرة الله تعالى عز وجل لكن وقوع ذلك على هذه
الهيئة مما يخرق العادات وقيل كانت النار على حالها لكنه تعالى دفع عنه عليه السلام اذاها
كما تراه في السمندل كما يشعر به ظاهر قوله تعالى على ابرهيم وارادوا به كيدا مكرا عظيما في الاضرار
فجعلناهم الاخسرين اي اخسر من كل خاسر حيث عاد سعيهم في اطفاء نور الحق برهانا قاطعا
على انه عليه السلام على الحق وهم على الباطل وموجبا لارتفاع درجته واستحقاقهم لاشد
العذاب ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين اي من العراق الى الشام
وبركاته العامة ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادي
الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روي انه
عليه السلام نزل بفلسطين ولوط عليه السلام بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا له اسحق ويعقوب
نافلة اي عطية فهو حال منهما او ولد ولد او زيادة على ما سأل وهو اسحق فيختص بيعقوب ولا لبس فيه
للقرينة الظاهرة وكلا اي كل واحد من هؤلاء الاربعة لا بعضهم دون بعض جعلنا صالحين
بان وفقناهم للصلاح في الدين والدنيا فصاروا كاملين وجعلناهم ائمة يقتدى بهم
في امور الدين اجابة لدعائه عليه السلام بقوله ومن ذريتي يهدون اي الامة الى الحق بامرنا
لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين واوحينا اليهم فعل الخيرات ليحثوهم عليه
فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات وكذا قوله تعالى
واقام الصلاة وايتاء الزكاة وهو من عطف الخاص على العام دلالة على فضله وانافته
وحذفت تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامه وكانوا

خاصة دون غيره انه من الصالحين الذين لا يحيط بهم عذابنا ولوطا قيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله
تعالى آتيناه اي وآتينا لوطا وقيل باذكر حكما اي حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم بالحق
وعلما بما ينبغي علمه للانبياء عليهم السلام ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث اي اللواطة
وصفت بصفة اهلها واسندت اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه كما يؤذن به قوله تعالى
انهم كانوا قوم سوء فاسقين فانه كالتعليل له وادخلناه في رحمتنا اي في اهل رحمتنا
او في جنتنا انه من الصالحين الذين سبقت لهم منا الحسنى ونوحا اي اذكر نوحا اي خبره
وقوله اذ نادى اي دعا الله تعالى على قومه بالهلاك ظرف للمضاف المقدر اي اذكر نبأه الواقع
وقت دعائه من قبل اي من قبل هؤلاء المذكورين فاستجبنا له اي دعاءه الذي من جملته قوله
اني مغلوب فانتصر فنجيناه واهله من الكرب العظيم وهو الطوفان وقيل اذية قومه والكرب
الكرب الغم الشديد ونصرناه نصرا مستتبعا للانتقام والانتصار ولذلك قيل من
القوم الذين كذبوا بآياتنا وحملها على معنى يأباه ما ذكر من دعائه عليه السلام فان ظاهره
يوجب اسناد الانتصار اليه تعالى مع ما فيه من تهويل الامور وقوله تعالى انهم كانوا قوم سوء
تعليل لما قبله وتمهيد لما بعده من قوله تعالى فاغرقناهم اجمعين فان الاصرار على تكذيب
الحق والانهماك في الشر والفساد مما يوجب الاهلاك قطعا وداود وسليمان اما عطف على نوحا
معمول لعامله واما مفعول لمضمر معطوف على ذلك العامل بتقدير المضاف وقوله تعالى اذ يحكمان
في الحرث ظرف للمضاف المقدر وصيغة المضارع حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها اي اذكر
خبرهما وقت حكمهما في الحرث اي في حق الزرع او الكرم المتدلي عناقيده كما قيل او بدل اشتمال
منهما وقوله تعالى اذ نفشت اي تفرقت وانتشرت فيه غنم القوم ليلا بلا راع وحده وا فسدة
ظرفا للحكم وكنا لحكمهم اي لحكم الحاكمين والمتحاكمين اليهما فان الاضافة لمجرد الاختصاص
المنتظم لاختصاص القيام واختصاص الوقوع وفي الحكمين شاهدين حاضرين
علما والجملة اعتراض مؤكد للحكم ومفيد لمزيد الاعتناء بشأنه ففهمناها سليمان عطف على
يحكمان فانه في حكم الماضي وقرئ فافهمناها والضمير للحكومة او الفتيا روي انه دخل على
داود عليه السلام رجلان فقال احدهما ان غنم هذا دخلت في حرثي ليلا فافسدته فقضى له
بالغنم فخرجا فمرا على سليمان عليه السلام فاخبراه بذلك فقال غير هذا ارفق بالفريقين فسمعه
داود فدعاه فقال له بحق النبوة والابوة الا اخبرتني بالذي هو ارفق بالفريقين فقال
ارى ان تدفع الغنم الى صاحب الارض لينتفع بدرها ونسلها وصوفها والحرث الى ارباب
الغنم ليقوموا عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادا فقال القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك
والذي عندي ان حكمهما عليهما السلام كان بالاجتهاد فان قول سليمان عليه السلام غير هذا ارفق
عنده بل وجب عليه ان يظهر بدأه وحرم عليه كتمه ومن ضرورته ان يكون القضاء السابق ايضا
كذلك ضرورة استحالة نقض حكم النص بالاجتهاد بل اقول والله تعالى اعلم ان رأي
سليمان استحسان كما ينبئ عنه قوله ارفق بالفريقين ورأي داود عليه السلام قياس كما ان العبد
اذا جنى على النفس يدفعه المولى عند ابي حنيفة الى المجني عليه او يفديه ويبيعه في ذلك او

او بيذبر عند الشافعي وتقريره انه لم يكن بين قيمة الحرث وقيمة الغنم تفاوت واما سليمان عليه السلام
فقد استحسن حيث جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول
ملك المالك من الغنم واوجب على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث الى ان يزول الضرر الذي
اتاه من قبله كما قال اصحاب الشافعي فيمن غصب عبدا فابق منه انه يضمن القيمة فينتفع بها
المغصوب منه بازاء ما فاته من المنافع فاذا ظهر الابق ترادا وفي قوله تعالى
ففهمناها سليمان دليل على رجحان قوله ورجوع داود عليه السلام اليه اما الحكم المبني
على الاجتهاد لا ينقض باجتهاد آخر وان كان اقوى منه لما ان ذلك من خصائص شرعنا على
انه ورد في الاخبار ان داود عليه السلام لم يكن بت الحكم في ذلك حتى سمع من سليمان ما سمع واما
حكم المسئلة في شريعتنا فعند ابي حنيفة رح لا ضمان اذا لم يكن معها سائق او قائد وعند الشافعي
يجب الضمان ليلا لا نهارا وقوله تعالى وكلا آتينا حكما وعلما لدفع ما عسى
يتوهم من تخصيص سليمان عليه السلام بالتفهيم من عدم كون حكم داود عليه السلام حكما شرعيا اي وكل
واحد منهما آتيناه حكما وعلما كثيرا لا سليمان وحده وهذا انما يدل على ان خطاء المجتهد لا
يقدح في كونه مجتهدا وقيل على ان كل مجتهد مصيب وهو مخالف لقوله تعالى ففهمناها
سليمان ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله تعالى ففهمناها سليمان لاظهار ما تفضل
عليه في صغره فانه عليه السلام كان حينئذ ابن احدى عشرة سنة وسخرنا مع داود الجبال شروع في بيان
ما يختص بكل منهما من كرامة الله تعالى اثر بيان كرامته العامة لهما يسبحن اي يقدسن الله عز
وجل بصوت يتمثل له او بخلق الله تعالى فيها الكلام وقيل يسرن معه من السباحة
وهو حال من الجبال او استئناف مبين لكيفية التسخير ومع متعلقة بالتسخير وقيل
بالتسبيح وهو بعيد والطير عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر
محذوف اي والطير مسخرات وقيل على العطف على الضمير في يسبحن وفيه ضعف لعدم التاكيد
والفصل وكنا فاعلين اي من شأننا ان نفعل امثاله فليس ذلك ببدع منا وان كان
بديعا عندكم وعلمناه صنعة لبوس اي عمل الدرع وهو في الاصل اللباس قال البس لكل
حالة لبوسها اما نعيمها واما بوسها وقيل كانت صفائح فحلقها وسردها لكم متعلق بعلمنا
او بمحذوف هو صفة لبوس لتحصنكم اللبوس بتاويل الدرع وقرئ بالتذكير على ان الضمير
لداود عليه السلام او للبوس وقرئ بنون العظمة وهو بدل اشتمال من لكم باعادة الجار مبين
لكيفية الاختصاص والمنفعة المستفادة من لام لكم من باسكم قيل من حرب عدوكم وقيل
من وقع السلاح فيكم فهل انتم شاكرون امر وارد على صورة الاستفهام لما فيه من التقريع ولسليمان
الريح اي وسخرنا له الريح وايراد اللام ههنا دون الاول للدلالة على ما بين التسخيرين من التفاوت
فان تسخير ما سخر له عليه السلام من الريح ونحوها كان بطريق الانقياد الكلي له والامتثال
بامره ونهيه والمقهورية تحت ملكوته واما تسخير الجبال والطير لداود عليه السلام فلم يكن بهذه
الطريقة بل بطريق التبعية له عليه السلام والاقتداء به في عبادة الله عز وجل عاصفة حال
من الريح والعامل فيها الفعل المقدر اي وسخرنا له الريح حال كونها شديدة الهبوب

صدورها عنه تعالى وفيه من الايذان بقوة الدليل واصالة المدلول في التحقق واظهار
بطلان انكاره ما لا يخفى فان انكار تحقق السبب مع الجزم بتحقق المسبب مما يقضي
ببطلانه بديهة العقول والمراد بالحق هو الثابت الذي يحق ثبوته لا محالة لكونه
لذاته لا الثابت مطلقا وذلك اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان على اطوار مختلفة
وتصريفه في احوال متباينة واحياء الارض بعد موتها وما فيه من معنى البعد للايذان
ببعد منزلته في الكمال وهو مبتدأ خبره الجار والمجرور اي كل ذلك الصنع البديع حاصل
بسبب انه تعالى هو الحق وحده في ذاته وصفاته وافعاله المحقق لما سواه من الاشياء
وانه يحيي الموتى اي شأنه وعادته احياؤها وحاصله انه تعالى قادر على احيائها بدءا
واعادة والا لما احيى النطفة والارض الميتة مرارا بعد مرار وما يفيده صيغة المضارع
من التجدد انما هو باعتبار تعلق القدرة ومتعلقها لا باعتبار نفسها وانه على كل شيء
قدير اي مبالغ في القدرة والا لما اوجد هذه الموجودات العجيبة التي من جملتها ما ذكر وانما
الاستدلال على ذلك بان قدرته تعالى لذاته الذي نسبته الى الكل سواء فلما دلت المشاهدة
على قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها ... العقول عما سبق
له النظم الكريم من بيان كون الاثار الخاصة المذكورة من فروع القدرة العامة التامة سببا
وتخصيص احياء الموتى بالذكر مع كونه من جملة الاشياء المقدور عليها للتصريح بما فيه النزاع والدفع
في نحور المنكرين وتقديمه لابراز الاعتناء به وان الساعة آتية اي فيما سيأتي وايثار
صيغة الفاعل على الفعل للدلالة على تحقق اتيانها وتقرره البتة لاقتضاء الحكمة اياه لا محالة
وتعليله بان التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه مبني على ما ذكر من العقول وقوله تعالى
لا ريب فيها اما خبر ثان لان او حال من ضمير الساعة في الخبر ومعنى نفي الريب عنها انها
في ظهور امرها ووضوح دلائلها التكوينية والتنزيلية بحيث ليس فيها مظنة ان يرتاب
في اتيانها حسبما مر في مطلع سورة البقرة والجملة عطف على المجرور بالباء كما قبلها من الجملتين
داخلة مثلها في حيز السببية وكذا قوله عز وجل وان الله يبعث من في القبور لكن لا من
حيث ان اتيان الساعة وبعث الموتى مؤثران فيما ذكر من افاعيله تعالى تأثير القدرة فيها
بل من حيث ان كلا منهما سبب داع له عز وجل بموجب رأفته بالعباد المبنية على الحكم البالغة
الى ما ذكر من خلقهم ومن احياء الارض الميتة على نمط بديع صالح للاستشهاد به على امكانهما
ليتاملوا في ذلك ويستدلوا به على وقوعهما لا محالة ويصدقوا بما ينطق بهما من الوحي المبين
وينالوا به السعادة الابدية ولولا ذلك لما فعل تعالى ما فعل بل لما خلق العالم راسا
وهذا كما ترى من احكام حكمته تعالى في افعاله لتوقف ابتنائها على الحكم الباهرة وذلك
كما ان ما قبله من احكام حكمته تعالى في صفاته وكونها في غاية الكمال وقد جعل
اتيان الساعة والبعث من في القبور لكونهما من روادف الحكمة كناية عن كونه تعالى
حكيما كانه قيل ذلك بسبب انه تعالى قادر على احياء الموتى وعلى كل مقدور وانه حكيم لا
يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما وعد وانت خبير بان ما له الاستدلال

بحكمته تعالى على ان اتيان الساعة والبعث وليس الكلام في ذلك بل انما هو في سببيتها لما ان
من خلق الانسان واحياء الارض فتامل وكن على الحق المبين وقيل قوله تعالى ان الساعة
آتية ليس متعلقا على المجرور بالباء ولا داخلا في حيز السببية بل هو خبر والمبتدأ محذوف
اي الامر المعني والتقدير والامر ان الساعة آتية وان الثانية معطوفة على الاولى وقيل المعنى ذلك
ليعلموا بان الله هو الحق الآية ومن الناس من يجادل في الله هو ابو جهل بن هشام حسبما
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل هو من يتصدى لاضلال الناس واغوائهم كائنا من كان وهو
الاولى من تقليدهم على الشيطان عبارة عن المتصل للغوي على الاطلاق بغير علم متعلق بمحذوف
وقع حالا من ضمير يجادل اي كائنا بغير علم والمراد بالعلم العلم الضروري كما ان المراد بالهدى في قوله تعالى
ولا هدى هو الاستدلال والنظر الصحيح الهادي الى المعرفة ولا كتاب منير وفي مظهر للحق اي يجادل
في شانه تعالى من غير تمسك بمقدمة ضرورية ولا بحجة نظرية ولا ببرهان سمعي كما في قوله تعالى ويعبدون
من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم واما ما قيل من ان المراد المجادل الاول والتكرير
للتاكيد والتمهيد لما بعده من بيان انه لا سند له من استدلال او وحي فلا يساعده النظم الكريم
كيف لا وانه وصفه باتباع كل شيطان موصوف بما ذكر فيقتضي عن وصفه بالاعراض عن الدليل
العقلي والسمعي ثاني عطفه حال اخرى من فاعل يجادل اي عاطفا لجانبه وطاويا كشحه معرضا
متكبرا وان ثني العطف كناية عن التكبر وقرئ بفتح العين اي مانعا لتعطفه ليضل عن سبيل
الله متعلق بيجادل فان غرضه الاضلال عنه وان لم يعترف بانه اضلال والمراد به اما الاخراج
من الهدى الى الضلال فالمفعول من يجادله من المؤمنين او الناس جميعا بتغليب المؤمنين على غيرهم واما
التثبيت على الضلال او الزيادة عليه مجازا فالمفعول هم الكفرة خاصة وقرئ بفتح الياء
وجعل ضلاله غاية لجداله من حيث ان المراد به الضلال المبين الذي لا هداية بعده مع تمكنه
منها قبل ذلك له في الدنيا خزي جملة مستأنفة مسوقة لبيان نتيجة ما سلكه من الطريقة
اي يثبت له في الدنيا بسبب ما فعله خزي وهو ما اصابه يوم بدر من القتل والصغار ونذيقه
يوم القيامة عذاب الحريق اي النار المحرقة ذلك اي ما ذكر من العذاب الدنيوي والاخروي
وما فيه من معنى البعد للايذان بكونه في الغاية القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتدأ
خبره قوله تعالى بما قدمت يداك اي بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي واسناده
اليهما لما ان الاكتساب عادة يكون بالايدي والالتفات لتاكيد الوعيد وتشديد
التهديد ومحل ان في قوله عز وجل وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع على انه خبر مبتدأ
محذوف اي والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي
الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن
كونه ظلما بالغا قد مر تحقيقه في سورة آل عمران والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها
واما ما قيل من ان محل ان هو الجر بالعطف على ما قدمت فقد عرفت حاله في سورة الانفال
ومن الناس من يعبد الله على حرف شروع في بيان حال المذبذبين اثر بيان حال المجاهرين
اي ومنهم من يعبده تعالى على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذي يتحرف الى طرف الجيش فان

احسن

احسن بظفر وغنيمة قر والا فر فان اصابه خير اي دنيوي من الصحة والسعة اطمأن به اي ثبت على
ما كان عليه ظاهرا لا انه اطمأن به اطمئنان المؤمنين الذين لا يلويهم عنه صارف ولا
يثنيهم عاطف وان اصابته فتنة اي شيء يفتتن به من مكروه يعتريه في نفسه او اهله
او ماله انقلب على وجهه روي انها نزلت في اعاريب قدموا الى المدينة وكان احدهم
اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته ولدا سويا وكثر ماله وماشيته قال
ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما
اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد رضي الله عنه ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب
فتشاءم بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقلني فقال عليه السلام ان الاسلام لا يقال ف
نزلت وقيل نزلت في المؤلفة قلوبهم خسر الدنيا والآخرة فقدهما وضيعهما بذهاب
عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسرا بالنصب على الحالية والرفع على الفاعلية
ووضع الظاهر موضع المضمر تنصيصا على خسرانه او على انه خبر مبتدأ محذوف ذلك اي ما
ذكر من الخسران وما فيه من معنى البعد للايذان بكونه في غاية ما يكون هو الخسران المبين
الواضح كونه خسرانا اذ لا خسران مثله يدعو من دون الله استئناف مبني لعظم الخسران
اي يعبد متجاوزا عبادة الله تعالى ما لا يضره اذا لم يعبده وما لا ينفعه ان عبده
اي جمادا ليس من شانه الضر والنفع كما يلوح به تكرير كلمة ما ذلك هو الضلال
البعيد عن الحق والهدى مستعار من ضلال من ابعد في التيه ضالا عن الطريق يدعو
لمن ضره اقرب من نفعه استئناف مسوق لبيان مآل دعائه المذكور وتقرير كونه ضلالا
بعيدا مع ازاحة ما عسى يتوهم من نفي الضرر عن معبوده بطريق المباشرة نفيه عنه
بطريق التسبب ايضا فالدعاء بمعنى القول واللام داخلة على الجملة الواقعة مقولا
له ومن مبتدأ وضره مبتدأ ثان خبره اقرب والجملة صلة للمبتدأ الاول وقوله تعالى
لبئس المولى ولبئس العشير جواب لقسم مقدر هو وجوابه خبر للمبتدأ الاول وايثار
من على ما مع كون معبوده جمادا وايراد صيغة التفضيل مع خلوه عن النفع بالمرة للمبالغة
في تقبيح حاله والامعان في ذمه اي يقول ذلك الكافر يوم القيامة بدعاء وصراخ حين يرى
تضرره بمعبوده ودخوله النار بسببه ولا يرى منه اثر النفع اصلا لمن ضره اقرب من نفعه
والله لبئس الناصر ولبئس الصاحب هو فكيف بما هو ضرر محض عار عن النفع بالكلية
ويجوز ان يكون يدعو الثاني اعادة للاول لا تاكيدا له فقط بل تمهيدا لما بعده من بيان
سوء حال معبوده اثر بيان سوء حال عبادته بقوله تعالى ذلك هو الضلال البعيد كانه قيل
من جهته تعالى بعد ذكر عبادته لما لا يضره وما لا ينفعه يدعو ذلك ثم قيل لمن ضره
اقرب من نفعه والله لبئس المولى ولبئس العشير فكلمة من وصيغة التفضيل للتهكم به وقيل
اللام زائدة ومن مفعول يدعو ويؤيده القراءة بغير لام اي يعبد من ضره اقرب من نفعه
وايثار كلمة من وصيغة التفضيل للتهكم به وايضا الجملة القسمية مستأنفة ان الله يدخل الذين

وقد انتهوا على الاتصاف استيناف جيء به لبيان كمال حسن حال المؤمنين العابدين له تعالى وان الله
عز وجل يتفضل عليهم بالغاية وراء منافع الدنيا واعظم الخيرات اثر بيان غاية سوء حال
الكفرة في الدنيا من فريقي المجاهرين والمذبذبين وان معبودهم لا يجديهم شيئا من النفع بل يضرهم
مضرة عظيمة وانهم يعترفون بسوء ولايته وعشرته ويذمونه مذمة تامة وقوله تعالى تجري
من تحتها الانهار صفة لجنات فان اريد بها الاشجار المتكاثفة الساترة لما تحتها فجريان الانهار
من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض فلا بد من تقدير مضاف اي من تحت اشجارها وان جعلت
عبارة عن مجموع الارض والاشجار فاعتبار التحتية بالنظر الى الجزء الظاهر المصحح لاطلاق اسم الجنة
على الكل كما مر تفصيله في اوائل سورة البقرة وقوله تعالى ان الله يفعل ما يريد تعليل لما
قبله وتحقيق له بطريق التحقيق اي يفعل البتة كل ما يريده من الافعال المتقنة اللائقة المبنية
على الحكم الرائقة التي من جملتها اثابة من امن به وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم وعقاب من
اشرك به وكذب برسوله عليه السلام ولما كان هذا امرا بنصرته تعالى له عليه السلام عقب بقوله
عز وعلا من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة تحقيقا لها وتقريرا
لثبوتها على ابلغ وجه واكده وفيه ايجاز بارع واختصار رائع والمعنى انه تعالى ناصر لرسوله
في الدنيا والاخرة لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه فمن كان يغيظه ذلك من
اعاديه وحساده ويظن ان لن يفعله تعالى بسبب مدافعته ببعض الامور ومباشرة ما يرده من
المكايد فليبالغ في استفراغ المجهود وليجاوز في الجد كل حد معهود فقصارى امره وعاقبة
مكره ان يختنق حنقا مما يرى من ضلال مساعيه وعدم انتاج مقدماته ومباديه فليمدد
بسبب الى السماء فليمدد حبلا الى سقف بيته ثم ليقطع اي ليختنق من قطع اذا اختنق لانه
يقطع نفسه بحبس مجاريه وقيل ليقطع الحبل بعد الاختناق على ان المراد به فرض القطع وتقديره
كما ان المراد بالنظر في قوله تعالى فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ تقدير النظر وتصويره
اي فليصور في نفسه النظر هل يذهبن كيده ذلك الذي هو اقصى ما انتهت اليه قدرته
في باب المضادة والمضارة ما يغيظه من النصرة كلا وقد جوز ان يراد فلينظر الان انه
ان فعل ذلك هل يذهب ما يغيظه وقيل المعنى فليمدد حبلا الى السماء المظلة وليصعد
عليه ثم ليقطع الوحي وقيل المسافة حتى يبلغ عنانها فيجتهد في دفع نصره ويأباه ان
مساق النظم الكريم بيان ان الامور المفروضة على تقدير وقوعها وتحققها بمعزل من
اذهاب ما يغيظ ومن البين ان لا معنى لفرض وقوع الامور الممتنعة وترتيب الامر بالنظر عليه
لا سيما قطع الوحي فانه واقع وفرضه مخل بالمرام قطعا وقيل كان قوم من المسلمين لشدة
غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من النصر واخرون
من المشركين يريدون اتباعه عليه السلام ويخشون ان لا يثبت امره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق
فالمعنى ان الارزاق بيده تعالى لا تنال الا بمشيئته فلابد للعبد من الرضى بقسمته فمن ظن
ان الله تعالى غير رازقه ولم يصبر ولم يستسلم فليبلغ غاية الجزع والاختناق فان ذلك لا يقلب القسمة

الى كانت مسخرة بكرسيه في مدة يسيرة من الزمان كما قال تعالى غدوها شهر ورواحها شهر وكانت
تجري في نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته عليه السلام وقرئ الريح بالرفع
على الابتداء والخبر الظرف المقدم وعاصفة حال من ضميرها المستكن في الجار والعامل ما فيه
من معنى الاستقرار وقرئ الرياح تجري بامره حال ثانية او بدل من
الاولى او حال من ضميرها الى الارض التي باركنا فيها وهي الشام رواحا بعدما سارت به منه بكرة
قال الكلبي كان سليمان عليه السلام وقومه يركبون عليها من اصطخر الى الشام والى حيث شاء
ثم يعود الى منزله وكنا بكل شيء عالمين فنجريه حسبما تقتضيه الحكمة ومن الشياطين اي وسخرنا
له من الشياطين من يغوصون له في البحار ويستخرجون له من نفائسها وقيل من رفع على الابتداء وخبره
ما قبله والاول هو الاظهر ويعملون عملا دون ذلك اي غير ما ذكر من بناء المدن والقصور واختراع
الصنائع الغريبة لقوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الاية وهؤلاء اما الفرقة الاولى او
غيرها لعموم كلمة من كانه قيل ومن يعملون وجمع الضمير الراجع اليها باعتبار معناها بعدما راعى جانب
لفظها بقوله تعالى من الشياطين روي ان المسخر له عليه السلام كفارهم لا مؤمنوهم لقوله تعالى ومن الشياطين
وقوله تعالى وكنا لهم حافظين اي من ان يزيغوا عن امره او ان يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم
قيل وكل بهم جمعا من الملائكة وجمعا من مؤمني الجن وقال الزجاج كان يحفظهم من ان يفسدوا
ما عملوا وكان دأبهم ان يفسدوا بالليل ما عملوا بالنهار وايوب الكلام فيه كما في قوله تعالى
وداود وسليمان اي واذكر خبر ايوب اذ نادى ربه اني اي باني مسني الضر وقرئ بالكسر على اضمار
القول او لتضمين النداء معناه والضر شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس من مرض وهزال
ونحوهما وانت ارحم الراحمين وصفه تعالى بغاية الرحمة بعدما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى عن
عرض المطلوب لطفا في السؤال وكان عليه السلام روميا من ولد عيص بن اسحق استنبأه الله تعالى
وكثر اهله وماله فابتلاه الله تعالى بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله
والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلاث عشرة او سبع سنين وسبعة اشهر وسبع ساعات
روي ان امرأته ماخير بنت ميشا بن يوسف عليه السلام او رحمة بنت افرائيم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت
الله تعالى فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال استحيي من الله تعالى ان ادعوه
وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي وروي ان ابليس لعنه الله اتاها على هيئة عظيمة فقال انا
اله الارض فعلت بزوجك ما فعلت لانه تركني وعبد اله السماء فلو سجد لي سجدة لرددت عليه
وعليك جميع ما اخذت منكما وفي رواية لو سجدت لي سجدة لرجعت المال والولد وعافيت
زوجك فرجعت الى ايوب وكان ملقى في الكناسة لا يقرب منه احد فاخبرته بالقصة فقال
عليه السلام كانك افتتنت بقول اللعين لئن عافاني الله تعالى لاضربنك مائة سوط وحرام
علي ان اذوق بعد هذا شيئا من طعامك وشرابك فطردها فبقي طريحا في الكناسة لا يحوم
حوله احد من الناس فعند ذلك خر ساجدا فقال رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين فقيل له
ارفع راسك فقد استجيب لك اركض برجلك فركض فنبع من تحته عين فاغتسل منها فلم يبق في
ظاهر بدنه دابة الا سقطت ولا جراحة الا برئت ثم ركض مرة اخرى فنبعت عين اخرى فشرب منها

ثم يبق في جسده إلا أن الأقبح وعاد صحيحا ورجع إليه شبابه وجماله ثم كسي حلة من ذلك قوله
تعالى فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر فلما قام جعل يلتفت فلا يرى شيئا مما كان له من الاهل
والمال إلا وقد ضاعفه الله تعالى وفي ذلك قوله تعالى وآتيناه أهله ومثلهم معهم وقيل
كان ذلك بأن ولد له ضعف ما كان ثم إن امرأته قالت في نفسها هب أنه طردني أفأتركه
حتى يموت جوعا ويأكله السباع لأرجعن إليه فلما رجعت ما رأت تلك الكناسة ولا
تلك الحال وقد تغيرت الأمور فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وهابت صاحب الحلة
أن تأتيه وتسأل عنه فأرسل إليها أيوب ودعاها فقال ما تريدين يا أمة الله فبكت وقالت
أريد ذلك المبتلى الذي كان منبوذا على الكناسة قال لها ما كان منك فبكت وقالت
بعلي قال أتعرفينه إذا رأيته قالت وهل يخفى علي فتبسم فقال أنا ذلك فعرفته بضحكه
فاعتنقته رحمة من عندنا وذكرى للعابدين أي آتيناه ما ذكر لرحمتنا أيوب وتذكرة
لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما أثيب أو لرحمتنا العابدين الذين من جملتهم أيوب
وذكرنا إياهم بالإحسان وعدم نسياننا لهم وإسماعيل وإدريس وذا الكفل أي
واذكرهم وذو الكفل إلياس وقيل يوشع بن نون وقيل زكريا سمي به لأنه كان ذا حظ
من الله تعالى أو تكفل منه أو ضعف عمل أنبياء زمانه وثوابهم فإن الكفل يجيء
بمعنى النصيب والكفل لغة الضعف كل أي كل واحد من هؤلاء من الصابرين أي
على مشاق التكاليف وشدائد النوب والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من
الأمر بذكرهم وأدخلناهم في رحمتنا أي في النبوة أو في نعمة الآخرة إنهم من الصالحين
أي الكاملين في الصلاح الكامل الذي لا يحوم حوله شائبة الفساد وهم الأنبياء فإن
صلاحهم معصوم من كدر الفساد وذا النون أي واذكر صاحب الحوت وهو يونس
عليه السلام إذ ذهب مغاضبا أي لقومه لما برم من طول دعوته إياهم وشدة شكيمتهم
وتمادي إصرارهم مهاجرا عنهم قبل أن يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم فلم يعرف
الحال فظن أنه كذبهم فغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة أو لأنه أغضبهم بالهجرة
لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا فظن أن لن نقدر عليه أي لن نضيق عليه
أو لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر ويؤيده أنه قرئ مشددا أو لن نعمل فيه قدرتنا
وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن أن لن نقدر عليه أي نعامل معاملة من يظن أنا لن
نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لأمرنا كما في قوله تعالى يحسب أن ماله أخلده أي
نعامل معاملة من يحسب ذلك وقيل خطرة شيطانية سبقت إلى وهمه فسميت ظنا للمبالغة
وقرئ بالياء مخففا ومثقلا مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول فنادى الفاء فصيحة أي فكان
ما كان من المساهمة والتقام الحوت فنادى في الظلمات أي في الظلمة الشديدة المتكاثفة
أو في ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت أكبر منه فحصل في ظلمتي
بطني الحوتين وظلمتي البحر والليل أن لا إله إلا أنت أي بأنه لا إله إلا أنت على أن
أن مخففة من أن وضمير الشأن محذوف أو أي لا إله إلا أنت على أنها مفسرة سبحانك إني كنت

تنزيها لا يليق بك من أن يعجزك شيء أو أن يكون ابتلائي بهذا بغير سبب من جهتي إني كنت
من الظالمين لأنفسهم بتعريضها للهلكة حيث بادرت إلى المهاجرة فاستجبنا له أي دعاءه الذي
دعاه في ضمن الاعتراف بالذنب على ألطف وجه وأحسنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له ونجيناه من الغم بأن قذفه الحوت
إلى الساحل بعد أربع ساعات كان في بطنه وقيل بعد ثلاثة أيام وقيل الغم غم الالتقام
وقيل غم الخطيئة وكذلك أي مثل ذلك الإنجاء الكامل ننجي المؤمنين من غموم دعوا الله تعالى
فيها بالإخلاص لا إنجاء أدنى منه وفي الإمام نجي على البناء للمفعول فلذلك أخفى الجماعة النون
الثانية فإنها تخفى مع حروف الفم وقرئ بتشديد الجيم على أن أصله ننجي فحذفت النون الثانية
كما حذفت التاء في تظاهرون وهي وإن كانت فاء فحذفها أوقع من حذف حرف المضارعة التي
لمعنى ولا يقدح اختلاف حركتي النونين فإن الداعي إلى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر
الإدغام وامتناع الحذف في تجافى لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول أسند إلى ضمير
المصدر وسكن آخره تخفيفا ورد بأنه لا يسند إلى المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن
آخره وزكريا أي واذكر خبره إذ نادى ربه وقال رب لا تذرني فردا أي وحيدا بلا ولد يرثني
وأنت خير الوارثين فحسبي أنت إن لم ترزقني وارثا فاستجبنا له أي دعاءه ووهبنا له يحيى وقد
مر بيان كيفية الاستجابة والهبة في سورة مريم وأصلحنا له زوجه أي أصلحناها للولادة بعد
عقرها أو أصلحناها للمعاشرة بتحسين خلقها وكانت حردة وهو قوله تعالى إنهم كانوا يسارعون
في الخيرات تعليل لما فصل من فنون إحسانه تعالى المتعلقة بالأنبياء المذكورين أي كانوا يبادرون
في وجوه الخيرات مع ثباتهم واستقرارهم في أصل الخير وهو السر في إيثار كلمة في على كلمة إلى المشعرة
بخلاف المقصود من كونهم خارجين عن أصل الخيرات متوجهين إليها كما في قوله تعالى وسارعوا
إلى مغفرة من ربكم وجنة ويدعوننا رغبا ورهبا أي ذوي رغب أو راغبين في
الثواب وراجين للإجابة أو في الطاعة وخائفين العقاب أو المعصية أو للرغب والرهب
وكانوا لنا خاشعين أي مخبتين متضرعين أو دائمي الوجل والمعنى أنهم نالوا من الله
تعالى ما نالوا بسبب اتصافهم بهذه الخصال الحميدة والتي أحصنت فرجها أي اذكر
خبرها التي أحصنته على الإطلاق من الحلال والحرام والتعبير عنها بالموصول لتفخيم شأنها وتنزيهها
عما رموها به فنفخنا فيها أي أحيينا عيسى في جوفها من روحنا من الروح
الذي هو من أمرنا وقيل فعلنا النفخ فيها من جهة روحنا جبريل عليه السلام وجعلناها وابنها
آية أي قصتهما أو حالهما آية للعالمين فإن من تأمل حالهما تحقق كمال قدرته عز وجل
فالمراد بالآية ما حصل بهما من الآية التامة مع تكاثر آيات كل واحد منهما وقيل أريد بالآية
الجنس الشامل لما لكل واحد منهما من الآيات المستقلة وقيل المعنى وجعلناها آية
وابنها آية فحذفت الأولى لدلالة الثانية عليها إن هذه أمتكم أي ملة التوحيد والإسلام أشير إليها

بجملته بتنبيهاتها كما ظهرت أمارات الصحة والسداد أمتكم أي ملتكم التي يجب أن تحافظوا على حدودها
وتراعوا حقوقها ولا تخلوا بشيء منها والخطاب للناس قاطبة أمة واحدة نصب على الحالية
من أمتكم أي غير مختلفة فيما بين الأنبياء عليهم السلام لا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع والأخذ ل
لا تبدل لها ولا تغير كفروع الشرائع المتبدلة بحسب تبدل الأمم والأعصار وقرئ أمتكم بالنصب
على البدلية من اسم إن وأمة واحدة بالرفع على الخبرية وقرئتا بالرفع على أنهما خبران وأنا ربكم لا إله غيري
فاعبدون خاصة لا غير وقوله تعالى وتقطعوا أمرهم بينهم التفات إلى الغيبة لينعى
عليهم ما أفسدوه من التفرق في الدين وجعل أمره قطعا موزعة وينهى قبائح أفعالهم إلى الآخرين
كأنه قيل ألا ترى إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله الذي أجمعت عليه كافة الأنبياء كل
أي كل واحدة من الفرق المتقطعة أو كل واحد من آحاد كل واحدة من تلك الفرق إلينا
راجعون بالبعث لا إلى غيرنا فنجازيهم حينئذ بحسب أعمالهم وإيراد اسم الفاعل للدلالة على الثبات
والتحقق وقوله تعالى فمن يعمل من الصالحات الخ تفصيل للجزاء أي فمن يعمل بعض الصالحات
أو بعضا من الصالحات وهو مؤمن بالله ورسوله فلا كفران لسعيه أي لا حرمان لثواب
عمله ذلك عبر عن ذلك بالكفران الذي هو ستر النعمة وجحودها لبيان كمال نزاهته تعالى
عنه بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وإبراز الإثابة في معرض الأمور
الواجبة عليه تعالى ونفي نفي الجنس للمبالغة في التنزيه وعبر عن العمل بالسعي لإظهار الاعتداد وإنا
له أي لسعيه كاتبون أي مثبتون في صحائف أعمالهم لا يغادر من ذلك شيئا وحرام على قرية
أي ممتنع على أهلها غير متصور منهم وقرئ حرم وهي لغة كالحل والحلال أهلكناها
قدرنا هلاكها أو حكمنا به لغاية طغيانهم وعتوهم وقوله تعالى أنهم لا يرجعون
في حيز الرفع على أنه مبتدأ خبره حرام أو على أنه فاعل له ساد مسد خبره والجملة لتقرير مضمون ما قبلها
من قوله تعالى كل إلينا راجعون ولا صلة أو من معنى التحقيق معتبر في النفي المستفاد من
حرام لا في المنفي أي ممتنع البتة عدم رجوعهم إلينا للجزاء لا أن عدم رجوعهم ممتنع وتخصيص
امتناع عدم رجوعهم بالذكر مع شمول الامتناع لعدم رجوع الكل حسبما نطق به قوله
تعالى كل إلينا راجعون لأنهم المنكرون للبعث والرجوع دون غيرهم وقيل ممتنع رجوعهم
إلى التوبة على أن لا صلة وقرئ إنهم لا يرجعون بالكسر على أنه استئناف تعليلي لما قبله فحرام
خبر مبتدأ محذوف أي حرام عليها ذلك وهو ما ذكر في الآية السابقة من العمل الصالح المشفوع
بالإيمان والسعي المشكور ثم علل بقوله تعالى إنهم لا يرجعون عما هم عليه من الكفر فكيف لا
يمتنع ذلك ويجوز حمل المفتوحة أيضا على هذا المعنى بحذف اللام عنها أي لأنهم لا يرجعون
وحتى في قوله تعالى حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج الخ هي التي يحكى بعدها الكلام
وهي على الأول غاية لما يدل عليه ما قبلها كأنه قيل يستمر امتناع رجوعهم إلى التوبة حتى
إذا قامت القيامة يرجعون إليها حين لا ينفعهم التوبة وعلى الثالث غاية لعدم الرجوع عن

الكفر

الكفر أي لا يرجعون عنه حتى إذا قامت القيامة يرجعون عنه حين لا ينفعهم الرجوع ويأجوج ومأجوج
قبيلتان من الإنس قالوا الناس عشرة أجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج والمراد بفتحهم فتح سدها
على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وقرئ فتحت بالتشديد وهم أي يأجوج ومأجوج جوج
وقيل الناس من كل حدب أي نشز من الأرض وقرئ جدث وهو القبر ينسلون أي يسرعون
وأصله مقاربة الخطو مع الإسراع وقرئ بضم السين واقترب الوعد الحق عطف على فتحت والمراد
به ما بعد النفخة الثانية من البعث والحساب والجزاء لا النفخة الأولى فإذا هي شاخصة أبصار الذين
كفروا جواب الشرط وإذا للمفاجأة تسد مسد الفاء الجزائية كما في قوله تعالى إذا هم يقنطون
فإذا دخلتها الفاء تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط والضمير للقصة أو مبهم يفسره ما بعده يا
ويلنا على تقدير يقول وقع حالا من الموصول أي يقولون يا ويلنا تعال فهذا أوانك وآن حضورك
وقيل هو الجواب للشرط قد كنا في غفلة تامة من هذا الذي دهمنا من البعث والرجوع
إليه تعالى للجزاء ولم نعلم أنه حق بل كنا ظالمين إضراب عما قبله من وصفهم أنفسهم بالغفلة
أي لم نكن غافلين عنه حيث نبهنا عليه بالآيات والنذر بل كنا ظالمين بتلك الآيات والنذر
مكذبين بها أو ظالمين لأنفسنا بتعريضها للعذاب الخالد بالتكذيب وقوله تعالى إنكم وما
تعبدون من دون الله حصب جهنم خطاب لكفار مكة وتصريح بمآل أمرهم مع كونه معلوما
مما سبق على وجه الإجمال مبالغة في الإنذار وإزاحة الأعذار وما يعبدون عبارة عن أصنامهم
لأنها التي يعبدونها كما يفصح عنه كلمة ما وقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تلا
الآية قال له ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة أليست اليهود عبدوا عزيرا والنصارى
المسيح وبنو مليح الملائكة فرد عليه بقوله عليه السلام ما أجهلك بلغة قومك أما فهمت أن ما لما لا
يعقل ولا يعارضه ما روي أنه عليه السلام رده بقوله بل هم عبدوا الشياطين التي أمرتهم بذلك ولما
روي أن ابن الزبعرى قال هذا شيء لآلهتنا خاصة أم لكل من عبد من دون الله فقال عليه السلام بل
لكل من عبد من دون الله تعالى إذ ليس في شيء منهما نص في عموم كلمة ما أما الأول فلأن تخصيصها
بمحل حكم النص لا يقتضي شموله بطريق العبارة بل يكفي في ذلك شموله بطريق دلالة النص بجامع الشرك
في المعبودية من دون الله تعالى فلعله عليه السلام بعدما بين مدلول النظم الكريم بما ذكر وعدم دخول
المذكورين في حكمه بطريق العبارة بين عدم دخولهم فيه بطريق الدلالة أيضا تأكيدا للرد والإلزام
وتكريرا للتبكيت والإفحام لكن لا باعتبار كونهم معبودين لهم كما هو زعمهم فإن إخراج بعض
المعبودين عن حكم شيء من القضايا المتعلقة بالمعبودين مما يوهم الرخصة في عبادته في الجملة
بل بتحقيق الحق وبيان أنهم ليسوا من المعبودية في شيء حتى يتوهم دخولهم في الحكم المذكور لا لأنه
لم يجب شركهم للأصنام في المعبودية من دون الله تعالى وإنما معبودهم الشياطين التي أمرتهم
بعبادتهم كما نطق به قوله تعالى سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الآية
فهم الداخلون في الحكم المذكور لاشتراكهم الأصنام في المعبودية من دونه تعالى دون المذكورين
عليهم السلام هذا هو الوجه في التوفيق بين الأخبار المذكورة وأما تعميم كلمة ما للعقلاء أيضا
وجعل ما سيأتي من قوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى الخ بيانا للتجوز أو التخصيص

فيما لا يساعده السباق والسياق كما يشهد به الذوق السليم والحصب ما يرمى به وتهيج به
النار من حصبه اذا رماه بالحصب وقرئ بسكون الصاد وصفا له بالمصدر للمبالغة أنتم
لها واردون استئناف او بدل من حصب جهنم واللام معوضة من على للدلالة على الاختصاص
وان ورودهم لاجلها والخطاب لهم ولما يعبدون تغليبا لو كان هؤلاء اي اصنامهم
آلهة كما يزعمون ما وردوها وحيث تبين ورودهم اياها تعين امتناع كونهم آلهة بالضرورة
وهذا كما ترى صريح في ان المراد بما يعبدون هي الاصنام لان المراد اثبات نقيض ما يدعونه وهم
انما يدعون آلهية الاصنام لا الشياطين حتى يحتج بورودها النار على عدم آلهيتها واما ما وقع في الحديث
الشريف فقد وقع بطريق التكملة بابطال الكلام اليه عند بيان ما سبق له النظم الكريم بطريق
العبارة حيث سأل ابن الزبعرى عن حال سائر المعبودين وكان الاقتصار على الجواب
الاول مما يوهم الرخصة في عبادتهم في الجملة لانهم انما يعبدون عند مم اجيب ببيان
ان المعبودين هم الشياطين وانهم داخلون في حكم النص لكن بطريق الدلالة لا بطريق العبارة
لئلا يلزم التدافع بين الخبرين وكل من العبدة والمعبودين فيها خالدون لا خلاص
لهم عنها لهم فيها زفير اي انين وتنفس شديد وهو مع كونه من فعال العبدة اضيف الى الكل
للتغليب ويجوز ان يكون الضمير للعبدة لعدم الالباس وكذا في قوله تعالى وهم فيها
لا يسمعون اي لا يسمع بعضهم زفير بعض لشدة الهول وفظاعة العذاب وقيل لا يسمعون ما
يسرهم من الكلام ان الذين سبقت لهم منا الحسنى شروع في بيان حال المؤمنين اثر
شرح حال الكفرة حسبما جرت به سنة التنزيل من شفع الوعد بالوعيد وايراد الترغيب مع
الترهيب اي سبقت لهم منا في التقدير الخصلة الحسنى التي هي احسن الخصال وهي السعادة
وقيل التوفيق للطاعة او سبقت لهم كلمتنا بالبشرى بالثواب على الطاعة وهو الاظهر الادخل
في الحمل عليها لما ان الاولين مع خفائهما ليسا من مقدورات المكلفين فالجملة مع ما بعدها
تفصيل لما اجمل في قوله تعالى فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له
كاتبون كما ان ما قبلها من قوله انكم وما تعبدون الخ تفصيل لما اجمل في قوله تعالى وحرام
الخ اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد
للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف والفضل اي اولئك المنعوتون بذلك
النعت الجليل عنها اي عن جهنم مبعدون لانهم في الجنة وشتان بينها وبين النار
وما روي ان عليا رضي الله عنه خطب يوما فقرأ هذه الآية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر
وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة ابن الجراح رضي الله
تعالى عنهم اجمعين ثم اقيمت الصلاة فقام يجر رداءه ويقول لا يسمعون حسيسها ليس نصا
في كون الموصول عبارة عن طائفة مخصوصة والحسيس صوت يحس به اي لا يسمعون صوتها
سمعا ضعيفا كما هو المعهود عند كون الصوت بعيدا وان كان صوتها في غاية الشدة لا
انهم لا يسمعون صوتها الخفي في نفسه فقط والجملة بدل من مبعدون او حال من ضميره سيقت
للمبالغة في انقاذهم عنها وقوله تعالى وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون بيان

لفوزهم

لفوزهم بالمطالب اثر بيان خلاصهم من المهالك والمعاطب اي دائمون في غاية التنعم وتقديم
الظرف للقصر والاهتمام به وقوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر بيان لنجاتهم من الافزاع
بالكلية بعد بيان نجاتهم من النار لانهم اذا لم يحزنهم الافزاع لا يحزنهم ما عداه بالضرورة
عن الحسن هو الانصراف الى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل حين يذبح
الموت في صورة كبش املح وقيل النفخة الاخيرة لقوله تعالى ففزع من في السموات ومن
في الارض وليس بذاك فان الامن من ذلك الفزع من استثناه الله تعالى بقوله الا من شاء الله
لا لجميع المؤمنين الموصوفين بالاعمال الصالحة على ان الاكثرين على ان ذلك في النفخة الاولى
دون الاخيرة كما سيأتي في سورة النمل وتتلقاهم الملائكة اي تستقبلهم مهنئين لهم هذا
يومكم على ارادة القول اي قائلين هذا اليوم يومكم الذي كنتم توعدون في الدنيا
وتبشرون بما فيه من فنون المثوبات على الايمان والطاعات وهذا كما ترى صريح في ان المراد
بالذين سبقت لهم منا الحسنى كافة المؤمنين الموصوفين بالايمان والاعمال الصالحة لا من ذكر
المسيح وعزير والملائكة عليهم السلام خاصة كما قيل يوم نطوي السماء بنون العظمة منصوب
باذكر وقيل ظرف لقوله تعالى لا يحزنهم الفزع وقيل لتتلقاهم وقيل حال مقدرة من العائد
المحذوف في توعدون والطي ضد النشر وقيل المحو وقرئ يطوى بالياء والتاء والبناء للمفعول
كطي السجل وهي الصحيفة اي طيا كطي الطومار وقرئ السجل كلفظ الدلو وبالكسر والسجل
على وزن العتل وهما لغتان واللام في قوله تعالى للكتب متعلقة بمحذوف هو حال من السجل
او صفة على راي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي كطي السجل كائنا للكتب او الكائن
للكتب فان الكتب عبارة عن الصحائف وما كتب فيها فسجلها بعض اجزائها وبه يتعلق الطي
حقيقة وقرئ للكتاب وهو اما مصدر واللام للتعليل اي كما يطوى الطومار للكتابة او اسم
كالامام فاللام كما ذكر وقيل السجل اسم ملك يطوي كتب اعمال بني آدم اذا رفعت اليه وقيل
السجل هو كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما بدأنا اول خلق نعيده اي نعيد ما خلقناه
مبتدأ اعادة مثل بدئنا اياه في كونهما ايجادا بعد العدم او جمعا من الاجزاء المتبددة
والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على المبدأ لشمول الامكان الذاتي المصحح للمقدورية
وتناول القدرة لهما على السواء وما كافة او مصدرية واول مفعول لبدأنا او لفعل يفسره
نعيده وموصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده مثل الذي بدأناه نعيده واول
خلق ظرف لبدأنا او حال من ضمير الموصول المحذوف وعدا مصدر مؤكد لفعله ومقرر
لنعيده او منتصب به لانه عدة بالاعادة علينا اي علينا انجازه انا كنا فاعلين
لما ذكر لا محالة ولقد كتبنا في الزبور هو كتاب داود عليه السلام وقيل هو اسم لجنس ما
انزل على الانبياء عليهم السلام من بعد الذكر اي التوراة وقيل اللوح المحفوظ اي وبالله
لقد كتبنا في كتاب داود من بعد ما كتبنا في التوراة او كتبنا في جميع الكتب المنزلة
بعد ما كتبنا في اللوح المحفوظ ان الارض يرثها عبادي الصالحون اي عامة
المؤمنين بعد اجلاء الكفار وهذا وعد منه تعالى باظهار الدين واعزاز اهله وعن ابن

عباس رضي الله عنهما ان المراد بها ارض الجنة كما ينبئ عنه قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا
الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وقيل الارض المقدسة ترثها امة محمد صلى الله عليه وسلم ان في
هذا اي فيما ذكر في السورة الكريمة من الاخبار والمواعظ البالغة والوعد والوعيد والبراهين
القاطعة الدالة على التوحيد وصحة النبوة لبلاغا اي لكفاية او لسبب بلوغ الى البغية لقوم
عابدين اي لقوم همهم العبادة دون العادة وما ارسلناك بما ذكر وامثاله من الشرائع
والاحكام وغير ذلك من الامور التي هي مناط السعادة في الدارين الا رحمة للعالمين هو في
حيز النصب على انه استثناء من اعم العلل او من اعم الاحوال اي ما ارسلناك بما ذكر لعلة من العلل
الا لرحمتنا الواسعة للعالمين قاطبة او ما ارسلناك في حال من الاحوال الا حال كونك رحمة
لهم فان ما بعثت به سبب لسعادة الدارين ومنشأ لانتظام مصالحهم في النشأتين ومن لم
يغتنم آثاره فانما فرط في نفسه وضيع حصته لا انه تعالى حرمه مما يسعده وقيل كونه رحمة في
حق الكفار امنهم به من الخسف والمسخ والاستئصال حسبما ينطق به قوله تعالى وما كان
الله ليعذبهم وانت فيهم قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد اي ما يوحى الي الا انه لا اله لكم
الا اله واحد لانه المقصود الاصلي من البعثة واما ما عداه من الاحكام المتفرعة عليه فانما
الاولى لقصر الحكم على الشيء كقولك انما يقوم زيد اي ما يقوم الا زيد والثانية لقصر الشيء على الحكم
كقولك انما زيد قائم اي ليس له الا صفة القيام فهل انتم مسلمون اي مخلصون
العبادة لله تعالى مخصصون لها به تعالى والفاء للدلالة على ان ما قبلها موجب لما بعدها
وفيه دلالة على ان صفة الوحدانية يصح ان يكون طريقها السمع فان تولوا عن الاسلام
ولم يلتفتوا الى ما يوجبه من الوحي فقل لهم آذنتكم اي اعلمتكم ما امرت به او حربي لكم على سواء
كائنين على سواء في الاعلام به لم اطوه عن احد منكم او مستوين به انا وانتم في العلم بما اعلمتكم به
او في المعاداة او ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم اني على سواء اي عدل واستقامة رأي بالبرهان
النير وان ادري اي ما ادري اقريب ام بعيد ما توعدون من غلبة المسلمين وظهور
الدين او الحشر مع كونه آتيا لا محالة انه يعلم الجهر من القول اي ما تجاهرون به من الطعن في
الاسلام وتكذيب الآيات التي من جملتها ما نطق بمجيء الموعود ويعلم ما تكتمون من الاحن والاحقاد
للمسلمين فيجازيكم عليه نقيرا وقطميرا وان ادري لعله فتنة لكم اي ما ادري لعل تأخير جزائكم
استدراج لكم وزيادة في افتتانكم او امتحان لكم لينظر كيف تعملون ومتاع الى حين
اي وتمتيع لكم الى اجل مقدر تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة ليكون ذلك حجة عليكم
قال رب احكم بالحق حكاية لدعائه صلى الله عليه وسلم وقرئ قل رب على صيغة الامر اي اقض
بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضي لتعجيل العذاب والتشديد عليهم فاستجيبت دعاؤه
عليه السلام حيث عذبوا ببدر اي تعذيب وقرئ رب احكم بضم الباء وربي احكم على صيغة التفضيل
وربي احكم من الاحكام وربنا الرحمن مبتدأ وخبر اي كثير الرحمة على عباده وقوله تعالى المستعان
اي المطلوب منه المعونة خبر آخر للمبتدأ واضافة الرب فيما سبق الى ضميره عليه السلام خاصة لما ان الدعاء
من الوظائف الخاصة به عليه السلام كما ان اضافته هنا الى ضمير الجمع المنتظم للمؤمنين ايضا لما ان الاستعانة

من الوظائف العامة لهم على ما تصفون من الحال فانهم كانوا يقولون ان الشوكة
تكون لهم وان راية الاسلام تخفق ثم تركد وان المتوعد به لو كان حقا لنزل بهم الى غير ذلك مما
لا خير فيه فاستجاب الله عز وجل دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم فخيب آمالهم وغير احوالهم ونصر
اولياءه عليهم فاصابهم يوم بدر ما اصابهم والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقرئ
يصفون بالياء التحتانية وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ اقترب حاسبه
الله تعالى حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس اتقوا ربكم خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم
بعد من الموجودين القاصرين عن رتبة التكليف والحادثين بعد ذلك الى يوم القيامة وان
كان خطاب المشافهة مختصا بالفريق الاول على الوجه الذي مر تحقيقه في مطلع سورة النساء
ولفظ الناس منتظم للذكور والاناث حقيقة واما صيغة جمع المذكر فواردة على نهج التغليب لعدم
تناولها الاناث حقيقة عند الحنابلة والمأمور به مطلق التقوى الذي هو التجنب عن كل ما
يؤثم من فعل وترك ويندرج فيه الايمان بالله واليوم الآخر حسبما ورد به الشرع اندراجا
اوليا والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتأكيد
الامر وتأكيد ايجاب الامتثال به ترهيبا وترغيبا اي احذروا عقوبة مالك امركم ومربيكم
وقوله تعالى ان زلزلة الساعة شيء عظيم تعليل لموجب الامر بذكر بعض عقوباته الهائلة فان
ملاحظة عظمها وهولها وفظاعة ما هي من مباديه ومقدماته من الاحوال والاهوال التي
لا ملجأ منها سوى التدرع بلباس التقوى مما يوجب مزيد الاعتناء بملابسته وملازمته لا
محالة والزلزلة التحريك الشديد والازعاج العنيف بطريق التكرير بحيث يزيل الاشياء
من مقارها ويخرجها عن مراكزها واضافتها الى الساعة اما من اضافة المصدر الى فاعله على
المجاز الحكمي لانها هي التي تزلزل الاشياء او اضافته الى الظرف اما باجرائه مجرى المفعول به
اتساعا او بتقدير في كما في قوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله تعالى
اذا زلزلت الارض زلزالها على انها تكون يوم القيامة وعن ابن عباس رضي الله عنهما زلزلة الساعة قيامها
وعن علقمة والشعبي انها قبل طلوع الشمس من مغربها واضافتها الى الساعة لكونها من اشراطها وفي
التعبير عنها بالشيء ايذان بان العقول قاصرة عن ادراك كنهها والعبارة ضيقة لا تحيط بها الا على وجه
الابهام وقوله تعالى يوم ترونها منتصب بما بعده قدم عليه اهتماما به والضمير للزلزلة اي وقت
رؤيتكم اياها ومشاهدتكم هول مطلعها تذهل كل مرضعة اي مباشرة الارضاع عما ارضعت اي
تغفل وتذهب مع دهشة عما هي بصدده من ارضاع طفلها الذي القمته ثديها والتعبير عنه
بما دون من لتأكيد الذهول وكونه بحيث لا يخطر ببالها انه ماذا لا انها تعرف شيئيته لكن لا
تدري من هو بخصوصه وقيل ما مصدرية اي تذهل عن ارضاعها والاول ادل على شدة الهول وكمال

الا ان عاج وقرئ تذهل من الاذهال مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل مع نصب كل اي تذهلها
الزلزلة وتضع كل ذات حمل حملها اي تلقي جنينها لغير تمام كما ان المرضعة تذهل عن ولدها
لغير فطام وهذا ظاهر على قول علقمة والشعبي واما على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما فقد قيل
انه تمثيل لتهويل الامر وفيه ان الامر حينئذ اشد من ذلك واعظم واهول مما وصف واطم وقيل
ان ذلك يكون عند النفخة الثانية فانهم يقومون على ما صعقوا في النفخة الاولى فتقوم المرضعة على
ارضاعها والحامل على حملها ولا ريب في ان قيام الناس من قبورهم بعد النفخة الثانية لا قبلها
حتى يتصور ما ذكر وترى الناس بفتح التاء والراء على خطاب كل واحد من المخاطبين برؤية
الزلزلة والاختلاف بالجمعية والافراد لما ان المرئي في الاول هي الزلزلة التي يشاهدها الجميع وفي
الثاني حال من عدا المخاطب منهم فلا بد من افراد المخاطب على وجه يعم كل واحد منهم لكن من
غير اعتبار اتصافه بتلك الحالة فان المراد بيان تاثير الزلزلة في المرئي لا في الرائي باختلال مشاعره
لان مداره حيثية رؤيته للزلزلة لا لغيرها كانه قيل ويصير الناس سكارى الخ وانما اوثر عليه ما في النظم
للايذان بكمال ظهور تلك الحالة فيهم وبلوغها من الجلاء الى حد لا يكاد يخفى على احد اي تراهم كل
احد سكارى اي كانهم سكارى وما هم بسكارى حقيقة ولكن عذاب الله شديد فرهقهم
هوله وطير عقولهم وسلب تمييزهم فهو الذي جعلهم كما وصفوا وقرئ بضم التاء وفتح الراء مسندا
الى المخاطب من اريتك قائما او رايتك قائما والناس منصوب اي تظنهم سكارى وقرئ برفع الناس على
اسناد الفعل المجهول اليه والتانيث على تاويل الجماعة وقرئ بضم التاء وكسر الراء اي تري الزلزلة
الخلق جميع الناس سكارى وقرئ سكرى وبسكرى كعطشى وجوعى اجراء للسكر مجرى العلل ومن الناس
كلام مستانف جيء به اثر بيان عظم شان الساعة المنبئة عن البعث بيانا لحال بعض المنكرين لها ومحله
الرفع على الابتداء اما بحمله على المعنى او بتقدير ما يتعلق به كما مر مرارا اي وبعض الناس او بعض
كائن من الناس من يجادل في الله اي في شانه تعالى ويقول فيه ما لا خير فيه من الاباطيل وقوله تعالى
بغير علم حال من ضمير يجادل موضحة لما تشعر به المجادلة من الجهل اي ملابسا بغير علم وقيل انها
نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين ولا بعث
بعد الموت وهي عامة له ولاضرابه من العتاة المتمردين ويتبع اي فيما يتعاطاه من المجادلة او في كل ما
ياتي وما يذر من الامور الباطلة التي من جملتها ذلك كل شيطان مريد عات متمرد متجرد
للفساد واصل التركيب للملابسة كالتمرد ولعله ماخوذ من ... للصارعين عند المصارعة
... الرجاج المريد والمارد المتبع الاملس والمراد اما رؤساء الكفرة الذين يدعون من
دونهم الى الكفر واما ابليس وجنوده وقوله تعالى كتب عليه اي على الشيطان صفة اخرى له
وقوله تعالى انه فاعل كتب والضمير للشان اي رقم به لظهور ذلك من حاله ان الشان من
تولاه اي اتخذه وليا وتبعه فانه يضله بالفتح على انه خبر مبتدا محذوف او مبتدا خبره محذوف
والجملة جواب الشرط ان جعلت من شرطية وخبرها ان جعلت موصولة متضمنة لمعنى الشرط اي من تولاه
فشانه انه يضله عن طريق الجنة او طريق الحق او فحق انه يضله قطعا وقيل فانه معطوف على انه
وفيه من التعسف ما لا يخفى وقيل ما لا يحمل على التحمل والتاويل وقرئ فانه بالكسرة على انه جزاء

او جواب لها وقرئ بالكسر فيهما على حكاية المكتوب كما هو مثل ما في قولك كتبت ان الله يامر بالعدل
والاحسان او على اضمار القول او تضمين الكتب معناه على راي من يراه ويهديه
الى عذاب السعير بحمله على مباشرة ما يؤدي اليه من السيئات يا ايها الناس اثر ما حكى
احوال المجادلين بغير علم واشير الى ما يؤول اليه امرهم اقيمت الحجة الدالة على تحقق ما جادلوا
فيه من البعث ان كنتم في ريب من البعث من امكانه او كونه مقدورا له تعالى او من وقوعه
وقرئ من البعث بالتحريك في الحلب والطرد والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب مع التنكير المنبي
عن القلة مع انهم جازمون باستحالته وايراد كلمة الشك مع تقرر تحققهم في ذلك وايثار
ما عليه النظم الكريم على ان يقال ان ارتبتم في البعث مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وان
كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فانا خلقناكم اي فانظروا الى مبدا خلقكم ليزول ريبكم
فانا خلقناكم اي خلقنا كل فرد منكم من تراب في ضمن خلق آدم منه خلقا اجماليا فان لكل
خلق كل فرد من افراد البشر حظا من خلقه عليه السلام اذ لم تكن فطرته الشريفة
مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا
لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من التراب خلقا للكل منه كما مر تحقيقه مرارا
ثم من نطفة اي ثم خلقناكم خلقا تفصيليا من نطفة اي مني من النطف الذي هو الصب
ثم من علقة اي قطعة من الدم جامدة متكونة من المني ثم من مضغة اي قطعة من اللحم
متكونة من العلقة وهي في الاصل مقدار ما يمضغ مخلقة بالجر صفة مضغة اي مستبينة الخلق
مصورة وغير مخلقة اي لم يستبن خلقها وصورتها بعد والمراد تفصيل حال المضغة وكونها
اولا قطعة لم يظهر فيها شيء من الاعضاء ثم ظهرت بعد ذلك شيئا فشيئا وكان مقتضى الترتيب
السابق المبني على التدرج من المبادي البعيدة الى القريبة ان يقدم غير المخلقة على
المخلقة وانما اخرت عنها لانها عدم الملكة هذا وقد فسر بالمسواة وغير المسواة وبالتامة
والساقط وليس بذاك فان حصول كل واحد من هذه المراتب مبنيا لخلقهم لا يختص ما بعدها
من المراتب كما في قوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة الاية مزيد دلالة
على عظم قدرته تعالى وكسر سورة الاستبعاد لنبين لكم متعلق بخلقنا وترك
المفعول لتفخيمه كما وكيفا اي خلقناكم على هذا النمط البديع لنبين لكم بذلك ما لا تحصره
العبارة من الحقائق والدقائق التي من جملتها سر البعث فان من تامل فيما ذكر من الخلق
التدريجي تاملا حقيقيا جزم جزما ضروريا بان من قدر على خلق البشر اولا من تراب لم يشم
رائحة الحياة قط وانشاه على وجه مصحح لتوليد مثله مرة بعد اخرى بتصريفه في اطوار
الخلقة من حال الى حال مع ما بين تلك الاطوار والاحوال من المخالفة والتباين فهو قادر
على اعادته بل هو اهون في القياس نظرا الى الفاعل والقابل وقرئ ليبين بطريق الالتفات
وقوله تعالى ونقر في الارحام ما نشاء استئناف مسوق لبيان حالهم بعد تمام خلقهم وعدم
نظمه في سلك الخلق المعلل بالتبيين مع كونه من متممه
ومن مبادي التبيين ايضا لما ان دلالة الاول على كمال قدرته تعالى على جميع المقدورات التي

من جملتها البعث المبعوث عنه اخلوقه اظهر اي ونحن نقر في الارحام بعد ذلك ما نشاء ان نقره فيها الى اجل
مسمى موقت اوضع وادناه ستة اشهر واقصاه سنتان او قيل اربع سنين وفيه اشارة الى ان
بعض ما في الارحام لا يشاء الله تعالى اقراره فيها بعد تكامل خلقه فتسقطونه التعرض للاولى
لا يناسب المقام لان الكلام في بيان على اطوار الخلق وهذا صريح في ان المراد بغير المخلقة ليس
ذلك ناقصا او معيبا وانما فصل الى هنا من الاطوار المتواردة على المولود قبل الولادة وقرئ ليبين
بالياء وقرئ بعض القبائل من قرئ الماء اذا صبته ثم نخرجكم اي من بطون امهاتكم بعد اقراركم
فيها عند تمام الاجل المسمى طفلا اي حال كونكم اطفالا او الافراد باعتبار كل واحد منهم او بارادة
الجنس المنتظم للواحد والمتعدد وقرئ نخرجكم بالياء وقوله تعالى ثم لتبلغوا اشدكم علة لنخرجكم
معطوفة على علة اخرى مناسبة لها كانه قيل ثم نخرجكم لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كمالكم في
القوة والعقل والتمييز وقيل التقدير ثم نمهلكم لتبلغوا الخ وما قيل انه معطوف على لنبين مخل بجزالة
النظم الكريم هذا وقرئ ما قبله من المفعولين بالنصب حكاية فهو غيبة فهو حينئذ عطف على
لنبين لتعليل والمعنى خلقناكم على التدريج المذكور لغايتين مترتبتين عليه احداهما ان نبين شؤوننا
والثانية ان نقركم في الارحام ثم نخرجكم صغارا ثم لتبلغوا اشدكم وتقديم التبيين على ما بعده مع
ان حصوله بالفعل بعد الكل للايذان بانه غاية الغايات ومقصود بالذات واعادة اللام ههنا
مع تجريد الاوليين عنها للاشعار باصالته في الغرضية بالنسبة اليهما اذ عليه يدور التكليف المؤدي
الى السعادة والشقاوة وايثار البلوغ مسندا الى ضمير المخاطبين على التبليغ مسندا اليه تعالى
كالافعال السابقة لان المنتسب لبيان حال اتصافهم بالكمال واستقلالهم بمبدئية الاثار والافعال
والاشد من الفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالاسدة والقتود وكانها شدة
في غير شيء على لفظ الجمع ومنكم من يتوفى اي بعد بلوغ الاشد او قبله وقرئ يتوفى مبنيا للفاعل
اي يتوفاه الله تعالى ومنكم من يرد الى ارذل العمر وهو الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم
وايراد الرد والتوفي على صيغة المبني للمفعول للجري على سنن الكبرياء بتعيين الفاعل لكيلا
يعلم من بعد علم شيئا اي ليعلم كثيرا شيئا اي شيئا من الاشياء او شيئا من العلم مبالغة في انتقاص علمه
وانتكاس حاله اي ليعود الى ما كان عليه في اوان الطفولية من ضعف البنية وسخافة العقل
وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه ويعجز عما قدر عليه وفيه من التنبيه على صحة البعث ما لا يخفى
وترى الارض هامدة حجة اخرى على صحة البعث والخطاب لكل احد ممن يتاتى منه الرؤية
وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وهي بصرية وهامدة حال من الارض اي ميتة
يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا فاذا انزلنا عليها الماء اي المطر اهتزت
تحركت بالنبات وربت انتفخت وازدادت وقرئ ربأت اي ارتفعت وانبتت من كل
زوج اي صنف بهيج حسن رائق يسر ناظره ذلك بان الله هو الحق كلام مستانف جيء به
اثر تحقيق حقيقة البعث واقامة البرهان عليه من العالمين الانساني والنباتي لبيان ان ذلك
اثار الالوهية تعالى واحكام شؤونه الذاتية والوصفية والفعلية انما يكون وجوده بلا مكان
من اتيان الساعة من اسباب تلك الاثار العجيبة التي نشاهدها في الانفس والافاق ومبادي